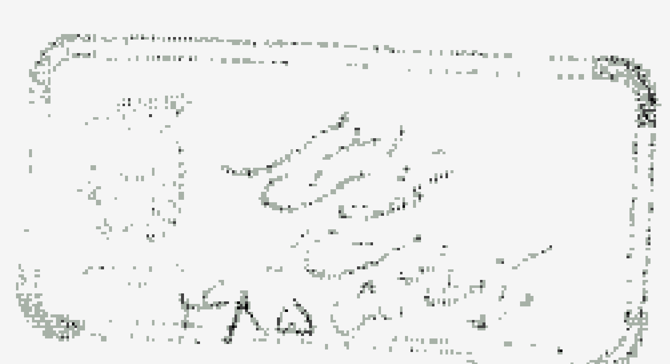


مجلة



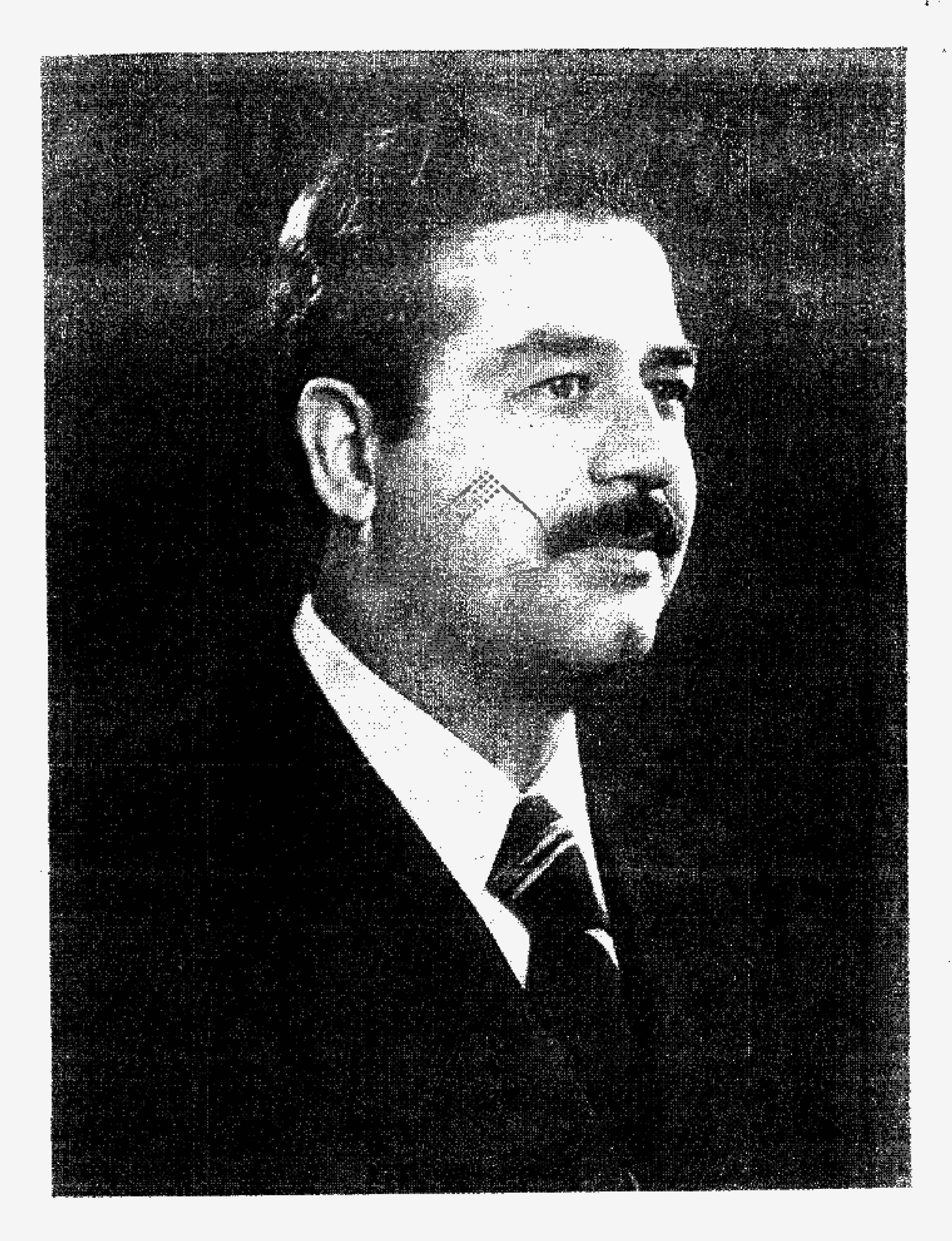
العدد الرابع والعشرون ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

هيئة التحرير



المهيب أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الاستاذ صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

في اعقاب عام منصرم ،
ومطلع عام جديد ..

يصدر هذا العدد الجديد ، الرابع والعشرون ، من مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد مع بداية عام جديد تدخله امتنا العربية ، هو عام ١٩٧٩ حيث تتجدد النظرة الى كل شيء في حياة العرب بفعل مظهرين برزا في شكل حاد وفرضا نفسيهما على الاحداث : الأول ، يتمثل في الصيغة المثلى التي توصل اليها القطران الشقيقان : العراق وسوريا ، بين العشرين والسادس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٧٨ ببغداد في ميثاق عمل قومي مشترك ، استجابة للمسؤولية القومية التاريخية وشعورا منهما بضرورة توفير المستلزمات الكفاحية الفعالة لمواجهة هذه الاخطار التي تهدد مصير الامة العربية وكرامتها وسيادتها ومستقبلها. والثاني، ما احدثه حزب البعث العربي الاشتراكي من تحرك واسع بين جماهير الامة العربية وقممها السياسية المتمثلة في الرجال الممسكين بقيادة نظمها من ملوك ورؤساء في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٧٨ فكان ما ذكره السيد رئيس الجمهورية المهيب احمد حسن البكر في خطابه التاريخي عند افتتاح المؤتمر قد وضع الأشياء في نصابها ، عندما دعا المؤتمرين الى صيغة اتفاق تحقق الحد الأدنى من التحصن على الأقل ، ضد الاخطار المحيقة بالامة ، بعد أن أخذت القضية المركزية ـ فلسطين ـ تغادر حدود الاحتلال والاستيطان العدواني الى التعريض بكيان الامة وتاريخها وكرامتها ازاء العدو الصهيوني ، نتيجة المواقف الخيانية التي بدأت تطغو فوق وجه الاحداث على الساحة العربية الملتهبة ، دون أدنى سبب لمثل هذه الهزائم والتنازلات المخزية .

والحقيقة ، ان هذين الانجازين : الميثاق ، واجتماع القمة ، يشيران بوضوح الى طبيعة الدور الفعال الذي يقدمه حزب البعث العربي الاشتراكي لامته العربية ، وهما يتصلان ببعضهما في أكثر من سبب ، لأنهما كانا حصيلة واقع مؤلم ، هو واقع التجزئة من جهة ، وظهور معالم الخيانة الصريحة من جهة ثانية .

وقد رافقت أحداث تلك الايام ، اسهامات واسعة في الشعر والخطابة والمقالة . فمن جيد ما قيل في هذه المناسبة : « أن التاريخ لا يمحو ذاكرته ، مهما اختلف مؤرخو الاحداث والوقائع والأشخاص ، والحقيقة الأنصع التي لما تزل ميثاقا دائم الاشراق ، تتجلى في كون العرب امة واحدة لها حضورها المادي والبشري والحضاري ، وتأثيرها البين على تطور البشرية منذ عهود طويلة ... » .

وبذلك تكون العاصمة العربية بغداد قد شهدت انجازين كبيرين في أعقاب العام المنصرم الذي كان مليئا بأحداث الخيانة والدعوات الاستسلامية ، مما جعل الامة في موضع لا تحسد عليه ، الأمر الذي دفع حزب البعث العربي الاشتراكي نحو تحركه الكبير ، فجعل من اعقاب ذلك العام انتعاشا في الامال وزخما جديدا في روح النضال ، مما أعاد للنفوس الثقة في أستقبال هذا العام الجديد .

وأما على صعيد العلم والثقافة والتربية ، فان واجبا ضخما القته الاحداث على عاتق رجال التعليم في مختلف الاصعدة التربوية ، ليواكبوا النهضة الجماهيرية المتوثبة ، والتطلع الثوري نحو توحيد القطرين الشقيقين ، لكي تحقق لنفسها ما أكده السيد نائب أمين السر الاستاذ صدام حسين من انه ميثاق عمل لوحدة وجدت لتبقى لا لتزول . ومثل هذا العزم لا يتم الا بوعي الجماهير العربية وقادتها ، وهمة رجال التربية والتعليم بما يغذون به اجيالهم من كتاباتهم وبحوثهم العلمية .

والله الموفق

هيئة التحرير

أفلاطـــون
الاديب الناقد

د . جميل سـعيد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ولد افلاطون عام ٤٢٧ق٠م[1] ، بعد نحو ثلاث سـنوات من انفجار الحرب البيلوپونيزيّة[2] Peloponnesianwar ، تلك الحرب التي نشبت بين اثينا واسبارطة ، ثم شملت بلاد اليونـــان ، وامتدت الى المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى ، وفي ايطاليا وفي صقلية ، ثم ازداد امتدادها حتى تدخّل فيها الفرس في آسيا ، وقد دامت ربع قرن متصل من الزمن ٠

واسهم فيها أفلاطون ، شأن غيره من اليونان ، فأخذت منه صباه وصدر شـــبابه ٠

واسرة افلاطون كانت اسرة ممتازة ، في نسبها وفي مكانتها الاجتماعية والسياسية[3] ٠ فأبوه اريسطون Ariston من الطبقة العليا في قومه ، حتى انهم ذهبوا الى ان نسبه يتّصل بكودروس Codrus آخر ملوك أثينا ، بل ذهبوا الى ان نسبه يتصل بالاله بوزايدون Poseidon أمّا امّه پيرِكتيون Perictione ، فقالوا ان نسبها يتصل بصـــولون وحسبك بهذا شهرةً ونسباً ٠

---

١ ـ انظر مقدمة الجمهورية : by : H.D.P. Lee; P : 9

٢ ـ انظر الحديث عن Thucydides وعن كتابه : (حرب البيلوبونيزيا) في كتاب : « قصة الادب في العالـــم ، للاستاذين : احمد امين وزكي محمـــود » ، ٢٢٧/١

٣ ـ Encyclop Edia Britannica, Vol : 18/20

وتوفي ابوه ، وهو صغير اخوة ثلاثة ، فتزوجت امه زوجها الثاني بيريلامپس Pyrilampes ، وكان هذا نصيرا لبريكليس Pericles ذلك العظيم الذي اسبغ اسمه على عهد اثينا الذهبيّ ، فسُمّيّ عصر بريكليس • وعنه اخذت الآراء الديمقراطيّة الكثير من ملامحها وصفاتها ، كما عرفها افلاطون فيما بعد • كان زوج امّه هذا صديقا حميما له ، وكان بيريلامپس نفسه ذا شأن كبير في الحياة الاثينيّة العامة •

هكذا ولد افلاطون ، ونشأ في عائلة اثينيّة ممتازة ، نسبا ومكانة اجتماعية وسياسية • وعاش اولى ايام حياته ، وايام شبابه في مدينة وفي مملكة تملأ الحرب اجواءَها • هذه الحرب التي ابتدأت قبيل ولادته ، واستمرت حتى أخذت منه صدر شبابه ، وكان لها ابلغ الاثر في نفسه وفي آرائه • جاءت واثينا ديمقراطية في نظام الحكم ، وعصفت بها الى نظام ارستقراطيّ • وظلّت بها تقلّبها في الانظمة وفي الحياة حتى انتهت بسقوطها ، ونزولها عن كل ما كان لها من سلطان في البر والبحر • ثم افاقت اثينا من حلمها الطويل المرعب ، فعادت الى نفسها والى نظامها الديمقراطي القديم ••

وفي هذه الحرب كانت الخصومات السياسية والعسكرية محطمة ومميتة • فلم يكن يزاح نظام بنظام إلا بثورة عارمة قامعة ، ينتصر فيها الحزب او النظام فيمعن في رجال الحزب السابق او النظام السابق له ، اذلالا وسجنا وتقتيلا ، ثم تعود الكرة للمغلوب فيكيل لخصومه بكيلهم ويزيد ••• وتعود الكرة ثانية لمن بقي من هؤلاء فيشفون انفسهم من خصومهم ، يذيقونهم ألوانا من الاذلال والتعذيب والتقتيل •

وشهد افلاطون هذا كله ، واخذ منه صباه وريعان شبابه • ولم يشهده عن كثب شأن غيره من غمار الناس ، ولكنه كان يعيش في اتونه وفي حمأته • شهده وهو في الصفوة من رجاله ، وقد واتته الظروف ليكون من رجال السيطرة والسلطان(٤) فيه ، ولكنه نفسه ــ على ما يقول ــ غرفت واعرضت عنه • وظلّ يتذكر احداثه هذه حتى شاخ ومات •

---

٤ ــ المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

كان بحكم نشأته الارستقراطية ميالا للنظام الارستقراطي ، حتى اذا رأى ما يُرتكب من مظالم وفظائع عافته نفسه ونزعت الى النظام الديمقراطي. ورأى الحكام الديمقراطيين ، وقد آلت السلطة اليهم ، وهم من اسر وضيعة، في نسبها وفي مهنها ، كان بعضهم دبّاغا ، وبعضهم بائع مصابيح[٥] ، وآلت السلطة اليهم فصاروا — على ما يقول افلاطون — يسيرون بسياستهم على ما تحبّه العامة ، ويحبه الرعاع ، على ما تقتضيه مصلحة الناس والوطن ، وتتطلّبه ظروف الاصلاح . كانوا ديمقراطيين في ظاهرهم ، ولكنهم في حقيقتهم وفي حكمهم امبرياليّون مستبدون ، يحكمون بقسوة وصرامة ، ورائدهم كما عبّر عنه افلاطون فيما بعد — : « من الطبيعيّ ومن الحق للقويّ أن يستغلّ الضعيف » .

وفي غمرة هذه الظروف المائجة المضطربة ، وقد تعبت اثينا من المتطرفين وحكمهم ، قُدّر لفئة ديمقراطية معتدلة ان تكون في القمّة من السلطان ، وان تدعو افلاطون ليشركها في الحكم . وانضمّ اليها . ولكنه ما لبث ان عزف عنها أيضا ، بعد ان اقترفت ما رآه اثما كبيرا ، لم ينسه حياته كلها ؛ ذلك انها أعدمت سقراط[٦] .

كان افلاطون صغيرا يوم عرف سقراط . وهو يمثّله في محاوراته ، بأنه كان على صلة وثيقة بعائلته ، من هذا صلته بأديمانتس Adeimantus وجلوكون Glaucon وهما اخوا افلاطون ، وهما يكبراه في السن، وقد ادار حوارهما وذكرهما كثيرا في الجمهورية[٧] .

وسقراط هذا فريد في الفكر الاوربي ، على انه لم يكتب شيئا ابدا ، ولكن بطريق اصدقائه وتلاميذه ، ومنهم افلاطون ، عُرف جانب هامّ من افكاره . وافلاطون يصوره في محاوراته قبيح المنظر ، ولكنّه جذّاب

---

٥ — مقدمة الجمهورية : by : H.D.P. Lee; p. 9

٦ — المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

٧ — Encyclop Ædia Britannica; 18/21

الحديث ساحره • يبدو حديثه اول الامر تافها بسيطا ، حتى اذا أخذ بزمام محدّثه جرّه الى اغوار بعيدة محيّرة • وهو في كثير من الاحيان يسزج حديثه بسخريّة لاذعة ، يريك فيها ان محدّثه يطفو على السطح في حواره ، وان سقراط يجرّه الى الاعماق جرا • وطابعه العام في حديثه هو الجدّ •

نقول : عرف افلاطون سقراط • وكان سقراط — حيا وميتا — اكبر المؤثّرين فيه • وقد تركت حادثة اعدامه في نفس افلاطون أبعد الاثر • كتب افلاطون ، وهو شيخ ، عن تجاربه وهو شابّ في الثالثة والعشرين ، او في الثامنة والعشرين ، في الرسالة السابعة ، وبيّن ان الحياة السياسية اعطته الفرصة لان يكون من رجالها في قمة السلطان ، ولكن اعدام سقراط هو الذي جعل نفسه تعزف عنها ، وتأخذ طريقا آخر غير طريقها ، قال : « لقد اعطيتْ السلطة العليا لثلاثين شخصا ، وكان بعضهم من اصدقائي او من أقاربي ، وكان ان دعوني في الحال لاشترك معهم ، وكان شعوري في هذا ما تتوقّعه عادة في شاب من الشباب ، لقد ظننتُ انهم سيصلحون المجتمع ، ويحكمون بالعدل • ولذا كنت انظر الى ما يقومون به بسرور بالغ حتى لقد بدا لي عهدهم ، في اوّله ، وكأنه العصر الذهبي • وارادوا — في جملة ما ارادوه — تجريم صديقي القديم سقراط ، ذلك الذي لا اتردّد ان اقول عنه : انه اعدل وأصلح رجل يعيش في ذلك الحين • ارادوا ان يبعثوه مع آخرين ليقتادوا مواطنا آخر ، يجيئون به عنوةً ليعدم • ورفض سقراط هذا ، وفضل ان يغامر بكل شيء على ان يجعل من نفسه شريكا لهم في ما يقترفونه من شرور » ويقول : « وحين رأيت هذا ، ورأيت ما يماثله من امور تقترف ، عافتهم نفسي ، وانسحبت من آثام ذلك العهد وشروره » ويقول : « وسقط الثلاثون ، وابدل الدستور ، ••• وشعرت ثانية برغبتي في الحياة السياسيّة ، وان كانت رغبة ليست شديدة كالاولى ••• وكان الديمقراطيون بوجه عام ، معتدلين في تصرفاتهم • ولكن ، ولسوء الطالع ، استدعى بعض هؤلاء الذين هم في السلطة ، صديقي سقراط ، استدعوه ليحاكموه بتهمة

غريبة مريعة ، انّها آخر ما يُتصوَّر ان يلصق من تهم ــ انّها تهمة المروق .
وقد حاكموه بها ، واعدموه[٨] ...

وبعدُ ، فقد افضنا بعض الافاضة في حياة افلاطون السياسية ، وبصلته بسقراط ، وما كنا لنفيض في هذا لولا ما رأيناه من اثر لها في آرائه في النقد والادب ، مما سنبيّنه فيما بعد .

وافلاطون لم يحظ بشهرته الكبيرة هذه لمكانته الفلسفيّة ، ولكنه حظى بهذه الشهرة لموهبته الادبية[٩] ، حتى لقد سمّوه بالشاعر ، سمّاه بهذا شيلي Shelley ، وسمّاه بها الكتّاب المسرحيون . وقد يكون من غير السهل ان يحاط بآرائه في الادب ، وفي الشعر ، ويقال بأيها كان يدين ، ذلك لانه نثر آراءَه باسلوب الحوار المسرحيّ . والكاتب المسرحي يورد الاراء مناسبة لشخصيات الحوار التي يبتدعها ، وقد تكون هذه الآراء على غير ما يعتقده او يدين به . ومن المعلوم أن أسلوب الحوار ، هو الاسلوب الذي تعرض به الآراء تستدعي المناقشة ، ويكون بها مجال الاخذ والردّ ، وان هذا الاسلوب كان متّبعا من عهد افلاطون نفسه ، او من قبل هذا .

ويحتلّ افلاطون مكانا فريدا في تأريخ الحوار الفلسفي . حتى ليمكننا اعتباره ، من بعض النواحي ، نظير « اسخيلوس » الذي عمل كثيرا في سبيل المسرحيّة . ولم يستطع أحدٌ من اتباع افلاطون ، او مقلّديه من اليونان ، او الانكليز او الفرنسيين أو غيرهم ان يدانيه في بيانه ، وفي اسلوبه ، وفي تأثيره . وانّ ايّة شخصية ممن سبقه او جاء بعده لتتضاءل وتضعف بل تذوب حين تقاس اليه[١٠] .

---

٨ ــ انظر القسم الاول من الكتاب الاول من الجمهورية ، LEE; P : 87—93

٩ ــ انظر : LEE; P : 12

١٠ــ انظر الصفحة نفسها ، والكتاب نفسه .

ومحاوراته الفلسفية من الانتقاد والجمال[11] والفنّ بدرجة يصعب علينا معها ان نصدّق ان ليس هناك وراءها تقليد كبير من جنسها قد سبقها .

ومع ان القارىء له ان يقول : ان كلّ رأي عرضه افلاطون في حواره ، انّما هو يمثّل وجهة نظر كان يرى من الواجب عرضها ، وقد تكون موافقة او مخالفة لما يراه او يعتقده . وعلينا بعد هذا ان تتذكرّ ان افلاطون لم يعرض حتى في حواره ، لم يعرض لمناقشة الشعر في موضوع خاص به في ذاته . ومع هذا فلا بدّ لقارىء افلاطون في حواره هذا ان يطلع بفكرة عنه، يراه اميل اليها من غيرها .

وافلاطون فنّان قدير ، وهو لا يحاول ان يعلن عن فنّه ، او يتظاهر به ، بل لحتّى كأنه يعاني معاناة في سبيل اخفائه . وان الالفاظ لتتدفّق وتسيل من قلمه تدفّق الالفاظ من لسان متحدّث متدفّق قدير . وهو بمحاوراته يورد بمهارة وبلباقة مكان الحوار وزمانه ، يعلن ، في بعض الاحيان عن هذا بلسان احد الحاضرين ، ويأخذ هذا في وصف تفاصيل المنظر ، وما يتعلّق به .

واشخاص حواره اشخاص حقيقيّون . وقد لا يكونون احياءً حين يورد افلاطون حواره على ألسنتهم ، فنحن مثلا اكثر معرفةً بأخوي افلاطون: أدمانتس Adimantus وجلوكون Glaucon منّا بأفلاطون نفسه . وسيمپاس وسيبيس Simmias and Cebes اللذان كانا مع سقراط حين موته ، كأنّهما من معارفنا واصحابنا . وقد وجد افلاطون اغنى موّاد حواره في حياة الفلاسفة الذين سبقوه ، امثال : بروتاجوراس Protagoras وجوجياس Gorgias وبارميندس Parmenides وغيرهم ... وهو ينفخ فيهم الحياة ، في حواره ، فنراهم ماثلين امامنا .

11ــ انظر : Gilbert ; P : 5

اما حديثه عن سقراط واعطاؤه الصورة الحيّة له ، فذلك ما جعل الكثير من قرّائه يذهبون الى ان الحوار ، حوار سقراط نفسه ، وليس حوار أفلاطون مدارا على لسان سقراط • وذهابهم الى هذا سببه حوار افلاطون، أكثر من أي سبب آخر ، وليس هناك من المصادر ما يشير على وجه التحقيق ولو الى عبارة واحدة ، دارت على لسان سقراط نفسه ، مما نسبه اليه افلاطون في حواره[12] •

وحواره لم يسلك فيه اسلوب القصص التأريخيّ ، بل أخذ فيه بالاسلوب المسرحي ، يديره على لسان أشخاص ، كانوا احياءً ، على الصورة التي يرى افلاطون أنهم كانوا عليها ، وسقراط واحد من هؤلاء •

واننا ليصعب علينا ان نصدّق أنّ انسانا يروي حوارا بمئات من الصفحات ، يأخذ فيها بتفاصيل عقلية دقيقة ، ثم يكون هذا الحوار حقيقة لا تخيّلا ولا ادّعاءً • على ان افلاطون من الفن والبيان بحيث جعل الناس جيلا بعد جيل يقرأون محاوراته لمتعتها الادبية اكثر مما يقرأونها لاهميّتها الفلسفية • وكفى به هذا اديبا خالدا ، لم يستطع ان تنال منه ، وان تتعابعت وتقادمت عليه ، العصور •

كتبه واراؤه

لقد كان اعدام سقراط هو النهاية لمغامرات افلاطون في السياسة • ولقد اشتد سخط افلاطون على اثينا ، وعلى النظام الديمقراطيّ ، فهجرها الى ميجارا Megara وهي غير بعيدة عن اثينا ، ثم تركها وسافر يسيح في آسيا الصغرى ، وفي مصر ، وفي برقة ••• وبعد حين من عودته من هذه السياحة أسس اكاديميّته المعروفة ، سنة ٣٨٧ق•م ، وهي اقدم اكاديميّة

١٢ـ انظر : T. A. Sinclair; P : 341

عرفت في التأريخ • وظلّ يدرّس فيها نحوا من أربعين سنة ، حتى توفي سنة ٣٤٧ق•م[١٣] •

وفي هذه الحقبة الطويلة كتب نحوا من ثلاثين كتابا ، نثر فيها آراءَه نثرا ، وفيها ما يبدو مناقضا بعضه لبعضه • وكان مما حيّر المشتغلين بدراسته ، ان هذه الكتب لم يعرف تأريخ كتابتها ، ليهتدي الدارسون به ويعرفوا ايها كتب قبل صاحبه ، وأيّ هذه الآراء كان لافلاطون أولا ، ثم عدل عنه ، او غيّره بعد ان مرّ عليه الزمن • ظلّ يكتب خمسين سنة تقريبا ، وليس غريبا ان تتطوّر اراؤه وتتغيّر في كلّ هذا الامد الواسع من الزمن ، وما لقيه ويلقاه فيه من تجارب ومحن • لقد جهد الباحثون جهدهم في ترتيب هذه الكتب ترتيبا تأريخيا ، وسلكوا سبلا لذلك ، حاول بعضهم ان يرتّبها ترتيبا منطقيا • وحاول بعضهم ان يعمد الى ما فيها من أحداث تأريخيّة ، او أعلام ، وحاول بعضهم ان يعمد الى اللغة نفسها ، وعندهم ان لغة الكاتب تتطوّر كما تتطوّر آراؤه • ومع كل هذا فقد بقي الشك يحوم حول ما وصلوا اليه من ترتيب لها ••• وطبيعيّ ألاّ يتفق الباحثون كلّ الاتفاق فيما يسند اليه من اراء ، ما داموا لم يتفقوا كلّ الاتفاق على ترتيب هذه الكتب ترتيبا زمنيا •

وحياة افلاطون الاولى ، وثقافته فيها ، ليست معروفة لنا • على انهم يذهبون الى انه اتجه في صباه الى الادب ، قرأه شأن غيره من أطفال اليونان في تربيتهم الاولى • ويقولون انه قرض الشعر ، وكتب المسرحيات ، ولكنّه ما لبث ان هجر هذا الى الفلسفة ، وبعضهم يعزو هذا الى صلته بسقراط[١٤] •

١٣ـ لم يجد ول دورانت Will Durant عبارة يعبر بها عن اعجابه بكتاب الجمهورية غير ان يقتبس قول عمر في القرآن : « احرقوا المكتبات ، فكل فائدة فيها ، هي في هذا الكتاب » : Will Durant, P: 23

١٤ـ Sinclair, P: 345

والكثير من كتب افلاطون لا تتخذ اسماءَها ، أو عناوينها ، من موضوعاتها ، وانما هي تسمى بأسماء الاشخاص ، لهم منزلة في الحوار فيها ، فهي : ايون Ion وفيدو Phaedo وجورجياس Gorgias وفيدروس Phaedrus وكريتو Crito وپروتاجوراس Protagoras وغيرهم • وقليل منها ما سمّي باسم موضوعه ، « كالجمهورية » و « القوانين » •

على اننا لا نجد بين هذه الكتب ، كتابا منفردا يتحدَّث فيه عن الادب وحده • وكتاب ارسطو ، تلميذه ، عن « الشعر » كان أوّل كتاب معروف انه الّف في الادب مستقلا • على ان افلاطون نثر آراءَه عن الادب ، وعن نقده نثرا في سبع او ثمان من محاوراته السقراطيّة التي تحدث فيها عن اللاهوت وما وراء الطبيعة ، والسياسة ، والتربية •

وليس اربنا في هذه المقدّمة الموجزة عنه ، الا الاشارة لما عساه يتعلّق برأيه في الادب ، وفي نقده • وقد افضنا ، بعض الافاضة ، في الحديث عن الناحية السياسية لنشير الى ان افلاطون ، وقد عاصرها وبها الفوضى والاضطراب ، لم يعد يهمّه الا ما يراه ذا فائدة وأهميّة في اصلاح المجتمع وفي استقراره •

موقفه من الشعر في نقده

وتراءى له ان الشعر ، على ما فيه من امتاع ، غير مفيد في هذا ، ومن هنا رأى ان يضحيّ بالمتعة حين تتعارض مع الفائدة • ومن هنا كانت قسوته بالغة على الشعر ، الا ما كان منه مفيدا • ولعلّ أهل الادب لا يلومونه على هذا ، بعد ان رأوا أيّ ظروف عصيبة هذه التي عاشها ، ودفعته لأن يتجّه هذه الوجهة •

بيّنا ان النقاد لا يكادون يتفقون على أيّ كتب افلاطون اسبق من غيرها ؛ وعلى هذا فهم لا يكادون يتفقون أيّ ارائه كانت اسبق من غيرها ، وأيّها هو الذي يجب ان يعتد فيه ، لأنه هو الرأي الاخير له • على انهم

يكادون يجمعون ان كتاب « القوانين »[١٥] هو آخر ما كتبه افلاطون • واذا كان كذلك فرأيه فيه هو الرأي الراجح على غيره • وفي كتاب « القوانين » هذا وقف افلاطون موقفا قاسيا من الشعر ، جاء فيه : « انّ المشرّع الصالح يقنع الشاعر بالعمل على ما يجب ، فان عجز عن اقناعه ، اجبره على العمل على ذلك جبراً[١٦] » وفيه : « ان الشعراء غير قادرين على معرفة الخير من نقيضه » وفيه : « ان الشاعر لا يجوز له ان يطلع أحدا من المواطنين على انفراد ، على ما نظمه ، قبل ان يعرضه على القضاة وحرّاس القانون الذين تحدّدت وظيفتهم بالنظر في مثل هذه الامور ، وقبل ان يُبدوا موافقتهم على ما نظم » وفيه : « ان يُعيَّن رجال لا يقل عمر الواحد منهم عن خمسين عاما لفحص هذه القصائد ، واختيار بعضها » وفيه : « ان قصائد الشعراء الشرفاء ••• يجب ان تُنتخب ولو خلت من سحر الشعر ، واختيار هذه القصائد من شأن المشرف على التعليم وغيره ، من الاوصياء على القانون الذي يجب ان يختصّوا هم بهذا الامتياز ، ولهم ان يكتبوا ما بدا لهم • اما الآخرون فلا يؤذن لهم بذلك ، ولا يجوز لاحدهم ان يجترىء على انشاء قصيدة غير مُصرّح بها ••• ولو كانت أجمل من أناشيد ثاميراس[١٧] Thamyras او « ارفيوس[١٨] Orpheus » وهكذا نراه سيء الظن الى أبعد الحدود بعقول الشعراء ، يراهم لا يفرّقون بين الخير ومتعته في سبيل ما يراه مفيدا للمواطنين ، وان خلا من الجودة والمتعة •

١٥ـ دائرة المعارف البريطانية : Vol: 18/20

١٦ـ مقدمة : LEE, P : 9

١٧ـ Gillbert, P : 55

١٨ـ انظر : ص٧٨ من كتاب الاستاذ الدكتور لويس عوض : « النقد الادبي ـ اليونان » وقد فضلنا ترجمته في كثير من النصوص التي اوردناها ! لانه اشار الى انه ترجمها عن الاصل اليوناني ، مستعينا بالترجمات الانكليزية . ولا يخفى وغير خاف ان النص الادبي قد تضيع ملامحه اذا تداولته الترجمات من لغة الى لغة ... الى لغة اخرى .
وانظر : The Laws; 2/8299

وبقى بعد هذا : لمَ اساء الظنّ الى هذا الحدّ بالشعر والشعراء !؟ وهذا ما سنعرض له عند الحديث عن نقده •

ومشهور ان افلاطون هاجم الشعر والشعراء ، وابعد الشعـراء عن جمهوريته المثالية[19] • ومع انه هاجم الشعر لصفات خاصة لم يستحسنها فيه ، فاننا من ملاحظاته على الشعر في محاوراته السقراطيّة ، التي اشرنا اليها ، نرى له تعلّقا شديدا به ، ونراه يجد متعة كبيرة فيه • ولا عجب فقد قالوا : انه قرض الشعر في بعض ايامه ، وانه ظلّ يكتب كتاباته النثريـة بأسلوب شعري ممعن في الشاعرية[20] ، وقد مرّ بك الان حديثنا عنه في هـذا •

يقول على لسان سقراط ، والخطاب موجّه الى جلوكون Glaucon أخي افلاطون ، يقول : « فنحن ايضا قد ألهمنا حبّ الشعر ، الذي غرسه فينا نظـام التعليم في الدول النبيلـة[21] » ويقول في الكتاب العاشر من الجمهوريّة ، وقد قرر ان يبعد الشعر عن جمهوريته المثاليّة ، رغم عشـقه له ، وتعلّقه الشديد به ، يقول : « ولكيلا تنسب الينا ربّة الشعر ، الغلظة وقلّة التهذيب ، فان موقفنا منها موقف العشـاق مع من يعشقون ، حين يعتقدون ان رغباتهم معارضة لمصالحهم • تراهم يكبحون جماح هواهم ،

١٩ـ ثاميراس Thamyras : شاعر قدير ، كان من الاعتزاز بقدرته ، ان رأى انه قادر على الفوز في كل مباراة ، ولو كان المنافسون له ربات الفنون انفسهن . وفي اساطيرهم : ان ربات الفنون غضبن عليه فأنسينه البراعة والقدرة .
الاليـاذة : ٢/٥٩٤

٢٠ـ ارفيوس Orpheus : مغن عبقري ، شهر بأغانيه الساحرة . وذهب بعض شعرائهم ، ومنهم اسخيلوس ، الى ان ارفيوس كان من البراعة والسحر ، بحيث كان يجتذب الاشجار والحيوانات ، بسحر الحانه وأغانيه ، فيسيطر عليها ويجعلها تتبعه مسحورة حيث شاء . ويقولون ان كثيرا من القصائد الجيدة ، التي لا يعرف قائلوها ، نسبت اليه

٢١ـ The Laws; 8/829

وهذا ما ينبغي ان نفعله ، فنتخلّى عنه ، وتتخلّى عنه ونحن مرغمون كارهون[٢٢] .

وتراه من حبّه للشعر يغبط الرواة عليه ، يقول في محاورة ايو Ion رواية هوميروس ، يقول على لسان سقراط : « انه يغبط الرواة " لان" مهنتهم تتطلب منهم ان يكونوا على اتصال دائم بطائفة كبيرة من الشعراء المجيدين »[٢٣] .

ويتحدّث عن اللذّة ، او المتعة التي يحدثها الشعر ، فيقول : « ان افضلنا حين يسمع عبارة لهوميروس ، أو أيّ شاعر من الشعراء التراجيدين ، يصوّر فيها بطلا يستحق الرثاء ، ويطيل في التعبير عن احزانه بحديث طويل ، وهو يبكي ويضرب صدره بيده » ، يقول : « ان افضلنا ، كما تعلم ، ليجد لذّةً في العطف عليه ، وتأخذه النشوة لروعة الشاعر الذي يحرّك مشاعره هذه » .

ويبدو ان أفلاطون اولع بهوميروس خاصة ، وكان ينظره باكبار واعجاب لا حدّ لهما . يقول على لسان سقراط ، والحديث موجه الى جلكولون أيضا : « كنت منذ فجر شبابي ، أحمل لهوميروس شعور الرهبة منه ، والحبّ له ... فهو القائد الكبير ، والمعلم العظيم ، لكل هذه الجماعة التراجيدية الساحرة » . ويقول على لسان سقراط ، وهو يحاور ايون الراوية ، لاتصال مهنته بالشعراء ، يقول عن هوميروس : « انّه أفضلهم وأقربهم الى الآلهة »[٢٤] .

٢٢ـ انظر الحديث في هذا في :
Atkins - English Literary Criticism, P: 105

٢٣ـ يقول : Durant عن افلاطون : « انه يكتب نثرا اجمل من الشعر ، انظر كتابه :
The Story of Philosophy, P: 16

٢٤ـ The Republic, Book Ten, 595

وهكذا تراه .. اقصى الشعراء ، مع حبّه لهم ، لاسباب خاصة تتعلّق بسياسته في جمهوريته المثاليّة .

وفي الجمهورية ، كتابه ، حيث ركّز هجومه على الشعر ، لم يكن غرضه الاول الحديث عن الشعر والفن ، وانما كان غرضه الاوّل ، السياسة وما يتعلّق بها . وقد أبعد الادب والفنون عامة عنها ، لانها لم تكن لها فائدة سياسية عنده ، بل ربما كانت ذات اثر سيء او معاكس لتلك الفضائل الخاصة ، التي اراد تربيتها ، وتنميتها ، لاقامة جمهوريته المثاليّة . لقد نفى الشعراء ، او ذلك الضرب من الشعراء الذين لا يراهم صالحين في جمهوريته، ورأى ان يقول للواحد منهم : « ليس لدينا نظراء في مدينتنا . وتطبيقا لقوانيننا لا يكون لك نظراء » على انه رأى ان يقول ايضا ، وهو يبعد الشاعر من هؤلاء ، وكأنه يحسّ بقربه من نفسه ، وبشدّة تعلّقه به : « سنرسله الى مدينة أخرى ... » ومناقشته للشعر في الجمهورية تجدها في آخر الكتاب الثاني ، وأول الكتاب الثالث ، وفي الكتاب العاشر منها .

وفي الكتاب الثالث ، حيث يعنى العناية الاولى بتربية الاوصياء ، او المربّين، Gardians في جمهوريته ، يأخذ في الحديث عن تربيتهم وثقافتهم الادبية ، ويراها تتعلق بالآلهة وبالاخلاق وبالشكل . ويدير حواره على لسان سقراط ، بقوله : « ان الفتيان من الناس تكون فيهم قابلية التأثير والانطباع بما يلقى اليهم . واننا في وسعنا ان نطبعهم بما نريده لهم ، ويبقى انطباعهم في هذا ثابتا فيهم . » ويمضي في حواره ، ويرى ان الاله God خيّر" بكل ما تحويه هذه الكلمة God is perfectly good يرى ان الاله مصدر الخير وحده ، ولكن الشعراء بأخطائهم الفظيعة ، أتهموا الآلهة ، وصوّروها بما يسيء اليها ، فأسخيلوس[٢٥] Aechlus يقول : « ان اللّه يزرع بذور الشرّ في صدور الناس ، عندما يريد ان يهدم بيتا من اساسه » وهوميروس ، يقول : « على أعتاب الاله زيوس Zeus

٢٥- المرجع نفسه .

اناءان مترعان بالحظوظ ، هذا بالحظوظ السعيدة ، وهذا بالحظوظ الشقيّة، فمن سمح له بمزيج منهما تنوّعت حظوظه ، وذاق السعادة مرةً وذاق الشقاء أخرى . ومن اعطاه الشقاء لاحقه اليأس اينمـا ولّى وجهه » ويرى ألاّ يُسمح لاحد ان يقول : « ان ٧٠ن يحلّ بهم القصاص يشقون وان اللّـه مسؤول عن شقائهم »[٢٦] ويرى « ان الاله أزليا ، لا يتغيّر ، ولا يظهـر بمظهر الخادع ، اذ أنه يملك ، من جميع الوجوه ، افضل الاشياء التي تنتمي لذاته . ومن هنا فان الاله أبعد ما يكون عن احتمال الظهور بمظاهر وصور شتـّى ، وعلى هذا فلا يجوز لشاعر من الشعراء ، ان يقول لنا : ان الآلهة تتجوّل في المدائن بصور الغرباء الوافدين من قصيّ البلاد ، مستخفين في كل زيّ من الازياء ... أو يعرض الربّة هير[٢٧] Hera في التراجيديا ، وفي غيرها من القريض مستخفيةً في زيّ كاهنةٍ ، تشحذ الهبات ... وغير ذلك من اشباه هذه الاكاذيب »[٢٨] .

ويرى الشعراء كثيرا ما يُظهرون الاله بمظهر العاجز ، أو القاصر ، وهم حين يفعلون ذلك انما يُسيئون تصوير الآلهة والابطال ، شأنهم في ذلك شأن المصوّر يعجز عن نقل الصورة بريشته ، عمّا هي في أصلها أو في حقيقتها » .

ويرى الشعراء كذبوا على الآلهـة في أشعارهم ، فصوّروها حاربت بعضها بعضا ، وحاكت الدسائس بعضها لبعض ، وانزل الضرّ بعضها ببعض ... وانزلت فظيع الاعمال بأقربائها وجيرانها . لقد صوّروا الربّة هيـرا Hera تُقيّد بيدها ولدها . وصوّروا زيوس[٢٩] Zeus يرمـي

٢٦ـ محاورة ايون : ((530)) وانظر ترجمة هذه المحاورة ، عن الاصل اليونا[ني] بالاستعانة بالترجمات الفرنسية ، للاستاذة الدكتورة سهير القلماوي، والاستاذ الدكتور صقر خفاجة .

٢٧ـ محاورة ايـون ، 530

٢٨ـ اسخيلوس Aeschylus

٢٩ـ الجمهوريـة : ٢/٣٧٥

بهفايستوس[٣٠] Hephaestus من السماء ، حين حاول هذا ان يُدافع عن امّه ، وهي تُضرَب[٣١] .

وهكذا تراهم يصوّرون الآلهة بأمثلة سيئة ، غير جديرة بالاحتـذاء او التقليـد .

ويرى اننا نستطيع ان نمتدح هوميروس في أمور كثيرة ، ولكنه لا يُمتدح في كلامه الذي اساء فيه تصوير الآلهة ، في الحلم الذي ارسله زيوس Zeus لأجا ممنون[٣٢] Agamemnon وكذلك لا يُمتدح اسخيلوس Aechylus حيث يجعل ثيتس[٣٣] Thetis تقول : انّ ابولّو[٣٤] Apollo تحدّث في زفافها عن اطفالها الغرّ ، الذين لا ينزل بهم مرض ، والذين هم يعيشون في نعمة ، وانشد نشيدا يقول فيه : ان الآلهة ترعـى مصيري اشدّ الرعاية ، فألهمَ قلبي الشجاعة ، وكنت على ثقة من ان فـم فيبوس[٣٥] Phoebus الالهي ، لا ينطق كذبا ، بل هو ابدا يفيض بالحكمة

٣٠ــ Hera هيرا : زوجة زيوس Zeus ، كبير الآلهة عندهم . واختصاصها الزواج ، وحياة النساء الجنسية . ويذكرون عنها غيرتها الشديدة على المنافسات لها في فراش زوجها زيوس .

٣١ــ الجمهورية : ٢/٣٨٠ د

٣٢ــ زيوس Zeus ابو الآلهة وكبيرها ، ورب السماء ، رب الرعد والسحب والامطار . ومن ابنائه الآلهـة عندهم : ابولـو واريس وديونيزوس وأرتميس .

٣٣ــ هفايستوس Hephaestus اله النار . وفي اساطيرهم له صلة بالبراكين . وهو حداد الآلهة ، يرونه مهفا بضع الاشياء السحرية العجيبة ، وانه هو الذي صنع درع اخيل Achilles

٣٤ــ الالياذة : ١/٢ ــ ٣٤٠ . وعوض : ٣٨ .

٣٥ــ اجا ممنون Agamemnon : يصوره هوميروس القائد الاعلى لحملة الاغريق على طروادة . وفي « الاوديسا » ان الريح رمت به ــ وهو عائد الى بلاده ــ في بلاد ايجيست ، عشيق زوجته كليتمنيسترا . وان زوجته الخائنة انقضت عليه في اثناء وليمة فقتلته . وحادثته هذه كانت احاديث الشعراء ، وكانت موضوعا لاسخيلوس في احدى مسرحياته .

النبويّة ، ولكنّ منشد النشيد ، والجالسون في مأدبة عرسي ، والناطق بهذه الكلمات ، هو نفسه الذي اغتال ولدي[٣٦] » .

هذا أمر الشعراء ، في تصوير الآلهة ، من الوجهة الالهيّة .

وكذلك كان امرهم حين صوّروا لنا الوجهة الاخلاقية . ان اكثر الشعر المرويّ لنا غير جدير بالاغراض التربويّة ، لان الشعراء قد صوّروا الآلهة ، وصوّروا الابطال الماضين بصور لا تخلو من الرخاوة والضعف . وفي هذا ما فيه من اثر سيء في عقول الفتيان ، الذين نريد تنشئتهم على الشجاعة . ان الواجب يقضي أن نختار لهم القصص التي تعلّمهم الا يهابوا الموت . ويرى ان من يسمع الشعراء ، وما أنشأوه من قصص حول هاديس Hades عالم الموتى ، وفظائعه يفضّل مرارة الهزيمة والعبوديّة ، على الموت في المعركة . ويرى ان تزال عبارة هوميروس من الاوديسا[٣٧] Odyessey : « إنّي لأوثر ان أعيش على وجه الارض عبدا لرجل مسكين على ان اكون سيّدا في دولة الموتى الهالكين » وعبارته في الالياذة : « يا حسرتنا في هاديس ، دار الفناء ، لا يبقى لنا غير ظلّ وزوال بلا ذهن يفكر[٣٨] » وعبارته في الاوديسا[٣٩] : « ... وكما تطير الخفافيش في قاع غار مليء بالاسرار ، وتعول ، وتتلاحق صرخاتها حين تسقط حبّة العنقود ، من الصخرة التي تماسكت حولها .. كذلك تطير هنا وهناك الارواح المغمغمة » وعبارته في الالياذة[٤٠] : « وانطلقت الروح من البدن ، وهي

٣٦ـ ثيتس Thetis حورية من حوريات الماء . قالوا : انها ولدت اخيل بطل طروادة في « الالياذة » .

٣٧ـ ابولو Auollo : اله الشباب ، والمثل الاعلى لجمال الشباب المكتمل الرجولة . ومن اختصاصاته عندهم الرماية بالقوس والسهم ، والموسيقى ورعاية الفنون الرفيعة .

٣٨ـ فيبوس Phoebus ، هو ابوللو

٣٩ـ انظر : LEE, P: 121 وعوض : ٢٨ والالياذة : ٢/١ ـ ٢٤٠ .

٤٠ـ الاوديسا : ١١/٤٨٩ ـ ٤٩١

ترفرف ، وهبطت الى هاديس ، وهي تنـدب القضاء الذي اكرهها على ان تتخلّى عن الفتوة والشباب » •

وحوّر الشعراءُ الابطالَ الماضين بصور لا تخلو من رخاوة وضعف أيضا ، صوّروهم يبكون ويندبون موتاهم • ويرى افلاطون في جمهوريته ان الرجل اذا نزل به خطب ، كأن يفقد ابنا او أخا او مالا ، فعليه ان يتحمّل هذا ، ويركن الى الصبر الجميل ، والا ّ يرى في الموت امرا رهيبا • وهو يرى ان يتخلّص من الدموع التي جعل الشعراء أعلام الرجال يذرفونها ، في مثل حالاتهم هذه ، ويرى ان تكون هذه الدموع مما تركن اليها الضعيفات من النسوة • وعلى هذا فهو لا يريد ان يسمع في جمهوريته المثالية احد من هوميروس ، ما قاله عن أخيل[41] Achilles — وهو ابن آلهةٍ — : « لقد تقلّب في نومه آناً على جنبه ، وآنا على ظهره ، وآناً على وجهه ، ثم نهض من فراشه ، وتجوّل تجوال الذاهل الحائر على شاطىء البحر ••• وبكلتا يديه امسك بالرماد وصبّه فوق رأسه »[42] • ولأقواله عن بريـام[43] Priam وهو من ارحام الآلهة ايضا : صلّى وتقلّب في التراب ، ونادى كلّ رجل من الرجال صارخا باسمه[44] » ثم يورد افلاطون نصوصا غير قليلة من هذه الشكوى يختارها من الالياذة والاوديسّا •

ويخلص من هذا بأن يرى لو ان الشبّان اخذوا بهذا وأمثاله ، لما خجل الواحد منهم ، ان يطلق لعاطفته العنان ، فينوح ويشتد نواحه في اليسير من الاحـزان •

٤١ــ الالياذة : ٢٣/١٠٣ ــ ١٠٤

٤٢ــ الاوديسا : ٢٤/٦ ــ ٩

٤٣ــ الاليـاذة : ١٦/٨٥٦ ــ ٨٥٧

٤٤ــ اخيـل Achilles : بطل الياذة هوميروس ، وغضبه الذي لا يكبح جماحه محور عقدة الالياذة •

ويرى مثل هذا في الشعراء يصوّرون العقلاء من الناس ، وقد سيطر عليهم الضحك . وعنده ان هذا لا يليق بهم ، لانه مبعد للوقار . وعلى هذا فهو لا يسمح ان تسمع مثل عبارة هوميروس في الالياذة : « وانفجرت الآلهة المباركة بضحك لا سبيل الى كبته ، عندما رأت هفايستوس[٤٥] Hepha Estus يحمل الكأس ويجتاز القاعة » .

وهو لا يريد ايضا ان يُستمع الى الشعراء يتحدثون عن اغتصاب الآلهة للنساء ، كما لا يريد ان يُسمع من هوميروس قوله : « ... بينما كانت الآلهة والبشر تنام وتغطّ في النوم كان زيوس وحده يقظا ، يُدبّر ويرسم ... ومع ذلك فقد نسي كل مشروعاته في استخفاف من اجل شهواته الجنسية . وما ان رأى الربّة هيرا Hera حتى غلبته عواطفه[٤٦] .

امّا من الناحية الشكلية ، او من ناحية تصوير الهيئة ، فأول ما يواجهنا في الشعر تعبير « التقليد » Mimesis or Imitation الذي نراه يدور — فيما بعد — في كتاب : « الشعر » لأرسطو ... ان افلاطون قد استعمل التقليد — في الكتاب الثالث — بمعنى خاص ، هو نقل الاشخاص بصورهم او بهيئاتهم . وهذا ما يفعله الشاعر حين لا يكون هو المتكلم بشخصه ، كما نراه يفعل في الشعر الغنائي . اما في المسرحية ، وفي بعض اجزاء الملاحم ، فهو يمثّل ، او يتقمّص شخصيات أخرى ، وبانشاد الفتيان لشعر الشعراء ، او بقراءته بصوت مرتفع — وكان هذا يؤلف جزءً هاما من الثقافة اليونانية — او التربية عندهم ، يقول أفلاطون ، على لسان سقراط : « ان المتعلمين من الفتيان سيحتذون امثلة الشعراء في هذا فيبتعدون عن شخصيّتهم . انهم يحاولون ان يقلّدوا الشعراء ، فيتقمّصوا صورا لشخصيات أخرى ، قد تكون بعيدة عن شخصيّاتهم ، وقد تكون بينها شخصيات سيئة ، غير جديرة

٤٥— عوض : ٤١ ، والالياذة : ٢٤/١٠ — ١٢

٤٦— بريام Priam : ملك طروادة ، ايام دمرها اجا ممنون في حرب طروادة الشهيرة . صوره هوميروس في الالياذة ، ذا منزلة عند الآلهة ، وعند كبيرهم زيوس .

بأن يتقمصوها • فهو يرى ان يحجموا عن تقليد كل عمل وضيع ، او عمل شرّير ، مخافة ان يصابوا بشيء مما يقلّدونه • يقول على لسان سقراط لأديمانتوس : ألم تلاحظ ان التقليد اذا دأب عليه المرء من الطفولة ينغرس في الطبع والطبيعة !؟ ويتجلّى في الجسم ، وفي الصوت ، وفي عادات التفكير !؟ » • وعلى هذا فلا يرى افلاطون ان يقلد الرجال والنساء ، والاّ يُسمح للشبّان بتقليد الجبناء من الناس ، ولا بتقليد اولئك الذين تبيح لهم اخلاقهم ان يسبّوا بعضهم بعضا ، وان يستخدموا اللغة البذيئة في سكرهم او في صحوهم » ولا يرى ان يقلّدوا صهيل الخيل او خوار الثيران[٤٧] •

وهكذا يرى ان هذا ، وأمثاله من الصور لا مكان له في جمهورية يُطلب بها من كلّ شخص ان يتعلّم كيف يقوم بدوره على الوجه الاتمّ ، من غير ان يتدخّل بفعاليات ، او ادوار غيره ، اذ يرى ان الشخص الواحد لا يستطيع ان يتقن تقليد جملة اشياء ، استطاعته اتقان تقليد شيء واحد • وعنده ان الانسان يستطيع ان يقوم قياما حسنا بصناعة واحدة خيرٌ من آخر يقوم بجملة صنائع • ويمضي في هذا حتى يرى ان الشخص لا يستطيع ان يكون خطيبا وممثلا ، مع تقارب الصنعتين الكلاميتين • بل يرى ان ممثلي « الكوميديا » وممثلي « التراجيديا » مختلفون ، رغم انّ فنّ اولئك وهؤلاء قائم على التقليد[٤٨] • وافلاطون قد اعتمد في رسم هذه الصور السيئة في تأثير الشعر في المربّين او الاوصياء على شاعرين كبيرين هما هوميروس Homer وهزيود[٤٩] Hesiod وعلى كتّاب المسرح أيضا •

٤٧ـ الالياذة : ٤١٤/٢٢ ـ ٤١٥ •

٤٨ـ هفايستوس Hephaestus انظر ص :

٤٩ـ الالياذة : ٢٩٤/١٤ •

وفي بداية الكتاب العاشـر من الجمهوريّة[٥٠] ، اوضح افلاطون في محاوراته : ان الفنون مظلّلة خادعة ، ولذا فهو يرفض على لسان سـقراط الشعر القائم على التقليد ، ويقول : « كل الاعمال الشعرية القائمة على التقليد تفسد ادراك السامعين » • وبمقارنة هذا بما اورده في الكتاب الثالث ، نـراه قد وسَّع وعمّق المفهوم الذي اراده من معنـى التقليـد Mimesis نراه يعود فيستعمله بمعنى اوسع وأشمل، يستعمله بمعنى النقل المطابق للمنقول او التصور بالادب لعالم الواقع ، عالم الاشخاص ، والاحداث ، والامور الاخرى المتعلّقة بالعالم الحقيقي ، وتصويرها بواسطة الادب او بواسـطة الفنون[٤٩] الاخرى التي تدرك بالبصر عامة • ومعنى ذلك في الادب : انه يعني به ما يحاول ان ينقل صورة طبق الاصل بعالم الحياة والواقع • وهنا يعود بنا أفلاطون الى نظريته ، نظريّة المُثُل[٥٠] Theory of Ideas وعلى هذه النظريّة يكون كلّ كائن موجود ، وكل حادث في هـذا العالم ، إنمّا هو صورة محرّفة عن صورة اخرى مثاليّة لها وجود في عالمه الثاني ، الكائن وراء هذا العالم • ولشرح التقليد هنا يذكر مثله المشهور عن السرر والموائد ، ويبيّن فيه : ان هناك صانعا ماهرا يصنع الاشياء المثالية ، ذلـك هو الاله ، ويأتي النجّار فيقلّد بصنعته هذا السرير المثالي ، ثم يأتي الرسّام فيقلّد سرير النجّار • ويكون عندنا في هذه الحالة سرر ثلاثة ، سرير مثالي في الطبيعة صنعه الله ، وسرير آخر صنعه النجار ، وسـرير ثالث صنعـه المصوّر او الرسّام • وينتهي الى النجّار مقلّد والرسّام ايضا • وهو يرى أنّ الشاعر كالمصوّر ، يصنع بألفاظه وعباراته ألوان الفنون المختلفة ، دون أن يفهم من طبيعتهـا ، الا ما يمكنه من تقليدها » ويقـول : « والشاعر التراجيدي مقلّد » ويقول : « واذاً فهو كسائر المقلّدين بعيد عن الحقيقة بثلاث مراتب[٥١] »

٥٠ـ الجمهورية : ٣/٣٩٥ ب ، وعوض ، ص : ٥٠.

٥ـ١ الكتاب نفسه ، والرقم نفسه

ويفيض افلاطون في حديث التقليد هذا ، على لسان سقراط ، ويرى ان شعراء التراجيديا ، وهوميروس ايضا مقلّدون ، وان الناس انخدعوا بهم حين سمعوهم يحسنون الحديث في كل الفنون ، وكلّ الامور الانسانية ، بل والالاهيّة ايضا . ولم يعلموا ان هذا تقليد بعيد عن الحقيقة ، بعيد بثلاث درجات او ثلاث مراتب ، وان هذه كلّها مظاهر وليست حقائق ... ويرى انّ هوميروس ، وقد جعل العسكريّة والسياسية والتربويّة اهم ما دار في شعره ، لا يعرف مع ذلك شيئا عن هذه الفنون . ويزيد فيبيّن : « ان ليس هناك من حرب ذكرت الوثائق انه انما تمّ النصر فيها بفضله ، او أنّه اعان على نجاحها في أيام حياته . ويراه كذلك في غير هذه الفنون التي تحدّث عنها[52] .

ويخلص من هذا ، الى انّ ما ينتجه الشعراء ، والفنّانون عامة ، انمّا هو صورة غير صحيحة[53] لصور اخرى صحيحة ، في عالمه المثاليّ . ويمعن في هذا حتى يرى ان هذه الصور التي يجيء بها الرسّامون والشعراء ، ان هي الاّ صور محرّفة وغير حقيقية . هي صور تبعد بثلاث درجات او ثلاث مراتب ، في تحريفها عن الحقيقة . وهي ، بهذا الاعتبار لا تعلّمنا الاّ ما ليست له أهميّة عن قيم الحياة .

ويمضي افلاطون في حواره بشيء من التفصيل ، الذي يزيد في ميله على الشعر ، والتقليل من أهميّته ، ويبيّن ان الشعر انّما ينتمي الى شيء واطيء ، قليل الصلة بالعقل . ويراه يقوّي العناصر الواطئة في اذهاننا ، ويقوّيها على حساب العقل .

٥٢ــ الجمهورية ، ٣٩٤/٣د

٥٣ــ هسيود Hesiod اعظم الشعراء التعليميين عند اليونان ، واشهر اعماله الشعرية : « الاعمال والايام » وعندهم انه من الشعراء الذين ثقفوا الناس بأشعارهم .

ويرى الشاعر يوضع الى جنب مع المصوّر ، لانه يشبهه من ناحيتين ، أولاهما ان ما ينشئه من أعمال فنيّة ، يكون على درجـة واطئة في سُلّم الحقيقة ، وثانيتهما : أنّه معنيٌ بالجانب الاسفل الواطىء من الروح ، لانه يوقظ الاحساسات ويغذّيها ، ويقوّيها ، ويعرقل حركـة العقل[٥٤] ... لان الشاعر المقلّد يطلق العنان للطبيعة اللاعقليّة ، التي لا تميّز العظيم من الخسيس . انه صانع صور بعيد كلّ البعد عن الحقيقة[٥٥] .

ويستمر في هذا ، ويزيد : « ان الشعر له قدرة على ايذاء الناس ، حتى الاخيار منهم » ويزيد هذا ايضاحا بقوله : «ان افضلنا حين يستمع لهوميروس او الى أيّ شاعر من شعراء التراجيديا ، وهو يصـوّر بطلا من الابطال ، يستحق الرثاء ، فيطيل التعبير عن احزانه بحديث مسهب طويل ، او هو يبكي ويضرب صدره بيده ... اقول : ان افضلنا ـ كما تعلم ـ يجد لذّةً في العطف عليه ، وتأخذه النشوة لروعة الشاعر الذي يحرّك مشاعره اكثر من سواه . يكون هذا على حين أنّنا نباهي بالتمسّك في الصبر والهدوء ، وهذا هو جانب الرجولة فينا ، امّا الجانب الاخر الذي يجد لذّة فيما يُتلى من شعر علينا فيمكن ، بهذا الاعتبار ، عدّه جانب الانوثة فينا . ونحـن في مصائبنا نحسّ بجوع وشوق طبيعـيّ الى التخفيف عن احزاننا بالبكاء والنـواح . وهذا الشعور الذي نكبته ، كلّما المت بنا كارثة ، يُغذّيـه الشعراء ويرضونه[٥٦] . ويرى : أنّ شعور الحزن ، الذي يزداد قوّة بمرأى مصائب الغير ، لا يمكن كبته بسهولة في نفوسـنا .

وهذا المبدأ نفسه يراه ينطبق على مضحك الاشياء ، وانّ هناك نكات تخجل ان تقولها انت ، على حين انك تجد في سماعها متعة كبيرة ، اذ هـي القيت واستمتعها على خشبة المسرح الكوميدي .. والناس انما يكتبـون

---

٥٤ ـ الجمهورية : ١٠/٥٩٥ ـ ٦٠٢ .

٥٥ـ T.S. Dorsch, Classical Literary Criticism, P: 12

٥٦ـ انظر الفصل الذي كتب عن الفن ((Art)) بكتاب : Grube-Plato's Thoughts

الضحك بفضل العقل ، والا حسبوا مهرجين . ولكنهم بعد على المسرح ، قد يفعلونه اذا عادوا الى مجالسهم في بيوتهم .

ومثل هذا يمكن ان يقال في الشهوة الجنسية ، وفي الغضب ، وفي مشاعرنا باللذة والالم ، وفي كل العواطف الاخرى[٥٧] . وفي كل هذا يغذي الشعر العواطف ويقويها ، بدلا من ان يضعفها ويهزلها . وهكذا تسيطر علينا . بينما كان الواجب ، لصالحنا وسعادتنا ، ان نكون نحن المسيطرين عليها .

وعلى هذا يقرر افلاطون ان الشعر ، وليس المسرحي منه وحده ، يكون ذا اثر سيء من الناحية الاخلاقية . لقد سبق لافلاطون ان بين ضرره وخطره في تربية المربين ، او الاوصياء ، ولكنه ما لبث ان توسع في هذا ، ومد ضرره الاخلاقي السيء ، على النحو الذي رأيت .

وفي « القوانين »[٥٨] In the Laws حيث كان غرضه طبيعة الحكومة المثالية ، كانت مناقشته لمكانة الشعر والفن اكثر عمومية ، اذ يرى ان المواطنين يجب ان يثقفوا بما هو جميل وخير ، وحيث ان الفن كله تقليد او محاكاة ، فليس لنا ان نأخذ تلك الفنون التي اقتربت من الواقع وراحت تقلد من صوره ما تشاء . ولكننا نأخذ منها تلك التي قلدت من الصور ما هو خير وجميل فقط[٥٩] ، وقد مر حديثه في هذا .

وفي بروتاجوراس ، يفيض في هذا ، ويصور التيار العام لآراء الشعراء ويكاد يرفضها جملة ، فيبين انهم من عهد هوميروس . قد ارتضاهم الناس مربين ، وكانت آراؤهم عندهم تعين في خلق مواطنين صالحين ، يبين ان التربية تبدأ من الطفولة الباكرة ، وتستمر الى نهاية الحياة . ويقول : في السنوات الاولى تتعاون الام والمربية والاب والمرشد على التربية ، ويتولون

٥٧ـ الجمهورية ، ١٠/٥٩٩ .

٥٨ـ الجمهورية : ١٠/٦٠٠

٥٩ـ Grube-The Greek and Roman Critics, P: 47

أمر الطفل ، وهم يسمعونه : هذا صحيح وهذا غير صحيح . وهذا مشرّف وهذا غير مشرّف . وهذا مقدّس وهذا غير مقدّس ... وافعل هذا ولا تفعل ذاك » . يقول : حتى اذا بلغ الطفل المرحلة الثانية اسلموه الى المعلّم . وحال يتعلّم الحروف والقراءة ، ويبتدىء يفهم ما هو مكتوب ، يكون هذا المعلّم قد وضع بين يديه اشعار الشعراء الكبار ، التي يقرؤها في مدرسته ... وفيها كثير من القصص والمدائح لمشهوري الرجال السالفين، وعليه ان يحفظ هـــذا عن ظهر القلــب ، ليقلّدهم ، وليحبّ ان يكــون على شاكلتهم[٦٠] » .

ويدعم رأيه في هذا بما قالــه في ليسس[٦١] Lysis اذ يبيّن ان الشعراء قد وُصفوا بأنهم شيوخ الحكمة ومؤلفوها . ومن هنا رأى الناس الاخذ بما قالـــوه .

على ان أفلاطون عاد فأوضح رأيه في هذا كلّه ، في محاوراته على لسان سقراط ، اذ بين ان هذا الاعتقـــاد في الشـــعراء ، انما هــو خطل الرأي ، وأنــه اعتقاد خاطىء . وان أحكام الشعراء على السلوك والاخلاق غير جديرة بأن يُطمـــأنّ اليها . ومردّ رأيه في هــذا ، قد اوضحه في الابولوجي[٦٢] Aplogy اذ بين ان الشعراء انما ينشئون ، لا بتأثير العقل وسلطانه ، بل بايحاء لا حيلة له بالعقل . وفكرة الايحاء هذه اوضحها في فيادروس[٦٣] Phaedrus وفي ايون[٦٤] Ion ، حيث رأى في الواحد

٦٠ـ Dorsch, P: 12

٦١ـ عوض ، ص٧٠ ، الجمهورية : ٦٠٥/١٠

٦٢ـ Gilbert - Literary Criticism, Plato to Dryden. P: 403

٦٣ـ انظر : LEE, 384

٦٤ـ Dorsch, P: 12 وانظر : Atkins - Literary Criticism in Anttquity, Vol. 1, 33—70

منهم ما يُرى في المخبول من الناس • ورآهم يعيدون ، وهم في حالة صرع او ذهول ، ما توحيه اليهم شياطين الشعر Muses • ويبين رأيه في هذا بحديث ايون ، رواية هوميروس ، وهو يتحدث لسقراط بيناً له انه يرى نفسه يستيقظ ويزخر صدره بما يجب ان يقوله ، حين يتحدث عن هوميروس وليس هو كذلك ، بل انه ليحسّ بالضياع التام حين يكون الحديث عن غير هوميروس • ويفسّر سقراط له احساسه هذا بالالهام ، الذي يشرحه له على النحو التالي : هناك قوة الهيّة تحرك ايون ، كتلك الموجودة في حجر المغناطيس ، او حجر هرقل • هذا الحجر لا يجذب اطواق الحديد فحسب ، ولكنه ينقل اليها قوة مشابهة لجذب الاطواق الاخرى • وفي بعض الاحيان ترى عددا من قطع الحديد او الاطواق ، وقد تعلّقت احداها بالاخرى ، حتى لتتكوّن منها سلسلة طويلة • هذا مثلهم مع ربة الشعر Muse انها تلهم بعض الناس أولا • ومن هؤلاء الملهمين تتعلّق وتتدلّى سلسلة من الاشخاص الاخرين ، الذين يتلقّون الالهام ••• ويزيد ، فيقول : ذلك لان كل الشعراء المجيدين ، لا يؤلفون قصائدهم الجميلة بالفن ، ولكن يؤلفونها وهم ملهمون مجذوبون •

ويزيد سقراط ايضاحا ، فيقول لايون : وكما انّ راقصات كوريبانت Corybantes حين يرقصن ، انما يرقصن وهنّ في غير وعيهنّ ، فكذلك الشعراء ، وهم يُنشئون اغانيهم الجميلة ••• وما اكثر ما يقوله الشعراء من شريف الكلام عن اعمال الناس ، ولكنهم مثلك يا ايون حين تتحدث عن هوميروس • انّهم يُلهَمون ما يقولون ، وتدفعهم ربّات الشعر الى قوله •

وهكذا يشرح افلاطون رأيه في الشعر والشعراء ، على لسان سقراط ، كما رأيت • ورآهم ينشئون ما ينشئون وهم في حالة غيبوبة عن وعيهم وعقلهم •

❋ ❋

والآن ، وقد أطلنا الحديث عن نقد افلاطون للشعر والشعراء نعـود فنقول : هذه خلاصة ، نرجو ان تكون واضحة ، في أهم النقاط الرئيسية التي اوردها افلاطون في هجومه على الشعر والشعراء ، بكتابه «:الجمهورية» The Republic وفي غيره من محاوراته الاخرى • وقد افضنا فيها بعض الافاضة ، لانها تمثّل وجهة نظر افلاطون في موقفه المعادي من الشعر والشعراء ، وهي الناحية التي شُهر بها افلاطون فيما يتعلق بموقفه من الادب على مرّ العصـــور[٦٥] •

اما النقاط الاخرى ، وهي التي تمثـــل موقفه الحسن ، من الشعر والشعراء ، فضئيلة خافتة بالقياس الى هذه الناحية • ونعرض لتبيانها ايضا لتكتمل جوانب الحديث عن افلاطون ، وصلته بالنقد الادبي •

وقد يؤخذ من هذه الناحية الهجوميّة التي تحدثنا عنها ، ان افلاطون في تجسيده لهذه العناصر السيئة في الشعر ، انما يكون قد اضعف من شأن العناصر الطيبة ، او الحسنة فيه • وعلى أيّ حال يجب الا يغرب عن بالنا انه انما كان يجادل امر الشـــعر على اساس فائدته ، واهميّته للنواحي السياسية او الاجتماعية ، التي تحدّث عنها في جمهوريته المثالية • وما دام أحتمال أمر الشعر ، قد يكون مضرا بها ــ كما تراءى له ــ وذلك باغرائه الساحر لسامعيه ، فالاولى عنده ان يبعده او يطرده من جمهوريته المثاليّة •

على أننا وقد افضنا في الحديث عن الجانب السلبي ، نعود فنقـول : انّ افلاطون وان افاض في الحديث عن الجانب السلبي في الشعر ، فانه لم يغفل الجانب الآخر ، ولو انه لم يوسعه بالحديث على نحو ما فعل في هذا • وعندنا انّه فعله في هذا شبيه بما يفعله أهل البلاغة من العرب ، حين يفيضون في الحديث عن الجانب السيء ، في الالفاظ ، في بـاب الفصاحة مثلا ، على أعتبار ان ما عداه يكون جائزا او حسنا او سائغا ، وان لا بأس بايـراده واستعماله •

٦٥ــ Dorsch, P : 13

ولا بأس ان نعود الى هذه الاشارات التي بيّنها موجزةً في الشعر الذي يريده ، ورأى ان يقبله على اساسها ، ويقبل شعراءَه في مدينته المثاليّة الفاضلة ، اذا هم تمسّكوا به ولم يحيدوا عنه .

انه اجاز الشاعر الغنائي Lyrical Peot ذلك الشاعر الذي يتغنى ابدا بمديح في الافاضل من الناس ، أجازة الدخول في جمهوريته المثالية ، ولكنه لم يسمح لغيره من الشعراء بدخولها . يقول على لسان سقراط لجلوكون ، بعد ان يمتدح هوميروس ، يقول : « ولكن عليك ان تعلم ان الضرب الوحيد من ضروب الشعر ، الذي يسمح به في دولتنا ، هو ذلك الضرب من الاناشيد ، الذي يتغنّى بها ابدا في مديح الآلهة ، او في مديح اعاظم الرجال[٦٦] .

وافلاطون حتى في جمهوريته المثالية ، لم يوصد الباب بصورة نهائية على الشعر والشعراء ، ولكنّه بيّن انه حاضرٌ لان يستمع لاولئك الذين لديهم الحجج الحسنة يدافعون بها عن الشعر والشعراء[٦٧] . انه في حديثه عن ربّة الشعر The Muse قد بين ـ وقد مرّ بنا هذا ـ تعلّقه به ، وقربه من نفسه ، بين الآ بأس عنده بعودة الشعر الى جمهوريته ، اذا استطاعت هي ان تدافع عنه ببحر غنائي ، او بأي بحر من بحور الشعر شاءت ... بل بيّن الا بأس بدخوله ، اذا أستطاع عشّاق الشعر ، وان لم يكونوا هم انفسهم شعراء ، ان يدافعوا عنه نثرا ، على ان يبيّنوا ان الشعر لا تنحصر أهميّته بالمتعة واللّذة ، ولكن بفائدة الناس في حياتهم وفي مجتمعهم . قال : «وسوف نسرّ بالاستماع او الاصغاء الى آرائهم ، وسيكون ربحا كبيرا لنا اذا وجدنا به معينا للفائدة ، كما به معين للمتعة[٦٨] .

٦٦ـ Protagoras (326a, 339) وانظر : Drosch, P: 13

٦٧ـ Dorsch, P : 13 وانظر : Lysis (213e)

٦٨ـ Apology (22c) وانظر : Dorsch, P : 13

وكان ــ كما رأيناه في « القوانين » ــ على استعداد لقبول الشــعراء المحاكين في الملاحم والمسرحيّات ، على ان يحاكي هؤلاء الشعراء ما هو جدير بالمحاكــاة عنده .

يضاف الى هذا ، أنّ افلاطون كان في الطليعة ، في وضع آراء ايجابيّة اخرى ، اكثر مما مرّ بنا . انه في فيدروس[٦٩] Phaedrus اعطى معنىً لتصوير الايحاء اعمق من ذلك الذي مرّ بنا . اذ بيّن ان الايحاء ، كما يكون هذيانا ، لا سلطان للعقل عليه ، يكون هبةً الهيّةً لتحرير النفس من أثقال قيودها الدينيّة والاجتماعية[٧٠] .

وفي فيــــدروس[٧١] ايضا ، ناقش مبــــدأ الوحــــدة العضويــــة The Organic Unity التي اعتبرها ، اساسا لكلّ الآراء الفنية . قال ، على لسان سقراط : « ... وعلى كلّ حالة ، لكان ترى في كل مقالة مخلوقا حيّا ، لها جسم ، ولهارأس ، ولها قدم . ويجب على هذا ان يكون لهــا وسط ، وتكون لها بداية ونهاية . وان تكون كلّ من هذه الاقسام مناسبة للاخرى ، ومناسبة للمجموع[٧٢] الكلّيّ » .

٦٩ـ Pheadrus (244) وانظر : Johnston, Greek Literary Criticism, P :1 4

٧٠ـ Ion (534)

٧١ـ يقول كروب في فاتحة حديثه عن افلاطون ، ص٤٦ : « ولان افلاطون ابعد الشعراء ، او معظمهم ، برم بــــه الشعراء والنقاد . فجورج سينتسبري George Saintsbury على سبيل المثال لم يمنحه الا ثلاث صفحات فقط من كتابه « تاريخ النقد الادبي » وكاد يتجاهل كل أثر ايجابي لفي النقد الادبي » .
ولايضاح قول كروب هذا ، نقول ان كتاب سينتسبري بثلاثة اجــزاء ، والجزء الاول وحده يقع في خمسمائة صفحة .

٧٢ـ انظــر : LEE, P : 384 وانظر الجمهورية : ٦٠٧/١٠
وانظر : ص : ــــ من هذا المقال .

وتحدّث بمثل هـــذا في جورجياس[٧٣] Gorgias قال : فالناس يقولون : ان القصة يجب ان يكــــون لها رأس ، وليس لها ان تنقطع في وسطها • وقد ألمح الى قريب من هذا في الجمهورية[٧٤] ايضا •

وعلى هذا ترى افلاطون في ارائه الايجابية هذه ، كان الرائد الاوّل في وضع الاسس والآراء ، التي اصبحت فيما بعد اعلاما أو صوى للنقد في العصور التي تلته • انه الرائـــد الاول الذي رسم ــ في الجمهورية ــ الحدود الواضحة البينة بين شعر الملاحم ، والشعر الغنائي ، والشعر المسرحي Epic Lyric and Drama

وفي « القوانين[٧٥] » تحــــدّث عن أحسن المسرحيات ، او أصدق المسرحيات ، وبيّن انها تلك التي تمثّل احسن صور الحياة وأنبلها • قال : « ••• ونحن ــ على ما نرى ــ ان مسرحياتنا هي أجــود المسرحيات وانبلها، لان مملكتنا هي تقليد او محاكاة لاحسن وأنبل ما في الحياة ، وكذلك يكون ما بها من مسرحيات » •

وهذه الآراء ، قد طوّرها بعده ارسطو ، واخذها عنه النقّاد في عصر النهضة في اوربا •

وفي الجمهورية[٧٦] ، وفي فيادروس[٧٧] ، اعتبر الرحمة والخوف هما العاطفتان اللتان تثاران بصورة خاصة في المأساة by Tragedy قـــال : « استمع اليّ حين نستمع الى هوميروس ، والى غيره من شعراء التراجيديا يمثّل احزان رجل عظيم ، فيصوّره وهو يطيل نواحه ، بكل تعبير بالــغ

٧٣ــ الجمهورية : ٦٠٧/١٠

٧٤ــ انظــر : LEE, P : 385

٧٥ــ فيادروس Phaedrus, 245a, 265
وانظر كروب Grube ص : ٤٧ وما بعدها . ودورش ، ص : ١٣ .

٧٦ــ Britannica Great Books, Plato, P : 134

٧٧ــ دورش Phaedrus (264). Dorsch, P : 13
وانظر : Britannica Great Books - Plato, P : 133

الاسى ، حزين • انت تدري كيف ان أحسن الناس فينا يستمتعون بهذا » ويرخون لانفسهم العنان حتى تسيطر عليهم عواطفهم • وهم اكثر ما يكونون مديحا لهذا الشاعر ، حين يكون اعظم اثارة لهذه العواطف • وهذه فكرة طوّرها ارسطو فيما بعد ، ولا نرى الحديث فيها مناسبا هنا •

وفي فيلبّس[٧٨] Philebus اثار مبدأ اشبعه ــ فيما بعد ــ المحدثون من النقاد ، ذلك هو مبدأ ، او فكرة المتعة الحزينة Tragic Pleasure ذلك الضرب الخاص من المتعة الذي نستخلصه من مشاهدتنا لمسرحيّة جيّدة • قال على لسان سقراط ، بعد ان ناقش فكرة المتعة والالم ، وكيف انّهما يتمازجان في كثير من الصور : وانك لتتذكّر كيف يتمازج السرور بالالم في النواح وفي الفجيعة بموت قريب او صديق " وانّك لتتذكر" ايضا كيف ان النظّارة في المأساة يبتسمون من خلال دموعهم » ثم يستمر ويقول : ــ والحديث موجّه الى بروتارخس Protarchus : « ولعلّك لم يفتك ، حتى في الكوميديا ، في مشاهد التمثيل الهزلي ، ان النفس يمتزج بها شعور الالم والفرح[٧٩] » وينتهي الى قوله : « وان" الحوار ليقودنا الى ان هناك تمازج بين السرور والالم في النواح ، ولسنا نراه في المأساة ، وفي المهزلة ، وعلى المسرح فقط ، ولكننا نراه ايضا على المسرح الاكبر ، مسرح الحياة[٨٠] للناس Human Life

وكان افلاطون ، هو الناقد الاول ، الذي وضع القواعد النظرية لطبيعة الملهاة ، وكان هذا خاصة في فيلبّس[٨١] Philebus

---

٧٨ــ انظر : Grube, P : 58

٧٩ــ Gorgias (503)

٨٠ــ Dorsch, P : 14 والجمهورية : ٣٩٨ .

٨١ــ Britannica Great Books, The Laws :- 817 Plato P: 728

ونخلص من حديثنا هذا ، الى ان افلاطون ـ وهو فيلسوف كبير ـ أديب كبير ، وناقد كبير ايضا • وان شهرته في الادب والنقد الادبي ، لا تقل عن شهرته الفلسفيّة • بل ذهب الكثير من نقّاده الى ان كتبه ، وقد خلدت طيلة هذه القرون ،كانت مدينة بخلودها الى مكانتها الادبيّة اوّلا ثم لمكانتها الفلسفيّة ثانيا • وان اراءه في النقد خاصة ، قد اثرت اكبر الاثر في الادب والنقد عند الغربيين ، حتى لا تكاد تجد كتابا ـ حديثا او قديما ـ يتحدّث عن النقد الادبي عندهم ، ولاترى اسم افلاطون يدور في صفحاته •

وجدير بدارسي النقد الادبيّ عند العرب ، ولاسيما هذا النقد الحديث الذي أخذ الكثير من مبادئه من الغرب ، ان يطّلعوا على اراء افلاطون ، وعلى اثرها في النقد الادبي عند الغربيين ، لتكون معرفتهم بما عبر الينا من هذه الآراء ، أوضح وأعمق وأشمل •

وعسانا في حديثنا هذا ، وفقنا الى اعطاء صورة واضحة عن « افلاطـون ، الاديب الناقد » • واللّه هو الموفق للصواب •

٨٢ـ الجمهورية ، ٣٨٧ ، ٦٠٥

٨٣ـ فيادروس Phaedrus, 268

٨٤ـ فيلبس Philebus (47—8) وانظر : Dorsch, P : 14

وانظر الحديث عن هذا مفصلا في كتاب : Gilbert

٨٥ـ انظـر : Britannica Great Books - Plato : 630

٨٦ـ الصفحة نفسها ، والكتاب نفسه

مراجــع البحث :

أ ــ المراجــع العربية :

احمد امين وزكي نجيب محمود : قصة الادب في العالم ، ط : مكتبــة النهضـة المصرية سنة ١٩٥٥ .

توفيق الطويل ــ اسس الفلسفة ، طبعة دار النهضة العربية ــ مصر

حنا خباز ــ جمهورية افلاطون ، ط : مطبعة المقتطف والمقطم ، سنة ١٩٢٩ .

زكي نجيب محمود ــ محاورات افلاطون ــ طبعة لجنة التأليف والترجمة ــ بمصر ، سنة ١٩٣٧ .

سهير القلماوي ــ المحاكاة ، ط : البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٥٣ .

سهير القلماوي ومحمد صقر خفاجة ــ ايون ، او : عن الالياذة ، مكتبة النهضـــة المصرية .

سليمان البستاني ــ الياذة هوميروس ، ط : دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنـــان .

لويس عوض ــ نصوص النقد الادبي (اليونان) ط : دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ .

طــه حســـين : قادة الفكر

بدوي طبانة : النقد الادبي عند اليونان .

ب ـ المراجع الانكليزية :

Atkins - 1- Literary Criticism in Antiquity
2- English Literary Criticison

Bloom (Allan) - The Republic of Plato Boas and Smith - Enjoyment of Literature Butler (Samuel) - The Iliad of Homer and the odyssey

Dudley (Louise) - The Study of Literature

Gilbert (Allan) - Literary Criticism; plato to Dryden

Grube - A - Plato's thought.
B - The Greek and Roman Critics

Hamilton (Edith) - The great age of Greek Literature

Harriot (Rosmary) - Poetry and Criticism before plato

Hubbell and Beaty - an introduction to Drama

Jordan - Essay in Criticism

Lee (H.D.P.) - Plato, the Republic

Rojan and George - Makers of Literary Criticism

Saintsbury (George) A History of Criticism and literary Taste

Sinclair - A History of Greek literature

Jowett (Benjamin) - The Dialogues of plato

Harward - Plato, the Seventh letter

القاعدة النفسية الاجتماعية للاتصال الاعلامي

للدكتور متعب مناف جاسم
قسم الاجتماع ـ جامعة بغداد

ان الاهتمام بالاتصال الاعلامي وعلى الاخص من زاوية علم النفس الاجتماعي يرجع الى الاسباب التالية :

(١) التوسع الحضري الذي ساد العديد من مجتمعات العالم بصرف النظر عن كونها صناعية ام غير صناعية عمل على نقل هذه المجتمعات من كونها مجتمعات أصولها متجانسة الى مجتمعات أصولها مختلفة جعل في كل مجتمع العديد من التراكيب المستقبلة Audiences هذه التراكيب تعيش في مجتمع واحد فقد كل روابطه التقليدية فليس هناك أعراف او عادات او تقاليد او معايير تشده الى بعضه البعض لذا فان الاعلام ووسائله تلعب الدور الاكبر في سبيل الصلة بين هذه التراكيب المستقبلة تأكيداً على نوع من الوحدة الاجتماعية اذ عن طريقة مخاطبة مثل هذه التراكيب والاتصال بها يمكن تحقيق هدفين : ـ
الاول : الوصول اليها مباشرة •

الثاني : خلق المناخ الاجتماعي عن طريق وسائل الاعلام لكي تتصل مثل هذه التركيب ببعضها اجتماعيا وبذا فان الاتصال انما يعمل في الوقت نفسه على التواصل وهو هدف اجتماعي بحد ذاته •

(٢) الحفاظ على العلاقات السياسية السائدة في المجتمع اذا ان المجتمعات الحديثة على اختلاف أشكالها انما تتحرك وفق ايديولوجية معينة هذه الايديولوجية في واقعها ليست الا تطبيقا لفلسفة الحكم في المجالات

العملية وبذا يصبح أساسيا لايصال مثل هذه الايديولوجية من مصادرها او ترجمتها ووضعها على صعيد التعامل القومي من ان يلعب الاعلام دورا رائدا في توصيل هذه الايديولوجية اولا والقيام بتبسيطها وربطها بحياة الفرد العادي ثانيا ثم تحصين الجماهير ضد الايديولوجيات المعادية التي تستهدف هدم المجتمع ثالثا (١) .

(٣) بعد الحرب العالمية الاولى وبعد ان مر العالم بأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ونفسية وانهيار العديد من النظم السياسية الاوربية وظهور الأزمات الحادة في الاقتصاد العالمي فقد برزت ظاهرة مهمة في المجال الاعلامي هي ظاهرة الدعاوه Propaganda وهذه الظاهرة وان كانت قديمة قدم التعامل الانساني نفسه فقد استخدمت في فترات تأريخية موغلة في القدم الا ان استعمالها بشكل مدروس وتخصيص اجهزة لها وتدريب كوادر عليها انما نشأت في فترة الحرب الكونية الاولى وكانت من غاياتها الاساس هي :

(١) اضعاف الجبهة الداخلية عن طريق تضخيم الاخطاء الى الحد الذي يجعلها غير قابلة للاصلاح وبذلك يفصل المواطن العادي عن مجتمعه وهي المرحلة الاولى وبعد ذلك يبنى له مجتمع خاص بهِ وفق ما تخطط له الدعاوه المضادة مما يؤكد غربته داخل مجتمعه وبالتالي اما ان يحيد ويخسره مجتمعه او انه يصبح دمية بأيدي اعدائه والمقصود من هذا كله هو خلق فراغ بين المواطنين انفسهم عن طريق تشكيكهم بتراكيبهم السياسة والاجتماعية وايجاد فراغ آخر يفصل بين المجتمع وسلطته ثم بين الشعب وجيشه في الجبهة .

---

(١) Kornhauser, W., The politics of Mass Society, pp. 7—13.

(٢) احداث تغييرات عميقة في الرأي العام مما يؤدي بالضرورة الى زعزعة ايمان الشعب بحكومته وجيشه وبالتالي يمكن ان تمهد مثل هـذه النجاحات على الصعيد المحلي وعلى الاخص التغلغل في الجبهة الداخلية الى كسب المعركة في الداخل وهذا ما دفع بالجنرال فرانكو اثناء الحرب الاهلية في اسبانيا الى القول بان هناك اربعة فيالق أو طوابير تقاتل في الجبهة وهناك الاهم منها طابور خامس يقاتل في داخل الساحة المعادية ، وعليه يتوقف الى حد بعيد كسب المعركة (٢) .

الاعـلام بعد الحرب الثانية :

وفي الفترة اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تغير عمل الاعلام ووسائله فقد اخذ يؤدي مهمات حيوية وأساسية منها : ـ

(١) رفع معنويات القوات المقاتلة .

(٢) ربط الشعب بقواته المحاربة .

(٣) تكييف الجنود لحياة الحرب واثارة النخوة والحمية في نفوسهم .

(٤) تطويق المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والعمل على مجابهتها نفسيا عن طريق تقوية أواصر الصلة بين أفراد المجتمع أنفسهم أي تقزيم هذه المشكلات وعبورها في سبيل هدف اكبر .

(٥) اعتماد اسلوب الدعاوه المضادة Anti propaganda وهو اسلوب جديد من أساليب العمل الاعلامي اذ يعني هذا ان تكون لك القدرة على فهم دعاوه الخصم والارتفاع بمستواك في الدعاوه الى درجة هذا الخصم ثم العمل على تحجيم دعاوته وبالتالي تجاوزها او ابطال تأثيرها وهذه العملية في غاية الاهمية لانها تعني الاستخدام الكامل لكل ما هو متاح من فهم نفسي واجتماعي وثقافي في سبيل رفع الروح المعنوية للشعب .

(٢) Ibid., pp. 21—39.

وهذا لا يتم بالاثارة فقط وانما بدرس هذه الاثارة وكيفية تزويد الناس بها الى الحد الذي تبنى فيه دفاعات معقولة يمكن ان تتحول الى هجمات عند الطلب [٣] •

(٦) ونظرا لاهمية مثل هذه الاساليب الاعلامية وما تتركه من الايجاب والسلب على كافة النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية في المجتمع فقد اهتمت الجامعات بها وأنشأت مراكز للدراسات الاعلامية في العديد من الدوائر العلمية المرموقة في العالم اهتمت بدراسة الرأي العام public Opinion والاتصال Communication وذلك باستخدام المناهج المطبقة في العلوم الاجتماعية Methods of social seienees وطبيعي ان هذه المراكز انما تتعاون مع مثيلاتها على الاصعدة الحكومية او في المجالات الصناعية وبذلك يشهد عصرنا الراهن ومنذ خمسيناته ما يمكن ان يسمى بالثورة الاعلامية Communicaional Revoluiton انعكست هذه الثورة في المجالات المختلفة سواء على صعيد خلق الافكار في المجال الاعلامي وربط هذا كله بالمناخ النفسي الاجتماعي السائد وبالتالي الخروج بصيغة اعلامية لها صورة مميزة وفعالة على الصعيدين الاعلاميين او ما نسميه بالاعلام الداخلي والاعلام الخارجي •

فترةالخمسينات والستينات والاعلام :

وفي العقدين الخامس والسادس من هذا القرن حصل تطور اعلامي خطير هو ظهور الاذاعة المرئية « التلفزيون » وقد استدعى ظهور هذه الوسيلة الاعلامية الى قيام بحوث عديدة عن الاذاعة المرئية وبرامجها واوقات بثها والكادر العامل

---

(٣) Sherif, M and Sherif, C., An Outline of Social psychology, pp. 449—488.

وهناك حقيقة لابد من ذكرها هي ان التلفزيون انما يدخل كل بيت بدون استئذان وفي هذا تكمن خطورته حتى لقد قيل عند ترشيح كندي ونكسون للرئاسة في الولايات المتحدة ان الفائز الحقيقي هو التلفزيون وهذا يمثل واقعا بالفعل اذ ان التلفزيون يشد افراد العائلة من خلال فرض التواجد عليهم في البيت وهذا هو السبب الرئيس وراء تكييف البرامج سواء أكان زمنيا ـ اي أوقات البث اذ روعي ان تكون البرامج للصغار في فترات زمنية مبكرة لكي يستطيع هؤلاء التمتع بها ثم الذهاب الى فراشهم او من ناحية مضمون هذه البرامج كان تكون علمية وفنية وأدبية وفكرية ورياضية وتربوية .

وقد ادى مثل هذا التنوع في اوقات البث وفي المواد المقدمة الى تحديد الهدف من وراء الاذاعة المرئية : هل هو اخباري ام تعليمي او توجيهي واذا كان يجمع بين هذه المجالات مجتمعة فما هي نسبة كل منها الى مساحة الهدف العام ؟ وتطور آخر في مجال الاذاعة المرئية هو التلفزيون التربوي او حلقات البث التلفزيوني المحدد .

وهذه بالطبع تطورات أملتها ضرورات خاصة اذ اصبح التلفزيون وسيلة لتكوين التوجهات لدى المواطنين Attitudes وهذه التوجهات لابد وان تنعكس على علاقات المواطنين انفسهم وبالتالي فهي تؤثر في المعايير Norms والقيم Values والاعراف Mores السائدة اذ قد يعمل التلفزيون على ان يكون عاملا محركا للتغير الاجتماعي Agent of Social change وهذا المجال له خطورته في بناء الخبرة والسلوك الاجتماعية اذ يرتبط بصميم مادة علم النفس الاجتماعي حيث يسعى هذا العلم الى دراسة خبرة الافراد وسلوكهم من خلال ردود افعالهم تجاه المواقف الاجتماعية (٤) المحفزة اجتماعيا فاذا تدخل التلفزيون في صياغة او التهيئة لمثل هذه المواقف الاجتماعية المحفزة امكننا تقدير الاثارة الايجابية والسلبية التي يمكن ان يتركها على سلوك الافراد ويرسبها في خبراتهم وبالتالي ينعكس هذا على مجمل السلوك الاجتماعي السائد .

---

(٤) انظر المصدر السابق .

أعـلام السبعينات ومشاكل العالم المعاصـر :

وبدخول فترة السبعينات من هذا القرن دخل الاعلام بافكاره واجهزته البشرية والفنية وبآفاقه الواسعة والمؤثرة ليجد انماط مختلفة من المجتمعات أهمها :

أ ــ مجتمعات العالم الصناعي •

ب ــ مجتمعات العالم ما قبل الصناعي •

جـ ــ مجتمعات العالم المتخلف •

وطبيعي ان الاعلام ناتج اجتماعي اى انه يعكـس شأنـه شأن مرافق الانتاج الفكري (الثقافة) والمادي (الصناعة) الدرجة التي وصلها المجتمـع حضاريا ومدى دخوله اولا دخوله الى معترك حلبة الصراع الثقافي السائدة لذا فان المشاكل التي يواجهها الاعلام في المجتمعات الصناعية ــ وعلى الاخص في الدول الانكلوسكسونية هي الصراع السياسي والوفرة في الانتاج مـع عدم وجود العدالة في التوزيع والتناحر الطائفي والتمييز العنصري وارتفاع مناسيب الجريمة ومحاولة التوفيق بين الثقافة الوطنية •

National Culture والثقافات الفرعية Subcultures من ناحية والثقافة العالمية International Culture من ناحية ثانية بالأضافة الى تبني بعض اليوتبيات (الطوباييات) المعاصرة مثل اراء بوبر (المجتمع المفتوح وأعداؤه) وكالبرث (مجتمع الوفرة) وو • روسـتو وعلى الاخص كتابات الاخير عن مراحل النمو الاقتصادي •

(١) مرحلة المجتمع التقليدي The Traditional Society

(٢) مرحلة التهيؤ للانطـلاق The prencondition for take off

(٣) مرحلة الانطلاق Take off

(٤) مرحلة الاتجاه نحو النضج The Drive of Maturity

(٥) مرحلة الاستهلاك الوفير[٥] The Age of High Mass Consumption

وهذه المرحلة الاخيرة تحمل تعبيرا جديدا هو الانتاج الكتلي او المجموعي أو الجماهيري وبذلك التقت كتابات روستو مع التطور الثاني المهم في مجال الاعلام في السبعينات (الدخـول الفعال للتلفزيـون في الحياة والاقتصـاد والسلوك) وهو تحول الاعلام نحو الكتلة او المجموعة اذ ان المجتمعات في العقدين الخامس والسادس من هذا القرن قد تحولت الى كتل بشرية متراصة اذ حدثت هجرات جماعية من الارياف الى المـدن وادى هـذا الى تضاعف سكان المدن بشكل كبير فاق كل تصورات علماء الاجتماع الحضـري حتى انهم اطلقـوا على مثل هذه الحركـة الكاسـحة اسم الثـورة الحضـرية Urban Revolution وبذلك ولد عصر الكتل او المجموعات وبرزت على الصعيد العالمي المدن الكبـرى او الموسـعة المتروبوليتانيـة او الميكابوليتانية) وقد دفع هذا بالصناعة الى مواكبة عملية الحضرية اذ يصعب الفصل بين الصناعة والحضرية حيث أن الصناعة تحتاج الى الايدي العاملة التي يمكن ان تتجاوزها عن طريق المكننة او الآلية المتقدمة ولكنها لا يمكن ان تستغني عن الوفرة في التجمعـات البشريـة التي تكـون قـوة منتجـة ومستهلكة ولما كان الاعلام ظاهرة اجتماعية فقد تحول هو الاخر الى كونـه اعلاما جماهيريا او اعلام مجاميع ضخمة .

والفرق الرئيس بين الاعلام غير الكتلي والاعلام الكتلي هو السعة في التغطية الاعلامية ، اذ يصعب ان نطلق على التلفزيون التربوي او التلفزه في نطاق محدد Closed-Circut Telecast اسم اعلام كتلي اذ المفروض بالاعلام الكتلي ان يشمل في تغطيته الاعلامية الوطن بكامله وبالمثل يمكن ان توصف بقية وسائل الاعلام كالاذاعة المسموعة « الراديو » أو الاشرطة (الافلام) فاذا كان السامعون والمشاهدون (التراكيب الانسانية التي يحاول الوصول اليها) منتشرة على صعيد يتجاوز المحلي او كان قصدها

---

(٥) محمد حسن عبدالباسط د . ، التنمية الاجتماعية ، ص٢٨١ .

يجمع اكثر من قصد مساعد اي تكون اهدافها متعددة ومركبة فانها يمكن ان توصف بالكتلية اما اذا كانت تغطيتها محدودة وهدفها مفردا فهي ليست كتلية •

أما على صعيد مجتمعات العالم ما قبل الصناعي فان اهداف ووسائل وكوادر الاعلام تواكب ماتتطلع اليه هذه المجتمعات وعلى الاخص الربط بين :ـ

آ ـ التراث

ب ـ العصر

أي ان وسائل الاعلام والتي يمكن ان تسمى بالجماهيرية في مثل هذه البلدان انما تعمل على بلورة اتجاهات جديدة تأخذ في اعتبارها تراث وفكر ودين وقيم هذه المجتمعات من ناحية وما يتطلبه العصر من صناعة وتكنولوجيا وانتاج من ناحية ثانية وتحاول ان تخرج من مثل التوفيق بين هذه المتطلبات بصيغة يمكن ان تقدم من خلال وسائل الاعلام سواء اكانت مقرؤة أم مسموعة أو مرئية وبذلك تعمل وسائل الاعلام وفي المجتمعات التي تزمع دخول العصر الصناعي على رسم طريق لدخولها دون حدوث ردود افعال قد تحطم البناءات التراثية لها • هذه المهمة لوسائل الاعلام في البلدان التي تحاول الدخول الى حلبة الصراع الحضاري الراهن ترتبط بعلم النفس الاجتماعي اذ ان علم النفس الاجتماعي في أساسه هو دراسة عملية تأثير وتأثر الفرد بالجماعة والتأثيرات المتبادلة داخل الجماعة نفسها Intragroup وبين الجماعات Intergroup Relations وبالتالي فان مثل هذه العملية يقصد منها تسهيل التعامل على مثل هذه المستويات في سبيل بناء توجيهات نفسية ـ اجتماعية جديدة تجاه الحضارة والعصر والآلة والفكر الجديد بل قد تدفع هذه التوجيهات الى مجالات اخرى مثل التوجه نحو العمل واحترام الانتاج اليدوي ومحاولة بناء المكانة في المجتمع Status اكتسابيا وليس احتسابيا (وراثيا) والنظر الى المرأة على قدم المساواة والاهتمام بالوقت وتقسيم العمل وتفضيل العلاقات المؤسسية والتمسك بالعلم كوسيلة لحل مشكلات الحياة اليومية ورفع المستوى الصحي للمجموع وهي أهداف تعتمد على المدى الذي

ينجح فيه علم النفس الاجتماعي في بناء توجهات جديدة وهو بذلك يلجأ الى وسائل الاعلام والجماهيرية منها بشكل خاص لانها وعلى صعوبة استعمالها ــ من انجع الوسائل للوصول الى التغييرات المطلوبة [٦] ، يبقى دور وسائل الاعلام في المجتمعات المتخلفة وفي هذا المجال فان وسائل الاعلام تستطيع ان تلعب دورا حاسما في التوعية حيث ان الامية متفشية في مثل هذه المجتمعات ، لذا فان بناء توجهات جديدة من الصعب تحقيقه من خلال التربية الشكلية (المدارس) كما أن استخدام وسائل الاعلام والجماهيرية منها بشكل خاص انما يعمل على (الوصول الى من يجب الوصول اليهم آخذين بنظر الاعتبار صعوبة المواصلات في مثل هذه المجتمعات او العزلة التي تحيط ببعضها وهي عقبات يمكن تخطيها عن طريق الاتصالات الاعلامية .

هذه المهام التي تقوم بها وسائل الاتصال الجماهيري تساعد على تنويع التوعية اذ تتناول التوعية الاجتماعية ــ أي بناء علاقات اجتماعية متحركة ترتبط بالعمل والانتاج اكثر من ارتباطها بالتقليد كما انها تبني توجهات جديدة خاصة بحياة المواطن ونظرته وتحويل هذه النظرة من القرابه والركودية والامد القصير الى الاعتماد على النفس والحركة والنظر الى أمد بعيد وهذا التحول في توجهات افراد المجتمعات المتخلفة يخلق دون شك ثورة اجتماعية تساعد المواطنين في هذه المجتمعات على عبور الهوة من التخلف الى مرحلة متقدمة شرط ان تعمل وسائل الاتصال الجماهيري على تحقيق برنامج متعدد الاهداف اذ تعمل على نشر التوعية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية دون تجزئة لان خلق المواطن لا يتم عن طريق تقسيم متطلباته نحو المستقبل . وبذلك تعمل وسائل الاعلام وفق قاعدة نفس ــ اجتماعية نحو تخطي المعوقات التي تحول دون تقديم العديد من مجتمعات العالم لجهودها التي يجب ان تصب في هدف اكبر هو خلق وعي حضاري شامل لا مجال فيه لتفاوت بين مجتمع واخر حيث

---

(٦) Kuppuswamy, B., An Introdution to Social psychology, pp. 259—295.

ان العالم المعاصر وبفضل وسائل الاتصال السريع اصبح صغيرا سريع التأثر بما يحدث في انحائه المختلفة ومن غير المسموح به ونحن نشارف على نهاية القرن العشرين ان تكون هناك مجتمعات متخلفة مما يجعل من الانتقال الى القرن الواحد والعشرين عبئا على ما يسمى بمجتمعات الحضارة الصناعية في الوقت الذي يجب ان يتوزع العبء الحضاري وهذا ما يعمق أهمية وسائل الاعلام ويجعلها اكثر ارتباطا بقاعدتها النفس ـ اجتماعية(٧) .

مستقبل الدراسات الاعلامية : ـ

ان النظرة المستقبلية للدراسات والعمل في المجال الاعلامي انما تساعد على رسم افق اعلامي جديد يأخذ بنظر اعتباره الخبرات الاعلامية التي مر بها الاعلام على الاصعدة الفردية والمحدودة ثم الكتلية والجماهيرية مستفيدا من ربطه وارتباطه بالقاعدة النفس اجتماعية التي تنطلق منها في تغيير التوجهات الاجتماعية .

وفي هذا المجال فان برنارد بيرلسون ـ وموريس جانوفتش في كتابهما قراءات في الرأي العام والاعلام يؤكدان ان ما يطلب من وسائل الاعلام مستقبلا هو تقديم وجهة نظر متوازنة تأخذ في اعتبارها دور الانسان ودور الاعلام في صياغة التوجهات وادخال العلمية في مجال الاعلام الكتلي او الجماهيري حيث بلغ العلم مرحلة متقدمة في تعامله مع الادوات المستخدمة في الحقل الاعلامي وعلى صعيد البحوث الاعلامية(٨) .

هذه العلمية يجب ان يلتزم بها على صعيد الاعلام الكتلي وخصوصا ان هذا الضرب من الاعلام انما يسعى نحو بناء توجيهات جديدة عن طريق تغطيته لمساحات انسانية واسعة ضمانا ان هذه العلمية تتم في الواقع تحت ظروف ايحائية نسبية اي الجمع بين العلمية في الاسلوب والايحائية في التوجيه مع

---

(٧) I bid., pp. 192—220.

(٨) Berelson, B., and Janowitz, M, Reader in public Opinion and Communication, (ed.), p. 3.

تحول من التوقعات القصيرة والمتوسطة الاجل الى التوقعات البعيدة اخذة بالاعتبار ان الاسلوب المباشر وغير المباشر انما يعتمد على امور ثلاثة هي :

(١) الناقل او المبلغ Messanger

(٢) الرسالة Message

(٣) المحتوى Content

وبالفعل فان الهدف المستقبلي للدراسات الاعلامية لا يمكن فصله عن القاعدة الاجتماعية التي يرتكز عليها الاعلام نفسه وبشكل اوضح فانه يرتبط بالايديولوجية السائدة في المجتمع ، لذا فان اهداف العمل الاعلامي على المدى البعيد انما تتأثر بالمطالب الاجتماعية السائدة وما يجمع عليه من حاجات حاضرة ومستقبلية وكيف ترتب الاولويات من حيث الاهمية والامكانات ثم كيف يوازن بين الطموح والامكانات اما على صعيد الدراسات الاعلامية فان اهدافها يمكن ان تكون اكثر تحديدا اذ انها يجب ان تميل نحو العلمية لكي تواكب عصر العلم والتكنولوجيا في استخدامها للادوات المتقدمة في مجال قياسات الرأى العام ووضع البرامج وهذا كله يساعد في الطبع في رسم السياسات الاعلامية اذ ان الاعلام لم يعد اجتهادا فرديا وانما اصبح علما له مفاهيمه ونظرياته ومناهج بحوثه ووسائله في اعداد كوادره ومؤشراته في النجاح والفشل ولكن هذه الجوانب على اهميتها ثانوية اذا لم يستطيع الاعلام من ان يعكس طموحات المجتمع اذ انه يبدأ من المجتمع وينتهي بالمجتمع نفسه وهذا المجتمع قد يبدأ بالمحلية ثم الوطنية وينتهي بالعالمية ولكن تبقى حقيقة اساسية هي ان الثقافة لا تكيف نفسيا ، وهذا يعني ان البناء الثقافي انما يأتي بعد ان تكون الابنية النفسية والاجتماعية قد تكاملت واساس هذه الابنية تكوين التوجهات التي تواكب متطلبات العصر من ناحية وطموح الجماهير من ناحية ثانية وبذلك يكون الاعلام عملا ودراسة مطالبا بتحقيق هدف مركب هو الجمع بين الايديولوجية في التوجيه والعلمية في العمل والنفس ــ اجتماعية في الاطار والمستقبلية في النظرة وبذلك يتحرك الاعلام ايديولوجيا في عمله عمليا في

دراسته نفسيا اجتماعيا في شدّة مستقبليا في تطلعه مع امكانية الموازنة بين هذه المجالات في تحقيق طموحه كمؤسسة اجتماعية لها ذاتيتها في العمل وما يعلق عليه من طموحات جماهيرية وهي التعامل مع ثقافة العصر والاخذ منها والاضافة اليها باصالة وتعاون [٩] .



---

(٩) Schramm, W., and Roberts, D. (ed), the process and Effects of Mass Communication, pp. 517—521.

Baer, G., Population and Society in the Arab East, Fredrick A. Praeger, N. Y, 1964.

Berelson, B, and Janowiz, M., (ed.), Scond Ediion, Reader in public Opinion and communicaion, the Free press, N. Y., 1966.

Cantrill, Hadly, the psychology of Social Movements, N.Y., 1963.

Danziger, Kurt, Socialization, London, 1971.

Schramm, W., and Roberts, D., (ed.), the process and Effects of Mass communication, Univ. of Illinois press, chicago, 1971.

التجـديد في الادب
معنـــاه وتطوره

ابراهيم محمد الوائلي
استاذ مشارك
قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة بغـداد

التجديد في الادب ، معنـاه وتطـوره

كتب كثير من الادباء المعاصرين بحوثا في النقد والادب تناولت موضوع التجديد والتطور في الادب العربي ، وقد عنيت هذه البحوث بالجانب التطبيقي ولكنها لم تعن العناية المطلوبة بالتفسير والتحليل لمعنى التجديد وفلسفته ، أو نقول بعبارة أوضح : ان نقادنا المعاصرين لـم يضـعوا للتجديد قواعـد ومقاييس يعرف بها ، في حين أنهم أسهبوا في التطبيق وفي كثرة النماذج التي عرضوها لصور التجديد في العصور الادبية المختلفة ، وتناولوا بالتركيز ،

الاغراض المعروفة التي خضعت لقوانين التجديد ولا سيما اغراض الشعر وفنـــونه •

ومعنى هذا أن الدراسات التي كتبت في هـــذا الموضوع لا تزال غـــير مستكملة وأن بها حاجة الى التوضيح في مقاييس التجـديد وفي معنـــاه الى جانب التوضيح في اسبابه وعوامله •

وماذا عسى القاريء أن يجد من حصيلة في دراسة موضوع التجديد وهو يفتقر الى أبسط القواعد التي تساعده على التفسير والتعريف ليحـــدد المعالم التي يسير عليها في التطبيق •

ومن هذا المنطلق عاودت كثيرا من المراجـع التي عنيت بالنقـد الادبي وتناولت موضوع التجديد لاستعين بها وبما اختمـــر في ذاكرتـــي مـــن ملاحظات غير قليلة على وضع بعض الخطوط المتجانسة في تفسير معنى التجديد في الادب ــ الادب العربي بشكل خاص ــ وأن أتناول هذا الموضوع في بعض قواعده ومقاييسه ذات الصلة الوثقى بمظاهر التجديد في الشكل والمضمون •

وانا اذ ادرس هذا الجانب الذي يمكن أن يعد من الاسس في النقد الادبي لا اجد من الضروري أن اتناول جانب التطبيق وحشـــد الامثلـــة والنماذج لان مثل هذا العمل لا يكفيه بحث قصير يفرض فيه تجنب الشرح والاطالة في مظهر واسع من مظاهر الادب في عصورد الكثيرة •

يضاف الى ذلك ان اختيار النماذج وحشدها في هذا البحث قد يكون عملا غير ذى أهمية لدى القاريء الذي يراد له أن يكون حرا في التطبيق وفي اختيار ما يستسيغه من الاعمال الادبية للشـــعراء العرب في العصـــور القديمـــة وفي العصر الحاضر •

وقبل أن اتناول البحث في معنى التجديد وتطوره ، اود أن أطرح السؤال الاتي :

هل يوجد تجديد مطلق في الادب ؟

هذا السؤال من الممكن أن يضع نفسه في مقدمة البحث ، لان معنى التجديد قد يعبر الى تصور لا نهاية له في مجال الادب ، فيفترض وجودا لا وجود له ، حتى في اقصى درجات التخيل عند الاديب المفكر ، وحينئذ قد يقال بوجود تجديد مطلق لا حدود له ، ولا ابعاد في بدء أو نهاية .

وقبل الاجابة عن هذا السؤال ينبغي ان نسأل أنفسنا ما معنى التجديد المطلق سواء أكان في الادب أم في غيره من مظاهر العقل البشري ؟

لاشك اننا سنقول : ان التجديد المطلق معناه أن نكون أمام صورة لا عهد للانسانية بها وليس لها أية ظلال في ماضي البشرية بعيدا كان أم قريبا . فهل نستطيع أن نقول : ان الفن الادبي وسائر الفنون الاخرى يمكن أن تنقطع صلتها بما ألفته الاذواق وتوارثته الاجيال ؟ وهل ظهر لناقد أو مؤرخ أدب من القدماء أو المحدثين شيء من ذلك في معنى أو فكرة باطار لاصلة له بالقديم الموروث ؟

قال العرب القدماء :

« وليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تداول المعاني ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم . ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول . وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو لا أن الكلام يعاد لنفد »[1] .

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ١٩٦ ، ط ١ .

وقالوا : « ما زال الشاعر يستعين بخاطر الاخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه ... ومتى أجهد أحدنا نفسه واعمل فكره واتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيتا يحسبه فردا مخترعا ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له مثالا لا يغض من حسنه »[2] .

وقالـوا :

« ولا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع الا" وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه ان هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه »[3] .

ولهذا شاع عند نقاد العرب القدماء نوع من الدراسة سمّوه (السرقات)، وقسموا هذه السرقات الى مستحبة ومنكرة . فالمستحبة هي التي يعمد فيها الشاعر الى اضافة اشياء جديدة في الصورة أو العبارة . واما المنكرة فهي التي لا يستطيع ان يضيف اليها شيئا من ذلك[4] .

ويقول (آلان) من المحدثين :

كل الناس مقلدون يجري بعضهم وراء بعض الا" الرجل الصخر الذي لا ينقاد ، وللرجل الصخر ثلاثة مظاهر : الفنان والحكيم والقديس . اما الحكيم والقديس فوجودهما نادر وأما الفنان فيقول : أنا كما أنا أعبر عن نفسي أولا أعبر عن شيء[5] .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣/٣١١ ، ط ٢ .

(٤) الصناعتين ــ المصدر السابق ــ ص ١٨٦ ، ٢١٧ .

(٥) النقد الجمالي واثره في النقد العربي . لروز غريب ، ص ٧٩ .

ولكن الفنان في رأينا وان تميّز عن البشر بموهبته وقدرته على التعبير لا يمكن أن يأتي بشيء جديد مطلق الجدة لا عهد للناس بمثله أولا عهد للناس ببعض عناصره في اقل تقدير ، ولا يمكن ان يخترع لفظة او عاطفة او خيالا او فكرة لم يكن الناس قد اهتدوا الى شيء منها .

« ان التجديد في الادب كالتجديد في العلم لا يمكن الاّ على اساس تعاون الحاضر والماضي» (٦) .

وان المجدد مهما حاول ان يبتعد عن القديم لابد له من ان يستعين به في استعارة صورة او كلمة او حقيقة من تلك الحقائق التي احتوتها الرفوف القديمة او دفنتها الرمال فيبعثها من مرقدها ويجدد ملامحها ويهب لها من قوة الشباب ما يدفعها الى مجال السمو والتخايل (٧) .

اما الابتكار المطلق فهو خلق جديد في كل العناصر في اللفظ والعاطفة والفكرة ، والخيال والموسيقى ، ومثل هذا الابتكار لا يعدو ان يكون مستحيلا لا يمثله نموذج واحد في الادب وان كان قليلا . فان استطاعت العبقرية الخلاقة ان تتخطى المستحيل في بعض عناصر الصورة الادبية فانها يستحيل عليها ان تبتكر كل العناصر ابتكارا مطلقا ليس فيه شيء من ظلال القديم .

ان الفنان يستطيع ان ينشيء بناء حديثا قد يخالف في شكله وهندسته البناء القديم ، ولكنه لا يستطيع ان ينشيء ذلك البناء على ارض غير قديمة ، ولن يستطيع أن يؤلف بناءه من مواد غير مستخرجة من هذه الارض .

ومهما اختلفت العصور في خصائصها ومقوماتها فان ارتباط كل عصر بما سبقه يبقى ارتباطا وثيقا لا ينفصل الاّ بمقدار ما يحدث من تطور في الفكر والحياة والمجتمع .

---

(٦) النقد التحليلي ، للغمراوي ، ص ٣١٨ .

(٧) أنظر : تيارات ادبية ــ د . ابراهيم سلامة ، ص ١٣٨ ــ ١٣٩ .

هناك صلة وثقى بين الابناء والآباء ، وبين الوارث والموروث ، ولا يستطيع الابن ان يتحلل من اثار آبائه وان هو حاول ، ولا يستطيع أيضا أن يكون صورة طبق الاصل [٨] .

هكذا تكون العلاقة بين عصور الادب ، واذا كانت هذه العلاقة ثابتة لا تقبل الانفصام ، فان القول بنفي التجديد المطلق بديهية لا تقبل الشك ، وأن التجديد المطلق في الادب ، ان لم يكن مستحيلا كل الاستحالة فهو من هذا القبيل على خط ثابت .

معنى التجديد :

في القالب أو الاسلوب . في المعاني . في الموضوعات . في الصورة والخيال .

قلنا ليس في الأدب تجديد مطلق شأنه في ذلك شأن غيره من سائر الفنون الاخرى التي يعتمد بعضها على بعض ويأخذ بعضها من بعض ، بل هو كغيره من الظواهر الاجتماعية والفكرية في التسلسل والتأثر ، غير ان استحالة التجديد المطلق لاتقف ولا تستطيع أن تقف في طريق التطور الذي يسلكه الادب في حياته وفي استمراره كالفنون والظواهر الاخرى . فهو اذن كائن حيّ متطور يساير تطور المجتمع في اسلوب الحياة والتفكير .

وما دمنا قد عرفنا ان العصور تختلف في تطورها واتجاهها ادركنا ان الادب كغيره من الفنون ، مقياس يقاس به تطور العصر وثقافة المجتمع ، وصورة تنعكس فيها العواطف والرغبات كلها أو بعضها .

وأن الشاعر ــ وهو فنان يتميز عن سائر البشر بمواهبه وقدرته على التعبير والتصوير ــ قادر بحكم ما اوتي من موهبة وقوة ملاحظة على تصوير العواطف والميول والعادات أو لعله أقدر من غيره على رسم التجارب التي يعانيها غيره من سائر الناس بعد أن يكون قد استجاب لها وفكر فيها لذلك

(٨) انظر : ثورة الادب . د . محمد حسين هيكل ، ص ٤٦ ــ ٤٧ .

لابد ان تكون افكار الشاعر ومواهبه حصيلة ممارسة ودراسة وخلاصة تجارب المجتمع الذي يعيش فيه .

وليس من الضرورة القاسرة أن يكون الشاعر مستوعبا كل ما يشعر به غيره ؛ لان الاستيعاب عمل صعب في غاية الصعوبة ان لم نقل انه مستحيل جدا . بل المهم أن يكون الشاعر قد ادرك الكثير من مناحي الفكر والثقافة واللغة والعادات والتقاليد التي تميز بها عصره ومجتمعه وأن يكون في فنه جزءاً من ذلك العصر وذلك المجتمع فيعبر باللغة المألوفة في مفرداتها وقواعدها واساليبها ويصور النزعات والعواطف التي يتفاعل معها معاصروه ويتجنب من ذلك كله ما يستهجنونه ويعدونه غريبا أو بعيدا عنهم .

فالتجديد في الادب ــ شعرا أو نثرا ــ انما يكون اذا اعتمد على حصيلة غير قليلة من الثقافة والموهبة والتجربة بحيث يكون ذا أثر قوي فعال يعبر عن عصره تعبيرا صادقا ، ويصف نوازع المجتمع الذي ينتمي اليه وصفا امينا ويراقب الاحداث مراقبة واعية فيسجلها دون اهتزاز واضطراب ثم تأتي صوره حافلة بالتجربة الحية والشكل المتموج والخيال المبدع وتكون قد استجابت لعواطف البيئة والعصر ورغائب المجتمع أيا كانت تلك العواطف والرغائب .

على ان اطلاقنا للعواطف والرغائب لا يعني اننا لا نؤمن بواقع معين ينتظم الاعمال الادبية . ففي العصور والمجتمعات ضروب من التناقض ينبغي الحذر من انزلاق الفن فيها قبل الاطمئنان الى سلامة المنطلق . فكثير من الاعشاب السامة يختفي وراء الازهار العطرة .

أ ــ التجديد في القالب أو الاسلوب :

الادب الفاظ ذات معان ، ولا قيمة لها بغير معانيها[٩] . واذا كانت اللغة مادة الاديب فان المعاني محتواها الذي لا ينشطر عنها ، لذلك يصعب التفريق بين الاثنين لانه تفريق بين المضمون والقالب ، ومنشأ الصعوبة في

(٩) نظرية الادب ، ص ٢٢٣ . وانظر في هذا المعنى : النقد الادبي ــ أصوله ومناهجه ــ لسيد قطب ، ص ٢٢ .

التفريق أن العمل الادبي وحدة لا تتجزأ ، وأن الالهام يعني هبوط العبارة على الفنان بمعناها ومبناها دون ما تفريق[١٠] .

وقد ذهب (فلوبير) الى ابعد من ذلك فقال : « القالب الجميل فكرة جميلة والا فما القالب الذي لا يعني شيئاً ؟ »[١١]

فالفصل بين الشكل والمضمون كالفصل بين شيئين مترابطين ترابطا عضويا يتنفس أحدهما بتنفس الآخر ، غير ان هذا الاعتقاد مهما حمل من قوة لا ينبغي أن يحول بين العمل الادبي وبين دراسته دراسة تتناول اجزاءه التي أسهمت في بنائه والعناصر التي كونته فان القالب أو ما نسميه بالهيكل أو الاسلوب الذي يختاره الشاعر ــ مثلا ــ لعرض الموضوع قد عنى به نقاد العرب القدماء . فقد بحثوا في اللفظة والعبارة والوزن ، واشترطوا في الشعر القويم سلامة التعبير الى جانب صحة المعنى واستقامته[١٢] .

والاسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه ناحية شكلية خاصة هي طريقة الاداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الاديب ليصور ما في نفسه أو ينقله الى من سواه بهذه العبارات اللغوية[١٣] . لان الادب بعناصره ــ الفكرة والعاطفة والخيال والاسلوب ــ مجموعة تلتقي في التجربة وتتزاوج فتكون منها الصورة التي تجمع بين قوة العاطفة وقوة الاداء وهذا يعني أن في الشعر عنصرا مهما الى جانب العناصر الاخرى لعله أهمها في البناء الادبي ، ونعني بهذا العنصر الاسلوب أو القالب الذي تصب فيه التجربة الشعورية ، وهذا القالب هو مجموعة الالفاظ وانسجامها والوزن المناسب لعرض الفكرة ، وطرق التصوير والتلوين ، وهو أيضا : تقسيم القصيدة الى مطلع

---

(١٠) النقد الجمالي واثره في النقد العربي ص ٨٣ .

(١١) المصدر نفسه والصفحة نفسها الهامش (١) .

(١٢) انظر : أسس النقد الادبي عند العرب . الفصول ٦ و ٧ و ٨ . ط ٢ .

(١٣) انظر : الاسلوب ، لاحمد الشايب ص ٤٤ ط ٥ . وانظر بعض الملاحظات في الادب المقارن . د . محمد غنيمي هلال ص ٢٨٣ ط ٥ .

وذروة وخاتمة ، وهو تناسق الصور وتماسكها وازدحامها وتنوعها وتطورها نحو الختام »[١٤] .

فلا بد اذن للقالب الشعري من اللفظ الموقع والنغم المثير والموسيقى التي تنتظم التجربة بايقاعاتها المختلفة وحروفها التي تأتلف منها المفردات ، نفسها والتفاعيل والقوافي التي يأتلف بها النغم ويتدافع .

واذا كانت الفنية الجمالية ليست احتكارا في العمل الشعري وحده فأن القالب الذي يتميز به الشعر لابد أن يكون خاضعا لتلك ألموسيقى الحافلة باللفظ الموحي والوزن والقافية لتكون المقاطع مناسبة للنغم والايقاع الى جانب المفردات التي « يجب أن تكون متخيرة غير مبتذلة ، وأن تدل بجرسها وبمعناها على ما تصور من اصوات وألوان أو نزعات نفسية »[١٥] .

والتآلف والانسجام لا يرجعان الى الكلمة ذاتها أو العبارة نفسها وانما يرجعان الى وضعها في موضعها اللائق بين اخواتها ليتم التجانس والانسجام في انسياب موسيقي رتيب .

وليس من الحتمية القاسرة أن يقف القالب عند الحدود التي رسمها القدماء وفي حشد المفردات والمقاطع خلال وزن رتيب لا محيد عنه فلربما كان ذلك تقليدا لا يمت الى الفنية بصلة وليس فيه شيء من الابداع والتجديد ، بل هو أشبه شيء بالمنظر الواحد الذي قد تمجه النفس ثم لا تحفل به بعد أن كانت تديم النظر اليه[١٦] .

ان التقليد والمحاكاة في الاسلوب لا يمثلان سوى ارتداء قناع يختفي وراءه الاديب فلا يتبين ملامح وجهه من يستطيع أن يسمعه[١٧] .

---

(١٤) النقد الجمالي ـ المصدر السابق ـ ص ٨٣ .

(١٥) الاسلوب ـ لاحمد الشايب . ص ٦٧ .

(١٦) انظر دراسات في علم النفس الادبي ، ص ٩٢ .

(١٧) فن الادب ، من مختارات شو بنهاور ، تعريب : شفيق مقار ٥٣ .

واذا كان الشعر ليس بتقليد بقدر ما هو صـــدى للقلـــوب والنفوس والطبائع جميعا[١٨] ، فأنه لابد أن تنتقل فيه الكلمة والعبارة والوزن من ذلك الاطار التقليدي الى ميدان التجربة الحية المتطورة سواء أكان الوزن ممـــا وضعه الخليل أم كان مما جد واستحدث ، وسواء أكان ذلك في شكل قصيدة أم كان في شكل آخر من الاشكال الادبية التي تعبر عن التجربة .

ان الالفاظ الجيدة والعبارات والاوزان كلها يصلح لعمل قصيدة أو شبهها ، ولكن التجديد ان يكون الاديب قادرا على استخدام هاتيك في مكانها المناسب لرسم الصورة وعلى تطويعها واخضاعها لغرضه بحيث تصور التجربة تصويرا حيا وتؤثر في السامع أو القاريء فتدفعه الى الاستيحاء والتأمل .

ولا يكون الاسلوب كاملا الا اذا استطاع أن يصور الافكار والعواطف تصويرا موحيا ولا يكون جميلا الا بقدر ما يعبر عنه من فكر جميل لان : « الاسلوب يكتسب جماله من الفكر الذي يعبر عنه »[١٩] .

فاذا لم تكن الالفاظ قوية التعبير ولم تصلح لان تعبر عن التجارب وتصورها بصورة واضحة استحال على الاديب المنشيء نفسه ان يتمثل تلك التجارب ويصورها في ذهنه[٢٠] .

وما دمنا نعيش في عصر يختلف عن العصور السابقة فيكثير من نواحي التفكير والحياة العامة فلابد أن يكون ادبنا ، ولاسيما الشعر صورة صادقة لما نفكر فيه ونحسه ، ولا يكون هذا الشعر صورة صادقة الا اذا استطاع أن يوفق بين الشكل والمضمون توفيقا تاما ، فاذا استطاع الشاعر أن يخضع الموسيقى اللفظية بما فيها الكلمة والعبـــارة والوزن ومـــا يتخلل ذلك من التشبيهات والاستعارات وغيرها الى تجربته وانفعاله وأن يتأثر بمجتمعه فيعبر

---

(١٨) انظر : من أدبنا المعاصر ، د . طه حسين ، ص ٣٥ ط ١ .

(١٩) فن الادب ، المصدر السابق ، ص ٧١ . وانظر : فلسفة الالتزام في النقد الادبي ص ٤٢ .

(٢٠) انظر : قواعد النقد الادبي ص ٣٥ ــ ٣٦ . ترجمة د. محمد عوض محمد.

عن عواطفه وانفعالاته وأفكاره ويؤثر فيه فيستجيب لفنه وتصويره فذلك هو معنى التجديد في القالب ، بل في طريقة التعبير بكل خصائصها .

٢ ـ التجديد في المعاني :

قلنا فيما سبق أن الفصل بين الفكرة واللفظ أو المضمون والشكل ، كالفصل بين عضوين مترابطين ، فالشعر لا يقال له شعر الا بالالفاظ الدالة الموحية التي تهبط على الشاعر بمعانيها . وهو انفعال ينتقل بجملته لا بأجزائه فمتى كان الشاعر قادرا على استخدام اللفظة وتطويعها كان قادرا على تأدية المعنى وتصوير التجربة ، غير ان ذلك لا يمنع من تفسير ظاهرة المعنى لان الالفاظ ما هي الا رموز تستخدم للتعبير عما يحس به الانسان فلابد ان تكون بين اللفظ والمعنى علاقة الدال والمدلول . واذا كانت هذه العلاقة حقيقية في أصل الوضع فأن لها أشكالا في مجال التصور والتخيل نشأ عنها المصطلح المعروف عند اللغويين بالمجاز أو الاشتراك وهو أن يهب الاديب اللفظة معنى آخر لا تعجز عن تأديته والرمز اليه ، وهذا العمل الذي ينهض به الاديب يتوقف على مقدار ثقافته اللغوية ومدى اتصاله الفكري بالمفردات الادبية ومعانيها ، على أن لادراكه الحسي أثرا في هذه العملية لا يقل عما سبق . هذا في حدود ما تنطبق عليه المفردة وتؤديه من وظيفة لغوية في الاطار العام والشكل البنائي . اما في حدود التفسير للمعنى فأنه تجربة وانفعال بتلك التجربة . فيجب أن يكون غزيرا فياضا ودقيقا واضحا وأن يكون صحيحا لا خطأ فيه من ناحية واقع الحياة أو واقع التأريخ فلا يخرج عما ألفه العصر والمجتمع الا حين يرى الخروج لفائدة العصر والمجتمع .

المعنى هو ذلك المعنى المعاصر ، سواء أكان قديماً أم مستحدثاً فان الكثير من المعاني القديمة مازال يحتفظ بمكانته في النفوس ويؤثر فيها . واذا كانت المعاني « مما اشترك الناس في معرفته وكان مستقرا في العقول والعادات ... وفي حكم الغرائز المركوزة في النفوس[٢١] » . فأن تناولها

(٢١) اسرار البلاغة ص ٣٨٥ .

في أكثر من تعبير واحد وعند أكثر من شاعر واحد وفي عصور مختلفة لايحط من قيمتها في النفوس غير ان استجابتها تختلف من شاعر الى آخر ، وأهميتها تختلف باختلاف العصور وتطورها ، فهي من حيث التعبير يمكن أن تؤدي وظيفتها التامة في عمل أدبي لا تؤديها في غيره ، ذلك ان التعبير هو الذي يساعد على تركيز المعنى وقوته في التجربة •

وهي ـ أي المعاني ـ من حيث ارتباطها بالعصر والمجتمع قادرة على أن تصعد الى القمة متى كانت تعبيرا صادقا عن العواطف التي تعيش معها فان لم تكن كذلك فمكانها الوديان والسفوح ، ولا اهمية لها • ان الذي خلد قول المتنبي :

لكل امريء من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدى

قوة العرض واستحكام الاداء في حين أنه اخذ هذا المعنى بكثير من اطاره اللفظي من قول الشاعر القديم :

فأني امرؤ عودت نفسي عادة وكل امريء جار على ما تعودا[٢٢]

غير أن المتنبي منح هذا المعنى من طاقته الشعورية ومن اسلوبه المؤثر ما لم يمنحه الشاعر القديم •

لذلك يصح القول : ان التجديد في المعاني لا يقف عند حدود العصر وما جد فيه من تطور بل يمكن ان يستعين الشاعر بالمعاني القديمة ايضا متى كانت ملائمة لروح العصر وميوله ورغباته على أن توهب حياة جديدة فيها حركة وقوة وأن تعرض في اطار متوهج يمد أشعته الى أعماق النفوس والقلوب •

ان الشاعر الملهم قادر على استخراج القضايا والمواقف القديمة التي نسيها الناس أو لم يكترثوا بها ، ثم هو بعد ذلك قادر على أن يزيل عنها الغبار ويعيد اليها الحركة والحياة ، ويمنحها روح المعاصرة والمواكبة •

---

(٢٢) من ابيات رويت ليزيد بن الجهم الهلالي ولحميد بن ثور . انظر حماسة أبي تمام ٣١٩/٢ ط ٢ ، مطبعة محمد علي صبيح .

ومظاهر التجديد في المعاني ثلاثة :

أ ــ جديد يخالف ما سبق ، وهو أن يأتي الشاعر بمعنى لم يسبق اليه فيضيف به شيئا جديدا الى المعاني المتداولة ، وقد سموا هذا النوع من التجديد بالاختراع أو الابتكار وأشادوا بالمخترعين من الشعراء[23] ، وعدوا منهم في القديم بشارا وأبا نواس ، وكان ابن الرومي عندهم أكثر الشعراء اختراعا[24] .

ب ــ توليد مما سبق ، وهو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة ملحوظة دون أن يستعين بالفاظه وعباراته أو أن يشركه في شيء من ذلك أو ينحو نحوه الا في الفكرة [25] .

جـ ــ التحوير أو الابداع ، وهو أن يأخذ الشاعر معنى قديما أو مطروقا فيديره في ذهنه ويحرر فيه حتى يظهره في هيئة جديدة كأنها تخالف الهيئة القديمة[26] ويعرضه في اسلوب جديد وعبارة لم يسبق اليها[27] في صياغة تتصل بذلك المعنى لان من غير الممكن عقلا أن يخترع الشاعر عبارة ، ولكن من الممكن أن يخترع صياغة وتأليفا .

« فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ... أو زيادة فيما اجحف فيه غيره من المعاني أو نقص مما اطاله سواه من الالفاظ كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ، ولم يكن له الا فضل الوزن وليس بفضل مع التقصير [28] » . بل لم يكن الا سارقا من غيره .

---

(٢٣) انظر العمدة ١/٢٦٢ ــ ٢٦٣ .

(٢٤) المصدر نفسه ٢/٢٤٤ .

(٢٥) انظر العمدة ١/٢٦٣ ، وأسس النقد الادبي عند العرب ٣٨٢ ــ ٣٨٣ .

(٢٦) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٩٦ ط ٤ .

(٢٧) اسس النقد الادبي ــ المصدر السابق ٣٨٣ .

(٢٨) العمــدة ١/١١٦ .

وسواء أكان الشاعر مخترعا أم مولدا أم محـوّرا لا يستطيع أن ينهض بالفكرة ما لم ينهض بها الابداع اللفظي ، فكثير من الوقائع والحـوادث معروف لدى الناس • ولكن الشاعر المجدد هو الذي يعبر عنها تعبيرا يجعلها كأنها جديدة وان كانت من المعاني التي اشترك فيها غير واحد من الشعراء وهو ما يسمى (توارد الخاطر) ، وذلك أن تمر فكرة واحدة أو معنى واحد على خاطرين في وقت واحد ويعبرا عنها تعبيرا واحدا أو متشابها[٢٩] •

ان المعاني ليست الا افكارا عامة يشترك فيها كثير من الناس ، وانما تصير شعرا حين يعرضها الشاعر عرضا ينقلها من المعرفة الى التأثر بالمعرفة[٣٠]

و (صاحب الذوق الخالق المحي هو الذي ينقل اليك احساسه بالشيء القديم الموجود بين جميع الناس فاذا بك كأنك تحسه أول مرة لما اودعه فيه من شعور وما اضفاه عليه من طرافة)[٣١] •

٣ ـ التجـديد في الموضوعـات :

عرف الشعر العربي في قديمه بتناوله الاغراض التي ألفتها البيئة العربية واقتضتها الحياة في بساطتها والفكر في اطار البداوة التي لم تتخط حـدود الطبيعة المحسوسة الا في القليل النادر • وقد اخذت تلك الاغراض تشـق طريقها في الشعر العربي متخايلة مدلة بنفسها حتى العصور المتأخرة ، غير انها تعرضت في بعض أنواعها الى الضعف أو الى ما يشبه الضعف كشعر المدح المطلق والحماسة والهجاء وبقى الكثير منها مصدر الاغتراف كما اضيف اليها كثير من الموضوعات والاغراض التي عرفها العصر العباسي كالغزل بالمذكر وشعر الزهد والخمر والمجون وغيرها • وبعضها قد حدث له تطور ملحوظ كالغزل وشعر السياسة ووصف الطبيعة في ظل الحضارة •

---

(٢٩) شياطين الشعراء ، د . عبدالرازق حميدة ص ٣٠ .

(٣٠) في الادب الحديث ٢٤٩/٢ . ط ٢ .

(٣١) شعراء مصر وبيئاتهم ، للعقاد ص ١٦٨ ط ٣ .

ومعنى ذلك ان قانون التطور يحدث أثره في الاغراض والموضوعات كما يحدث أثره في المعاني والاخيلة • فحاجة المجتمع والعصر هي التي تملي وتقرر ، وهي التي تدفع الادب الى الاخذ بما يلائم طبيعة العصر والمجتمع لان الادب تعبير عن شعور الانسان واحاسيسه وأفكاره ، ولان النهضات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تستغني عنه في تصويرها وتسجيل حوادثها (٣٢) •

واذا كان شأنه كذلك فلابد أن يكون في موضوعاته واغراضه مرآة لتطور المجتمع والعصر فلا يتناول منها الا ما ينسجم ويثير ويؤثر ويستجيب له العصر والمجتمع أيا كان ذلك الموضوع مدحا أو رثاءا أو غزلا أو سياسة أو وصفا •

ان كل شيء صالح لان يكون مادة للادب بشرط ان يتناوله الاديب بوصفه تجربة يحسها لاجل ذاتها (٣٣) ويعبر عنها تعبيرا ملائما وينقلها بصورة أمينة •

والشاعر الذي امتزج بعصره وساير ثقافته وتطوره يستطيع ان يتأمل ويفكر ويميز بين ما يصلح وما لا يصلح من الموضوعات والاغراض سواء أكان ذلك في حدود ذاته ونفسه أم في اطار مجتمعه • ان كل شيء في الحياة يصلح لان يكون موضوعا للشعر ولكن التجديد في ذلك الموضوع انما يكون حين يخلع عليه الشاعر احساسه ووعيه وتصوره (٣٤) • فان لم يكن للشاعر احساس يمتاز به ويصور لنا الحياة على صورة تناسب ذلك الاحساس فانه ناقل وصانع ونظمه تنميق وصناعة(٣٥) •

---

(٣٢) أنظر : اصول النقد الادبي ـ للشايب ، ص ٨٠ ـ ٨١ •

(٣٣) قواعد النقد الادبي ـ ، ص ٣٢ •

(٣٤) مقـدمة (عابر سبيل) للعقاد ص ٤ ـ ٥ •

(٣٥) شعراء مصر وبيئاتهم ١٣٦ ط ٣ •

ومن هذا يتضح لنا ان الشعر لا يتقيد بموضوعات خاصة تقليدية لان موضوع الادب ــ والشعر منه ــ هو العصر والحياة أو هو المجتمع بتعبير ادق • والشاعر الموهوب هو الذي يختار ما يلائم عصره ومجتمعه وبيئته ، فقد يكون الموضوع حادثة معاصرة يستوحيها ويعبر عنها ، وقد يكون من التراث القديم ، والتراث القديم خزانة ضخمة لا تزال ــ وستبقى ــ مصدر ثراً من مصادر الالهام التي يلجأ اليها الادباء والفنانون في كثير من الاعمال الادبية والفنية • ولكن أي عمل يستلهم من ذلك المصدر الثر أو يستلف من تلك الخزانة الضخمة لا يكون جديدا الا بما يسبغه عليه الاديب أو الفنان من سمات المعاصرة •

واذ اقتصرنا حديثنا على موضوع الشعر فبالامكان القول ان الشاعر يستطيع أن يتكيء على القديم فيأخذ منه ما يمكن أن يكون صالحا لبعث جديد فيساير العصر بما يثير في النفوس من عواطف ونوازع تمت الى عصره •

ان الشاعر حر في اختيار الموضوع حقيرا كان أو جليلا ، فراشة أو زهرة ، نسرا أو غابة ، قطرة ماء أو بحرا ، كوخا أو قصرا ، ناقة أو سيّارة ، زورقا أو باخرة ، ذرة رمل أو جبلا ، مسرب نمل أو كونا واسعا ، فلاحا أو عاملا ، جنديا أو قائدا • له كل ذلك وغيره ، ولكن بشرط ان يؤدي ما يختار تأدية فنية فيها استجابة وتأثر ، وفيها معاصرة وتأثير •

فالتجديد في الموضوع لا يعني أن يكون الموضوع مستحدثا طريفا لم يعرفه الناس من قبل ، بل يعني أن يكون متساوقا مع طبيعة الفن ورسالته مطردا مع ايحائية الشعر وتعبيره ، يسمعه الناس أو يقرأونه وكأنه شيء جديد لا عهد لهم به ، ويستجيبون لروعته الفنية قبل أن يستأثر بهم غرضه واتجاهه •

٤ ــ التجديد في الصورة والخيال :

الشعر كالموسيقى ، فيه الترجيع والايقاع فهو انما يثير بما فيه من نغم منتظم ناشيء عن اوزانه وقوافيه وتوالي مقاطعه التي تتكرر بصورة رتيبة

وبانسجام الاصوات ودلالتها على المعاني برنينها ووقعها ، وبهذه الموسيقى التي يندفع بها الشعر تنفعل النفوس وتتأثر القلوب والعقول(٣٦) .

ولكن الانفعال لا يحدث لمجرد الموسيقى التي تعتمد على الوزن والقافية وجرس الالفاظ والحروف ان لم تتدافع هذه الموسيقى زاخرة بالمعنى والصورة والخيال والعاطفة المثيرة . فان من أهم خصائص الشعر ان تصب معانيه في صور يعمل فيها الخيال جهده ويتموج فيها الشعور المثير أيا كان الموضوع الذي ترسمه وتصوره وتلونه .

لابد للشعر من تلك الصور التي تعتمد على ما يحسه الشاعر ويتخيله ، وليست الصور التي تعتمد على الحقائق المجردة كما هي وانما ينبغي ان تنبض بالحركة والحياة بما يتخللها من تشبيه واستعارة وتمثيل وبما يشيع فيها من الوان واصوات منسجمة وان لم تتقيد بالاصل الذي استوحته وبالحقيقة التي رسمتها لان الشعر فن ايحائي يمتاز بقوة الايحاء وذلك بما يتضمن من معنى خفي الى جانب المعنى الظاهر بحيث تثير الصورة الواحدة صورا وعواطف وأفكارا أخرى(٣٧) غير الافكار التي احتوتها التجربة في ظواهر الالوان والخطوط البارزة .

والصورة التي يرسمها خيال الشاعر في الاطار اللفظي قد تنقل الينا الفكرة التي انفعل بها ، كما تنقل الينا انفعاله بالذات ، فهي من القصيدة شخصيتها التي كونتها تلك المجموعة من الالفاظ المنسقة وهي التي تنقل الينا الشعور والفكرة .

ويتوقف عرض الصورة في اطارها المناسب على مقدار احساس الشاعر وتخيله لان الاحساس مصدر العمليات لادراك الاشياء ، وللادراك أثر كبير في الانتاج الادبي فاذا كان قويا واضحا استطاع الاديب أن يصف ما يحس وصفا دقيقا معبرا عن الواقع (٣٨) .

(٣٦) انظر موسيقى الشعر ــ د . ابراهيم انيس ــ ص ١٣ ط ٤ .
(٣٧) انظر ــ النقد الجمالي ــ ص ٩٥ ــ ٩٧ .
(٣٨) انظر ــ دراسة في علم النفس الادبي ــ ص ٣١ ــ ٣٢ .

وعن الادراك ينشأ التصور فيستحضر ما قد يغيب عن الحواس ثم تأتي العملية الثالثة وهي عملية التخيل الذي يتم به استحضار صور لم يسبق ادراكها في جملتها حسيا[٣٩] • ولا يكون ذلك الا حين يهب الشاعر ما ادركه حسيا معنى لا تدل عليه طبيعة المحسوس وانما تخليه وانتزعه من نفسه فأضافه الى المعنى المألوف •

ولا يكون الشاعر دقيق الوصف والتصوير الا بمقدار ما لديه من دقة في التخيل ولابد أن تكون الصور التي يستحضرها التخيل جديدة[٤٠] ، وأن يكون التركيب والتأليف بين العناصر المألوفة قابلا لان يؤدي عن طريق التخيل الى استخراج صورة قد تكون غير مألوفة ، أو انها ليست مما تنهض به المحسوسات لو تركت على ما تؤديه من معان وصور •

فالخيال اذن اساس الصورة الادبية مهما تكن درجته الفنية[٤١] ، ومهما بلغ به صاحبه من السمو أو التفاهة •

واذا كان التخيل أساس الصورة الادبية فأن للعاطفة شأنا مهما في تكوين الخيال الذي ينسق الصورة ويعرضها في أسلوبها المعبر فقد تكون العاطفة هادئة عابرة ، وقد تكون عميقة التأثر ويستتبع الهدوء والتأثر اختيار الالفاظ والتعابير المناسبة لكلتا العاطفتين ففي الاولى تكون الصورة قد أديت بالفاظ وعبارات سهلة في حين تحتاج الثانية الى الجزالة والقوة والى التمثيل والكنايات وغيرها •

وقد تختلف الصورة التي تعبر عن العاطفة الواحدة فتكون عند هذا الشاعر غيرها عند الاخر ان العاطفة نفسها تختلف باختلاف الشعراء ، ولان الشعراء أنفسهم ليسوا على مستوى واحد من التخيل « فالخيال موهبة تتباين قوة وضعفا وضيقا واتساعا لدى الادباء »[٤٢] •

---

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣ •

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٣٤ •

(٤١) اصول النقد الادبي ص ٢٤٣ ط ٥ •

(٤٢) في الادب الحديث ٢٥٢/٢ •

والشاعر الملهم هو الذي يسمو خياله الى ادراك الاشياء وما فيها من معان وأسرار ثم يجسدها ويؤلف منها صورا تثير في النفوس ما أثارته في نفس الشاعر • وبمقدار موهبة الشاعر وقدرته واستيعابه ثقافة عصره ومناحي تفكيره يكون تطور الصورة والخيال عنده •

فالتجديد في الصورة انما يكون في حيويتها المثيرة وفيما تنقله من عواطف ومشاعر وانفعالات صادقة لانها ليست مجرد رصف وحشد ، وانما هي في الغالب الاداة التعبيرية التي لا يقف القاريء أو السامع عند معناها المحدود ، بل يستتبع ذلك ما يثيره المعنى من معان أخر وبما يترك من مجال الاستنتاج والتفكير • فهي دليل موهبة الشاعر ومدى تجربته ووعيه ، فلا ينبغي أن تقف الصورة عند الرسوم والاشكال التي الفناها في الشعر القديم فلكل عصر شعور وتجارب فلابد أن تكون الصورة ــ بخيالها وعاطفتها وأدائها ــ حافلة بتجارب العصر وشعوره (لا التي طال عليها الامد وابتذلها الاستخدام لانها هي قيمة الشعر الفنية الجمالية التي يحسها من يقرأ ويدرك اسرارها من يستمع اليها من الادباء)[٤٣] •

ولا ينبغي للخيال كذلك أن يجمد على العواطف السقيمة المصطنعة التي تبقيه هزيلا لا يبني ولا ينشيء صورة حية ، وانما ينبغي ان يكون اثر الخيال واضحا فيما يبتكر من شخصيات قوية وما يصور من مشاهد توحي بالعواطف والانفعالات وتدفع الى التأمل والاستجابة •

ومما لا شك فيه ان أثر الخيال في الابتكار والتصوير أثر بارز لا ينكر في الآداب العالمية •

واذا كانت الصورة الادبية هي اللغة والخيال أو هي العبارة الخارجية للاحساس النفسي والاستبطان الشعوري فأن عليها أن تنقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة وأن يكون بينها وبين ما تصور من عواطف وانفعالات تناسب وتساوق وان تؤثر في النفوس تأثيرا فيه استجابة وتأمل وانفعال •

---

(٤٣) دراسات في علم النفس الادبي ، ص ١٣٤ .

٥ ـ عنصر الحرية في التجربة :

الحرية في الفن ـ أدبا أو غير أدب ـ نوعان : حرية تتصل بالفن نفسه ، ويقصدون بها تحرره من قيود المنفعة سوى اللذة الجمالية ولا غاية له سواها . ولعل هذا نابع من منطلق النظرة الجمالية التي تبعد الفن عن الالتزام لانها (تريد تحرير الفن من كل قيد خارجي يعوق فنية العمل الفني)[٤٤] . أي ان العمل الفني لا ينبغي ان يرتبط ـ عند هؤلاء ـ بأي مقياس اجتماعي . ومعنى هذا أن الابداع الفني مسألة ذهنية ليس لها أية غاية ، وقد تكون ـ وكثيرا ما تكون ـ منفصلة عن الواقع . هذه المقولة هي التي نادى بها (كانت) وبناها على اساس فكرة الجمال المطلق الحر[٤٥] .

وهي نظرية نسوقها هنا من غير أن نؤثرها أو نؤثر كل اجزائها وابعادها لانها قوبلت بكثير من الردود .

اما الحرية التي ندعو اليها هنا فهي حرية الفنان نفسه ، حين يشعر ويفكر وينتج سواء أكان كاتبا أم شاعرا أم كان غير هذين ، فنبعد عنه اشباح المؤثرات التي تبعثر الاخيلة والصور وتشتت الافكار وتعوق عملية الانتاج أي : أننا نبعد عنه أي تأثير خارجي فيه اكراه وقسر أو فيه عنت وتخويف ، ولكننا لا نتركه ينطلق مع حرية الفن على طريقة (كانت) ، بل ينبغي أن يكفل المجتمع حريته في إطار المجتمع نفسه وبمقدار علاقة الاديب بذلك المجتمع .

ان حرية الاديب فكرة تبناها كثير من الادباء ومنهم الدكتور طه حسين . فقد قال :

« وأول ما ينبغي أن تكفله الجماعة المتحضرة للاديب هو الحرية ، وأريد الحرية الحرة التي يأمن معها الغوائل ولا يتعرض معها لشر أو هوان... وربما كانت الحكومات في هذا العصر أقل خطرا على حرية الادباء والفلاسفة وأصحاب الفكر من الجماعات »[٤٦] .

---

(٤٤) فلسفة الالتزام في النقد الادبي ، ص ٣٥ .

(٤٥) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٤٦) المجموعة الكاملة ـ المجلد ١١/٦٠٤ ـ ٦٠٥ . بيروت ، دار الكتاب اللبناني .

ان تلك النظريات التي عرضناها في تفسير معنى التجديد يتوقف مدى تحقيقها لدى الاديب والشاعر أو أي فنان على مدى الحرية التي يجدها كل واحد من هؤلاء ، فبدون الحرية في الحياة والفكر لا ينشأ تجديد في الادب بكل ابعاد التجديد . حقا قد ينشيء الحرمان والاضطهاد ادبا عاليا ولكن هذا الادب قد يكون ذاتيا لا يمثل الا صاحبه .

خاتمة البحث :

قلنا في بداية البحث اننا نترك جانب التطبيق لان فيه اطالة في الدراسة، وتقيدا بنماذج معينة قد يفضل عليها القاريء أو الدارس نماذج اخرى لها علاقة بذوقه وميله الفني .

ولكننا نود في هذه الخاتمة القصيرة ان نشير بايجاز الى مدى التطور الذي حدث في الادب العربي حين نعرضه على تلك الاسس . ولكي نربط بين الاسس التي وضعناها للتجديد وبين عصور الادب العربي ، نقول : ان قوالب الشعر ومعانيه وموضوعاته وصوره واخيلته لم تبق على نسق واحد فقد حدث لبعضها تطور واسع نتيجة لتطور المجتمع حضارة وثقافة فبرزت قوالب جديدة في العصر العباسي وهجر الكثير من القوالب التي عرفت في العصر الجاهلي وما بعده بقليل وتركت الفاظ كثيرة كانت شائعة في الشعر الجاهلي ولم يبق لها مكان في عصر الحضارة والتطور الفكري . واستحدثت معان جديدة واكب فيها الشعراء ما جد في حياتهم وما طرأ من ثقافة وعلوم وفلسفة . وتطورت الموضوعات القديمة واستحدثت موضوعات جديدة في الغزل والخمر والمجون والاخوانيات والحكم وفي السياسة ايضا . أما الصور والاخيلة ، فانها انتقلت من البساطة الصحراوية الى التأمل والعمق تبعا لعمق الافكار والمعاني ، حتى كاد الشعر ينتقل من غموض المفردات ووحشيتها الى التعقيد وتشابك المعاني بحيث يصعب حلها وتفسيرها على غير المطلعين على دخائل النفوس وقضايا الفكر والمجتمع .

ولقد كان الخيال الذي ترتبط به الصورة أوثق الارتباط متنوعا غير محدود عند العرب فأنهم قفزوا به الى اصطناع المستحيل في كثير من المواطن حتى في العصر الجاهلي فقد أنطقوا الحيوانات وأجروا على السنتها الحوار وأنطقوا الجماد والاشجار والسيف والقلم ، وابتكروا الشخصيات التي لا وجود لها في دنيا الحقيقة ، وهم بهذا وذلك قد استخدموا الخيال الممكن والمستحيل على السواء . فابتكار الشخصيات والحديث اليها عمل ممكن الوجود . أما انطاق الحيوان والجماد فهو من المستحيل ، ولعل في قصص الحيوان وفي المقامات وسيرة عنترة وألف ليلة وليلة غزارة وفيضا من النماذج التي تمثل ألوان الخيال عند العرب ومدى صلة تلك الالوان بالخلق والابداع وبالتجديد في الادب شعرا ونثرا .

مراجع البحث

الادب المقارن ـ د . محمد غنيمي هلال ـ بيروت ـ دار العودة ودار الثقافة ط٥.

اسرار البلاغة ـ عبدالقاهر الجرجاني . القاهرة ـ مطبعة الاستقامة د ـ ت .

اسس النقد الادبي عند العرب ـ د . احمد محمد بدوي ط١ . القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٩٦٠ م .

الاسلوب ـ احمد الشايب ـ ط ٥ . القاهرة ، مطبعة السعادة ـ د ـ ت .

اصول النقد الادبي ـ احمد الشايب . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٥م ط٥.

تيارات ادبية ـ د . ابراهيم سلامة . القاهرة ـ مطبعة احمد مخيمر ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ م .

ثورة الادب ـ د . محمد حسين هيكل . القاهرة ـ مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٥ م ط ٣ .

الحيوان ـ للجاحظ ج ٣ ط ٢ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٩ م .

دراسات في علم النفس الادبي ـ حامد عبدالقادر . القاهرة ، المطبعة النموذجية د ـ ت .

شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ــ عباس محمود العقاد . القاهرة ، مطبعة لجنــة البيان العربي ١٩٦٥ م ط ٣ .

شياطين الشعراء ــ د . عبدالرازق حميدة . القاهرة ، مطبعة الرسالة .

عابر سبيل ــ عباس محمود العقاد . القاهرة ــ مطبعة لجنــة البيــان العربي ١٩٦٥م ط٣ .

العمــدة ــ ابن رشيق القيرواني ــ تحقيق محمــد محيي‌الدين عبدالحميــد . بيروت ، دار الجبل ١٩٧٢ م ط ٤ .

فلسفة الالتزام في النقد الادبي ــ د . رجاء عبيد . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٤ م .

فن الأدب ــ من مختارات شوبنهاور ــ تعريب شفيق عقار . القاهرة ــ الدار القومية للطباعة والنشر .

الفن ومذاهبه في الشعر العربي ــ د . شوقي ضيف . القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٠ م ط ٤ .

في الادب الحديث ــ عمر الدسوقي . القاهرة ، مطبعة الرسالة ١٩٥٥ م ط ٢ .

قواعد النقد الادبي ــ آسل ابر كرمبي ــ تعريب د . محمــد عوض محمــد . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤ م .

كتاب الصناعتين ــ لابي هلال العسكري . القاهرة ، دار احياء الكتب العربيــة ١٩٥٢م ط ١ .

المجموعة الكاملة ــ د . طــه حسين ، المجلــد ١١ . بــيروت ــ دار الكتــاب اللبنــاني .

من ادبنا المعاصر ــ د . طــه حسين . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨م ط ١ .

موسيقى الشعر ــ د . ابراهيم انيس . القاهرة ، المطبعــة الفنيــة الحديثة ١٩٧٢م ط ٤ .

نظرية الادب ــ اوستن وارين . و رينيه ويليك . تعريب محيي الدين صبحي . بيروت مطبعة خالد الطرابلسي ١٩٧٢م .

النقد الادبي ــ اصوله ومناهجه ــ سيد قطب . القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٤٧ .

النقــد التحليلي ــ محمد احمد الغمراوي . القاهرة ، المطبعة السلفية ١٩٢٩م .

النقد الجمالي واثره في النقد العربي ــ روز غريب . بيروت ، دار العلم للملايين .

الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥م ط١ .

استخدام التصوير الجوي في اعداد الخرائط
الطبوغرافية في العراق

الدكتور فلاح شاكر اسود
استاذ مساعد / قسم الجغرافيا
كلية الآداب

المقدمـــة

المسح الجوي علم يبحث في اعداد الخرائط باختلاف أنواعها ومقاييسها من الصور الجوية وقد تعددت فروعه الى : ـــ

١ ـــ الفوتوكرامتري Aerial photogrammetry وهي القياسات على الصور الجوية التي هي هندسة تحليلية صرفة •

٢ ـــ تفسير الصور الجوية photo Interpretation لتعيين المعالم المقيسة على الصور الجوية •

٣ ـــ الملاحة الجوية Navigation وهي قيادة الطائرة الى المنطقة المراد تصويرها بعد تحديد ارتفاع الطائرة واتجاهها الصحيح اثناء الطيران •

٤ ـــ التصوير الجوي Aerial photography وغرضه تمثيل اكبر عدد ممكن من العوارض على الصور الجوية بوضوح وبأصغر عـــدد ممكن من التصوير ، وبأقل عدد من نقاط الضبط الارضي ، وبأقل عمل لآلات التحشية الارضية •

ولم يقتصر التصوير على الموجات في الضوء المرئي (٤٧ر٠ — ٦١ر٠) مايكرون بل تعدتها الى موجات اطول اخرى . فأشعة كاما استخدمت للكشف عن اليورانيوم ، والاشعة فوق البنفسجية تستخدم لغرض التنبؤات الجوية ، والاشعة فوق الحمراء تستخدم للبحث عن البراكين والحرائق في الغابات ، والرادار في معرفة جيولوجية الارض ، والامواج الاطول التي يبلغ طول الواحدة منها ١٠٠م في سير المنزلقات الجليدية ومعرفة الامطار والمياه الجوفية. والامواج الطولى من هذه الى حد الامواج الراديوية في الرصد الفلكي ومراقبة النجوم ، والامواج المرتدة في تصوير قعر البحار . واستخدمت اجهزة في غاية الدقة ربطت بالاقمار الصناعية مع حاسبات الكترونية تبث المعلومات من هذه الاقمار الى المحطات الارضية ، كما انها تستطيع التصوير اثناء الليل والنهار وفي الاجواء الجيدة والرديئة[١] .

وفي دراستنا للصور الجوية واستعمالاتها في الجغرافية لابد ان نميز بين الصور التي تؤخذ من الطائرة وتلك التي تؤخذ من الارض ، فالصور الاخيرة متوفرة في مجالات عديدة كالصحف والمجلات ولا يحتاج فهمها او ادراكها الى تدريب خاص ، ويصدق القول نفسه بالنسبة للصور التي تؤخذ من نافذة الطائرة ، أما الصور التي تؤخذ لاغراض علمية فانها تصور بآلة التصوير الموجهة مباشرة نحو الارض ، وتبين هذه الصور سطح الارض ولكن بصورة غير شائعة ، اذ تبين سطح الارض بشكل خارطة مصورة[٢] .

لقد تميز التصوير الجوي عن طرق المساحة العادية بالمميزات الآتية :

١ — اختصار الوقت كثيرا عن الوقت المستغرق في طرق المساحة الارضية لاي منطقة .

---

(١) خالد هلال سرحان ، مبادىء المسح الجوي — مطبوع بالرونيو ، بغداد ١٩٧٨ ص ١ — ٢ .

(٢) B.J. Garnier, pratical work in Geography, London 1966, p. 120.

٢ ـ الاقتصاد الكبير في التكاليف التي يتطلبها المسح الارضي وخصوصا في المناطق الوعرة والجبلية التي تنتشر فيها العوارض الطبيعية كالغابات والاهوار وغيرها .

٣ ـ الدقة التي نحصل عليها من التصوير الجوي ، وتصل بالنسبة للعوارض باستخدام الفلم ٢٠ مايكرون ، وللارتفاعات الى (٥) بالالف لكل ميل من ارتفاع الطائرة .

٤ ـ ملافاة الظروف الجوية السيئة كالبرودة القارصة في فصل الشتاء ، والحرارة الشديدة في فصل الصيف ، والرياح القوية ، التي يتعرض لها المساح بالحقل .

٥ ـ سهولة تصوير المناطق التي يصعب على المساح تصويرها او الوصول اليها كالقمم الجبلية ، والمناطق التي تغمرها المياه والاراضي الصحراوية الشاسعة وغيرها .

ويستفاد من المسح الجوي في اغراض عديدة تشمل اعداد الخرائط لمواقع الخزانات والسدود ، واعداد خرائط طوبوغرافية بفترات كنتورية صغيرة جدا قد تصل الى اقل من ربع متر ، وله اهمية في العمليات الحربية اذ انها تزود الجيوش بخرائط مساحية يمكن بها معرفة تجمعات العدو ، ومواقعه وتخزين الذخائر والطائرات الرابضة في المطارات ومعرفة طبيعة الارض في المنطقة لتحديد الرماية وتحركات القوات ونتائج الغارات الجوية [٣] .

كما يستفاد من المسح الجوي في تخطيط المشاريع الهندسية المختلفة التي تشمل [٤] :

---

(٣) الدكتور علي شكري ـ المساحة المستوية والتصويرية (مطبعة جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية ١٩٦٠ ص ٢٠٨) .

(٤) محمد عبدالفتاح ـ المساحة الجوية كاسلوب حديث لتخطيط المشروعات الهندسية . منشورات المؤتمر الهندسي التاسع (١٣ ـ ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ص ١١ ـ ١٩) .

أ ـ تخطيط الطرق وخطوط السكك الحديدية ، وخصوصا الطرق التي تمر من المناطق الجبلية والصحراوية والمزروعة ، وذلك باجراء التخطيط الابتدائي والنهائي ، حيث تصور المنطقـــة بين طرفي الطريق لاجراء الدراسات الاستكشافية التي يحدد على ضوئها محاور الطريق ، ثم تصور هذه المحاور بمقياس اكبر للاختيار النهائي الذي يحقق انسـب تخطيط اقتصادي للطريق ، ويتم هذا الاختيار على اساس التربة التي سينشأ عليها الطريق وانواع الصخور الموجودة لاجل تصميم اســاس الطريق ومعرفة اماكن وجود مواد البناء من الصخور والحصى والاحجار القريبة من مكان العمل ودراسة الظواهر الطبوغرافية ومجاري الســيول التي تعترض الطريق لاجل تحديد الجسور والقنوات وتقدير التكاليف وحساب مكعبات الحفر والردم وتعميم المنشآت ٠

ب ـ تخطيط المدن : ويستفاد من الصور الجوية في شق الطرق وانشاء الميادين بأسرع الوسائل واكثرها اقتصادا ، وفي حالة التخطيط لمدينة جديدة فان الصور الجوية تنفرد بسهولة تحديد الكيفية التي تستغل بها الارض المختلفة واتجاه المدينة واختيار اماكن الاحياء المتجانسة وتخطيط شبكات المياه والمجاري وتصميمها بتقدير اقطار انابيب المياه التي تمتد الى كل حي من هذه الاحياء المتجانسة كما يسهل معرفة عدد المنازل ومن ثم يعرف عدد السكان بكل كتلة سكنية ٠ وبذلك يمكن تصميم شبكة تصريف المياه ، كما تستخدم الصور الجوية بنجاح كبير في اقامة شبكات الكهرباء وخصوصا في المناطق الجبلية ٠

جـ ـ اختيار مواقع المطارات : حيث يستفاد من الصور الجوية في اختيـــار مدارج الهبوط وخصوصا اذا كانت المنطقة المحيطة بالمطار ذات طبيعة طبوغرافية غير منتظمة حيث يدرس مجال اقتراب الطـائرة من المطار ، وابتعادها عنه في حالتي الهبوط والانطلاق ٠

د ـ اختيار مواقع الخزانات والسدود وتخطيط شبكات الري والصرف ، وذلك بالاستفادة من الصور الجوية في معرفة طبوغرافية جوانب النهر ، وحساب عرض النهر والمنطقة المحيطة به لحساب قدرة المنطقة على الخزن، كما يستفاد من التصوير في أعمال التخطيط الابتدائي للقنوات والمصارف الرئيسية والفرعية لتسهيل عملية التخطيط في الاراضي المستوية ذات المعالم الكثيرة مثل الاراضي الزراعية والقرى •

هـ ـ استصلاح الاراضي : وذلك بدراسة تصنيف التربة لمعرفة مدى صلاحيتها لزراعة المحاصيل المختلفة ، وتحديد مساحات اكثر ملائمة لانواع المحاصيل المختلفة اضافة الى تخطيط الترع والمصارف الرئيسية والفرعية• ولكل صورة جوية مقياس رسم حسب الغرض من التصوير، وهذا المقياس هو النسبة بين البعد البؤري لآلة التصوير المستخدمة لهذا الغرض وبين الارتفاع الذي اخذت منه الصورة •

وتشمل مقاييس الصور الجوية ما يأتي(٥) :

١ ـ مقاييس ١ : ٤٠٠٠٠ و ١ : ٥٠٠٠٠ وهو اصغر المقاييس ويستعمل في اعداد الخرائط وفي الاستكشافات الجيولوجية واختيار مواقع طرق المواصلات •

٢ ـ مقاييس ١ : ٢٥٠٠٠ وهو المقياس المتوسط والحد الادنى من المقاييس المستعملة في التحليل المفصل للاغراض الجيولوجية والتربة والجغرافية والغابات •

٣ ـ مقياس ١ : ٢٠٠٠٠ وهو المقياس المتبع على نطاق واسع في تفسير الصور الجوية للاغراض الزراعية التي لا تتطلب دقة عالية •

---

(٥) الدكتور عبدالكريم توما ـ المساحة المستوية والطبوغرافية ، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٧٥ ص ٣٢٢ •

٤ ــ مقياس ١ : ١٥٠٠٠ وهو مقياس واسع الانتشار يستعمل في اعـــداد الخرائط ذات المقياس المتوسط ، وفي التحليل التفصيلي الخاص بشؤون الجيولوجيا والتربة والغابات والمعالم الظاهرة على سطح الارض •

٥ ــ مقياس ١ : ١٠٫٠٠٠ وهو المقياس المستعمل في اعداد الخرائط الكبيرة المقياس وفي التحليل التفصيلي للغابات والجيولوجيا والمدن واختيـار مواقع الطرق وشبكات الكهرباء •

٦ ــ مقياس ١ : ٥٫٠٠٠ وهو المقياس المستعمل في اعداد الخرائط والمخططات الهندسية والخرائط التفصيلية الاخرى الكبيرة المقيـــاس ، وللتحليل التفصيلي لبعض المواقع ذات الاهمية الخاصة كالمدن والمشاريع الصناعية وتقاطع الطرق وغيرها •

ونظرا لان تصوير جميع الظواهر الارضية لم يكن بوضع عمودي مما يؤدي الى ظهور تشويه أو ميلان الاجسام كلما ابتعدنا عن مركز الصورة الجوية باتجاه الحافات لذا فان سلسلة من الصور تؤخذ عادة بشكل متلاحق بحيث تغطي كل صورة تلك التي تليها بمقدار ٦٠٪ من الجوانب و ٢٥ ــ ٣٠٪ من الاطراف ، فيظهر كل جسم مرتين على صورتين منفصلتين لاجل الاستفادة من ذلك في تحقيق التجسيم •

ولا بد من تحديد وقت الطيران وخطوطها عند القيام بعملية المسح بحيث يحدد اليوم والوقت ووضع الكامرة ومسارات الطائرات التي تقوم بالتصوير •

ولا يمكن الحصول على الخريطة مباشرة من الصورة بمجرد الشف عليها، لان الصورة الجوية تختلف عن الخريطة ، فالصورة عبارة عن مسقط مخروطي في حين تكون الخريطة عبارة عن مسقط عمودي ، ويظهر هذا الاختلاف واضحا اذا كانت الاراضي التي صورت تحتوي على أهداف ذات ارتفاعات مختلفة(٦) •

---

(٦) الدكتور علي شكري، المساحة المستوية والتصويرية مصدر سابق ص٢٤٣ •

ولعمل خرائط من الصور الجوية لابد من اتباع الخطوات التالية :

١ ـ ملاحظة وجود نقاط التثليث الارضية على الصور الجوية حتى تتم عملية الربط الارضي •

٢ ـ طبع الصور على الواح زجاجية Glass plates لاجل ارجاع الاشعة ، واستخدام هذه الالواح على آلات تحويل الصور الى خرائطها على ان تكون كل صورتين متتاليتين حتى يتكون الموديل •

٣ ـ ارجاع الصورة الجوية الى وضعها الاصلي اثناء القيام بعملية التصوير، وذلك باجراء العمليات الثلاث ، التوجيه الداخلي والتوجيـــه النسبي والتوجيه المطلق •

٤ ـ تمرر العلامة العائمة الموجودة في آلة الرسم على العوارض الموجودة في الصورة الجوية فيقوم الراسم بالرسم على الورقة المعدة لهذا الغرض بالمقياس المطلوب •

استخدام المسح الجوي في العراق

استخدم التصوير الجوي لغرض المسح في العراق بشكل متفرق قبل عام ١٩٥٠ ولاغراض مختلفة ، وبشكل محدود • ولكن الاستخدام الواسع بدأ بعد هذا التاريخ عندما تألف مجلس الاعمار عام ١٩٥٠ ، وصورت مناطق عديدة ولاغراض مختلفة ، وشمل المسح الجوي الاغراض التالية :

١ ـ تخطيط المشاريع الروائية مثل مشروع بحيرة الحبانية الذي صور عام ١٩٤٧ ، ومشروع تغذية العظيم ومشروع الزاب الصغير اللذين صورا عام ١٩٥٢ ، ثم اعقب ذلك تصوير العديد من المشاريع الاروائية المهمة في العراق والتي سيتناولها البحث •

٢ ـ تحديد مواقع السدود ، مثل سد دوكان وسد العظيم اللذين صورا سنة ١٩٥١ •

٣ ــ تحديد سعة الخزانات مثل خزان دربندخان سنة ١٩٤٧ ، وخزان بخمة سنة ١٩٥١ وخزان دوكان سنة ١٩٥١/١٩٥٢ .

٤ ــ تطوير المنطقة مثل تطوير منطقة اسكي كلك التي صورت سنة ١٩٥٣ ، ثم صورت مناطق عديدة بعد ذلك لنفس الغرض . ولتهيئة خرائط دقيقة ومفصلة للشركات الاستشارية التي بدأت بدراسة مختلف مناطق العراق .

٥ ــ استصلاح الترب مثل مشروع ترب العراق Z.A.D. التي صورت سنة ١٩٥٤ وبلغت المساحة المشمولة بهذا التصوير ٢٢ ألف كم٢ .

٦ ــ تحديد مواقع الكثبان الرملية في منخفض الشاري لمساحة تبلغ ٦٩٦ كم٢، والتي صورت سنة ١٩٥٢ .

٧ ــ تحديد خط انابيب البترول في بغداد ، وقد صور سنة ١٩٥٢ .

٨ ــ تطوير ميناء البصرة لمساحة تبلغ ٣٨ كم٢ في عام ١٩٥٣ .

٩ ــ مشاريع جيولوجية وهندسية عديدة مثل مشروع باي حسن ومشروع ابي غريب اللذين صورا عام ١٩٤٧ ، ومشروع جنبور سنة ١٩٥٤ .

١٠ــ تنظيم الطرق وشقها وخصوصا في المنطقة الجبلية مثل تنظيم طريق عقرة ــ بخمة الذي صور سنة ١٩٥٢ ضمن منطقة مشروع الخمس سنوات .

ونظرا لمباشرة العراق في اعداد خرائط طبوغرافية من الصور الجوية فقد تأسس قسم المسح الجوي والطبوغرافي عام ١٩٥٧ كوسيلة لتوسيعه وزيادة الاعتماد عليه ، وحددت واجباته بالقيام بجميع المسوحات العامة الجوية وجميع أنواع الاعمال الحقلية المتعلقة بتلك المسوحات ، ومسح الارتفاعات ورسم خطوط المنحنيات واستخراج قيم الارتفاعات وزود بأحدث الآلات التي تحول الصور الجوية الى خرائط طبوغرافية بمقاييس مختلفة(٧) .

---

(٧) جريدة الوقائع العراقية العدد ١٤٣ في ١٨ــ٣ــ١٩٥٩ .

وقد ازدادت أهمية هذا الجانب في الآونة الاخيرة بعد التوسع في مشاريع الري والصرف في العراق ، وظهور المشاريع الزراعية العديدة ، واستصلاح التربة ، وتخطيط المدن ، واحتياج مختلف الوزارات الى خرائط طبوغرافية تستند عليها في دراساتها كل حسب اختصاصها لاجل دعم خطط التنمية الاقتصادية الواسعة التي يمر بها القطر .

وبعد تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي عام ١٩٥٨ ازدادت الحاجة الى التصوير الجوي لتوفير خرائط حديثة لهذه المناطق بعد ان أصبحت الخرائط السابقة المستندة على مسوحات قديمة يعوزها الدقة وقلة التفاصيل .

وكانت المساحة التي شملها المسح الجوي قبل تنفيذ القانون صغيرة تقرب من ٩٦٠٠٠ كم٢ ، تشمل المحافظات الشمالية الاربعة (كركوك(*)، السليمانية، اربيل ، الموصل) ، ومنطقة اسكي موصل ودمير قبو ، ووادي الثرثار ، واعالي الفرات ، وهور الحمار ، وقد نظمت لها خرائط حديثة ودقيقة استعملت لمختلف المشاريع التي جرت في هذه المناطق ، وبعد عام ١٩٥٨ رصدت المبالغ للخطة الاقتصادية المؤقتة لمسح ما تبقى من العراق وتنظيم خرائط جوية حديثةودقيقة تفي بجميع الاغراض ، وخاصة مشاريع الاصلاح الزراعي والمشاريع العمرانية الاخرى[٨] .

واذا استثنينا فترة التصوير ومقياس الرسم ، فان للعراق الآن غطاء كاملا من الصور الجوية والخرائط الطبوغرافية المستندة عليها ، اما اعداد خرائط موحدة لكل العراق وبمقياس واحد فما زالت هذه الامور غير متوفرة فيالوقت الحاضر رغم ان ذلك سوف يتحقق في المستقبل .

(*) اصبحت الآن محافظة التأميم .

(٨) مؤسسة الاصلاح الزراعي ، قسم التخطيط والبحوث ، المسوحات العامة والطبوغرافية ــ مجلة الاصلاح الزراعي في اعوام السنة ، مطبوع بالرونيو، ١٩٦٤ ، ص ٦٢ .

تطبيقات المسح الجوي في اعداد الخرائط الطبوغرافية العراقية(*)

١ ــ خرائط ١ : ١٠٠٠٠٠

وتغطي اغلب أقسام العراق عدا الهضبة الغربية الشمالية والجنوبية،وهي منطقة صحراوية ، ويبلغ عدد هذه الخرائط ١٣٤ خريطة • وتحتوي هــــذه الخرائط على احدث المعلومات بالنسبة الى العوارض وطبيعة الارض ، وقد صدرت هذه الخرائط بشكل ملون وهي :

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
جي ٣٧ اكس	ش ش	گوهبل
	ش غ	بئر قاسم
	ج ش	سنجار
	ج غ	بـــاره
جي ٣٨ ايم	ج ش	زاخو
	ج غ	فيش خابور
جي ٣٨ اين	ج ش	بيبو
	ج غ	العمادية
جي ٣٨ او	ج ش	خزنة
	ج غ	كاني رەش
جي ٣٨ اس	ش ش	دهوك
	ش غ	ربيعـــة
	ج ش	بادوش
	ج غ	تلعفر

(*) اعتمدت ارقام الخرائط واسماؤها على الدراسة الميدانية للباحث .

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
جـ ٣٨تي	ش ش	عقرة
	ش غ	عين سفني
	ج ش	كلك
	ج غ	الموصل
جي ٣٨ يو	ش ش	راوندوز
	ش غ	زيبار
	ج ش	كويسنجق
	ج غ	اربيل
جي ٣٨ ڤي	ش غ	حاج عمران
	ج غ	قلعة دزة
جي ٣٧ ايف	ش ش	سنيسلة
	ش غ	وادي العجيج
	ج ش	المنايف
	ج غ	پواره
آي ٣٨ أي	ش ش	الحضر
	ش غ	شرى
	ج ش	البريت
	ج غ	عين طرطاوي
آي ٣٨ بي	ش ش	مخمور
	ش غ	القيارة
	ج ش	الفتحة
	ج غ	الشرقاط

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ سي	ش ش	جمجمال
	ش غ	التون كوبري
	ج ش	قادر كرم وليلان
	ج غ	كركوك
آي ٣٨ دي	ش ش	بنجوين
	ش غ	السليمانية
	ج ش	حلبجة
	ج غ	قرهداغ
آي ٣٨ إي	ش غ	ميشياف
	ج غ	خورمال
آي ٣٧ كي	ج ش	حصيبة
	ج غ	الرطيمي
آي ٣٧ أيل	ش ش	أم عذى
	ش غ	البو فارس
	ج ش	عنـه
	ج غ	القائم
آي ٣٨ جي	ش ش	الديكاني
	ش غ	الشعباني
	ج ش	ابو سمك
	ج غ	حديثة

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ ايج	ش ش	تكريت
	ش غ	بيجي
	ج ش	سامراء
	ج غ	عين الفرس
آي ٣٨ آي	ش ش	طوزخرماتو
	ش غ	پاره پاره
	ج ش	قره تبة
	ج غ	بلد
آي ٣٨ جي	ش ش	قره‌تو
	ش غ	قلعة شيروانة
	ج ش	كاني بز
	ج غ	خانقين
آي ٣٧ كيو	ش ش	رُتقة
	ش غ	بير الراح
آي ٣٧ آر	ش ش	المدحام
	ش غ	اييج ١
آي ٣٨ ايم	ش ش	هيت
	ش غ	قصر الخباز
	ج ش	ابو جير
	ج غ	عشوة

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ اين	ش ش	اللبّاد
	ش غ	بحيرة الثرثار
	ج ش	الفلوجة
	ج غ	الرمادي
آي ٣٨ او	ش ش	بعقوبة
	ش غ	سميكة
	ج ش	سلمان باك
	ج غ	بغداد
آي ٣٨ بي	ش ش	مندلي
	ش غ	بلدروز
	ج ش	بدرة
	ج غ	هور الشويجة
آي ٣٨ كيو	ج غ	زرباطية
آي ٣٨ اس	ش ش	كاره الشطب
آي ٣٨ تي	ش ش	هور ابو دبس
	ش غ	شثاثة
	ج ش	قصر الاخيضر
	ج غ	الملوتيان

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
آي ٣٨ يو	ش ش	الصويرة
	ش غ	كربلاء
	ج ش	الهاشمية
	ج غ	الحلة
آي ٣٨ ڤي	ش ش	جصان
	ش غ	العزيزية
	ج ش	الكوت
	ج غ	عفك
آي ٣٨ دبليو	ش ش	خزينه
	ش غ	شيخ سعد
	ج ش	علي الغربي
	ج غ	الحي
آي ٣٨ اكس	ش غ	وادي ابو غريب
	ج ش	شيخ فارس
	ج غ	الطيب
ايج ٣٨ بي	ش ش	رهيماوي
أيج ٣٨ سي	ش ش	الديوانية
	ش غ	النجف
	ج ش	ام رحل

الرقم الفهري	الاتجاه	اسم الخريطة
ايج ٣٨ دي	ش ش	الفجر
	ش غ	الرميثة
	ج ش	الخضر
	ج غ	السماوة
ايج ٣٨ إي	ش ش	الميمونة
	ش غ	ارفاعي
	ج ش	البو صالح
	ج غ	الناصرية
ايج ٣٨ ايف	ش ش	هور الحويزة
	ش غ	العمارة
	ج ش	البيضة
	ج غ	القرنة
ايج ٣٨ جي	ش ش	الگصير
	ش غ	الاشعلي
ايج ٣٨ كي	ش ش	الجبايش
	ش غ	سوق الشيوخ
ايج ٣٨ ايل	ش ش	الهارثة
	ش غ	المدينة
	ج ش	البصرة
	ج غ	الرميلة
ايج ٣٩ جي	ج غ	السيبة

ويوضحها الشكل رقم (١)

(شكل رقم ١)

٢ ـ مشروع الخمس سنوات

وهو من المشاريع الذي اخرجته مديرية التسوية العامة في اواخر سنة ١٩٥٠ لغرض انهاء معاملة التسوية في البلاد بسرعة توخيا للفوائد الاقتصادية، وتأمينا للاستقرار الاداري والعشائري[٩] •

يغطي هذا المشروع القسم الشمالي الشرقي من العراق • وقد قامت بتصويره شركة هنتك خلال الفترة من تشرين اول عام ١٩٥١ لغاية آب ١٩٥٢، بصور جوية ذات مقياس ١ : ٤٠٫٠٠٠ ، ثم كبرت الى خرائط طبوغرافية بمقياسين هما ١ : ٢٠٫٠٠٠ لكل المنطقة و ١ : ١٠٫٠٠٠ لقسم منها •

وتعتبر هذه الخرائط عمومية لاغراض مختلفة (ارواء ، صرف ، اسكان، مشاريع هندسية ، جيولوجي ••) وقد صورت هذه المنطقة لوزارة الاعمار سابقا والملغاة حاليا ، لذا فان هذه الخرائط أصبحت لها فائدة بالنسبة لكافة الوزارات والمؤسسات ، لان الخرائط التي اعدت تعد خرائط اساسية ، ولم يتوفر موزاييك(*) للمنطقة •

ويبلغ عدد الخرائط ٣٩٧ خريطة تغطي مساحة ٢٩٤٠٠كم^{2} ، ويوضح الشكل رقم (٢) موقع هذه الخرائط •

---

(٩) مديرية التسوية العامة ، دراسات عن اعمال تسوية حقوق الاراضي في العراق ، مطبعة العاني بغداد ١٩٥٥ ، ص ١٧ .

(*) الموزاييك : مجموعة من الصور الفوتوغرافية المتتابعة في شريط واحد او عدة أشرطة متجاورة . تصغر او تكبر بنفس المقياس بحيث تصبح صورة واحدة لمسافة واسعة من الارض ، ويقسم الى موزاييك مربوط اذا وجدت فيه نقط الاحداثيات ، وموزاييك غير مربوط اذا خلا من هذه الاحداثيات.



(شكل رقم ٢)

وفيما يلي اسماء الخرائط وارقامها التي تغطي المنطقة :

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
٦١	٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ .
٦٢	٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ .
٦٣	٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ .
٦٤	٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ .
٦٥	٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ .
٦٦	٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ .

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
٦٧	٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ .
٦٨	٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٢٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ .
٦٩	٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ .
٧٠	٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ .
٧١	٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ .
٧٢	٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ .
٧٣	٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ .
٧٤	٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ، ٧٨٠ .
٧٥	٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٥٠ ، ٧٦٠ ، ٧٧٠ ، ٧٨٠ .
٧٦	٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ ، ٧٢٠ .
٧٧	٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧١٠ .
٧٨	٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ .

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
٧٩	٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ .
٨٠	٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ .
٨١	٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠ .
٨٢	٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٨٠ .
٨٣	٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ .
٨٤	٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ .
٨٥	٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ .
٨٦	٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ .
٨٧	٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ .
٨٨	٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ .

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
٨٩	٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ •
٩٠	٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ •
٩١	٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ •
٩٢	٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ •
٩٣	٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ •

٣ ـ مشروع اسـكي موصل

يعد هذا المشروع مهما من ناحيتين هما :

١ ـ الناحية الزراعية : وتقع منطقة المشروع على جانبي نهر دجلة في محافظة الموصل شمال العراق ، وتشمل مساحة ١٫٠٣٧٫٠٠٠ دونم ، موزعة على ثلاثة مناطق • تقع الاولى على الضفة اليمنى من النهر وتشمل مساحة ١٠٠ الف دونم ويطلق عليها منطقة الشمال ، تقع شـمال غرب الموصل بحوالي ٨٠ كم ، وتمتد حتى قرب الحدود السورية ، وهي من الاراضي القابلة للارواء ، ذات التربة العميقة الخصبة ، لذا فهي تعد من المناطق الاروائية المهمة في شمال العراق • والمنطقة الثانية تشمل المنطقة الغربية التي تبلغ مساحتها حوالي ٨٠٠ الف دونم في منطقة الجزيرة ، واناحياءها

سوف يؤدي الى توسيع الاراضي الزراعية في العراق ، لانها تشغل حاليا جزءا من المنطقة الصحراوية في بادية الجزيرة ، وسوف يمتد اليها مأخذ مياه لاروائها من منطقة (نجمة) قرب (القيارة) جنوب الموصل خلال اراضي تلعفر وسهل سنجار ، وان اكمال سد اسكي موصل سوف يؤدي الى تطوير هذا الجزء . أما المنطقة الثالثة فتقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة وتمتد من خورسباد Kharsabad في الشمال حتى التقاء الزاب الكبير في الجنوب ، وتشمل مساحة ١٣٧ الف دونم ، ويعد نهر دجلة المصدر الرئيسي لهذا المشروع الاروائي[١٠] .

٢ ـ اختيار موقع السد : حيث يقع سد اسكي موصل المقترح شمال غرب مدينة الموصل بحوالي ٤٠ كم ، وسيؤدي الى حجز المياه وتوزيعها وخصوصا للمنطقتين الشرقية والغربية .

قامت بتصوير هذه المنطقة البالغة مساحتها ٧٢٥٢ كم٢ شركة فيري البريطانية في شباط ١٩٥٦ ، بصور ذات مقياس ١ : ٣٢٠٠٠ ، ثم حولت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠٫٠٠٠ تغطي كل المنطقة ، ومقياس ١ : ١٠٫٠٠٠ لجزء منها ، وهي خرائط غير كنتورية مكبرة من خرائط ١ : ٢٠٫٠٠٠ السابقة ، وغرضها توضيح العوارض فقط ، ويبلغ عددها ٤٦ خريطة .

ويبلغ عدد الخرائط ذات المقياس ١ : ٢٠٫٠٠٠ التي تغطي المنطقة حوالي ٦٦ خريطة والغرض منها توفير خرائط مفصلة لتسهيل الدراسات عن المشروع من الناحية الزراعية وعن موقع السد ، ولم يتوفر للمنطقة موزاييك .

---

(١٠) Kuljian Corporation, Eski Mosul Irrigation project unpublished report, philadelphia, U.S.A. 1957.

ويوضح الشكل رقم (٣) موقع خرائط هذه المنطقة، وفيما يلي ارقام الخرائط :



(شكل رقم ٣)

٨٠	٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ .
٨١	٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ .
٨٢	٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ .
٨٣	٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ .
٨٤	٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ .
٨٥	٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠ .
٨٦	٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ .
٨٧	٤١٠ ، ٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٧٠ .
٨٨	٤١٠ ، ٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ .
٨٩	٤٢٠ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ .

٤ ــ مشروع دمير قبو

يهدف هذا المشروع الى اختيار موقع سد دميرقبو والى ارواء المنطقة باعتباره مشروعا زراعيا مهما ، وقد انيطت دراسة المشروع الى شركة بني ديكن وكورلي الاستشارية Binnie Deacon and Gourley وقد حددت هذه الشركة ثلاثة مواقع لموقع السد وهي موقع دميرقبو وموقع البو عواد وموقع المضايق • وقد فضلت الشركة الموقع الاول باعتباره احسن المواقع لانه يقع على المضيق في ملتقى نهر العظيم بجبال حمرين • ومن المقرر ان يروي مساحة تقدر بحوالي مليون مشارة •

ان توفير الخرائط الطبوغرافية الدقيقة سوف يؤدي الى دعم الدراسات في هذه المنطقة وقد قامت شركة فيري البريطانية في سنة ١٩٥٦ بتصوير هذه المنطقة البالغة مساحتها ٥٥٩٧ كم٢ ، وهي من المشاريع الزراعية • وقد غطت الشركة هذه المنطقة بصور جوية ذات مقياس ١ : ٣٢٠٠٠ ثم كبرت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠٫٠٠٠ لكل المنطقة ومقياس ١ : ١٠٫٠٠٠ لجزء منها، وخرائط هذا الجزء الاخير غير كنتورية مكبرة عن الخرائط السابقة ١ : ٢٠٫٠٠٠ لتوضيح العوارض فقط وعددها ٢١ خريطة فقط ، في حين تبلغ خرائط المنطقة كاملة من القياس ١ : ٢٠٫٠٠٠ (٤٩ خريطة) • ولم يتوفر لهذه المنطقة موزاييك•

ويوضح الشكل رقم (٤) موقع خرائط هذه المنطقة • وفيما يلي ارقام خرائط هذه المنطقة :



(شكل رقم ٤)

٦١ ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ .

٦٢ ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ .

٦٣ ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ .

٦٤ ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ .

٦٥ ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٩٠ ، ٦٠٠ ، ٦١٠ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ ، ٦٤٠ ، ٦٥٠ .

٥ ـ مشروع مخمور

يعد من المشاريع المهمة التي قامت شركة بني ديكن وكورلي الاستشارية باعداد دراسة تفصيلية له ، تبلغ مساحته ٢٥٠٠ كم٢ ضمن قضاء مخمور، وتحده من كل الجهات حدود طبيعية واضحة فمن الشرق مرتفعات قرةجوق ، ومن الغرب نهر دجلة ، ومن الشمال الزاب الكبير ، ومن الجنوب الزاب الصغير . وقد اعطت الشركة توصياتها المختلفة التي شملت ضرورة ارواء المنطقة من الزاب الكبير ومن نهر دجلة والذي سيستخدم في نفس الوقت في ارواء سهل اربيل دون اي زيادة في الكلفة المقدرة لاعمار الدونم الواحد ، وقد اوضحت الشركة كذلك بأن الاراضي الداخلة ضمن حدود اسقاء هذا الجدول قابلة للتوسع بواسطة الري بالرفع واستعمال المضخات لاسقاء بعض المساحات الصغيرة قرب مدينة مخمور وعدة مساحات صغيرة اخرى تمتد على ضفة نهر دجلة ، وبالرغم من كون هذه المساحات تسقى من الجدول الا انه من الانسب تأمين اسقائها بالمضخات[11] .

ان تصوير هذه المنطقة واعداد خرائط مفصلة سوف يخدمها ويطورها ، ويؤدي الى امكانية دراسة هذه التوصيات بطريقة صحيحة وجيدة .

ولقد قامت بتصوير هذه المنطقة شركة هنتك البريطانية سنة ١٩٥٣ بصور جوية ذات مقياس ١ : ١٥٠٠٠ ، حولت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠,٠٠٠ ، ثم صغرت الى خرائط بمقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ تغطي مساحة ٧٥٠ كم٢ ، ويبلغ عدد الخرائط ٢٣ خريطة وهي خرائط اساسية ولم يتوفر للمنطقة موزاييك . ويوضح الشكل رقم (٥) موقع هذه المنطقة ، وفيما يلي ارقام الخرائط التي تغطي المنطقة .

---

(١١) Binnie Deacon and Gourley, Makhmour Area Vol. III unplished report, London 1956.



(شكل رقم ٥)

٦٩	٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ٠
٧٠	٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ٠
٧١	٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ٠
٧٢	٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ٠
٧٣	٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ ٠

٦ ـ مشروع ري كركوك او العراق

يهدف المشروع الى احياء وارواء مساحة ٧٦٤ر٠٠٠ دونم من الاراضي الجيدة في محافظة كركوك التي كانت تزرع ديما ، وتعطي انتاجا منخفضا ، كما يهدف المشروع الى احياء وارواء الاراضي الصالحة للزراعة الواقعة على جانبي نهر العظيم والبالغة مساحتها ٤٨٢ر٠٠٠ دونم بضمنها اراضي الغرفة التي كانت أغلبها قاحلة قبل اكمال المشروع ٠ كما يؤمن المشروع ايصال حصة مضمونة من

أغلبها قاحلة قبل اكمال المشروع • كما يؤمن المشروع ايصال حصة مضمونة من المياه الى مشروع الحويجة الحالي البالغ ١٧٢٫٠٠٠ دونم • وبتوسيع الرقعة الزراعية بمقدار ٣٠٠٫٠٠٠ دونم • وبذلك تكون مجموع الاراضي التي ستروى من المشروع ١٫٤٤٨٫٠٠٠ دونم من محافظتي كركوك وديالى ، منها مساحة ١٫٢٧٦٫٠٠٠ دونم تدخل في حدود الارواء لاول مرة ، وتسقى كافة الاراضي سيحا عدا ١٠٢٫٠٠٠ دونم قرب مدينة كركوك ومساحات صغيرة اخرى تسقى بواسطة المضخات(١٢) •

قامت بتصوير هذا المشروع الزراعي شركة لوفت بلدتكنيك L.B.T. في تشرين الثاني ١٩٦١ بصور ذات مقياس ١ : ٢٠٫٠٠٠ ، حولت الى خرائط بمقياس ١ : ١٠٫٠٠٠ كم٢ والهدف من التصوير هو تطوير المنطقة زراعيا •وقد غطتها ٣٧٢ خريطة ، ولا يتوفر للمنطقة موزاييك ويوضح الشكل رقم (٦) موقع هذه الخرائط ، وفيما يلي ارقامها :



(شكل رقم ٦)

(١٢) باقر كاشف الغطاء ــ مشروع ري كركوك منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ١٣ ــ ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، بغداد ١٩٦٤ ص ٣ .

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
آي ٣٨ب ١٤	١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .
آي ٣٨ب ١٥	١ ـ ٤ ثم ٦ ـ ٢٥ .
آي ٣٨ب ١٦	٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ـ ٢٥ .
آي ٣٨سي ١	١٥ ، ٢٠
آي ٣٨سي ٢	٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥
آي ٣٨سي ٣	١ ـ ٢٥
آي ٣٨سي ٤	١ ـ ٢٥
آي ٣٨سي ٦	٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٠
آي ٣٨سي ٧	١ ـ ٢٠
آي ٣٨سي ٨	١ ـ ٢٠ ، ٢٢ ـ ٢٥
آي ٣٨سي ١٢	٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ١٠
آي ـ ٣٨ايج ١٢	٢١
آي ٣٨ آي ١	١ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤
آي ٣٨ آي ٥	١ ـ ٢٥
آي ٣٨ آي ٦	١١ ، ١٦ ، ٢١
آي ٣٨ آي ٩	١ ـ ١٠ ، ١٢ ـ ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥
آي ٣٨ آي ١٠	١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ـ ٢٥
آي ٣٨ آي ١١	٢١
آي ٣٨ آي ١٣	٥ ، ١٠
آي ٣٨ آي ١٤	١ ـ ١٥ ، ١٧ ـ ٢٠ ، ٢٢ ـ ٢٥
آي ٣٨ آي ١٥	١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ـ ٢٥

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
آي ٣٨ آي ١٦	٢١ ، ٢٢
آي ٣٨ جي ٢	٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥
آي ٣٨ جي ٣	١ــ٢٤
آي ٣٨ جي ٤	١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ــ٩ ، ١١ــ١٤ ، ١٦ــ٢٠ ، ٢٣ــ٢٥
آي ٣٨ جي ٦	٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥
آي ٣٨ جي ٧	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ١٩

٧ ــ مشروع وادي الثرثــار

يعد هذا المشروع من المشاريع المهمة في العراق فهو يمثل مشروعا للخزن والارواء في آن واحد ، حيث حولت اليه مياه نهر دجلة بواسطة قناة الثرثار المتفرعة جنوب سد سامراء المقام على نهر دجلة شمال مدينة سامراء بقليــل للسيطرة على الفيضانات العالية وتصريف ٣٥ الف م٣ واقترحت شركة نديكو الهولندية Nedeco-The Hague المكلفة بدراسة المشروع امكانية تحويل مياه نهر الفرات الزائدة الى المنخفض بعد اقامة سد على نهر الفرات عند مدينة هيت . وقد نفذ القسم الاول الخاص بنهر دجلة ولا زال القسم الثاني الخاص بنهر الفرات مجرد اقتراح . واوضح الخبراء بأنه لا خوف من تسرب المياه الى المناطق المجاورة له من الجنوب بعد املاء المنخفض ، وان مياه الخزان ستصبح بمرور الزمن وبعد ملء الخزان صالحة لاغراض الري من حيث الملوحة. وقدرت كمية الاستيعاب ٧٢٫٨ مليار م٣ عند مستوى ٦٠م . ويستخدم للري بواسطة جدول موحد يأخذ من الجنوب الغربي للمنخفض ، ثم يتشعب الى

فرعين ، احدهما يتجه شرقا ليصب في نهر دجلة شمال بغداد ، والآخر جنوبا ليصب في نهر الفرات شمال جدول الصقلاوية بقليل[١٣] .

وقد نفذ القسم الاخير سنة ١٩٧٧ بعد توسع كل من تركيا وسوريا في استغلال مياه نهر الفرات على حساب الحصة المقررة للعراق ، فاتجهت الانظار الى وادي الثرثار للاستفادة منه في تحويل قسم من مياه نهر دجلة الى نهر الفرات عند الحاجة .

واقترحت شركة نديكو امكانية ربط الفرات بدجلة عن طريق منفذ يأخذ من نهر الفرات في نقطة تقع شمال صدر جدول الصقلاوية بقليل ، ويتصل بالجدول الذي يرجع مياه الخزان الى دجلة شمال بغداد على ان تنشأ سدة على نهر الفرات بجوار صدر المنفذ فتستفيد منه جداول الصقلاوية وأبي غريب واليوسفية واللطيفية بصدر موحد امام هذا السد[١٤] .

ان انجاز هذه الاعمال بدقة تطلب اعداد خرائط تفصيلية ودقيقة وقد قامت شركة الخطوط الجوية الملكية الهولندية K.L.M. بتصوير المنطقة سنة ١٩٥٧ بصور ذات مقياس ١ : ٣٠٫٠٠٠ ، ثم كبرت هذه الصور الى خرائط بمقياس ١ : ٢٥٫٠٠٠ ، وقد بلغ عدد هذه الخرائط ١٤١ خريطة تغطي مساحة ٢٠ الف كيلو متر مربع . ويتوفر للمنطقة موزاييك مربوط بمقياس ١ : ٢٥٫٠٠٠ والغرض من التصوير هو السيطرة على الفيضان ، ولكن أصبح لهذه الخرائط اهمية اوسع من ذلك ويوضح الشكل رقم (٧) موقع خرائط هذه المنطقة :

---

(١٣) احمد سوسة ـ فيضانات بغداد في التاريخ ـ ج٣ مطبعة الاديب بغداد ١٩٦٥ ، ص ٧٤٨ ـ ٧٥٢ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٧٥٢ .



(شكل رقم ٧)

وفيما يلي اسماء وارقام الخرائط :

اين آي ــ ٣٨ ــ ١ ٦٧ ــ ٧٢ ، ٧٩ ــ ٨٤ ، ٩١ ــ ٩٦

اين آي ــ ٣٨ ــ ٢ ٦١ ، ٧٣ ، ٨٥

اين آي ــ ٣٨ ــ ٥ ٧ ــ ١٢ ، ١٩ ــ ٢٤ ، ٣١ ــ ٣٦ ، ٤٣ــ٤٨ ، ٥٤ــ٦٠، ٦٦ ــ ٧٢ ، ٧٩ ــ ٨٤ ، ٩١ ــ ٩٦

اين آي ــ ٣٨ ــ ٦ ١ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٩٢ ٠

اين آي ــ ٣٨ ــ ٩ ٩ ــ ١٢ ، ٢١ ــ ٢٤

اين آي ــ ٣٨ ــ ١٠ ١ــ٨ ، ١٣ ــ ٢٠ ، ٢٦ ــ ٣٢ ، ٣٨ ــ ٤٤ ، ٥٠ــ٥٥ ٠

٨ ـ مشروع اعالي الفرات

يغطي المشروع مساحة ١٣٧٩٦٩ كم٢ ، تمتد في محافظة الانبار ، حيث يشكل النهر أهم مصدر للماء لاكثر اجزاء المحافظة تطورا ، ان مسح النهر في هذه المنطقة بخرائط تفصيلية تعتمد على التصوير الجوي سيؤدي الى خدمة المنطقة لان نهر الفرات يمثل واديا عريضا عميق المجرى ، يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، وانه سيلعب الدور الرئيسي في أية خطةتصويرية لمصادر المياه في المنطقة • ان دراسة هذه المنطقة تشمل عدة جوانب •

١ ـ ارواء المنطقة حيث يستخدم حاليا كافة وسائل الري وهي الديمي والسيحي والمضخات والوسائل الاخرى كالنواعير التي تدار بواسطة الحيوانات او بواسطة النهر ، ويغطي الارواء بواسطة المضخات نسبة ٧٥٪ من الاراضي المزروعة في الاقليم بسبب ارتفاع الاراضي الزراعية عن مستوى النهر ، وان قلة الامطار يحدد التوسع والاعتماد على الزراعة الديمية(١٥) •

٢ ـ اختيار موقع سد حديثة الذي يقع على بعد ٧ كم في مقدم مدينة حديثة وقد تقرر له خزن ٧٫٥ مليار م٣ من التخزين الحي على منسوب تشغيل اعتيادي ١٤٧م • أما الخزن الاجمالي المقرر فهو ٨٫٢ مليار م٣ ، وستبلغ مساحة الخزان عند المنسوب الاعتيادي ٥٠٠كم٢ • وسينتج من الطاقة الكهربائية سنويا ١٥٠٠ مليون كيلوواط/ساعة(١٦) •

٣ ـ ان المنطقة ملائمة لزراعة محاصيل الخضر والفاكهة ومحاصيل العلف ، كما انه ملائم لتربية الحيوانات وقيام وحدات انتاجية للدواجن وانتاج المحاصيل الصناعية والدرنية(١٧) •

---

(١٥) وزارة التخطيط ، هيئة التخطيط الاقليمي والتقرير الاولي لتخطيط اقليم اعالي الفرات ، اعادة اسكان اهالي حوض سد حديثة ـ تشرين اول سنة ١٩٧٥ مطبوع بالرونيو بغداد ص ٥٥ .

(١٦) نفس المصدر ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(١٧) نفس المصدر ص ٣٢٣ .

٤ ــ تنظيم شبكة البزل (التصريف) في المنطقة حيث قام الاستشاريون سنة ١٩٦٣ شركة الروافد الهندسية باجراء الدراسات والتحريات والمسوحات واعداد التصاميم لانشاء شبكة التصريف[١٨] .

ان اعداد الخرائط التفصيلية لهذه المنطقة سوف ينعكس على تطويرهذا الجزء من اعالي الفرات من الناحية الزراعية والحيوانية .

لقد قامت شركة هنتك البريطانية بتصوير المنطقة سنة ١٩٥٦ بصور ذات مقياس ١ : ٣٠٫٠٠٠ ، كبرت الى خرائط طبوغرافية ذات مقياس ١ : ٢٥٠٠٠ ، بلغ عددها ٨٦ خريطة ، وكان الغرض من التصوير خدمة المشاريع الزراعية في المنطقة ، وقد صورت لصالح وزارة الاعمار الملغاة ، وبذلك اصبحت هذه الخرائط تؤدي اكثر من غرض واحد . ويوضح الشكل (٨) موقع المنطقة .



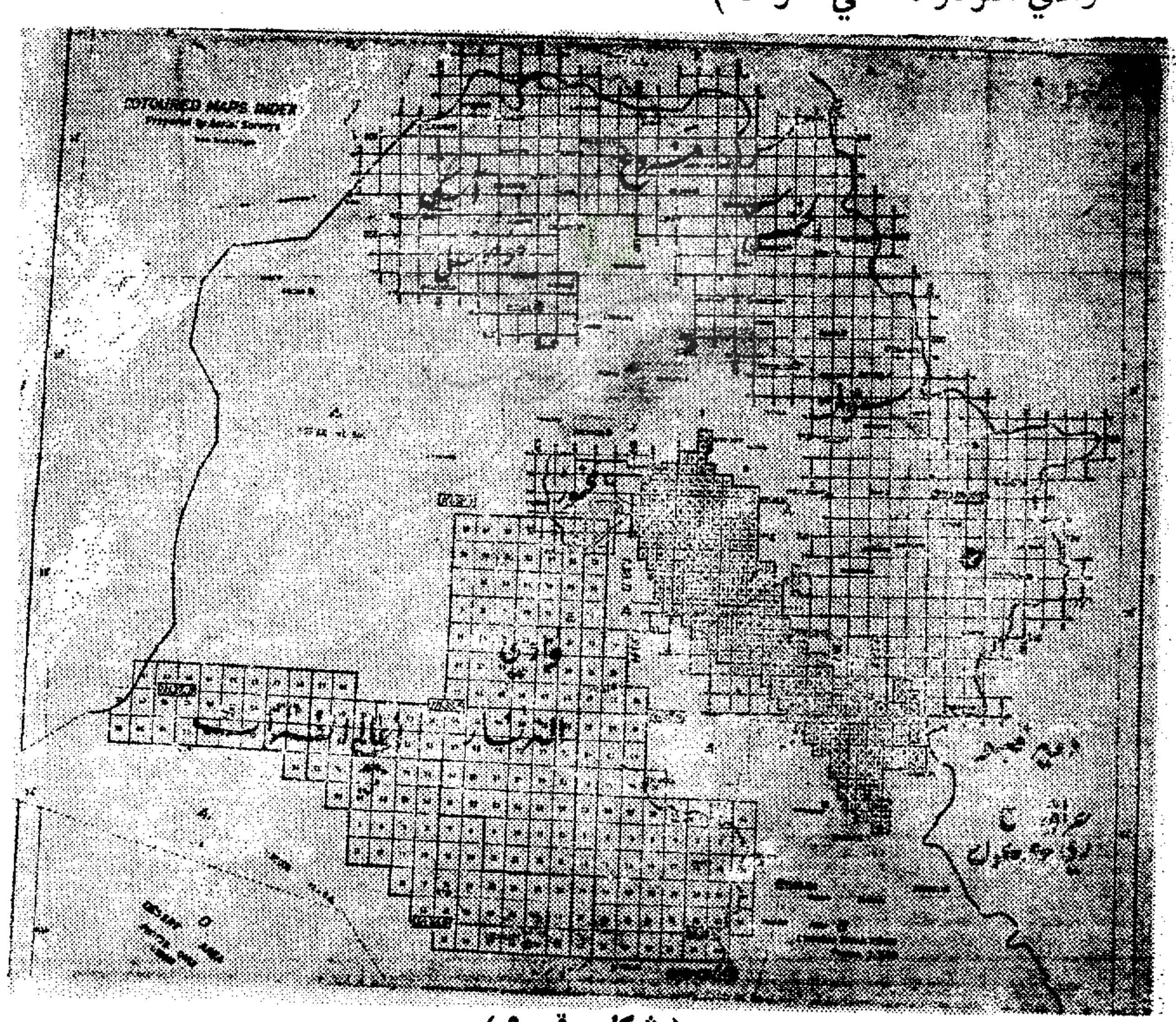
(شكل رقم ٨)

(١٨) وزارة الري مديرية مشاريع الري والبزل العامة . التقرير السنوي ١٩٧٤ــ ١٩٧٥ مطبوع بالرونيو ــ بغداد ص ١٣ .

وفيما يلي ارقام الخرائط التي تخص المنطقة •

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
اين آي ٣٧ــ٨	٤١ــ٤٨ ، ٥٢ــ٦٠ ، ٦٤ــ٧٢ ، ٨٤
اين آي ٣٨ــ٥	٣٧ ، ٣٨ ، ٤٩ــ٥٣ ، ٧٣ ــ ٧٨ ، ٨٦ ــ ٩٠
اين آي ٣٨ــ٩	٣ــ٨ ، ١٥ــ٢٠ ، ٢٩ ــ ٣٦ ، ٤٢ ــ ٤٨ ، ٥٥ــ٦٠
اين آي ٣٨ــ١٠	٢٥ ، ٣٧ ، ٤٩

ويوضح الشكل رقم (٩) موقع المشاريع السابقة وهي (مشروع الخمس سنوات ، اسكي موصل ، دميرقبو ، مخمور ، العراق (C) او ري كركوك، وادي الثرثار ، اعالي الفرات) •



(شكل رقم ٩)

٩ ـ مشروع الشنافية ـ الناصرية

تقع اراضي المشروع في القسم الاسفل من حوض نهر الفرات على كلا جانبي النهر ، وتبلغ مساحة المنطقة ١٠٦٤١٢٠ دونما ، ٥٤٪ منها اراضي قابلة للزراعة وما تبقى اراضي غير قابلة للانتاج الزراعي وهي تشمل الاراضي المالحة واراضي المستنقعات والاراضي غير الملائمة بسبب طبوغرافيتها والاراضي المشغولة بالطرق والقنوات وغيرها . ورغم صغر المساحة القابلة للزراعة فانها تستغل كل عام . لذا نجد ان مساحة المراعي تحتل كلا من الاراضي غير القابلة للزراعة والاراضي غير المزروعة من الاراضي القابلة للزراعة[١٩] .

ويشمل مشروع تحسين اراضي الشنافية ـ الناصرية حوالي ٢٢٢٥٠٠ هكتار تشمل مساحة ١٢٢٥٠٠ هكتار تروى حاليا و ١٠٠ر٠٠٠ هكتار الاراضي المراد اضافتها وعمل شبكات ري وبزل جديدة لها . وقد اقترح الخبراء القيام بالخطوات الفنية وهي غسل التربة التي تراكمت فيها الاملاح بين ٣٠٠٠ ـ ٦٠٠٠٠ جزء بالمليون ، ثم عمل شبكات بزل لخفض مستوى المياه الجوفية القريبة من السطح ذات التركيز الملحي العالي البالغ حوالي ٢٠ر٠٠٠ جزء بالمليون واقترح ان يكون العمل على ثلاث مراحل وهي[٢٠] :

١ ـ الاراضي الواقعة بين الشنافية ـ السماوة والبالغ مساحتها ٥٣٨٤٠ هكتار .

٢ـ الاراضي الواقعة بين نهر الفرات وشط السوير والاراضي الواقعة بين الخضر والناصرية في الجانب الايسر والبالغة مساحتها ٦١٩٤٠ هكتار .

---

(١٩) Technopromic Report, Technical and Economic Report on Irrigation and drainage developments in Shinafiya-Nasiriya area in Southern Iraq. Unpublished report Moscow 1963, p. 169.

(٢٠) الدكتور المهندس سعيد الحزائري ـ مشاريع الري والبزل في العراق وعلاقتها بتخطيط الموارد المائية سنة ١٩٧٠ـ مطبوع بالرونيو بغداد ١٩٧٠ .

٣ ـ الاراضي الواقعة بين السماوة ـ الناصرية على الجانب الايسن ومساحتها ٦٤٨٥٠٠٠ هكتار •

ان توفير خرائط مفصلة لهذا المشروع ـ سوف يحقق امكانية تطوير الزراعة في المنطقة من الناحية الاقتصادية والتكنولوجية وتوسيع الاراضي التي ستروى في المستقبل وتطوير الري واستصلاح التربة وضمان توفير المياه لاراضي المشروع طول ايام السنة نظرا لعدم انتظام جريان النهر في هذه المنطقة•

لقد صورت المنطقة من قبل شركة تكنو اكسبورت الروسية الى مديرية الزراعة العامة واستعملت صور منطقة العراق B ، وبلغت عدد الخرائط التي تغطي المنطقة ٣٧ خريطة بمقياس ١ : ٢٥٠٠٠ •

ويوضح الشكل رقم ١٠ موقع المنطقة •

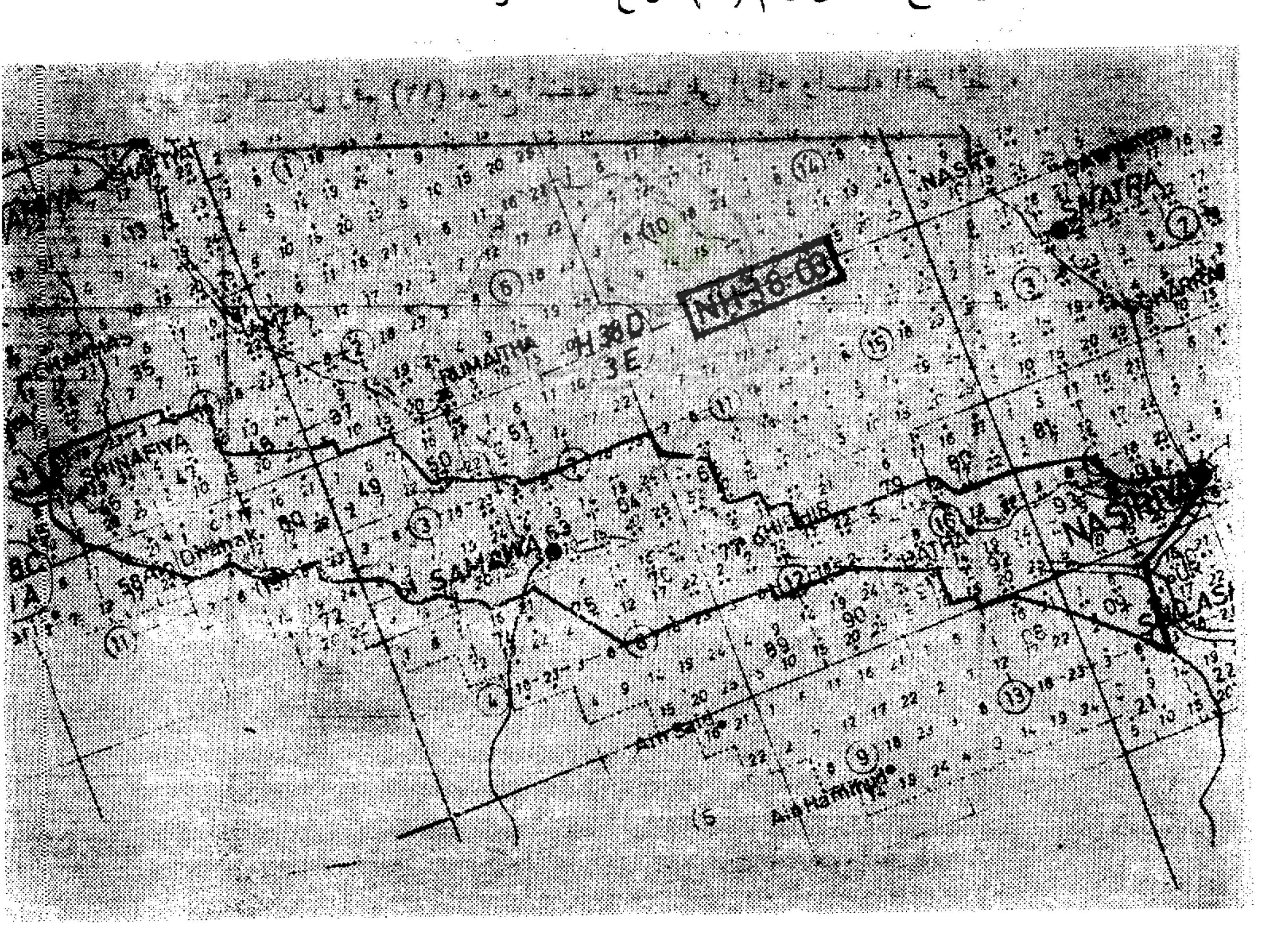


(شكل رقم ١٠)

وفيما يلي ارقام الخرائط :

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
ايج ٣٨ — ٢	٤ ، ٥ ، ٤٥ — ٤٨ ، ٥٨ ، ٥٩
ايج ٣٨ — ٣	٣٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٤ — ٨١ ، ٨٩ — ٩٤
ايج ٣٨ — ٧	٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٢١ ، ٢٢

ويوضح الشكل رقم (١١) موقع هذه الخرائط .



(شكل رقم ١١)

١٠ ـ مشروع هور الحمار

من المشـــاريع الزراعية التـــي اهتمت بها الحكومـــة ، وقـــد درست المنطقة من قبل شركة تامس Tippetts Abbett McCarthey بتقريرين احدهما شمل المنطقة من الكفل الى بحيرة الحمار والثاني شمل المنطقة من بحيرة الحمار الى شط العرب وذلك لغرض تطوير الزراعة والري في المنطقة والسـيطرة على الفيضانات واكمال النواظم والسدود •

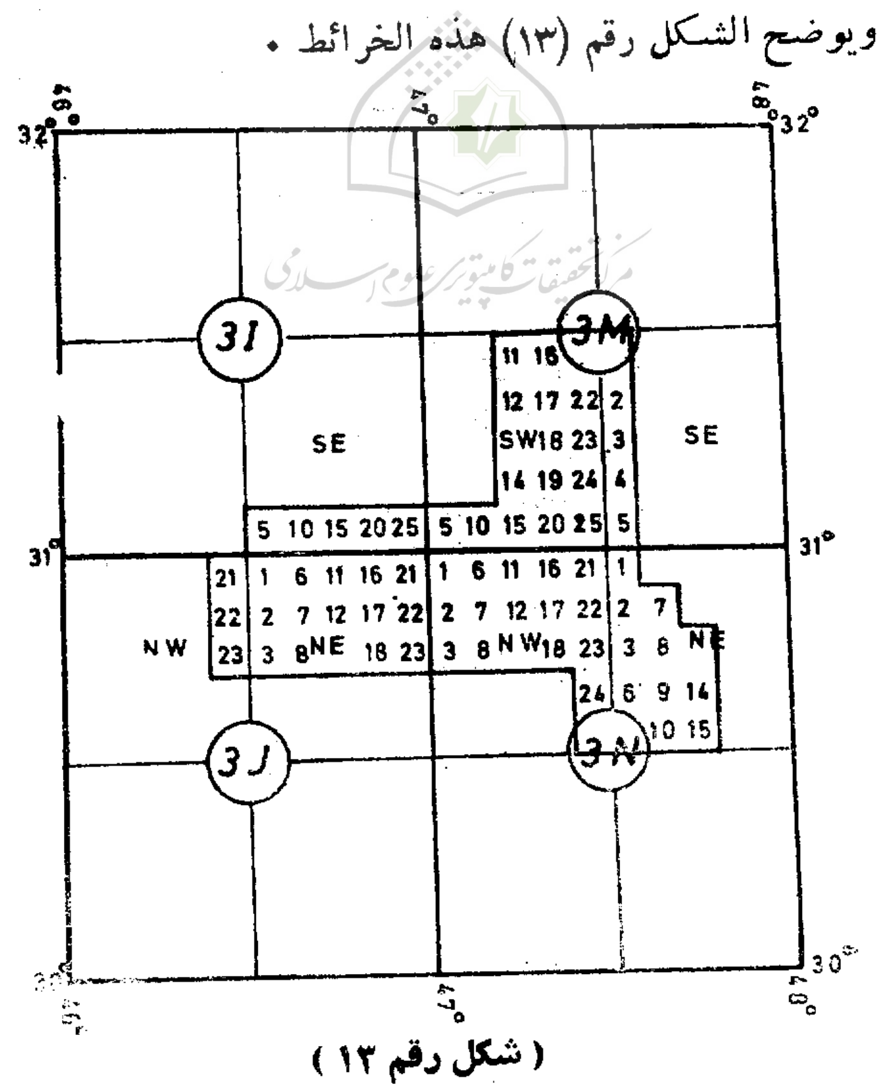
وقد قامت بتصوير المنطقة الخطوط الجوية الملكية الهولندية K.L.M في الفترة من تشرين اول لغاية تشرين ثاني ١٩٥٢ بصور ذات مقياس ١ : ٣٦٥٠٠، ثم كبرت الى خرائط طبوغرافية بمقياس ١ : ٢٠٫٠٠٠ وعددها ٧٤ خريطة • ويوضح الشكل رقم (١٢) موقع المنطقة وفيما يلي ارقام واسماء الخرائط •



(شكل رقم ١٢)

الرقم الفهري	ارقام الخرائط
٣ آي ج ش	٥ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٥
٣ جي ش ش	١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣
٣ جي ش غ	٢١ ، ٢٢ ، ٢٣
٣ أم ج ش	١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥
٣ أم ج غ	٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥
٣ اين ش غ	١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

ويوضح الشكل رقم (١٣) هذه الخرائط .



(شكل رقم ١٣)

١١ ـ العراق A

تقع هذه المنطقة ضمن ثلاثة مواقع ، يقع القسم الاول شمال غرب نهر الفرات مجاورة لمنطقة اعالي الفرات ، تبدأ من جنوب بحيرة الحبانيـــة حتى الحدود السورية،والقسم الثاني يقع شمال منطقة الثرثار حتى الحدود السورية كذلك ، وشملت اعالـــي منطقة الجزيرة في جزئها الواقـــع داخـــل العراق ، والقسم الثالث يقع الى الشرق من منطقة الثرثار ، ابتداء من شمال مدينة بغداد حتى منطقة مشروع مخمور ،

تبلغ مساحة المنطقة حوالي ٧٥٠٠٠ كم٢ ، تتفاوت بين منطقة سهلية الى متموجة تكثر فيها المشاريع الانمائية ،

قامت بتصوير المنطقة شركة K.L.M. الهولندية سنة ١٩٦١ ،واعدت لها تصاوير بمقياس ١ : ٥٠٠٠٠ ، ونظرا لكون المنطقة غير منبسطة فقد نظمت لها خرائط بمقياس ١ : ٢٥،٠٠٠ ، وتعتبر خرائط هذه المنطقة خرائط اساسية ، لاستخدامها لمختلف الاغراض ، ويوضح الشكل رقم (١٤) موقع خرائط هذه المنطقة ، وفيما يلي ارقامها ،



(شكل رقم ١٤)

القسم الاول :

اين آي ٣٧ — ٧   ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦

اين أي ٣٧ — ٨   ٦١ — ٦٤ ، ٧٣ — ٨٣ ، ٨٥ — ٩٦

اين آي ٣٧ — ١١   ١٠ ، ١١ ، ١٢

اين أي ٣٧ — ١٢   ١ — ١٢ ، ١٥ — ٢٤ ، ٣١ — ٣٦ ، ٤٨

اين أي ٣٨ — ٩   ١ ، ٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ — ٢٨ ، ٣٧ — ٤١ ، ٥١—٥٤ ، ٦٤ — ٧٢ ، ٧٧ — ٨٤ ، ٩٠ — ٩٦

اين أي ٣٨ — ١٣   ٧—١٢ ، ٢٠—٢٤ ، ٣٢—٣٦ ، ٤٦—٤٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢

اين اي ٣٨ — ١٤   ١ ، ١٣ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٦١

القسم الثاني :

اين آي ٣٧ — ٨   ٧—١٢ ، ١٩—٢٤ ، ٣٠—٣٦

اين أي ٣٧ — ٤   ٧—١٢ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٣٢—٣٦ ، ٤٣—٤٨ ، ٥٥—٦٠ ، ٦٦—٧٢ ، ٧٨—٨٤ ، ٩٠—٩٦

اين أي ٣٨ — ١   ١—٤٦ ، ٤٩—٥٩ ، ٦١—٦٦ ، ٧٣—٧٨ ، ٨٥—٩٠ .

اين أي ٣٨ — ٢   ١—٤ ، ١٣—١٦ ، ٢٥ — ٣٢

اين جي ٣٧ — ١٦   ٣٦ ، ٤٤—٤٨ ، ٥٥—٦٠ ، ٦٧—٧٢ ، ٧٩—٨٤ ، ٩١—٩٦

اين جي ٣٨ — ١٣   ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٩—٥١ ، ٦١—٦٧ ، ٧٢—٩٦

اين جي ٣٨ — ١٤   ٦١—٦٤ ، ٧٣—٧٨ ، ٨٥—٨٨

القسم الثالث :

اين جي ٣٨ — ٢   ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٧

اين أي ٣٨ — ٦   ٢ ، ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٦—٣٠ ، ٣٨ — ٤٢ ، ٥١—٥٦ ، ٦٣—٦٨ ، ٧٥—٧٩ ، ٨٨ — ٩١ .

١٢ ـ منطقة العراق B

تغطي منطقة واسعة من القسم الاوسط والجنوبي من العراق ، أي انها تغطي اغلب السهل الرسوبي • فهي تمتد من بغداد شمالا حتى الخليج العربي جنوبا • ومن الحدود الايرانية شرقا حتى حافة الهضبة الصحراوية من الغرب• وهي عبارة عن اراضي سهلية عدا اقسامها الشرقية المتموجة المجاورة للحدود الايرانية •

تبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي ١٠٠٠٠كم٢ ، يمثل اغلبها منطقة سهلية تتركز فيها الزراعة ويزدحم فيها السكان ، وتمتد فيها شبكة كبيرة من مشاريع الري والتصريف •

لقد مسحت هذه المنطقة بمسوحات قديمة مختلفة ولاغراض متعددة ولمناطق غير منظمة ، وكان الشكل العام لهذه المسوح يعوزه الدقة وقلة التفاصيل بالاضافة الى قدم المسح مما جعل الخرائط المعدة لا يمكن الاعتماد عليها واستخدامها للمشاريع الحديثة المهمة والانمائية ، وخصوصا بعد تنفيذ قانون الاصلاح الزراعي الذي تطلب اعداد خرائط حديثة للمنطقة بصورة دقيقة ومفصلة • ونظرا لاتساع هذا الجزء مما يجعل اعداد خرائطه بواسطة المسوحات الاولية يتطلب زمنا طويلا ومتدربين على مستوى عال • كل ذلك جعل النية تتجه الى استخدام التصوير الجوي لتحضير خرائط هذه المنطقة ، وقد وجد بأن اعداد الخرائط بمقياس ١ : ١٠٠٠٠ هو المقياس المناسب للايفاء بأغلب الاغراض الزراعية والانمائية[٢١] •

---

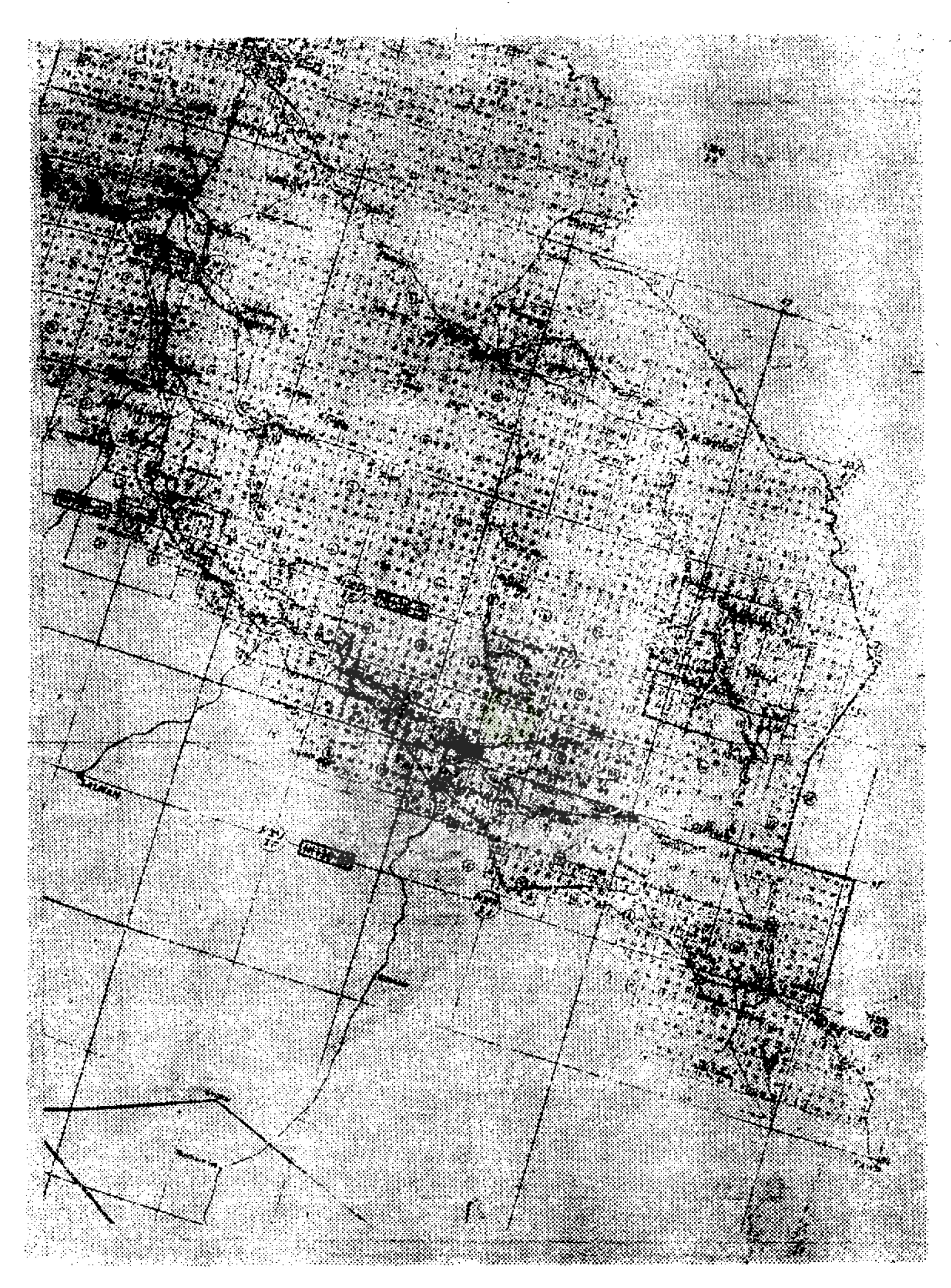
(٢١) محمد صالح حيدر ـ اهمية التصوير الجوي في التطور الزراعي ـ منشورات المؤتمر الهندسي التاسع ١٣ ـ ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤ ص ١٥ •

صورت المنطقة من قبل شركة K.L.M. خلال الفترة ١٩٦١ ــ ١٩٦٢ بمقياس ١ : ٣٥٠٠٠ واعدت لها خرائط بمقياس ١ : ١٠ر٠٠٠ ، كما اعد من نفس هذه الصور موزاييك • ونظرا لكون المنطقة شديدة الانبساط فقدرسمت الخرائط بدون كنتور • لقد صورت المنطقة لصالح وزارة الزراعة لاجل تخطيط المشاريع الزراعية •

ويوضح الشكل رقم (١٥) موقع هذه الخرائط • والشكل رقم (١٦) ارقام هذه الخرائط ونظرا لكثرة هذه الخرائط فلا اجد متسعا لذكر كل هذه الارقام •



(شكل رقم ١٥)



(شكل رقم ١٦)

١٣ ـ منطقة العراق D

وتشمل المنطقة الصحراوية الواقعة في القسم الغربي من العراق ، وهي منطقة قليلة السكان لعدم وجود مناطق استثمارية مهمة • وتتميز من الناحية الطبوغرافية بقلة التفاصيل والعوارض وهي على العموم منبسطة عدا مناطق صغيرة منها • وقد جرت اعمال تنظيم خرائطها لاجزاء منها بمختلف المقاييس ولاغراض استطلاعية او لغرض التسوية العامة ، عدا مناطق محدودة وصغيرة جدا جرت فيها بعض المسوحات الهندسية • لذا فان اغلب الخرائط تتميز بقلة التفاصيل والدقة ، وليس هناك أية مشاريع مهمة فيها مما يستوجب الاسراع بتنظيم خرائط طبوغرافية لها عدا استثمار المعادن في اماكن منها • وقد صورت المنطقة في عام ١٩٦٢ من قبل شركة K.L.M. بمقياس ١ : ٥٠٠٠٠ ، وكان التصوير بمواصفات خاصة بحيث يصلح للتحويل الى خرائط بمقاييس مختلفة وهي ١ : ٢٥٠٠٠ و ١ : ٥٠٠٠٠ و ١ : ١٠٠٠٠٠ •

لا توجد للمنطقة خرائط في الوقت الحاضر ، وتقوم شركة بولونية باعداد خرائط حديثة بمقياس ١ : ٢٥٠٠٠ ، كما سيكون للمنطقة موزاييك مربوط في المستقبل •

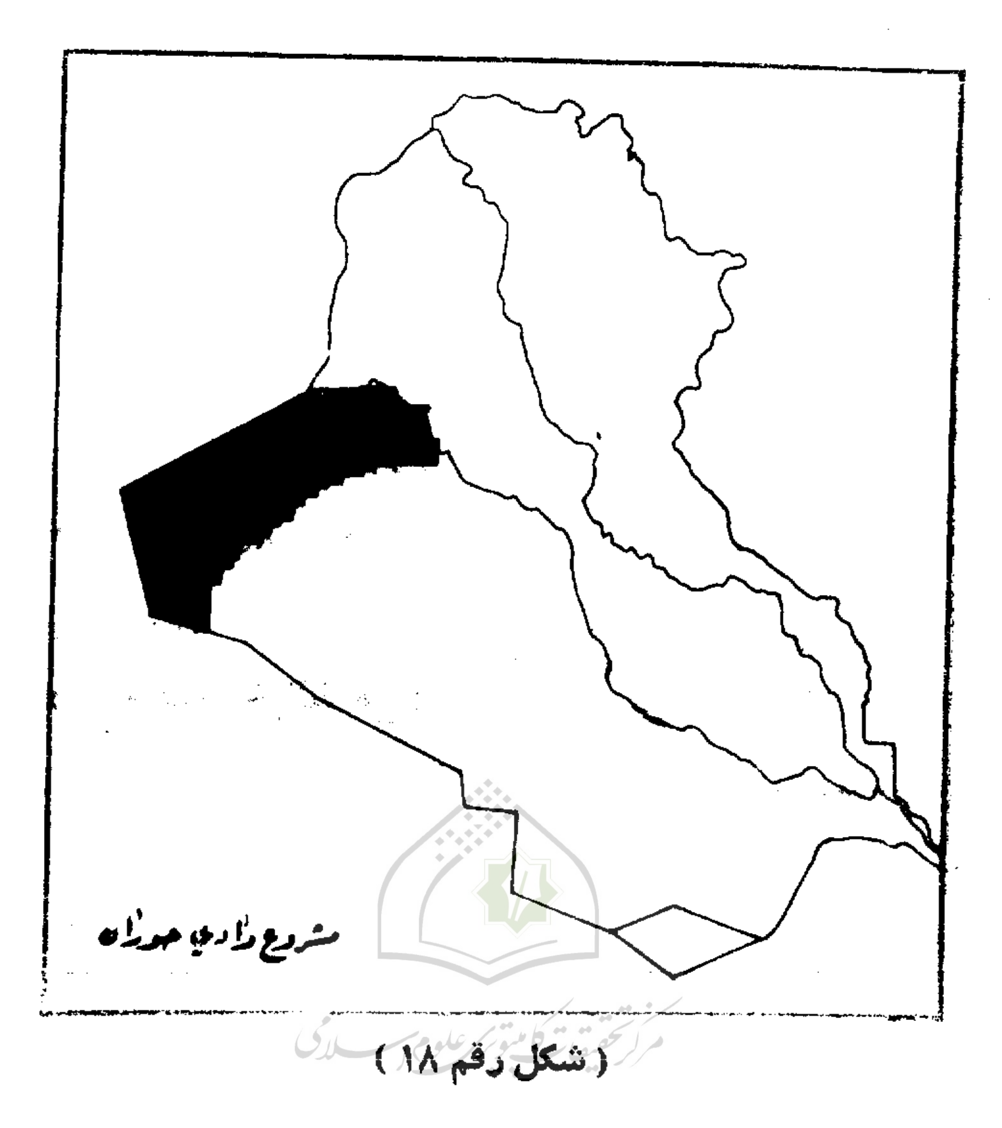
ويوضح الشكل رقم (١٧) موقع هذه المنطقة ، كما افرد وادي حوران بدراسة خاصة ويوضح الشكل (١٨) موقع هذه الدراسة وقد استعملت صور منطقة الفرات والعراق A وهو مشروع زراعي •



(شكل رقم ١٧)

١٤ ـ مشروع العمـارة

يشمل الاراضي الدلتاوية العراقية على جانبي دجلة السفلي ، حيث تتفرع قنوات طبيعية في تلك المنطقة ، تتصرف مياهها الى الاهوار المحيطة • تبلـغ المساحة الكلية للاراضي المشمولة حوالي ٢٦ر٠٠٠ هكتار (١ر٠٤٠ر٠٠٠ دونم) تقع بين نهر البتيرة ونهر الكسارة • واراضي المشروع رسوبية طموية ذات اغوار قليلة جدا ، تشقها شبكة كثيفة من القنوات الاروائية عديمـــة النواظم في مقدمتها ، مما ادى الى جريانها بدون السيطرة عليها مما يؤدي الى ضياع نسبة هائلة من مياهها • كما تستغل المياه بشكل بدائي ، مما جعل حوالي نصف الارض غير مستغلة في الوقت الحاضر بسبب ارتفاع الملوحة • والفيضانات



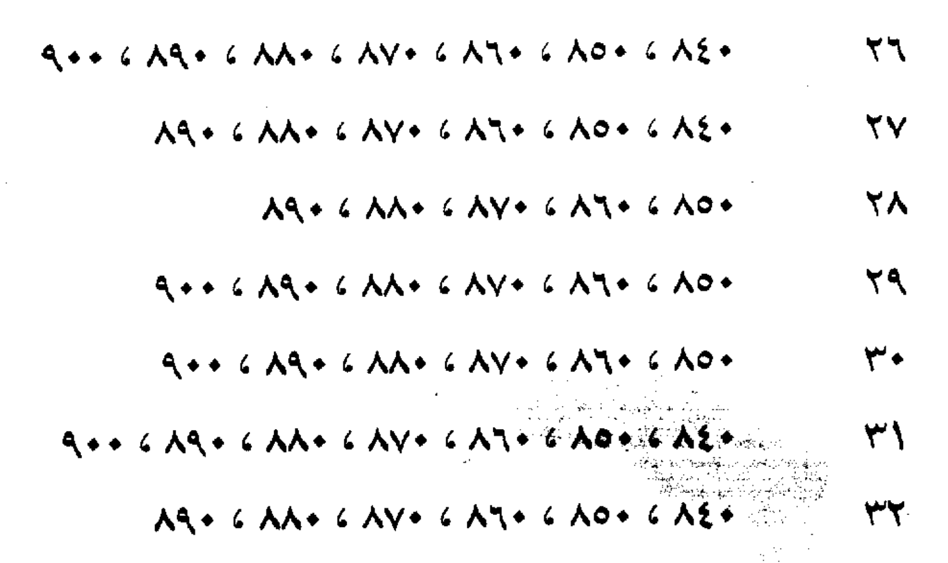
(شكل رقم ١٨)

الموسمية وطبيعة الارض الطبوغرافية . ولقد اشار الاستشاريون بأن حوالي ٨٦٪ من الارض يمكن الاستفادة منها للاغراض الزراعية على اساس الري السيحي . واستصلاح الاراضي الزراعية باجراء الغسل المبدئي واكمال شبكات الصرف الكاملة وانشاء سداد واقية للمشروع من مياه الفيضان[٢٢] .

ان اعداد خرائط مفصلة ودقيقة للمنطقة سوف يؤدي الى تطوير هذه المنطقة بعد استصلاح الري واكمال الصرف وفيما يلي ارقام الخرائط التي تغطي هذه المنطقة .

---

(٢٢) الدكتور سعيد الجزائري ــ مشاريع الري والبزل في العراق وعلاقتها بتخطيط الموارد المائية (مطبوع بالرونيو) بغداد ١٩٧٠ ص ١٠ .

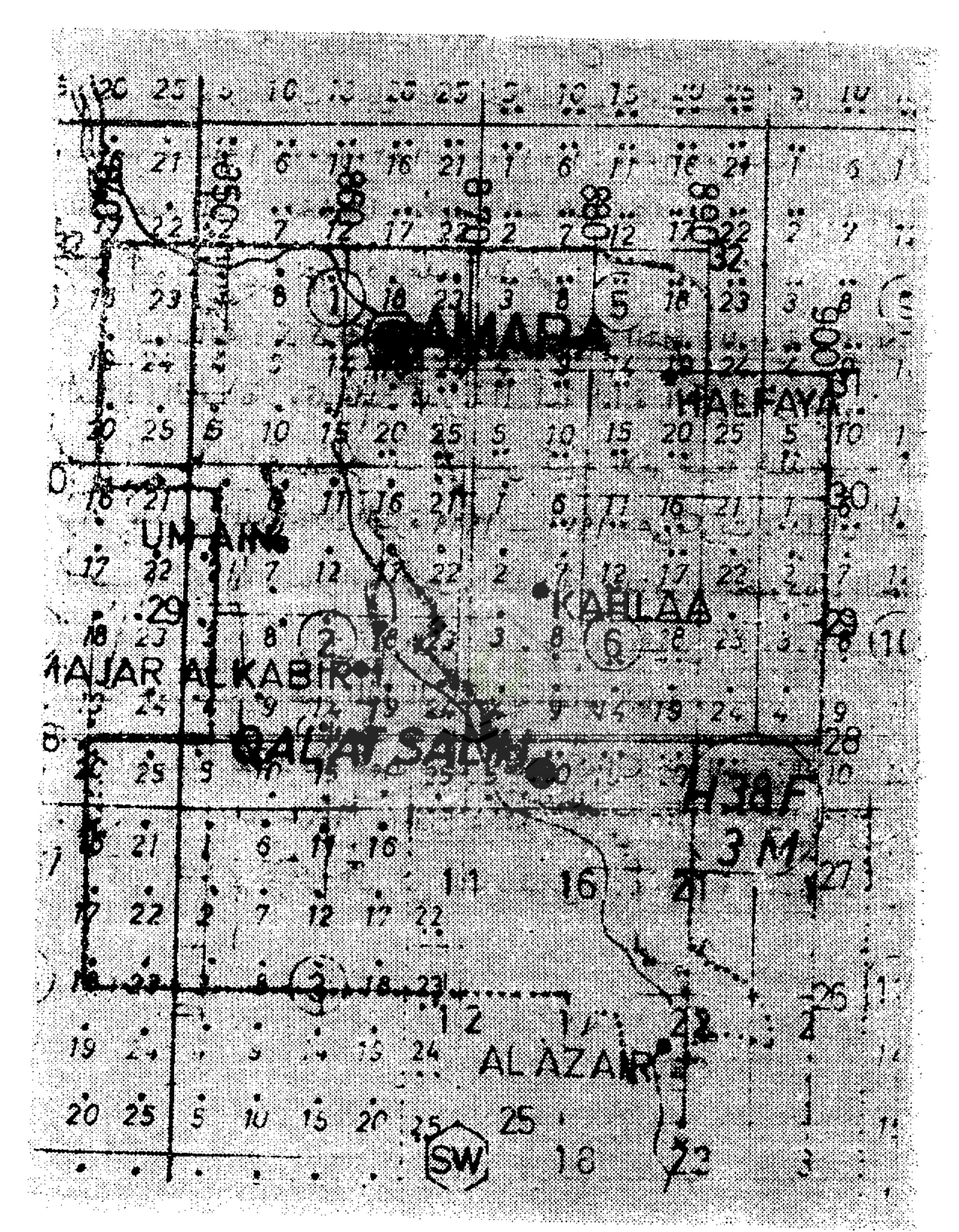


٢٦	٨٤٠ ، ٨٥٠ ، ٨٦٠ ، ٨٧٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠ ، ٩٠٠
٢٧	٨٤٠ ، ٨٥٠ ، ٨٦٠ ، ٨٧٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠
٢٨	٨٥٠ ، ٨٦٠ ، ٨٧٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠
٢٩	٨٥٠ ، ٨٦٠ ، ٨٧٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠ ، ٩٠٠
٣٠	٨٥٠ ، ٨٦٠ ، ٨٧٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠ ، ٩٠٠
٣١	٨٤٠ ، ٨٥٠ ، ٨٦٠ ، ٨٧٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠ ، ٩٠٠
٣٢	٨٤٠ ، ٨٥٠ ، ٨٦٠ ، ٨٧٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠

ويوضح الشكل رقم (١٩) موقع هذه الخرائط . والشكل رقم (٢٠) اسماء وارقام هذه الخرائط هي :



(شكل رقم ١٩)


AMARA
HALFAYA
UM AIN
KAHLAA
MAJAR ALKABIR
QALAT SALIH
H38F
3 M
AL AZAIR
SW

(شكل رقم ٢٠)

١٥ ـ مشاريع تخطيط المدن

قامت الشركة السويدية عام ١٩٦٢ بمشروع تصوير عدد من المدن العراقية لصالح وزارة البلديات لاجل اعداد خرائط طبوغرافيـــة ، وكانت الصور بمقاييس مختلفة ١ : ٢٠٫٠٠٠ و١ : ١٢٠٠٠ و ١ : ٦٠٠٠ ، ويهدف التصوير الى تنظيم هذه المدن وتخطيطها ، واعدت الخرائط بمقياس ١ : ١٠٫٠٠٠ وقسم آخر اكبر بمقياس ١ : ٥٠٠٠ وهذه المدن هي :

السليمانية ، كركوك ، النجف ، الكوفة ، الحلة ، الهندية ، كربلاء ، العمارة ، الناصرية ، وقد قامت مديرية المساحة العامة بالاشراف والعمل بمسح أغلب المدن العراقية والقصبات بمقاييس كبيرة تلائم طبيعة البلديات . كما صور عدد من المدن خلال الفترة ١٩٦٩ ــ ١٩٧١ وهي تكريت ، سلمان باك ، المسيب ، الكرابلة ، سامراء ، الزبير ، المقدادية ، بلدروز ، المحمودية ، النجف بمقاييس ١ : ٥٠٠ لكل من تكريت وسلمان باك . ومقياس ١ : ١٠٠٠ للمـــدن الباقية وقد صورت هذه المدن الى مديرية الطابو العامة .

اما مدينة بغداد فقد قامت بتصويرها شركة الكشف الجوي الالمانيـــة (بول سيرفس) عام ١٩٧٢ ، واعدت خرائط بمقياس ١ : ٢٠٫٠٠٠ وتتكون من ست قطع[٢٣] ، ثم خرائط اكبر من ذلك بمقياس ١ : ٥٠٠ و ١ : ٢٥٠٠ .

---

(٢٣) Polservice and Miastoprogckt - Krakow town plan, Baghdad, Land use and civic survey 1972

المصـــادر

١ ــ الدكتور احمد سوسة ، فيضانات بغداد في التاريخ، ج٢ ، مطبعةالاديب، بغداد ١٩٦٥ ٠

٢ــ باقر كاشف الغطاء ، مشروع ري كركوك ، منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ، ١٣ــ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٤ ٠

٣ ــ خالد هلال سرحان ، مباديء المسح الجوي ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ١٩٧٧ ٠

٤ ــ الدكتور سعيد الجزائري ، مشاريع الري والبزل في العراق وعلاقتها بتخطيط الموارد المائية ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ، ١٩٧٠ ٠

٥ ــ الدكتور عبدالكريم توما ، المساحة المستوية والتصويرية ، مطبعـــة الزهراء ، بغداد ١٩٧٥ ٠

٦ ــ الدكتور علي شكري ، المساحة المستوية والتصويرية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية ١٩٧٥ ٠

٧ ــ مؤسسة الاصلاح الزراعي ، قسم التخطيط والبحوث ، المسوحات العامة والطبوغرافية ، مجلة الاصلاح الزراعي في اعوامه الستة، مطبوع بالرونيو ١٩٦٤ ٠

٨ ــ محمد صالح حيــدر ، اهمية التصوير الجوي في التطور الزراعي ، منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ، ١٣ ــ ١٨ كانون اول ١٩٦٤ مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤ ٠

٩ ــ محمد عبدالفتاح ، المساحة الجوية كاسلوب حديث لتخطيط المشروعات الهندسية ، منشورات المؤتمر الهندسي العربي التاسع ، ١٣ ــ ١٨ كانون اول ١٩٦٤ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٤ .

١٠ــ مديرية المساحة العامة ، فهرس ١ : ٧٥٠٠٠٠ لخرائط المسوحات الجوية مطبعة مديرية المساحة العامة ، بغداد (بدون سنة) .

١١ــ مديرية التسوية العامة ، دراسات عن اعمال تسوية حقوق الاراضي في العراق ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٥٥ .

١٢ــ وزارة التخطيط ، هيئة التخطيط الاقليمي والتقرير الاولي لتخطيط اقليم اعالي الفرات ، اعادة اسكان اهالي حوض سد حديثة ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ١٩٧٥ .

١٣ــ وزارة الري ، مديرية مشاريع الري والبزل العامة ، التقرير السنوي ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ ، مطبوع بالرونيو ، بغداد ١٩٧٥ .

14. Binnie Deacon and Gourley, Makhmour area vol III unpublished report, London 1956.

15. B.J. Garnier, practical work in Geography W.J. Makay, London 1966.

16. Kuljian Corporation, Eski Mosul Irrigation Project, unpublished report, Philadelphia, U.S.A. 1957.

17. Polservice and Miasto projekt, Krakow Townplan, Baghdad, Land use and civic survey 1972.

18. Techino promexport, technical and economic report or Irrigation and drainage development in Shinafiya-Nasiriya area in Southern Iraq, report, Moscow, 1963.

ملامح من الشعر القصصي في الادب العربي

الدكتور نوري حمودي علي القيسي
استاذ في قسم اللغة العربية
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

يمثل الشعر العربي امتدادا قصصيا واضحا من حيث الاداء والتناسق والافكار ، وقد ظلت اشكال هذه القصص ترتسم في اغراضه ، وتتضح في معالجاته ، وتتحدد من خلال معانيه ، وظل الشعراء ينهجون هــذا المنهج ، ويسلكون المسلك التقليدي في الصــياغة والمتابعة ، من اجل الحفاظ على البناء القصصي المرتبط بحياتهم ، والمستمد من واقعهم الاجتماعي والفكري والحياتي . فايام العرب زخرت بأشارات واضحة لوقائع واحداث ، كمــا وقفت عند رموز علّلت في بعض الاحيان تعليلات مقاربة ، ولكنها في الحقيقة كانت تمثل بقايا اساطير ، وشخوص اخبــار انقرضت اسبابها ، وانقطعت سلسلة روايتها ، وبقيت تأخذ دورها في الحديث والمناسبة والاستشهاد . وبقى الناس يدركون مناسبتها من خلال هذه المناسبات[1] . وقد استمد الشعراء من هذه الرموز مادة قصصهم ، فاشـــاعوا استخدامها ، ورددوا احداثها ، ولونوها بكل ما يثير الرغبــة الى متابعة الاستماع والانصات ، متخذين منها ومن وقائعها اساسا في التوجيه ، والعبرة ، ولم تكن الايــام خالية من الحكايات الخارقة ، والاعمال الفردية التي تتسم بالبطولة ، وقد دفعت هذه الحكايات المؤرخين والرواة الى ان يحاولوا ايجاد المبررات التي تؤكد وجودها ، وتثبت اعمالها ، فحاولوا تحديد اماكنها ، وتوقيت ازمانها ،

---

(١) الدكتور عادل البياتي . كتاب ايام العرب/الفصل الثاني . الايــام بين التاريخ والاسطورة / ٧٧ وما بعدها .

وشدها بالوقائع شدًّا معقولا ، كما حاولوا ان يربطوا بينها وبين اعمال عرفتها أمم سابقة أو أقوام مجاورة • والذي يدقق النظر في مثل هذه الوقائع يهتدي الى انها تمثل في اصلها احداثا وقعت ، واعمالا جرت ، ولكن الاخبار قد تضاعفت ، وزيدت ، حتى اصبحت بعيدة في بعض اشكالها عن الحقائق التي بقيت ذاكرة الشعوب تحتفظ بها ، وظلت ملامح احداثها الكبرى تبدو باهتة في بعض الصور والوقائع ، وعاشت آثارها واضحة في ممارسة طقوس دينية أو شعائر وتقاليد تلوذ بها الشعوب عندما تجد نفسها غير قادرة على المجابهة ، أو عاجزة عن الصمود في غمار واقع نفسي بائس •

ان بقايا القصص التي تطالعنا في المثل السائر ، أو الخبر المنقطع ، او الاسطورة المحكية في الشعر او الطقس الديني الذي يمارس في ظل مناسبة عابرة ، تحدد العمر الزمني الذي بقيت أيامه تحمل هذه الاشلاء المتناثرة وهي تجوز الدهر الطويل والاجيال الممتدة ، فتستغرق اجزاء متباعدة من حياتها ، وتقتطع أياما عصيبة من أيامها • فالقصيدة العربية قصيدة تعتمد الفكر اساسا ، والحوار أسلوبا ، وتتخذ من الاساليب والصور والمعاني مجالات لاظهار البراعة الفنية ، والقدرات الابداعية التي يحاول فيها الشعراء تكثيف المعنى المراد ، والتركيز على الغاية المرجوة ، وايضاح الجوانب التي تستقطب الغرض • وقد دللت القصيدة على امتلاكها ناحية التأثير فعاشت أجيالا طويلة تحمل مشاعر الامة ، وتؤكد ذاتها ، وترسم آمالها التي عاشت حيّة في ضميرها الانساني •• وقد اكدت دراساتنا لبناء القصيدة على تكامل وحدتها الموضوعية ، وتوحد سياقها الشعري ، وامتداد الاثر القصصي بشكل متميز فيها • ولعلّ لوحة الصيد التي وقفت عندها في دراستي عن وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية[2] تمثل هذه الخصيصة بوضوح وتعبر عن السرد القصصي الذي ألتزم به الشعراء في هذا المجال • لان الشاعر في كل جزء من أجزاء اللوحة كان يقع تحت قبضة رؤياه الشعرية ، ويخضع لنمط

---

(٢) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية/٤١ وما بعدها .

أسلوبي معين ، يمارس من خلاله المنهج الذي أصبح يسلكه في كل حركة ، وعند كل موقف ، ابتداء من الصورة الاولى التي يشبه الناقة بالثور وانتهاء بانتصاره ، ومهمة الشاعر في هذا المجال تعتمـــد القصة التي تبدأ بوضع الخطوط الاولى ورسم شخوص هذه القصة من خلال الاحداث واحاطتها بالظرف الزماني والمكاني ومحاولة وضع النهاية التي تنتهي اليها تلك الاحداث. وفي ثنايا ذلك تتجلّى لحظات التركيز التي تدفع القارىء او السامع الى المتابعة والانتباه وتخلق الجو القصصي الذي يعطي الحدث بعده ، ويحدد للمعاني مواقعها ، ويبدو ان هذا البناء والتنظيم كان واضحا كل الوضوح في ذهن الشاعر ، وهو ينسج أحداث القصة ويجمـــع اطرافها لتتلاقى في موضوع موحد ، وتتحد في أطراد شعري متجانس ، وسرد قصصي متسلسل تنمو من خلاله القصيدة نموا فنيا متكاملا ، وتتألف من وحداتها عوالـم القصة تألفا دقيقا . يوحي بالاستيعاب الكامـــل ، والاحساس الواعي ، ويعكس القدرة القصصية التي كان الشاعر يتمتع بها ، ويكشف عن الالتزام الفني في البناء الذي أصبح نموذجا من نماذج الصورة ، وهيكلا متفقـا عليه من هياكل الصياغة ، وقد حاول الشعراء ان يبرزوا هذه الملامح من خلال التراكيب الشعرية المتناثرة في تضاعيف الابيات ، فالوقوف على الطلل يستحيل عند الشاعر الى حركة صراع داخلية عنيفة ، تعيد الى نفسه الزمن، وتخلق فيها دوافع النزوع الى الابتعاد عن هذا الجو . وهذه الحالة تولـد عند الشاعر قوة الاندفاع لتخطي المرحلة ، والتحرك نحو موقف جديـد ، والتواصل من اجل استكمال لوحة السرد القصصي لتأخذ الصورة ابعادها ، وتستكمل حلقاتها ، وتولد في نفس الشاعر توالي الالحاح ، لمغادرة المحل الذي هيأ له الشاعر دواعي الصمت ، وحشد لصوره من عوادي الزمـن ، وقسوة الطبيعة ، وتوالي السنين ، ما جعله ذريعة للانتقال ، ومن هنا كانت مبررات الشاعر في هذا الالحاح مبررات معقولة ، ليكون طريقه الى المغادرة سليما ، وحجته في عدم الانتظار مقبولة ، ومن الطبيعي ان يؤدي به الانصراف بعد هذا الوقوف الى الالتجاء الى وسيلته المفضلة التي تحمله للمسـافات

الطويلة ، وتنقله عبر المتاهات التي يتيه فيها الدليل ، وتتجاوز بـه المفاوز القاتلة ، ولن تغيب هذه الصورة عن الشاعر وهو يخطط لاحداث قصته ، ويستجمع لها الجزئيات والكليات لتكون هـذه الوسيلة قادرة على اداء مهمتها ، متمكنة من تحمل المشاق ، صابرة على الجهود المضنية التي ستكلفها اعباء السفرة • ان هذا التهيؤ يوجب على الشاعر اعداد هذه الوسيلة اعدادا كاملا من حيث المقاومة والسرعة والتمكن والانطلاق ، ويغدق عليهـا مـن المظاهر ما يجعلها قادرة على الاجتياز ، والشـاعر يدرك ما ستؤديه هذه الراحلة من واجبات ، ويجابهها من صعوبات ، فلا بد من تجميع صور التعب ، وتوفير لوازم الاجهاد ، وتهيئة الاشكال والصيغ التي يمكن ان تقال في هذا المشهد ، وتتلى في هذا الموقف • لتبرز دورها ، وتكشف عن مهمتها ، ولتجعل القارىء او السامع مدركا لما تلاقيه وتصادفه ، ليزداد شوقه الى نهاية الرحلة ولعل اختيار صورة الصياد المتوثب ، وانتقـاء الوقت الذي تستظل فيه ، وتوقيت الزمن الذي يغلب عليه الليل ، واصطحاب هذا الجو بالمطر الشديد والظلام الدامس ، الى جانب انتظار الصياد المتربص بكلابه الجائعة والمدربة، وارتقابه لخيوط الفجر وهي تتسلل عبر حفنات الرمل وقد اشبعها المطـر فانهارت جوانبها على الثور الذي شبهت به الراحلة ، وتناثرت بعض حبات المطر على ظهره ، فشكلت لؤلؤا انفرط عقد نظمه ، أو انسل خيطه •• هذه الصورة وهذا التسلسل القصصي وهذه الحركات المزدحمة والاشكال المتوثبة التي يشد بينها توقع الحدث ، ويحكم ترابط المشهد بين جزئياتها قد أعدت باحكام ، ونسجت وفق تصور قصصي بارع • والشاعر هنا قد رسم لكل واحد من شخوصه دوره المرتقب ، ووضـع له مجال تحركه ، وحدد له الخطوات التي يجب ان يخطوها ، فالصياد له دوره الذي يؤديه ، والكلاب لها موقعها الذي حدد لها ، لا يمكن ان تحيد عنه ، ولا تتجاوز ابعاده ، فهي مهزومة او مقتولة ، ولا نتيجة ثالثة غير هاتين النتيجتين ، والثور في الصورة

يمثل البطل الذي رسم له الانتصار وكتب عليه ان يكون الفائز في المعركة الحاسمة ، لانه صورة الناقة ، ونموذج الوسيلة التي ركبها الشاعر من أجل الوصول الى الغاية المنتظرة . وهو في واقعه يمثل العقدة التي تنتهي اليها القصة ...

ان الخيوط التي ربط الشاعر بها حركات هذا الحيوان ظلت في يده منذ اللحظة الاولى ، وظل الشاعر هو الشخص الوحيد الذي يملك القدرة على تحريكه كيف يشاء ، لانه العنصر الاساس في نهاية الصورة ، ونقطة الارتكاز في نقل مشاعر الشاعر الى الممدوح ، ولهذا كان الاهتمام به أهتماما كبيرا ، والاعداد له اعدادا كاملا ، والاعتماد عليه اعتمادا كليا[٣] .

لقد ظل منهج القصيدة العربية يحمل هذا التسلسل في بناء قصيدته التقليدية التي رسمها الشعراء ، وحملوا لواءها ، والتزموا بعنائها وظلوا يحملون معها هذه الابعاد القصصية التي تخفي في ثناياها عوامل الابداع ، وتطوي في اعماقها حكايات الامة التي تركت آثارها فوق كل لمحة من هذه الملامح ، وتخزن الموروث الاجتماعي والنفسي والديني الذي بقي عاملا حاسما من عوامل الدفع من اجل الوحول الى الحياة الافضل ، والسعي لتثبيت القيم التي اتفق على تحديدها المجتمع والتزم بتنفيذها الافراد .

ان الصورة القصصية التي تحتفظ بها ذاكرة القصيدة العربية لم تكن صورة جاهزة او مركبة ، وانما هي امتداد حضاري لفكر مبدع ، ومسيرة فكرية لروافد وابداعات انسانية متراكمة ، حققتها الذات العربية ، وقدمتها عطاء ادبيا متطورا ، وفنا انسانيا متقدما ، تخلّلته العواطف وشدت اواصره عوامل الشوق الحادة ، وعاشت في فيضه طاقات الانسان الذي اخلص لموروثه من خلال الالتزام بكل المناهج المتطورة .

---

(٣) يمكن مراجعة لوحة الصيد ووحدة الفكرة في كتاب وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية .

وقد وجدت القصة الشعرية عند هذيل صورة اخرى يكاد ينفرد بها شعراء هذه القبيلة وخاصة في احوال الرثاء[٤] ، لانهم وجدوا في الوعل المسن ، والثور الوحشي الاسفع ، والحمار الوحشي ، والعقاب صورة الخلود لما تتمتع به هذه الحيوانات ، وخاصة الوعل من قوة وصلابة وتمكن من الارتقاء الى الاماكن المرتفعة ، وتسلق قلل الجبال المنيعة ، وقابلية على الايغال في أعماق الصحراء البعيدة ، ولكن بالرغم من كل هذا التمنّع والتمكن والقابلية فهو يخضع لسلطان الموت ، وحوادث الدهر الذي لا يبقى على حدثانه شيء ، فلابد ان يتاح لها في يوم من الايام صياد ماهر ، اخذ عدته وتأهب للعمل ، واعدّ السهام القوية ، والرماح الطويلة التي تمكنه من اصابتها[٥] . فالشاعر الهذلي في الرثاء يسرد لنا الحكاية سردا شيقا ، ويصور فيها هذا الحيوان ، وقد اكتملت قوته ، وعظم نشاطه ، ويصور ما يصادفه في حياته ، وما يتمتع به من ملذات الحياة ، وينعم به من مغانمها ، ليمنحه الصورة الكاملة للقوة والنشاط باسلوب محكم ، وعبارات منتقاة ، وصور حية ، واحداث مشوقة ، واجواء قصصية تحمل القارىء او السامع على المتابعة ، وتدفعه الى التركيز ، للوقوف على النهاية ، وقد تحفزت مشاعره ، وتوثبت احاسيسه ، وبلغت في نفسه رغبة المتابعة حدا كبيرا .. وهنا يمتلك الشاعر ناصية الوقائع ، ليعطي الفكرة المرسومة في ذهنه كل الوانها ، ويحدد مواقع احداثها تحديدا دقيقا . فيصور الموت وقد تهيأ ، وبرسم القدر وقد حان ، وهو على شكل صياد ماهر ، أو حيوان جارح ، يتابع هذا الحيوان ،

---

(٤) للنحل في احاديث الشعراء ولاسيما الهذليين حديث طويل لكثرة انتشاره في مناطقهم واستفادتهم من عسله ولهذا كثرت صوره في شعرهم وتحدث عنه الشعراء وعن الطرق التي يصلون بها الى خلاياه والوسائل التي يستخدمونها مشتارو العسل ، وهي أحاديث تكتسب طابع القصص لما برافقه من وقائع واحداث . (ينظر كتاب الطبيعة في الشعر الجاهلي /٢١٢ وما بعدها) .

(٥) السكري . شرح اشعار الهذليين ١/٢٤٥ ، ٣/١٠٩٠ ، ٣/١١٢٤

ويبرز له على أشكال مختلفة ، يترصد حركاته ، ويراقب كل دقيقة من دقائقه حتى اذا أصبحت الفرصة مؤاتية ، سدّد سهمه ، وصـــوب رمحه ، وانقض عليه فارداه على الارض ينضح دما ، وهنا يطمئن الشاعر الى هذه النهاية ، التي وضّح خطوطها قبل ان يبدأها ، وصمم هيكلها قبل ان يشرع في سردها. ويختم القصة بعبارته التي توحي بالرضا ، ليبعث في نفسه الراحة ، لانــه المصير المقدر الذي يدرك كل انسان وحيوان ، ولا يفلت من قبضته أحد[٦].

وتشكل محاورة الذئب في بعض قصائد الشعراء امتدادا قصصـيا آخر وبناء فنيا اعتمد الحوار والمناجاة ، وتخلّلته المشاعر ، وتجلتّ في احداثه طبائع الكرم الذي لازم امثال هذه المحاورات[٧] ، ويمكن اعتبار قصيدتي المرقش الاكبر[٨] وامرىء القيس[٩] من اوائل القصائد التي وصلت الينا وهي تحمل هذا النوع من المحاورة او المصاحبة . فقد صور امرؤ القيس مقابلته للذئب وقد اضرّ به الجوع عند ماء آجن ، بعد ان أمحل من حوله الكلأ . فكان يعوي عواء الخليع الذي طردته العشيرة فبات لا يملك مالا يسدّ به رمق الحياة ، ولا أهلا يصدون عنه عوامل الدهر فخاطبه الشاعر برفق ، وسأله عن أخ يواسيه ، ثم دعاه الى الحوض الذي تركه له بعد ان عتذر الذئب عن مشاركة الشاعر طعامـــه ، وبعدها يأخذ الذئب بالعواء مستدعيا بقية أصحابه لهذه المكرمة ، معلنا وفاءه لبني جنسه من الذئاب لتجد في هذا النبع ما يدفع عنها حرارة الجوع ، وقسوة الصحراء ، ولهيب وقدها اللافح . اما المرقش الاكبر فيقدم لنا صورة أخرى لهذا الحيوان الذي عراه مستضيفا فاكرمه كما يكرم الضيف ، ويصور لنا فكرة الكـــرم لاصيل الذي يقدم للضيف مهما كان شكله لا يفرق في تقديمه بين انسان وحيوان .

---

(٦) ينظر شرح اشعار الهذليين ٢٥٣/١ و ١٠٩٣/٣ ، ١١٢٤ .

(٧) ينظر كتاب على الهامش للاستاذ هلال ناجي/٣٩ .

(٨) شعر المرقش الاكبر . مجلة العرب / والمفضليات ٢٦/١ .

(٩) امرؤ القيس . الديوان ٣٦٣-٣٦٤ وتنسب القصيدة الى النجاشـي الحارثي في حماسة ابن الشجري/٧١٨ وينظر تخريجها فيها .

وتلوح صورة الذئب عند كعب بن زهـــير ، وهي تحمل الموروث الشعري لها ، فقد استضاف الشاعر الذئب اثناء رحلته ، وحاول ان يصور المكان بدقة حيث كان الشاعر يسمع فيه همهمة لا يتبين فيها المعاني ، ولا تتميز الاصوات ثم يستمر في الحديث الذي يكشف حالة التفرد التي كان عليها الذئب ، والاوصاف الدقيقة والالـــوان والاحوال ، وما يرجوه من الزاد ، ويضيف اليها صورة الغراب ، وهي استطراد جديد[١٠] . ولعـلّ أضافة الغراب ، وما أعقب ذلك من ملامح في توسيع افق الصورة ، والعناصر الجديدة التي دخلتها هي التي حملت ابن قتيبـــة على اعتبار الشاعر من السباقين حتى ان بعض الشعراء قد اخذوا منه ذلك[١١] .

وتتوحد في اللوحتين صورة الكرم الذي حاول الشاعران ان يعبرا عنه والصورة الانسانية التي داخلتهما وهما يقفان أمام حيوان لـم يعرف غـير الصحراء ميدانا ، ولم يجد غير الهواجر ظلا وملاذا ، ولعلّ الصورة الكاملة التي رسمها الفرزدق للذئب في قصيدته[١٢] :

وأطلـــس عَســـال وما كان صـــاحباً
دعـــوتُ بنـاري مُوهنـــاً فأتانـــي

فلمـــا أتـــى قلتُ ادنُ دونــك إننـــي
وايّـــاك في زادي لمشـــــتركانِ

فبـتُّ اســـوّي الزاد بيني وبينـه
علـى ضـــوء نـارٍ مرةً ودخـــانِ

فقلت لـــه لما تكشـــرّ ضـاحكاً
وقائـــمُ ســـيفي من يـدي بمكان

(١٠) كعب بن زهير . الديوان / ٤٦-٥٢ .
(١١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ١٤٦/١ .
(١٢) الفرزدق : الديوان ٣٢٩/٢ وتنظر قصيدته .

تعشَ فـانْ واثقتنـــي لا تخوُنني

نكُنْ مثـلَ من يا ذئـبُ يصطحبـانِ

وانت امـــرؤ يا ذئـبُ والغـدر كنتما

أخيّين كانـــا أُرضـــعا بلبـانِ

ولو غيرنـــا نبهت تلتمـس القـرى

اتـــاك بســـهمٍ أو شـباة سنانِ

وكُلّ رفيقيْ كُلّ رَحـْلٍ وأنْ هما

تعاطـــى القنا قوما هُمـا اخـوانِ

تعبر عن الامتداد الفني لهذه المحاورات • وعلى الرغم من ان مقدمـة القصيدة قد أشارت الى ان الفرزدق خرج في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب ، فلما عرسوا من آخر الليل عند الغريين ، وعلى بعير لهم مسلوخة كان اجتزرها ، ثم اعجله المسير ، فسار بها فجاء الذئب فحركها • وهي مربوطـة على بعير ، فذعرت الابل ، وجفلت الركاب منه وثار الفرزدق ، فأبصر الذئب ينهشها ، فقطع رجل الشاة ، فرمى بها الى الذئب ، فأخذها وتنحىّ ، ثم عاد فقطع اليد فرمى بها اليه ، فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان •• أقول : على الرغم من هذه المقدمة التي قدم بها لهذه الحادثة فانني أعتقد ان الصورة تقليدية لموروث شعري قصصي ، سلكه الشعراء في بعض مسالكهم ، وانتهجوه في جوانب من مناهجهم ، تعبيرا عن مشاركتهم لهذا الموروث ، وتأثرهم بما يحمله من مشاعر التعاطف في مواقف الكرم أو أستجابتهم لدواعي النفس عندما تجد نفسها في موضع يستحق التعبير ، أو التزامهم بحدود الاغراض والمواقف والابنية الفنية لبعض ما يريدون التعبير عنه • ويمكن تأكيد هذه الفكرة عند مراجعتنا لقصيدة الفرزدق الثانية التي ذكر فيها الذئب مرة اخرى فقال(١٣) :

وليلة بتنا بالغريّين ضافَنا على الزّاد ممشوق الذراعين أطلسُ

---

(١٣) الفرزدق : الديوان ١/٣٨٧ •

ومن الغريب ان يقدم للقصيدتين بمضمون واحد ، وصياغة متقاربة ..
وهذا ما يؤكد ما ذهبنا اليه من افتعال للحوادث[14] ، ولعل تكرار امثـال هذه القصائد وبالسرد القصصي التقليدي عند بقية الشعراء تحدد الصـورة الفنية التي التزم بها الشعراء وعالجوا من خلالها الجوانب النفسية التي كانت تعتريهم[15] ، وتمسكوا بالاسـلوب الذي اصبح متبعـا في معالجة هـذه الموضوعات . لان معظم هذه المحاورات تدور في اطـار واحد ، وتستخدم اسلوبا واحدا ، وتستسقي حوارها م نموضوع محدد ، ولا اغالي اذا قلت أن الافعال والصيغ والصور تكاد تكون متشابهة ، وقد تركت هذه المحاورات أثرها الواضح في الادب العربـي ، وربما انتقلت هذه الصياغة الى محاورة حيوانات أخرى ، استمدت احداثها من معانٍ وجد فيها الشعراء مجالا للتعبير عن دواخلهم النفسية ، أو واقعهم الاجتماعي . فاتخذوا منها طريقا للتعبير ، وفي محادثتها صورا من صور التعاطف الانساني ، وقد ظلت هذه المحاورات تحمل السرد القصصي التقليـدي ، وبقيت احداثها الداخلية مرتبطة بظاهرة الجوع الصارخ ، والوحدة الكئيبة ، والظلام الغامر ، والتطلّع الى ما تجود به اليد ، والمراقبة الشديدة ، والترصد الغادر .. والنهاية التي تحقق الرضا الى الطرفين ... وقد ظلّت ظاهرة الحديث مع الذئب مرتبطة بالجوع والكرم والتعاطف الوجداني والاحساس المتبادل والضيافة ولابد لي وانا اتحدث عن هذا النوع من الحوار أن أقف عند جانب آخر من جوانب الكرم كان يرتبط بسرد قصصي آخر ، ويأخذ شكلا قريبا من الشكل الذي كانت تأخذه هذه المحاورات ، فالشعراء في حديثهم عن الاضياف كانوا يلتزمون نمطا قصصيا واحدا ، ويستخدمون شكلا فنيا واحدا ، ويميلون الى أستخدام صيغ لفظية واحدة ، من اجل الوصول الى الغاية التي تشرح الكيفية التي يتم بموجبها الكرم . وهو سرد متناسق من حيث التوجيه ، يبرز فيه التمهيد والتقديم ثم

---

(١٤) ينظر المعاني الكبير /٢٠٦ ، ٢٠٧

(١٥) الكميت . الديوان : ١/١٩٦ ، ١/٨٦ نقلا عن المعاني الكبير /٢٠٤ ، ٢٠٥ وينظر الديوان ١/٨٧

ينتقل الى الوقوف عند احداث القصة وما يقدمه الضيف ، والطريقة التي ينتهي بها ذبح الذبيحة ، وما يعقب ذلك من وقائع .

ان هذا الجانب يشكل ظاهرة قصصية اخرى سأقف عندها قليلا لأؤكد هذا الجانب من حيث البناء والتوافق ، وأؤكد ان هذه الاساليب القصصية كانت تمثل رافدا أدبيا واضحا في الشعر العربي .

وتأخذ مقدمات قصائد الاضياف جانبا واضحا من الحوار القصصي ، وهو جانب يتمثل بالضيف الذي يلجئه الضلال عن الطريق ليلا ، وجهد المسير الى ان يتكلف نباح الكلب وحكايته ، لتجاوبه كلاب الحي ، فيهتدي اليها بصياحها ، ويستعين على ضره وحيرته ، ويؤكد الشاعر بان الليلة من ليالي جمادى ، لانها من شهور البرد والمطر ، كما يؤكد شدة ظلمتها وامتداده ، وتكامله وتراكمه ، (لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا)[16] ، وان الصدى يستتيهه الى كل صوت يدركه ، ويستخدم الشعراء في هذه الحالة الصور الآتيـة :

ومستنبحٍ بات الصـــدى يستتيهه[17] ...

ومستنبحٍ قال الصـــدى مثل قولـه[18] ...

ومستنبحٍ يستكشط الريح ثوبــه[19] ...

ومستنبحٍ بعد الهدوء دعوتــه[20] ...

ومستنبحٍ تهوى مساقط رأســه[21] ...

ومستنبحٍ في لجّ ليل دعوتــه[22] ...

---

(١٦) من قصيدة لمرة بن محكان في حماسة ابي تمام (المرزوقي) ١٥٦٣/٤

(١٧) حماسة ابي تمام ١٥٥٧/٤

(١٨) ن.م. ١٥٦٩/٤ .

(١٩) ن.م. ١٥٨٠

(٢٠) ن.م. ١٦٤٣

(٢١) ن.م. ١٦٤٥

(٢٢) ن.م. ١٦٩٥ .

ومســــتنبحٍ لهفــان يضربه النــــدى[23] ...

ومســــتنبحٍ بعــد الهــدوء دعوتــــه[24] ...

ومســــتنبحٍ والجــونُ أهدبُ ماطــر"[25] ...

ومســــتنبحٍ طاوي المصــــير كأنمــا[26] ...

ان صيغة (ومستنبح) التي افتتح بها الشعراء مقطعاتهم في هذه النماذج وفي غيرها ، تؤكد التزام الشعراء بها ، والتحدث باطارها ، والحرص على الشكل الذي استخدمت فيه ، كما ان الصياغة التي أعقبت هذه العبارة ، كانت صياغة متقاربة من حيث الشــكل ، ومتفقة من حيث الاداء والمعنــى والدلالة ، وهذا يعني ان هيكلا من البنــــاء الموحد في المعنى والاستخدام والتوافق كان يسود الجو الشعري ، ويفرض وجوده على الشاعر ، وهــو يعالج موضوعا أو غرضا . واذا حاولنا متابعة الظاهرة في هذه النماذج وفي غيرها وجدنا ان الصــورة التي رسمت في النموذج الاول تظل صورة تهدي بقية النماذج ، وترشد الشعراء الى أقتفائها ، وتدلهم على المعالم المتبقية والتي تترك على وجوه قصائدهم معالم الالتزام الفني في هذا البناء ، لان الشعراء يحرصون على ان يكون الشطر الثاني وما بعده جوابا (لرب) ويتضمــن اشارة الى ما يرشد هذا المستنبح اليهم ، ولعلهم وجدوا النار دليلا من ادلّة الاهتداء ، بعد ان يوقدوها بغلاظ الحطب وكبارها ، فكان الجواب « حضأت له نــارا لها حطب جــزل »[27] ، و « بشقراء مثل الفجر ذاكٍ وقودها »[28]

---

(٢٣) الحماسة البصرية ٢/٢٣٤ .

(٢٤) ن٠م٠ ٢٣٦

(٢٥) ن٠م٠ ٢٣٨

(٢٦) ن٠م٠ ٢٤١ وينظر ٢٤٢ .

(٢٧) الحماسة ٤/١٥٦٩ .

(٢٨) الحماسة ٤/١٦٤٣

« حضأت له نـاري فأبصر ضوءها »[٢٩] و « بمشبوبة في رأس صمـدٍ مقابل »[٣٠] ، و « رفعت له حمـراء اخرق نورها »[٣١] و « هدته لنا وردية اللـون طيرّت »[٣٢] ، « ودعوت بحمراء الفروع كأنها »[٣٣] ، « ورفعت له ناري فلما اهتدى بها »[٣٤] .

فالنار هنا اصبحت علامة من علامات الاهتداء ، واشارة من اشـارات الشعراء اذا ارادوا ان يتحدثوا عن هذ الموضوع ؛ ومن الطريف هنا ان يلتزم الشعراء في هذا الموضوع وموضوع محاورة الذئب (البحر الطويل) لاسباب قد تدخل احيانا فيقدرة البحر على أستيعاب الصورة ، واتساع مقاطعه النغمية لامتداد المعنى المطلوب[٣٥] ، كما انهم ظلوا حريصين عليه حتى في القصائـد التي جردوا فيها النساء للومهم على الانفاق او الكرم أو الجرأة والمغامرة أو الموضوعات الاخرى التي استخدموا فيها صيغ الحوار . ولعل ارجح الاسباب وافضلها يعود الى حرصهم على ابقاء الصورة التقليدية خاضعة حتى في الوزن. وهذا جانب فني يؤكد متابعة الصورة والحرص على استيفاء معظم اجزائهـا واستكمال ابعادها الفنية اطارا وبناء وتركيبا .

ان محاولة الشعراء تقليد الصورة الفنية المتعارف عليها ، لم تمنعهـم من ابراز قدراتهم الفنية ، ولم تحل دون ايضاح احساسهم الدقيق وابداعهم المعبرّ ، فالنار التي حرص على ايقادها الشعراء ، ليهتدي بضوئها من كدّه الزمان في سفر ، أو لم تساعده الحال على مؤنة ، فاستنبح كلاب الاحياء لم تكن لونا واحدا ، أو صورة متشابهة ، فهي نار أوقدت بغلاظ الحطب وكبارها

---

(٢٩) الحماسة ١٦٤٦/٤
(٣٠) الحماسة ١٩٦٥/٤
(٣١) الحماسة البصرية ٢٣٤/٢ .
(٣٢) الحماسة البصرية ٢٣٨/٢
(٣٣) الحماسة البصرية ٢٤٢/٢
(٣٤) الحماسة البصرية ٢٤٢/٢
(٣٥) ينظر كتاب المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها للدكتور عبدالطيب المجـذوب ٣٩٢ وما بعدها .

فكانت شـديدة الاتقاد ، أو سعراء مثل الفجر لصفائها ، واشتداد حمرتها ، أو هي مرفوعة أو مهيّجة ، ليبصر ضوءها ، أو مشبوبة في رأس جبل مرتفع مقابل لسمت الضيف ليدعوه اليه ، أو حمراء يخرق نورها قميص الدجى ، أو وردية اللون قد تطاير شررها حتى تميّز بعلاماتها رداء الافق ، أو حمراء كأن فروعها ذرى راية في جانب الجو تخفق ..

ان هذه الصور الملونة للنار ، وهذه الاوصاف التي وصفت بها للتدليل على ارتفاعها وانتشارها وسعة رقعتها كانت المجال الفني الذي حاول الشعراء ان يبدعوا فيه ، لاظهار قدرتهم في ابراز صورتها ، وايضاح أهميتها ، وتأكيد توقدها ، وقد اتخذوا من هذه الصورة رمزا من رموز الكرم ، ومظهـرا من مظاهر الاعتزاز ، ومجالا من مجالات القدرة على العطاء . أو الاشتهار به ، أو التميّز بمظاهره . فمحاولة الاقتداء بالهيكل العام لهذا الغرض ، والالتزام بالبناء الفني لم يقتصر على الاطار العام للبناء ، وانما ظل الشاعر يتابع جزئياته بدقة ، ويساير أشكاله بمهارة ، ويدور في دائرته بانتظام . فالصورة التـي بدأها بالاستنباح ، وتابعها باشتعال النار كانت بداية لحوار مستمر يبدؤه الشاعر ثم يعقب عليه بقوله فقالوا[٣٦] . أو فقلت[٣٧] ، ثم يستمر الحوار في بعض القصائد فيستغرق مجموعة من الابيات[٣٨] . أو يستمر على لسـان الشاعر الذي يأخذ مجالا جديدا في استكمال عمليـة الكرم والاعداد له والترحيب بالضيف واستقباله[٣٩] ، والقيـام بصورة مستعجلة حرصا على أصلاح امره ، وتوطيد محله ، واستغنام خدمته لئلا يبادر غيره فيفوز بـه

---

(٣٦) الحماسة ٤/١٥٥٩ .

(٣٧) الحماسـة ٤/١٦٩٥ ، ١٦٩٨ ، ١٦٤٣ ، ١٦٢٧ ، ١٧١٦ .

(٣٨) الحماسة ٤/١٦٢٧ ، ١٦٢٨

(٣٩) الحماسة ٤/١٦٤٣ ، ١٦٤٦ ، ١٦٢٨ ، ١٦٩٨ والمفضليات ٢/١٢٦

ويستخدم الشعراء الفعل (قمت) وهو مقترن بالفاء[٤٠] وقد استبطن سيفه[٤١] أو قام بنصله[٤٢] • أو بأبيض مصقـول خطت حديدة جفنـه في الارض[٤٣] •

ويحرص الشعراء على ان يكون السيف وسيلتهم في الذبح ، والابـل ساكنة عظاما ، باركة بالفناء ، كريمة بيضا هاجدة ، أعدت لواجب حق ، وهيئت لتكون زادا للضـيف ، ثم تتسلسل الحكاية تسلسلا قصصيا تتوالى فيهـا الافعال تواليا منسـقا ، وتعاقبت حروف العطف تعاقبا متصلا من حيث الاداء والعمل والربط ، لتأخذ الحكاية حورتها ، ولتؤدي الافعال معانيها ودلالتها لتصل الى النموذج الاخلاقي الذي بنيت عليه الحكاية ، وحددت الادوار • فالشاعر يسعى الى اكتساب الحمد بالمال[٤٤] ، ويبالـغ في تفقد أضيافه ، ويسترخص الحمد الذي يجلبه الاكل ويكسبه الطعام[٤٥] ، ويؤكد ان اطعام الضيف حق ودين يرثه الابناء من الآباء ، ويأخذه الخلف عن السلف[٤٦] ، ويباهي باصل الكرم وطيب ارومته ، وتعظيم الالتزام به[٤٧] •

ان تسلسل هذه الحكايات ، واتفاق صيغها ، وحرص الشعراء على اداء المعنى وما يقتضيه البناء ، يشكل التزاما قصصيا واضحا ، وحوارا لحكايات كانت احداثها تدور في نفس الشاعر ، ووقائعها تتجلّى له في حياته التـي يمارسها في كل وقت ، ويؤكد وجود صيغ أدبية مرسومة ، وأطر فنية واضحة

---

(٤٠) الحماسة ٤/١٥٥٩ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ ، ١٦٤٩ ، ١٦٩٨ والحماسة البصرية ٢/٢٣٧ •
(٤١) الحماسة ٤/١٥٦٦
(٤٢) الحماسة ٤/١٦٤٨
(٤٣) الحماسة ٤/١٦٩٨
(٤٤) الحماسة ٤/١٥٦١
(٤٥) الحماسة ٤/١٥٦٨ ـ ١٥٦٩
(٤٦) الحماسة ٤/١٧٠١
(٤٧) المفضليات ١/١٢٥

يقف عندها الشعراء وهم يقدمون على معالجة الموضوع ، ويأخذون بها وهم يؤدون مهمة المباشرة ، وهذا يعني ان سردا قصصيا ، وامتداد حوار داخلي كان يتجاذب اطراف الاحاديث في دخيلة الشاعر ، فينصرف الى معالجته ، ويأخذ نفسه التزاما بالصيغة ، وحرصا على الاداء ، وتشخيصا للعناصر الفنية التي كانت تأخذ ادوارها في الحكاية ، المتمثلة فيأشخاص الضيوف، وأصوات الاستنباح ، وعبارات الاستقبال والترحيب والاكرام ، والقيام بعجلة الى الكرم الهواجد ، وحركات الجازرين ، والجو النفسي الذي يسود العملية بعد الاطعام والارتياح الذاتي الذي يستشعره الشاعر وهو يطعم جائعا ويؤدي واجبا ، ويقضي حقا ، ويحسن الى أنسان اجهده السير واتعبه الطريق واضلته الظلمة الحالكة .

ولعل الحوار الذي يكتنف بعض قصائد الشعراء ، والذي يأخذ طابع البساطة في بعض الاحيان ، هو حوار لا يخرج عن نطاق المساجلة الآنية ، والفكرة المؤقتة ، والتأثير الذاتي ، ولكنه يمثل اتجاها قصصيا ، ومجرى حوار كان يأخذ بعده في الواقع الشعري ويرسم ملامح توجهات قصصية معروفة ، وربما كانت هذه الملامح صورا لتيارات لم تبرز بشكل واضح في هذه المقطعات . وقد يكون الحوار طويلا تنبعث منه فلسفة الشاعر ، وتبرز من ملامحه قدرته الخلقية ، وتأتلق من خلاله ملامح الاصرار الذي دفعه الى هذا السلوك .

وقد يظن بعض الباحثين ان هذا الحوار بشكليه هو حوار حقيقي استحدثته الفكرة الموقتة ، او أوجبه العتاب الانفعالي ، أو خلقه الظرف المناسب . وقد حاولت في هذا البحث متابعة ظاهرتين من هذه الظواهر وعند شاعرين من الشعراء هما حاتم الطائي وعروة بن الورد ، وقد استطعت ان أتوصل الى ان هذا الحوار متخيل لا وجود للنسوة اللاتي تخيلهن الشعراء فيه ، ويمكننا ان نعد هذا التخيل من المحاولات الاولى في الحوار الشعري بالنسبة للادب العربي .

واستطيع كذلك ان اؤكد أن أكثر الحوار الشعري الذي استخدمه الشعراء كان يعتمد التجريد الذي يختلقه الشاعر ليؤكد في نفسه صفة مشهورة ، فمحاورته للفرس والغول يؤكد فيهما شجاعته ، ومحاورته للذئب يؤكد أكرامه للضيف ، ومحاورته للمرأة التي تظهر خوفها من الانفاق يؤكد كرمه ، ومحاورته للمرأة التي تظهر خوفها من المخاطر يؤكد بطولته ، وكل محاولة من محاولات الحوار هذه تظهر صفة من حنفاته ، وتؤكد رمزا من الرموز التي قدمها ، مستخدما أسلوب التجريد الذاتي الذي احسّ فيه قدرة على التعبير ، ومجالا لمخاطبة الذات •

فالتجريد الواعي لحقيقة النفس من خلال الاستجلاء الواقعي لها ، يوحي بما لا يقبل الشك بما تحمله هذه النفس من خصائص ، وما تحاوله من أثبات لها وهي في هذه المحاولة لا تخرج عن الاطار المرسوم والمحدد • وهذا التجريد يوحّد الاشتات المتناثرة من اجزاء هذه الخصائص ، ويلم أشكالها المتناسقة ، ووحداتها المتشابهة ، ليصنع منها الهيكل العام الذي يعكس من خلال حركاته أصالة الاتجاه ، ويعطي من ملامحه ما يضيف اليه تكامله الخلقي ، وتجانسه الجوهري • والانسان يخضع وهو يعاني هذه التجربة لعوامل كثيرة تتصارع فيها الاجزاء ، وتسقط من بين أصابعها نزوات الاعراض الواهية ، وتلمع شرارات الحدس الموحي بصدق الرؤيا بشكل مغاير ، ليمنح الانسان قدرته الخلاقة ، ويهبه من معطيات أصالته ما يحمله على تصديق هذه الرؤى • وعند أستكمال الجوانب الخارجية للصفة التي أعتقد الانسان بوضوحها ، تنبري العوامل الداخلية بصمت واع ، لتنسج الوجه الآخر لهذه الصفة ولتظهرها كاملة من خلال اطارين واعيين يحسنان الابداع ويقدران على دفعه بشكل لوحة فنية بارعة وبارزة تتجسد في ألوانها ملامح الانسان المعبر وتأتلق في ثنايا خطوطها حركاته البارزة وتتحدد الخصلة التي وجدت طريقها البين ، شامخة رائدة •

وقد استطاع الشاعر الجاهلي ان يتلمس الطريق السليم للكشف عن صفاته البارزة بواسطة هذا التجريد لانه استطاع من خلاله ان يرسم صورته

الاصلية ويؤكد خصائصها البارزة ويظهره بشـــكل يوحي بالقدرة الفنية الكامنة في تعابيره والتمكن المسؤول عن حمل الشحنة الشعرية المعبرة • فهو يجرد من نفسه شخصية المرأة اللائمة ليجعلها الصورة الرافضـــة لسلوكه القانع بادائه وهو في هذا التجريد يخلق العبـــارة المتناسقة والجو الموافـق والعتاب المقبول مستمدا من الحوار الداخلي الذي يجريه وسيلته التي يرتكز عليها لايضاح وجهة نظره وبسط المفهوم الذي آمن به حقيقة واقعة لا يمكن ان يخرج عن حدودها •

والشاعر يحرص على ان تكون وسيلته اللوم ، ويحرص على استخدام الفعل (لام) و (مشتقاته)[٤٨] في بداية حواره وهو حريص كذلك علـى اخفاء الصورة الاولى التي لا يذكرها أبدا وانما يكتفي بتقديم حجته بعد ان يمهد لذلك بما يشير الى اللوم • ويحرص كذلك على ان يقع هذا اللوم في الليل بعد ان تبدأ النجوم اللامعة بالميلان نحو المغيب ، وبعد ان يحجب الظلام الرؤيا الواضحة وتلف الارض العريضة جحافل الليل المعتم • في هذا العالم تتوثب في نفس الشاعر عوامل الدعوة وكأنه كان يجد في ظل هــذا الصمت الرهيب والوحدة السائبة استجابة واقعة وأثارة لازمة ودواعـي موجبـة •

والشعراء يصرون على ان ظاهرة اللوم هذه لم تكن في محلها مهما كانت الدوافع ويؤكدون استمرارهم على السلوك الذي ليموا عليه ، غير آبهين بما يقال عنهم ، ويعد الشاعر حاتم الطائي من النماذج الشعرية التي التفتت بشكل واضح الى هذا التجريد لتأكيد صفة الكرم ، ولا نستغرب هـــذه الحقيقة اذا علمنا ان حاتما يمثل التركيز الصادق لظاهرة الكر مالعربي ، وقد أصبحت هذه الظاهرة خصيصة متميزة ، خبرها الشاعر خبرة واعية ، وهضمها هضما حسيا ، واستطاع ان يجعله فلسفة يدافع عنها وفق منطق معقول ، ويلتزم بها التزاما غير محدود ويبذل من أجلها ما يحـــرص الآخرون على جمعــــه •

---

(٤٨) في معظم النصوص المستشهد بها نجد هذه الظاهرة .

وقد أخذت صورة التجريد أشكالا متباينة ، واتجاهات مختلفة ولكنها تلتقي عند ظاهرة اللوم ، وتختلف عن الصفة التي يلام عليها ، وهي التي تحمل المرأة على هذا اللوم ، ولهذا كان حاتم الطائي يجرد شخصية المرأة اللائمة على انفاقه وبذله وكرمه • وعروة يجرد شخصية المرأة اللائمة على غزوه وخوضه غمار الغارة ، وعمرو بن معد يكرب يجردها على الانفاق الغزو معا •

ان حاتم الطائي في تجريده يمسك بخيوط الاسلوب الشعري المحسوس ويستخدم الالفاظ الشعرية الموحية ، ويوافق بين تسلسل الافعال بصورة فنية منسقة ، فاللوم واقع بسبب اعطاء المال أو هلاكه وحديث البخل قائم للمقارنة والدعوة الى امساك المال جزء من النصائح التي تقدمها اللائمة وفلسفة الشاعر وعادته في الانفاق ، وايمانه باساءة تصرف الوارث بعد موته ، تمثل التبرير المعقول لدى الشاعر وتحمله على الدفاع بشكل تقريري عن هذا السلوك الوصفي والايمان المطلق بسلامة هذا التصرف ان هذه الافكار تتناثر في أبيات قطعه ، وبشكل يوحي بعمق الفكرة الشاعرة في نفسه فيقول في واحدة من قصائده[٤٩] :

وعاذلة هبت بليل تلومني	وقد غاب عَيّوق الثريا فعردا
تلوم على اعطائي المال ضَلّةً	اذا ضَنّ بالمال البخيل وصَرّدا
تقول : الا أمسك عليك فانني	أرى المال عند المسكين مُعَبدا
ذريني ومالي أن مالِك وافر	وكل امرىء جارٍ على ما تعودا
ذريني يكن مالي لعرضيَ جُنة	يقي المالُ عرضي قبل ان يتبددا
اريني جودا مات هَزلا لعلني	ارى ما ترين او بخيلا مخلدا
وإلاّ فكفي بعضَ لومِكِ واجعلي	الىرأيِ مَن تَلْحينَ رأيَك مسندا

(٤٩) الديوان ٢٢٩ ـ ٢٣٠ •

وفي قطعة أخرى يقول[٥٠] :

وقائلةٍ أهلكتَ في الجـود مالنـا ... ونفسكَ حتى ضَرَّ نفسَك جُودها
فقلت دعينـي انمـا تلكَ عـادةٌ ... لكل كريـم عادَةٌ يَسـتعيدُها

وفي ثالثة يقول[٥١] :

مهلا نوارُ أقلّي اللـومَ والعَذَلا ... ولا تقولي لشيء فـات ما فَعَـلا
ولا تقولي لمـال كنتُ مُهلِكَـهُ ... مهلا وان كنتُ أعطي الجن! والخبلا
يرى البخيل سبيلَ المـالِ واحدةً ... إن الجـواد يرى في مالـه سُبُلا
ان البخيـل اذا ما مـات يَتبَعُهُ ... سوء الثناءِ ويحوي الوارِثُ الأبلا
لا تعذلينـي على مـال وصلتُ به ... رَحْماً وخيرُ سـبيل المال ما وصلا

اما في القطعة الرابعة فلا يكتفي الشاعر بعاذلةٍ واحدة وانما يتجاوزها الى عاذلتين تلومانه لا تلافه واتفاقه فيقول[٥٢] :

وعاذلتين هبتـا بعـد هجعـة ... تلومان مِتلافـاً مفيـداً مُلَوما
تلومـان لمـا غوّر النجمُ ضَلّةً ... فتى لا يَرى الاتلاف فيالحمد مغرما
فقلتُ وقـد طـال العتاب عليهما ... وأوعدتانـي أن تَبينـا وتَصـرما
الا لا تلومانـي على مـا تقدّمـا ... كفى بصروف الدهر للمرءِ مُحكما
فانكمـا لا ما مضـى تدركانِـهِ ... ولستُ على ما فاتني مُتندمـا

وهكذا تنبسط فلسفة حاتم ، وتتضح ملامح هذا السلوك من خلال التجريد الذي افرده من نفسه على شكل ذات تمثل الجانب المضاد لما يعتقد به ، ليجسد هذا السلوك من ثنايا التمييز الواضح بين الخصيصتين .

---

(٥٠) الديوان/١٨٧
(٥١) الديوان/٢٠٠ ـ ١٠٢ .
(٥٢) الديوان/٢٣٥ .

ولم ينفرد بهذا الحوار حاتم الطائي ، ولم تتميز به شخصيته ، وانما نهج هذا النهج مجموعة من الشعراء ، لان البناء الفني ألزمهم بالمحاكاة والاطار الشعري حملهم على التقليد . وقد أكدت النماذج الشعرية التي زخرت بها مجاميع الشعر هذا الاتجاه ، فعمرو بن الاهتم يجرد شخصية أم هيثم ليخاطبها فيقول[٥٣] :

ذَريني فاءنّ الشحَّ يا امّ هيثمٍ ... لصالح اخلاق الرجال سروق

ذريني وحُطيّ في هواي فانني ... على الحسب الزاكي الرفيع شفيق

ذريني فاني ذو فعالٍ تهمّني ... نوائبُ يعشى رزؤها وحقوق

وزيد بن حصين يجرد ابنة منذر فيقول[٥٤] :

أقلّي عليّ اللومَ يا ابنةَ مُنذرٍ ... ونامي فان لم تشتهي النوم فاسْهري

ويجرد زيد بن ظالم ام كَدراء[٥٥] ، ويسميها عروة بن الورد أم حسّان[٥٦] ، وعند سالم بن قحفان ام الوليد[٥٧] وفي قول يزيد بن الجهم الهلالي أم محمد[٥٨] ويطلق عليها سوادة اليربوعي اسم « مي »[٥٩] . وفي صورة حطائط بن يعفر ابنة العتّاب[٦٠] وهي طُريفة عند جُؤيّة بن النضر[٦١] ويسميها عبدالله بن الحشرج أم سالم[٦٢] وعند رجل من بني

---

(٥٣) ابو تمام . الحماسة ٤/١٦٥٢

(٥٤) نفس المصدر ١٦٧٨ وهي في ديوان عروة /٣٥ .

(٥٥) ن.م. ١٧١٧

(٥٦) ن.م. ١٧٢٣

(٥٧) ن.م. ١٧٢٦

(٥٨) ن.م. ١٧٢٩

(٥٩) ن.م. ١٧٣٢

(٦٠) ن.م. ١٧٣٢

(٦١) ن.م. ١٧٣٥

(٦٢) ن.م. ١٧٣٧

سعد ام الكلاب[٦٣] ، ويكتفي بعض الشعراء بلفظ عاذلة وعواذل ولائمة[٦٤] ، وهي كما وجدنا في نماذج حاتم مقطعات تتمسك باطار المعاني المحدودة ، والالفاظ المستعملة ، والصيغ التركيبية التي اصبحت سمة من سمات هذا الغرض ، ومن الطبيعي ان تتضمن هذه النصوص الجواب الذي يرد به الشاعر ، أو القول الذي يبرر به الانفاق ، وعندها يستخدم الفعل (قلت)[٦٥] .

وفي الطرف الاخر من قضية التجريد هذه يقف شاعر آخر ليمسك بطرف ثانٍ من الموضوع ، وليعالجه بشكل يرافق المعالجة التي استخدمها حاتم ، وكلها تعبر عن صفة أخرى لازمت هذا الشاعر ، ورسمت خطوط ظاهرة طبعت حياته وكشفت كوامن فلسفة اتخذها اساسا لحياته . هذا الشاعر هو عروة بن الورد ، وهذه الصفة هي الغزو ، وحب الاسفار والمغامرة وقد وجدت هذه الصفة عند الشاعر استجابة دقيقة فاستحسنها ، وعرف بها ، وادرك قدرته على سلامة تحقيقها ، فعاش لها بلا تردد ، والتزم بها بلا تكلف ولهذا كانت تعيش في حسه بصورتها المجسدة ، وترتمي ملامحها في ذهنه بوعي مسبق ، حتى أصبحت ظلا لا يفارقه ، وصوتا لا يبتعد عنه ، وقد استطاع الشاعر بما وهب من نفاذ بصيرة ، وقدرة استشفاف على ما يحيط به من معالم متفاوتة ان ينتزع الأعجاب من أصحابه . ويأخذ زمام المبادرة بالسيادة ولكن من جانب هو غير الجانب المعروف في مجتمعه ، فأصاب الامر من موضع آخر ، ولمس المجد بوسيلة غير مدركة من قبل ابناء عصره .

---

(٦٣) ن.م. ١٧٣٩ وتنظر الحماسة الشجرية/٤٧٥ وما بعدها والحماسة البصرية ٢٣٧/٢ وما بعدها .

(٦٤) الحماسة ١٦٥٥/٤ ، ١٧٠٧ ، ١٧١١ ، ١٧١٦

(٦٥) تنظر نماذج حاتم والحماسة ١٧١٦/٤ ، ١٧٣٢ . وديوان عروة بن الورد / ٢٤ ، ٤٤ ، ٤٥ .

كان عروة بن الورد متحسسا للامر ، وهو يعي الظاهرة ، ويحسن السلوك للوصول اليها وقد أهلته قدرته الشعرية ، وبراعته في الانتقاء والبناء على تحقيق رغبته حتى كان تجريده للموضوع تجريدا واعيا ، وقد اختار له المرأة اللائمة على هذا السلوك وهي في تجريده هذا يوضح ابعاد الفكرة الثابتة في نفسه ، ويحدد خطوطها الواضحة ، فالمرأة تلومه على الغزو ، وتحاول ان تحول بينه وبين المخاطر التي توصله الى غايته ولكنه ينتهي • عادة بما يرد لومها ويذهب عتابها ويفند حججها ويحرص الشاعر شأنه في التجريد الاول على أستخدام الفعل « أقلي اللوم » ويطلب منها ان تتركه ونفسه لايمانه بأن المنايا ثغر كل ثنية ، وأيمانه بخلود الاعمال الكريمة والاحاديث المشرفة ولهذا توزعت الافعال التي يخاطب بها المرأة في شعره فيقول(٦٦) :

وسائلة أين الرحيل وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه ؟
مذاهبه ان الفجاج عريضة ... إذا ضنّ عنه بالفعال أقاربه

ويقول في قطعة أخرى(٦٧) :

اقلّي عليّ اللومَ يا بنت منذر ... ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي أم حسان انني ... بها قبل أن لا أملك البيع مُشتري
احاديث تبقى والفتى غيرُ خالد ... إذا هو أمسى هامة فوقَ صُيَّرِ
ذريني أطوف في البلاد لعلني ... اخليّك أواغنيك عن سوء محضري

الخ •••

---

(٦٦) الديوان/١٩ •

(٦٧) الديوان/٣٥ •

ويقول في ثالثة[٦٨] :

ألم تعلمي يا أم حسان اننا	خليطا زيال ليس عن ذاك مقصر
وإن المنايا ثغر كل ثنية	فهل ذاك عما يبتغي القوم محصر

ويستمر عروة في هذا النهج الشعري ، وبهذه الطريقة التي تعتمد المرأة في الحديث وتتخذ منها ذاتا تسأل عن طريقته في الحياة[٦٩] .

لقد وجد عروة في هذه الصيغ الشعرية إثارة كانت تحمله على بسط فلسفته والكشف عن حقيقة سلوكه الاجتماعي لايمانه بهذا النمط من الحياة، وهذا ما جعل شعره صورة لحياته وقد ذوب فيه العلاقات الكبيرة المتباعدة في تلك الحياة مستمدا من هذه التساؤلات مواضع الكشف الحقيقي عن دخيلة النفس الطامحة لتسجيل المفاخر التي وجد فيها الشاعر مفارقة تميزه عن أبناء عصره ، وقد أستطاع تحقيق هذه الذات من خلال التساؤل الواعي، والاجابة المدركة والحوار الصادق الذي ملك عليه أطراف الحديث الحقيقي.

إن حاتم الطائي وعروة بن الورد لم يمسكا بأطراف الموضوع وحدهما، وانما كانت هناك أكثر من يد تمسك بالخيط من مواضع أخرى لتؤدي مهمتها القائمة على أساس الحوار المفتعل أو الاختلاق الذاتي المتمثل بهذا الشكل الكلامي لتؤدي مهمتها ولتعبر عن وجهة النظر التي يستشعر بها

---

(٦٨) الديوان/٣٩ .

(٦٩) الديوان/٤٥ ...

دعيني للغنى أسعى فاني	رأيت الناس شرهم الفقير

والديوان/٤٨ ..

تقول الا اقصر من الغزو واشتكى	لها القول طرف احور العين دامع

والديوان/٥١ ..

أرى أم حسان الغداة تلومني	تخوفني الاعداء والنفس اخوف

والديوان/٦١ ..

وكانت لا تلوم فأرقتني	ملامتها على دل جميل

والديوان/٦٢ ..

دعيني أطوف في البلاد لعلني	افيد غنى فيه لذي الحق محمل

هؤلاء الشعراء فأبو دؤاد الايادي تشكوه زوجته (أم حبتر) لتبديده ثلاثين ناقة وتزعم أنه أفسد المال ، فيقول[٧٠] :

أصبحت أم حبتر تشكوني   في ثلاثين زعزعتها حقوق

وأزويه عن قضاء ديوني   زعمت لي بأنني أفسد المال

وبهنا بها مع المال دوني   املّت أن أكون عبدا لمالي

دون عرضي فان رضيت فكوني   انّ من شيمتي لبذل تلادي

ولبيد يقف في ديوانه موقفين يقربان من موقف حاتم الطائي حتى تكاد تكون الصور والافعال والتبرير متشابهة يقول في الاولى[٧١] :

اعاذلَ قومي فاعذُلي الآن أو ذَري

فلستُ وإن اقصرت عنّي بمُقْصر

اعاذل لا واللّه ما من سلامةٍ

ولو أشفقت نفسُ الشحيح المثمر

أقي العرض بالمال التلاد واشتري

به الحمد إن الطالب الحمد مشتري

ويقول في الثانية[٧٢] :

تلوم على الاهلاك في غير ضَلّةٍ

وهل لي ما أمسكتُ إن كنت باخلا

---

(٧٠) الديوان /٣٤٦ .

(٧١) الديوان /٤٦ .

(٧٢) الديوان /٢٤٦ .

ومثل لبيد يصنع طرفة[٧٣] ، وعدي بن زيد[٧٤] ، والمرقش الاصغر[٧٥] ، ومعاوية بن مالك[٧٦] ، والاسود بن يعفر[٧٧] ، وحاجب ابن حبيب[٧٨] ، وعمرو بن معد يكرب[٧٩] وخفاف بن ندبة[٨٠] وعمرو بن الاهتم[٨١] ، والمخبل السعدي[٨٢] ، وسهم بن حنظلة[٨٣] ، وكعب بن سعد[٨٤] .

ولم يقتصر اللوم على الغزو والانفاق وحب المغامرة ، وانما تعداه الى مسائل أخرى أخذت طابع المعاتبة ، فأمرأة أوس تعاتبه على شرب الخمرة[٨٥] وكذلك السموأل[٨٦] ، وزهير تلومه المرأة في الوجد[٨٧] وامرؤ القيس يلام على طربه[٨٨] ، وربما تعدى اللوم هذه المواضع الى مواضيع أخرى تخص الاخفاق في الحرب[٨٩] وغير ذلك من الموضوعات

---

(٧٣) الديوان /٨٣ .
(٧٤) الديوان /٣٥ .
(٧٥) الديوان /
(٧٦) المفضليات ١٥٦/٢ .
(٧٧) الديوان /٢٤ .
(٧٨) المفضليات ١٦٨/٢ .
(٧٩) الديوان/٦٠ .
(٨٠) الديوان/٧٧ .
(٨١) المفضليات ١٣٢/١ .
(٨٢) المفضليات ١١٦/٢ .
(٨٣) الاصمعيات /٤٦ .
(٨٤) الاصمعيات /٧٠ .
(٨٥) الديوان /١٤ .
(٨٦) الديوان /٨٥ .
(٨٧) الديوان /٣٤٦ .
(٨٨) الديوان / ٩٧ .
(٨٩) الحماسة ٧٦٥/٢ . (المرزوقي)

التي يجد في تفسيرها الشاعر مبررا ، أو يتخذ منها حجة تعاونه على شرح سلوكه أو فلسفته أو طريقته التي سلكها في معالجة المسائل التي تعترضه .

ان الشعراء الذين عرضت لهم ، والشعراء الآخرين الذين وجدوا في هذه المخاطبة نهجا ينتفعون منه في التنفيس عن دخائلهم ، قد اتخذوا أسلوبا موحدا . من حيث الصياغة واستخدام الافعال وانتقاء الوقت وتسلسل الافكار حتى أصبح بامكاننا فرز الاساليب المستخدمة في هذه المواضع ، فحاتم يستخدم عبارة (وعاذلة) و (قائلة) و (عاذلتين) وعروة يستخدم عبارة (وسائله) وحاتم يقول (مهلا نوار أقلي اللوم) ويقول عروة (اقلي علي اللوم ...) وحاتم يقول (ذريني وأريني ودعيني) ويقول حاتم (ألم تعلمي ...) ويقول عروة (ألم تعلمي ...) ويختار حاتم الليل لمعاتبته .. فيقول :

وعاذلة هَبّتْ بليل تلومني وقد غاب عيوق الثريا فعردا

وفي أبيات أخرى يقول :

وعاذلتين هبتا بعد هجعة تلومان متلافا مفيدا ملوّما

تلومان لما غوّر النجم ضلة فتى لا يرى الاتلاف في الحمد مغرما

ويختار عروة الليل كذلك فيقول :

اقلّي عليّ اللوم يابنت منذر ونامي وان لم تشتهي النوم فاسهري

ان هذه الصياغة لم تقتصر على هذين الشاعرين وانما يشاركهما بقية الشعراء الذين أشرت اليهم .

بقي هناك أمر آخر اتسمت به كل القصائد التي استشهدت بها ، وهو شمول قضية التجريد المرأة دون غيرها ، واقتصار الحديث عليها ، واتخاذها الطرف الثاني الذي يستثير هذه المسائل في كل الحالات ، وبمختلف الاشكال التساؤلية التي وجد فيها الشعراء خصائصهم ، وفي كثير من الاحيان تكون الزوجة .

ان اقتصار الموضوع على المرأة يمكن ان يحدد قيمتها في التوجيه السلوكي للرجل ، ومشاركتها في تحديد المسؤولية التي أضطلع بها وأشارات الشعراء لحديثها ، وبهذا الشكل من اللوم والعتاب يضع المرأة في المركز الذي يؤهلها لهذه المهام ويحملها مسؤولية المشاركة الفعلية لحياة الرجل وضمان المستقبل الذي ترسمه من خلال تصرف الرجل الذي لا يرضيها في بعض الاحيان • وهذه الصورة تكشف الوجه الحقيقي لهذه القيمة الاجتماعية الكبيرة والاسهام الجاد في تحديد النهج المميز لكل عمل يقدم عليه •

ان هذه المرأة لم تكن الزوجة على الاطلاق لان الشعراء ذكروا أكثر من أسم ولم يكونوا بحاجة الى هذه الاسماء المتعددة ، فهي نوار وسلمى وأم عامر وماري وابنة عبدالله وابنة مالك وابنة ذي البردين وعاذلة وسائلة وعاذلتين عند حاتم • وهي أسماء وليلى وسلمى وتماضر وسلمى وأم وهب بنت منذر وأم حسان وأم مالك وأم سرياح عند عروة ومن غير المعقول أن تكون هذه الاسماء كنايات لزوجتيهما • وهذا يعني ان الاسماء التي لجأ اليها الشاعر ان لم تكن أسماء حقيقية• ان هذه الدراسة المحددة تكشف عن الجانب الموضوعي لبعد من أبعاد بناء القصيدة والتناسق الفكري الذي ينظم هذا البناء ، وكان الشاعر الجاهلي يخطط لذلك وفق نموذج شعري متكامل تتوارد فيه الصور والافعال والاجواء ، وهو لا يخرج عن هذا الاطار ، وكان يتحرك وفق أسلوب شعري مرسوم • يدلل عليه هذا البناء •

لقد اقتصرت ، وانا أعرض لظاهرة الحوار في القصيدة الجاهلية على ايراد نموذجين كبيرين من النماذج التي لمست فيهما وضوح الظاهرة ، وتجسد الحوار ، وابراز الاتجاه المتمكن في نفوس أصحابهما • ولم يكن غرضي من ذلك الا التمهيد للدخول الى طوايا الفكرة ، واستقراء مظاهرها المتعددة ، وتلمس الفكر الشعري المبثوث في ثنايا الابيات • والاهتداء بعد ذلك الى النموذج المتكامل الذي وضعه الشعراء الاوائل لهذه الكيفية التي أصبحت تقليدا متفقا عليه ، وقاعدة تحتذى في السلوك الحسّي • ويمثل الحوار الذي أخذ هذا الشكل في القصيدة الجسر الفكري الذي حاول

الشعراء استخدامه لنقل أفكارهم الى الناس ، وايضاح العلل التي وجدوا أنفسهم ملزمين باتخاذها ، ليبسطوا لهؤلاء الناس المبررات التي دفعتهم لذلك • حتى أصبح بامكاننا ان نفرد الشعراء الى مجاميع تمثل كل مجموعة فكرة تدافع عنها • فمجموعة تستخدم الحوار لتدافع عن فكرة الكرم والبذل والعطاء والانفاق ، ومجموعة أخرى تستخدم الحوار لتدافع عن حب المخاطرة ، وتجشم الاهوال ، والغزو • ومجاميع أخرى تستخدم الحوار لتحاول ايقاف اللائمين على شرب الخمرة عند حدهم أو تحاول التبسط من خلال أحاديثها في استحداث الصور اللاهية والاشكال الخيالية التي ترتسم لهم ، أو تحاول اظهار الدوافع التي تختفي وراء شحوب اجسامهم ، لاتخاذ ذلك مبررا للحديث عن دوافع الحزن الذي اعتراهم ، وفلسفتهم في ذلك •

والشعراء في كل مجموعة من هذه المجاميع تلتزم أسلوبا محددا وصيغا شعرية متفقا عليها ، وألفاظا وأشكالا درجوا على أستخدامها حتى أصبحت أتجاها يجمع بين الاساليب والمعاني والالفاظ •• وأصبح الشاعر مقيدا بذلك ، ملتزما بما هو مفروض عليه ، يعرف مواقع خطواته وهو يتحدث عن كل موضوع ، ويعطي الصفات المتفق عليها لكل متسائل • ويمنح الجو الشعري الذي يجسّد عمق الظاهرة لكل عنصر يسهم في ابراز ظاهرة الحوار ، لتتكامل الاجزاء ، ولتصبح قادرة على الاداء ، وصالحة لخلق المناخ الملائم • وقد أدى هذا التخصص الى ظهور نماذج مختلفة ، وايجاد صيغ لها شكلها المتميز ، وهي تحمل طابع الشكل المراد معالجته • ولعل النماذج التي ستلحق بالبحث توضح هذا التميز الشعري الواضح •

ان صورة المحاكاة المتناسقة التي يهيء لها الشاعر ، وصورة التساؤل المنطقي الذي يرسمه من خلال الوضع التقريري لهذا التساؤل ، وتراكم الصور المألوفة في كيفيتها وتوافقها وترابطها تضع الشكل العام الذي كانت

تأخذه هذه الصياغة ، والهيكل الفني المتبع في توحيد الاجزاء التي خطط لها الشاعر ابتداء من عبارة « قالت » وما يتعلق بها من خصائص وأحـداث ، ويلوح من أوضاع وتعاطف حتى نهاية الجواب الذي احتفظ به الشـاعر لنفسه ، بعد ان أعد له الاعداد الكافي من المظاهر النفسية والمنطقية ، وما يتصل بها من مظاهر أخـرى أسهمت بشكل تقريري في تحـديد ملامح التساؤل • وهو في الغالب صورة زمنية متكاملة ، عرف الشاعر حـدودها وتشرب خصائصها ، فاصبحت جزء لا ينفصل عن حياته ، وطابعا عاما تفرّد به عن سواه ولهذا كانت مشاغله فيه بارزة ، وتصويره لابعاده واضح الرؤيا، لا يترك منه دقيقة الا رسمها ، ولا يظفر بخفقة من خفقاته الا روى غليله من أشباعها ، وقد ساعد هذا التدقيـق على اظهار الصنعة المعروفـة عند الشاعر بشكل متميّز •

فحاتم الطائي أكرم العـرب لا لانه هو الوحيد الذي يقدم الطعام لضيوفه ، ولا لانه يتفرّد وحده بهذه الخصيصة ، ولكنه أستطاع ان يعطي لكل جانب من جوانب الكرم ما يضيء زواياه ، ويمنح كل خصائصه ما عجز الاخرون عن اضاءته • وقد أستخدم الشعر لذلك استخداما فنيا سليما • بيّن فلسفته التي تشبّع أصولها ، فعاش البـذل في وجوده عطاء وكرما وتضحية ، وأدرك ان ذلك العطاء لا يمكن ان يكون خلودا الا اذا بذل • وان ذلك المال الذي كان يقدر على التصرف به لا يحقق له الذكر الحميد الا اذا أطعم فيه وافدا ، وأشبع جائعا ،وفك عانيا وأسيرا • وقد استقطبت هذه الافكار في ذهنه حقيقة حيّة • آمن بها ايمانا مطلقا ، لم يزحزحه جبـروت الجوع المميت • ولم تخذله قدرة الحاجة القاتلة التي كان يستشعر بها ، ويقدّر غائلتها المرة • حتى أصبحت صرخاته الانسانية في هذا المجال خطا أنسانيا واضحا يبرزه الشعور الانساني العميق بفداحة الجوع الذي يأكل

النفوس ويسقطها من ابراج انسانيتها .. ولهذا كانت سماحته في العطاء لا تحد ، وخدمته في اطعام الضيف لا تنتهي[٩٠] .

أيا أبنـة عبـدالله وابنـة مالك ... ويا أبنة ذي البُردين والفرس الورد
اذا ما صَنَعتِ الزاد فالتمسي لهُ ... اكيلاً ، فاني لست آكلَهُ وحدي
أخاً طارقاً ، أو جـارَ بيت فانني ... أخاف مذمّات الاحاديث من بعدي
واني لعبدُ الضيف ما دام ثاويـا ... وما فيّ الا تلك من شيمة العبدِ

ان ايمان حاتم بالكرم ينبع من فلسفته القائمة على اعتباره عادة لا تقاوم وكثيرا ما كان جوابه مؤكدا لهذه الفلسفة[٩١] :

وقائلـة أهلكت بالجـود مالنا ، ... ونفسـك حتى ضَرَّ نفسَك جودها
فقلتُ دعينـي إنما تلك عادتـي ... لكل كريـم عـادة يسـتعيدها

وهو كما أكدت يستخدم الحوار القائم على التساؤل وسيلة لبسط هذه الفلسفة الحكيمة ، متخذا من المرأة محورا محركا لكل الاجوبة الجاهزة في فكره .. وهو لا ينسى أيضا القضايا الاخرى التي تدفعه الى هذا السلوك .

وعروة بن الورد من الشخصيات الجريئة في عالم الشعراء ، لا لانه الوحيد الذي يقدم نفسه للموت طعمة سائغة ، وليس لانه يتفرد دون غيره بهذة الخصلة التي عرف بها واشتهر بقدرته على تجاوزها . وانما استطاع من خلال اتصافه بهذه الصفة ان يعطي لكل بعد من أبعاد الشجاعة ما يجلعه أكثر قدرة على التعبير لابراز هذا البعد أو ذاك منتفعا — وتلك خصيصة في ذهن الشاعر — من الاشارات المثيرة التي وجد الاعجاب بها يأخذ شكلا متميزا ، والاهتمام بأبرازها يمنح تركيزا أشد . ولعل موهبته الشعرية الجيدة ، وتوقده الحسّي اللامع ساعده على تكييف هذه الالتفاتات تكييفا شعريا

(٩٠) الديوان ٤٣ — ٤٤ .
(٩١) الديوان ٤٤ .

موفقا حتى أصبحت الخصال جزء من حياته، فتلونت بأنماط الجرأة واصبحت اتجاهاته كلها تمثل التضحية وحب المخاطرة ، حتى ترسخ في ذهنه بأن الموت على الهيئة التي صورها أو تخيلها او أرادها لا يمكن ان تكون محمودة الا اذا كانت تضحية جريئة(٩٢) ..

ذريني أطوّف في البلاد لعلّني أخلّيك أو أغنيك عن سوء محضري
فان فاز سَهمٌ للمَنيّة لم أكن جزوعاً وهل عن ذاك من متأخر

* *

ولكن صعلوكا صفيحةُ وجهه كضوءِ شهاب القابس المتنوّر
مُطِلاًّ على أعدائه يزجرونه بساحتهم ، زجرَ المنيح المشهَّرِ
إذا بَعدُوا لا يأمنون اقترابَه تشوّفَ أهل الغائب المتنظَّرِ
فذلك ان يلقَ المنيّةَ يَلْقَها حميداً وإن يَستَغنِ يوماً فأجدرِ

وفي قطعة أخرى تبرز ملامح شجاعته وفلسفته في الطريقة التي اختارها واعتقد بها(٩٣) ..

ألم تعلمي يا أم حَسّان أننا خليطاً زيالٍ ، ليس عن ذاك مَقصَرُ
وأن المنايا ثغرُ كل ثنيّةٍ فهل ذاك عما يبتغي القومُ مُحصِرُ
وغبراءَ مخشيٍّ رَداها مخوفةٍ أخوها بأسباب المنايا ، مُغَرّرُ
قطعت بها شَكّ الخلاج ولم أقل لخيابّةٍ ، هَيَّابةٍ : كيف تأمُرُ

ولعلّ هذا النمط اصبح منهجا يسلكه ، ومذهبا يبشر به(٩٤) .

ونحن صبحنا عامراً إذا تمرّستْ عُلالَة أرماحٍ وضرباً مذكّرا
بكلّ رقاق الشفرتين مُهَنَّدٍ ولَدْنٍ من الخطيّ قد طُرّا سمرا
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان اعذرا

---

(٩٢) الديوان ٣٦ – ٣٧ .

(٩٣) الديوان ٣٩ .

(٩٤) الديوان ٤١ .

ان هذه النفس التي كان بامكانه أن يجعلها زاخرة بمباهج الحياة ، ومتع الدنيا • تلهو كما يلهو الاخرون ، وتقبل بما يقبل به القانعون هذه النفس لا يمكن ان تخلد الا اذا كانت قادرة على البذل والا طويت مثل ملايين النفوس التي عاشت وماتت ولم تترك لها ذكراً يحمد ، وكأنها لم تكن • وكأن الدنيا لم تجد لها ظلا فيها • فما الفرق اذن بين النفسين ؟؟ (٩٥) •

دعيني أطوّف في البلاد لعلّني | أفيدُ غِنىً فيه لذي الحق محملُ
أليسَ عظيماً أنْ تُلمّ مُلِمّةٌ | وليس علينا في الحقوق مُعوّلُ
فان نحنُ لم نملِكَ دفاعا بحادث | تُلِمّ به الايام فالموت أجملُ

وفي حديث آخر يقول(٩٦)

أرى أم حسّان الغداةَ تلومني | تُخوّفني الاعداء والنفس أخوفُ
تقول سُليمى لو أقمت لسرّنا | ولم تدرِ أني للمُقام أطوّف
لعلّ الذي خوّفتنا من امامِنا | يُصادفه في اهله ، المتخلّفُ

ان النفس الكبيرة هي النفس التي تخدم الآخرين ، وتستجيب لنوازع الخير وتدرك ان الخلود في تضحيتها ، وأن الموت في كونها نفسا لا تتجاوز النفوس الاخرى ، وبذلك تسقط في مدارج النسيان ومهالك العدم •

من هذا التفكير المدرك ، ومن هذه الذهنية النافذة كانت ترتفع أعلام الخلود في نفس عروة ، ومن هذا الايحاء استطاع ان يخدم فكره معبرا عنه بشعره كما عبّر الآخرون منتفعين من علامة الاستفهام الكبيرة التي تختفي وراء عبارة اللوم أو العتاب التي أستخدمها أحسن أستخدام ، ووفق الى صياغتها بأحسن صياغة •• وهكذا تأخذ أبعاد التجريد أشكالا متفاوتة

(٩٥) الديوان ٦٢ •

(٩٦) الديوان ٥١ •

تحدّدها النزعات الانسانية المستحكمة ، وتبرزها القدرة المتمكنة في كـل نفس ، فاذا قدّر لهذه النفوس أن تأخذ مواضعها في عالم التضحية والجرأة فهناك نفوس كانت تأخذ أشكالا غير هذه الاشكال ولكنها أستطاعت أيضا الى حد بعيد ان تحدد وجودها في عالم الشعر الجاهلي • فأمرؤ القيس كانت حياته غير حياة أولئك ، وكان نهجه مغايرا لنهج الآخرين ، لانه نشأ في ظل حياة مترفة كما تحدثنا الاخبار ، وذاق من ترف الدنيا ما كان غيره محروما منه ، ولكن هذا الشاعر كان يحاول ان يرسم لنا عالما غير عالمه ، ويصوّر لنا حياة غير حياته ، ويعكس لنا من ألوان الحياة ما لم يكن له فيه نصيب • فجاء تجريده صورة لما يحيط به وجاءت صوره عالما متراكما من الاحداث التي عاشت في ذهنه حقيقة ، أو أدرك بعضها معايشة نادرة • ولكنها كانت عالما ينفرد به الشاعر ، وقدرة استطاع ان يسخرها لفنه والوانا منطقية من الحس الشعري الواضح الذي وجد فيه العالم المريح ، الذي يستطيع ان يمارس فيه النشاط الذاتي من خلال التجربة البسيطة أحيانا ، أو خلال القدرة على تصوير هذه التجربة ـ غير الواقعية ـ في الاحايين الاخرى •

وتأخذ شخصية امرىء القيس في هذا التجريد وتقديم الحـوار أبعادا قصصية واضحة ، تتجلى مَن خلالها قدرته ، ويبرز تمكنه الشعري ، وتتضح جوانب الصور التي أراد لها أن تكون بارزة المعالم • لانه جرّد امرأة فنهض يسمو اليها برفق ومهل لئلا يشعر بمكانه أحد ، بعد ما نام أهلها ولكنّ هذه المرأة التي جرّدها تضجر من وصله هـــذا ، وتخشى الفضيحة والسباء ، وتحسسه بالسمار والناس الذين يحيطون به ، ولكنه وبأسلوبه القائم على هذه الطريقة من الحوار المفتعل ، والاسلوب القصصي المتصل ، يرد عليها ، ويقسم بالله على ألاّ يبرح هذا المكان ولو قطعوا رأسه وجعلوه أوصالا • والصورة

في واقعها ــ كما أرى ــ لم تكن صورة حقيقية ، ولم يكن لها ظل من الواقع الا في ذهن الشاعر القاص . لان طبيعة الحوار الذي رسمه ، والاشكال التي ابتدعها ، والموضوعات التي تطرق اليها ، والتقاليد التي احيطت باللوحة من خشية الفضيحة والتحسس بالسمار واحاطة المرأة بالناس .. هذه التقاليد بعيدة كل البعد عن طبيعة الحياة الجاهلية التي قامت على حماية الشرف ، والدفاع عن العرض ، والالتزام الخلقي الذي يفرضه العرف القبلي .. ان صورة الحوار هذا لم تكن واقعة الا في ذهن الشاعر ، وان احداثها لا ترتسم الا في مخيلته[97] .

سموتُ إليها بَعْدَ ما نام أهلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الماء حالا على حالِ
فقالت سَباكَ اللهُ انك فاضحي ... ألستَ ترى السُّمار والناس أحوالي
فقلتُ يَمينَ الله أبرحُ قاعِداً ... ولو قَطَّعوا رأسي لديك وأوصالي
حلفتُ لها بالله حَلْفَةَ فاجرٍ ... لناموا فما إن من حديثَ ولا صالِ

الى آخر الابيات التي يكشف فيها ما كان يرمي اليه من هذا الحوار ، وما كان يسعى اليه من وراء هذه الصياغة القصصية الرقيقة .. فامرؤ القيس في هذا الحوار يريد التحدث عن مغامراته ، والاشارة الى صراحته في هذا السلوك واختلاف الصور اللا أخلاقية التي ارتسمت في ذهنه ، ليشبع غريزته التي عبر عنها ، وعرفت عنه ، وتسلل من خلالها الى الشعور الذاتي بادراك الحدث المطلوب ، وجني ثمرة اللذة الحسية التي تعالت في نفسه ، وتألقت خطوطها في ذاته ، وتوضحت أطراف صورتها بشكل مفصل من خلال الحديث المغري ، والصورة البارزة ، والتعاطف المتوثب ، والاثارة الحسية التي انتزعها من فكره ولصقها على لوحة شعره حقيقة حائرة .

(٩٧) الديوان ٣١ ــ ٣٢ .

ويعاود امرؤ القيس الفكرة ثانية في أحاديث تكاد تشابه الحديث الاول وتكاد أحداثه وصوره تقرب من أحداث وصور اللوحة الاولى[٩٨] .

ويوم دخلتُ الخِدرَ خدر عُنَيْزةٍ فقالت لكَ الويلاتُ إنك مُرْجلي
تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ
فقلت لها سيري وارخي زِمامه ولا تُبعديني من جَناك المعلّلِ

....

وبيضةِ خدر لا يرامُ خباؤها تمتعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعجَلِ
تجاوزت أحراساً وأهوالَ معشَرٍ عليّ حِراصٍ لو يُشرّون مقتلي

....

فقالت يمين الله ما لك حِيلةٌ وما إنْ أرى عنك العمايةَ تنجلي

ان هذا اللون الشعري الذي انفرد به امرؤ القيس وبهذه الهيأة الشعرية القائمة على الحوار المفتعل تمثل الطريقة التي اتبعها الشعراء الآخرون الذين أرادوا ان يعبروا عن أفكارهم فاهتدوا الى هذا السبيل ، واستخدموا الصيغ المألوفة ، والاساليب المتبعة ، وطريقة الحوار التي أصبحت نهجا تقليديا معروفا ، تصبح المرأة فيه هي المحرك والاداة الدافعة لكل توجيه يحاوله الشاعر .. ولكنها كانت تأخذ الوجهة الذاتية التي يستبطنها الشاعر من خلال الحدث المطلوب ، أو الصفة البارزة ، أو الاتجاه المحدّد ..

ان التجريد عند امرىء القيس لم يأخذ هذا الشكل وحده وانما كان يأخذ أشكالا أخرى ، وكأنه كان يحس بالراحة النفسية وهو يستخدمه ، لانه كان يجد فيه راحة وتنفيسا ، ففي بائيته يطلب من لائمته بعض اللوم ... ويطلب منها ان تقلل لانه لم يعد يحتمل وهو حديث يوحي بالترابط النفسي الذي كان يشدّ الشاعر الى هذا الحديث والشعور الدافق بتوجعه في بعض

---

(٩٨) الديوان ١١ ــ ١٣ .

الاحيان مما يلمّ به من أحداث .. وعندها يجد نفسه مدفوعا الى استحداث الصورة ثم الطلب منها ان تقلل .. وفي هذا الاستحداث ومن خلال المحاولة النفسية تتبدد بعض طبقات الاحزان التي كانت تملأ عليه النفس[99] .

فبعض اللـــوم عاذلتـــي فانـــي ســتكفيني التجـــارب وانتسابي

ان اللائمة حقيقة غير موجودة ، والعاذلة التي يمكن ان توجه اليه هذا العتاب غير واقعة ولكنه كان يحس بنفسه حاجة اليها لتخفف من عنائه بعض التخفيف وهو في محنته هذه ، تطارده فلول بني أسد ، وتترصده عين المنذر ابن ماء السماء وتنسحب من حلفه بقية القبائل التي كانت تظهر له بعض الود في زمان أبيه وأعمامه ثم ينفرط عقد أمارته ، فيشعر بالخيبة تقف شامخة ، وأطياف الموت من خلال رماح وسيوف بني أسد ، ويحس بأن اللائمة لابد أن تكون امرأة تملأ نفسه بعد يأسها وتخفف حرارة الخوف بعد احاطتـه بعناصره .. يجرد هذه المرأة لتكون باعثا حقيقيا للوم ، وداعية للحديث الذي يريد التنفيس عنه بعد ارتفاع هذا السؤال الكبير الذي يختفي وراء علامة اللوم هذه . وعندها تتفتح أمامه أبواب الراحة بشكل فسيح وتوصد أمامه أبواب الهموم والاحزان ، وبعدها يشرح حسّه الحزين وحياته المتبدّدة ، ووجوده المبعثر ، ونهايته المؤلمة . وقد استطاع حقا ان يكون هذا المفتاح هو المؤشر الانعطافي في توجيه تيار اليأس ، ليبرز على شكل آهات مرسومة ، وفلسفة محددة ، ضاقت بصاحبها السبل فكتمها .

وفي لوحة من لوحات صيده يحاول ان يتحدث عن قدرته في الصيد .. وهو كعادته يتخذ أسلوب الحوار أسلوبا لابراز هذه القدرة .. ولكنـه يجعل الحديث في هذه المرة بينه وبين رجل ، لانه من غير المعقول ان تكون الربيئة امرأة .. وهو يفتتحها بعبارته المألوفة[100] ..

---

(٩٩) الديوان ٩٧ .

(١٠٠) الديوان ١٧٢ .

وقد اغتدى قبل العطـاس بهَيْكلٍ   شديدِ مَشَكٌ الجنب فَعْم المنطقِ
بعثنـا ربيئـاً قبل ذلك مخمـلاً   كذئب الغضـا يمشي الضراءَ ويتقي
فظلَّ كمثل الخشـف يرفعُ رأسَه   وسـائرُه مثلُ التـرابِ المدقّقِ
فقال الا هـذا صُـوار وعانـة   وخيط نعـامٍ يرتعـي متفـرّقِ
فقمنـا باشلاء اللجـام ولم نَقُدْ   الى غُصْنِ بانٍ ناضرٍ لم يُحَرّقِ

....

فقلت لـه صَـوِّب و لاتُجْهِدنّه   فيُـذرِكَ من أعلـى القطاةِ فتزلقِ

....

فقلنـا ألا قد كان صَـيد لقانص   فَخَبّـوا علينا كلَّ ثوبٍ مروّقِ

ولعلّ صورة زهير التي وصف فيها صيده نلتقي مع هذه الصـورة في اطارها العام ودقائقها الصغيرة وحتى في بعض صيغ ألفاظها . وفي هذا التشابه تتضح طبيعة الحوار ، وتتحدّد الاشكال الفنية التي يلتقي عندها الشعراء واللبنات التي يستخدمونها في بنائهم . لان زهيرا يصف غلامه الذي ذهب يستطلع الحيوانات الوحشية ثم جاء هذا الغلام يدبويخفي شخصه ويضائله، ثم يخبر جماعته بأنه رأى ثلاث أتن وحشية وهي ضامرة كأقواس السَّـراء ومعها حمارها ، ثم رسم الشاعر صورة الوصيّة التي بلغها لهذا الغلام ليتمكن من صيده ، مستخدما الهيئات الجسدية والاحوال النفسية التي كانت تلوح من خلال الاطار العام للصورة[١٠١] .

فبينا نُبغّـي الوحش جـاء غلامنا   يَدبُ ويُخفـي شخصه ويُضائله
فقـال شـياه راتعات بقفـرةٍ   بمستأسـد القُريـان حُوّ مسائله

---

(١٠١) الديوان ١٣٠ .

ثـلاثٌ كأقـواس السّراء وناشط قد اخضرَّ من لَسّ الغمير جحافله

وقال : اميري ما ترى رأي ما نـرى انختِلُهُ عن نفسـه أم نـُصـاوله

....

فقلنـا له سَدّدْ وأبصرْ طريقَـه وما هو فيـه عن وصاتيَ شـاغله

وقلتُ تَعلـّم أن للصـيد غِرّةً وإلاّ تُضـيّعه فانـك قاتلـه

ان صورة الحوار الذي كان الشاعر الجاهلي يستخدمه لم يقف عند حدود الصفات التي وقفتُ عندها ، وانما كان اطارا عاما لكثير من نوازع النفس الانسانية ، ووعاء تراق فيه المشاعر ، ويبدو ان هذا الاطار كان يجد الاستجابة النفسية الكاملة ولهذا كان يأخذ الشكل الشامل لطبيعة المشاعر .. ويستوعب الصورة مهما كان بعدها . فأبو ذؤيب الهذلي يجرد شـخصية المرأة التي منحها حق الاستفسار عن حاله وشحوب جسمه ، وابتذال نفسه ، وتركه الزينة . ومنحها أيضا حق الاستفسار عن شدة أرقه ، وعدم قدرته على النوم ، حتى أصبح جنبه لا يوافق مضجعا .. لقد جرّد أبو ذؤيب هذه المرأة التي سماها أميمة لتسأل هذه الاسئلة ، ولتثير هذه الكوامن ، ليكشف عن ألمه وحزنه ، وليتخذ هذا المفتاح وسيلة للتعبير عن دواعي الشحوب ، واسباب الارق ، وعوامل ابتذال النفس . وليبسط فلسفة الحزن التي علت نفسه ، وصبغت حياته بسبب المأساة التي أصابته ، فقد هلك بنوه الخمسة في عام واحد ، أصابهم الطاعون ، وكانوا رجالا ولهم بأس ونجدة ، فبكاهم بهذه القصيدة الرائعة .. التي جعلها على هذه الهيئة ، واتخذ لها هذا المنهج ومنحها هذا المدخل لتكون أقـدر على تبديد الحزن من خـلال التساؤل ، وتفتيت قدرة المطاب من بين ثنايا الراحة التي يستشعرها وهو يسمع أصداء تأثره جسما ضعيفا ، وشحوبا مضنيا ، وتركا لكل مباهج الحياة . وهـي حالة نفسية مقبولة ، يتلمس فيهـا المفجوع طلاوة الحديث ، فتتسرب همومه أجابة يصاحبها الالم الكامن ، ويخالطها الحزن الممض .

ان هذا السلوك الشعري أعطى المجال الحر لاستجابة الشاعر الطبيعية، لانه ترك له حرية الحديث عن المصيبة ، ومنحه فرصة الانطلاق للتعبير عن تراكم الحسرات .. وشرح فلسفة البكاء التي أورثها اياه الموت . وتبرير الحزن الذي لازمه بعد وقوع النكبة[102] ..

قالت أميمة : ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا إلا اقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها : أمّا لجسمي أنّه أودى بنيّ من البلاد فودّعوا
أودى بنيّ واعقبوني غصّة بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

وتتحدد ملامح هذا الاتجاه في قصيدة أخرى ولشاعر آخر هو كعب بن سعد الغنوي الذي اتخذ الحوار بينه وبين سلمى وسيلة للتحديث عن حزنه لانها أنكرته وأنكرت شحوبه كأنها لم تدر ما فجعه به الدهر من هلك أخيه الذي كان يكفيه ويعينه على نائبات الدهر ، وكان جموحا لخلال الخير ، جريصا على خلات الكرام .. ثم أبدى أسفه على الصحبة الطيبة ، وعزى نفسه بأنه سوف يلحق أخاه ، وتمنى ان لو أستطاع فداءه .. ثم انحى على الدهر بلومه فيما صنع . وهو حديث مؤلم ، لان الشاعر يستبطن مشاعره ويستثير دوافعه وقد وجد في تساؤل سليمى اشارة لهذا الحديث ، وتحفزا لتوضيح ملامحه . وهي صورة تقرب في كثير من جوانبها من صورة أبي ذؤيب ، وحتى الشكل الذي أخذه التساؤل والشحوب الذي اعترى الاثنين، وما أوحته طريقة السؤال[103] ..

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الشراب طبيب
فقلت ولم أعي الجواب ولم ألح وللدهر في صم السلام نصيب
تتابع احداث تخرمن اخوتي وشيبن رأسي والخطوب تشيب
أتى دون حلو العيش حتى أمره نكوب على آثارهن نكوب

---

(102) المفضليات 2/221 .
(103) الاصمعيات 1.0

بين الربط بين خاتمتي القصيدتين والشبه بين هذين الموضوعين المتشابهين والتوفيق بين المنهج الذي سلكه الشعراء يحدد لنا التوافق الذي كان يشيد البناء الشعري للقصيدة ويضع الخطوات الاولى في توجيه الدراسة النقدية لتتبع هذه الظاهرة تتبعا يقوم على التلمس الذوقي والتوافق والاتحاد الكامل في المنهج المباشر لهذا التجريد الذي حاول استخدامه الشعراء في المواضع المتشابهة(١٠٤) .

ومن الطريف ان يتخذ الشاعر الجاهلي هذا الاسلوب القائم على التجريد منطلقا يمر من خلاله ليعبر فيه عن تبرير موقف معين أو سلوك يجده وهو مضطر في هذه الحالة الى نهج المنهج المستخدم في هذا الاتجاه .

فالمرأة هي نفسها التي تلوم على الفرار من المعركة عند أوس بن حجر وتجعل الفرار خزاية لانه انهزم عندما التقى ببني عبس ، والشاعر يجد نفسه مقصرا في موقفه هذا من جهة ، ومعرضا لحملة من التأنيب القبلي والتأنيب النفسي من جهة أخرى . والحوار هو المعتمد في هذه الموحيات النفسية وهو المسلك في هذه المناقشة التي أدارها الشاعر مع نفسه ، وهو من خلال حواره الذي بث مبرراته في ثناياه أو برر هذه الهزيمة ، وقد حشد لها من الاسباب ما يجعلها مقبولة ومقنعة . فالخصوم قوة لا تقهر ، وشجعان لا يقاومون . لقوا قومه برماح قوية حتى أضحوا تحت فيء رماحهم ، ومع هذا فأوس خرج من المعركة سليما ، لم تمزق عمامته ، ولكن الطعن خرق ترسه(١٠٥) .

(١٠٤) تنظر مفضلية متمم بن نويرة في المفضليات ٢/٦٨ وبعض قصائده في الديوان لانه يسلك المسلك نفسه ، ويضع السؤال الذي وضعه الاخرون الذين تابعوا هذا البناء والتزموا بصيغ التقليد .

(١٠٥) الديوان ٥١ ، وتنظر حماسة البحتري / ٤١ ، ٤٢ .

أجاعلة" أم الحُصَين خزايةً   عَليّ فراري أن لَقِيتُ بني عَبس
ورهطَ بني عمرو وعمرو بن عامرٍ   وتَيماً فجاشت من لقائِهم نفسي
لَقُونا فَضَمُّوا جانبينا بصادقٍ   من الطَّعن حش النار في الحطب اليبس
ولما دخلنا تحت فيء رماحِهم   خبطت بكفي أطلب الارض باللمس

ثم يعود الشاعر الى التبرير الذي حمله على وضع هذا الحوار ، فالفرار في عرف الشاعر لم يكن هزيمة ، فهو شجاع عرفته المعارك الماضية ، وقد أعدّ الشاعر لهذا الحديث لوازمه ابتداء من حديث أم الحصين التي جعلت فراره خزاية ، وهو مدخل سليم للتعبير ، وفتحة نفسية ناجحة .

ان هذه النماذج تمثل جانبا من الجوانب التي كان الشاعر الجاهلي يخوضها من أجل التعبير ، واتجاهات كان يسلكها للخروج الى الحقيقة ، ومجابهة الحاجة الملحة التي كانت تملأ عليه أبعاد تحركه الاجتماعي أو الاخلاقي . وهو في كل طريق يصاحب رحلة مرسومة ، وينهج دربا معروفا، تشرق فيه مصابيح لوحته اللامعة . وقد استطعت أن أقف على مجموعة من النماذج يمكن توحيدها وفق أحوال تقف على رأسها ظاهرة اللوم على الانفاق(١٠٦)

اما الظاهرة الثانية فهي اللوم على مجابهة الاخطار(١٠٧) وتأتي بقية الجوانب على أشكال متفرقة كما لمسنا ذلك في أبيات ابي ذؤيب الهذلي أو كعب

---

(١٠٦) أبو دؤاد الايادي / الديوان ٣٤٦ ، حاتم الطائي/الديوان ٤٠ ، ٤٤ ، ٧٣ ، ٨٠ ، الاسود بن يعفر / الديوان ٢٤ ، لبيد بن ربيعة/الديوان ٤٦ ، ٣٤٦ ، طرفة بن العبد / الديوان ٨٣ ، عمرو بن معد يكرب / الديوان ٦٠ ، المفضليات ٣٨/١ ، ١١٦/١ ، ١٢٣/١ ، ٥٠/٢ ، ١٥٦/٢ ، ١٦٨/٢ والاصمعيات ٤٧/١ ، قيس بن الخطيم الديوان ١٢٠ ، خفاف بن ندبة / الديوان ٧٧ .

(١٠٧) سلامة بن جنديل /الديوان ٢٠٠ ، عروة بن الورد/الديوان ٣٥ ، ٤٨، ٥١ ، ٦٢ ، عمرو بن معد يكرب/الديوان ٦٠ ، الاصمعيات ٧٠ .

ابن سعد الغنوي في لوم المرأة على ترك الزينة وشحوب الجسم • أو كما وجدناها عند امريء القيس في قصيدتيه اللتين أشرنا اليهما • أما اللوم على شرب الخمرة فهو ظاهرة أخرى نلمسها عند بعض الشعراء(١٠٨) • وتأتي جوانب أخرى تكتنفها بعض مظاهر اللوم كلومها على السهر(١٠٩) ولومها على الاخفاق في الحرب(١١٠) أو الهزيمة منها(١١١) أو الوجد(١١٢) •

وهي في مجموعها مظاهر نفسية معينة يحسها الشاعر ، ويدرك مدى قدرتها على نفسه ، ويحاول ان يجد لها مجالا يستوعب هذا الاحساس ، وقد استطاع ان يهتدي الى الطريق الذي استطاع من خلاله أن يرسم البعد ويحدد ملامح القدرة ويشارك النفس ما تشعر به • وقد وجد في صورة الحوار هذه الاشكال لاسباب كثيرة وقفت عندها خلال الدراسة الموجزة •

وفي اطار الحديث عن الحوار في القصيدة الجاهلية تتركز مجموعة من التساؤلات الاساسية لتجديد هذا الاطار ، وتثبيت القواعد التي ينطلق منها تفكير الشاعر الجاهلي في أثبات قدرة التجديد ، ونزوعه نحو ايجاد الصيغ الجديدة التي تلازم هذا النزوع ، وتتفق مع القالب الذي يسعى الى تحقيقه• وقدرته هذه تتجلى في استحداث هذا الاسلوب ، ووضع الخطوط البارزة التي اراد لها ان تأخذ شكلها في بناء القصيدة • واتباع الطريق الذي يساهم في استكمال الصورة التي تمنح هذا الاسلوب ، وقد ترك الفرصة المطلقة لمن أراد ان يظهر براعته في استخدام هذا الاسلوب •

---

(١٠٨) أوس بن حجر / الديوان ١٤ ، السموال/الديوان ٨٥ ، عبيد بن الابرص الديوان ٣٣ ، ٣٨ .

(١٠٩) قيس بن الخطيم/الديوان ١٤٥ .

(١١٠) قتادة بن مسلمة / الحماسة ٧٦٥/٢

(١١١) أوس بن حجر / الديوان ٥١ .

(١١٢) زهير بن ابي سلمى/الديوان ٣٤٦ .

ان استمرار الشاعر الجاهلي في الخضوع الى التقليدي المألوف في البناء الشعري ، وشعوره الوجداني بقوة هذا الخضوع ، والتوله بهذا الارتباط الذي فرضته عليه طبيعة الالتزام جعلته يدرك التقريرية الرتيبة التي درج عليها في النظم ، ويشعر بالسآمة التي ولدها هذا الالتزام الذي أوشك أن يأخذ نظاما ثابتا ، ومنهجا موحدا في البناء ، وقد دفعه هذا الاحساس الى أيجاد طريقة جديدة يستطيع بواسطتها ان يتجاوز الرتابة ، ويخرج على الإسلوب التقريري ، ويمنح القصيدة قوة دفع جديدة ، يكشف فيه عن قيمة ذاتية مركزة ، وخصيصة أخلاقية متميزة ، واتجاه انساني واضح ، وبسط فيه الفكرة التي يتراودها ، ويتخذ الشاعر الجانب الوصفي الملازم له ، وهو ادراك يوحي بقدرة الشاعر على ادراك الواقع ، وتطلعه بتطوير هذا الواقع لما يصبو اليه من تحديد ، فقد استطاع حاتم الطائي ان يفرغ قدرة العطاء الهائلة التي أصبحت كيانا مستقلا من وجوده في اجانب شعري جديد يصوغه اطار مغاير لبنائه له قواعده وأصوله ، واستطاع عروة بن الورد ان يصب قدرة الجرأة والمغامرة التي شغلت ركنا واسعا من حياته في قوالب شعرية جديدة التقت في اطار شعر حاتم الطائي . وهذا يعني ان الشاعر الجاهلي لم يقف امام القوالب الشعرية الموروثة شكلا ومضمونا موقف المستسلم لها ، وانما كانت شخصيته الشعرية تبرز من خلال عمل فني يؤديه ، أو تجربة شعرية يعانيها ، أو صياغة أسلوبية يتميز بها . فالشاعر الجاهلي كان يستوعب الشكل استيعابا شعريا شاملا ، ويستوعب من كل الاشكال التي يدور فيها ، ويعتمد عليها ، ولكنه كان ينظر اليها من خلال الحقيقة التي كان يؤمن بها أيمانا مطلقا ، وهي حقيقة تجعله في موضع المسؤولية الحقة ، لأنه استطاع التوصل الى صيغة جديدة أهلته تأهيلا كاملا للخروج على النهج المرسوم ، فحاتم الطائي في قصائده وعروة بن الورد وامرؤ القيس وابو ذؤيب الهذلي وكعب بن سعد الغنوي ، وعشرات الشعراء الذين استخدموا هذا الاسلوب في

قصائدهم كانت تتنازع في نفوسهم القدرة على التحرك للخلاص مما كانوا يشعرون به من التزام يضيقون به من قيود شعرية معينة ، وقد وجدوا في هذا الطريق المكان الفسيح الذي يمكنهم من هذا التخلص ، ويحقق لهم الرغبة الاكيدة في الوصول الى الهدف المتوخى من ذلك ، وقد انعكس هذا في ظاهرتين متميزتين أخذت الظاهرة الاولى شكلها المتكامل في الاستحواذ على القصيدة دون ان تترك للبناء القديم فرصة التشبث او التميز ، وتتجلى هذه الظاهرة بشكل واضح في بعض قصائد حاتم الطائي[١١٣] وعروة بن الورد[١١٤] أي ان الشكل والمضمون كانا متفقين في بناء القصيدة وصياغتها، وقد اصبح هذا النجاح او التوفيق أساسا لهذا الاستخدام ، واساسا لاستمراره عند كثير من الشعراء الذين تأثروا به ، فاصبح طريقا مألوفا ونموذجا من النماذج الاسلوبية التي يحتذى بها . وتتضح هذه الظاهرة عند عروة في أبياته حيث يقول : « أقلي علي اللوم » و « نامي » و « فاسهري » و « ذريني » و « ألم تعلمي » وغيرها من الصور التي كانت تؤكد صيغة الامر وصيغة المخاطبة وظاهرة الربط بين الصيغة والغرض . وما أقوله عن شعر عروة اقوله في شعر حاتم الذي يستعمل صيغة « أقلي اللوم » و « تقولي » و «دعيني» و «ذريني» التي يكررها في بعض قصائده . وهي ارتباطات لا يمكن ان تكون عفوية ، لان طبيعة التكوين التي تشدها طبيعة موحدة ، وظاهرة الصياغة التي تؤلف بين ابياتها ظاهرة تكشف عن الاستمرار والاستجابة ، واتحاد التكوين الوصفي وظاهرة الصياغة المستمرة ، تؤكد التطور الذي بلغته القصيدة وهي تحاول ان تقدم نماذج جديدة تحتويها قوالب جديدة .

---

(١١٣) الديوان ـ ٤٠ ، ٤٤ ، ٧٣ ، ٨٢ .

(١١٤) الديوان ـ [illegible]

بعد ان ارتدت حوارا فرضته طبيعة التجديد اللازمة • وهي ظاهرة توحـي بعمق أدراك هذين الشاعرين لها ، وقدرتهم على أستيعابها ، وتوفيقهم الـى أستخدامها • ويبـدو ان وضوح الافكار التي كانت تسـاورهم ، والقيم الانسانية التي اخذوا نفوسهم بها دفعتهم الى استخدام هذه الاساليب ، لانها أقدر على احتواء الصيغة ، واشمل في استيعاب الافكار •

لقد استطاع الشاعران التحرك من خلال تجربتين رائدتين في الشـعر العربي لوضع معالجات جديدة ، تميزت بالخروج على التقاليـد المألوفة ، والاستقلال الشعري الذي فرض نموذجا جديدا من التعامل داخل القصيدة الجاهلية ، وهو تحرك تكاملت وحداته عندهما تكاملا واضحا ، واصبحت أصوله متميزة في قصائدهما ، ولم يكن غريبا ان تتقارب الاشكال عند كليهما حياغة واسلوبا ومضمونا ، لانهما يتحركان من نقطة واعية ، ويأخذان مجال الاحاطة بما يريدان من فكر قادر على الاخذ والتمثيل ، وقد وجدا في رحاب القصيدة مساحة ميدانية صالحة ، استطاعا ان يحولاها الى تجربة ناضجة ، ثبتا فيها اعمدة البناء ، ووضعا صيغ المخاطبة ، وانتقيا جمل الحوار ، واستطاعا ان يحيطا هذه التجربة بالجو المناسب •

ان أختلاق الحوادث ، وافتعال الاسلوب التصويري في المخاطبـة ، واختيار الموضوع الذي يستحق هذا الحوار ، يمثل التحرك الابداعي للشاعر الجاهلي ضمن اطار الغرض الجديد ، وتمثل الادراك العقلي الذي أخذت ملامحه تستقر في ذهنه للخروج من دائرة الالتزام التي وقفت حدودها عند المألوف من الصور ، والمتعارف من الاشكال ، والمستخدم من الاساليب •

واذا حاولنا متابعة القصيدة وهي ترتدي ثوب الحوار وجدناها تبتعد في صورتها عن الصورة المألوفة من حيث البناء والصياغة ، فالشاعر يفتتح

القصيدة بوضع الصورة ، وتحديد الغرض والصياغة ، منذ المطلع ثم يبدأ بتحديد الملامح التي تبرز هذه التغييرات لاستكمالها استكمالا يكشف عن صورتها الحقيقية التي استوعبها الشاعر ، وكان الشاعر فيها قد اوجد نظاما داخليا جديدا للصورة وبنائها • وهي أحوال تكشف بشكل لا يقبل الشك عن الفكر الجديد الذي بدأ يشق طريقه في زحمة القوالب السائدة بعد ان ادرك الشاعر ضيق ما يعانيه واختناقه وهو يقع تحت طائلة النظام الشعري السائد •

ان تحويل النظام التقريري الى نظام الحو ار ، وايجاد السبل الكفيلة باستكمال أدوات هذا النظام ، وتحديد المعالم الواضحة له يشكل خطوة جديدة في النظام الشعري ، وقد وفق الشاعر وهو يتخذ لنظامه هذا من أسباب النجاح ما جعله قادرا على التميز والوضوح • فصياغة « وعاذلة » او « وقائلة » أو « عاذلتين » عند حاتم وصياغة « وسائلة » التي أستخدمها عروة تصور المطلع الجديد الذي استحدثته هذه الفئة ، وهو مطلع مغاير لما ألفناه في المطالع الاخرى التي حاول الشعراء من خلالها المرور الى موضوعاتهم، وهي مطالع تقليدية بحتة اقتفى فيها الشعراء آثار القدامى • وقد وفق الشعراء في اختيار هذا المطلع الناجح الذي ترك لهم مجال الحركة والجواب والتساؤل وطبيعة الانفعال ، وقد اقترنت هذه الصياغة بالزمن المحدود الذي آثار في نفوسهم نوازع التساؤل ، ونوازع التأثر ، وجعلهم يدركون الجو المتكامل الذي أوحته اليهم هذه الصورة الجديدة • والى جانب هذه المطالع فقد برزت مطالع أخرى كانت لها صياغة معروفة تخالف الصياغة المألوفة للقصيدة لانها تتميز بصيغة الامر ، وتتفق في توجيه الخطاب للمرأة التي اختلقتها طبيعة الحوار ، وهي أشارة توحي باستمرار الشاعر في السير في هذا الطريق واستمراره في تثبيت الاساليب التي تقوم هذا النهج ، وقد ظلت هذه المكملات تسد الثغرات التي يجد الشاعر نفسه مضطرا الى استخدامها فيها •

اما الظاهرة الثانية فقد ظهرت على شكل ملامح مؤثرة ، أو خطوط متميزة ، تتجلى أشاراتها على أشكال بعض القصائد فتشغل جزءا منها ، أو تدخل ضمن جانب من جوانبها ، وهي في أغلبها تأثير واضح لتلك البصمات التي تعالت أصولها عند بعض الشعراء ، ولعل النماذج التي تطالعنا في قصائد امـرىء القيس[115] ، وزهـير[116] ، ولبيـد[117] ، وأبي دؤاد الايـادي[118] ، وطرفـة[119] ، وعـدي بـن زيـد[120] ، والمرقش الاصغر[121] ، ومعاوية بن مالك[122] ، والاسود بن يعفر ، وحاجب بن حبيب[123] ، وعمرو بن معد يكرب[124] ، وخفاف بن ندبة[125] ، وعمرو بن الاهتم[126] ، والمخبل السعدي[127] ، وسهم بن حنظلة[128] ، وكعب بن سعد[129] ، هذه النماذج تمثل هذا التأثير الذي أخذ ابعادا مختلفة ، وصورا متباينة استطاع الشعراء ان يحددوا أشكالها من مبادراتهم الفنية التي تحركوا منها لغرض استغراق موضوعاتهم ،

---

(115) الديوان ٣١-٣٣ ، ١١-١٣ ، ٩٧ .

(116) الديوان ـ ١٣٩

(117) الديوان ـ ٤٦

(118) الديوان ـ ٣٤٦

(119) الديوان ـ ٨٣ .

(120) الديوان ـ ٣٥ .

(121) المفضليات ٢/١٥٦ .

(122) الديوان ـ ٧٤

(123) المفضليات ٢/٦٨

(124) الديوان ـ ٦٠

(125) الديوان ٧٧

(126) المفضليات ١/١٢٣

(127) المفضليات ١/١١٩

(128) الاصمعيات ـ ٤٦

(129) الاصمعيات ـ ٧٠ .

وابراز الجانب الواضح في سلوكهم . وهي ظاهرة لا تعطي لاصحابها الموقع الشعري الذي استحقه اولئك الشعراء الرواد ، ولكنها تحدد لهم موقعا مناسبا يرسم لهم طريق التأثر ، ويحدد العمق الايجابي الذي استطاع الشاعر ان يحققه لنفسه من خلال التجربة القصيرة . ولعل الاشكال الفنية التي برزت عند المجاميع الاخرى كانت تعكس التوافق في تحديد الرؤيا التي وجد فيها الشعراء اتفاقا في معالجة القضايا التي يعالجونها ، ولابد ان يكون هؤلاء الشعراء متفقين ــ ولو من حيث الرغبة الداخلية ــ على صيغة الحوار بالاساليب التي أدركوها ، لان هـــذه الطبيعة تجعلهم مستوعبين القيمة الشعورية التي تنجم عن التوزيع الذي يحسه الشاعر وهو يتقاسم مع غيره المشاعر ، ويوزع ما يدور في نفسه على الشاك الآخر قد يستريح له أن يجد فيه جزءا من نفسه ، وهو جانب آخر كان الشاعر يحاول التوفيق فيه من أجل التنسيق الفني والحسي ، وكأنه كان يجد في تبديد الاحاسيس وتوزيع التساؤل ومشاركة الآخرين في الحيرة التي كانت تنتابه وهو يعاني قـــوة التدافع الذاتي راحة نفسية مقبولة لا يمكن ان يتخلى عنها . وقد بقيت هذه العناصر التي حاول الشاعر توحيدها تشكل العناصر الاساسية التي ساهمت في البناء الشعري .

اذا استطاع الشاعر حاتم الطائي والشاعر عروة بن الورد أن يقدمـا التجربة الناجحة في الخروج من الاطار المألوف في بناء القصيدة ، واذا قدر لهذه التجربة ان ترتسم علاماتها الكبيرة في قصائدهما باشكالها المتكاملـة خروجا عن الرتابة المعتادة والتقريرية المستحكمة . فان اصداء الحوار المتمثل الذي تسرب الى بقية قصائد الشعراء ،كانت تتعالى بأشكال متفاوتة ، وتبرز تأثيراتها وهي تحمل سمات هذا التغيير الذي اكسب هذه القصائد شكلا مغايرا ، وأضاف اليها لحنا جديدا وجعل صورتها الداخلية تتفاعل تفاعلا

ذاتيا مع الاحداث التي كان الشاعر يتمثلها حقيقة أو خيالا . ولعل لوحات امرىء القيس اللاميتين[١٣٠] :

سموت اليها بعدما نام أهلها   سمو حباب الماء حالا على حال

والثانية[١٣١] :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة   فقالت لك الويلات انك مرجلي

وغيرها من اللوحات امثال قوله[١٣٢] :

وقد اغتذى قبل العطاس بهيكل   شديد مشك الجنب فعم المنطق

ولوحة زهير[١٣٣] :

فبينا نبغي الوحش جاء غلامنا   يدب ويخفي شخصه ويضائله

تمثل هذا الاتجاه الذي حاول فيه امرؤ القيس ان يدخل هذا الحوار الفني في ثنايا قصيدته[١٣٤] فأضاف اليها هذه الصورة الجديدة التي توصل اليها خياله ، واهتدت اليها شاعريته ، وهي صورة تسودها الحركة ويتجسد فيها الخيال ، ويتناوب فيها الجواب بين « فقالت » و « فقلت » و « حلفت » و « اسمحت » و « تنازعنا » وما يلازم الصورة من أوضاع وأفعال وتقتضيه من ضمائر . وهي قطعة جديدة لها خصائصها المتميزة، ولونها البارز ، وكذلك كان صنيعه في قصيدته الاخرى التي عرض فيها لدخوله حذر عنيزة وما قالت له .. وما قال لها ، وهي أقوال توحي بالتصورات التي كانت تدور في نفسه ، وتوحي بما كان يتمناه من أحوال ، وما كان يريد ان يتحدث به مع صاحبته التي كانت حقيقتها في ذهنه واضحة متميزة .. ارضاء لطموح ينازعه ، وتوثيقا لصورة يرغب في تحقيقها ، وقد أدت هذه الصورة التي

---

(١٣٠) الديوان ٣١–٣٢ .
(١٣١) الديوان ١١–١٣ .
(١٣٢) الديوان – ١٧٢ .
(١٣٣) الديوان – ١٣٠ .
(١٣٤) الديوان ٣١–٣٢ .

أدخلها الشاعر في ثنايا قصيدته الى ايجاد تعليلات كبيرة عند دارسي الادب ، وحملتهم على تفسيرات بعيدة بشأن هاتين اللوحتين ، وقد بنى على وجودهما بعض الدارسين احكاما متباعدة وفسروا في ضوئهما الاحداث تفسيرات غريبة • ولكن الواقع الذي يمكن ان يهتدي اليه الباحث من خلال الدراسة التي أشرت فيها الى الطريق الجديد الذي اراد الشاعر ان يعبر عن تصوراته بشكل حوار داخلي او استنباط لاحداث كانت اشباحها في نفسه قائمة ، تؤكد ان هذه الصور هي محاولات جديدة لتحقيق الذات ، واشباع الفردية ومحاولات ايجاد صيغة جديدة للخروج على الرتابة المعهودة في البناء الشعري ، ومحاولة جديدة فيتوزيع الاحساس الذي كان ينوء به الشاعر الجاهلي وهو يقع تحت طائلة الزمن واحداثه ، وكذلك كانت الصورة بالنسبة الى زهير بن ابي سلمى الذي قدم صورة دقيقة للصياد الذي كان يبتغي الصيد وما دار في ذهنه وهو يلون أحداثها ، ويدقق وقائعها ويحدد مواضعها وأوقاتها • ومن الطبيعي ان تكون صورة زهير صورة تقليدية لموضوعات كانت تطرق في القصيدة الجاهلية التي اطلع عليها زهير وتأثر بها وحيه وهو يستوعب مأثورات عصره وما سبق به • وقد أرضى زهير بتقديمه هذه اللوحة من خلال محاوراته التي استخدم فيها أسلوب الحوار المباشر رغبته وطموحه في الوصول الى الصورة دون حواجز ، ورغبته في أستمرار الصورة التقليدية التي عاصرها ولم يتمكن من تحقيقها وجودا حقيقيا ، ورغبته في التوفيق بين معاصرته لما يصادفه وارتباطه بما يساهم في بناء ثقافته • ولعل وجود مثل هذه اللوحة منفردة او قليلة ــ كما كانت لوحات امرىء القيس منفردة أو قليلة ــ تؤكد هذه الحقيقة التي لا نجد لها نظائر في ديوانه ، وتؤكد انسلاخ الشاعر من الاطار الذي كان يتحكم فيه لفترة زمنية قصيرة يعود بعدها الى الانجراف في التيار الحاد الذي كان

يفرض عليه الاستمرار دون توقف ، لمتابعة الاتجاهات السائدة التي كانت تفرض نفسها قوية وحازمة على الشعراء الذين التزموا بما وجدوه من التزامات وخضعوا لما خضع اليه الآخرون من أحكام وضوابط .. ومن الجائز أن تكون هذه النزعات النفسية تعكس تصورات داخلية كان الشاعر يقف عندها حائراً ، ولم يجد نفسه قادراً على تحقيقها الا من خلال الحوار الشعري الذي يطمئن على الأقل الرغبة الجامحة ، ويرضي الجانب الذاتي في تلك النفوس .

ان ارتباط الحوار بالحالة النفسية المدركة لتحقيق الطموح يمكن أن يفسر لنا الكثير من الانعكاسات التي كانت تعانيها نفوس الشعراء وهم يرجعون الى هذا الأسلوب من المحاورة ، ولابد أن تكون المرأة التي اختارها امرؤ القيس أو حاتم الطائي أو عروة بن الورد أو أبو ذؤيب الهذلي أو كعب ابن سعد الغنوي ، أو الغلام الذي اختاره زهير بن أبي سلمى من العوامل التي تجعل الفكرة مقبولة في تحديد شخوص الحوار ، فالمرأة هي اللائمة دائماً ، وهي التي تخشى الفقر وتحافظ على الرجل وتحاول حمايته من الانزلاق وتتفقد أحواله وما يصيبه من هزال وضعف .. وهذا ما حاول الشعراء أن يقدموه ، أو هي الانسانة التي يمكن ان يجد عندها الرجل راحته في مبادلة العواطف وتجاوب الأحاسيس كما صورها امرؤ القيس .. أما الغلام فهو الذي كان يرشد زهير وجماعته ويبصرهم بمواضع الصيد .. ان هذه العلاقة التي يمكن الوقوف عليها من نماذج القصائد يمكن أن تكون عاملاً جديداً من عوامل الدراسة التي يعول عليها لأنها حددت المؤشر الذي بموجبه تكون الشخصية الثانية التي يقوم عليها الحوار ، وأن هذه الشخصية كانت تخضع لمجموعة من المواصفات حتى تكون قادرة على أداء مهمتها على الوجه الأكمل . وأن الشاعر كان يراعي ذلك في الاختيار لتستطيع اشخاصه أن

تؤدي ما تفرضه عليها طبيعة الحوار من واجبات • وان الشاعر كان يعلم الوجهة التي تسير وفقها القصيدة ابتداءا • لان هذا التحديد سيعقبه تجديد آخر في السلوك والعمل والمتابعة •• وهذه العناصر قد وجدت مواضعها في تفكير الشاعر لانها تجاوزت المنطلقات الثابتة في البناء ، وفي ظلالها كانت تتحرك الاجزاء المكملة ••

اما الاسلوب والطريقة واستخدام الضمائر والافعال والروابط التي تحكم هذه الاساليب والاعتبارات الداخلية التي توحد بين كل هذه الاجزاء فقد كانت اقدارها متفاوتة عند الشعراء لانها كانت تتصل بقوة التجربة التي يريد الشاعر ان يعبر عنها ، وبإستدامة الحدث الذي كانت تطوف اعلامه في ذهنه • ولكن الحقيقة التي تبدو من خلال الصياغات المستخدمة والنماذج التي تدور في اطار الاحاديث كانت ترسم للحوار صورا ــ على الرغم من تباعدها أحيانا ــ واضحة ، يمكن الوقوف عندها وتحليل دلالاتها ورموزها تحليلا موضوعيا ، لتأخذ القيمة الاساسية لها ، لانها تشكل في حد ذاتها قاعدة من قواعد البناء القصصي واساسا يمكن الوقوف عليه لتحديد اللبنات الاولى لهذا الفن في الشعر العربي ، لان الدراسات ما تزال تتخبط في ايضاح هذا الجانب الفني في النصوص الشعرية • وان الدارسين كانوا يعبرون هذه الفترة ، ويتجاوزون الاصالة التي أجهد القدامى عقولهم في ايجادها ، وان هذه النماذج يمكن عدها جسرا ثقافيا من الجسور التي عبر من خلالها الادب القديم ، وممرات ثقافية كانت الافكار والرمــــوز والاساطير والاساليب والقصص تمر عبرها بملامح خافتة احيانا وواضحة كل الوضوح في الاحايين الاخرى •• وهذا ما دفعني الى أن أشدد في ابراز الصورة لان التشديد في هذا الموقع يعني تثبيتا لاصول فنية واسلوبية أغفل الباحثون معالجتهــا معالجة تتناسب وأهميتها • وتركوا كل لمحة من هذه اللمحات الى تقـدير

الصدفة في تحقيقها وهذه بادرة خطيرة جرت على الدراسات الادبية أهوالا كبيرة .

ان التوفيق بين كل هذه العناصر ، يعني تحديدا للصورة المتكاملة لشكل الحوار بأجزائه وأساليبه وشخوصه وأفكاره وقيمه ، ولابد ان يكون الشاعر قد سعى الى تحديدها منذ المقطع الاول ، وحاول وضعها بشكل متسلسل بموجب الوحدات المرسومة في السياق ، وان ارتباطها بالشكل المتفق ، والصورة الموجهة تمنحنا دليلا آخر على ان الشاعر الجاهلي كان واعيا في رسم أبعاد قصيدته ، وان اعدادها وتكاملها ووحدتها كانت أمرا مفروغا وشكلا متفقا عليه في المفهوم الشعري ، لانه ينطلق من الترابط المتكامل بين كل تلك الاجزاء وفق الغرض المحدد الذي اصبحت خطوطه واضحة المعالم عند الشاعر الجاهلي .

الاكديون : دورهم في « المنطقة »

الدكتور فاضل عبدالواحد علي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

تعريف بالموضوع :

قبل احدى وعشرين عاما نشر الاستاذ ادزارت كتابه القيم والموسوم «العصر الوسيط الثاني في بلاد وادي الرافدين»(١) وبطبيعة الحال فانه ،يفترض ضمنا وجود عصر وسيط اول • وبالنسبة للاستاذ ادزارت فان « العصر الوسيط » يعني ، ضمن اشياء اخرى ، فترة تتميز بالدرجة الاولى بالتجزئة السياسية للقطر وبظهور وحدات أو دويلات سياسية متعددة يعاصر بعضها البعض الاخر • وبتعبير آخر يكون العصر الوسيط فترة ركود وانحلال سياسي تعقب فترة وحدة شاملة • وقد افترض المؤلف وبحق ، ان سلالة كيش الاولى التي حكمت في حدود (٢٨٠٠ ق•م) كانت من اولى السلالات في بلاد بابل التي نجحت في تحقيق الوحدة الداخلية للقطر • ولابد لنا من التنبيه هنا الى ان سلالة كيش هذه تمثل اقدم الاشارات المدونة في النصوص المسمارية الى وجود قبائل الجزيرة العربية في النصف الجنوبي من وادي الرافدين • اذ من المعروف ان اثنى عشر ملكا من ملوك هذه السلالة البالغ عددهم ثلاثة وعشرين كانوا يحملون اسماء جزيرية (أي الجزيرة العربية)(٢) • ولنا ان نفترض بطبيعة الحال ان زمن استيطان هذه القبائل الجزيرية في وادي الرافدين سبق هذا التأريخ بقرون طويلة علما ان سلالة كيش تعتبر اول سلالة حكمت بعد الطوفان مباشرة بموجب قائمة الملوك السومرية •

ومهما كانت الانجازات التي حققتها سلالة كيش الاولى فانها تبقى ضمن حدود القطر في الغالب ان لم تكن ضمن سهله الرسوبي (بلاد سومر) على وجه الخصوص . صحيح ان بعض الملوك والامراء من سلالة اور الاولى ولكش الاولى تلقبوا بلقب « ملك كيش » ، على الرغم من انهم كانوا يحكمون في دويلات ليست لها علاقة بهذه المدينة ، وذلك اعترافا منهم بالمجد الخالد الذي حققه ملوك هذه السلالة الاخيرة[3] ، الا اننا مع ذلك لا نعرف الا النزر القليل عما انجزه ملوك سلالة كيش الاولى في هذا المضمار لقلة المصادر الكتابية . ومع ذلك فان جاز لنا ان نفترض ، ولنا بعض الحق في ذلك ، ان ملوك سلالة كيش الاولى نجحوا في انجاز وحدة البلاد فان ذلك لم يترك زخما وثقلا على « المنطقة » بالقدر الذي تركته منجزات الاكديين في هذا المضمار .

بقي علينا ان نذكر ان[1] « العصر الوسيط الثاني » الذي قصده الاستاذ ادزارد والذي اغناه بحثا وتحليلا ومراجعا هو العصر المعروف بـ « عصر ايسن لارسه » الذي اعقب سقوط امبراطورية اور الثالثة (عام ۲۰۰٦ ق.م) والذي تجزء القطر بعده الى دويلات وممالك عديدة مثل سلالة ايسن ولارسه ومملكة اشنونا ومملكة ماري والمملكة الاشورية والذي انتهى في حدود (۱۸۹٤ ق.م) بقيام سلالة بابل الاولى الشهيرة .

خلاصة الموضوع :

في رأينا ان الاكديين وهم من اقدم قبائل الجزيرة العربية التي نجحت في تعزيز وحدة القطر وفي اقامة اول امبراطورية في الشرق الادنى القديم ، كانوا يدركون كل الادراك اهمية فتوحاتهم العسكرية ، وخير دليل على ذلك ان تلك الفتوحات اتخذت تحقيق أهداف مرسومة ومحددة . فالاكديون اعتبروا منطقة الخليج العربي امتدادا طبيعيا لامبراطوريتهم[4] وعرفوا اهميتها التجارية ومناجمها المعدنية . وتحسسوا في الوقت نفسه بالاخطار التي كانت تهدد كيانهم من الشرق والشمال الشرقي حيث تستوطن قبائل معادية لهم مثل الكوتيين واللولوبو . وقد ورثوا ايضا التجارب المريرة لاسلافهم السومريين في

مقدار ما تشكله عيلام (جنوب غربي ايران) من خطر بالنسبة لهم • اما باتجاه الشمال والغرب فقد كان من الضروري بالنسبة لهم ان تنفتح الطرق امامهم للحصول على المعادن وضمان مسيرة القوافل التجارية • وعلى هذا النحو يكون الاكديون من الاوائل الذين ادركوا الاهمية «الاستراتيجية» للمنطقة في المفهوم المعاصر ضمانا لسلامة القطر على ضوء ما يحيط به من قوى معاصرة كانت تتمثل انذاك بسلالات او ممالك •

وقد افاد البابليون والاشوريون والكلدانيون من التجربة الاكدية فلم يقفوا مكتوفي الايدي امام قوى الصراع في الشرق الادنى القديم • ولهذا اعتمدوا سياسة بناء جيش ضارب له القدرة على الاضطلاع بكبح جماح الطامعين وضرب الاحلاف العسكرية وفك الحصار الذي كانت تفرضه القوى المعادية لشل الحياة التجارية والاقتصادية[5] • ولا نعتقد اننا بحاجة الى الاتيان بامثلة • فالامبراطورية البابلية ومن بعدها الاشورية ومن بعدها الكلدانية تمثل بعناوينها البارزة خير دليل على تبني هذا الاتجاه •

الاكديون :

من المعروف ان عصر فجر السلالات ، وهي الفترة الممتدة من حدود ٢٨٥٠ ــ ٢٤٠٠ ق•م تتميز بسيادة السومريين سياسيا وعسكريا في جنوبي وادي الرافدين وان البلاد كان يغلب عليها التجزئة السياسية التي تمثلت بالعديد من دويلات المدن • ويمكن القول ان رقعة النفوذ السياسي لتلك الدويلات كانت تمتد من أقصى جنوبي القطر الى مدينة كيش (تل الاحيمر حاليا) وهي المنطقة التي اطلق عليها السومريون انفسهم اسم (Ki-en-gi) بلاد سومر •

ومن المعروف ايضا ان السومريين استطاعوا في عصر فجر السلالات وضع اللبنة الاولى لاقامة حضارة عريقة في هذه المنطقة من بلاد وادي الرافدين عندما توصلوا ، ضمن اشياء كثيرة ، الى اختراع الكتابة كوسيلة للتدوين ، والابداع في مجالات الفنون المختلفة كصناعة الاختام الاسطوانية والتماثيل

والدمى والحلي الفضية والذهبية • وكان لهم اسهام مشهود في ميدان الادب وفن العمارة والطب وكثير من العلوم والمعارف • واليهم يعود الفضل ايضا في وضع وبلورة المعتقدات الدينية وكثير من الافكار التي تتعلق بخلق الكون والانسان وبالمفاهيم والنظم السياسية والاجتماعية والقانونية •

غير ان سيادة السومريين على البلاد والمتمثلة ، كما قلنا ، بدويلات المدن انتهت على يد زعيم اسمه سرجون الذي استطاع فرض سيطرته على البلاد وتوحيد دويلات المدن ومن ثم اقامة امبراطورية واسعة الارجاء عرفت بالامبراطورية الاكدية نسبة الى مدينة اكد التي اتخذها عاصمة له •والاكديون الذين تزعمهم سرجون في اقامة الامبراطورية الجديدة هم من قبائل الجزيرة العربية التي استوطنت في بلاد بابل في عصر مبكر جدا ، ربما منذ الالف الرابع قبل الميلاد •

وقد عاش هؤلاء جنبا الى جنب مع السومريين وتفاعلوا معهم قبل ان يتمكنوا من الاستيلاء على دفة الحكم •

وخلافا للسومريين الذين ما يزال اصلهم واصل لغتهم مجهولين لحد الان، فان الاكديين يمثلون واحدة من اقدم هجرات قبائل الجزيرة الى وادي الرافدين • كما ان لغتهم تعود في اصولها الى عائلة لغات الجزيرة التي تفرعت الى فروع منها الاكدية والبابلية والاشورية والعربية والعبرانية والارامية (وهي التي تسمى باللغات السامية) •

ومن الجدير ذكره هنا اننا نهمل في دراستنا الحالية المصطلح المتداول « الساميون » الذي لا يستند على اساس تاريخي مقبول وسوف نستعمل بدلا منه « قبائل الجزيرة » او « الجزيريين »[٦] للاشارة الى تلك القبائل التي كان موطنها الاصلي جزيرة العرب والتي كانت تتكلم لغات او لهجات تعود في اصلها الى لغة واحدة هي لغة الجزيرة ، والتي كانت ايضا تتشابه ، الى جانب ذلك ، بجمله من السمات التاريخية والحياة المعاشية والاعراف والتقاليد والقوانين وفي المعتقدات الدينية •

اما المناطق التي كانت تستوطنها القبائل المتكلمة بلغة الجزيرة فانها كانت تشمل في العصور التاريخية القديمة ، جزيرة العـرب واطرافها الشماليـة كالصحراء السورية وما يعرف بالهلال الخصيب • وقد اضطرت هذه القبائل ، ولاسباب مختلفة وفي فترات مختلفة ايضا • الى هجرة مواطن استيطانهـا والنزوح ثم الاستقرار في المناطق المتحضرة من بلاد وادي الرافدين والاراضي السومرية والفلسطينية •

ومما تجدر ملاحظته اننا عندما تتكلم عن قبائل الجزيرة فاننا لا نعني بطبيعة الحال انها كانت تستوطن المناطق الصحراوية الجرداء • بل على العكس من ذلك فان تلك القبائل كانت تتنقل في بوادي الهلال الخصيب وفي حواف الجزيرة العربية طلبا للمراعي • ولنا ان تتصور ان حركتها في التنقل كانت بطيئة قبل ظهور الجمل في المنطقة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد • ولا شك في ان القبائل البدوية كانت على اتصال دائم بالقرى الزراعية والمدن المتحضرة حيث كانوا يتزودن بين حين وآخر بالحبوب والتمـور والادوات وحتـى السلاح(٧) ويحصل احيانا ان يستوطن عدد من الافراد او عائلة برمتها في قرية او مدينة فتمتهن الزراعة وتربية الاغنام والماشية وهناك شواهد تاريخية كثيرة على ان القبائل البدوية هذه كانت تشكل احيانا خطرا على السلطات الحاكمة في المدن وكثيرا ما نسمع ان قبلية معينية او حلفا من قبائل عديـدة هاجمت المراكز المتحضرة ونجحت في الاستيلاء عليها وفي استيطانها •

وبقدر ما يتعلق الامر ببوادي الرافدين فان هناك من الادلة الكتابية ما يشير الى ان قبائل الجزيرة كانت موجودة في العراق في عصر مبكر جدا • فهناك اسماء اعلام ترد في وثائق عصر فجر السلالات تدل بصورة واضحة على ان اصحابها كانوا جزيريين أي من غير السومريين ، كما تم العثور على عدد من النصوص التي دونت باللغة الاكدية • ويستدل من التوزيع الجغرافي للمواقع الاثرية التي وجدت فيها اسماء الاعلام هذه على ان الاكديين كانوا منتشرين في رقعة واسعة نسبيا وانهم ، وان كانوا قليلين بالنسبة للسومريين في الجنوب ،

لكنهم كانوا يتمتعون بالقوة والنفوذ في المنطقة التي كانت ضمن حدود مملكة كيش (تل الاحيمر) . ومن المعروف ان عددا من ملوك هذه المملكة ، التي قامت فيها اول سلالة حاكمة بعد الطوفان ، كانوا يحملون اسماء جزيرية . ويتضح من النصوص المسمارية ايضا ان هؤلاء الجزريين كانوا يؤلفون الجزء الاكبر من سكان شمالي القطر . ومعلوم ان الاقسام الوسطى من وادي الرافدين ، ابتداء من مدينة نفر في الجنوب وحتى خط هيت ـ سامراء شمالا اصبحت تسمى « بلاد اكد » منذ زمن سرجون الاكدي والازمان اللاحقة .

كان هؤلاء الاكديون يتكلمون اللغة الاكدية التي هي فرع من فروع لغة الجزيرة الام ، كما انهم استخدموا في كتابتها الخط المسماري الذي استنبطه السومريون من قبل . ثم ان وجود الاكديين جنبا الى جنب مع السومريين ادى بطبيعة الحال الى تأثرهم بالحضارة السومرية . ففي نطاق اللغة استعار الاكديون كثيرا من الكلمات والمصطلحات السومرية كما يجد الباحث في الوقت نفسه ان هنالك كثيرا من المفردات في اللغة السومرية ذات اصل اكـــدي . وعلى غرار السومريين فقد استوطن الاكديون القرى والمدن ومارسوا الزراعة وشتى صنوف الحرف كما انهم مارسوا المعتقدات والطقوس الدينية التي مارسها السومريون . وهناك حقيقة واضحة لدى الباحثين في تاريخ حضارة بلاد وادي الرافدين وهي اننا اذا ما استثنينا الجانب اللغوي فأن السومريين والاكديين انصهروا في بوتقة حضارة أصيلة واحدة حتى عاد من الصعب على المرء ان يميز بين ما هو سومري الاصل وبين ما هو اكدي .

سرجون الاكدي مؤسس الامبراطورية (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق.م) :

يظهر من النصوص المسمارية ان سرجون الاكدي بدأ حياته العملية في مدينة كيش وانه كان احد مقربي الملك اور ـ زبابا في تلك المدينة . وتبقى الظروف غامضة عن كيفية استطاعته الاستيلاء على الحكم . ومن غير المستبعد ان سرجون بدأ حياته ساقيا في بلاط هذا الملك اذ جاء في احد النصـــوص المسمارية المتأخرة ان الملك اور ـ زبابا أمر ساقيه سرجون بان « يغير جرايه

الشراب المخصصة لمعبد ايساك ايلا في مدينة بابل ، غير ان الاخير لـم يفعل ذلك فنال خطوة عند اله المدينة العظيم مردوخ الذي جعله سيدا للبـلاد وللعالم كله بدلا من اور ـ زبابا[٨] . وعلى اية حال ينبغي علينا ان نلاحظ ان سلالة كيش الاولى استمرت بعد اور ـ زبابا حيث خلفه خمسة ملوك في الحكم . ولذلك يبدو ان سرجون الاكدي في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية كان مجرد مناوىء للسلطة الحاكمة في كيش وانه لم يقدم بعد على الاقتصاص عليها واسقاطها .

لقد وصلنا نص مستماري[٩] دون في عصر متأخر نسبيا يتعلق بقصـة مولد مؤسس الامبراطورية سرجون يصف على لسانه كيف أن أمـه كـانت كاهنة عظمى وكيف انه تتلمذ على يد بستاني اسمه اكي الذي علمه فنـون البستنه وكيف أن الالهه عشتار اعجبت به فمنحته ملوكية البلاد . وفي ادناه نقتبس مقتطفات من هذا النص :

وجعلني الساقي أكي بستانيا عنده

وعندما كنت بستانيا منحتني عشتار حبها

فاضطلعت بمهمة الملوكية اربعا (واربعين) سنة

لقد سيست وحكمت ذوي الرؤوس السود[١٠]

وقهرت الجبال الشاهقة بفؤوس قاطعة من البرونز

تسلقت القمم العليا

وعبرت القمم السفلى

وطوفت حول بلدان البحر ثلاث مرات

واستولت يداي على دلمون[١١]

فأي كان الملك من بعدي

فعسى ان يسوس ويحكم ذوي الرؤوس السود

ويقهر الجبال الشاهقة بفؤوس قاطعة من البرونز

ويتسلق القمم العليا

ويعبر القمم السفلى
ويطوف حول بلاد البحر ثلاث مرات
وتستولى يداه على دلمون
ويقصد مدينة الدير[١٢] العظيمة

يعتبر سرجون بحق واحدا من اعاظم القادة في التاريخ القديم لانجازاته العظيمة في الميادين العسكرية والادارية • واول ما قام به سرجون كان هجومه على مدينة الوركاء ودحره ملكها لوكال زاكيزي الذي جيىء به اسيرا الى معبد الاله انليل في مدينة نفر • ونفهم من النصوص المسمارية التي تروى اخبار هذا الملك انه استولى بعد ذلك على مدن مهمة اخرى مثل اور ولكش واوما وانه اتبع سياسة تدمير اسوار المدن من اجل القضاء على مراكز تجمع المناوئين لسلطته كما انه اقدم على حجز بعض عوائل الحكام المناوئين له كرهينة في العاصمة اكد •

وقد استطاع سرجون في غضون فترة قصيرة بسط نفوذه على كل بلاد سومر حتى ان احد النصوص المسمارية يلمح الى ذلك بقول مأثور « انه (أي سرجون) غسل سلاحه في مياه البحر السفلي » أي مياه الخليج العربي • ويذكر نص مسماري آخر عن اعمال سرجون العسكرية وعن انتصاراته على المدن السومرية ، انه خاض ثلاثا واربعين معركة وانه بنتيجة ذلك صارت « سفن ملوخا[١٣] وسفن دلمون ترسو في المرفأ امام مدينة اكد » وبتعبير اخر انه استطاع احكام سيطرته على الخليج العربي واصبح بمقدوره الحصول على منتوجات البلدان الواقعة عليه • وجدير بالذكر ان كتابات سرجون كانت تشير الى هذه المناطق الخليجية باعتبارها جزء من الامبراطورية الاكدية كما يتضح ذلك من بعض الاشارات في قصة مولده سابقة الذكر وفي القائمة الجغرافية الخاصة بالمواقع الاثرية التي شملتها فتوحاته العسكرية •

اتخذ سرجون عاصمة جديدة له عرفت بمدينة اكد ، وهي العاصمة الوحيدة بين عواصم العراق القديم التي ما يزال موقعها غير معروف لحد

الان • وقد بنى في هذه العاصمة الجديدة كما تشير الى ذلك كتاباته ، معبدا للالهة عشتار التي ادعى بانها هي التي منحته الحكم ، كما انه اقام معبدا للاله زبابا اله الحرب لمدينة كيش • وبطبيعة الحال فقد اصبحت اللغة الاكدية لغة البلاد الرسمية كما ان حكام المدن كانوا من الاكديين ايضا •

وبعد النصر الساحق الذي حققه على المدن السومرية اتجه سرجون الاكدي بفتوحاته اتجاهين اولهما غربي والاخر شرقي • ففي الغرب تذكر النصوص المسمارية من عصره انه استولى على مدينة اتو (هيت) وماري (تل الحريري) وعلى غابات الارز (جبال امانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) ويارموتي (ميناء جنوبي بيلوس) وعلى مدينة ابلا في شمالي سوريا (بالقرب من كركميش) • ومن هذا يتضح ان سرجون استطاع ان يفرض سيطرته على مناطق الفرات وشمال سوريا • ويذكر نص عثر عليه في تل العمارنه عنوانه « ملك المعركة » ان سرجون الاكدي وصل الى مدينة بورش خندا في اواسط اسيا الصغرى منتصرا لجماعة من التجار اصابهم الظلم على يد احد الحكام هناك فاسرع سرجون لنجدتهم علما بان نوع العلاقة التي كانت تربط اولئك التجار بسرجون ما زالت غير معروفة(١٤) •

اما المناطق الشمالية من القطر والتي عرفت فيما بعد بلاد اشور فقد شملتها فتوحات سرجون • فهناك ادلة على ان مدينتي نينوى واشور كانتا تحت سيطرة الاكديين • كما وتدل النصوص الكتابية على وجود نسبة كبيرة من اسماء الاعلام الاكدية بين سكان مدينتي نينوى خلال العصر الاكدي • ثم ان العثور على تماثيل حجرية في الطبقات السفلى من معبد عشتار في نينوى تعود الى العصر الاكدي ربما فسر بانها كانت بمثابة شواهد تذكارية لطبقة حاكمة عينها الملوك الاكديون في بلاد اشور • واخيرا فان اكتشاف الرأس البرونزي المعروف في مدينة نينوى والذي ارجع تاريخه الى العصر الاكدي ، على اساس اسلوب صناعته ، ربما يعود الى أحد الملوك الاكديين ويرجح ان يكون سرجون او حفيده الشهير نرام ـــ سين •

اما فتوحات سرجون الاخرى فقد كانت في المناطق الجبلية الشرقية والشمالية الشرقية من بلاد وادي الرافدين . وقد وصلتنا تفاصيل جيدة عنها في كتابات الملك سرجون نفسه وفي نصوص متأخرة ايضا . ويذكر في كتاباته انه لاقى جيوش اربعة حكام بقيادة ملك « اوان » الواقعة في جنوب غربي ايران وانه استطاع دحرهم وقتل قائدهم . كما انه استولى على بلاد عيلام وعين عليها حاكما تابعا له . وكان من نتائج سيطرته على بلاد عيلام والاقاليم الاخرى من ايران ان تدفقت ثروات كبيرة على بلاد اكد . ان هذا الامتداد الواسع للامبراطورية الاكدية وفي اتجاهات متعددة كان قد عبر عنه سرجون نفسه في احد نصوصه عندما قال : « والان فاي كان الملك الذي يدعي انه نظير لي فليتصل الى حيث وصلت انا » .

خلفاء سرجون :

خلف سرجون ابنه ريموش الذي حكم تسع سنوات وجاء من بعده اخوه الآخر مانشتوسو الذي حكم ثلاث عشرة سنة . ويبدو من قائمة الملوك ان الاخير كان الابن الاكبر لسرجون وعلى اية حال فقد بدأ الاخوان حياتهما في ممارسة شؤون الحكم في زمن ابيهما سرجون .

ويعتبر نرام ـ سين (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق . م) بحق ثاني اشهر ملوك هذه السلالة العظيمة وواحد من الشخصيات البارزة في تاريخ العراق القديم . وقد بقي حكمه الطويل (ست وثلاثون سنة) مزدهراً حتى نهايته .

وصلتنا حوادث حكم الملك نرام ـ سين مدونة على النصوص المسمارية من عصره واخرى دونت في عصور لاحقة اضافة الى المنحوتات الحجرية التي تصور انتصاراته على اعدائه .

وتتميز الوثائق المسمارية من عصر هذا الملك بامرين جديدين الاول انه استعمل بالاضافة الى لقب « ملك اكد » لقبين آخرين هما « ملك الجهات الاربع (شار كبرات اربعيم) وملك العالم (شار كششاتيم) وهما يشيران من دون شك الى سعة الامبراطورية وتوحيدها في عصره . والامر الجديد الثاني

هو استخدام علامة الالوهية (النجمة) في كتابة اسمه على غرار اسماء الآلهة . كما ان بعضاً من اتباعه كتبوا على اختامهم الاسطوانية عبارات تعزو اليه الالوهية مثل « إله اكد » . وبطبيعة الحال فان مثل هذا الاتجاه نحو تاليه الملك يخالف كليا الفكرة السومرية القديمة التي تقوم عليها الحكم والتي تعتبر الحاكم او الملك مجرد ممثل للآلهة في حكم البشر كما يخالف الاتجاه الحضاري العام في بلاد وادي الرافدين .

والجدير بالملاحظة ان هذه البدعة ، أي اضفاء الالوهية على الملك ، استمرت بعد نرام ـ سين ولكن على نطاق ضيق جدا وخاصة في زمن سلالة اور الثالثة وعصر ايسن لارسه ولكنها لم تظهر بين الملوك الآشوريين .

بدأ نرام ـ سين حكمه مثل غيره ممن سبقه في اخضاع بعض المدن التي خرجت على الطاعة ، اذ يذكر نرام ـ سين ان حركة عصيان ظهرت في البلاد وقادتها مدينة كيش كما يذكر اسماء كثيرين غيرهم قاموا من حكام المقاطعات المختلفة التي شملت رقعة واسعة من الامبراطورية ابتداء من بلاد الانضوان في الحدود الشمالية الغربية الى مكان في الخليج العربي .

ولا شك في أن اعادة اخضاع هذه الاجزاء استلزم حملات عسكرية متعددة كما استلزم وقتاً وجهداً كبيرين .

لقد سلكت الحملات العسكرية لنرام ـ سين باتجاه الغرب طريق الفرات ابتداء بمدينة ماري (تل الحريري) ومروراً بمدينة ارمانو (ربما حلب) ثم مدينة ابلا (بالقرب من كركميش) ويذكر نرام ـ سين انه أسر حاكم ارمانو ريش ـ ادد (وربما كان حاكما على ابلا ايضا) والذي صور وهو اسيراً على منحوته اهديت الى اله القمر سين . كما تذكر كتاباته انه اخضع جبال الارز وعرفها بكونها « جبال امانوس » . وهناك من الادلة الكتابية ما يشير الى ان نرام ـ سين ، على غرار جده سرجون ، قد فرض سيطرته على بعض المناطق في جنوب شرقي اسيا الصغرى وكشفت التنقيبات في ديار بكر

على الخابور عن قصر اقامة نرام ـ سين للسيطرة على الطريق التجاري الممتد الى منطقة الجزيرة كما عثر على مقربة من مدينة ديار بكر على مسلة نحت عليها رسمه • ولا شك في ان نرام سين استطاع فرض سيطرته ايضا على بلاد اشور حيث لقب نفسه بلقب « حاكم سوبارتو » بلاد اشور فيما بعد •

أما في الجزء الجنوبي من الامبراطورية فيذكر نرام ـ سين في احدى كتاباته انه زحف ضد « مكان » (بلاد عمان) وألقى القبض على ملكها المسمى Mandannu وقد خاض نرام ـ سين معارك ضارية ضد القبائل المعروفة بـ « لولو » او « لولوبو » في المنطقة الجلبية الشمالية الشرقية من وادي الرافدين وخلد انتصاراته عليهم في منحوته جبلية على الجانب المنحدر لمر (دربندي كاور) في جبل كره داغ الى الجنوب من السليمانية • ويتكرر موضوع هذه المنحوتة الجبلية على المسلة المعروفة بمسلة النصر للملك نرام سين نفسه التي عثر عليها في سوسة والتي تصور الملك الاكدي حاملا القوس والرمح ولابسا خوذة ذات قرنين وهو يصعد جبلا شاهق القمة وقد تساقط تحت قدميه عدد من قتلى الاعداء • وتذكر الكتابة التي على المسلة انها تصور انتصار الملك الاكدي نرام ـ سين على ساتوني ملك لولوبي • والمعروف عن هذه المسلة انها كانت من جملة الغنائم التي أخذها العيلاميون الى بلادهم بعد غزوهم البلاد في نهاية حكم الكاشيين •

ومن المؤكد ان نرام ـ سين انجز ما يمكن تسميته بالادارة المركزية للامبراطورية وهذا النوع من الحكم المركزي للبلاد لم يكن موجودا في عهد دويلات المدن السومرية فمن الناحية الاقتصادية تذكر بعض النصوص المسمارية ان اصنافا من السلع الثمينة كانت تتدفق على العاصمة اكد من جميع اجزاء الامبراطورية وان حكام الولايات كانوا يبعثون بجزيتهم الشهرية والسنوية • وطبقت فكرة الحكومة المركزية ايضا من خلال تعميم تقويم موحد لكل البلاد في زمن السلالة الاكدية ، في حين كانت دويلات المدن السومرية تستعمل تقاويم مختلفة •

وكدليل على العظمة والوحدة السياسية للبلاد فقد استخدم لقب جديد في عهد هذه السلالة وهو لقب ملك الجهات الاربع • واذا ما عرفنا ان هذا اللقب كان ينعت به بعض العظماء من الالهة امثال آنو وانليل ادركنا ان ملوك السلالة الاكدية اعتبروا انفسهم ممثلين للالهة في حكم البلاد واخيرا فقد حلت اللغة الاكدية محل اللغة السومرية فاصبحت لغة البلاد الرسمية في كافة الشؤون والمجـالات •

من كتابات الملك سرجون الاكدي :

[هذا النص والذي يليه كانا بين نصوص عديدة وجدت مدونة على رقيم طيني كبير يتكون من اربعة عشر عمودا جمع فيه الناسخ الاكدي نصوصا متفرقة مما كان مدونا على التماثيل والاشـياء النذرية الاخـرى التي كانت موجودة في معبد الاله انليل في نفر • ويتضمن هذا الرقيم نماذج من كتابات لوكال زاكيزي ملك الوركاء (الذي قضى عليه سرجون الاكدي) وكتابات ملوك السلالة الاكدية : سرجون وريموش ومانشتوسو] : —

١ — سرجون ملك اكد ، ناظر الالهة عشتار ، ملك كيش ، كاهن الاله آنو ملك السماء ، الحاكم العظيم للاله انليل ، دحر مدينة الوركاء وهـدم سورها • لقد كان هو المنتصر في الحرب مع سكان الوركاء ، اذ اسر لوكال زاكيزي ، ملك الوركاء ، أثناء المعركة وجاء به والطوق (في عنقه) الى بوابة الاله انليل •

سرجون ملك اكد كان المنتصر في الحرب مع سكان اور • اذ دحر مدينتهم وهدم سورها • ثم دحر مدينة اي — ننمار وهدم سورها • وبالمثل فانه دحر الاراضي الممتدة من لكش حتى البحر • وعندئذ غسل سلاحه في البحر • لقد كان المنتصر في الحرب مع سكان اوما ، اذ دحر مدينتهم وهدم سورها •

ولم يمكن الاله انليل ايا كان من الوقوف بوجه سرجون ملك البلاد . لقد اعطاه الاله انليل المنطقة من البحر العلوي الى البحر السفلي .
وصار الاكديون يمسكون بزمام الحكم من البحر السفلي فصاعداً .
وصارت ماري وعيلام تقف بخشوع امام سرجون ملك البلاد . لقد اعاد سرجون ملك البلاد بناء مدينة كيش وامر سكانها بحيازة مدينتهم ثانيـة .

عسى الاله شمش ان يحطم قوة كل من يخرب هذا النص وان يقضي على ذريته .

كان هذا النص على قاعدة (التمثال) سرجون ملك البلاد .

كان سرجون ملك كيش هو المنتصر في ٣٤ حملة عسكرية وجرد كل المدن من وسائل دفاعها حتى ساحل البحر . وفي مرفأ مدينة اكد جعل السفن ترسو من ميلوخا ومكان ودلمون . الملك سرجون سجد مصليا امام الاله دكان في توتل فاعطاه المنطقة العليا : ماري ويارموتي وابلا حتى غابات الارز وجبال الفضة . ولم يمكن الاله انليل ايا كان من الوقوف بوجه سرجون ، الملك الذي كان يأكل في بلاطه ٥٤٠٠ جندي في اليوم .

عسى الاله آنو يحطم اسم كل من يخرب هذه الكتابة وان يقضي الاله انليل على ذريته ..

كان هذا نص على تمثال كانت قاعدته غير مكتوبة .

٣ ـ سرجون ... ماذا كتب عنه احد المؤرخين البابليين المتاخرين ؟

(نقتبس في ادناه فقرات مما كتب احد المؤرخين في العصر البابلـي الحديث عن الملك سرجون الاكدي الذي تفصله عنه حقبة زمنية طويلة تقرب من الف وسبعمائة وسبعين عاما) :ـ

جاء سرجون الى الحكم في « عصر عشتار » ولم يكن له ند ولا منافس لقد نشر سناه المهيب فوق كل البلدان • فهو الذي عبر البحر الى الشرق ودحر البلدان في الغرب الى ابعد مدى في السنة الحادية عشرة من حكمه • فأقام هناك حكومة مركزية ونصب مسلته في الغرب • وجاء بغنائم (من بلدان الغرب والشرق) محمولة على الاكلاك • وجعل موظفي بلاطه (ينتشرون من حول قصره) مسافة خمسة اميال مضاعفة ثم سيطر على كافة البلدان دونما استثناء •

ثم سار ضد كزالا فاحال كزالا الى اكوام من انقاض حتى انه جاء على كل وكر لطائر فيها •

وبعد ذلك وفي ايام شيخوخته تارث كل البلدان ضده فحاصروه في مدينة اكد • ولكن سرجون قام بهجوم مضاد فدحرهم واطاح بهم وحطم جيشهم الكبير • وفيما بعد تارث بلاد سوبارتو بحشودها الغفيرة ولكنها سرعان ما انحنت امام قوته العسكرية •••

مراجـع وملاحظـات

(١) D.O. Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babylonien (1957), PP. 1 ff.

(٢) وهؤلاء حسب تسلسلهم في الحكم :

٢ ــ پالا كيناتم	(Pala- Kinatim)
٦ ــ پو ــآنم	(Buanum)
٧ ــ كالبوم	(Kalibum)
٨ ــ قلومم	(Qalumum)
٩ ــ زقاقب	(Zuqaqip)
١٠ــ أتاب	(Atab)
١ــ مشــدا	(Mashda)
١٢ــ ارويئم	(Arwi'um)
١٤ــ باليخ	(Balikh)
١٩ــ تزكار	(Tizkar)
٢٠ــ الكــوء	(Ilku')
٢١ــ ايلتا ــ سادم	(Ilta-Sadum)

اما بخصوص قائمة الملوك السومرية فانظر :

Jacobsen, The Sumierian King List (=Assyriological Studies No. 11) Chicago, 1939.

(٣) لا شك في « ميسلم » ملك كيش كان من القوة بمكـان بحيث انه استطاع فرض تسوية على مدينتي لكش واوما كل نزاعمها حول الاراضي الزراعية وخاصة المنطقــة المعروفـــة گو ــ ادينـا Gù-edinna

ومعروف أيضا ان كلا من ايناتم أمير لكش ولوكال زاكيزي ملك الوركاء ادعيا بحصولهما على « ملوكية البلاد » دلالة على تحقيق السيطرة الكاملة على بلاد سومر الا ان ذلك لم يدم الا لفترة قصيرة من الزمن . حول مزيد من التفاصيل عن الكتابات المسمارية بهذا الخصوص انظر :

Edzard, Op. Cit., P. 2.

(٤) حول هذه النقطة بالذات انظر :

Gadd, The Cambridge Ancient History (Third edition, Vol 1, Part 2, 1971) p. 422.

(٥) من الامثلة على ذلك نذكر ما فعلته قبائل مارتو (الاموريون) عندما قطعوا ، بسبب ضغطهم المتواصل على المدن السومرية ، المؤن الغذائية عن العاصمة اور في نهاية حكم الملك ابي ــ سين وكانوا عاملا اساسيا في اسقاط سلالة اور الثالثة . وبالمثل فقد فرضت القبائل الارامية الحصار على الاشوريين في العصر الاشوري الوسيط وكادوا يقضون على كيانهم خلال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد .

(٦) كان هذا الموضوع محور نقاش بيننا وبين عدد من السادة الزملاء الاساتذة بقسم الاثار (كلية الاداب) في مناسبات عديدة خلصنا من خلالها الى خطأ هذه التسمية (الساميين) والى ضرورة ايجاد بديل يحل محلها . وقد سبقنا الاستاذ طه باقر فثبت اعتراضه على مصطلح (الساميين) في كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ ص ٦٥) عندما قال ما نصه : « ولو اننا اسمينا هذه اللغات بلغات الجزيرة ، او اللغات العربية والاقوام السامية بالاقوام العربية او اقوام الجزيرة لكان ذلك اقرب الى لصواب ، ولكن اختصاص اولئك الاقوام السامية كل منهم باسم خاص مثل الاكديين والبابليين والعرب والعبرانيين وغيرهم يجعل اطلاق تسمية عرب على كل منهم لا يعبر عن المدلول التاريخي الدقيق » .

وكان بودنا ان يقدم الزميل الدكتور لطفي عبدالوهاب رئيس قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية هو الاخر بديلا عن مصطلح الساميين من خلال مناقشته لفرضية شلويتسر صاحب هذه التسمية ولكنه استعمل المصطلح نفسه على علاته على الرغم من انه افرد له ولمدلولاته التاريخية بابا كاملا من ص ٤٠ ــ ٨٧ في كتابه الاخير والموسوم العرب في العصور القديمة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٧) حول مزيد من التفاصيل انظر : الدكتور لطفي عبدالوهاب ، المرجع نفسه ص ٧٤ ــ ٧٧ .

(٨) Gadd, Op. Cit., p. 419.

(٩) حول هذا النص انظر :

Pritchard (editor), Ancient Near Eastern Texts (1955), P. 119.

اما بخصوص ترجمة النص الى العربية ، فانظر بحثنا الموسوم « بين الواح سومر وسفر التكوين » ، مجلة كلية الاداب ، العدد الثالث والعشرون (اصدار خاص) ١٩٧٨ ، ص ٢٢ — ٢٤ .

(١٠) مصطلح شائع الاستعمال في النصوص المسمارية ويقصد به « الناس ، الشعب » بصورة عامة .

(١١) البحرين .

(١٢) آثارها تعرف الان ب « تلول العقر » قرب بدرة على الحدود الشرقية لبلاد وادي الرافدين .

(١٣) ربما تدل على بلاد الهند .

(١٤) من المعروف ان المعادن كانت مادة اساسية لصنع السلاح وغيره من الاحتياجات اليومية على اختلاف انواعها . وباستثناء مادة القير والمنتجات الزراعية التي كانت انذاك متوفرة في القطر ، فقد كان لزاما البحث عن مصادر للثروة المعدنية . فالنحاس كان يستورد اول الامر من بلاد القوفاس (ربما من اقليم اذربيجان في ارمينا) قبل ان تكتشف له مصادر اخرى في انضوليا (اسيا الصغرى) وفي مكان (عمان حاليا) . اما القصدير فكان يستورد من ايران او ربما من افغانستان في العصور القديمة قبل ان يحصل عليه الفينيقيون من اسبانيا في الالف قبل الميلاد . وكانت الفضة تستورد من جبال طوروس والذهب من مصر والهند . كما اشتهرت مكان (اي عمان) باحجار الديوريت السوداء التي كان يصنع منها التماثيل والمسلات . اما الخشب فكان الحصول عليه من جبال زاكروس ومن جبال الارز في لبنان بالاضافة الى شمال القطر .

حزب البعث العربي الاشتراكي
دراسة موجزة في المؤتمر القومي الاول والفترة التي تلته حتى عام ١٩٥٤

الدكتــور
صباح محمود محمد
كليــة الاداب ـ جامعة بغــداد

مقدمـــة :

يمثل انعقاد المؤتمر القومي الاول ـ التأسيسي ـ لحزب البعث العربي الاشتراكي انجازا وتحولا في حياة العرب وتاريخهم « واذا كان الحزب أبن ذلك المؤتمر ، فان ولادته الحقيقية كانت قبل ذلك » كما يقول الرفيق شبلي العيسمي • ان البدايات الحقيقية لولادة الحزب ترجع الى مطلع الاربعينيات ، متبلورة في مواقف الحزب النضالية واطروحاته الفكرية عبر بياناته وكتابات الرفاق الاوائل •

ان نشوء الحزب وظهوره كان ردا على ما كان يحفل به المجتمع العربي من تصـورات ونزعات وتيارات فكرية ، سـواء ما تبلور منها في نظريات وايديولوجيات او ما كان يكتفي بالشعارات الستراتيجية تعبيرا عن منطلقاته الفكرية • وقد تمثلت تلك التيارات والنزعات في :

١ ـ تيارات لا قوميـــة ، لا تعرف من القوميـة سوى التعصب والاستعمار ، وذات موقف سلبي من كل القضايا القومية ، اضافة الى كونها تعتمد الصيغ التقليدية الجاهزة في تحليلها لطبيعة الصراع القومي في المجتمع العربي ، متجاهلة الصراع القومي وارتباطه الوثيق والجدلي بالقضـــية الاجتماعية فيه •

كما ويندرج ضمن هذه التيارات اللاقومية النزعة الدينية التي تطمس الجوهر الحقيقي للاسلام ، وتكتفي بالنظرة الشكلية والسطحية التي تبعد المجتمع العربي عن التفاعل والتقدم •

٢ ـ تيارات أقليمية قطرية ، كانت تدعـــو الى الهلال الخصيب او سوريا الكبرى ، او تدعو الى الفينيقية والفرعونية وغير ذلك من الدعوات التي تجـزء الامة العربية الى مجموعة من الامم والوطن العربي الى مجموعة من الاوطان والاقاليـم •

٣ ـ تيارات قومية لا اثـر للتفكير الاجتماعي (الصراع الطبقـي) فيها او لربط القضية الاجتماعية بالصراع القومي في المجتمع العربي •

ان جميع التيارات والنـــزعات الفكرية تلك وغيرها كانت عاجزة عن تحليل واقع المجتمع العربي بشكل علمي وسليم ، وكانت في الاغلب ذات نظرة احادية ناقصـة •

ومن هنا جاءت اطروحات الحزب لتمثل نظرة جديدة وأصيلة الى واقع المجتمع العربي ومستقبله •

في عام ١٩٤١ أصدر الحزب بيانا باسم « الاحيـاء العربي » بمناسبة الاضراب ضد الاحتلال الفرنسي • كما شكل الحزب « حركة نصرة العراق » أثناء ثورة مايس ١٩٤١ • كما بدأ في هذا العـــام تسجيل اسماء المرتبطين بالحزب وتكوين الحلقات التنظيمية وجمع الاشتراكات •

وفي عام ١٩٤٢ تفرغ الاستاذ عفلق والبيطار للعمل الحزبي وهو أول تفرغ في تاريـخ الحزب •

وفي عام ١٩٤٣ استقرت تسمية الحزب باسم « البعث العربي » كمـا ظهر شعار الحزب « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » • وفي هذا العام أيضا تم ترشيح الاستاذ ميشيل عفلق لخوض الانتخابات النيابية في سوريا• كما تقدم الحزب بطلب لاصدار صحيفة باسم البعث العربي •

وقد صدرت أول نشرة للحزب عام ١٩٤٥ موقعة باسم « مكتب البعث العربي » والذي افتتح مقره في حي القنوات بدمشق •

وفي تموز ١٩٤٥ قدم الحزب طلبا الى وزارة الداخلية لمنحه الترخيص بالعمل العلني الرسمي ، وكان الطلب موقعا باسم « الهيئة المركزية التنفيذية » •

وفي تموز ١٩٤٦ صدرت جريدة البعث ، وهي اول صحيفة للحزب وتنطق باسمه وتعبر عن أفكاره وشعاراته واهدافه • وكان الاستاذ ميشيل عفلق مديرها السياسي •

يوميات المؤتمر القومي الاول

٤-٦ نيسان ١٩٤٧

ا ـ يوم الجمعة ٤ نيسان

١ ـ في الساعة العاشرة صباحا من يوم الجمعة الرابع من نيسان ١٩٤٧ ، تم افتتاح الجلسة الاولى للمؤتمر القومي الاول لحزب البعث العربي ، في مقهى الرشيد الصيفي شارع ٢٩ ايار بدمشق وتردد في ارجاء البهو شعار « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » • وقد حضر مندوبون عن سوريا والاردن ولبنان والعراق •

وقد تم في هذه الجلسة انتخاب رئيس للمؤتمر وثلاثة امناء للسر • وتقدم الاستاذ ميشيل عفلق وألقى خطاب الافتتاح ، تحدث فيه عن صمود الحزب ومحاولات الطبقة الحاكمة للقضاء عليه وعرقلة نموه • وأكد على ان البعثيين تميزوا « بقدر كبير من سلامة الطبع ونفاذ النظر وحرارة الايمان بأمتهم وصدق الغيرة على مصلحتها » • كما حدد الدوافع الاساسية لانبثاق حركة البعث وهي ، حاجة الامة العربية الى الانقلاب ، وبان الوقت قد حان للشروع في تحقيقه ، والايمان العميق بان الجيل الجديد هو الاداة المهيأة لهذا التحقيق •

وبعد انتهاء الاستاذ ميشيل عفلق من القاء خطاب الافتتاح ، القى الاستاذ البيطار ، البيان السياسي ، الذي حلل فيه الموقف السياسي على الساحة العربية ، وبين موقف الحزب من الجامعة العربية • ثم تمت مناقشة البيان وأحيل الى اللجنة التنفيذية لوضعه بصيغته النهائية • وبعد ذلك أختتمت الجلسة الصباحية •

٢ ـ اما الجلسة الثانية فقد افتتحت في الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة ، فتحدث في بدايتها الاستاذ ميشيل عفلق عن المراحل التي مر بها وضع دستور الحزب والذي كلفت لجنة خاصة باعداده والاسس الفلسفية القومية التي قام عليها • وقد قام أمين السر بقراءة مشروع الدستور وتمت مناقشته مادة مادة •

ب ـ يوم السبت ٥ نيسان

١ ـ افتتحت الجلسة الثالثة من المؤتمر في الساعة العاشرة صباحا ، وتم فيها بحث النظام الداخلي للحزب واقرت بعض مواده •

٢ ـ افتتحت الجلسة الرابعة من المؤتمر في الساعة الخامسة مساء وأقر فيها المؤتمر سياسة الحزب الاجتماعية والمبادىء المتعلقة بالتربية والتعليم •

ج ـ يوم الاحد ٦ نيسان

١ـ بدأت الجلسة الخامسة من المؤتمر في الساعة التاسعة صباحا ، وناقش المؤتمر بقية مواد النظام الداخلي •

٢ ـ وفي الساعة الخامسة بدأت الجلسة السادسة من المؤتمر ، حيث نوقشت الناحية الاقتصادية في الدستور • كما تم انتخاب الهيئة التنفيذية للحزب أي القيادة القومية كما انتخب الاستاذ ميشيل عفلق عميدا لحزب البعث ، حيث القى كلمة بليغة مؤثرة وهو يشهد ولادة جديدة للامة العربية والطليعة العربية الثورية • وفي ختام المؤتمر ردد الجميع شعار الحزب •

دستور الحزب :

أقر المؤتمر القومي الاول دستور الحزب ، والذي تضمن مبادىء أساسية تتمثل بما يلي :

١ ـ المبـــدأ الاول :

وحدة الامة العربية وحريتها ، أكد فيه على ان العرب أمة واحدة ، وان الوطن العربي وحـــدة سياسية اقتصادية وان الامة العربية وحدة روحيـــة ثقافية • وان الوطن العربي للعرب وحدهم •

٢ ـ المبـــدأ الثاني

شخصية الامة العربية ، أكد فيه على ان الامة العربية تتميز بصـــفات خاصة ، تظهر في نهضتها وحيويتها ، كما أكد على حرية الفرد وقيمته •

٣ ـ المبـدأ الثالث :

رسالة الامة العربية ، أكد فيه على ان الامة العربية ذات رسالة خالدة تظهر باشكال متجددة متكاملة في مراحـــــل التاريخ كما أكد على مكافحة الاستعمار ومساعدة الشعوب المناضلة والتآخي الانساني •

أما المبادىء العامة فقد تناولتها (١٣) مادة ، أكد فيها الدستور على عروبة الحزب وتنظيمه القومي ، وان الحزب اشتراكي وشعبي وانقلابي ، كما حدد فيها الرقعة الجغرافية للوطن العربي ولغة الدولة الرسمية ، ورايـــة الدولة العربية ، ومن هو العربي • كما أشار في المادة الثانية عشر الـــى ان الحزب يناضل في سبيل رفع مستوى المرأة ، وأكد في المادة الاخيرة على تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم والحياة الاقتصادية •

كما تناول الدستور في ثمان مواد ، سياسة الحزب الداخلية ، واكد فيها على الرابطة القومية باعتبارها الرابطة الوحيدة القائمة في الدولة العربية واكد على مســـاواة المواطنين امام القانون ، واستقلالية السلطة القضـــائية وحصانتها ، وأكد على شرف الخدمة العسكرية الاجبارية •

اما سياسة الحزب الخارجية ، فقد أكد الدستور في اربع مواد على ان المصلحة القومية العربية العليا هي الموجه الاساس للسياسة الخارجية ، كما أكد على مناهضة الاستعمار والغاء كل ما يخل بســـيادة العرب من معاهدات واحلاف واتفاقات •

واكد الحزب في سياسته الاقتصادية على النظام الاشتراكي وملكية الامة للثروة الاقتصادية ، كما أعطى الاهمية الكبرى للقطاع العام ، وان تحدد الملكية الزراعية والصناعية ، واشراك العمال في ادارة المعامل ، كما أكد الدستور على أشراف الدولة المباشر على التجارة الداخلية والخارجية ، وعلى وضع تخطيط اقتصادي شامل .

وتناول الدستور في ستة مواد ، سياسة الحزب الاجتماعية وتطرق فيها الى الاسرة والنسل والزواج وصحة المجتمع . وأكد على الزامية العمل وان تضمنه الدولة لكل مواطن ، وان تحدد ساعات العمل ، وايجاد الضمان الاجتماعي للعمال ، وتأليف النقابات ومحاكم العمل . واكد الحزب على ايجاد ثقافة قومية تقدمية انسانية ، وعلى حرية القول والنشر والصحافة في حدود المصلحة القومية ، وحمايتها ، وتشجيع تأسيس النوادي والجمعيات المختلفة . واكد الحزب على الطبقات الكادحة المسحوقة وانه يناضل من أجلها .

اما سياسة الحزب التربوية والتعليمية ، فقد وضع مبادئها في خمس مواد ، واكدت على الطابع القومي لتلك السياسة ، والغاء مؤسسات التعليم الاجنبية والاهلية ، وان التعليم مجاني بكافة مراحله ، وان تؤسس مدارس مهنية متطورة .

وقد أشار الدستور في مادة منفردة الى كيفية تعديل المبادىء الاساسية والعامة للدستور .

هكذا ولد البعث فكرة مناضلة و « الفكر ـــ كما يقول ميشيل عفلق ـــ ، في حد ذاته قوة تاريخية وقوة ثورية لا تقدر ، فبمجرد وضع القضية العربية في صيغة شاملة كان أول مساهمة في تركيز الحركة الثورية العربية على أسس صلبة » .

ثانيا : الفترة بين المؤتمر القومي الاول ١٩٤٧ والمؤتمر القومي الثاني ١٩٥٤

ان الفترة بين انعقاد المؤتمر القومي الاول في نيسان ١٩٤٧ والمؤتمر الثاني حزيران ١٩٥٤ ، تعتبر من الفترات الحاسمة في تاريخ الحزب ، حيث بدأت تظهر تنظيمات له في بعض الاقطار العربية ، تمارس نشاطها وتلعب دورها في النضال اليومي وفي تعبئة الجماهير العربية ومحاربة الانظمة العميلة .

وفي هذه الفترة ايضا قسمت فلسطين وظهر الكيان الصهيوني وشرد شعبنا العربي من فلسطين . ومن ذلك الوقت أخذ الحزب « ينظر الى هذه القضية على انها القضية المركزية وراح يوليها المكان الاول من اهتمامه ونشاطه ... وشدد على ضرورة التعبئة الجدية واعتماد الجهاد والكفاح المسلح » .

ولغرض عرض تاريخ الحزب ونضاله خلال هذه الفترة ، فقد قسمنا الموضوع الى الجوانب التالية :

أ ـ الناحية التنظيمية :

١ ـ في سوريا : اجتمع مجلس الحزب الممثل لجميع فروعه خلال يومي ١٩ و ٢٠ أيلول ١٩٤٧ واقر بيانا تطرق فيه الى مبادىء حزب البعث باعتباره حزبا قوميا عربيا انقلابيا اشتراكيا شعبيا . وتحدث البيان عن مشاكل سوريا المتمثلة بأزمة الحكم وتزوير الانتخابات ، ومسألة الدستور وتعديله ، وقضية جبل الدروز ، والسياسة الاقتصادية للحكومة . كما تطرق الى المشاكل العربية والمشاريع المطروحة ،كمشروع سوريا الكبرى ومشكلة لواء الاسكندرية وعروبة لبنان وقضية فلسطين.

وفي ١٥ نيسان ١٩٤٩ انعقد مجلس الحزب مرة أخرى في مكتبه في دمشق ، وحضر هذه الدورة أعضاء المجلس من الفروع في سوريا وشرق الاردن وتعذر مجيء ممثلي الحزب في العراق وكان العميد الاستاذ ميشيل عفلق رئيسا للمجلس • وتم انتخاب أمناء السر وتليت تقارير الفروع كما ناقش الاعضاء دراسة المشروع الذي قدمته اللجنة التنفيذية عن النظام الداخلي فأقر المجلس تأليف لجنة لدراسة المشروع • وقد القى الاستاذ ميشيل عفلق تقريرا مفصلا عن أعمال الحزب خلال السنتين الماضيتين في الجلسة الثانية صباح السبت ١٦ نيسان ١٩٤٩ تناول فيه ما يلي :

أ ــ البعث والانتخابات

ب ــ مؤتمر مجلس الحزب في حمص تشرين الثاني ١٩٤٧ والامور التي اقرها •

جـ ــ البعث والدستور وتعديله

د ــ ذهاب اللجنة التنفيذية مع فرقة البعث العربي الى فلسطين •

هـ ــ نضال الحزب من أجل فلسطين واعتقال العميد

و ــ قيادة الحزب لمظاهرات تشرين الثاني ١٩٤٨ بمناسبة اقتطاع الاسكندرونة

ز ــ نضال الحزب ضد اتفاقيتي النقد والتابلاين وغير ذلك من القضايا •

وقد ناقش الاعضاء تقرير اللجنة وقدمت بعض المقترحات كما وجهت بعض الانتقادات ، وقام عميد الحزب بالرد على الاسئلة والملاحظات •

وفي نهاية الجلسة جرى نقاش حول اشتراك الحزب في الحكم •

وفي الجلسة الثالثة من مساء السبت تمت تلاوة تقرير اللجنة المكلفة بدراسة مشروع النظام الداخلي ومناقشته ، كما جرى انتخاب الاستاذ ميشيل عفلق عميدا للحزب بالاجماع ، كما انتخب اعضاء اللجنة التنفيذية •

اما الجلسة الرابعة التي افتتحت صباح الاحد ١٧ نيسان ١٩٤٩ فقد قرأ العميد تقريرا عاما باسم اللجنة التنفيذية عن أعمالها التنظيمية • واهم ما ورد فيه انشاء اربعة مكاتب في المركز وهي المكتب الاداري ومكتب الدعاية والمكتب المالي والمكتب الاجتماعي والرياضي ، وادخال العنصر النسوي في الحزب وايجاد نواة لفرع كبير في العراق • ثم تليت تقارير الفروع ونوقشت• وفي الختام وجه العميد كلمة توجيهية أكد فيها على « ان نضال البعث العربي كفيل بان يحقق للشعب العربي في جميع اقطاره حياة اشتراكية تقدمية حرة » • وبعدها ردد الجميع شعار الحزب •

وفي الايام من ٨ـ١٠ كانون الاول ١٩٤٩ عقد مجلس حزب البعث العربي مؤتمره الدوري الذي ناقش فيه شؤون الحزب الداخلية واستمع الى تقرير اعدته اللجنة التنفيذية عن نشاط الحزب وعلاقته بالحركات والاحزاب الاخرى •

كما اجتمع مجلس الحزب في نيسان ١٩٥٠ ، وقد تناولت المناقشات فيه تقرير الاستاذ ميشيل عفلق الذي تطرق فيه الى القضايا التنظيمية الداخلية ونشاط الحزب وازدياد اعضائه ، كما حلل الموقف السياسي في سوريا والوطن العربي وبين رأي الحزب في ذلك • ثم نوقش مشروع النظام الداخلي الذي عدلت بعض مواده واقرت المواد الرئيسة فيه واعطيت الصلاحية لعميد الحزب بتأليف لجنة للبت في بعض المواد المتعلقة بالمكاتب ووضع النظام في صيغته الاخيرة كما نوقش مشروع انشاء مطبعة للحزب ومدرسة ثانوية نموذجية ثم بين الاعضاء آرائهم في جريدة الحزب وما يجب ان تكون عليه • كما جرى انتخاب العميد حسب منطوق النظام الجديد واختتمت الدورة بكلمة القاها الاستاذ ميشيل عفلق عميد الحزب •

وبين ٢٧ـ٢٩ أيلول ١٩٥٠ عقد مجلس الحزب مؤتمره الدوري الذي بحث فيه اوضاع الحزب الداخلية والموقف السياسي في القطر السوري والوطن العربي • كما تمت مناقشة البيان السياسي والبرنامج العملي للحزب في السنة القادمة •وتم تعديل النظام الداخلي وانتخاب قيادة جديدة •

وعاد المجلس الى الانعقاد في الفترة ٢٨ــ٢٩ كانون الاول ١٩٥٠ وبحث القضايا التنظيمية الداخلية ومشاكل القطــــر السوري وموقف الحزب من القضايا العربية والدولية •

وفي يومي ٢٢ــ٢٣ شباط ١٩٥١ عقدت مكاتب العمل في الحزب مؤتمرا عاما لها في مدينة حمص واتخذت مقررات هامة في تعديل قانون العمل وسن تشريع للعمال الزراعيين وتحقيق الضمان الاجتماعي وحل مشــكلة غــــلاء الخبــز •

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ تم الاندماج بين حزبي البعث العربي •• و « العربي الاشتراكي » مع بقاء دستور حــزب البعث من دون اجراء أي تعديل عليه ومنذ ذلك الوقت اخذ الحزب تسميته « حزب البعــث العربي الاشتراكي » •

وعقدت هيئة قيادة الحزب في سوريا يومي ٥ــ٦ أيار ١٩٥٤ اجتماعا بحث فيه بعض القضايا التنظيمية والموقف السياسي الراهن واتخذت القرارات اللازمــة بشأن ذلك •

٢ ــ في لبنان : ترجع عملية نشر مبادىء الحزب في لبنان الى الطلبة اللبنانيين الذين تخرجوا من جامعة دمشق ، كما ان الحزب توجه الى الطلبة العرب الذين يدرسون في الجامعة الاميركية في بيروت • ظهرت أول الامر خلايا طلابية صغيرة في الجامعة وفي بعض المدارس الثانوية في بيروت ثــم طرابلس وصيدا وصور والبندقية وبعلبك وغيرها من المناطــق اللبنانية • وكانت البيانات تصدر موقعة باسم « الشباب القومي العربي » و « العرب القوميون » او « القوميون العرب الاحرار » أو « الطليعــة العربيــة في لبنان » او باسم هيئات طلابية يقودها الحزب كمؤتمر الطلاب في لبنان او « مجلس الطلبــة » •

لقد بدأ نشاط الحزب يتزايد وأخذت افكاره بالانتشار بين صفوف العمال والفلاحين منذ مهرجان صيدا الذي أقيم في ٦ــ٥ــ١٩٥٢ لتكريم شهداء ايار • وقد وردت في النشرة الداخلية رقم (٢) المؤرخة في اواخر ايار ١٩٥٢ عبارة « القيادة الفرعية في لبنان » • وقد تم بناء على دعوة من هذه القيادة عقد مؤتمر لممثلين عن الهيئات الادارية لفرق الحزب في مختلف مناطق لبنان ، وكان غرض المؤتمر دراسة نشاط الحزب وسياسته العامة ووضع الخطوط الكبرى لعمله في المستقبل • وفي النشرة الداخلية رقم (٣) المؤرخة في آب سنة ١٩٥٤ ظهرت عبارة « فرع لبنان » وفي ايار ١٩٥٤ وفي نشرة داخلية غير موقمة ظهرت عبارة « القيادة القطرية » •

٣ ــ في الاردن : قام بعض الطلبة الذين درسوا في جامعة دمشق بكسب عدد من الشباب العاملين في صحيفة « اليقضة الاسبوعية » كما استطاعوا التغلغل في صفوف العمال والفلاحين • وعندما دخل الحزب الانتخابات النيابية استطاع بعض مرشحي الحزب النجاح فيها •

٤ ــ في العراق : كان قد تقاطر على الدراسة في العراق مجموعة من شباب الاسكندرونة يحملون معهم بذور البعث وافكاره وكراريس صغيرة الحجم كبيرة الاهداف والمضامين كأحاديث البعث العربي و « السياسة العربية » تلقاها الزملاء والمقربون وبدأت معها تتكون خلايا حزبية صغيرة من الطلبة وصدرت البيانات والنشرات باسم « الشباب العربي » وبدأ الحزب ينتشر بواسطة الطلبة الى مناطق العراق المختلفة • وفي عام ١٩٥٠ شارك الحزب بمندوبين أثنين في المخيم الذي اقيم في بلودان • كما أصدر الحزب بيانا مهد لانتفاضة تشرين ١٩٥٢ الوطنية موقعا باسم «الشباب العربي الجامعي في العراق » وفي عام ١٩٥٣ اصدر الحزب جريدته المركزية السرية « العربي الجديد » وبعد صدور عددين منها أبدل الاسم الى « الاشتراكي » •

ب ـ النضـال اليومـي :

بعد المؤتمر القومي الاول أزداد نشاط الحزب ومساهمته في النضال اليومي مع الجماهير العربية فقد خاض الحزب الانتخابات في حزيران وتموز ١٩٤٧ في القطر السوري وفضح أساليب السلطة في تزوير الانتخابات مما أدى الى زج مناضليه في السجون كما تعرضت صحيفة الحزب للتعطيل ، واصطدم بعصابات السلطة ومأجوريها . وقد انتهزت البرجوازية الحاكمة في سوريا انشغال الجماهير العربية بقضية فلسطين فحاولت تعديل الدستور ، فتصدى لها الحزب وأكد على ان تلك المحاولة خطر على الجمهورية والحرية والاستقلال . كما خاض الحزب معركة ضد السلطة بسبب اتفاقية التابلاين والنقد .

بسبب هذا الوضع المتأزم تحركت القوات المسلحة في ٣٠ آذار بقيادة حسني الزعيم فوقف منه الحزب موقف التأييد المشروط ، كما قدم العديد من المذكرات الى قائد الانقلاب طالبه بتشكيل حكومة موثوقة وتطهير الجهاز الحكومي وتأمين الحريات واجراء الانتخابات ووضع دستور جديد .

لقد أستغل الانقلاب نقمة الشعب على السلطة البرجوازية فانقلب عليها وفرض دكتاتورية عسكرية ظالمة ، فتم تشكيل حكومة لا تمثل الشعب وقعت مع فرنسا اتفاقية النقد ومع الشركة الاميركية اتفاقية التابلاين ، كما قامت باجراءات أخرى لا تخدم الشعب ، فتصدى الحزب لها وعبء الجماهير من أجل أسقاطها فأصدر قائد الانقلاب امرا بملاحقة الحزب وقادته . وفي يوم ١٤ آب ١٩٤٩ حدث انقلاب جديد بقيادة الحناوي فشارك الحزب بشخص العميد ميشيل عفلق في الوزارة حيث تسلم وزارة المعارف الا أن الانقلاب افسح المجال لحزب الشعب مجال السيطرة على الحكم وتوجيهه الى وضع يهدد المكاسب الوطنية والديمقراطية التي حققتها الجماهير في القطر السوري مما أدى الى قيام انقلاب آخر بقيادة الشيشكلي في ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩ . ان الشيشكلي لم يتسلم السلطة مباشرة وانما بدأ يمارس

ضغطه على الحكم بحجة الحيلـــولة دون تحقيق مشـــاريع الفئة الحاكمة لمناقضته لقضية الشعب • ثم ما كاد يتسلم السلطة الفعلية حتى بدأ يطعـــن ما حققه نضال البعث وجماهير الشعب من انجازات ومكتسبات كتأميـــم الريجي والحريات العامة وقوانين العمل • وقد أصدر الحزب بيانات عديدة وضح فيها شعاراته وأهدافه ووقف من الشيشكلي موقف المحذر المنذر الموضح • ونتيجة لهذا الموقف ونضـــال الحزب وتحريكه للجماهير أغلقت جريدته وطورد اعضاؤه • ثم تصاعدت معركة الحزب ضد الدكتاتورية وبدأ الحزب يوثق صلاته بالقوى الوطنية في القطر السوري وفي مقدمتها الحزب العربي الاشتراكي ، فاعلن دمجهما في ١٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، وقد اعطى هذا دفعاً جديدا للنضال ضد الدكتاتورية الامر الذي جعل السلطة تشدد الملاحقة ضد الحزب وقادته ، غادر على اثرها بعض قادة الحزب الى لبنان وبسبب الضغط الذي تعرضت له الحكومة اللبنانية من الشيشكلي اجبـــر الرفاق على مغادرة لبنان الى روما ، ولكنهم عادوا فجأة الى سوريا فاعتقلتهم السلطة الدكتاتورية في ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٢ حتى خرجوا من الســـجن بعد سقوطها في ٢٤ شباط ١٩٥٤ • حيث مرحلة عمل الحزب العلنية كما عادت صحيفته الى الصدور وبدأت الجماهير تلتف حول الحزب وترفـــع شعاراته واهدافـــه •

اما في لبنان ، ولما كان الحزب منحصرا بين الطلبة في بداية الامـــر فقد قاد الجماهير الطلابية في مقاومـــــة الاستعمار ومشاريعه كمشروع الدفاع المشترك ، كما وقف الى جانب شعبنا العربي في مصر الذي رفض المقترحات الرباعية ، وفي مهرجان صيدا عبر الحزب عن رفضه للطائفية ووضح الوضع السيء للجماهير في الجنوب • كما أستجاب الحزب لدواعي الالتزام القومي فشارك في نضال شعبنا العربي في سوريا ضد الدكتاتورية العسكرية ونظم حركة احتجاج واسعة ضد اعمال التعسف والارهاب التي تقوم بها • وعندما سقطت دكتاتورية الشيشكلي اقام الحزب في لبنان مهرجانا كبيرا أشتركت فيه وفود من مناطق لبنان المختلفة وتوجهت الجماهير الشعبية الى دمشـــق

حيث اقيم مهرجان ضخم احتفالا بالمناسبة كمـــا وقف الحزب الى جانب الشعب العربي في العراق استنكارا لموقف الفئة الحاكمة في العراق من الاحلاف الاجنبية واحتجاجا على كبت الحريات واطلاق الرصاص على الطلبة • وقاد الحزب الاضراب العام في جميع المعاهد والمدارس في لبنان وطالب باقالـة الوزارة •

وفي العراق كان البعثيون في طليعة جماهير شعبنا العربي في العــراق في النضال والتصدي للحكومات الرجعية العميلة والمشاريع الاستعمارية المطروحة في المنطقة العربية لربط الاقطار العربية بعجلة الامبريالية العالمية • كما وقف الحزب هنا الى جانب شعبنا العربي في سوريا ضد الدكتاتورية العسكرية ومسألة تعديل الدستور • وقد كان البعثيون في مقدمة الجماهير المنتفضة في تشرين ١٩٥٢ • وكان أول بيان سياسي مهد للانتفاضة صـادرا عن الحزب تحت توقيع « الشباب العربي الجامعي في العراق » يستنكر فيه الاعتداء الواقع على طلبة الصيدلة من قبل الشرطة • كما ساند الحـزب أضراب عمال شركة الدخان الاهلية واضراب عمال النفط في البصرة ودعا الى القيام باضراب تأييدا لمطاليبهم ، استجاب له الطلبة في بغداد كما عبـر الحزب عن مسـاندته لاضراب عمال الارامكو البطولـي وشـجب تصرف الفئة الحاكمة وفضح أساليب الاستعمار والشركات الاحتكارية • كما شارك الحزب في الانتخابات النيابيـة عام ١٩٥٤ وأكد انه عن طريـق الانتخابات يستطيع فضح الفئات الحاكمة واظهار متناقضات الواقع الفاسد واثارة الوعي لدى جماهير الشعب كما دعا الشعب الى مزاولة حقه في الانتخابات واحباط أي محاولة لتزويره واسناد المرشحين الوطنيين •

اما في الاردن فقد استطاع البعثيون من خلال مشاركتهم في صـحيفة اليقظة الاسبوعية في توعية الجماهير ، كما استطاع الحزب ان يكسب بعض الوجوه الوطنية الفلسطينية • وقد شارك في الانتخابات النيابية ففاز له سنة

١٩٥٠ نائبان احدهما عن القدس والاخر عن رام الله وكان الحزب في مقدمة الجماهير المطالبة بالتحرر من التبعية الاستعمارية ، والنضال ضد توجه الفئة الحاكمة للصلح مع الكيان الصهيوني •

جـ ـ قضـــية فلســطين :

حذر الحزب ، منذ مطلع الاربعينيات ، من تزايد الهجرة الصهيونية الى فلسطين وقد قدم مكتب البعث العربي كتابا الى المعتمد السياسي الاميركي في سوريا في ١٠ آب ١٩٤٤ يحتج فيه على موقف الدولـــة الاميركية من فلسطين وفتح باب الهجرة الصهيونية اليها • كما احتج الحزب في آذار ١٩٤٥ على تصريح الرئيس روزفلت بشأن فلسطين • ودعا الى اضراب عام في ٣ أيار ١٩٤٦ ضد اللجنة الاميركيـــة الانكليزية التي اقترحت ارسال مائـــة الف صهيوني الى فلسطين وقد كتب الاستاذ ميشيل عفلق في « البعث » في ٦ آب ١٩٤٦ بان « فلسطين لا تنقذها الحكومات بل العمل الشعبي » وفي تشرين الثاني ١٩٤٧ قرر مجلس الحزب الذي انعقد في حمص ان يتطوع اعضـــاء الحزب للقتال في فلسطين • ووجه نداء للجماهير يحثها على التطوع في كتائب الانقاذ • كما شارك الحزب مع شخصيات وطنية بتشكيل « جمعية تحرير فلسطين » للاشراف على تنظيم المتطوعين • وفي مطلع عام ١٩٤٨ انشأ الحزب « مكتب فلسطين الدائم » في الحزب والذي أصدر بيانا في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٨ ، حذر فيه من ان الخطر يهدد فلسطين من كل جانب ، وكـــان مجلس الحزب الذي عقد في ١٥ـــ١٦ كانون الثاني ١٩٤٨ قد اتخذ قرارا بتجنيـــد جميع اعضائه للاشتراك في تحرير فلسطين كما قرر أرسال اول كتيبة الى الجبهة بقيادة لجنة الحزب التنفيذية • وقد استشهد في فلسطين الكثير من الرفاق البعثيين امثال مأمون البيطار وسليمان الكريدي وغيرهم •

لقد ظل الحزب يؤكد على مسؤولية الحكومات الرجعية في إضـــاعة فلسطين بسبب تواطئها مع الاستعمار واضطهادها للجماهير العربية ، وشل دورها في معركة التحرير • وقد ركز الحزب خلال عامي ٤٩ـــ٥٠ على تحليل

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

واذا كانت الحضارة العربية الاسلامية تدين بالفضل الى الحضارات التي سبقتها ، فأن حضارة اوربا الحالية تدين بالفضل الى العرب الذين حملوا اليها آيات الفن والآداب واغنوها بتراث علمي مزدهر . وغدا كل جانب من جوانب الحضارة العربية الاسلامية يمد اوربا بفيض من العلوم والآداب والفلسفة والفن ، ولا يستطيع اي باحث ان ينكر تأثير مؤلفات الفلاسفة المسلمين على فلاسفة الغرب ، امثال الرازي وابن سينا وابن رشد والغزالي[٢] ، ومدى اهتمام العلماء الغربيين بنظريات العلماء العرب في الفلك والكيمياء والرياضيات والهندسة والطب[٣] ، وعنى الادباء الاوربيون بتأليف الادباء العرب ودواوينهم ، ولا ريب ان الآراء والنظريات التي جاء بها العلماء العرب كانت موضع تقدير الباحثين الغربيين ومن ثم تغلغلت افكارهم وآراؤهم في الاكاديميات العلمية المختلفة ، مما حدا بالكثير من اولئك الباحثين التخصص في علوم اللغة العربية وآدابها لينقلوا الى شعوبهم نتاج الحضارة الخربية العربية الاسلامية[٤] .

وسوف نتناول في هذا البحث تأثير بعض المظاهر الاثرية العربية الاسلامية في العمارة الاوربية دون التوسع الى دراسة تأثير جميع العناصر المعمارية العربية والاسلامية الاخرى ، ودون الاشارة كذلك الى تأثير مجالات الفنون العربية الاسلامية مثل الزخارف الهندسية والكتابية والحيوانية ، والتصوير على الورق وعلى الجص ، وغيرها في مختلف ميادين الفن العربي الاسلامي حيث سنفرد لذلك بحثا مستقلا .

يتفق الباحثون والمؤرخون على أن الاوربيين بدؤا اتصالهم بالعرب عن ثلاثة طرق هي : الحروب الصليبية ، وجزيرة صقلية ، والاندلس .

---

(٢) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث ، صفحة ١٠ .

(٣) بريجز ، تراث الاسلام ، صفحة ١٥٩ ، الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، صفحة ١٠٦

(٤) الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، صفحة ١٠٦ .

ولئن كانت الحروب الصليبية قد فشلت في مهمتها ، واستطاع العرب المسلمون ان يوقفوا زحفها ، فأنها أفادت الغرب فائدة كبيرة ، كان من اهم نتائجها ، انتقال مظاهر من العمارة العربية الاسلامية الى اقاليم اوربية على ايدي المحاربين من الضباط والجنود واصحاب الحرف والصناعات الذين كانوا ضمن تلك الحملات الصليبية التي كانت تأتي الواحدة منها تلو الاخرى ويعود منها من بقي على قيد الحياة الى موطنه ليزاول فيه مهنته وحرفته متأثرا بما رآه وانطبع في ذهنه من تقاليد فنية عربية ، وقد ظهر اثر ذلك جليا في فنون العصور الوسطى في اوربا[٥] .

وبالاضافة الى الطرق الثلاثة التي انتقلت عن طريقها الحضارة العربية الاسلامية ، هناك طريق آخر ادى الى عبور هذه التأثيرات الى اوربا ، هو الطريق التجاري البحري ، فقد كانت مرافىء البندقية وجنوا ومرسيليا تتعامل مع التجار العرب ، فلقد كان في مرسيليا فنادق مخصصة للعرب ، وفيها اسواق يتصدرها التجار القادمون من الشرق العربي ، وكان الفرنسيون يتوددون الى هؤلاء التجار ويفضلونهم على غيرهم من الوافدين[٦] .

ويبدو ان الصليبيين قد اهتموا كثيرا بمظاهر العمارة العسكرية العربية الاسلامية التي شاهدوها في الحصون والقلاع والمدن ، فنقلوا بعض الافكار المعمارية من قلاع سوريا ومصر الى حصونهم وقلاعهم ومدنهم ، ومنها استخدام السقاطات ، وتدعى ايضا باسم المشربيات ، والمشربيات في العمارة عبارة عن دعائم يتقارب بعضها من بعض وتحمل فوقها حواجز بارزة وبين كل دعامتين فتحة مقفولة بباب مستور يمكن ان تصوب السهام فيه الى رؤوس المحاصرين الذين يحاولون ان يحفروا تحت الجدران ويضعوا تحتها اللغم كي يمكن ايضا ان يصب على رؤوسهم الزيت والماء المغلي او غير

---

(٥) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٢٧٠ .

(٦) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث ، صفحة ٣٦ ،

ذلك من الاشياء المؤذية ، وقد حلت هذه المشربية في العمارة محل الابنيـة الخشبية[٧] . ويبدو انها اصبحت واسعة الانتشار في الغرب منذ نهاية القرن السادس عشر كما اشار بريس دافزن[٨] . وقد قلدها الانكليز في القضبان والسياجات المعدنية .

وقد درس البروفسور كريزويل الاصل المعماري لعشرة أمثلة مـن المشربيات الموجودة في سوريا[٩] ، واشار الى ان من بين هذه العشرة ستة امثلة او سبعة لم تكن في الحقيقة الا مرافق حجرية من نوع كان منتشرا حتى العصور الحديثة ، ولا يزال هناك واحد من هذا النـوع علـى الرصيف الخشبي الداخل في البحر بمدينة جوري Gorey من اعمال Jersey اما الامثلة الثلاثة الباقية التي يحتمل ان تكون قد استخدمت لالقاء السهام وغيرها فأقدمها عهدا يرجع تاريخه الى منتصف القرن السادس الميلادي اي قبل قيام الاسلام [١٠] .

(٧) والمشربية انواع مختلفة من الخشب المخروط المشبك انتشر استعمالها في مصر حتى بلغت صناعتها اوج عظمتها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وكانت تصنع منه الشرفات والاحجبة التي تغطي الفتحات والنوافذ حتى يحفظ حرمة اهل البيت من انظار الغرباء ، وتسمح في الوقت نفسه بمرور الهواء والضوء . وقيل ان اصل الكلمة مشتقة من (الشرب) لان الواح هذا الخشب المشبك كانت تثبت في بداية الامر بنوافذ المساكن كي توضع عليها قلل الماء فتبرد وتصبح لذيذة للشرب ، وفي مدينـة القاهرة ودار الاثار العربية انواع شتى من خشب المشربيات (انظر ، تراث الاسلام، بريجز صفحة ١٥٩ ، العمارة العربية في مصر الاسلامية، فريد شافعي ، صفحات ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، شكل ١٩٣) .

(٨) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث صفحة ١٦ .

(٩) Bulletin de L'Institut Francais d'archeologie Orientale Vol. XXIII, Cairo, 1924.

(١٠) تراث الاسلام ، قسم العمارة ، بريجز ، صفحة ١٦٨ .

وبعد التاريخ الذي ذكر فيه البروفسور كريزويل هذه الامثلة ظهر مثال عربي اسلامي لظاهرة المشربيات في قصر الحير على مقربة من الرصافة في سورية يرجع تاريخه الى عام ١١٠ هجرية ـ ٧٢٩ ميلادية وينسب الى الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك[١١]. وهناك احتمال كبير بأن ذلك العنصر كان موجودا ايضا في قصر الاخيضر[١٢] . كما ان هناك مثالان من هذه الظاهرة المعمارية نلاحظها فوق باب النصر الذي يرجع الى عام ١٠٨٧ ميلادية . ومن المؤكد ان هاتين المشربتين المعماريتين كانتا ضربا من الاستحكامات العسكرية المعدة للدفاع عن سور المدينة ، وهما اقدم بنحو مائة سنة من اقدم الذي عرف في اوربا ، ومن امثلة هذه الظاهرة المعمارية في شاتو جايار (ترجع الى سنة ١١٨٤ م) وشاتيون (ترجع الى سنة ١١٨٦ م)[١٣]

وهكذا يظهر ان الصليبيين استعاروا فكرة هذه الظاهرة المعمارية من العرب ، وان العكس لا يمكن ان يكون صحيحا ، ومن المعروف ان المشربيات المعمارية التي تبنى على صف من الدعائم لم تلبث ان اصبحت ظاهرة انيقة جدا في القصور الفرنسية والانكليزية ابان القرن الرابع عشر .

وهناك ظاهرة اخرى تؤدي وظيفة قريبة مما تؤديه السقاطات وهي ـ المزاغل ـ التي توجد في سقف باب او مدخل وتصل الى ارضية السطح العلوي فوق الباب او المدخل ، بحيث يتمكن المدافعون من قذف المهاجمين بالسهام والحراب ورمي القذائف من احجار وزيت مغلي وغيرها فوق رؤوس الاعداء[١٤] .

---

(11) Creswell, Early Muslim Architecture, II, P. 336, Pls. 54 C, 56 a—b

(١٢) المصدر السابق ، صورة رقم ٣٩ .
فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٣ ، شكل ١٣٥ وشكل ١٣٦

(١٣) تراث الاسلام ، قسم العمارة ، بريجز صفحة ١٦٨ .

(١٤) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٥ .

ولم يعثر على امثلة اخرى لهذه الظاهرة لا قبل الاسلام ولا في العصر الاسلامي بعد قصر الاخيضر العباسي الا في ابواب حصن القاهرة التي شيدت في وزارة بدر الجمالي ، اي في باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة ، ويرجع تأريخهم الى ما بين سنتي ٤٨٠ و ٤٨٥ هجرية (١٠٨٧ — ١٠٩٢ ميلادية) (١٥) ووجدت ايضا بعد ذلك في العصر الايوبي والاتابكي(١٦) .

وبذلك يكون قد مضى اكثر من ثلاثة قرون لم يظهر فيها هذا العنصر الدفاعي ، ومما هو جدير بالذكر انه بدأ في الظهور في اوربا في القرن الرابع عشر الميلادي ، ولاشك ان ظهوره فيها كان ايضا بتأثير العمارة العربية الاسلامية التي انتشرت تقاليدها هناك عن طريق الصليبيين(١٧) .

ومن الظواهر المعمارية العسكرية التي اقتبسها الاوربيون لحصونهم من اساليب الدفاع العربية ، فكرة الابواب المصنوعة من القضبان الحديدية القوية المتشابكة والتي تنتهي من اسفلها بسنان حادة كالحراب ، وتنزل بثقلها الكبير رأسيا وتسمى بالافرنجية Portcallis ولا يمكن رفعها الا بواسطة الحبال والبكرات من داخل الحجرات المعدة لذلك فوق الابواب(١٨) . وتظهر قنوات رأسية في ابواب قصر الاخيضر العباسي (١٥٩ — ٧٧٦م) تدل عن ان ابوابا حديدية من ذلك النوع كانت مستعملة فيه(١٩) .

---

(١٥) Creswell, Early Muslim Architecture, 11, pp. 33—35, 46—47, Figs. 15, 21

فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٦ .

(١٦) Creswell, E.M.A., 1. pp. 170, 173, 175, 183, 184, 185, Fig. 83, PLs. 56C, 57 a—c,

فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٥ .

(١٧) Creswell, E.M.A., 11, P. 86. فريد شافي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ١٩٦ .

(١٨) Creswell, E.M.A., 11, pp. 57—61, Figs. 48, 60, 61, 64,

وفريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٤٧ .

(١٩) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٣٧ .

ومن المظاهر الدفاعية المعمارية التي اقتبسها الاوربيون في قلاعهم وحصونهم من العمارة العربية ظاهرة المداخل الملتوية ، التي سماها المؤرخون العرب « الباشورة » ذلك هو جعل المدخل الموصل من باب القلعة الى داخلها على شكل زاوية قائمة او جعله ملتويا لكي لا يتمكن العدو الذي يصل الى الباب من ان يرى الفناء الداخلي او ان يصوب سهامه الى من فيه(٢٠) . والظاهر ان فن العمارة العسكرية عند الرومان والبيزنطيين لم يكن معروفا فيه مثل هذا النوع من المداخل ، بل كانت هناك عدة ابواب دفاعية تشيد على قطر واحد ، ويفصل كل باب عن الآخر فضاء كانوا يسمونه Propugnaculum (٢١) . ويدل اقصى ما هو معروف على ان اول ما استعملت هذه المداخل الملتوية كان في القرن الثامن بمدينة بغداد المدورة(٢٢) . ولم يفلح المستشرقون وعلماء الآثار ، برغم محاولاتهم ، ان يرجعوا اصولها المعمارية الى فن من فنون العمارة القديمة السابقة للاسلام(٢٣) . وتختفي امثلتها بعد بغداد المدورة فترة من الزمن لتظهر بعدها في العصر الاتابكي في الشام ايام الحروب الصليبية ، واستخدمها

---

(٢٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١/٧٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٢ / ٩٥٤ ،

Creswell, E.M.A., 11, pp. 24—26;
Creswell, A.A.E.M.A., pp. 177—178.

(٢١) تراث الاسلام ، قسم العمارة ، بريجز ، صفحة ١٦٨ ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٣ .

(٢٢) Herzfeld, Archaelogische Reise., 11, pp. 106-133; Figs. 180-183; Creswell, E.M.A., 11, p. 11, Figs. 3, 5;

تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٣٩ ، طاهر العميد ، بغداد مدينة المنصور المدورة ، صفحات ٢٢٠ ــ ٢٣٢ ، الاشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٣ .

(٢٣) انظر مؤلف كريزديل وفيه شرح مطول حول الاصول المعمارية لهذه الظاهرة المعمارية .

Creswell, E.M.A., 11, pp. 23—29, Figs. 14—23.

صلاح الدين الايوبي في الباب الجديد[٢٤] ، وهو احد ابواب مدينة القاهرة الفاطمية ايام وزارته للخليفة الفاطمي العاضد بين سنتي ٥٦٤ — ٥٦٧ هـ / ١١٦٩ — ١١٧٢ م ، ثم استعملها في ابواب اسوار مدينة القاهرة ، وفي ابواب قلعة الجبل[٢٥] • التي شيدها سنة ٥٧٢ هـ — ١١٧٦ م[٢٦] •

ولقد ظهرت مثل هذه المداخل الملتوية في فرنسا اكثر من غيرها من الاقطار الاوربية ونرى مثالا لها في Carcassonne[٢٧] اما في انكلترا فكان ظهورها نادرا على الرغم من ان هناك مثالا جيدا لها في Beaumaris[٢٨] •

ومن مظاهر العمارة العربية الاسلامية التي انتقلت الى العمارة الاوربية• المقرنصات[٢٩] ، وتعد من المظاهر المعمارية الفريدة التي لازمت العرب والمسلمين اينما ذهبوا ، واصبحت طابعا يميز عمارتهم على امتداد الرقعة

---

(٢٤) المصدر السابق ، صفحات ٤٢ — ٤٣ ، الاشكال ١٦ و ٢١ ، واللوحات ١٤٦ و ١٦ •

(٢٥) المصدر السابق ، صفحات ١٤ — ١٦ ، و ١٨ — ٢٠ ، و ٣٣ — ٣٥ ، والاشكال ١ ، ٦ ، ٨ واللوحات 5 d—c, 6 a , e, 7

(٢٦) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٢ •

(٢٧) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٦٩ •

(٢٨) المصدر السابق •

(٢٩) وتسمى بالانكليزية Stalactite مشتقة من الكلمة اليونانية Stalzein التي تعني الفعل « ينقط » ، وتطلق على التحجر الذي ينشأ على شكل اعمدة نازلة غير منتظمة في بعض الكهوف بفعل الترشح الذي تنتجه مياه محملة بالاملاح الجيرية ، على ان هذا اللفظ يطلق على الاعمدة التي تصبح معلقة في سقف الكهوف . ويطلق مصطلح المقرنصات في فن العمارة على ضرب من الزخارف التي تحاكي تلك الاعمدة الطبيعية المتحجرة وتتألف من تراكيب حجرية او اجرية صغيرة تتدلى الى الاسفل فيكثر استعمالها في القصور والمدارس وواجهات المساجد •

الجغرافية التي حكموها من الهند الى اسبانيا ، ويعتقد بعض الباحثين ان من المحتمل ان يكون اصل هذه الظاهرة المعمارية الفريدة هو العراق[٣٠] ، ويمكننا ان نعتبر اقدم امثلتها المعروفة ما نراه في مأذنة جامع الجيوشي بالقاهرة ، ثم تظهر بعد ذلك في واجهة جامع الاقمر حيث استخدمت المقرنصات فيها لاغراض زخرفية ، كما توجد ، بالاضافة الى ذلك حنيات محفورة على شكل صدف ، وربما تكون هذه الحنيات هي النوع الذي نقلت عنه الحنيات الصدفية في عمارة عصر النهضة[٣١] .

وتظهر في العمارة البيزنطية شكل لحنية عربية اسلامية ركنية اطلق عليها بعض الباحثين اسم المقرنصة[٣٢] ، وهي على هيئة حنية مجوفة ذات رأس من قبة نصف دائرية ويحملها احيانا عمودان[٣٣] .

والظاهر ان سبب ابتكار هذه المقرنصة عند العرب هو الاقلال من استعمال المثلثات الكروية ، ويرجع اقدم مثل مؤكد التأريخ منها الى عهد الخليفة المعتصم ، اذ تظهر في قصره المعروف بالجوسق الخاقاني ، الذي بناه في عام ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م ، ويلاحظ نموذج لتلك المقرنصة في باب العامة[٣٤] .

ويبدو ان فكرة هذه المقرنصة العربية قد انحدر من فكرة الحنيات الركنية المخروطية ، وهي التي يعود اقدم نموذج منها الى العصر الساساني المبكر ، وتنتشر في منطقة واسعة واقطار عديدة تمتد من اواسط آسيا

---

(٣٠) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٧٠ .

(٣١) المصدر السابق . صفحة ١٧٠ .

(٣٢) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ١٤٤ .

(٣٣) Creswell, E.M.A., 11, Figs. 99, 101, 103;
فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ١٤٤ .

(٣٤) Crswell, E.M.A., 11, pp. 232-234, Figs. 181-182, Pl. 51 a-d;
فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ١٤٢ و ٢٠٠ .

نحو الشرق وتشمل بلاد فارس والعراق[٣٥] ، فأنه من المستبعد جـــدا ان يكون قد ظهر منها الا بعد القرن التاسع الميلادي على الاقل ، فأن هـــذا النموذج لا توجد له اية امثلة في العمارة الساسانية ، ولذلك فأنه من المرجح ان يكون قد ظهر في العمارة البيزنطية بتأثير من العمارة العربية الاسلامية[٣٦] .

من المظاهر المعمارية العربية التي تظهر في عمارة العصور الوســـطى في اوربا انواع العقود المدببة التي ابتكرها الشرق العربي الاسلامي ، كمـــا حدث مثلا في كنيسة سان فرون Front بمدينـــة Perigieux التي شيدت في حوالي ١١٢٠ م[٣٧] . وتقع هذه المدينة في وسط القطـاع الجنوبي من فرنسا ، ولكنها اقرب الى خليج بسكاي منها الى البحر الابيض المتوسط ، ومعذلك فأنه يجلب نظرنا في هذه الكنيسة انتشار اســـتعمال العقود من النوع المدبب ايضا[٣٨] ، مما يؤكد وصول التأثيرات العربيـــة الاسلامية الى بلاد فرنسا من الشرق العربي وليس من الاندلس التي يندر فيها وجود العقد المدبب اذ كان النموع السائد في عمارتها هو العقد نصف الدائري من نوع حدوة الفرس[٣٩] .

وظهرت العقود المدببة كذلك في كنيسة سان مارك بمدينة البندقية التي شيدت بين عامي ١٠٤٢ ــ ١٠٨٥ م[٤٠] .

---

(٣٥) Creswell, E.M.A., 11, pp. 101, 118, Figs. 83, 117;
فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٠٠ .

(٣٦) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٠٠ .

(٣٧) Fletcher, pp. 288 D—G, 290; Springer, 11, pp. 189, 190, 192—3; Figs. 256—7; Woermann Vol. 3, pp. 217—8, **Fig. 171.**

(٣٨) Lethaby, Architecture, P. 164.

(٣٩) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحات ١٣٦ ــ ١٣٧ .

(٤٠) Fletcher, pp. 288 A—C, 289; Hamilton, pp. 4, 8, 147—148, Fig. 44, Pls. IX, X, LXVIII; Woermann, Vol. 3‘ pp. 175, Fig. 139, Pl. 28; Springer, 11, pp. 477—8, Figs. 643—4.

ونشاهد الاقواس التي تشبه حدوة الفرس في جامع دمشـــق تحيط بالصحن(٤١) ، واذا اردنا ان نتتبع الاصل الذي تحدرت منه هذه الاقواس فان بعض النماذج منها وجد محفورا فوق الصخر في آثار ترجع الى ما قبل الاسلام ، ولكن ظهورها في جامع دمشق كان من اقدم الحالات التي ظهرت فيها لتلك الاقواس وظيفة معمارية صحيحة(٤٢) .

وانتقلت الى العمارة الاوربية من العمارة العربية صفوف من النوافذ الصغيرة رؤوسها ذات فصوص ، وقد ظهرت في اول الامر في الجدار الجنوبي في الجامع الكبير بسامراء ، ومن المحتمل ان تكون هذه الظاهرة المعمارية الهامة ، التي وجدت ايضا في قرطبة ، قد نشأت في الهند ابان العصر البوذي ، كما يذهب الى ذلك هافل(٤٣) . واذا لم يكن هذا صحيحا فأن الفضـل في وجود تلك الاقواس على اختلاف انواعها وتطورها في العمارة الاوربية راجع الى المسلمين(٤٤) .

وهناك ظاهرة اخرى ترى في المساجد التي شيدت في العصر الفاطمي ، وهي شرفات على شكل اسنان المنشار ، ربما كان اصلها عراقيا ، ومن المحتمل ان يكـون مهندسـو قصر الـدوق(٤٥) ، وغيره مـن القصـور الاخرى في البندقية(٤٦) ، قد تأثروا بها ، وتظهر في هذا القصر اساليب معمارية عديدة تذكر بأساليب العمارة الاسلامية ولا يبعد ان تكون منقولة عنها(٤٧) .

ومن اهم الظواهر العربية الاسلامية التي اقتبست في طرز العصـور الوسطى في اوربا فكرة ملء الشبابيك والفتحات بالواح زخرفيـة مـن

---

(٤١) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٦١ .

(٤٢) المصدر السابق ، صفحة ١٢٨ .

(٤٣) Havell, Indian Architecture, P. 86.

(٤٤) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٦٤ .

(٤٥) قصر الدوق ــ وهو من القصور القوطية في ايطاليا شيد في اوائل القرن التاسع واعيد بناؤه مرات عديدة .

(٤٦) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحة ١٤٦ .

(٤٧) المصدر السابق . صفحة ١٤٦ .

الزجاج الملون المجمع على بعضه بضلوع من الرصاص ، وهي فكرة مقتبسة من الشمسيات العربية ، اي من الالواح الجص المفرغ فيها وحدات زخرفية ملئت بقطع من الزجاج الملون تفصل بينها وتجمعها ضلوع من الرصاص بدلا من الجص ، واضافوا رسوما والوانا على قطع الزجاج ليخرجوا منها لوحات تصور القصص المسيحية والمناظر المختلفة(٤٨) .

هذا وقد تأثرت العديد من الكنائس والقصور المشيدة في صقلية بالعمارة العربية الاسلامية ، منها كنيسة الكابلابلاتينا التي بنيت في عام ١١٣٢ م بمدينة بالرمو ، وقد بنيت كاتدرائية مونريالي على نسقها في نفس المدينة كذلك(٤٩) . ثم كنيسة المرتورانا وهي في مدينة بالرمو ايضا . ومن القصور ، قصر العزيزة الذي بني في عام ١١٥٤ م ، وقصر لاكوبا (اي قصر القبة) وقد شيد في عام ١١٨٠ م(٥٠)

وتواريخ بناء هذه الكنائس والقصور ترجع الى ما بعد انهاء الحكم العربي الاسلامي في جزيرة صقلية عام ١٠٩٠ ، بعد انتهائه في مدينة بالرمو نفسها في عام ١٠٦٠ م . ولكن على الرغم من ان هذه الابنية شيدها النورمنديون فأن كثيرا من الظواهر المعمارية العربية البحتة ظهرت فيها ، تلك الظواهر التي توجد ايضا في ايطاليا نفسها بمدينتي آمالفي وسالرنو(٥١) .

لم يكن ما ذكرناه من بعض مظاهر العمارة العربية الاسلامية في عمارة اوربا في القرون الوسطى سوى نقاطا مميزة ، والواقع ان العرب المسلمين كانوا مصدر كثير مما وصل الى اوربا من علم الهندسة ، او كانوا على الاقل القنطرة التي وصل الى الغرب عن طريقها كثير من هذا العلم .

---

(٤٨) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٢٧٢ .
(٤٩) عفيف بهنسي ، اثر العرب في الفن الحديث ، صفحة ١٨ .
(٥٠) تراث الاسلام ، بريجز ، صفحات ١٤٢ ـ ١٤٣ .
(٥١) المصدر السابق ، صفحة ١٤٣ .

المراجع والمصادر العربية

الخطيب – (الحافظ او بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي) تأريخ بغداد ، طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة عام ١٣٤٩ هـ – ١٩٣١ م .

ياقوت – (شهاب الدين ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي) معجم البلدان ، طبع لايبزك سنة ١٨٦٦ م .

بريجز – (آرنولد وكريستي وبريجز) تراث الاسلام – جزءان ، الاول منه ترجمة لجنة الجامعيين ، والثاني وهو الذي اعتمدنا عليه ترجمة وتعليق المرحوم الدكتور زكي محمد حسن . طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٣٦ م .

مجموعة المؤلفين –
الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين . موضوع الفنون والاثار الاسلامية . تأليف ريتشارد اتنجهاوزن . ترجمة محمد مصطفى زيادة . القاهرة عام ١٩٥٣ .

العميد – (طاهر مظفر) بغداد مدينة المنصور المدورة . النجف عام ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

شافعي – (فريد) العمارة العربية في مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ م

بهنسي – (عفيف) آثر العرب في الفن الحديث ، دمشق ١٩٧٠ م .

المراجع والمصادر الأجنبية

Rivoira (G.T.)

Moslem Architecture, Its Origin and Development (Oxford 1918)

Briggs (M.S.)

Mohammadan Architecture in Egypt and Palestine (Oxford 1924).

Richmond (E.T.)

Moslem Architecture 623—1516, Royal Asiatic Society (London 1926).

Creswell, (K.A.C.)

Early Muslim Architecture, Vol. 11, (London 1926).

Lethaby (R.L.)

Architecture,

Fletcher (B.)

A History of Architecture, (London 1961).

Risler

La Civilisation Arabe.

المصدر الصريح والمؤول

الدكتور فاضل صالح السامرائي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يقصد بالمصدر الصريح المفردة التي تدل على الحدث المجرد نحو انطلاق وذهاب ويقصد بالمصدر المؤول الجمل التي تقع موقع المصدر الصريح بتصدر أحد الاحرف المصدرية ، فمن المصادر الصريحة قولك (اعجبني انطلاقك) ومن المصادر المؤولة قولك (اعجبني ان تنطلق) .

وهناك اختلاف بينهما في المعنى والاستعمال فقد يقع المصدر الصريح في مواطن لا يقع فيها المؤول وبالعكس ، وقد يؤدي احدهما معنى لا يؤديه الآخر .

وسبب هذا الاختلاف في الغالب يعود الى ان المصدر الصريح هو مفردة والمصدر المؤول جملة اوقعها الحرف المصدري موقع المفرد ، وثمة فرق بين المفرد والجملة ولذا قد يسد المصدر المؤول مسد ما يقتضي جملة احيانا نحو (حسبت أنك قائم) و (ليت اننا لم نكبر) ولا يسد مسد ذلك المصدر الصريح لان الفرق بينهما كالفرق بين الجملة والمفرد الا في مواطن .

فمن الاختلاف في الاستعمال بينهما :

١ ـ ان المصدر المؤول قد يسد مسد المسند والمسند اليه نحو (ظننت انك ذاهب) و (أحسب الناس ان يتركوا) ولا يسد المصدر الصريح مسدهما وذلك ان المصدر المؤول في الاصل جملة لها معناها الحاصل من الاسناد أوقعها الحرف موقع المفرد بخلاف المصدر الصريح فانه مفرد أصلا .

٢ ـ ان المصدر المؤول يسد مسد خبر فعل الرجاء او مسد فاعله نحو (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) و (عسى الله ان يأتي بالفتح) ولا يسد ذلك المصدر الصريح .

٣ ـ ينوب المصدر الصريح عن ظرف الزمان ولا ينوب عنه المؤول تقول (جئتك غروب الشمس) أي وقت غروبها و (جئت قدوم الحاج) أي وقت قدومهم ولا تقول (جئتك أن تغرب الشمس) ولا (جئت ان قدم الحاج) •

٤ ـ يكثر حذف حرف الجر مع أن وانّ نحو (ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام) أي لان صدوكم و (عجبت ان اخاك ناجح) أي من ان اخاك ناجح • وهذا قياس اذا اتضح المعنى ، وليس الامر كذلك مع المصدر الصريح •

٥ ـ يصح وصف المصدر الصريح ولا يصح وصف المصدر المؤول تقول : (يعجبني انطلاقك السريع) ولا يصح (يعجبني ان تنطلق السريع)[1] •

٦ ـ ينوب المصدر الصريح عن فعله نحو (صبرا آل ياسر) و (فضرب الرقاب) أي اصبرو اواضربوا • ونحو (سقيا لك) و (أتوانيا وقد جد الناس) ولا ينوب عنه المصدر المؤول •

٧ ـ يؤكد المصدر الصريح فعله[2] ويبين نوعه وعدده نحو (انطلقت انطلاقا) و (انطلقت الانطلاق) وانطلاق السهم وانطلاقتين ولا يستعمل المصدر المؤول لذلك الى غير ذلك من اوجه الخلاف في الاستعمال •

ثم ان لكل من المصدرين الصريح والمؤول غرضا لا يؤديه الآخر ، فمن ذلك :

١ ـ ان المصدر المؤول يفيد الدلالة على الزمان بخلاف المصدر الصريح تقول : (اعجبني ان قمت) فيفيد الدلالة على المضيّ و (أن تصبرَ خيرٌ لك) فيفيد الدلالة على الاستقبال وقد يفيد الحال بحسب الفعل بخلاف المصدر الصريح فانك اذا قلت (صبرك خير لك) احتمل المضي والحال والاستقبال لانه ليس في صيغته ما يدل على تحديد زمن[3] •

---

(١) انظر المغني ٢/٦٧٩ ، الهمع ١/١٥١ ـ ١٥٢ ، الاشباه والنظائر ٢/١٩٥ •

(٢) حاشية الصبان ١/١٧٦ •

(٣) انظر بدائع الفوائد /٩٢ •

ثم اضافةً الى انه يستعمل للتمييز بين ما هــو واقــع وما سيقع يستعمل ايضا للدلالة على المأمور به او المنهي عنه او المدعو به وما الى ذلك نحو (اشرت اليه بأن قم) او بأن لا تقم وبأن حفظك الله • ولو ابدلته بالصريح لم يفهم المعنى نفسه •

٢ ــ ان المصدر المؤول ولا سيما مع (ان) يدل « على مجرد الحــدث دون احتمال معنى زائد عليه ففيها ــ يعني أن ــ تحصين من الاشكال وتخليص له من شوائب الاجمال ، بيانه انك اذا قلت : كرهت خروجك واعجبني قدومك احتمل الكلام معاني منها ان يكون نفس القدوم هو المعجب لك دونه صفة من صفاته وهيأته وان كان لا يوصف في الحقيقة بصفــات ولكنها عبارة عن الكيفيات واحتمل ايضا انك تريد انه اعجبك سرعته او بطؤه أو حالة من حالاته فاذا قلت (اعجبني ان قدمت) كان أن علــى الفعل بمنزلة الطبائع والصواب من عوارض الاجمالات المقصودة فــي الاذهان »[٤] •

وايضاح ذلك انك اذا قلت مثلا (يعجبني مشي محمد) فقد يفيد ذلك ان في مشيه صفة معينة هي التي تعجبك فيه ويحتمل ايضا انه يعجبك مجرد المشي من دون قصد الى صفة معينة ، ولكن اذا قلت (يعجبني ان يمشي) كان ذلك لمجرد المشي لا لشيء آخر او لصفة خاصة • ونحو ذلك قوله تعالى (بل زُيّن للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السبيل) فان قوله (زين للذين كفروا مكرهم) يحتمل ان مكرهم انما زين لهم لما فيه من الدهاء والحيلة والاستدراج ولو قال (زُين للذين كفروا أن يمكروا) لكان المعنى انه زين لهم ان يفعلوا مكرا لا ان مكرهم له صفة معينة هي التي تزينه لهم • ومثله (يعجبهم علمهم) و (يعجبهم ان يعلموا) •

---

(٤) المصدر نفسه ١/٩٢ ــ ٩٣ •

٣ ــ ان (ان) والفعل قد تفيد الاباحة ولا تفيد القطع بحصول الفعل بخلاف المصدر الصريح فانه قد يفيد القطع بحصوله وذلك نحو ان تقول (له صراخ صراخ الثكلى) فهذا يختلف عن قولـك (له ان يصرخ صراخ الثكلى) فان قولك (له صراخ) قطع بحصول الفعل اي هو يصرخ : اما اذا قلت (له ان يصرخ) فلا يفيد ذلك ان الصراخ حصل وانما المعنـى يحق له ان يصرخ[٥] كما تقول (لك ان تذهب الى البصرة) أي يحق لك .

٤ ــ ان المصدر المؤول يبين الفاعل من المفعول من نائب الفاعل ولا يبين ذلك المصدر الصريح تقول (ساءني ان يعاقب محمد) فمحمد نائب فاعـل و (ساءني ان يعاقب محمد) فمحمد فاعل و (ساءني ان يعاقب خالد" محمدا) فمحمد مفعول به . فان قلت (ساءني معاقبة محمد) احتمل ان يكون محمد فاعلا او مفعولا ، ولا يبين المصدر الصريح نائب الفاعـل فاذا اردت بيان نائب الفاعل وجب ان تأتي بالمصدر المؤول تقول (عجبت من ان يُضرَب عمرو) فعمرو نائب فاعل فاذا قلت (عجبت من ضرب عمرو) تبادر الى الذهن انه فاعل[٦] الا في تعبيرات محدودة .

٥ ــ ان لكل حرف من الحروف المصدرية معنى خاصا به فاذا جئت بالمصدر الصريح لم يتبين المقصود وذلك ان (انّ) تفيـد التوكيـد و (انْ) للاستقبال و (ما) للحال اذا دخلت على المضارع و (لو) للتمني و (كي) للتعليل فاذا جئت بالمصدر الصريح انتفى التمييز بينها فعلى سبيل المثال انك تقول :

١ ــ يسرني ان تذهب ٢ ــ يسرني ان ذهبت ٣ ــ يسـرني انك ذاهب
٤ ــ يسرني انك تذهب ٥ ــ يسرني انك ذهبت ٦ ــ يسرني لو ذهبت
٧ ــ يسرني انك ستذهب ٨ ــ يسرني ما ذهبت .

وهذه كلها تؤول بيسرني ذهابك .

---

(٥) انظر الرضي على الكافية ١/١٣١ ، حاشية يس على التصريح ١/٣٣٣ .

(٦) حاشية الصبان ٢/٢٨٣ .

٦ ـ التمييز بين الصيغ ومدلولاتها فانه في المصادر المؤولة تستطيع ان تأتي بالفعل واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم التفضيل فتفيد كل صيغة دلالتها من حدوث وثبوت وتكثير وتفضيل وغيرها في حين لا يتأتى ذلك في المصادر الصريحة • فأنت تقول (يعجبني ان محمدا ضارب ومضروب وضرّاب واضرب من غيره) في حين انها كلها تكون بلفظ واحد في المصدر الصريح تقول (يعجبني ضرب محمد) أو تتكلف تعبيرات اخرى لا تؤدي مؤدى الاصل نحو : يعجبني افضلية ضرب محمد او كثرته ونحو ذلك • ففي المصدر المؤول من التمييز بين المعاني ما ليس في المصدر الصريح •

٧ ـ يؤتى بالمصدر المؤول فيما ليس له مصدر صريح من الافعال كالافعال الجامدة نحو (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) و (ان ليس للانسان الا ما سعى) •

٨ ـ قد يؤتى بالمصدر الصريح لارادة الحدث وحده دون ارادة صاحبه او ارادة زمنه نحو (الحمد لله رب العالمين) فانه يراد بالحمد مجرد الحدث لا صاحبه ولا زمنه ونحو (الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان) ونحو (هم في شقاق) و (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) و (ما كيد الكافرين الا في ضلال) فامساك وتسريح وشقاق وغرور وضلال احداث مجردة فجيء بها مصادر صريحة ولا يراد معها اصحابها • ولو قال (وما يعدهم الشيطان الا ان يغرهم) لتغير المعنى ولو قال (وماكيد الكافرين الا في ان يضلوا) لم يكن لذلك معنى •

٩ ـ ايقاع الجمل المختلفة بدلالتها المتميزة موقع المصدر في المصدر المؤول ولا يتأتى ذلك في المصدر الصريح وذلك كالجمل الفعلية والاسمية الكبرى والصغرى ، المؤكدة بطرق التوكيد المختلفة وغير المؤكدة ، المثبتة والمنفية باساليب النفي المختلفة ، الشرطية وغيرها وما الى ذلك من انواع الجمل مما لا يتأتى في المصدر الصريح نحو (وأن لو استقاموا على الطريقة

لا سقيناهم ماء غدقا) و (أعلم ان لا اله الا الله) وعلمت ان محمدا ذو مال كثير وعلمت ان محمدا ماله كثير وعلمت ان محمدا ليس لـه مـال وعلمت ان محمدا لا مال له وغير ذلك .

واليك مثلا يوضح كيف ان المصـادر المؤولة المختلفـة ذات الدلالات المتعددة تؤول بلفظ واحد على تباينها :

١ ــ يسرني أن محمدا ضرب

٢ ــ يسرني أن محمداً يضرب

٣ ــ يسرني أنْ ضرب محمد

٤ ــ يسرني أنْ قد ضرب محمد

٥ ــ يسرني ان قد يضرب محمد

٦ ــ يسرني انْ محمدٌ ضرب

٧ ــ يسرني انْ محمدٌ يضرب

٨ ــ يسرني انه محمد ضرب

٩ ــ يسرني انه محمد يضرب

١٠ــ يسرني انه قد ضرب محمد

١١ــ يسرني انه قد يضرب محمد

١٢ــ يسرني ان محمدا سيضرب

١٣ــ يسرني ان سيضرب محمد

١٤ــ يسرني انه سيضرب محمد

١٥ــ يسرني انه محمد سيضرب

١٦ــ يسرني ان محمدا ضارب

١٧ــ يسرني انه محمدٌ ضارب

١٨ــ يسرني انه ضاربٌ محمدٌ

١٩ــ يسرني انْ محمد ضارب

٢٠ــ يسرني انْ ضاربٌ محمد

٢١ــ يسرني ان محمدا انه ضارب

٢٢ــ يسرني ان محمدا انه لضارب

٢٣ــ يسرني أن محمدا أنه ضارب

٢٤ــ يسرني أن محمدا ضرّاب

٢٥ــ يسرني انه محمد ضراب

٢٦ــ يسرني ان محمدٌ ضراب

٢٧ــ يسرني انه ضرّاب محمد

٢٨ــ يسرني انْ ضرّاب محمد

٢٩ــ يسرني ان محمدا انه ضرّاب

٣٠ــ يسرني ان محمدا انه لضرّاب

٣١ــ يسرني محمدا انه ضراب

٣٢ــ يسرني ان محمدا اضرب

٣٣ــ يسرني انْ محمدٌ اضرب

٣٤ــ يسرني انه محمد اضرب

٣٥ــ يسرني ان محمدا انه اضرب

٣٦ــ يسرني ان محمدا انه لأضرب

٣٧ــ يسرني أن محمدا أنه اضرب

٣٨ــ يسرني انه اضربُ محمدٌ

٣٩ــ يسرني ان محمدا مضروب

٤٠ــ يسرني انه محمد مضروب

ونكتفي بهذا القدر وهناك صور أخرى لهذا التعبير وهذه كلها تؤول بتعبير واحد هو (يسرني ضرب محمد) •

وبهذا يتضح لنا ان احد المصدرين لا يغني عن الآخر ولا يسد مسده بل لكل منهما خصائصه وغرضه •

الحروف المصدرية

في العربية حروف تسمى الحروف المصدرية وهي أنّ وأنْ وكي ولو وما• ووظيفة الحرف المصدري ايقاع الجملة موقع المفرد فتوقعها فاعلا ومبتدأ ومفعولا به ومضافا اليه ومجرورة بحرف الجر وغير ذلك ، تقول (أن تعدل في حكمك خير لك من ان تجور) فأوقعت (تعدل) مبتدأ اخبرت عنه ، وتقول (يسرني ان تفوز) فجعلت (تفوز) فاعلا ، وتقول (سررت بأنك فائز) فأوقعت (انت فائز) مجرورا بالحرف وهكذا ، ولا يتأتى ذلك لولا الحرف المصدري •

وقد تقول : اذا كانت هذه الغاية من الحرف المصدري فلماذا تعددت الحروف المصدرية ؟

والجواب ان هذه الأحرف ليست متطابقة من حيث الوظيفة بل ان لكل حرف معنى ووظيفة قد تختلف عن الآخر •

فـ أنّ : تدخل على الجمل الاسمية وتفيد التوكيد نحو (واعلموا أنكم ملاقوه) بخلاف (أنْ) الخفيفة الاصل فهي لا تفيد التوكيد ولذا قالوا اذا وقعت (أنّ) المشددة بعد افعال الرجحان افادت العلم نحو (قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) واذا وقعت الخفيفة لم تفد ذلك تقول (اظن أن يأتي محمد) •

والمخففة من الثقيلة حرف مصدري ايضا يدخل على ما لا تدخل عليه المشددة كالافعال الجامدة والجمل الانشائية وغيرها نحو (وان ليس للانسان الا ما سعى) و (وأن لو استقاموا على الطريقة) • وهي تفيد التوكيد ايضا •

أنْ الخفيفة الاصل : وتدخل على الجمل الفعلية وهي تدخل على المضارع فتصرفه الى الاستقبال غالبا نحو (اريد أن تزورني) وتدخل على الماضي نحو (هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله) وتدخل على الأمر نحو (واذا انزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولو الطول منهم) ونحو قولنا (ناديتهم بأن اقدموا) • وقد تفيد التعليل نحو (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) •

وقد ذكر برجشتراسر ذاك جاء في (التطور النحوي) : « وأخرجوا (أنْ) عن كونها مصدرية محضة فان قولي (اريد أن تفعل ذلك) يتعدى قولي اريد فعلك ذلك في ان نصب الفعل يقرب (ان) من (كي) كأني قلت (اريد كي تفعل ذلك) أي غرض ارادتي فعلك ذلك كما جاء في القرآن الكريم (انما يريد الله ليعذبهم بها) • فالجمل المصدرية النائبه عن مفعول فعل من افعال الارادة والطلب وما يشاكلها تقترب من الجمل الغرضية في جوهر معناها »(٧) •

غير أني اخالفه في المثال الذي ذكره (اريد أن تفعل ذلك) فهذا لا يفيد التعليل • ولا شك انه يعني بالغرض التعليل خصوصا وانه نظرّها بكي ، اما اذا كان يقصد بقوله (غرض) المعنى العام فان كثيرا من المفعول به غرض فاذا قلت (اريد كتابا) كان الكتاب غرضا واذا قلت (اود لقاءه) كان اللقاء غرضا بهذا المعنى •

وقد وردت (أنْ) للتعليل كثيرا في القرآن الكريم وذلك نحو قوله (ولا يجر منكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) أي لان صدوكم ، وقوله (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألاّ يجدوا ما ينفقون) وقوله (وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا) •

وقد تقول : ان معنى التعليل لم يأت من (انْ) وانما هو من الحرف المقدر اللام او غيره •

---

(٧) التطور النحوي ١٢٦ •

وأقول : اذا كان بالامكان تقدير حرف يفيد التعليل في قسم من الامثلة فقد يمتنع في قسم آخر ، فمما يصح فيه تقدير حرف يفيد التعليل قوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) أي لان جاءه .

ومن الثاني قوله تعالى (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) فلا يصح ابدال (كي) او (اللام) بها فلا يصح للمعنى نفسه ان تقول (اتقتلون رجلا كي يقول ربي الله) أو (ليقول ربي الله) واللام عندهم على تقدير (أن) .

فمعنى الآية أتقتلونه لأنه يقول ربي الله ومعناها باللام أو بكي اتقتلونه حتى يقولها ، فمعناها بـ (أن) انه يقولها ومعناها بكي وباللام انه لا يقولها . ومثله قوله (يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وهي كالآية السابقة .

وقد تقول : انه يصح ان نقول (اتقتلون رجلا لأن يقول ربي الله) للمعنى نفسه او قريب منه فأقول : ان ذكر (أن) يؤدي معنى لا يؤديه حذفها وابدال بها غيرها ، فاللام عندهم على تقدير (أن) ومع ذلك اذا حذفت (ان) وجئت باللام تغير المعنى في نحو هذا ، فذكر (أن) يفيد نوعا من التعليل لا يفيده حذفها .

وهي تستعمل للتعليل مع الفعل الماضي بدلا من كي أو اللام لان هذين الحرفين لا يباشر ان الفعل الماضي وذلك نحو (افنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) والنحاة يقدرون اللام في نحو هذا .

والخلاصة انها استعملت في التعليل كثيرا في الماضي والمضارع بدون حرف يفيد العلة ، ثم ان التعليل بها قد يختلف عن التعليل بكي او اللام .

هذا من ناحية التعليل . واما من ناحية الزمن فانها تصرف الزمن للاستقبال غالبا . ومن غير الغالب قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه) فهذا ليس نصا في الاستقبال بل يشمل الحال ايضا وكقوله تعالى (تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) وهم لا يجدون ما ينفقون في

الحال . ونحوه قوله (فلعلك تاركٌ بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا انزل عليه كنز) فـ (أن يقولوا) ليس نصا في الاستقبال بل هو يفيد الحال وما قبل الحال ايضا لأن هذا القول صدر منهم قبل نزول الآية ، وكقوله (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم) وهي لا تميد لا في الحال ولا في الاستقبال الا ان يشاء الله . وقوله (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) وهم اخرجوا لأنهم قالوا ذلك ومستمرون على قوله ايضا وقوله (فهم لا يهتدون ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والارض) والمقصود بـ (ألاّ يسجدوا) الحال .

ومثله قوله تعالى (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) وقوله (يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقوله (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وان كل ذلك ليس فيه تنصيص على الاستقبال ونحوه (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) وهو لم يسجد في الماضي ، وقوله (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) وهما قائمتان بامره لم تزالا ولا تزالان .

غير أنه يمكن ان يقال ان اغلب ما ذكرنا يفيد الاستمرار الذي منه الاستقبال فتكون دلت على الاستقبال ضمنا لا تنصيصا ، ولا ينطبق هذا على نحو قوله تعالى (الا يجدوا ما ينفقون) فيما احسب فان هؤلاء قد يجدون في الاستقبال ما ينفقون والله اعلم .

ما : و (ما) تدخل على الفعل المتصرف في الغالب ماضيا كان او مضارعا نحو قوله تعالى (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقوله (وانا بريء مما تجرمون) أي من اجرامكم . وقوله (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بسعيها . وقد تدخل على غير ذلك قليلا نحو (بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية) وقوله :

اعلاقة ام الوليد بعد ما   افنان رأسك كالثغام المخلس

وقيل : (ما) كافة لـ (بعد) عن الاضافة[٨] .

---

(٨) انظر الرضي على الكافية ٢/٤٢٨ ، المغني ١/٣١١ .

وهي اذا دخلت على الفعل المضارع افادت الحال[9] نحو (سبحانه وتعالى عما يصفون) ونحو (فذرهم وما يفترون) •

وقد تكون زمانية نحو قوله تعالى (وانا لن ندخلها ما داموا فيها) أي مدة دوامهم فيها وقوله (فاتقوا الله ما استطعتم) أي مدة استطاعتكم على احد التقديرين •

وقد ذكر برجشتراسر أن التطابق كثير بين أنْ وأنّ وما ، قال : « واذا تساءلنا عن الفرق بين أن وان وبين (ما) مع صرف النظر عن الحالات التي تفي فيها (أن) بوظيفة خاصة بها فتعمل في نصب الفعل وجدنا أن التطابق بينها كثير مثاله من القرآن الكريم (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة) و (ذلك بما عصوا) فأن و (ما) معناهما واحد ومنه (من بعد ما جاءهم العلم) و (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) وعلى العموم فـ (ما) اندر كثيرا من (ان) و (انّ) ويقل استعمالها تدريجيا مع تطور اللغة العربية غير أنها احتفظت بها في بعض الاحوال نحو (قل ما وجد مثل ذلك) وطالما وبئس ما •••

وقد تميز العربية بين ان وان وبين (ما) في المعنى واشهر مثال لذلك هو الفرق بين كأن وكأنّ وبين (كما) فكأن وكأنّ تفيدان فرض كون الشيء غير ما هو عليه في الحقيقة وكما تفيد التشبه والتمثيل الحقيقي مثال ذلك (واذ تتقتنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) والجبل لم يكن ظلة او مثل ظلة بل كان ضدها في المتانة والرسو • والمعنى لو كان الجبل كظلة لكان تتقه ورفعه وزلزلته قريبا من الاحتمال فلأنه لم يكن كظلة كان تتقه من المعجزات • (كما) مثل (آمنا كما آمن الناس) يعني ايماننا مثل ايمانهم »[10] •

والحق انه ليس ثمة تطابق بين هذه الاحرف فأنّ تفيد التوكيد وأما (أنْ) و (ما) فبينهما اوجه اختلاف منها :

---

(٩) انظر التصريح ٢/٦٢ ، الهمع ٢/٩٢ •

(١٠) التطور النحوي ١٢٦ ــ ١٢٧ •

١ ـ ان (أن) تفيد الاستقبال في الغالب و (ما) تفيد الحال وذلك اذا دخلتا على الفعل المضارع فمن ذلك قوله تعالى (اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) فـ (يبسطوا) المقصود به الاستقبال ولو قال (ما يبسطون) لكان للحال • وقوله (هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا) أي شريطة ان تعلمني فالتعليم في المستقبل ، ولو قال (على ما تعلمني) لكان المقصود به الحال ، وقوله (ساء ما يعملون) ولو قال (ان يعملوا) لكان للاستقبال ومنه (فذرهم وما يفترون) و (وانا بريء مما تجرمون) فهذه كلها للحال بعكس أن •

٢ ـ ان (ما) قد تكون زمانية بخلاف (ن) وذلك نحو قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقوله (واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) وقولك (انت مفلح ما تفعل الخير) أي مدة فعلك الخير •

٣ ـ ان (ما) تكون اسما موصولا وتكون حرفا مصدريا ايضا وفي قسم من التعبيرات يحتمل الكلام المعينين فيكون من باب التعبير الاحتمالي الذي له نظائر في العربية وذلك نحو (ساء ما يعملون) فقد يحتمل المعنى ساء عملهم وساء الذي يعملونه • وقوله (وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك) فالمعنى يحتمل ادع ربك بعهده عندك ويحتمل بالذي عهده عندك ، ونحوه قوله (قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فهذا يحتمل ياليت قومي يعلمون بمغفرة ربي لي ويحتمل انه ياليتهم يعلمون بالشيء الذي غفر لي به ربي •

ونحوه ان تقول (صبرت على ما كذبتني) فالمعنى يحتمل : صبرت على تكذيبك لي ويحتمل : صبرت على ما كذبتني به اي الشيء الذي كذبتني به ونحوه ان تقول (صدق ما عاهد الله) فهذا يحتمل انه صدق عهد الله ويحتمل صدق ما عاهد الله عليه اي صدق الشيء الذي عاهد الله عليه اما (أن) فلا تكون الا مصدرية • وبذا تكون (ما) قد تؤدي اكثر من معنى احيانا •

٤ ـ ولكون (ما) كذلك أي انها قد تكون مصدرية وقد تكون اسما موصولا وقد تحتمل المعنيين احيانا لذا يؤتى بـ (أن) اذا اريد التنصيص على المصدر وبخاصة اذا كان مجيء (ما) قد يصرف الكلام الى معنى آخر وذلك نحو قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزّل عليكم من خير من ربكم) فلوا بدلت (ما) بـ (أن) لكان المعنى انهم لا يودون ما ينزل عليكم أي لا يودون الخير النازل عليكم من الله • وكقوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) أي لمجيء الاعمى ولو قلت : عبس وتولى لما جاءه الاعمى او بما جاءه الاعمى لكان المعنى عبس للشيء الذي جاء به الاعمى ، ولم يأت الاعمى بشيء وانما عبس لمجيئه لا لشيء جاء به ، ولو قال (عبس وتولى ما جاءه الاعمى) لكان المعنى انه عبس وتولى كلما جاءه الاعمى • وكلا المعنيين غير مراد •

ونحوه قوله تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) والمعنى انكم لا تشاؤون الا بمشيئة الله اي الا اذا شاء الله ولو قال (وما تشاؤون الا ما يشاء الله) لكان المعنى انكم لا تشاؤون الا الشيء الذي يريده الله ويشاؤه • وهذا غير مراد ولا يصح •

٥ ـ الاصل في مصدر (ما) ان يكون مخصوصا وفي مصدر (أن) ان يكون لارادة مجرد الحدث وهذا فرق رئيس بين استعماليهما ولذا لا يحسن وضع احداهما مكان الاخرى احيانا فمثلا قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) يصح فيه تأويل (مما قضيت) بمصدر فتقول (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا من قضائك) ولكن مع ذلك لا يحسن وضع (أن) مكان (ما) فلا تقول (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا من ان قضيت) لان المعنى سيكون عند ذلك : عليهم الا يجدوا في انفسهم حرجا من كونك تقضي او من مبدأ أنك تقضي ، وليس هذا المقصود وليس في انفسهم حرج من ذلك بل المقصود أن عليهم ان يرضوا بما يقضي ولو كان لا

يوافق هواهم ورغبتهم ليس في انفسهم حرج من ذلك لا من مجرد أن يقضي ، فيكون مصدر (ما) مخصوصا . وقد يراد بـ (ما قضيت) المقضيّ به أي اسم موصول .

ونحوه قوله سبحانه (سبحانه وتعالى عما يصفون) فانه يصح تأويل (عما يصفون) بـ (عن وصفهم) غير أنا لو ابدلنا (أنْ) بـ (ما) لوجدنا أن المعنى يختلف فلو قلت : (سبحانه وتعالى عن ان يصفوا) لكان المعنى تنزيه الله عن مجرد الوصف ، وليس هذا المقصود اذ لا شك ان الله له الصفات العليا وانما المقصود تنزيهه عن الوصف الباطل والصفات التي لا تليق به سبحانه ، ويحتمل ان تكون (ما) اسما موصولا أي عما يصفونه به من الصفات الباطلة .

ونحوه قوله (افتهلكنا بما فعل المبطلون) وهذا يحتمل ان المعنى : افتهلكنا بفعل المبطلين ومع ذلك لا يصح ابدال أن بـ (ما) فلا تقول : افتهلكنا بأن فعل المبطلون . فأن الاول فعل مخصوص وهو الذي يؤدي الى الاهلاك اما الثانية فيكون المعنى اتهلكنا لان المبطلين فعلوا ولا ندري ما فعلوا ، فالفعل الاول مخصوص معلوم بخلاف مصدر أن . ويحتمل ان تكون (ما) اسما موصولا ايضا .

ومثله قوله تعالى (وضاقت عليهم الارض بما رحبت) والمعنى برحبتها ولو قلت (بأن رحبت) لكان المعنى انها ضاقت عليهم بكونها رحبة وهو معنى متناقض أو غير مراد . ونحوه قولَه تعالى (لا تؤاخذني بما نسيت) والمقصود به نسيان مخصوص وهو العهد الذي بينهما ولو قال (بأن نسيت) لا حتمل المعنى انه آخذه بمبدأ النسيان أي آخذه لكونه نسي اي لمجرد حصول النسيان عنده .

ونحوه قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بسعيها ولو ابدلت (ان) بها فقلت (لتجزى كل نفس بأن تسعى) تغير المعنى واصبح انها تجزى لانها تسعى ، فالاولى سعي مخصوص تجزى به ان كان خيرا

فخير" أو شرا فشر • والثانية انه مطلق السعي فهي تجزى لانها تسعى وليس فيها المعنى الاول •

ونحوه قوله تعالى (ربكم اعلم بما لبثتم) أي بلبثكم والمقصود به زمن لبثكم ومدته ولو قال (ربكم اعلم بأن لبثتم) لكان المعنى ان ربكم يعلم بأنكم لبثتم وهذا غير مراد فالاولى لبث مخصوص بخلاف الثانية •

فمصدر (ما) مخصوص محدود بخلاف مصدر (أن) فانه لمجرد الحدث وهذا فرق رئيس بينهما كما ذكرت •

٦ ــ ثم ان التعليل قد يختلف بينهما من جهة اخرى وذلك ان تقول مثلا (عاقبتك بما ذهبت الى القرية) أي عاقبتك بسبب ذهابك ولو قلت (عاقبتك بأن ذهبت الى القرية) احتمل هذا المعنى واحتمل أنه عاقبه بالذهاب أي جعل ذهابه هو العقوبة • ونحوه ان تقول (لقد جزاك الله بما كنت من المصلحين) و (جزاك الله بأن كنت من المصلحين) فالاولى معناها انه جزاك بسبب كونك من المصلحين والثانية تحتمل السببية وتحتمل انه جزاه بأن جعله من المصحلين ، فالجزاء هو جعله من المصحلين •

٧ ــ ان (ان) تستعمل للتعليل كما ذكرنا بخلاف (ما) وهي تقوم مقام حرف التعليل مع الافعال الماضية وذلك نحو (وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) وقد تقول ان (ما) وردت للتعليل ايضا نحو (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقوله (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) •

غير أن (ما) لم تأت للتعليل الا مع حرف يفيد التعليل اما (أن) فهي حيث وردت للتعليل منزوعة من حرف التعليل في القرآنالكريم الا في نحو قوله تعالى (لئلا يعلم اهل الكتاب) •

٨ ـ التشبيه بـ (ما) يختلف عن التشبيه بـ (أن) وذلك نحو قولك (اضرب كما ضرب خالد) أي ان خالدا ضرب فاضرب انت كضربه ، ولو قلت (اضرب كأن ضرب خالد) لكان المعنى اضرب كأن خالدا ضرب ولا يدل على ان خالدا ضرب فتريد ان يضرب مثله وانما المعنى اضرب كأن الضارب خالد . ونحوه قولـه تعالى (فاستقم كما امرت) ولو قال (فاستقم كأن امرت) لكان المعنى استقم كأنك امرت ولم يفد انه مأمور حقيقة . الى غير ذلك من اوجه الخلاف .

كي : ويفيد التعليل نحو جئت كي استفيد جاء في (لسان العرب) : « كي حرف من حروف المعاني ينصب الافعال بمنزلة (أن) ومعناه العلة لوقوع الشيء كقولك : جئت كي تكرمني ..

الجوهري : واما (كي) فجواب لقولك : لم فعلت كذا فتقول : كـي يكون كذا وهي للعاقبة كاللام »[١١] .

وعند بعضهم انها لا تفيد التعليل وانما التعليل من الـلام المقدرة فاذا قلت : جئت كي استفيد فاذا قدرت (كي) مصدرية وجب تقدير اللام قبلها أي جئت لكي استفيد واللام تفيد التعليل[١٢] .

والراجح أنها للتعليل كما هي في الجارة .

لو : وهي للتمني ولذا كثر وقوعها بعد ما يفيد التمني نحو (ودّ) وما في معناها قال تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) . جاء في (الكشاف) في قوله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) : « فان قلت : لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمني ؟ قلت : قد عدل به الى طريق آخر»[١٣] .

---

(١١) لسان العرب ١٠١/٢٠ .

(١٢) المغني ١٨٢/١ .

(١٣) الكشاف ٢٥٧/٣ وانظر جواهر الادب ١٥٦ .

ولذا اذا لم يقصد معنى التمني بعدود فلا يؤتى بها قال تعالى (ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت) قال : « وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم » بخلاف قوله (وودوا لو تكفرون) وقوله (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) .

مراجع البحث

١ ـ الاشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي .

٢ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ـ المطبعة المنيرية ـ مصر .

٣ ـ التطور النحوي ـ برجشتراسر ـ مطبعة السماح ـ مصر .

٤ ـ جواهر الادب في معرفة كلام العرب للامام علاء الدين بن علي الاربلي ، المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٧٠ .

٥ ـ حاشية الصبان على شرح الاشموني ـ دار احياء الكتب العربية .

٦ ـ حاشية يس العليمي على التصريح ـ دار احياء الكتب العربية .

٧ ـ شرح الرضي على الكافية ـ مطبعة الجوائب .

٨ ـ الكشاف للزمخشري .

٩ ـ لسان العرب لابن منظور ـ نسخة مصورة عن طبعة بولاق .

١٠ـ المغني لابن هشام ـ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد .

معوقات مشاركة المرأة في عملية التنمية

الدكتور عادل عبدالحسين شكارة
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المحتويـات

الفصل الاول

في تحديد المفاهيم الاساسية

هدف البحث :

يستهدف هذا البحث تحليل واقع المرأة العراقية سواء منها العربية والكردية والتركمانية وبقية الاقليات الاخرى ، وتشخيص المعوقات التي تحد من مشاركتها في عملية التنمية بشكل فعال في اغلب نشاطات المجتمع من اجل الوصول الى افضل الصيغ التي من شأنها ان تزيد من مساهمتها والانتفاع من طاقاتها التي تمثل نصف المجتمع فبقاء هذا المورد البشري بمعزل عن الاستخدام الامثل والاستفادة من طاقته يعرقل عملية التنمية ويحد من مسيرتها .

مشكلة البحث :

ان تزايد اهمية دور المرأة في عملية التنمية التي يشهدها القطر يتطلب دراسة اوضاعها ومدى مشاركتها وتحديد معوقات مساهمتها في هذه المسيرة مع وضع الحلول اللازمة للقضاء على هذه الاثار السلبية .

ان المرأة في القطر العراقي تمثل نصف مجموع السكان ولكن المشكلة تكمن في عدم الاستفادة من طاقاتها الكامنة بالنظر لظروف نابعة من طبيعة المجتمع نفسه .

وعليه فان معالجة هذه المشكلة يتم عن طريق تغيير اوضاع طبيعة المجتمع من اجل الاستفادة من طاقاتها في عملية التنمية .

الفرضية الاساسية في هذا البحث :

(هي في وجود علاقة طردية بين تغيير المجتمع ودور مشاركة المرأة في هذا المجتمع) .

فأن اي تغيير في طبيعة بنية المجتمع سيؤدي بالتالي الى تغيرات متلاحقة في طبيعة تغيير دور المرأة ومدى مشاركتها في عملية البناء •

ان تحقيق هذه الفرضية يعتمد بالاساس (على طريقة التغير النسبي)[1] وهي بوجود صلة بين العلة والمعلول ، اي ان بين اي حادثتين او ظاهرتين احداهما تكون علة والاخرى معلولا تلازما ، بحيث ان اي تغيير في العلة يؤدي الى تغيير مواز في المعلول •

وعلى هذا الاساس فان اي تغيير في طبيعة المجتمع سيؤثر على تغيير دور المرأة ومشاركتها في عملية التنمية •

تحديد المفاهيم الاساسية

ان تحديد المفاهيم في العلوم الطبيعية يكون من السهولة بمكان ، لانه يمكن ملاحظة الظواهر وقياسها قياسا كميا ، وتسجيلها موضوعيا ، ولكن في العلوم الاجتماعية تكمن صعوبة تحديد مفاهيم المجتمع التي تختلف من زمن لاخر ومن مكان لاخر ، وحتى اذا كانت في نفس المكان والزمان •

لا شك ان المفهوم الاجتماعي يخضع لتأثير المدارس الفكرية والايديولوجية المختلفة ، لهذا يتطلب من الباحث الكشف عن الترابطات والتأثيرات المتداخلة لبعض المفاهيم ، لكي يصل بالنهاية لتحديد ذلك المفهوم الذي يستخدمه لاهداف البحث العلمي •

---

(١) انظر تفصيلات تحقيق الفروض في كتاب :
W. J. Good, P.K. Halt, Method in Social Reaserch, Ch. 7 (Testing the Hypothesis), 1952, pp. 74—91.

لقد ايد علماء الاجتماع ظاهرة التداخل والالتباس في استعمال المفاهيم الاجتماعية ، وتعذر على بعض الباحثين تقديم مصطلح او مفهوم واحد متفق عليه لكي يستخدم كأداة لتحديد الظواهر الاجتماعية .(٢)

لهذا لابد لنا في بداية هذا البحث ان نحدد بعض المفاهيم الاساسية الواردة هنا مع شعورنا بضرورة تحديد بعض المفاهيم الاخرى ، ولكن قد جرى العرف الاكاديمي على الغالب عند بعض الباحثين ان يقتصر على تحديد المفاهيم الاساسية التي لها صلة وثيقه بالعنوان الوارد في البحث ولهذا سيكون تركيزنا على المفاهيم التالية :

اولا : مفهوم المعوقات : Obstacle

تواجه التنمية معوقات كثيرة تقلل من مسيرتها في تحقيق الاهداف المرجوة منها .

مفهوم المعوق بصورة عامة انه الحاجز او العائق المادي الذي يحول دون تحقيق الاهداف ، ولكن لا يعني ذلك ان العوائق المادية هي الاساس على اعتبار انها مرئية وظاهرة للعيان ، وذلك لان العوائق الاجتماعية تكون اغلب الاحيان مهمة حيث يظهر بجانب المعوقات المادية، اتجاهات سلوكية تتحكم في استغلال واستثمار الوسائل المادية المتواجدة ، ولهذا يمكن القول انه بالامكان السيطرة على العوائق المادية بتوفير كل شيء بسهولة ويسر ، ولكن العوائق الاجتماعية الناجمة عن تراكمات تراثية سابقة ، لا تتغير بنفس السهولة وهي تكون اكثر صلابة امام المخططين خاصة عندما تتحجر وتكون كطبقة

---

(٢) انظر : نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور محمد عودة (وآخرين) (الطبعة الاولى ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠)ص ٥٣٥ .

Giezerman, G., The Laws of Social Development (Translated from Russian, Publishing House, Moscow) pp. 184—185.

لقد اشار جيزرمان الى ان الالتباس بين المصطلحات يكون حتى في اعلى المستويات الاكاديمية العليا ، وحتى في الندوات العلمية كما اثيرت مثل هذه المواضيع في الندوة العلمية لعلم الاجتماع لاقطار العالم الثالث .

واقية امام اي تغيير واصلاح اذا لم يكن ذلك الاصلاح شاملا وعلميا ومدروسا بعنايـــة •

وهناك مفهوم اخر قد يلتبس مع المعوق وهو مفهـــوم التحـــدي (Challenge) ، فعندما تتبلور معوقات التنمية واذا لم تعالج معالجـة علمية على احداث التغير الاجتماعي المقصود ، تكون انذاك مناهضة حضارية تواجه المخططين في مجال التخطيط والتنفيذ ، اذن التحدي هو نتيجة المعوقات غير المدروسة دراسة علمية ، فهو اكبر وواسع •

ثانيا : المشاركة او المساهمة : Participation

يحتل مفهوم المشاركة مكانا مرموقا عند المشتغلين بعمليـــة التنميـة والتخطيط • وهو يختلف باختلاف النظم والمجتمعات •

يدل معنى المشاركة او المساهمة على التعاون في اي وجه من وجـــوه النشاط ، يستخدم هذا المفهوم في مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة ، فعند الاقتصاد يعني المشاركة في الارباح وادارة المشروع ، وفي السياسة يعنـي اشتراك المواطنين في مناقشة الامور العامة بطريقة مباشرة او غير مباشرة امـا في علم الاجتماع فمفهوم المشاركة واتساعها يرتبط مع المشاركة الاجتماعية ، اي كلما ارتفعت المستويات التعليمية والمعيشية والمهنية ودرجة الاستقلال في المراكز الاجتماعية (اي عدم التبعية) تكون المشاركة اوسع ، حيث يكون الانتماء الثقافي والمهني كالمنظمات والاتحادات لتدفـع اعضاءها الاشتراك في الحياة العامة وتحديد المواقف منها[٤] •

---

(٣) انظر : الدكتور وفيق اشرف حسونة ، التخطيط للتنمية الاجتماعية في الوطن العربي (من سلسلة المذكرات للمعهد التخطيط القومي في الجمهورية العربية المتحدة ، رقم ١٦٠ ، سنة ١٩٧١) ، ص ٥٣ ــ ٥٤ •

(٤) معجم العلوم الاجتماعية ، اعداد نخبة من الاساتذة المصريين والعـــرب المتخصصين ، القاهرة سنة ١٩٧٥ ، مادة (مشاركة) ص ٥٤٥ • لابـد من الاشارة ان قانون المشاركة الذي انتهى اليه ليفي بريل من العقليـة البدائية لا يخضع لمبدأ عدم التناقض بل يحل محله قانون المشاركـــة البدائـي •

لقد اكدت اغلب البحوث في الحلقات العلمية الى ضرورة الاهتمام بالمشاركة واسهام الناس في عملية التنمية ، على اعتبار ان التنيمة هي من الناس واليهم ، فالمشاركة ضرورية لانجاز المشاريع ، فخطط التنمية لا يمكن ان تسير بوضعها الصحيح من دون مشاكة ومساهمة الافراد(٥) يقول (شارل بتلهايم) ان نجاح التنمية يتوقف على مدى مشاركة الجماهيرفي سبيل تنفيذ الاهداف ، وقد اعطى اهمية للكادر السياسي في تفتح المبادرات الشعبية وكيفية مساندتها بكل الطرق من اجل انجاح عملية التغيير المطلوب(٦) .

يتضح من هذا ضرورة المشاركة وان سبل تطويرها تعتمد على مقدار توفر المناخ الاجتماعي من الخدمات الاجتماعية المختلفة مع ضرورة التخطيط من قبل الكادر السياسي لتطوير هذه المشاركة .

ثالثا : التنميـة :

تمثل قضية التنمية مكانا بارزا في الفكر الاجتماعي والاقتصادي ، ومنذ الحرب العالمية الثانية اخذ المفكرون الاجتماعيون على اختلاف تخصصاتهم في الاهتمام بموضوع التنمية محاولين تحديد مفهومها وابعادها ، ولا شك ان لهم الفضل الكبير في ارساء كثير من الاسس النظرية .

ولكن تحديد مفهوم التنمية شأنه شأن بقية المفاهيم الاجتماعية الاخرى فيه كثير من الصعوبة لتعدد الاتجاهات والتخصصات ويمتزج هذا المفهوم ببقية المفاهيم الاخرى كالتقدم والتطور والتغيير .

فمفهوم التقدم كما يظهر لاول وهلة ان هناك مراحل متعاقبة وقد استعمل هذا المفهوم في البداية في الفكر الفلسفي ، ثم استعمل مفهوم التطور وهو اكثر موضوعية من المفهوم الفلسفي السابق في الفكر الفلسفي ، وقد تأثر هـــذا

(٥) وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية والاجتماعية ، وقائع الحلقة الدراسية في التخطيط الاقليمي والتنمية الاجتماعية ، بغداد ١٩٧١ ، ص ٥٣ .

(٦) شارل تبلهايم ، التخطيط والتنمية (ترجمة الدكتور اسماعيل صبري عبدالله ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦) ، ص ٦٢ .

المفهوم بالمشابهة بين الكائن الحي والمجتمع ، ثم ان هذا التطور يكون غير مخطط او مسيطر عليه ، وبعد هذا ظهر مفهوم التغير خاصة عند علماء الاجتماع وهو يمثل اكثر موضوعية عن مفهوم التطور — فقد ركز مفهوم التغيير على دراسة التحولات التي طرأت على المجتمعات بصورة اكثر وضعية من التقدم والتطور ، وظهر هذا المصطلح نتيجة الانتقادات التي وجهت لنظريات التقدم والتطور(٧) .

اما مفهوم التنمية ، فهو الاخر فيه اختلاف بشأن تحديد مفهومه ولهذا يتعذر وضع مفهوم واحد ، حتى ان الاختلاف في تحديد مفهومه يظهر عند انعقاد المؤتمرات العلمية(٨) .

لا ريب ان اختلاف تحديد هذا المفهوم يرجع لاسباب عدة ، منها اختلاف اراء العلماء باختلاف تخصصاتهم ، اضافة الى اختلاف الايديولوجيات، فالايديولوجية الرأسمالية ، تختلف في تحديد هذا المفهوم عن الايديولوجية الاشتراكية ، وكذلك فان اختلاف طبيعة المجتمعات فيما بينها يساعد على ظهور مفاهيم قد تلائم طبيعتها الاجتماعية والحضارية ، فالمجتمعات النامية لها مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية الخاصة التي تختلف عن المجتمعات المتقدمة .

مع هذا فهناك تعاريف متعددة يمكن ايجازها بما يلي من اجل الوصول الى تعريف اجرائي في هذا البحث .

---

(٧) انظر تفصيل ذلك في كتابنا ، نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية ص ٦٩ — ص ٩٥ .

(٨) انظر : احمد خليفة ، مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية (وزارة الشؤون الاجتماعية ، الادارة العامة للتخطيط ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦) ، ص ٢٤ .

(٩) الدكتور احمد الخشاب ، الطريق الصعب طريق التنمية (القاهرة : مكتبة الوعي العربي بلا سنة) ص ٢٤ .

تؤكد بعض التعاريف على ان التنمية عبارة عن تغير حضاري في طبيعة المجتمعات تتناول افاقا واسعة تهدف خدمة الانسان بتوفير الحاجات الضرورية[٩] .

بينما تعاريف اخرى تركز على الجهود ، اي انها نوع من العمل الاجتماعي لخدمة المجتمع[١٠] هذا التعريف اقرته هيئة الامم المتحدة حيث اشارت في احدى تقاريرها بانها الجهود المبذولة من قبل المواطنين والحكومة في سبيل تحسين احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمعات المحلية ، لتسهيل اندماج هذه المجتمعات في حياة الامة والمساهمة في تقدمها بقدر الامكان[١١] .

ان اهم ميزة للتنمية حسب المنظور الاشتراكي ، التأكيد على الشمول والعلمية والحساب الدقيق لكل مرحلة من مراحل التنمية ولهذا فالتنمية عندها تستهدف احلال التغير المتوازن في الانشطة والميادين عامة وفق حسابات علمية دقيقة تمثل بالنسبة لكل مرحلة انتقالة جديدة على طريق تحقيق المجتمع المنشود[١٢] .

من هذه التعاريف المختلفة نرى ان التنمية هي التغير الاجتماعي المخطط ، او هي الصيرورة الاجتماعية ، ونقصد بها التغير الاجتماعي والاقتصادي المخطط ، او بعبارة اخرى تغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المراد تنميته .

ولا بد من القول هنا ان التنمية الاجتماعية لها اهميتها ، فالغاية من التنمية اولا واخرا هو تنمية بشرية ، اما الجانب المادي فهو ليس الا وسيلة .

---

(١٠) صلاح مصطفى الفوال ، البداوة العربية والتنمية ، (مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٦٧) ص ٢٣ .

(١١) United Nations Document E/2931-Twentieth Report of Administrative Committee on Coordination to the Economic ans Social Council, 1959, Annex 3, p. 2.

(١٢) سلسلة الثقافة الثورية ، سياسة التنمية في العراق، سلسلة (٣٠) ص٤ .

الفصل الثاني

المعوقات الاساسية التي
تقلل من زيادة مشاركة المراة في عملية التنمية

تمثل المرأة نصف الثروة البشرية في العالم العربي ، وان مشاركتها في عملية التنمية تعوذ فوائدها عليها وعلى اسراتها وعلى مجتمعها باسره .

ان مشاركة المرأة بصورة ايجابية وفعالة داخل البيت وخارجه سوف تحقق التقدم للمجتمع من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن مدى هذه المشاركة في اطار المجتمع العربي ككل هي في الحقيقة دون المستوى المطلوب حتى انه في بعض اجزائه تكون مشاركتها بصورة محدودة للغاية(١٣) .

من الملاحظ ان اكثر التقارير والبحوث العلمية يؤكد على جانبين الاول طبيعة النظم والانساق الاجتماعية التقليدية السائدة في المجتمع ، والثاني هو طبيعة الاطار الحضاري او الثقافي للمجتمع . عند دراسة معوقات التنمية اضافة للعوامل المادية .

لقد اكد التقرير في مؤتمر تنمية العالم الثالث على ان النواقص المادية ليست هي الاساس ، وانما هناك طبيعة المؤسسات والنظم الاجتماعية من جهة والاوضاع الاجتماعية والنفسية من قيم وعادات وتقاليد وغيرها من جهة اخرى (١٤) .

---

(١٣) د . نجاة المرس سنباری ، تعليم المراة وعلاقته باحتياجات العالم العربي من القوى العاملة (بحث مقدم لمؤتمر قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي ، الكويت سنة ١٩٧٥ ، المنشور في مجلة الاداب ، (سورية) العدد الاول سنة ١٩٧٦ . ص ٨٩ .

(١٤) رونالد روبنسون ، تنمية العالم الثالث ، ترجمة عبدالحميد الحسن ، دمشق سنة ١٩٧٣ . ص ٧٦ .
لقد عقد مؤتمر كمبردج حول التنمية في ايلول سنة ١٩٦٥ .

ولهذا سيكون تركيزنا لدراسة معوقات مشاركة المرأة في التنمية على ناحيتين هما :

١ ـ دراسة معوقات الانساق والنظم الاجتماعية والاقتصادية التقليدية في المجتمع .

٢ ـ الاطار الحضاري (الثقافي) للمجتمع .

اولا : معوقات تكمن في طبيعة الانساق الاجتماعية والاقتصادية التقليدية السائدة في المجتمع :

لقد اعتاد علماء الاجتماع والانتروبولوجيا لتحليل طبيعة البناء الاجتماعي لاي مجتمع (باعتباره نسقا متماسكا) على دراسة النظم الاجتماعية المختلفة وبمعنى اخر ان داخل كل نسق هناك عدد من النظم الاجتماعية ، فمثلا النسق الاقتصادي يشتمل على عدد من النظم الاجتماعية تتركز حول النشاط الاقتصادي مثل نظام تقسيم العمل ونظام الملكية ، وهكذا الانتاج والاستهلاك والتبادل والنقود .. الخ . ولهذا فان دراسة النظم الاجتماعية في كل نسق من هذه الانساق التي يتألف منها المجتمع تساعدنا على اعطاء صور شاملة لدراسة اية ظاهرة وعلى فهم طبيعة المجتمع نفسه لانها ستعطينا صورة متكاملة عن الحياة الاجتماعية فيه(١٥) .

ولهذا سيكون تركيزنا على دراسة النظم الاجتماعية التالية للتعرف على ما يسود فيها من عادات وتقاليد وممارسات قد تكون معوقة في طريق مشاركة المرأة في عملية التنمية . وهي :

١ ـ نظم الاسرة : متعلق بالزواج والطلاق .

---

(١٥) انظر لتفصيل النسق System والنظم الاجتماعية Institution في المراجع التالية :
معجم العلوم الاجتماعية ص ٦٠٠ ـ ٦٠١ .
الدكتور احمد ابو زيد ، البناء الاجتماعي (الجزء الثاني ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧) ص ١ ـ ٢ ، ص ٣ ـ ٤ .

٢ ـ النظم الاقتصادية : كالبيع والشراء وتقسيم العمل والهبة والارث والملكية •

٣ ـ النظم السياسية ، كالسيادة ، والعلاقة بين الحاكم والمحكومين •

٤ ـ النظم الدينية والتشريعية والقضائية (كالعقائد والطقوس واقامة الشعائر) •

٤ ـ النظم التربوية والتعليمية ، المدرسة والتعلم والامية •

لا شك ان هناك كثيرا من الظواهر السلبية تكمن في طبيعة هذه النظم الاجتماعية بحيث لم تكن تساير طريق الاصلاح الجذري والثوري ، لان التنمية هي عملية تغيير واقع المجتمع من جميع جوانبه ، فظهور هذه الظواهر السلبية التي اعتاد عليها الافراد على شكل عادات وتقاليد واعراف تكون معوقة على الغالب •

لقد اكدت ورقة عمل اتحاد نساء العراق على ان اسباب تدني انتاجية المرأة العاملة دور المجتمع باجهزته وتنظيماته المختلفة كالاقتصادية والاعلامية والتربوية والاجتماعية[١٦] •

١ ـ النظم الاسرية :

ان هناك كثيرا من الظواهر الاجتماعية السلبية قد ترافق النظم الاجتماعية في حالة حدوث الزواج والطلاق وغيرها مما تقلل من مكانتها ودورها في المجتمع وتنظر اليها نظرة دنيوية تقلل الى حد كبير من مشاركتها في عملية التنمية •

ان نظم الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ، وما ينجم من كل ذلك من علاقات اجتماعية تعسفية وتسلطية ، قد حالت دون مشاركة المرأة في عملية البناء والتطوير مدة من الزمن ، وذلك لقوة العادات والدوافع المادية التي يجنيها المجتمع من هذه النظم •

---

(١٦) الاتحاد العام لنساء العراق ، ورقة عمل حول الصيغ العلمية لزيادة انتاجية المراة العاملة ، كانون الثاني ، ١٩٧٧ . ص ٣٢ .

ان نظم الزواج خاصة في المناطق الريفية له اثره على عدم مشاركة المرأة لان نظرته الى المرأة نظرة دنيوية تحط من مكانتها ، فهي الوسيلة المادية في حالات المشاجرات والمنازعات العشائرية ، وهي الوجه البارز من اوجه (الدية والفصل) ، فالاعراف والعادات تحدد طريقة وانواع الزواج في هذا المجتمع عن طريق الاتفاق (كصة بكصة) او زواج الخطف وغيرها من الانواع والاوجه التي تحط من مكانة المرأة[17] .

اما ظاهرة تعدد الزوجات ، فهي ظاهرة شائعة خاصة عند الريفيين ، ولا ريب ان لهذه الظاهرة اثارها على حرية الاسرة وتقضي على تماسكها ووحدتها لانها تخلق البلبلة وعدم الاستقرار والتنافر بين افراد الاسرة الواحدة وهذه الامور من معوقات مشاركة المرأة لمزاولة نشاطها المطلوب منها .

اما ، طبيعة العلاقات الاجتماعية ، فهي على الغالب علاقات تعسفية او تسلطية ، والرجل له الصداره ، قد تفسر هذه لاعتبارات غير علمية بيولوجية ، ولكن لا يمكن ان تفسر الا من ناحية اجتماعية ، فهي قامت لاعتبارات اجتماعية تعززها طبيعة المجتمع من اعرافه وتقاليده ، ولهذا اصبح من حق الرجل الطلاق دون المرأة ، والمرأة ليس لها رأي في الزواج خاصة في المناطق الريفية[18] .

لهذا فقد خطت حكومة الثورة خطوات ايجابية عن طريق تعديل قانون الاحوال الشخصية الثاني[19] من اجل تحرير المرأة ومساواتها بالرجل لكي تنسجم هذه الامور مع روح العصر ومرحلة التغير الاجتماعي التي يجتازها

---

(١٧) انظر : الدكتور شاكر خصباك، الاكراد (بغداد ، مطبعة شفيق سنة ١٩٧٢) ص ٤٦٠ — ص ٤٦٤ .

(١٨) Firth, Human Types (London : 1951) pp. 100—101.

(١٩) لقد اصدر مجلس قيادة الثورة ، تعديل قانون الاحوال الشخصية رقم (٢١) لسنة ١٩٧٨ ، وهذا القانون يعتبر تعديلا للقانون رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ ، والذي يعتبر من احد العوامل التي تعيق تقدم المراة وتعرقل سيرتها التحررية .

القطر ، وبهذا فان هذا القانون قد قدم المقومات الاساسية لتمكين المــرأة بصورة فعالة من المشاركة الفعالة في التنمية وتطوير المجتمع •

لقد ازال القانون المذكور الزواج بالاكراه او الزواج الذي يقــوم خارج المؤسسات الرسمية لاعتبارات ترتبط بالعادات ولدوافع مادية غــير مشروعــة •

٢ ــ النظم الاقتصادية :

لقد دلت الاحصاءات على ان عدد الاناث اكثر من عدد الذكور بالنسبة للمناطق الريفية في العراق[٢٠] ، ولكن بالرغم من هذه الزيادة فلا زال العدد يمثل نقصا في منظور التنمية الاجتماعية والاقتصادية •

ان كثرة النساء في القطر لا تعني الاستفادة من هذه الموارد البشرية ، لان هذه الموارد لم تستغل في خدمة التنمية ، ويعزي ذلك لاسباب اجتماعية واقتصادية ، فالوضع الاجتماعي للمرأة يحول احيانا دون وصول طاقاتها الكاملة الى ميدان الانتاج والمشاركة الايجابية في مختلف المجالات الاقتصاديــــة والسياسية والاجتماعية والفكرية ، ان وجود القيود المجتمعية من قيم وممارسات تكبل نشاط المرأة وتحول دون مساواتها الفعلية مع الرجل لهذا اخذت حكومة الثورة على عاتقها مهمة القضاء على كثير من القيم والممارسات الضارة والاهتمام بتعميق قيمة حب العمل الجماعي والمشاركة وغيرها[٢١] •

لا شك ان طبيعة عمل المرأة تختلف حسب البيئات الاجتماعية وحسب الزمن ، فان المرأة الحضرية تختلف عن المرأة الريفية في مدى المشاركة ونوع العمل وحريته ، ومع هذا فان طبيعة الحياة الاجتماعية السائدة في الريف خاصة قد تحول دون الاستفادة من عمل المرأة ومشاركتها •

---

(٢٠) وزارة التخطيط ، دراسة تفصيلية حول واقع القوة العاملة وتطورها في العراق سنة ١٩٧١ ، ص ٣٠ ــ ٣٤ •

(٢١) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ص ١٥٧ ــ ص ١٦٠ (الفصل الخامس مسيرة التحولات) •

ان طبيعة الحياة الاجتماعية في المناطق الريفية تجعل العمل جمعيا حيث تشارك الاسرة بكاملها كوحدة انتاجية في العمل ، ودور المرأة هنا واضح في مساعدة زوجها وفي تحصيل قوت العائلة ، وهي تقوم بالاضافة الى واجبات بيتها باعمال اخرى كالحرث والتسميد وغيرها وهي على الغالب تعتمد على الالات والادوات البسيطة(٢٢) .

من هذا يتضح واقع العمل الجمعي وعدم وضوح ظاهرة تقسيم العمل ، لان الاسرة كلها تشتغل والمرأة خاصة تقوم بالدور الكبير بهذه المساهمة لكن التقاليد والعادات تجعل للرجل ميزة على المرأة بالاضافة الى حاجة العمل الزراعي الى ايدي عاملة بالنسبة للاسرة مما يدفع الى تعدد الزوجات ومما يدفعه الى الزواج بفتاة اصغر منه لتساهم معه في الحقل(٢٣) .

اما من حيث الملكية الشخصية ، فطبيعة النظام الاقتصادي التقليدي لا يشجع على الملكية الشخصية ، ولا يشجع العمليات الفردية ، فهناك انظمة للوراثة مبعثها اعتبارات اجتماعية فمثلا ان (نظام المحاصة للوراثة) في محافظة السليمانية ، يمنع الاب من توزيع حصته من الارض على اولاده ، وهذا يجعل الابناء دائما يتعاونون فيما بينهم ويستمرون على العيش حتى بعد وفاة الاب ، لانهم كوحدة اقتصادية(٢٤) .

ولكن بعد الثورة ونتيجة لتغير طبيعة المجتمع فان مجال مساهمة المرأة في النشاطات المختلفة قد اتسع لحد كبير ، فاسباب عدم المشاركة قد شخصت من قبل حكومة الثورة وارجعت للمجتمع ككل ، لان طبيعة عدم المشاركة هي محصلة الظروف الموضوعية الراهنة ، لان القدرة الذاتية للمرأة الان في

---

(٢٢) انظر : الدكتور علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي (بغداد ، مطبعة العاني عام ١٩٦٢) ص ٢٠٦ .

(٢٣) الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس (مطبعة الامة ، بغداد سنة ١٩٧٤) ، ص ٨٦ .

(٢٤) الدكتور شاكر خصباك ، الاكراد ، ص ٢٥٥ .

المجتمع ، هي محصلة الظروف الموضوعية ، والجوانب الاساسية من النقص فيها تقع المسؤولية فيها على المجتمع ككل ، وليس على المرأة وحدها[٢٥] .

ولهذا كان مساهمة المرأة في النشاطات المختلفة قد تغير بعد الثورة نتيجة لتغير حركة المجتمع في الاصعدة المختلفة ، فقد طرأت زيادة كبيرة على عدد المشتغلات في اجهزة الدولة ففي عام ١٩٧٢ كان عدد المشتغلات (٤٨) الف ، بينما في عا م١٩٧٦ وصل الى (٧٨) الف .

اما عن مجال مساهمة المرأة في حملات العمل الشعبي وحملات البناء فقد زاد بزيادة تطور المجتمع . هذا الى ان الخطة القومية ٧٦ ـ ١٩٨٠ قد اولت رعاية المرأة اهمية خاصة وذلك بتقديم خدمات لمراكز الرعاية الاجتماعية والاهتمام بشؤون التدبير المنزلي ، والخياطة ، والحياكة وتنظيم الندوات الثقافية والاجتماعية وفتح مجالات المساهمة في فرص التأهيل والتعليم والتدريب دون تمييز بينها وبين الرجل[٢٦] .

٣ ـ النظم السياسية :

لا شك ان مدى مشاركة المرأة يرتبط بطبيعة النظم السياسية التقليدية السائدة والتي لها من الرواسب الذهنية والتقاليد البالية .

لقد عانت المرأة من عدم المشاركة في النشاطات السياسية والاجتماعية لفترة طويلة ، لان الظروف الاجتماعية لم تستطع في ظلها ان يكون لها دور فعال في هذه المشاركة لعدم توفر الظروف الموضوعية لبناء المنظمات الاجتماعية لكي تؤدي المرأة من خلالها دورها السياسي والاجتماعي .

---

(٢٥) السيد النائب صدام حسين ، عن الثورة والمرأة ، ص ٧٥ .

(٢٦) من حديث السيد عدنان حسين وزير التخطيط ، في جريدة الثورة رقم (٢٩٥٠) وبتاريخ ١٩٧٨/٣/٩ ص ٤ .

Hobhouse, L.T., Social Development pp. 256—262.

لقد ايد عالم الاجتماع ماكيفر دراسة كل من رادكليف براون ودراسة مالينوفسكي عن النظم السياسية وطبيعة المجتمع وما يسود فيه من روابط قرابية .

لقد ايد علماء الاجتماع والانثروبولوجيا ان طبيعة النشاطات السياسية ما هو الا انعكاس لطبيعة المجتمع نفسه في مظاهر اجتماعية وما يتطلبه من حقوق وواجبات الافراد تجاه مجتمعهم ، ومن عادات وتقاليد ومظاهر اخرى كل هذه الامور تتداخل بصورة متكاملة للبناء السياسي ونشاطاتها(٢٧) .

ان المرأة في ظل هذه المجتمعات التقليدية تكون عادة محرومة عـادة من كثير من الحقوق ، فنظرة المجتمع اليها ليس بالمستوى الذي تؤديه في مشاركتها الفعالة في النشاطات الاقتصادية والاسرية ،ومرد ذلك انها مقيدة بعـادات وتقاليد اجتماعية تحدد سيرتها في المجتمع ولهذا كان مردود هذه النظرة ان تفشت الامية بين صفوف النساء بشكل فعال لان المجتمع يرى في تعليم المرأة خطرا يؤدي الى افسادها .

لقد ارجعت بعض الدراسات الميدانية في العراق اسباب عدم مشاركة المرأة في الحياة السياسية والادارية والقيادية ، الى دور الرواسب الذهنيـة والتقاليد البالية التي حالت دون وصول المرأة لتحتل مكانتها السياسـية والادارية مما جعل نظرة المجتمع اليها بانها لا تستطيع ان تتحمل طبيعة الاعمال المناطة بها ، بالاضافة الى ان البناء الفسيولوجي لا يساعدها على ذلك .

والواقع ان الحجج القائلة بعدم مقدرة المرأة على تحمل الاعمال والذي يعد عائقا دون مشاركتها حجج باطلة لا تساندها الادلة العلمية فقد اظهرت الدراسة بان بعض النشاطات الادارية التي مارستها المرأة والتي ينظر اليها على انها صعبة قد نجحت المرأة في ادائها على احسن وجه(٢٨) .

---

(٢٧) MacIver, R.M., The Web of Government, the Macmillan Company, New York, 1947.

انظر الترجمة العربية للدكتور حسن صعب ـ تكوين الدولة / بيروت ، ١٩٦٦ ص ٥٦ .

(٢٨) المركز القومي للاستشارات والتطور الاداري ، دور المرأة في النشاطات الادارية في العراق ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

لقد تغيرت مشاركة المرأة في النشاطات السياسية والقيادية بعد الثورة واصبحت تلعب دورا كبيرا ، فان لها دورا في الحركة الوطنية والسياسية ، واصبح من الضرورة مشاركة ومساهمة المرأة في النقابات ونشاطها النقابي ولو انه لم يكن دون المستوى المطلوب[٢٩] .

والاتحاد العام لنساء العراق قد اخذ على عاتقه تذليل الصعوبات من اجل اسهام المرأة الجاد في عملية التنمية ، وهو يقوم بتوعية الجماهير النسوية من خلال الندوات والاحتفالات والنشرات وغيرها من دفع المرأة للمساهمة الجادة وممارسة حقوقها السياسية[٣٠] .

٤ ـ النظم التشريعية والقضائية والدينية :

ان النظم التشريعية والقضائية والدينية هي من النظم المهمة التي توجد في المجتمعات بانواعها المختلفة ، ولهذه النظم فائدة في تماسك افراد المجتمع وفي تفسير كثير من الظواهر التي تراود تفكير الافراد ، بالاضافة الى اهميتها في تقوية النفوس والسيطرة على صعوبات الحياة ، بالاضافة الى ان هذه النظم تعتبر من وسائل الضبط الاجتماعي فهي التي تحدد مجالات العقاب والثواب والخير والشر ، بحيث يكون تأثيره فعالا على افراد المجتمع[٣١] .

ولكن البيئة الاجتماعية والمستوى التعليمي المنخفض يساعد على تداخل كثير من المفاهيم والانماط السلوكية الغريبة عن الدين كالتفكير الخرافي والاسلوب غير العلمي حتى ان بعض البحوث التجريبية قد اظهرت ان هذا التفكير يسود بين الريف والمدينة والذكور والاناث وان اختلفت درجة الانتشار بينهما لكن هذا التفكير يعوق عملية التنمية[٣٢] .

---

(٢٩) سعاد خيري ، المرأة وافاق التطور في العراق ، بغداد سنة ١٩٧٥ ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٣٠) الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس . ص ٩٣ .

(٣١) Kingsly, Davis, Human society, the Macmillan Co., 1950.
انظر الدكتور علي فؤاد ، علم الاجتماع الريفي ص ١٦٠ ـ ص ١٦١ .

(٣٢) الدكتورمحمد نبيل نوفل، بحث العوامل الاجتماعية والنفسية التي تعوق التنمية ، بحث مقدم للمؤتمر الفكري الاول للتربوين العرب بغداد سنة ١٩٧٥ ، ص ١٤ .

لو رجعنا الى اسباب انتشار هذا التفكير غير العلمي نلاحظ هناك عوامل متعددة تداخلت في ايجاد مثل هذه الظواهر ، منها ضعف الوعي السليم ، ووجود الاستعمار والاقطاع ، بحيث اصبح التفكير يركز على النواحي الغيبية ولا يتناول طبيعة الحياة الاعتيادية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والصحية[٣٣] .

ان المرأة في المجتمع خاصة الريفية منها تكون غير متعلمة والامية منتشرة عندها بصورة كبيرة ، مما ساعد على تقبل كثير من الظواهر غير العلمية في تفسير مصاعب الحياة مما اثر على نفسيتها وعلى سير اعمالها وعلى صحة اولادها ، فالاحجبة والاخذ بالسحر وغيره مظاهر سلوكية تزاولها مما ساعد على تأخرها وتخلفها .

وعلى هذا الاساس يصبح لزاما الربط بين التعاليم الدينية وواقع الحياة الدينية ، بحيث يمكن تحويل كثير من الظواهر السلبية بين المواطنين الى عامل يوحد جهودهم نحو الحياة الايجابية الفعالة .

ان توعية رجال الدين بايديولوجية المجتمع وفلسفته الاصلاحية عن طريق برامج تدريبية تتفق مع دورهم في القيادة الدينية للمجتمع تؤدي الى مساندة رجال الدين لنشاط وتنمية المجتمع مسانده كبيرة[٣٤] .

اما من النواحي القانونية والتشريعية ، فنلاحظ ان قانون الاحوال الشخصية السابق كان من العوامل المعوقة لمشاركة المرأة في التنمية .

ان الاوضاع القانونية والتشريعية قد اهملت حقوق المرأة وشلت قابليتها الانتاجية وجعلت منها اداة تحمل الخرافات والغيبيات وواسطة لنقل السلوكيات السلبية الى الاجيال التي تقوم بتربيتها .

---

(٣٣) الدكتور علي فؤاد ، علم الاجتماع الريفي ، ص ١٦١ — ص ١٦٣ .

(٣٤) دكتور الفاروق زكي يونس ، تنمية المجتمع في الدول النامية ، مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٦٧ . ص ٢٧٣ — ص ٢٧٤ .

ولا شك ان هذه الوضعية هي انعكاس لطبيعة المجتمع ولهذا فأن نظرة الرجل الى المرأة تكون نظرة دنيوية ومعاملتها تكون معاملة قسيئة حتى انه ينظر اليها كتابع ومتاع له وكان لهذا اثره الواضح على المرأة وعلى تربية اطفالها وعلى مقدار مشاركتها في تنمية المجتمع(٣٥) .

من هذا نستنتج ان القوانين والتشريعات وليدة ظروف معينة ، واذا قامت ثورة ولها ايديولوجيتها في تغيير المجتمع وهي مختلفة عن الظروف السابقة يتحتم عليها اعادة النظر في الاوضاع السابقة لكي تستطيع ان تحدد طريقها ، ولهذا كان قانون الاحوال الشخصية الثاني عام ١٩٧٨ ضرورة اساسية لتعجيل من مسيرة مشاركة المرأة في هذا المجتمع الجديد ، الذي ظهرت فيه انماط من السلوك من العلاقات وفي جميع المجالات ، لهذا اصبح ظهور هذا القانون وبقية الاصلاحات الاخرى ضرورة علمية لانه يستند الى نظرة شمولية، من نظرة تنطلق من واقع المجتمع وتعود اخيرا اليه .

٥ ـ النظم التربوية والتعليمية :

للتربية والتعليم اهميتها في تحديد مشاركة المرأة في عملية التنمية ، والتربية تعد كظاهرة اجتماعية ، فحيثما يتواجد الفرد فهو في حالة تفاعل مع غيره من افراد مجتمعه ، والتربية هي كظاهرة لانماط التعامل والضوابط التي تشكل طبيعة العلاقات الاجتماعية ، وهي تزود الافراد بانماط فكرية وسلوكية معينة ، فالتربية اذن موجودة في كل مجتمع يتناقلها الافراد جيلا بعد جيل .

اما التعليم فهو المحتوى العلمي للتربية ، واذا اردنا تحديدا ادق فهو المظهر الرسمي للتربية يتمثل ذلك في دور العلم والمؤسسات المختلفة(٣٦) .

---

(٣٥) الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس ، بغداد سنة ١٩٧٤ ، ص ٩٢ .

(٣٦) Durkhiem, Eduction Sociology, Trans. by S.D. fox Glencoe, The free press, 1956.

ان التربية الاجتماعية السائدة في العراق تمثل اتجاهات تربوية نابعة من طبيعة المجتمع ، تؤكد بصورة خاصة على سلطة الرجل وخضوع المرأة لـه بتبرير من المجتمع وقبوله ، ان هذه السيطرة وليدة ظروف اجتماعية للبنيـة الاجتماعية المتمثلة بالتخلف الاجتماعي والاقتصادي والفكري[٣٧] .

فالمرأة بصورة عامة كانت وظيفتها تربية الاطفال والاهتمام بالبيـت ومساعدة زوجها بالاعمال ، وبمعنى اخر لم يكن للمرأة مركز اقتصادي واضح ولم يكن لديها تقسيم عمل يميز عملها ، فهي تشتغل بكل الاعمال ولكنهـا تابعة للرجل والتشريعات والاعراف تحرمها من ابسط الحقوق في الملكية وابداء رأيها في الزواج والطلاق وغيرها .

ان كل هذه التقاليد والعادات الاجتماعية في تربية المجتمع كان له الاثر الاكبر في تحديد مساهمة المرأة في جوانب الحياة ، حتى ان التربية الاجتماعية تحرمها من التمتع بالحقوق الطبيعية في التعليم والملكية وغيرها .

لا شك ان تأثير هذه التربية يختلف في الريف عن المدينة بل ان تأثير هذه التربية الاجتماعية تضعف اينما تحل الصناعة والتحضر فيزداد اقبال المرأة على مناهل العلم ، وهذا ما نلاحظه في مراكز المحافظات وبعض المناطق الاخرى مما يدل على زيادة مساهمة المرأة في مناطق المنشآت الصناعية[٣٨] مما يستوجب التوزيع والتخطيط الاقليمي للمنشأة الصناعية بحيث تتمكن المرأة من مشاركتها في عملية التنمية . اما النظام التعليمي فكان الى حد قريب وقبل ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ يتركز بصفة عامة في المراكز الحضرية اكثر من المراكز الريفية وللذكور اكثر من الاناث .

الدكتور احمد الخشاب ، الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي .

(٣٧) الدكتور سلوى الخماش ، المراة العربية والمجتمع التقليدي المتخلف ، بيروت سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٦ .

(٣٨) انظر جدول احصاء الصناعات الكبيرة لعام ١٩٧١ .

واهم من هذا فاذا تحقق تكافوء الفرص التعليمية بين الحضر والريف فان الريفيين قد لا تساعدهم ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية ، هذا الى ان ابناء الريف المتعلمين نراهم يحاولون الابتعاد عن بيئاتهم الاجتماعية بدلا من ان يساهموا في اثراء وانماء بيئاتهم •

اما بالنسبة للمرأة فان اتجاهات الريفيين بصورة عامة عن تعليم المرأة يكشف لنا حقيقة وهي قوة التقاليد والعادات ، بأعتقادهم ان مكان المرأة هو المنزل ويمكن القول بان هذه الظاهرة عامة لبعض الاحصائيات في بعض الاقطار العربية فان نسبة المتعلمات من الاناث في الريف من جملة المتعلمين هي ٢٥٪ ، بينما نسبة المتعلمات من الاناث من جملة المتعلمين في المراكز الحضرية هو ٥٠٪ ، وهذا يكشف لنا في الوقت نفسه المدى الشاسع بين الريف والمدينة من وجهة تعليم المرأة[٣٩] •

تتفق اغلب الدراسات[٤٠] على وجود معوقات كالتقاليد التي لا تبيح بدخول البنت الى المدرسة لاسباب يفسرها المجتمع بحجج متعددة بالاضافة الى ان قلة الخدمات التعليمية وانعدامها خاصة في المناطق الريفية ، مع ظروف اجتماعية واقتصادية تساعد على عدم اقبال المرأة في التعليم •

ان الجدول الاحصائي الخاص[٤١] عن عدد المدارس والنسب المئوية للذكور والاناث في المرحلة الابتدائية يدل دلالة واضحة على تخلف المرأة في هذه الناحية ، ففي سنة ٦٧/٦٨ نرى نسبة البنين في المدارس يمثل ٥ر٧٠٪ اما الاناث فلا تتعدى نسبتهن عن ٢ر٣٥٪ بينما بعد عشر سنوات ٧٦ر٧٧ كانت نسبة البنين ٧ر٧٤٪ بينما البنات ٢ر٣٥٪ •

---

(٣٩) الدكتور احمد الخشاب ، علم الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي ، ص ٢١٩ ـ ص ٢٢٠ ، ص ٢٢٣ •

(٤٠) دراسة الدكتور اكرم نشأت وجماعته عن (دراسة معوقات الاقبال على التعليم الابتدائي في العراق) وزارة التربية ، المديرية العامة للتخطيط التربوي ـ قسم التوثيق والدراسات عام ١٩٧١ ص ٢٥ •

(٤١) كتاب الجيب الاحصائي عام ١٩٧٦ ، لوزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء جدول رقم (٥٦) •

وقامت حكومة الثورة بجملة من القرارات الثورية في زيادة مساهمة المرأة في التنمية منها على سبيل المثال قانون رقم (٩٠) لعام ١٩٧٥ بمساواة المرأة بالرجل في الحقوق والالتزامات المالية والوظيفية كما اقر مجلس التخطيط رقم ١٣ بتاريخ ١٩/١/٩٧٥ اعطاء الاولوية في التعيين في عدد من الوظائف التي تناسب طبيعة واستعداد المرأة ، بالاضافة الى قانون الاحوال الشخصية الثاني والذي يعتبر خطوة فعالة لتحسين احوال المرأة ولزيادة مساهمتها •

بالاضافة الى هذه المساواة في فرص التعليم ، فان مشكلة الامية قد اخذت مسارها نحو العمل عند حكومة الثورة باقرارها مشروع التعليم اللالزامي في القطر ومكافحة الامية التي ورثت من عهود سابقة فقد اشار التقرير السياسي بان (الاساليب الكلاسيكية في محو الامية لا يمكن ان تحل هذه المسألـة حلا جذريا ولابد من القيام بحملة وطنية شاملة يقودها الحزب وتشترك فيها المنظمات الشعبية الكبرى ومؤسسات الدولة المختصة للقضاء على الامية قضاءا مبرما وخلال برنامج زمني محدد)[٤٢] •

ثانيا : المعوقات في الاطار الثقافي للمجتمع :

ان مفهوم الحضارة والثقافة يختلف باختلاف اراء العلماء ولابد في هذا المجال ان نحدد المفهوم الشائع للثقافة والحضارة عند تايلور حيث جاء تعريف شامل وجامع من اجل تحديد المعوقات الكامنة في الاطار الثقافي •

يعرف تايلور الثقافة (هو ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعلومات والمعتقدات والفنون والقيم والقوانين والتقاليد وجميع القابليات والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في مجتمع مـا)[٤٣] •

ومن التعريف نستطيع ان نتلمس ان هناك ثلاثة عناصر اساسية يتفق عليها بانها هي المعوقات الاساسية في التخلف وهي كما يلي :

١ ـ معوقات في طبيعة المعلومات والمعرفة (اي معوقات ثقافية) •

---

(٤٢) التقرير السياسي •

(٤٣) Tylor, E. B., Primitive Culture, London, 1871.

٢ ـ معوقات في طبيعة (الفنون) أي في طبيعة النشاطات الاقتصادية يتمثل ذلك في نظرتها للعمل وطبيعته ، ومعوقات تكمن في طبيعة اعمالها او معوقات بيولوجية ونفسية واقتصادية واجتماعية كل ذلك يمكن ان يدخل ضمن (المعوقات الاقتصادية) .

٣ ـ معوقات تكمن في طبيعة القوانين والتقاليد والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع (وهذا يمكن ان نطلق عليه « معوقات اجتماعية ») .

لقد اكد التقرير السياسي حول موضوع تخلف المرأة (ان مشكلة تخلف المرأة العربية ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا هي الان اخطر معوقات النهضة العربية المعاصرة ..)

ومن هذا المنطلق سنركز على هذه المعوقات الثلاث :

١ ـ المعوقات الثقافية (في طبيعة المعلومات والمعرفة المكتسبة)

ان اهم ما تحتاج المرأة اليه في طريق زيادة مساهمتها الفعالة في المجتمع هي المعرفة والعلم . (لان المرأة ما دامت تعيش في ظل الامية فهي من الصعب ان تشعر بان لها حقوقا او ان تحسن استخدام هذه الحقوق او المحافظة عليها بالرغم مما يقدمه المفكرون والمنظمات لزيادة وعي المرأة والشعور بحقوقها المهضومة ، فالامية هي داء تجعل صاحبه لا يرى الامور على حقيقتها .

لا ريب ان تعليم المرأة واعطاءها المعلومات والمعرفة تختلف بين قطر واخر وبين اجزاء القطر الواحد من ريفه الى حضرية وحتى احيانا بين نفس المدن او الريف ، لان الاوضاع الاجتماعية لها اثرها في اعطاء فرص التعليم للمرأة . الا اننا نستطيع ان نقر بان الاتجاه العام في اغلب الاقطار العربية يقضي بتعليم المرأة ولم يعد ذلك عداء سافر كما كان من قبل ، ولكن لا يزال هذا الاتجاه يأخذ طابع الفتور وعدم اللامبالاة(٤٤) هناك كثير من المعتقدات الاجتماعية تدور حول اتجاه عدم تعليم المرأة فيرجعه بعضهم الى عوامل دينية ، واخرى

(٤٤) الدكتور محمد النويهي ، مشاكل تحرير المرأة في المجتمع العربي المسلم ، من بحوث مؤتمر (بين التقليد والتجديد) المنعقد في جامعة الخرطوم ص ٢٧٤ .

لنواح اخلاقية والثالث لنواح اسرية . وعلينا ان نعتقد بان هذه الادعاءات لم يكن يسندها الادلة العلمية ، حتى ان الاديان السماوية تحث على المعرفة وطلب العلم ففي الحديث النبوي (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) دلالة واضحة على اهمية التعليم .

وكذلك بالنسبة لادعاءات الاخلاقية والاسرية فان كرامة الانسان وشرفه يزداد بالعلم والمعرفة حيث يؤهله على تدبير اموره وما يلاقيه من مصائب ، اما من ناحية عمل البيت ، فأن عمل المرأة له اهميته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، بالاضافة الى انها تستطيع ان تضع اسسا تخطيطية لاسرتها في الانفاق وعدم التبذير[٤٥] .

٢ ـ معوقات في طبيعة نشاطاتها الاقتصادية :

ان تأثير التقاليد والعادات الاجتماعية في تحديد مسارات النشاطات الاقتصادية للمرأة لها اثرها الكبير .

بالرغم من نشاطات المرأة في المجالات الاقتصادية في المناطق الريفية ، فهي تساعد الرجل في اغلب المجالات الاقتصادية بالاضافة الى اعمالها في البيت ، ولكن هناك عادات وتقاليد تجعل من المرأة تابعة للرجل وليس لها من الاستقلال الاقتصادي او التملك والتصرف لان المجتمع لعاداته وتقاليده يقر ذلك ، ولهذا يكون تحرير المجتمع من هذه العادات والتقاليد المعوقة تحريرا للرجل وتخلصه من هذه المعوقات نفسها[٤٦] .

---

(٤٥) الدكتور محمد النويهي ، المرجع السابق ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٤٦) هناك وجهات متعددة لاصلاح اوضاع المراة منها :

١ ـ انها قضية نسوية اي ينظر اليها بنظرة منعزلة .

٢ ـ (الاضطهاد النسوي المركب) اي تدخل باسم المشكلة العامة للاضطهاد والاستغلال .

٣ ـ (التقدمية الزائفة) اي الاكتفاء بالمظاهر دون الجوهر .

٤ ـ (النظرة الضيقة للتمييز الجنسي) على اساس انها تابعة للرجل .

الدكتور الياس فرح ، المراة في فكر ونضال حزب البعث العربي الاشتراكي ، بيروت ص ٨ ـ ٩ .

بالاضافة الى التغير الحاصل في بنية المجتمع ، فأن هناك تشريعات عدة صدرت لضمان حق المرأة في العمل والاجور والتشغيل بالاعمال مع مراعاة اوضاعها ومنحها الاجازات وغيرها ولكن بالرغم من هذه الاجراءات فلا زال مجموع المشتغلات اقل من الطموح ، ولو ان اعدادها اخذت بالزيادة المستمرة كما هو واضح في الجداول التالية :

نسبة المشتغلات في المجالات الصناعية

الصناعة	النسبة المئوية من مجموع المشتغلين
المنسوجات	٢٣٪
خياطة الملابس	٤١٪
صناعة وتجميع الساعات	٣٢ر٣٪
صناعة المواد الغذائية	٣١٪
صناعة التبوغ	٢١٪
الصناعات التحويلية الاخرى	١٦٪

اما نسبة المشتغلات في المجالات المهنية :

المجموعات المهنية	النسب المئوية من مجموع المشتغلين
المدرسات والمعلمات	٣٣ر٦٪
الاطباء والصيادلة	٣٠ر٨٪
الفنيين بالطب	٢٨ر٧٪
الكيمياويين والفيزياويون	٢٥ر٢٪

اما نسبة مساهمة المرأة في العمل الزراعي حسب احصائية ١٩٧١ فتبلغ ٤٥٪ من مجموع المشتغلين[٤٧] .

ولكن التخطيط الاشتراكي الشامل في القطر مستمر من زيادة مساهمة المرأة لكي تؤدي دورها في تحقيق المجتمع الاشتراكي .

٣ ـ المعوقات الاجتماعية (المتمثلة في التقاليد والقيم وما يسود عنها من قوانين) .

هناك انواع من القيم والتقاليد تتحكم في انماط وسلوك الافراد وهذا السلوك يكون حكمه مثل القوانين له صفة الالتزام والطاعة .

ان القيم المتعلقة بالمرأة تكون على الغالب كثيرة ولها حساسية خاصة ، مما تمنعها عن مزاولة دورها المطلوب في مجتمعها ، لان طبيعة التنمية تكون شاملة ، وهي تحتاج الى مشاركة المرأة في تطوير العملية التغييرية في المجتمع ولهذا فأي نظرة تحدد من نشاطها وتعزلها عن طبيعة حركة المجتمع لاسباب غير علمية هي نظرة عائقة في طريق التنمية .

لقد اقرت ورقة العمل المعدة من الاتحاد العام لنساء العراق في اكثر من مجال اهمية العوامل الاجتماعية في الحد من انتاجية المرأة العاملة فانها عوامل اجتماعية وتربوية وفكرية وثقافية متشابكة . حتى ان اثر هذه العوامل قد امتدت الى عملها مما اثر على انتاجيتها مما (جعل الكلفة المادية والمعنوية المباشرة لعملها تزيد على الفوائد المباشرة التي تتحقق لها منه)[٤٨] .

---

(٤٧) الاتحاد العام لنساء العراق ، المراة وعام ١٩٧٥ ، ص ١٢ ـ ص ١٤ .

(٤٨) الاتحاد العام لنساء العراق ، ورقة عمل حول الصيغ العملية لزيادة انتاجية المراة العاملة . ص ٢ .

اما تفسير ذلك فيمكن ان يرجع الى صراع القيم التقليدية الذي امتد تأثيره على العمل نفسه ، وبين القيم التي اثبتت عن طريق التغيير الاجتماعي المخطط لتغيير طبيعة وبنية المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية • ولعل هذا التصادم يفسر لنا احيانا القلق النفسي بين ظروف حياتها التقليدية وبما يحيط بها من مسؤوليات واعباء سرية تنتظرها قبل وبعد خروجها من العمل ، وبين القيم الجديدة التي تحمل في طياتها قيم جديدة نحو العمل والزمن والانتاج(٤٩) •

وبعد هذا لابد من القول ان التخطيط الشامل لابد ان يشمل كل جوانب الحياة كما سنطرحه في الفصل الثالث ، ولكن تبقى ناحية علمية مهمة هي ان تغير هذه القيم والعادات لم تكن باستطاعتها ان تسير بنفس المسيرة في النواحي الاقتصادية والنظرة الى العمل واتناجه ، فهذا يحتاج الى زمن والى تضحية ، ولا شك ان القانون والتشريع سوف يسرع في العملية ويغرس مفاهيم اجتماعية او ان يغير طبيعة العلاقات الاجتماعية المتخلفة لهذا اكدت اغلب البحوث الاجتماعية على ضرورة الموازنة بين تغيير الجوانب المادية والجوانب المعنوية في عملية التخطيط بحيث تسير على نفس الوتيرة من دون ان يحدث (هوة) او فجوة حضارية تؤدي الى ظهور مشاكل اجتماعية ينعكس اثره على العمل وانتاجيته •

الفصل الثالث

الاساليب النظرية والعملية لزيادة مساهمة المراة في عملية التنمية

اولا ــ الاساليب النظرية :

ان اتباع هذه الاساليب النظرية سوف يساعدنا كثيرا على حل كثيرا من المعوقات لمساهمة المرأة في عملية التنمية ويمكننا ايجازها بما يلي :

(٤٩) الدكتور احمد الخشاب ، الاجتماع التربوي ص ٤٩٦ •

١ ــ التفهم العلمي للظروف السائدة :

ان التفهم العلمي يكون عن طريق الدراسات النظرية والميدانية من اجل اختيار الاسلوب والنموذج والادوات والبيانات اللازمة •

ان حساب الظروف وتقديرها تقديرا علميا ومحاولة التحكم فيها بحيث يمكن التنبوء الى حد كبير لمقدار النمو ، وبمعنى اخر لابد ان يكون الانسان عنصرا فعالا في توجيه الظروف والتقليل من الظواهر السلبية ومؤثراتها وليس مجرد الاذعان لمتطلبات البيئة الطبيعية والاجتماعية وظروفها •

لقد اكدت الدراسات على[٥٠] ان سكان الريف بصورة خاصة خاضعة لسلطان الطبيعة ويكونون في حالة استسلام مما يجعلهم متمسكين بالتقاليد الموروثة • وهذا مما يضعف عندهم روح المسؤولية الاجتماعية ، والتماسك الاجتماعي •

٢ ــ التأكيد على تغيير القيم لتتمشى مع التغير الثوري الجذري ومنجزاته وذلك باتباع الوسائل التالية :

آ ــ الاهتمام بوسائل الاعلام من تمثيليات ومسرحيات واذاعة التي تؤكد على دور المرأة في المشاركة • فان طبيعة القيم الاجتماعية المتخلفة عن واقع المجتمع وتطوره لابد ان يجري تطويرها لكي تغرس القيم الجديدة المنبعثة من روح العصر الجديد الثوري حيث تجعل انذاك من الافراد قوى ضاغطة تطالب بالمشاركة والمساهمة في عملية التنمية والاسراع في تقديمها[٥١] •

---

(٥٠) الدكتور حامد عمار، اسس التخطيط الاجتماعي في النطاق القومي والمحلي ص ١٥ ــ ١٦ •

(٥١) الدكتور محمد ابراهيم كاظم ، التطوير القيمي وتنمية المجتمعات الريفية (من المجلة الاجتماعية والجنائية ــ الجمهورية العربية المتحدة ــ العدد الثالث ، المجلد السابع ١٩٧٠) ص ٤ •

ب ـ الحوار الديمقراطي المقنع : لا ريب ان الحوار الديمقراطي المنبعث من قبل المنظمات الجماهيرية تجاه المرأة ودورها في عملية التنمية ، خاصة من قبل المنظمات النسوية التي يكون لها تأثيرها البالغ على نساءالقطر ككل .

ثم ان من مهمات المنظمات الجماهيرية المختلفة التأكيد على تعميق الممارسات الديمقراطية وتهيئة وتوفير الخدمات التي يحتاجها الافراد ، ولا شك ان دور المرأة والتي تمثل نصف المجتمع ان تأخذ اهمية في هذا الحوار والاهتمام بمشاركتها في كافة المجالات والمستويات(٥٢) .

جـ ـ تكوين رأي عام مستنير والاستعانة به كمؤشر لمسيرة الثورة في طريقها الصحيح ، وذلك بغرس القيم الجديدة والممارسات الايجابية والدعاية لها عملا وقولا .

الاساليب العملية :

١ ـ التأكيد على تدريب الاعداد الكبير من النساء ، في مختلف الكوادر العاملة في شتى مجالات التدريب مثل مجال التدريب والتأهيل المهني ، فالعمل على تأهيل المرأة مهنيا قد يساعدها على تذليل كثير من مشاكلها مما يؤثر على طبيعة عملها ، فتكون آنذاك عنصرا منتجا تساهم في عملية التنمية بشكل احسن ، مع الاهتمام باعداد دورات تدريبية وتشجيعها على ممارسة المهن المختلفة .

٢ ـ التوعية والارشاد : للمنظمات والاتحادات المختلفة اثرها في توعية الجماهير النسوية للقيام بدورها الفعال في بناء المجتمع ، مع توجيههم لاستئصال القيم الاجتماعية البالية باعطاء بدائل جديدة تدعو الى العمل والاخلاص بمساندة وتسريع من القوانين والتشريعات .

---

(٥٢) من مقترحات ورقة عمل للاتحاد العام لنساء العراق ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

المصادر العربيـة

١ ــ احمد ابو زيد (دكتور) ، البناء الاجتماعي الجزء الثاني (الاسكندرية : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر عام ١٩٦٧) .

٢ ــ احمد الخشاب (دكتور) ، الاجتماع التربوي والارشاد الاجتماعي (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٧١) .

٣ ــ احمد الخشاب (دكتور) ، الطريق الصعب طريق التنمية (القاهرة : مكتبة الوعي العربي) .

٤ ــ احمد خليفة (دكتور) ، مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية (وزارة الشؤون الاجتماعية ، الادارة العامة للتخطيط ، القاهرة عام ١٩٦٦) .

٥ ــ اكرم نشأت (دكتور) ، دراسة معوقات الاقبال على التعليم الابتدائي (وزارة التربية ، المديرية العامة للتخطيط التربوي ــ قسم التوثيق والدراسات) عام ١٩٧١ .

٦ ــ الاتحاد العام لنساء العراق ، المؤتمر السادس .

٧ ــ الاتحاد العام لنساء العراق ، ورقة عمل حول الصيغ العملية لزيادة انتاجية المرأة العاملة ، كانون الثاني ، عام ١٩٧٧ .

٨ ــ الفاروق زكي يونس (دكتور) ، تنمية المجتمع في الدول النامية (القاهرة : مكتبة القاهرة ، عام ١٩٦٧) .

٩ ــ الياس فرح (دكتور) ، المراة في فكر ونضال حزب البعث العربي الاشتراكي .

١٠ــ التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي .

١١ــ المركز القومي للاستشارات والتطوير الاداري ، دور المراة في النشاطات الادارية في العراق ، بغداد ، عام ١٩٧٦ .

١٢ــ حامد عمار (دكتور) ، اسس التخطيط الاجتماعي في النطاق القومي والمحلي (مركز تنمية المجتمع في العالم العربي ، سرسن اللبان عام ١٩٦٨) .

١٣ــ رونالد ، روبنسون ، تنمية العالم الثالث ، ترجمة عبدالحميد الحسن ، (دمشق : ١٩٧٣) .

١٤ــ سعاد خيري ، المراة وافاق التطور في العراق ، بغداد عام ١٩٧٥ .

١٥ــ سلسلة الثقافة الثورية ، سياسة التنمية في العراق ، سلسلة (٣٠) .

١٦ــ شاكر خصباك (دكتور) ، الاكراد ، (بغداد : مطبعة شفيق ، عام ١٩٧٢) .

١٧ـ شارل تبلهايم، التخطيط والتنمية ، ترجمة الدكتور اسماعيل صبري عبدالله ، (مصر : دار المعارف عام ١٩٦٦) .

١٨ـ صدام حسين ، عن الثورة والمرأة .

١٩ـ صلاح مصطفى الفوال ، البداوة العربية والتنمية (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٧) .
(بغداد : مطبعة دار السلام ، عام ١٩٧٥) .

٢٠ـ عادل عبدالحسين شكاره (دكتور) ، نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية

٢١ـ علي الوردي (دكتور) ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي (بغداد : مطبعة العاني عام ١٩٦٢) .

٢٢ـ علي فؤاد (دكتور) ، علم الاجتماع الريفي .

٢٣ـ محمد ابراهيم كاظم (دكتور) ، التطور القيمي وتنمية المجتمعات الريفية (المجلة الاجتماعية والجنائية ، الجمهورية العربية المتحدة ، العدد الثالث، المجلد السابع عام ١٩٧٠) .

٢٤ـ محمد النويهي (دكتور) ، مشاكل تحرير المراة في المجتمع العربي المسلم ، (من بحوث مؤتمر بين التقليد والتجديد المنعقد في جامعة الخرطوم) .

٢٥ـ محمد نبيل نوفل (دكتور) ، بحث العوامل الاجتماعية والنفسية التي تعوق التنمية (بحث مقدم لمؤتمر الفكري الاول للتربويين العرب ، بغداد عام ١٩٧٥) .

٢٦ـ نجاة المرس سبناري (دكتورة) ، تعليم المراة وعلاقته باحتياجات العالم العربي من القوى العاملة (بحث مقدم لمؤتمر قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي ، الكويت عام ١٩٧٥ ، المنشور في مجلة الاداب (سورية) العدد الاول عام ١٩٧٦) .

٢٧ـ نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور محمد عودة (مصر : دار المعارف ، عام ١٩٧٠) .

٢٨ـ وزارة التخطيط ، دراسة تفصيلية حول واقع القوة العاملة وتطورها في العراق ، عام ١٩٧١ .

٢٩ـ وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية والاجتماعية ، وقائع الحلقة الدراسية في التخطيط ، بغداد ، عام ١٩٧١ .

٣٠ـ وفيق اشرف حسونة (دكتور) ، التخطيط للتنمية الاجتماعية في الوطن العربي (الجمهورية العربية المتحدة : معهد التخطيط القومي ، سلسلة رقم ١٦٠ ، عام ١٩٧١) .

٣١ـ يونسكو (الشعبة القومية للتربية والعلوم الثقافية ، اعداد نخبة من الاساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، القاهرة ، عام ١٩٧٥ .

المصـــادر الانكليزية

1. Durkhien, Education Sociology, Trans, by S. D. fox Glencoe, The Free Press, 1950.
2. Firth, Human Types (London : 1951)
3. Good, W.J. and Halt, P.K., Method in Social Research, 1952.
4. Giezerman, G., The Laws of Social Development, Moscow
5. Hobhouse, L.T., Social Development, (London, George Allen and Unwion Ltd., 1960).
6. Kingsley Davis, Human Society, the Macmillan Company, 1950
7. Maclver, R.M., the Web of Government (New York : MacMillan Company, 1947).
8. United Nations Decument E/2931-Twenty Report of Administrative Committee on Coordination to the Economic and Social Council, 1959.
9. Tylor, E.B., Primitive Culture, London, 1871.

توظيف رموز التراث العربي في التربية من خلال ادب الاطفال

الدكتور ابراهيم الداقوقي
قسم الاعلام ـ كلية الاداب
جامعـة بغداد

ماذا نقصد بالتراث ؟

لكل أمة حية تاريخ حافل بالنضال ، يتمثل في تجارب وعطاءات الاسلاف في مجالات الثقافة والمعرفة والعلم ، والتي تؤلف بمجموعها (التراث القومي) وهو بمثابة السجل لارادة الافراد والجماعات في تدعيم مكانة الامة والحفاظ على شخصيتها الحضارية وعطائها الانساني[1] .

واذا كانت للافراد مساهماتها الفعالة والجادة في اغناء التراث القومـي للامة العربية في كافة المجالات ، فقد كانت للجماعات ، والكتل الشعبية عطاؤها وابداعاتها وانجازاتها في مجالات اخرى .

واذا كانت اثار امرىء القيس والمتنبي والجاحظ وابن سينا والبيروني والمسعودي وابن خلدون واعمال عنترة والخنساء وابن فرناس تشـكل التماعات الابداع الفردي في التراث القومي العربي ، فان مئات الامثال والحكم الشعبية والقصص والاحاجي والالغاز والسير والطب الشعبي والاغاني تؤلف ابداعات العامة واضافاتها للتراث العربي الحي .

---

(١) الاستاذ الدكتور ياسين خليل : افتتاحية مجلة التراث العلمي العربي ، العدد الاول ـ السنة الاولى ١٩٧٧ ، ص ٣ .

لذلك فاننا نقصد بتراث الامة العربية :

أولا ـ التراث القومي العام : ونقصد به تاريخ الامة السياسي والاجتماعي والثقافي والانظمة الاقتصادية والقانونية ومنجزاتها في مجالات الكيمياء والفلك والطب والفيزياء والعمارة والتصوير والتزويق والعلوم الاخرى .

ثانيا ـ التراث الشعبي : هو النشاط الاجتماعي الانساني في البيئة الشعبية ويجسد ، بمجموعه ، الحياة الانسانية التي كانت ملك الجماعة في تلك الفترة التي لم تكن قد ظهرت فيها الروح الفردية بعد ، اضافة الى تاريخ الابتكارات التي اوجدتها الروح الفردية كالادب والاقتصاد والدين والحقوق والفن ... لان ثمة تداخلا بين الابداع الفردي والجماعي في تراث مختلف الشعوب ومنه التراث الشعبي العربي .

وتأتي ، في مقدمة هذا التراث ، الملاحم والاساطير مثل كلكامش وبعل وموت وسمير أميس وقصص الخلق والخصب والماء : الخلق والطوفان ، تموز ، عشتار ، ازوريس ، الفينيق ، العنقاء ... في الثقافات القديمة للاقطار العربية. بل اننا نجد عرب الجاهلية قد شخصوا الاجرام السماوية وانزلوها منزلة البشر، ثم الهوها وعبدوها ونسبوا اليها الكثير من حوادث البشر كالزواج والحروب والمشاعر الانسانية كالحب والكراهية . فنجوم (الشعرى العبور) و (الشعرى الغميصاء) كانتا اختي (سهيل) ـ وكان سهيل عشارا ظالما على طريق اليمن فمسخه الله كوكبا ، وانه خاصم (الجوزاء) فركلته برجلها وطرحته حيث هو ، فضربها هو بالسيف فقطع وسطها ـ فلما انحدر سهيل وصار يمانيا ، تبعته (الشعرى اليمانية) عابرة المجرّة فسميت (عبورا) اما (الغميصاء) فانها اقامت حيث هي واخذت تبكي لفقدهما حتى غمصت فسميت (الغميصاء) . كما ان (الجدي) قتل (نعشا) فبناته تدور به تريده . وقد عبد العرب ايضا (الدبران) و (الثريا) حيث كانا من الاجرام اللالهة في الجاهلية . وان (القمر) اراد ان يزوج الدبران من الثريا حينما خطبها ، فابت عليه ، وولت عنه لذلك فهو يتبعها حيثما توجهت .

وعندما اشرقت شمس الهداية المحمدية ، انارت دياجير الفكر الانساني ليدفع به من جديد نحو المجد ، فتلاحمت الحضارة الشرقية مع الحضارة العربية ، فكانت الحضارة الاسلامية المزدهرة وما اضافت الى تراثنا من الاساطير والملاحم والقصص الدينية : قصة ايوب وياجوج وماجوج وناقة صالح وجنة عدن وسيرة سيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد وقصص المعراج والخضر ويوسف والف ليلة وليلة وموسى والفرعون ... التي تمثل بمجموعها قيما ثورية ورموزا ذات دلالات اجتماعية وفلسفية .

ويعد التراث القومي العربي ، بالنسبة للاطفال الصغار ، المعين الذي ينهل منه لاكتساب الثقة بالنفس والاعتزاز بالقومية والتفاخر بالامجاد والتطبع على بذل التضحيات والفداء في سبيل الحفاظ على نقاء الامة وديمومتهاوحيويتها وتطلعاتها المستقبلية . ولذلك يمثل التراث العربي ثروة ثقافية هائلة تفتح امام اعين الاطفال المترقبة والمتلهفة ابواب الماضي لكي يطلعوا من خلالها علىمنجزات الاجداد وعواطف الانسان الدافقة وروح المغامرة الجبارة والانتصار للحق والخير في عالم جديد مليء بالاحلام والمتعة . وعليه تكون علاقة الطفل بالتراث علاقة مستمرة لانه يمثل مراحل حياته ونموه وتكوينه النفسي .

واذا كان علماء النفس يقسمون مراحل نمو الاطفال الى ثلاث مراحل هي :ـ

١ ـ مرحلة الطفولة المبكرة

٢ ـ مرحلة المراهقة

٣ ـ مرحلة الرشد والرجولة

فان تراث الامم ـ ايضا ـ قد شهد هذه المراحل نفسها في نموه وتطوره الحضاري : فمرحلة الاساطير تمثل الطفولة المبكرة للامم ، ومرحلة نمو الحس القبلي تمثل مرحلة المراهقة ، اما مرحلة انشاء المدن وبناء الحضارات فانها تمثل مرحلة الرشد والرجولة . ولذلك فان مراحل تطور التراث تتساوق مع مراحل

نسو الطفل عقليا : فالطفل في مرحلته الاولى يميل الى الاساطير والخرافات ، وعندما يصل الى مرحلة المراهقة فانه يميل الى قصص البطولة والفروسية والمغامرات ، اما في مرحلة الرشد فانه يسعى الى التآلف والتآخي والتضامن .

« واذا نظرنا لنمو الافراد ، فاننا نجد ان هذه المراحل تتطابق من حيث المنطق الزمني مع هذا النمو . ولما كان الاطفال ... لم تكتمل افكارهم عن الحياة من حولهم ولم يستبينوا الممكن من المستحيل والمعقول من اللا معقول ، فلذلك نجد ان نفس هذه الاوضاع تماثل مرحلة التفكير الانساني في بداياته .. وكيف انه بهذا التفكير استطاع ان يجتاز الصعاب عن طريق تجسيم احلامه وامانيه .. كأن يجعل الحيوان يتكلم فيقنعه ويستغله لخدمة اغراضه التي لا يستطيع اداءها بتكوينه العضلي ، او ان يلبس طاقية تجعله غير مرئي فيستطيع ان يتسلل الى أي مكان لا يستطيع دخوله بوجوده المادي .. »[٢]

ان الاطار الحضاري العام للتراث العربي يجسد صراع الانسان العربي مع الطبيعة ومع القوى الشريرة التي تحاول صد انطلاقه نحو الافضل ... وهذا لا يعني ان التراث العربي كله تراث ثوري لان ثمة نماذج عديدة تؤكد على الجمود والقناعة او تفتقر الى الطموح والمبادرة . ولذلك يمكننا تقسيم التراث العربي الى قسمين :ـ

١ ــ التراث الساكن : وهو التراث المقوقع على العادات والموروثات والذي لا يقبل التغيير والتبديل . وتتجسد اهميته في الترويح والتسلية والامتاع .

٢ ــ التراث المتحرك : وهو الجانب الحيوي من التراث العربي والذي يتحرك في حدود التحولات الاجتماعية ويقوم بوظيفته التربوية والتوجيهية ضمن تلك التحولات التي لا تتم سريعا ، ولكنها حتمية بالضرورة . غير اننا نستطيع ان نحول الموروث الساكن الى موروث متحرك عن طريق غرس القيم الفاضلة او تطعيمه بالقيم الجديدة للمجتمع .

---

(٢) ابراهيم احمد بخيت : دور الحكاية الشعبية في التعليم ، بحث مقدم الى ندوة الفولكلور العربي ببغداد ١ ــ ١٠ اذار ١٩٧٧ ، ص ٢٢ .

ان فكرة تحول التراث الساكن الى تراث متحرك تنطبق على التراث الجاهلي والاسلامي والحديث : فحكاية ابي القاسم البغدادي المؤلف عام ٣٠٤/٣٠٥ هـ تحوي الكثير من العادات والتقاليد التي اضمحلت الان ، او تحولت الى موروثات اخرى • وعادة طفر المرأة العاقرة من فوق القبور ــ وهي من الموروثات الجاهلية ــ تحولت الى لعبة (طفر الحبـل) للبنات ••• لان الموروثات تمثل حياة البشر في مراحلها التاريخية ، وكلما تطور الانسان كلما تساقطت الموروثات الساكنة والبالية او تحولت الى اشكال اخرى ونشأت معتقدات جديدة او قيم جديد •

فهل نستطيع ان نوظف التراث العربي ككل لتنمية قابليات الطفل ، أم نستطيع ان نوظف جزء من هذا التراث لتربية الطفل من خلال فن من فنون ادب الاطفال ؟

اننا نعتقد ان التراث العربي بقيمه الاصيلة يمكن ان يكون معينا ثرا لتنمية قابليات الطفل من خلال توظيفه في فنون ادب الاطفال ••• لا سيما وان فيه دعوات كثيرة للافراد للنهوض بالمجتمع ومكافحة الظلم والطغيان والثورة على التقاليد الجائرة والجمود الاجتماعي عبر مراحل تطور الفكر العربي على مدى العصور : فالرواية العربية الجاهلية تمثل مزيجا من الاداب الساميـة القديمة ، وتعد (ايام العرب) موروث الجماهير العربية في مسيرتها نحو حياة عربية جديدة وضع لها الاسلام اطارها الفكري العام بحيث اصبح التراث العربي ــ الاسلامي سجلا للعقلية العربية بكل مفاهيمها الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية عبر الدولة والامة والعوارض الذاتية •

فبطولات عنترة وسيف بن ذي يزن والزير سالم وابي زيد الهلالـي والخنساء وخولة بنت الازور تصور البطولات القبلية ذودا عن الارض او العرض او وفاء لعهد • ويمثل بطل سيرة (الاميرة ذات الهمة) الشجاعـة والتضحية في اطار ثوري أخاذ • واخرج (عباس بن فرناس) فكرة الطيران من عالمه الاسطوري (بساط الريح) الى الواقع البشري •

غير اننا لا نستطيع ان نوظف التراث العربي ككل في تربية الطفل نظرا لضخامة هذا التراث ولتشعب مصادره ولكثرة عناصره اولا ... وبسبب عدم وضع اطار ـ لحد الان ـ لمضامين ادب الاطفال ثانيا ـ ، ولذلك فاننا سنحاول بحث كيفية توظيف جزء من التراث العربي وهو (الاسطورة والحكاية) لتنمية قابلية الطفل من خلال فن من فنون ادب الاطفال وهو (قصص الاطفال) .

رموز التراث العربي في الاسطورة والحكاية :

مرت البشرية في ادوار تاريخها الطويل بفترات تحكمت فيها (الاقلية) وبسطت نفوذها وسامت الاخرين انواعا من الظلم والاستبداد مما حدا ذلك بالطبقات المحكومة الى ان تنفس عن حياة الشقاء والتعاسة التي تعيشها بالطقوس والشعائر التي تؤديها للالهة لانقاذها من تعاستها ولكي تدله الى طريق الالهة المتمثلة بالقدر الذي يرى فيه الانسان قوة هائلة تتمكن من انقاذه من تلك التعاسة .

وتنيجة لهذه الفترة الزمنية فقد تشابهت طقوس مختلف الشعوب رغم المسافات الشاسعة التي تفصل بينها . حيث لاحظ كثير من الانثروبولوجيين تشابه الطقوس عند اليونانيين والرومان والمصريين القدماء والهنود الحمر وسكان استراليا الاصليين . « ولعل في الثروة التي سجلها الانثروبولوجيون واحتفظ بها مؤرخو الحضارات القديمة من (طقوس العبور) و (طقوس قتل الملك) »[٣] وعقدة اوديب خير معين لنا لتفسير الاساطير التي وصلت الينا عن طريق تلك الطقوس و « لعلنا لا نخطيء اذا افترضنا ان كثيرا من الاساطير التي لا تعرفها الان الا على انها اساطير ، كان لها ـ في وقت ما ـ جانب يقابلها في السحر ... او بعبارة اخرى انها كانت تمثل كوسيلة للايجاد الفعلي للاحداث التي تصفها بلغة تمثيلية . وكثيرا ما تموت الاحتفالات (الطقوس) بينما تظل الاساطير حية ، فيبقى علينا ان نستنتج الاحتفال الميت من الاسطورة

---

(٣) شكري محمد عياد : البطل في الادب والاساطير ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٨٨ .

الحية .. »[4] لا سيما وان الاساطير ما هي الا « الجزء القولي المصاحب للطقوس البدائية »[5] ولذلك قيل ان « الاساطير هي جماع حكمة الاقدمين ودستور حياتهم مصوغين في قالب قصصي عن الخلق والحياة والموت والبعث .. »[6]

ولهذا فان عقدة اوديب وطقوس العبور والملك المقتول يمكنها ان تفسر جانبا كبيرا جدا من الاساطير والقصص الشعبية في تراث الشعوب المختلفة ، ومنها تراث الشعب العربي .

فاذا كانت عقدة اوديب واضحة في الاساطير اليونانية والرومانية والهندية والايرانية والتركية ، فانها اوضح ما تكون في قصة (حكاية جودر الصياد ابن التاجر عمر) وهي من قصص الف ليلة وليلة ، حيث يستطيع (جودر الصياد) فتح الابواب السبعة والوصول الى الكنز بعد التغلب على وهم الطفولة في التعلق بالام ، ذلك الوهم الذي لا يتلاءم مع الرجولة والشباب .

كما ان عبدالصمد المغربي يمثل ــ في القصة نفسها ــ شخصية السامر العليم بالكنوز ... وهو بمثابة شخصية الكاهن او الشيخ في طقوس العبور[7] والذي يوجه الاخرين الى ماينبغي عمله .

---

(٤) سير جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، ترجم باشراف الدكتور أحمد ابو زيد ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٧١ ، ص

(٥) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٧) طقوس العبور : تمثل الموت والبعث ، فاذا بلغ الصبي سن الشباب ، مثل رجال القبيلة منظرا رهيبا يتظاهرون فيه بقتل الصبي ثم اعادته الى الحياة شابا يافعا عارفا بعادات وتقاليد قبيلته .

(٨) الملك المقتول : اصطلاح خاص يطلق على الطقوس المتبعة في تنصيب الملك الجديد ، حيث يقتل الملك السابق قبل ان يبلغ الهرم ظنا بان روحه سوف تهرم معه ــ اذا بقي في الحكم ــ وبذلك تفقد القبيلة قوتها وجبروتها لانهم يرون في الملك مستودعا للقوة الكونية الحيوانية .

اضافة الى ان قصة (جودر الصياد) تمثل طقوس الملك المقتول[8] ولكن بصورة اخرى عندما يتغلب (جودر) على الملك (الشمردل) نتيجة خوارق (خاتم الملك) الذي يزوجه ابنته ، ثم يخلفه (جودر) على الملك . « والى عهد قريب كانت قبائل الشلوك في جنوب السودان تقتل ملكها اذا بدت عليه علائم الضعف او المرض . »[9]

يرد (راجلان) قصص البطولة في التراث الانساني كله ، الى شعائر قتل الملك القديم وتنصيب الملك الجديد وفق النموذج التالي[10] :

« (١) النشأة الغامضة للبطل ، وان قيل انه من اصل ملكي او الهي .

(٢) توليه الملك او الزعامة بعد عمل جليل يدل على انه محبو بقوة خارقة . وقد يكون هذا العمل هو القضاء على الملك الشيخ . (٣) انتهاء ملكه بتخلي هذه القوة الخارقة عنه وانقلاب احبابه عليه بحيث يموت مقتولا بيد احد هؤلاء الاحباب ، او من جهة لم يكن يتوقع ان يأتيه منها الموت » .

فهل نستطيع ان نطبق نموذج راجلان على الابطال ورموزهم في التراث العربي ؟

اننا نعتقد ان ابطال السير الشعبية وكذلك ابطال الملاحم الجاهلية لا يخرجون عن اطار نموذج رجلان في البطولة : فالبطل الجاهلي عنترة ابن لأمة سوداء ، كانت قبل سبيها من بنات الملوك ، ويختلف بنو عبس حول ابوته ، ثم يحكم انه ابن الامير شداد . وينشأ عنترة نشأة العبيد ، يخدم ويلزم برعي الغنم ، الى ان تظهر شجاعته النادرة ، فيصبح (حامية) بني عبس ، ثم يتزوج ابنة عمه عبلة ، ثم يموت ميتة حقيرة ــ بعد ان طرده قومه ــ حيث يترصد له احد اصحاب الثارات فيقتله بنبلة مسمومة .

---

(٩) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ١١٤ .

(١٠) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

وعقد باحث معاصر مقارنة بين نموذج «راجلان» وبين حياة امرىء القيس فتكشف له عن سيرة عالمية لهذا البطل ، يتصل جذره بالاداب السومرية والسامية[11] .

كذلك الحال بالنسبة لابطال السير الشعبية والقصص والحكايات لان « البطل الاسطوري ليس بطلا موضوعيا بالمعنى العلمي ولكنه موضوعي بالمعنى العقلي لكلمة الموضوعية ، بل بمعناها الانفعالي . وهذه الصفة الموضوعية الانفعالية ... هي التي تجعل للاسطورة تأثيرها الخاص وجوهرها الصلب الذي لايمكن ان يضيع ضياعا تاما في ثنايا أي عمل فني متأخر.»

ولما كانت الطقوس السحرية ليست فكرية وانما هي ايضا انفعالية ، لذلك تتحول الاسطورة الى رمز للطقوس التي كانت تمارسها الجماعات ... وما البطل الا رمز من هذه الرموز التي تمثل الاسطورة والطقوس في آن واحد .

واذا القينا نظرة الى التراث العربي فاننا نجد العديد من تلك الرموز متجسدة في شخصيات هذا التراث : زرقاء اليمامة ، الخنساء ، سيف بن ذي يزن ، خولة بنت الازور ، عنترة ، الاميرة ذات الهمة ، الحسين ، ابو ذر ، الخضر . او دلالات رمزية متجددة : الحلاج ، ابو يعلي . او قد تكون تلك الرموز متجسدة في وقائع واحداث : حرب البسوس ، وداحس والغبراء ووقائع ايام العرب . او قد تكون رموزا اسطورية : البساط السحري ، علاء الدين والمصباح ، جزيرة واق واق ، جبل قاف ، جنة عدن ، ارم ذات العماد ، خاتم المنى ، طاقية الاخفاء ، الكنز ، العصا السحرية ، العجوز الشمطاء ، الابواب السبعة ، الحيوان المسحور ، النير الطائر ، الاعداد ، العون الخارق ، الابن الاصغر ، البراق ، العنقاء .. الخ .

---

(11) يراجع الدكتور عادل البياتي (ايام العرب) ص ٢٧٧ ومجلة افاق عربية العدد ٩ سنة ١٩٧٥ مقاله المعنون البطل الاسطوري والملحمي .

واذا كانت ثمة خصائص عامة للتراث هي : التحول والاضافه والتغيير ، فان ثمة مبادىء عامة تحكم رموز التراث العربي في حركتها الدائبة بين القيم الماثلة والقيم الجديدة ، وهذه المبادىء هي :

- مبدأ القدرة والعجز .
- مبدأ الطموح والغيرة والحسد .
- مبدأ التداخل بين العوالم الانسانية والحيوانية والنباتية وانتصار الانسان على الجميع في النهاية .
- مبدأ الاستخدام الأفضل للعقل عند مجابهة الصعاب .
- مبدأ المطاليب التعجيزية .
- الابن الاصغر ومعجزاته .
- تأثير الدين .

كما ان ثمة صراع هائل ــ يتجسد من خلال الاساطير ــ بين الانسان والارض وبين القوى الشريرة والطاغية التي تحاول التسلط عليهما لمنعهما من استمرارية الوجود والحياة . ويشكل التراث العربي الساحة الواسعة لهذا الصراع ضمن اطار خصائصه العامة : التحول والاضافة والتغيير .

ومن هنا يمكننا توظيف رموز التراث العربي من خلال خصائص التراث العامة وفق التصور التالي :

اولا ــ التحول : هو من اهم خصائص التراث حيث يتحقق من خلاله (الموت) ثم (البعث) ثم (القيامة من جديد) . فالتراث الساكن يمثل مرحلة (الموت) لما فيه من الفساد والانحلال والعقم . بينما يمثل التراث المتحرك مرحلة (البعث) لما فيه من روح ثورية ومواقف ملتزمة بالحق وطموح الانسان العربي للتغلب على العقبات وتغيير الواقع . اما مرحلة (القيامة من جديد) فانها تتمثل في اكتشاف البطل للحلول الجذرية لمشاكله بالقضاء على الشر والغدر والخيانة من على الارض ونشر العدالة . وهذا الكشف يؤدي الى ان

يكون التراث رحما ولودا للعديد من القيم الحضارية الجديدة • فرحلات السندباد البحري اكتشاف للعالم الخارجي ومحاولة للتحول من القيم الرثة الى القيم المستجدة والمستحدثة • وعندما يترقب عنترة ــ في صغره ــ الاسد حتى يخرج اليه فيصرعه بيديه ثم يشويه ويأكله ••• فان هذه الاسطورة تمثل جزء من طقوس العبور ••• وهو العبور الى وظيفة الملك الاقدس ، في الوقت الذي تمثل فيه عبورا الى الذات لاستكشاف بواطنها وصقلها بالقيم الانسانية الفاضلة • كذلك تشير ملاحم سيف بن ذي يزن والاميرة ذات الهمة واسطورة (الخضر) الى الموت الذي عاتته الامة العربية وتبشيرها بالبعث والولادة الجديدة من خلال تحول الابطال من الجبن واللامبالاة والغيبية الى الشجاعة والالتزام والواقعية •

بل اننا نجد هذا التحول في التراث العربي ككل •• فطقوسه القديمة تحولت الى اساطير ، تمثلها الملاحم العربية في ايامهم التي عاشوها في الجاهلية ، ثم تحولت هذه الاساطير الى حكايات يلعب فيها (البطل) الدور الرئيس بحيث يتحول الى (رمز) يتعامل مع الرموز الاخرى التي تمثلها الكائنات الغريبة التي هي مزيج من الانسانية والحيوانية والالوهية ••• تلك الكائنات ذوات الارواح كالحيوانات والاشجار العظيمة والبحار والانهار والجبال وغيرها من رموز القوى الطبيعية •

ثانيا ــ الاضافة :

اذا اخذنا بفكرة (راجلان) حول الاساطير ، والتي تؤكد على ان الاساطير « لا تعدو ان تكون شكل الكلمات المرتبة بطقوس معينة • ولنأخذ هذا المثل البسيط :

عندما نودع صديقا ، نصافحه باليد ونقول : مع السلامة • فالمصافحة ضرب من القطوس ، والعبارة (مع السلامة) هي شكل مختصر من القول (مع سلامة الله) وهي الاسطورة •• »[١٢] فان هذا الكلام المصاحب

---

(١٢) شكري محمد عياد : المصدر السابق ، ص ٨٦ ــ ٨٧ •

للاساطير قد شهد اضافات عديدة من خلال الممارسات الزمانية والمكانية المختلفة ، وعلى شكل حلقات ، في دورة اسطورية تصل بداياتها ــ احيانا ــ الى ايام سحيقة في القدم .

« فقد كان الساميون القدماء يقدسون كل ما يرمز الى الخصوبة واستمرار الحياة ، فاتخذوا الام في اول الامر رمزا ، ثم اضيف العضو الذكري الى قائمة الظواهر المقدسة عندهم ، لذلك يظهر هذا العضو عند شعراء الجاهلية ، كبقايا لذلك التقديس ، ولكن بشكل متطور بحسب العقلية الملائمة للعصر .. »(١٣)

بل اننا نجد في التراث العربي ظاهرة الاضافة واضحة جلية في استئثار بطل واحد ببطولات الوقائع والايام العربية ، فقد اضيفت جميع بطولات ايام (داحس والغبراء) الى عنترة بن شداد .

ولعل الحكايات الشعبية اخصب نماذج التراث العربي تعرضا للاضافة ، حتى يمكننا القول ان قصص الف ليلة وليلة ما هي ــ في الحقيقة ــ الا جماع تراث الشعب العربي من الحكايات التي كانت متداولة في العراق والشام ومصر والمغرب العربي ... اضيفت الى بعضها فكان هذا التراث العربي الخالد .

والذي يهمنا في موضوع (الاضافة) كيفية تنقية الاصل الاسطوري للتراث من (الاضافات الفنية) التي ادخلت عليه ، ومن ثم بناء العمل الادبي الجديد عليه من خلال وضع اطار العلاقة الجدلية بين الاسطورة والواقع في ديالكتيكية خاصة من اجل اغناء هذا الواقع وغرس قيم ومفاهيم جديدة فيه .

ثالثا ــ التغيير :

يتمثل الصراع القائم في الاساطير والحكايات ــ ومجمل الموروث القومي ــ بالعداء الكائن بين البطل ومنافسه او عدوه . فالبطل جميل ، شجاع ، وسيم ومحب للخير ... وعدوه : قبيح ، جبان وشرير . وكأن البطل هو نموذج

---

(١٣) الدكتور عادل جاسم البياتي : كتاب ايام العرب ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .

الانسان الذي يخرج من عالمه الصغير ـ عالم الام ـ الى عالم القبيلة الممتد في الماضي والمستقبل ، المرتبط بقوى كونية اكبر من القبيلة واوسع في معنى الانسانية نفسها ..»(١٤)

وعندما اكتشف الانسان فكرة الخير والشر ، بدأ الصراع الحقيقي بين الشكل القديم القائم على الاستقرار والذي يتمثل في الروح الخيرة ، وبين المضمون الثائر على هذا الشكل الجامد المتمثل بالنطاق الاجتماعي الذي يكبل تطلعات الفرد ويحول دون تحطيمه . وهذا هو الدافع النفسي الذي يدفع بالبطل الى ثورته ضد الشكل ، وضد النطاق الاجتماعي وضد التناقض. وهو نفسه اداة (التغيير) في كل الموروث القومي للامة .

فالملك الهرم ، في الاساطير القديمة ، يجب ان يتغير بعد ان انحسرت قوته الخارقة فعم الخراب البلاد ونفقت القطعان واجهضت النساء . كذلك بطل الاساطير ، فعنترة ـ كما رأينا ـ يموت ميتة حقيرة بعد ان طرده قومه .

لان المجتمع يحاول دوما التخلص من بطله الفاني والعاجز ليجدد حياته بروح فتية نتيجة هذا التغيير والتبديل . ولان الحياة تنبعث من الموت في صورة الصراع الدائر في الاساطير وفي الواقع ... ولذلك اصبح التغيير سنة الحياة . ومن هنا فان استعمال الرمز الاسطوري التاريخي برؤى فتية جديدة يسبغ على النموذج الجديد قيما جديدة لكي يصبح رمزا حضاريا يعبر عن (التغيير) المطلوب في قيم المجتمع وصولا الى تحقيق الهدف .

توظيف الرموز في تنمية القابليات من خلال ادب الاطفال :

ان علاقة الفرد بالتراث ورموزه علاقة مستمرة ومستديمة ، لانه يتفاعل معه في حياته اليومية . ويتعايش معه كلما تجددت العلاقات الاجتماعية . لذلك يجب علينا توظيف هذا التراث والاستفادة منه في سعينا نحو الرقي الحضاري وتنمية قابليات الاطفال والارتفاع بذوقهم الفني والادبي الى المستوى المطلوب من خلال ادب الاطفال .

---

(١٤) شكري محمود عياد : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

ان الانفصام الكائن بين تربية الطفل البيتية والمدرسية يخلق لديه أزدواجية في الشخصية لا يستطيع التخلص منها عندما يكبر ، بل يتضخم لديه كلما توغل في الحياة ومارس تناقضاتها اليومية . لذلك فان اقوم طريق لردم هذه الشقة بين التربيتين هي العودة الى التراث لكي ينهل منه الطفل ويتخذه معينا له طيلة حياته عن طريق ردم التناقضات :

١ ــ بين البيت والمدرسة .

٢ ــ بين التربية البيتية والمدرسية .

٣ ــ بين حياة الفرد والمجتمع .

ولا يتم ذلك الا باستعمال لغة سهلة ومبسطة تكون وسطا بين اللهجة العامية واللغة الفصحى تعتمد على البساطة والدقة وابراز الحقائق في جمل قصيرة ذات نهايات بليغة مع شحن الكلمات بالمعاني ذات التشابيه المسهبة والاشارات الموفقة بعيدا عن الخطابة والوعظ اللذين يؤديان الى الملل .

اما مضمون ادب الاطفال فيجب ان يعتمد على المفاهيم الاخلاقية والتربوية والتوجيهية في آن واحد ضمن اطار :

ــ اجراء المقابلات مع الشخصيات .

ــ متابعة اخبار العالم واحداثه .

ــ تبادل المراسلات بين الاطفال قطريا وقوميا ودوليا .

ــ متابعة الاحداث السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية في القطر .

ــ اجراء المسابقات .

ــ متابعة المناسبات الوطنية والقومية والعالمية وذلك لغرض :

ــ تنمية هوايات الاطفال .

ــ غرس قيم وعادات طيبة في نفوسهم .

ــ التوجيه الاخلاقي وبث الوعي الاجتماعي .

- دعم عاطفة الحب لديهم نحو القيم الرفيعة الوطنية والقومية والعالمية من حب الوطن والتضامن والنضال القومي والسلام العالمي القائم على العدل واحترام المفاهيم الاشتراكية .
- الاستفادة من التراث ، رموزه واساطيره ، تضمينا واستلهاما وتشبيها لارساء قيم فاضلة واخلاق حميدة لكي تستطيع ان تأخذ بيد الطفل ليجتاز العقبات التي تعترض سبيله ويغرس في نفسه المبادىء التي يستطيع ان يبني عليها سلوكه في المستقبل .

فكيف نستطيع توظيف تلك الرموز في قصص الاطفال ؟ مثل كل شيء ، يجب وضع خطة للعمل تستند الى ثلاث مراحل ، هي :ــ

اولا ــ تثبيت الرمز :

ان مواقف الانتصار والانكسار وما يدور بينهما من احداث ووقائع في الحكايات والاساطير ، تتوافق تلقائيا مع اهداف الحادثة سواء أكانت دينية او اخلاقية او ترفيهية لكي تؤدي وظيفتها التربوية في نهاية المطاف .

واذا كان للتراث وظيفة نقدية ، الى جانب وظيفته التربوية ، فان ذلك لا يعني ان التراث بمجموعه يمثل العمل الثوري الخلاق للشعب ، لان ثمة نماذج عديدة فيه تؤكد على الجمود والانهزامية . بل قد يحدث احيانا ان يكون هذا الهروب الى الخيال او الرمز ، يقول باسكوم « ان كشف الانسان لما يسميه بالتعاسة من خلال الحكاية ، انما هو هروب الى الخيال من ضغوط المجتمع سواء اكانت هذه الضغوط هي الزنا بالمحارم او تعدد الزوجات او غير ذلك .. »(١٥)

غير ان الهروب المقصود هنا ، هو اكتساب القدرة على تحطيم القيود والارتفاع فوق الالام والمنغصات والعقبات للوصول الى الاستقرار والسعادة والطمأنينة . وبذلك تخدم الحكاية الشعبية الفرد والتطور الاجتماعي ، في الوقت الذي تقوم فيه بالوظيفة التربوية .

---

(١٥) Alan Dandes : The Study of Folklore, U.S.A. 1965, p. 279.

ولذلك يجب علينا فرز العناصر الايجابية من التراث ، لانه موروث حي يسبق الزمن ويقدم البديل البناء ، وان كان بشكل خيالي او اسطوري او رمزي • وهذه العناصر الايجابية ليست بحاجة الى الاضافة او التغيير لانها تستطيع ان تقوم بوظيفتها التربوية من خلال قصص الاطفال عبر طريق استلهام الرموز في تحقيق الهدف • فثمة العديد من الاساطير والحكايات التي تتخذ من الصفات الحميدة والخيرة ابطالا لها كالصدق والاخلاص والاحسان والامانة والعقل ، بدل الابطال العاديين ، حيث يمكن توظيف هذه الرموز في قصص الاطفال ليتخذوا من هذه الصفات ملاذا لهم في ساعات الضيق والامتحان لانها لا تخذل من يتحلى بها في الملمات • كما يمكن اضافة رمز الى رمز اخر من رموز العناصر الايجابية للوصول من خلال التحول الى المبتكرات الفنية والعلمية الحديثة • فقد استطاع الانسان العربي بخياله المبدع ان يخلق رمز (البساط الطائر) لتخطي العقبات وليخضع لارادته الزمان والمكان ، واستطاع عباس بن فرناس ان يحول هذا الرمز الخيالي الى رمزواقعي عندما قام بالتجربة العملية للطيران ، وهي نفسها الفكرة التي اوحت الى الانسان الحديث فكرة ريادة الفضاء بالطيران الحديث ، بل الوصول الى الكواكب الاخرى عن طريق الاقمار الصناعية •

كما اننا نستطيع تحويل القيم الجامدة من تراثنا الساكن الى قيم ثورية تقدمية لكي يتحول الى تراث متحرك باضافة القيم الجديدة السائدة في المجتمع اليها ••• عن طريق نبذ السلوك الفردي المتداول ، في الحكايات والاساطير ، في الحياة والتوجه نحو انماط السلوك الجماعي وتنميتها لدى الطفل خدمة للافكار الاشتراكية التي تؤكد على العمل الجماعي ، حيث يتحول رمز البطولة الفردية الى رمز بطولة الجماهير في انجاز المهمات عن طريق العمل الشعبي مثلا •

ثانيا ــ مرحلة الطموح :

ان الوظيفة الاساسية للحكايات الشعبية وكذلك الاساطير ، هي خدمة وظيفة التعليم والتربية ، ولذلك فان التراث المتحرك ــ وبعضا من التراث

الساكن ـ لا يقف ضد الطموح الانساني ، وانما يسعى من خلال فكرة الثواب والعقاب الى ترسيخ القيم الفاضلة لكي لا يتخذ السلوك اللااخلاقي وسيلة للوصول الى الهدف او لتحقيق الغايات .

لذلك يجب ان تتمثل الوظيفة الثقافية والتربوية لقصص الاطفال في كيفية توظيف رموز التراث العربي لأرساء القيم الفاضلة واضافة القيم الجديدة لمجتمعنا الاشتراكي اليها عن طريق التحول او التوجيه بالتغلب على العقبات التي تقف بوجه المسيرة الثورية .

فان رمز (الكنز) والحصول عليه يجب ان لا يكون غاية ، بل وسيلة للوصول الى منفعة عامة لتنمية المجتمع .

ورمز الذود عن القرية او القبيلة يجب ان يتحول الى رمز للدفاع عن الوطن والقومية كهدف ، لان الحياة يجب ان لا تخلو من هدف ، وهو الذي يستدعي التضحية والفداء .

ونبذ رمز القناعة باعتبارها كنزا واداتته من خلال الدعوة الى الطموح كسلوك ملتزم .

وادانة رموز الكسل والخمول والاستغلال والاتكالية والظلم والغدر والخيانة واللؤم والكذب ، والدعوة الى العمل والصدق والاخلاص والإخاء والوفاء والاتقان والاجارة والحب .

ثالثا ـ مرحلة الاكتشاف :

تعد هذه المرحلة من اهم مراحل توظيف رموز التراث في تنمية قابلية الطفل ، لانها تعتمد على تمرين عقل الطفل على اختبارات الذكاء والتحكم في الاستخراجات اللغوية وتسلسل الافكار عن طريق المترادفات اللغوية والعدد واستخدام الافعال المزدوجة والتنازلية للارتفاع بالادراك العقلي لدى الاطفال لوضع البدائل الجيدة والمتسقة مع ظروف المجتمع وقيمه الجديدة والافكار السائدة فيه .

واذا كانت الحكايات والاساطير قد لازمت التفكير الانساني منذ بدء الخليقة ، كصورة اخرى لحركة المجتمع في اطار الزمان والمكان وكتسجيل للفكر العربي في مختلف المراحل ... فكلما ازداد تطور العرب الاجتماعي وابدعت افكارهم صورا جديدة،تساقطت بعض القيم ونشأت‌قيم جديدةكبديل لها . ولذلك فان وظيفة الحكاية لا تنتهي الا بنهاية الوجدان الشعبي لانه المصدر الاساسي لها .

ولا يتم الاكتشاف الا عن طريق الغوص في الوجدان الشعبي في محاولة لاكتشاف بواطنه لوضع البديل الصحيح لكل الرموز الخاملة والتواكلية والنرجسية من اجل التسامي بالطفل نحو افاق المعرفة والنور والجمال ، حتى يمكننا اعتبار مرحلة الاكتشاف من ابرز قيم مرحلة التوازن الاجتماعي في المجتمع[16] . فعندما يعجز الوالد ــ او البطل ــ عن ادارة اعماله او مملكته ينادي على ابنائه الثلاثة ويستجوبهم لاكتشاف كفاءتهم وقدرتهم على تحمل اعباء الملك والصعاب ... فيسعى كل واحد منهم ــ بطريقته الخاصة ــ الى اثبات مواهبه لكي يظفر برضاء الوالد . غير انهم يفشلون الا الابن الصغير الذي يستطيع تلبية رغبات الوالد بعد كثير من المغامرات والمخاطر والصعاب التي يلاقيها في طريق اكتشافه لذاته اولا واكتشافه لوسيلة نجاحه ثانيا . وهذا الابن الاصغر هو في حد ذاته (قيمة) او رمز يمثل الفتوة والربيع والخير . واذا عرفنا بان هذا الابن الاصغر يكون في كثير من الحالات ابن أمة سوداء وبذلك يحقق هذا الرمز التكافؤ الاجتماعي اولا ويضع البديل الواضح عن العجز والزيف والشر ثانيا .

كما نستطيع عن طريق هذا الاكتشاف وضع البدائل الحديثة للكثير من الرموز التراثية : فيمكن ان تتخذ من عنترة بديلا ورمزا للانسانية الثائرة ضد الاضطهاد اللوني والعنصري ، ومن الحصان العربي رمزا للاصالة والوفاء وصورة لعلاقة الحيوان بالانسان . ومن جزيرة واق واق بديلا عن العوالم السحرية في قصص الاطفال .

---

(١٦) ابراهيم احمد بخيت : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

النتيجة :

ارجو ان لا يفهم من دراستي هذه انني ادعو الى العودة الى المعتقدات البالية او القيم القديمة لتقديمها في طبق نظيف يستسيغها الجيل الجديد ••• ولكنني ادعو الى دراسة موروثاتنا دراسة علمية ودقيقة لاستخلاص الدروس منها لتوظيفها في تربية اطفالنا وتنمية قابلياتهم لخدمة اهداف الثورة وقيمها الحضارية الجديدة •

ان ربط الماضي بالحاضر من خلال الفهم الشامل والواعي لطبيعة التراث العربي وقيمه الاصيلة سواء ما كان مرتبطا منها بايام العرب في الجاهلية أم بالاسلام أم بالحياة اليومية المادية للفرد والجماعة هو المنطلق الاساس للتوجه نحو غد متميز يعتمد تراث الماضي واصالته قاعدة حضارية ترتكز عليها نهضتنا الشاملة في عراق الثورة اليوم •

مصادر البحث :

١ ــ الدكتور ياسين خليل : رئيس تحرير مجلة التراث العلمي العربي ، العدد الاول ، السنة الاولى ١٩٧٧ •

٢ ــ ابراهيم احمد بخيت : دور الحكاية الشعبية في التعليم ، ندوة الفولكلور العربي ، بغداد ١ ــ ١٠ اذار ١٩٧٧ (غير مطبوع) •

٣ ــ شكري محمد عياد : البطل في الادب والاساطير ، القاهرة ١٩٥٩ •

٤ ــ جيمس فريزر : الغصن الذهبي ، ترجمة د • احمد ابو زيد واخرين ، القاهرة ١٩٧١ •

٥ ــ الدكتور عادل البياتي : كتاب ايام العرب ، بغداد ١٩٧١ •

٦ ــ Alan Dandez : The Study of Folklore, U.S.A., 1965.

الدراسات والمناهج الاعلامية

الدكتور سنان سعيد
رئيس قسم الاعـــلام ـ كلية الآداب
جامعة بغداد

نظـرة تاريخيـــة :

لم تعد الرغبة في العمل الصحفي أو الاعلامي بأنواعه من صحافة واذاعة وتلفزيون ، ولم تعد الموهبة أو الثقافة العامة كافية للنجـاح في الممارســة والتطبيق • فقد انتهى عهد الصحافة التي كان يتولى أمرها ويمارس العمـل فيها الافراد « الموهوبون » من أدباء أو شعراء وحدهم ، في اوروبا وغيرها من مناطق العالم[1] وانتهت صحافة المبادرات الفردية ، وتحولت « الصحيفة » من مشروع صغير يتبناه وينظمه ويديره شخص أو بضعة أشخاص ، الى مؤسسة يعمل فيها المئات ، واحيانا الالوف ، وفق تخطيط ومن اجل هدف مرسوم ، في الاغلب ، ممن يخاطبون عشرات الالوف ، واحيانا الملايين من الناس ، وتعين بالتالي على الصحفي ان يفهم السياسة والفلسفة والتاريـــخ ويعرف اللغات والقانون والاقتصاد السياسي والجغرافيا السياسية ، ويقف على اتجاهـــات الرأي العام والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية ، الى جانب المامـــه بفنـون الصحافة واساليب ممارسة العمل الصحفي والاعلامي ، ويمتلك القدرة على « فهم فن الحياة وليس مجرد الاطلاع على الامور المتصلة بالحياة في جوانبها المختلفة »[2] • وتبعا لكل ذلك فقد برزت أهمية اعـــداد الكادر الصحفـي والاعلامي بصورة عامة في وقت لاحق ، كضرورة تمليها ظروف التطـــور ، وخاصة الحاصل في مجال الاتصال ، والعلاقات بين الافراد والشعوب والدول •

ولقد بات تأهيل الكوادر للصحافة ومن ثم لوسائل الاتصال الاخرى ، موضع الاهتمام محليا واقليميا ودوليا • وقد اهتمت لجان مختصة في الامم المتحدة بأمر الاعداد المهني للكوادر الصحفية • ففي عام ١٩٤٨ انعقد في جنيف مؤتمر اشتركت فيه كل الدول الاعضاء في الامم المتحدة لبحث موضوع حرية الاعلام وما يتصل به من امور وقضايا ومشاكل ، وكانت ضرورة الاعداد المهني من الموضوعات التي حصل اجماع يكاد يكون كليا عليها • وجاء في تقرير للجنة الصحافة ووكالات الانباء التابعة للامم المتحدة صدر في عام ١٩٤٨ « ان الصحافة لا يمكنها ان تبلغ مستوى رسالتها السامية على خير وجه الا اذا توفرت في الصحفيين القائمين بها المزايا المهنية والعلمية والخلقية الكافية • وتوافق اللجنة كل الموافقة على اهمية الاعداد المهني باعتباره عاملا من عوامل تحسين الخدمات التي تؤديها الصحافة للمجتمع • فليس من مهنة تقتضي من صاحبها ما تقتضيه الصحافة من ثقافة متنوعة ، وقدرة على تطبيق معلوماته على الانباء التي يتداولها يوميا بين يديه »[٣] • وعنيت منظمة اليونسكو بأمر تأهيل الصحفيين والاعلاميين فدعت الى مؤتمر عقد في باريس عام ١٩٥٦ ، أجمع الاعضاء المشاركون فيه على ضرورة تأهيل الصحفيين تأهيلا خاصا • واعانت اليونسكو جامعة ستراسبورغ في انشاء معهد دولي للصحافة والاعلام[٤] يعد الكوادر المحلية ، ويساعد في اعداد الكوادر الاجنبية ، وخاصة الافريقية منها ، كما أنشىء معهد دولي آخر باشراف اليونسكو في الاكوادور ، كمركز اقليمي للتأهيل الصحفي في قارة امريكا اللاتينية ، ومركز ثالث في داكار فضلا عن مراكز اقليمية اعلامية تقدم العون بشكل او بآخر في مجال تأهيل الكوادر الى الاقطار النامية او الى التي تعاني من نقص او حاجة في هذا الصدد •

ولدراسة الصحافة ، ونعني بها اعداد وتأهيل الكوادر الصحفية تاريخ يعود الى نحو مئة عام • وقد بدأت التطبيقات الاولى للتعليم الصحفي في « واشنطن كوليج » بولاية فرجينيا الامريكية عام ١٨٦٩ • وبعد مضي بضع سنوات ادرجت دروس في فنون الصحافة في مناهج بعض الكليات والمعاهد التابعة لجامعات الولايات الامريكية الاخرى • ولم تكن افكار تدريس

الصحافة تجد التأييد دائما . فقد كان هنالك من يتشكك في جدواها ، وكان هنالك من يتحمس لها ويدعو اليها ويعمل على انجاح تطبيقها . وكان في مقدمة المتحمسين لتدريس الصحافة من الصحفيين البارزين « جوزيف بوليتزر »[٥] الذي كان متفائل النظرة الى مستقبل التأهيل الصحفي . ولم تعرف اوروبا تعليم الصحافة الا في مطلع القرن . ولعل جامعة زوريخ في سويسرا هي اول مؤسسة جامعية في اوربا تعنى بالصحافة والتعليم الصحفي ، بانشائها كرسيا للصحافة في عام ١٩٠٣ ، وبتطبيق برنامج لتعليم الصحافة نظريا وعمليا[٦] . على ان مدرسة الصحافة في ليل ، هي اول مركز للتأهيل الصحفي في اوروبا وفق برنامج منظم ، ويرجع تاريخ تأسيس هذه المدرسة الى عام ١٩٢٤ .

ان الحرب العالمية الاولى ، باحداثها والتطورات اللاحقة لها ، زادت من اهمية تدريس الصحافة ، وضاعفت الاهتمام به . ففي المانيا ظهر الاهتمام بالدراسات الصحفية منذ عام ١٩١٩ . وفي الاتحاد السوفيتي برز الاهتمام بتدريس الصحافة بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وتمثل ذلك في دورات قصيرة الامد ، عرفت بدورات روستا[٧] وذلك عام ١٩١٩ . اما اول برنامج تدريبي مهني فقد انشأته الحكومة في جامعة موسكو عام ١٩٢١ . وتحول في عام ١٩٢٣ الى دراسة لمدة ثلاث سنوات . وفي الوقت نفسه انشئت اقسام للصحافة في العديد من الجامعات ومنها جامعتا موسكو ولنينغراد (عام ١٩٣٠) . وتحول قسم الصحافة في جامعة موسكو الى كلية للصحافة عام ١٩٥٢ . وجرى الشيء نفسه في جامعات ومعاهد اخرى ، في كييف ولينغراد ولفوف وباكو ، حيث تحولت اقسام الصحافة في جامعاتها الى كليات قائمة بذاتها[٨] . وظهرت ، في الفترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، اقسام ومدارس وكليات للصحافة في العديد من الجامعات الاوربية وفي جامعات اليابان[٩] ، والصين والهند وتايلاند وغيرها . اما في الاقطار العربية فقد انشيء اول قسم للصحافة في الجامعة الامريكية في القاهرة عام ١٩٣٥ ، تلاه انشاء معهد للتحرير والترجمة والصحافة في جامعة القاهرة عام ١٩٣٩ . وكانت

مدة الدراسة في المعهد سنتين بعد الدراسة الجامعية ، زيدت الى ثلاث سنوات عام ١٩٤٨ • وفي عام ١٩٥٤ انشىء في كلية الاداب بجامعة القاهرة قسم التحرير والترجمة والصحافة (وكان يقبل فيه خريجو الثانوية) • وتحول القسم المذكور الى قسم للصحافة ، والى معهد للاعلام (١٩٧٠/١٩٧١) والى كلية للاعلام في وقت لاحق (١٩٧٥)[١٠] • وفتح الى جانب كلية الاعلام في جامعة القاهرة وقسم الصحافة في الجامعة الامريكية ، قسم للاعلام في جامعة الازهر ، وقسم للاعلام في جامعة اسيوط (١٩٧٦) مؤخرا •

وشهد عام ١٩٦٤ انشاء المعهد الوطني العالي للصحافة في الجزائر[١١] وقسم الصحافة في كلية الاداب بجامعة بغداد • وانشىء في العام نفسه اول مركز للتأهيل الصحفي في تونس وهو معهد الصحافة وعلوم الاخبار • وفي عام ١٩٦٦ انشىء قسم للصحافة في جامعة امدرمان بالسودان ، وانشئت اقسام للصحافة ، في السنوات التالية ، في جامعات الرياض وجدة ، وليبيا ، ومعهد للاعلام في الجامعة اللبنانية ، تحول الى كلية للاعلام والتوثيق قبل نحو سنتين • واعلن عن انشاء قسم للصحافة والاعلام في المغرب اواخر عام ١٩٧٦ ، وتتجه النية الى انشاء قسم للاعلام في كلية الاداب بجامعة الكويت •

ان تطور الاعلام والاتصال وظهور وسائل الاتصال الجديدة وتطورها وتوسع استخدامها ، واتباع اساليب متطورة وحديثة في مخاطبة الجماهير ، وتنوع وتعقد العمل داخل الاجهزة الاعلامية ، وتطور فنون السينما والاذاعة والتلفزيون جعل معاهد اعداد الكوادر الاعلامية ، والتأهيل الصحفي تراجع مناهجها وخططها وتعيد النظر فيها على نحو يتفق مع ظروف ومتطلبات المرحلة الراهنة • ومن هنا ، فقد تشعبت الدراسة في اقسام ومعاهد الصحافة والاعلام ، واخذ بمبدأ التخصص في الكثير منها ، مع التركيز في التخصص على فروع الصحافة والاتصال والاذاعة والتلفزيون والعلاقات العامة ، في الاغلب •

أنماط الدراسات الاعلامية :

لقد كان التأهيل الصحفي (الاعلامي) دروسا في الصحافة • وكانت الغاية من انشاء معاهد ومراكز التأهيل الصحفي ، التأهيل الصحفي العام • واستوعبت مناهجها ، بمرور الزمن ، دروسا في مواضيع النظرية الصحفية ، وتاريخ الطباعة ، والصحافة ، والتحرير الصحفي ، واللغة والاسلوب الى جانب مواضيع مساعدة او ثانوية ، توفر — مع المواضيع التخصصية الرئيسة — اسباب الثقافة الصحفية العامة ، فضلا عن دروس عملية وساعات منهجية في تطبيقات بعض المواضيع (المواد) كالاخراج والضرب على الالة الكاتبة والاختزال والتصوير • ثم طورت الاقسام الى معاهد تابعة لكليات او جامعات ، او كليات ومعاهد مستقلة قائمة بذاتها ، تضم مناهجها مواضيع نظرية وعملية بالاختصاصات التي تدرس فيها ، كفنون وعلوم الاتصال (التحرير الاذاعي والتلفزيوني ، تخطيط انتاج البرامج ، الاتصال والتنمية ، الرأي العام والدعاية ، الاخراج الاذاعي والتلفزيوني ، العلاقات العامة وتخطيطها وتطبيقاتها ، الالقاء والصوتيات •• الخ) •

ان اغلب مراكز ومعاهد التأهيل الصحفي (الاعلامي) تمنح شهادات البكالوريوس او الدبلوم بعد دراسة تستغرق اربع او خمس سنوات تكون المرحلة الاولى منها عامة والمرحلة الثانية تخصصية • او يركز في المرحلة الثانية على المواد التخصصية • وقد استحدثت دراسات تخصصية عليا في بعض المعاهد الاعلامية يمنح الطالب بعد انجاز متطلباتها درجة الماجستير او الدكتوراه •

ويمكن لنا ايجاز الدراسات الصحفية والاعلامية على النحو التالي :

١ — دراسات اكاديمية لمدة ثلاث سنوات بعد المرحلة الثانوية (فرنسا)

٢ — دراسات اكاديمية في الصحافة والاعلام لمدة سنتين بعد دراسة اكاديمية جامعية لمدة سنتين (في فرنسا ايضا)

٣ ـ دراسات اكاديمية في الصحافة والاعلام لمدة سنة او سنتين بعد دراسة اكاديمية جامعية معينة لمدة اربع سنوات (معهد الصحافة في جامعة القاهرة سابقا ، وبعض المعاهد في فرنسا الآن)

٤ ـ دراسات اكاديمية جامعية في الصحافة والاعلام لمدة اربع سنوات (مع تخصص) (كلية الاعلام في جامعة القاهرة ، قسم الاعلام في جامعة بغداد ، قسم الاعلام في جامعة الرياض) .

٥ ـ دراسات اكاديمية جامعية في الصحافة والاعلام لمدة خمس سنوات بعد الثانوية ـ مع تخصص ـ (كليات الصحافة في الجامعات السوفيتية) .

٦ ـ دراسات تخصصية عليا ـ ماجستير .

٧ ـ دراسات تخصصية عليا ـ دكتوراه (ثلاث سنوات بعد الماجستير) .

٨ ـ دراسات تخصصية عليا ـ دكتوار (٣ ـ ٤ سنوات بعد الدراسة الجامعية الاوليـة) .

٩ ـ كورسات أو مواد اعلامية ضمن دراسات انسانية اخرى .

وثمة صيغ اخرى للتأهيل الاعلامي ظهرت تطبيقات واسعة لها خلال السنوات الاخيرة نذكر منها :

ـ دورات تأهيلية قصيرة الامد لبضعة اسابيع الى بضعة اشهر(١٢) .

ـ حلقات دراسية محلية واقليمية ودولية(١٣) .

ـ محاضرات مستقلة في مواضيع تتصل بالممارسة النظرية والتطبيقية للعمل الاعـلامي .

توجهات الدراسات الاعلامية :

اذا أمعنا النظر في مناهج مراكز ومعاهد الدراسات الاعلامية والصحفية في العالم ، نجد للبعض منها توجها معينا في الدراسة او موادها ، الى جانب التفرع التخصصي فيها ، مع ما بينها من تماثل قليل او كثير في المواد الدراسية . ويرتبط ذلك بطبيعة ظروف واحتياجات البلاد ، وبالنظام القائم فيها وسياساته

العامة والتعليمية ، بالدرجة الرئيسة • فعلى سبيل المثال نجد أن معاهد الصحافة والاعلام في فرنسا تعنى في مناهجها بالمواد القانونية على نحو بارز[١٤] • في حين تمثل المواد التاريخية المتصلة بالتاريخ السياسي للبلاد وتاريخ الصحافة موقعا بارزا في مناهج كليات الصحافة في البلدان الاشتراكية ، وخاصة في الاتحاد السوفتي[١٥] • ويعنى في معاهد الصحافة والدراسات الاعلامية في الولايات المتحدة بالعلاقات العامة والاتصال بالجماهير والاعلان بصورة خاصة •

كما نجد ظاهرة تخصص بعض المعاهد • فمدرسة الصحافة في « ليل » : مثلا تعنى بدراسة « الصحافة » • في حين يأخذ معهد ستراسبورغ بالتخصص في فروع ثلاثة هي الصحافة ، والراديو ، والتليفزيون • ويميل معهد الصحافة في جامعة باريس الثانية الى البحوث والدراسات الاعلامية والاتصال اكثر من غيرها • اما الدراسة الاعلامية في جامعة باريس الرابعة فتهتم بالعلاقات العامة والاعلان والدعاية[١٦] • ولبعض معاهد الصحافة والاعلام في المانيا الغربية توجهات خاصة ، هي الاخرى • فمعهد Fur Püblizistik التابع لجامعة برلين الحرة ، والذي يمنح الماجستير والدكتوراه في وسائل الاتصال الجماهيرية ، بشكل عام ، يعنى بصورة خاصة بوسائل الاتصال في المانيا الديمقراطية ودول اوروبا الاشتراكية الاخرى ، لاسباب سياسية ، بالدرجة الاولى ، دون شك • وفي معهد الصحافة التابع لجامعة Göttingen يتركز الاهتمام في مناهج الدراسة على وسائل الاتصال بشكل عام • ونجد المعهد التابع لجامعة مينز Mainz يعنى بمنهج البحث في الاتصال الجماهيري وبدراسات تاريخ وسائل الاتصال[١٧] •

الدراسات الاعلامية العربية

تطورت انظمة ومناهج الدراسات الاعلامية العربية ، خلال السنوات الاخيرة على نحو ملموس • ومع ظهور مراكز جديدة للدراسات الاعلامية في الوطن العربي ، وجدنا انماطا من الدراسات الاعلامية تأخذ باتجاهات

متنوعة ، وتتباين من حيث الاسس ايضا • فالمعاهد الاعلامية تعتمد الدراسة الاكاديمية المؤلفة من اربع سنوات من حيث الاساس ، وتأخذ بما يلي :

١ ــ نظام السنوات الدراسية (كلية الاعلام في جامعة القاهرة) •

٢ ــ نظام الكورسات ، او الفصلين الدراسيين المؤلفين لسنة دراسية واحدة (قسم الاعلام في جامعة الرياض ، قسم الاعلام في الجامعة الامريكية في القاهرة • وقد شرع بتطبيق هذا النظام في قسم الاعلام بكلية الآداب في جامعة بغداد اعتبارا من العام الدراسي ١٩٧٧/١٩٧٨م) •

ونجد ان مناهج الدراسة في كثير من معاهد الاعلام العربية تأخذ بالتخصص ، في حين ان بعض المعاهد والمراكز تطبق الدراسة الصحفية أو الاعلامية العامة • ويمكن لنا ان نجمل الاتجاه في هذا الصدد بما يلي :

(١) تخصص عام في الصحافة[١٨] (قسم الصحافة في جامعة اسيوط وفرع الاعلام بالجامعة الامريكية في بيروت) •

(٢) تخصص في فرعين ، هما في الاساس :

أ ــ (الصحافة) أو (الصحافة والعلاقات العامة)

ب ــ (الاذاعة والتلفزيون)

(٣) تخصص في ثلاثة فروع ، هي :

أ ــ (الصحافة) •

ب ــ (الاذاعة والتلفزيون) •

جـ ــ (العلاقات العامة)[١٩] •

او يكون تفريع التخصص كالآتي :

أ ــ الدراسات الاعلامية (اعلام)

ب ــ الصحافة والاذاعة والتليفزيون •

جـ ـ الاعلان والعلاقات العامة[٢٠] •

ونجد التفريع على نحو آخر :

أ ـ الصحافة والنشر •

ب ـ العلاقات العامة والاعلان •

جـ ـ الاذاعة والخيالة[٢١] •

وتكاد معاهد الاعلام العربية تتماثل في تحديد مرحلة التخصص • فهي تأخذ بمبدأ الدراسة العامة في السنتين الاولين ، وبالتخصص في السنتين الثالثة والرابعة • ويتميز التخصص في « معهد الصحافة وعلوم الاخبار » في تونس ، وفي « معهد العلوم السياسية والاعلامية » في الجزائر : عن الدراسة والتخصص في سائر معاهد الاعلام العربية • ففي معهد تونس تكون الدراسة على النحو التالي :

(أ) دراسة عامة في السنتين الاوليين ، تكون بمثابة مرحلة دراسية قائمة بذاتها يمنح الطالب بعدها درجة علمية (شهادة الكفاءة في الصحافة) •

(ب) دراسة تخصصية في السنتين الثالثة والرابعة يحصل الطالب بعد انجاز متطلباتها على شهادة « الاجازة في الصحافة وعلوم الاخبار » • ويؤخذ هنا باختيارات تخصصية الى جانب التعلم الاساسي التخصصي[٢٢] •

اما في « معهد العلوم السياسية والاعلامية » في الجزائر فان التخصص يكون في المرحلة الثانية من الدراسة ، في احد فروع الدراسة في المعهد ،وبينها العلوم الاعلامية • والظاهر ان المعهدين التونسي والجزائري قد اخذا بنمط الدراسة التخصصية المزدوجة في المعاهد الفرنسية • فالدراسة في المعهد الفرنسي للصحافة وعلوم الاخبار في جامعة باريس الثانية ، مثلا ، ترتكز على اساس التقسيمات التالية :

قانون •

اجتماع •

تاريخ •

اقتصاد •[٢٣] •

وهو ماتتلمسه في اتجاه الدراسة التخصصية في معهدي المغرب العربي .

وتأخذ ثلاثة مراكز للدراسة الاعلامية في الوطن العربي ، بالتوجه الديني في التخصص ، وهي قسم الاعلام في جامعة الازهر ، وقسم الصحافة والاعلام في جامعة ام درمان الاسلامية ، والمعهد العالي للدعوة الاسلامية في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض .

وثمة اتجاهات تدعو الى تخصص المعاهد الاعلامية العربية ، او تأخذ به فعلا[٢٤] ، واخرى لا تميل الى ذلك .

المناهج الاعلامية ومسالة اللغة :

من الطبيعي ان تكون لغة التدريس في معاهد الاعلام العربية ، عربية ، مع تدريس لغة اجنبية في الاقل . على ان الامر ليس كذلك في كل المعاهد ، حيث نجد الوضع التالي :

١ ــ تدرس كل المواد باللغة الانكليزية (الجامعة الامريكية في القاهرة ، الجامعة الامريكية في لبنان) .

٢ ــ تدرس بعض المواد بالانكليزية والفرنسية (كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية) .

٣ ــ تدرس بعض المواد بالفرنسية والعربية (معهد الصحافة وعلوم الاخبار في تونس ، ومعهد العلوم السياسية والاعلامية في الجزائر)

٤ ــ تدرس كل المواد بلغتين في مجموعتين ينتظم الطلبة فيهما ، وتتلقى مجموعة دروسها كلها بالعربية ، والاخرى بالفرنسية ، (معهد العلوم السياسية والاعلامية في الجزائر) .

وتستقر اللغة الاجنبية كمادة ثابتة في مناهج كل المعاهد الاعلامية العربية ، وترفق احيانا بمادة الترجمة ، وبلغة اجنبية اخرى تكون ضمن المواد الاختيارية . وقد اقر في المناهج الجديدة لجميع اقسام الكليات في الجامعات العراقية ، وبينها قسم الاعلام ، مبدأ تدريس مادة تخصصية واحدة في كل

فصل دراسي بلغة اجنبية ، الى جانب السير قدما في التعريب التام للتعليم الجامعي في الكليات العلمية الصرفة • ونرى ان تعمل معاهد الاعلام العربية ، في تلك الاقطار التي ورثت مخلفات التأثر الثقافي الاجنبي من عهد السيطرة الاستعمارية الاجنبية الطويلة ، ما في وسعها لاتمام عملية تعريب الدراسة فيها ، مع التأكيد على اهمية المام الطالب بلغة اجنبية او اكثر من لغة وتحقيق ذلك عمليا •

الدراسات الاعلامية بين النظرية والتطبيق :

ان الشيء المسلم به هو وجوب ارتباط ما يدرسه الطالب في المعاهد الاعلامية نظريا بالتطبيق والممارسات العملية • واي انفصام بين طرفي هذه المعادلة يعني الخلل في عملية التأهيل الاعلامي • فلم يعد كافيا اليوم مجرد اتقان اللغة واجادة الكتابة والتفنن في تحرير المادة الاعلامية • ان رجل الاعلام ليس كاتبا ضليعا في اللغة وحسب • وان كانت اللغة العدة الرئيسة للتعبير عن آرائه وافكاره او تحريره للنصوص الصحفية او المادة الاعلامية التي يعالجها • وتتطلب الدراسات الاعلامية الحديثة التطبيق العملي لكثير من المعلومات والخبرات النظرية المكتسبة ، وتستدعي ممارسة طلبة الاعلام للعديد من الانشطة الاعلامية ، الامر الذي يقتضي بالتالي توفير مستلزمات مثل هذا التطبيق ، وامكانات الممارسة العملية والتطبيقات للطلبة •

المعاضل والحلول :

تعاني معاهد الاعلام العربية من مشاكل وصعوبات تعترض طريقها ، ومن اوضاع تؤثر على اضطلاعها بمهمتها في « تكوين الاعلامي العربي المؤمن بالاهداف القومية للامة العربية والقادر على الاسهام الايجابي في تحقيق هذه الاهداف ، وفي مقدمتها تنمية المجتمع العربي وتوحيده والتصدي للتحديات التي يواجهها مسلحاً بالقدر الكافي من التأهيل التخصصي والثقافة العامة الى جانب الخبرة العملية »[٢٥] • وبينها ما يتعلق بمناهجها ، الى جانب افتقارها الى العدد الكافي من اعضاء الهيئة التدريسية[٢٦] ، والى الكتب

المنهجية وغير المنهجية والاجهزة والمعدات اللازمة للدراسة فيها • وبين هذه المعاضل ما يتصل بقبول واختيار الطلبة ايضا ، ومن ثم بتدريبهم •

ان خريجي كثير من معاهد الاعلام العربية ، كثيرا ما يواجهون عالما جديدا اذ يتوجهون الى المؤسسات الاعلامية والصحفية للعمل فيها بعد تخرجهم من معاهدهم ، ويخفق البعض في تطبيق ما درسه نظريا ، ويعجز البعض الآخر عن العمل على النحو المطلوب • ولا مناص لمعاهد الاعلام العربية من توفير مستلزمات التطبيق العملي والتدريب لطلبتها فيها • ولا بد لها من تأمين التعاون في مجال التدريب مع المؤسسات الاعلامية والصحفية فالتدريب في المعاهد نفسها ، حتى مع توفير مستلزماته (مختبر تصوير ، مطبعة صغيرة ، استوديو اذاعي •• الخ) لا يكفي ولا يحقق كل شيء • وفي هذا الصدد نجد قلة من معاهد الاعلام العربية وقد وفرت هذه المستلزمات ، او بعضها ، ونجد الاخرى عاجزة عن ذلك • ولعل السبب الرئيس في ذلك يعود ، في تقديرنا الى عدم توفر الامكانات المادية لتأمين هذه المستلزمات ، او لعدم توفر التفهم الكافي لدى الجهات المسؤولة عن هذه المعاهد لاهميتها وضرورة توفير ما تحتاج اليه وتريده •

وفي مجالات التدريب والتعاون بين معاهد الاعلام العربية والمؤسسات الاعلامية الصحفية نجد ان الامر يختلف من قطر الى آخر ومن معهد الى معهد ومن قسم الى ثان • ففي بعضها نلاحظ تعاونا وثيقا يكاد يكون امرا مقررا ورسميا (قسم الاعلام في كلية الآداب بجامعة بغداد)[٢٧] • وفي معاهد اخرى نجد هذا التعاون في مستوى لا بأس به ، وفي غيرها خاضعا للعلاقات بين مسؤولي الاقسام والمعاهد والمسؤولين عن المؤسسات الصحفية والاعلامية ، معتمدا على العلاقات (الودية) وحدها ، ولا نجد اى تعاون ملموس من هذا القبيل ، عمليا ، في معاهد اخرى •

ان السبيل الى حل المعاضل المتعلقة بالتدريبات العملية ، حلا جذريا ، وليس وقتيا على اساس اعتبارات العلاقات الشخصية ، هو التعاون المبدأي الراسخ بين معاهد الاعلام من جهة ، والمؤسسات الاعلامية ووزارات الاعلام من جهة اخرى ، على اساس سياسة مركزية ملزمة لكل الاطراف ، كما هو جار في القطر العراقي على نحو يدعو الى الارتياح • فاذا كان يتعين على هذه المعاهد ان تظل مرتبطة بالجامعات اكاديميا فان صلتها ، في الوقت نفسه ، بالمؤسسات والاجهزة الاعلامية ، ينبغي ان تكون قائمة ووثيقة ، فلها في الاساس ، تعد الكادر المؤهل ، وعليها يمكن ان تعول ، ومنها تستطيع ان تستفيد • مع العمل على توفير متطلبات وصيغ التدريب داخل المعاهد نفسها ، او بمبادراتها على النحو التالي :

- تدريبات داخلية تعتمد على مختبر التصوير والاستديو الاذاعي والمطبعة •
- تدريبات في التحرير تعتمد على المطبوعات التي تصدر عن المعاهد •
- تدريبات في البحث تعتمد على التقارير الفصلية وبحوث التخرج الالزامية •
- زيارات استطلاعية للمؤسسات الصحفية •
- حلقات دراسية وندوات ومحاضرات عامة خارج نطاق المناهج المقررة •
- مشاركات في الندوات والمؤتمرات الاعلامية •
- سفرات علمية تدريبية الى الدول الاخرى ، فضلا عن السفرات العلمية داخل القطر(٢٨) •

ان انماط ومناهج التأهيل في المعاهد الاعلامية العربية تأثرت بأنماط ومناهج الدراسة في المعاهد الاعلامية الاجنبية بشكل او بآخر ، فالذين خططوا لهذه الدراسات ووضعوا مناهجهاهم ممن درسوا في معاهد الصحافة والاعلام خارج بلدانهم ، او اطلعوا على مناهج وانظمة الدراسات الصحفية والاعلامية في الخارج • كما نجد تأثرا واضح المعالم على الصعيد الاقليمي بين

مناهج وانظمة الدراسات الاعلامية العربية التي اخذ بعضها من البعض الآخر ، بنسب متفاوتة • ان التأثير بتجارب الدول المتقدمة في مجال الدراسات الاعلامية امر طبيعي • على انه ينبغي الا يكون مجرد محاكاة او اقتباس شكلي • فما هو صالح وعملي في بلد من البلدان ، قد لا ينطوي على فائدة تذكر ، عمليا ، في بلد آخر • وعلى خبراء واساتذة الاعلام والمسؤولين في معاهد الاعلام العربية ان يقدروا ما هو مناسب لهم ، ومفيد وضروري ، لعملية التأهيل الاعلامي في بلدهم تبعا لظروفه واحتياجاته وامكاناته المتوفرة ايضا •

ومع ايماننا بضرورة توحيد مناهج المعاهد الاعلامية العربية ، فاننا لا نستحسن التقليد الحرفي الشكلي القائم على مجرد المحاكاة • نذكر على سبيل المثال ان كثيرا من معاهد الاعلام العربية استحدثت فيها فروع (العلاقات العامة) او (الاعلان) لمجرد تقليد او مجاراة قسم آخر اقدم منها ، دونما دراسة لضرورة او جدوى مثل هذه الفروع • ويمكن ان نشير ايضا الى الاخذ بتدريس بعض المواد ، وتثبيتها في المناهج ، وفق المنطلق نفسه ، وحتى دون التفكير في وجود من هو أهل ، او يمكن له ان يدرس هذه المواد •

ونرى من الضروري الاستقرار على منهج عربي موحد للدراسات الاعلامية ، بالصيغة والروح التي خرجت بها توصيات لجنة المنهاج الموحد لمعاهد الاعلام العربية التي انعقدت في بغداد (١٥ ــ ٢٠ تشرين ثاني ١٩٧٧) • ولا بأس أن تأخذ معاهد الاعلام المتعددة في القطر العربي الواحد بمبدأ المعهد المتخصص (كالمملكة العربية السعودية ، وجمهورية مصر العربية) ، على ان تتسم طبيعة ومحتوى المناهج ، ومفرداتها بالمرونة ، وبامكانية مجاراة ما يستجد في عالم الدراسات الاعلامية المتطورة ، وبالتوافق مع حاجات ومتطلبات المرحلة التي يمر بها القطر او الوطن العربي •

ومن المهم قبل كل شيء ان تكون لمعاهد الاعلام العربية اهدافها التي تسترشد بها في وضع مناهجها وعملية التأهيل الاعلامي التي تضطلع بها ، وان تضع لنفسها خطط عمل تعمل في ضوئها • وعليها ان تضع بوحي من هذه

الاهداف مفردات مناهجها وموادها التدريسية • ان الاهم من تسميات المواد الدراسية ، هو محتوى هذه المواد • واذا رسمت للمعاهد الاهداف المطلوبة ففي مقدورها ، وعليها ، ان تعتمد عليها في عملها ونشاطها العلمي والاعلامي • ولقد شرعت الجامعات العراقية ، بكل كلياتها واقسامها العلمية ، بوضع مناهجها الجديدة ومفردات هذه المناهج مسترشدة بالاهداف الجامعية والقومية التي تم اقرارها من قبل الجهات المركزية المسؤولة عن سياسات ومناهج التعليم في القطر العراقي ، واصبحت بمثابة دستور لها •

ماذا بعد التخرج :

ان التأهيل الاعلامي عملية ينبغي ان تكون متواصلة ومستمرة يومياً • وينبغي الا يتوقف الجهد في حدود ما اكتسب من معرفة وخبرة ، او شهادة تأهيلية من دراسة في معهد او عمل في مؤسسة اعلامية • ذلك ان التطور السريع للاعلام بنظرياته وعلومه وفنونه ، وبعدته وعدده ، تطور لا يمكن الاكتفاء معه بما اكتسب وما انجز • فضرورات طبيعة العمل الصحفي والاعلامي تقتضي الوقوف على كل جديد يتصل بهذا العمل ومتابعة كل تطور يحدث في الظروف و الوسائل الخاصة به • وليست لهذا العمل نهاية ، وبالتالي ، ليس هنالك اكتفاء يمكن القبول به وكل تفكير من هذا النوع ، معناه الجمود والتخلف • ولعل التخرج في معهد للصحافة والاعلام هو البداية الحقيقية للعمل الصحفي والاعلامي ، يظل المضي في التأهيل ضرورة ملحة بعدها تقع مسؤوليتها على اجهزة الاعلام ، حيث يعمل الكادر الاعلامي وعلى الكادر نفسه وتبرز هنا مهمات في مقدمتها :

- استخدام القدرات المكتسبة على نحو مثمر •
- اكتساب مهارات وقدرات جديدة[٢٩] •
- تطوير ما اكتسب ويكتسب على نحو ينسجم مع المهمات المرحلية والمقبلة وظروف العمل واساليبه المتجددة باستمرار •

ومثل هذا التأهيل ، ونرى ان نسميه بالذاتي لاتصاله بالجهاز الاعلامي من جهة ، وبذات الكادر الاعلامي من جهة اخرى ، يعتبر استمرارا للتأهيل الاكاديمي او غير الاكاديمي المكتسب • وهو موضوع نرى ان نعرض له بشيء من التفصيل •

ان ما نعنيه بالتأهيل الذاتي في الصحافة والاذاعة والتلفزيون : هو ما يكتسب من خبرة ، او يضاف الى المكتسب منها • وما يجري من تطوير لها اثناء العمل • او في سير ممارسة المهنة في المؤسسة الاعلامية • في عملية التأهيل الذاتي هذه يشارك طرفان : المؤسسة والكادر العامل فيها •

ان المؤسسة الاعلامية (الصحيفة ـ الاذاعة ـ التليفزيون ووكالة الانباء ايضا) تعمل وتتحرك وفق خطة عمل او سياسة معينة • مع الاستعانة بقاعدة تقنية وبأسلوب توجه متميز في الاغلب وبمجهود كادر يتألف عادة من :

١ ـ عناصر عاملة اكتسبت الخبرة المهنية والتخصص بالممارسة •

٢ ـ عناصر عاملة جديدة حديثة العهد بالعمل لا تملك تأهيلا مسبقا •

٣ ـ عناصر عاملة جديدة حديثة العهد بالعمل تملك تأهيلا نظريا ، وقسطا من التدريب العملي ، احيانا •

ان مهمة الاتصال ، تأتي في مقدمة المهن التي باتت تخضع للتطور السريع والتجديد المتصل الذي يتعذر تحديد آفاق ابعاده المستقبلية • انها فن تتجدد أسسه العلمية والتقنية ، وصيغ نشاطه باستمرارية وسرعة فريدة بين مجالات نشاط الانسان الاخرى •

ولقد تغيرت اساليب العمل وتعقدت متطلباته ، وتوسعت وتطورت قنواته وصيغ توجهه ، كما شمل التغير مفهوم الوقت والزمن في مجال ممارسته •

كانت الملكة فكتوريا في فراش المرض الذي الم بها وقرب نهايتها•وكان جون فانرد كوك بين المراسلين الصحفيين الذين انتظروا نهاية الملكة المحتضرة • وكان يمتطي جوادا سريع العدو ، على بعد نصف ميل من القصر يراقب احدى

نوافذه • ولما ابصر اشاره ضوئية من النافذة ، لكز جواده وانطلق به الى اول مكتب للاتصال بصحيفته ، واحراز سبق صحفي عال برشوة خادم في قصر الملكة[٣٠] • وعندما مات نابليون في جزيرة سانت هيلانه التي نفي اليها فان خبر وفاته لم يصل الى فرنسا ولم ينشر في صحفها ولم تعرف به اوروبا الا بعد بضعة اشهر[٣١] ، وفي عهد استعمار امريكا وانشاء وتطور الصحافة فيها ، كانت انكلترة المصدر الاعظم للاخبار • فقد كان المستوطنون في « العالم الجديد » اكثر اهتماما بالاخبار الواردة عبر المحيط • وكان قباطنة السفن وسواهم من الذين كانوا يصلون على ظهر السفن حملة الاخبار الجديدة • وكان بعض الصحفيين ، سعيا منهم لاحراز سبق صحفي ، ينطلقون في قوارب صغيرة سريعة باتجاه السفن القادمة ويتصلون بمن عليها ، وهي لما تزل في عرض البحر ، للحصول على الاخبار منهم والعودة بها سريعا الى الشاطىء والتوجه بعد ذلك الى مكاتب صحفهم او ايصال التقارير الاخبارية اليها[٣٢] هكذا كانت الصحافة تعمل وتسعى لتحقيق السبق الصحفي في تغطية الاحداث والانفراد بنشر الاخبار • ولقد تغير مفهوم السبق الصحفي بسرعة • وبات الاعلام الاخبارى يتحقق اليوم في دقائق • فلقد ذاع في كل ارجاء العالم ، على سبيل المثال ، نبأ تحليق اول انسان في الفضاء الخارجي (يوري غاغارين عام ١٩٦١) فور الاعلان عنه رسميا من اذاعة موسكو • كما ان الملايين من الناس في العالم كانوا يتابعون اولا باول ، صوتيا وصوريا ، عملية هبوط اول انسان على سطح القمر (نيل ارمسترونغ عام ٦٨) • لقد قرب تكنيك الاتصال الاذاعي والتليفزيوني ، واساليب استخدامه ، المسافات ، وربطت الاقمار الاصطناعية القارات ، وبات في مقدور المرء ان يشاهد حدثا يجري على بعد مئات والوف الكيلومترات عنه في لحظة وقوعه • وليس ذلك فحسب بل تيسر له ان يشاهد الحدث مكررا ، وبعد وقوعه ومتى ما ارتؤى ذلك ، بفضل اساليب النقل والتسجيل الصوتي والصوري المتطورة •

ان الجمع الآلي ، على سبيل المثال ايضا ، والذي اعتبر حـدثا كبيرا وجديدا في عالم الطباعة ، وظل كذلك نحو قرن من الزمن اخذ يخلي المكـان لاساليب وطرائق جديدة متطورة في الجمع ، منها الجمـع التصـويري والالكتروني .ومحررو الاخبار في الوكالات العالمية المتقدمة للانباء ، لـم يعودوا يستخدمون اقلامهم ، ولا الورق في عملهم ، فقد بات في مقدورهم ان ينجزوا كل شيء : ان يتلقوا ويقرأوا ويصححوا ويحرروا ، ومن ثم يبثوا الاخبـار والتقارير ، بالضرب على مفاتيح الماكنة الالكترونية الموجودة على مكتبهم ومتابعة النصوص الاخبارية المعالجة على شاشتها . مع الرجوع الى الارشـيف الالكتروني عند الحاجة[٣٣] .

وثمة صحف يتم اعداد طبعات لها في مناطق نائية ، او توزع نسخهـا ، عن طريق الراديو والبث التليفزيوني وفي وقت واحد[٣٤] .

انه عصر ثورة الاتصال المرتبطة بثورة الالكترون ، عصر تطور سريـع لا بد من مجاراته والتجاوب مع ايقاع حركته الديناميكية المنطلقة .

كل ذلك يعني ان التأهيل ، في مجالات الاتصال والعمـل الاعـلامي ، بدوره ، وكنتيجة لاستمرارية تجدد وتطور فنون وعلوم الاتصال ، عمليـة مستمرة ، او ينبغي ان يكون كذلك .

ان العمل في الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، تعليم متصل مسـتمر لا يعرف التوقف ، والتأهيل الاعلامي في هذه الحقول لا ينتهي بالحصول على شهادة اكاديمية ، او وثيقة تخرج من دورة تدريبية ، او باكتساب خبرة ما في وقت معين بحكم الممارسة العملية .

ان ما يقال عن تأهيل الكوادر الصحفية وتدريبها ، ينطبق على تأهيـل وتدريب العاملين في مجالات الاتصال كلها ، فهؤلاء يحتاجون الى مزيد مـن

التعلم ، دائما ، والى تدريب مستمر وتطوير دائب لخبراتهم ومهاراتهم المكتسبة . فالفنيون الذين يمارسون العمل الفني في محطات الاذاعة ، او الذين يديرون الاستديوهات ويعدون وينتجون البرامج الاذاعية والتليفزيونية ويتولون تشغيل اجهزتهم ، شأنهم شأن العاملين في مكاتب الاخبار والتحرير ، او الذين يعملون في عمل صحفي ، ينبغي ان يطوروا قدراتهم على نحو ينسجم مع ما يستجد في حقول عملهم وفي فنون وعلوم الاتصال عموما ، بالمتابعة والتدريب المتخصص المنظم . وثمة صيغ مطبقة او يمكن ان تطبق بهذا الصدد ، ومنها :

- التدريب اثناء ممارسة العمل ، ويتحقق باكتساب الخبرة العملية والمهارة الفنية من العاملين المجربين ، والوصول الى مستواهم يوما ما .
- التلمذة التدريبية ، ويؤخذ بها في بعض الدول ، وتمارس بالجمع بين العمل المهني والتأهيل الاكاديمي ، حيث توفر الصحيفة او المؤسسة الاعلامية ، لاحد كوادرها من الشباب فرصة الدراسة في معهد او كلية مع الابقاء على علاقته العملية بمؤسسته ، في صورة عمل معين يعهد اليه[٣٥] .
- حلقة البحث التدريبية ، وتنظم لمناقشة ودراسة الشؤون المتصلة بالعمل في مؤسسات الاتصال . فمعهد الصحافة في جامعة كولومبيا بنيويورك ، مثلا ، ينظم حلقة بحث وتدريب للكتاب المتخصصين في العلوم ، او لمحرري الشؤون المدنية ، او لمحرري الاخبار ، وغيرهم من المحررين في اختصاص معين ، حيث يناقشون مشكلاتهم في مدى بضعة اسابيع ، ويشارك في النقاش مسؤولون عن المهن المذكورة ، ايضا[٣٦] ومنها الحلقات الدراسية التي اعدها المركز الدولي للدراسات العليا في الصحافة

بكويتو في الاكوادور ، والدورات والحلقات الدراسية للمعهد الدولي للصحافة والاعلام في ستراسبورغ ، كما يمكن لنا ان نذكر الحلقات الدراسية التي نظمها المركز العربي للدراسات الاعلامية في القاهرة وتلك التي شاركت في عقدها الوحدة الاقليمية الاعلامية لليونسكو بالقاهرة ، ومعهد التدريب الاذاعي والتليفزيوني في بغداد .

— دورات تدريبية او تأهيلية ، وتنظم لتطوير كفاءة وخبرة العاملين في اجهزة الاعلام . ونذكر منها دورات معهد التدريب الاذاعي والتليفزيوني في بغداد ، واتحاد الصحفيين العرب ونقابة الصحافيين العراقيين ، ووكالة الانباء العراقية .

— التعاون الاقليمي في التدريب . ويتم بتنظيم حلقات دراسية ودورات في مركز تدريبي يمول اقليميا او دوليا . ونذكر على سبيل المثال دورة المعهد العربي للثقافة العمالية ، التي عقدت مؤخرا[٣٧] .

— عقد لقاءات مع خبراء الاتصال ، ويتحقق ذلك بترتيب معهد من معاهد الاتصال او الصحافة لقاءات تأهيلية او توجيهية ، بارسال الخبراء الى قطر ما للالتقاء بالعاملين في الصحف ، مثلا ، وتقديم التوصيات اليهم والتوجيهات في ضوء دراسة ومناقشة مشكلاتهم ومشكلات مؤسستهم التي يعملون فيها .

— الاستعانة في العمل ببعض المتخصصين من غير العاملين في المؤسسة او الاعلاميين[٣٨] .

— ايفاد الكوادر العاملة في مؤسسة ما ، لزيارة مؤسسة اكبر ، او مركزية للاطلاع على سير وتنظيم العمل فيها ، او للاستزادة من التدريب فيها . ويطبق ذلك في الاتحاد السوفيتي على نطاق واسع ، وتتراوح مدة الايفاد بين بضعة ايام او اسابيع وبضعة اشهر .

- ايفاد الكوادر لزيارة المؤسسات المتقـــدمة الشبيهة بها وذات الصلة بمؤسستهم ، في الدول الاخرى للاطلاع والتدريب •

ونرى ، الى جانب كل ذلك ، ان التأهيل الذاتي ، في المؤسسات الاعلامية ، باغناء الخبرات وتطوير القدرات ، يمكن ان يتحقق على نحو آخر من خلال العمل اليومي ، وباتصال وثيق به • والتنظيم الجيد للعمل في المؤســـســة ، والتوجيه المخطط له ولمنفذيه كفيل بتحقيقه وانجاحه • وتضطلع بدور هام ، في هذا الصدد الخطط البعيدة المدى ، والقصيرة ، والخطط الشهريـة والاسبوعية للعمل (في الصحف) والبرامج (في الاذاعـــة والتليفزيون) والاجتماعات اليومية ، او الاسبوعية للاقسام ، والاجتماعـات الشـــهرية للمديريات والاجتماعات العامة للمؤسسة ، وتنظيم ندوات او محاضرات مهنية او فنية او سياسية يشترك فيها المسؤولون او ذوو الاختصاص من الاساتذة والكتاب وخبراء الاعلام ، حيث ترسم وتناقش الخطط ، وتراجع المعطيات ، ويلقى الضوء على النتائج والمحصلات الايجابية والسلبية على حد ســواء ، ويحاسب العاملون على ما تعهدوا به او كلفوا به وما حققوه او قدموه مـــن عطاء • ويظل الهدف الاستفادة القصوى والصحيحة من الامكانيات التقنية الموجودة وبأقصى وافضل مجهود يبذله الكادر العامل ، وصولا الى الهدف المرســوم ، مع العناية بأمر تخصص الكادر ، او تمكينه من التخصص الدقيق في حقل عمله وتطوير هــذا التخصص ، وهو امر يتطلب تظافر جهود المؤسسة والمسعى الذاتي ، وجعله في موضع الاهتمام اليومي الدائب •

الهوامش والمراجــــع :

(١) كانت الصحافة العربية ، هي الاخرى ، صحافة أفراد من الادبـــاء أو الشعراء في مرحلة مبكرة من تاريخها ، ولمدى غير قصير من الزمن .

(٢) د. محمود فهمي . الفن الصحفي في العالم . القاهرة ١٩٦٤ ، ص٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص٢٢ ــ ٢٦ ، انظر ايضا : د. سنان سعيد : « فــي التأهيل الصحفي » / التخصص في الصحافة / ملحق « الجمهورية » ، ١٤ حزيران ١٩٧٥ .

(٤) د. خليل صابات . الصحافة ، رسالة واستعداد وعلم وفن . القاهــرة ١٩٦٧ ، ط٢ ، ص٤٢ .

(٥) أوصى بوليتزر بثروة كبيرة تركها لانشاء مدرسة للصحافة بعد وفاته ، ولمنح جوائز لاحسن الكتابات الصحفية ، وهي الجوائز المعروفة التـــي تحمل اسمه حتى الان .

(٦) د. خليل صابات . المصدر السابق . ص٤٨ .

(٧) روستا ROSTA : وكالة انباء روسيا ، وهي بمثابة السلف لوكالة أنباء الاتحاد السوفيتي « تاس » .

(٨) للاستزادة من المعلومات والتفاصيل ، انظر :

Mass Communication Teaching and Studies at Universities. The UNESCO press. Paris 1975.

(٩) **بدات دراسة الصحافة في الجامعة الامبراطورية «جامعة طوكيو» بدروس** نظرية في الصحافة نظمت عام ١٩٢٩ .

(١٠) انظر : دليل كلية الاعلام . مطبعة جامعة القاهرة . ١٩٧٦ ، ص ٥ . أيضا : التدريس الاعلامي في الدول العربية ، تقرير اعده د. احمد حسين الصاوي . جامعة الرياض . ص١٢٧ ، ١٣٧ .

(١١) ادمج مع معهد العلوم السياسية ، مؤخرا ، فأصبحا معهدا واحـــدا يسمى « معهد العلوم السياسية والاعلامية » .

(١٢) على سبيل المثال : دورات معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني التابـــع للمؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون في بغداد .

(١٣) اول حلقة لدراسة طرق التدريب على استخدام وسائل الاعلام نظمت من قبل اليونسكو واقيمت في القاهرة عام ١٩٦٦ ، كما نظمت في بغداد « معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني » حلقات دراسية في السنـــوات الاخيرة .

(١٤) انظر : Journalisme Strasbourg. Enseignement Recherche
انظر أيضا Ecole Superieure De Journalisme De Lille. Lille. 1974.

(١٥) تدرس مادة التاريخ في كل سنوات الدراسة الخمس في كليات الصحافة في الاتحاد السوفيتي . كما أن تاريخ الصحافة يعطي حجما زمنيا واسعا هو الآخر . ونستثنى هنا مناهج معاهد الصحافة في المانيا الديمقراطية . فمادة التاريخ تدرس ساعتين في الاسبوع خلال سنة دراسية واحدة في كلية « قسم » الصحافة بجامعة لايبزك « أنظر :
Studienplan fur die Grundstudienrichtung Jurnalistik. Ausbildung an der karl-Marx-Universitat Leipzig. Berlin. 1974).

(١٦) انظر كتاب اليونسكو
(Mass Communication. Teaching Studies at Universities).
القسم المخصص لفرنسا

(١٧) المصدر السابق ، القسم المخصص لالمانيا الغربية .

(١٨) تخلت معاهد الاعلام العربية ، باستثناء قلة منها : عن هذا الاتجاه .

(١٩) كلية الاعلام في جامعة القاهرة .

(٢٠) كلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية .

(٢١) قسم الدراسات الاعلامية بجامعة قار يونس في بنغازي « الجماهيريـــة العربية الليبية » .

(٢٢) انظر : معهد الصحافة وعلوم الاخبار . دليل الطالب . الجامعـــــة التونسية . ١٩٧٧/١٩٧٨ . ص٢٢ . أيضا : تقرير الدكتور أحمـــد حسين الصاوى عن التدريس الاعلامي في الدول العربية .

(٢٣) Mass Communication القسم الخاص بفرنسا .

(٢٤) يتجه قسم الاعلام في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة الى التركيز على التخصص في الصحافة . ويلاحظ الاتجاه نفسه في جامعة اسيوط .

(٢٥) التقرير الختامي والتوصيات . اجتماع لجنة المنهاج الموحد لمعاهد الاعلام العربية . بغداد ١٥ــ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٧ . قسم الاعلام . كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ص٢ .

(٢٦) انشىء قسم الصحافة والاعلام في جامعة الازهر عام ٧٥ / ٧٦ دون أن يتوفر فيه مدرس متخصص متفرغ . وقد عين فيه مدرس بعد عام . « انظر تقرير الدكتور أحمد حسين الصاوي عن التدريس الاعلامي . ص ١٥٠ » .

وفي كلية الاعلام والتوثيق اللبنانية ٣ اساتذة متفرغين ، وهم متخصصون في العلوم الانسانية والاجتماعية . ويبلغ عدد المحاضرين والمنتدبين من خارج الجامعة ٢٣ ثمانية منهم متخصصون في المواد الاعلامية « المصدر السابق ، ص ١٠٣ » . وفي قسم الدراسات الاعلامية بجامعة قار يونس في بنغازي استاذان محاضران متفرغان فقط وهما من جمهورية مصر العربية .

(٢٧) يتدرب طلبة قسم الاعلام في كلية الآداب بجامعة بغداد يوما واحدا في الاسبوع في احدى المؤسسات الاعلامية ، مدى السنة الدراسية ويتدربون شهرا كاملا في العطلة الصيفية ، وبينهم من فتحت المؤسسات الاعلامية ابوابها امامهم حيث يعملون فيها من الان كمندوبين او محررين ، في هذه الصفحة او تلك او في بعض اقسام المؤسسة بالاضافة الى التدريب العملي داخل القسم .

(٢٨) ثبتت في المنهاج الجديد لقسم الاعلام بجامعة بغداد السفرات العلمية داخل وخارج القطر . وقد قام طلبته في سنة سابقة بزيارة الى لبنان . وفي السنة الماضية الى الكويت ومن المقرر ان يقوموا بزيارة مماثلة الى احد الاقطار العربية هذا العام . وتجدر الاشارة الى مبادرات قسم الاعلام في كلية الآداب بجامعة الرياض في هذا المجال حيث أخذ ينظم لطلبته دورات تدريبية في انكلترة « لتقوية اللغة » .

(٢٩) وهو ما يعنيه ويلبور شرام « بالتدريب أثناء العمل » . انظر ويلبور شرام . أجهزة الاعلام والتنمية الوطنية . دور الاعلام في البلدان النامية ترجمة محمد فتحي . القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢٨٤ .

(٣٠) فن الصحافة ، تحرير ادموند كوبلنتر ، ترجمة انيس صايغ ، بيروت ، ١٩٥٨ . ص١٧٤ .

(٣١) د. خليل صابات . الخبر ومصادره . محاضرات . ص ٢٢ .

(٣٢) توماس بيري . الصحافة اليوم . ترجمة مروان الجابري . بيروت ١٩٦٤، ص ٢٠ .

(٣٣) أخذ بتطبيق هذه الطريقة التي تعتبر ثورة جديدة في عالم الصحافة والاتصال في عدد من كبريات الصحف ووكالات الانباء في الولايات المتحدة . على انها ، في ظروف الانظمة الراسمالية ، تؤدي الى بطالة عدد غير قليل من عمال الصحافة . وبالتالي فانها تواجه المقاومة من قبل منظماتهم النقابية . وفي فرنسا تتهيأ وكالة الصحافة الفرنسية « فرانس بريس » لاستخدامها .

(٣٤) طبعات بعض الصحف الامريكية في القارة الاوروبية . طبعات صحيفة (أساهي) اليابانية . و (برافدا) و (ازفستيا) السوفيتين و « نويس دويتشلاند » الالمانية الديمقراطية .. الخ .

(٣٥) ويلبور شرام . المصدر السابق . ص٢٨٥ .

(٣٦) المصدر السابق .

(٣٧) نظم المعهد في نيسان عام ١٩٧٧ دورة تاهيلية خاصة بالصحفيين العماليين في الاقطار العربية ، عقدت في بغداد .

(٣٨) ويتم ذلك بالاستفادة منهم كمستشارين او خبراء مساعدين ، أو هيئات استشارية . ويؤخذ بذلك في دور النشر وبعض المؤسسات الاعلامية في الدول الاشتراكية .

الكرد في كتابات المسلمين الأوائل
ذكر مواطن وطوائف الأكراد

الدكتور أحمد عثمان أبو بكر
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

كلمـــة

قد عمدنا في هذه الدراسة الى ذكر ونقل مدونات وأراء المؤرخين والبلدانيين العرب والمسلمين الاوائل عن مواقع ومواطن ومساكن الاكراد وأسماء عشائرهم و طوائفهم وما أتيح لهم ذكرها ، والاقتصار على أقتباس تلك الصفحات أو الفقرات أو الجمل التي يرد فيها لفظ الكرد أو الاكراد أو هاتين التسميتين بالاضافة الى لفظ الكردي في حالات ، وليس غير ذلك قدر الامكان • ونوالي نحن العمل في اقتطاف أمثال تلك التعابير على تلك الصورة لغاية منتصف القرن الرابع الهجري ونعمد في ذات الوقت الى شرح أو مقارنة او مناقشة تلك المدونات بعضها بالنسبة الى البعض الاخر والتعليق على تلك الكتابات بمقتضى الحاجة والضرورة • ويجدر الاشارة الى أننا نعتمد الاقتباس لكامل صفحات او فقرات او تمام جمل تتضمن تسميات الكرد والاكراد او الكردي وأسماء طوائفهم في حالات معينة كلما تحقق وجودها وذكرها لدى تقصينا لمواطن ومواقع سكن الاكراد وأماكن وجودهم في تلك الحقب من التاريخ وعند تحرينا عن أسماء قبائلهم وفرقهم ، ونجد مبررا او دعما لعملنا هذا او لهذا النهج من البحث في هذه الدراسة بعينها في عدة اسباب نراها واردة ومن ذلك قلة الصفحات او الفقرات أو الجمل التي خصصت لطوائف الاكراد ولمناطق وجودهم ومواقعهم وندرة ذكرهم النسبية في الكتابات

التأريخية والاداب الوصفية وفي مصنفات البلدانيين الاوائل الرواد وشعورنا الواقعي بأمكان جمع كل او جل ماكتب وسجل في هذا المضمار الى ذلك التأريخ بين دفتي بحث واحد ، ومن جهة ثانية يحدونا الامل في هذا المنحى أن ننقل للقارىء صورة حقيقية او واقعية من المظان الاصلية عن كيفية ذكر هؤلاء الاقدمين من مؤرخين وبلدانيين للكرد والاكراد والحرص على تجنب أجتزاء او بتر ممعنين لتلك الصور والشذرات وحفظ النبرة والنكهة التأريخية الاصلية التي غالبا ماتكون معبرة واخاذة •

ومن جهة أخرى فأننا نتوخى ان ننهج في نفس الوقت سبيلا قريبا من ذلك الاسلوب او الطريقة العلمية التي تعرف بلفظ HERALDRY في التعابير الاجنبية عن دراسة الاصول والمناشيء والانساب والمظان •

ويجدر أن نلاحظ أيضا أنه قلما يورد هؤلاء الكتاب والمصنفون الرواد أو يذكرون مواطن سكن الاكراد او يدرجون أسماء طوائفهم وفرقهم كاملا أو بالتفصيل الوافي وبأنتظام ووضوح • وتتميز كتابات الاصطخري والمسعودي والمقدسي وأبن حوقل وغيرهم قلة من الاوائل بشيء من التفصيل وبدرجة من الانتظام بهذا الصدد ، قد تفتقدهما الكتابات والمراجع الاخرى • فأن ماعمله هؤلاء المذكورون هم أنهم دونوا أسماء ومواطن قبائل كردية عديدة وأشاروا الى اوجه من حياتها في أحوال وصور أوضح من عمل غيرهم •

مع ذلك فأن ماذكر من تفاصيل عن هذه الفرق والعشائر ومواقع سكنها وعن الاكراد عموما من بعض الاخبار والمعلومات قلت او كثرت تنطوي على فوائد وتستأثر بأهمية تأريخية وعلمية كبيرة حقا • ويبدو ان التقسيمات الادارية المعروفة كانت تقتصر اساسا على هذه التسميات : الاقليم ، جمع أقاليم ـ كورة ، جمع كور ـ رستاق، جمع رساتيق ـ طسوج ،جمع طساسيج (كذلك ناحية ، جمع نواحي)[1] ـ وهناك سقع ، جمع أسقاع ـ مدينة ، جمع مدن ومدائن و مدينات ـ بلد ، جمع بلدان ـ وقرية ، جمع قرى ـ والقصبة وهي مركز كورة الاداري •

---

(١) « وترجمة الطسوج ناحية » ـ أبن خرداذبة ـ (المسالك) ، (١٠٧)

وبالنسبة لبعض مواطن وأحياء وطوائف الاكراد تستخدم تسمية خاصة من لدن هؤلاء المؤلفين وهي (زم ، جمع زموم) وهي ماكانت تقع خصوصا في أقليم فارس وعلى حد اصفهان وكرمان والاهواز . وستظهر تفاصيل هـذا الموضوع ضمن هذا البحث .

وقد جهدنا أن نقدم الاقتباس قدر المستطاع من أقدم المؤرخين والبلدانيين ونتدرج في ذلك ، وبذات الوقت عمدنا الى ذكر اهم المراجع التي تذكر هذه التسميات والالفاظ وذلك ليمكن للقارىء تتبع التسلسل من جهة والتبادر الى الموضوع او المضمون الاهم ليسهل عقد المقارنة والوثوق من صحة هـذه المسميات والمواقع والاماكن . ونباشر نحن الاقتباس والشرح والتعليق على ضوء ذلك حسب .

مواطن ومواقع

جاء في كتاب اليعقوبي (البلدان) :

كورة الجبل[1]

الصميرة [2]

« ومن مدينة السيروان الى مدينة الصميرة وهي مدينة كورة تعرف بمهرجا نقذق .. وأهلها أخلاط من الناس من العرب والعجم من الفرس والاكراد وأفتتحت ماسبذان والصميرة في خلافة عمر بـن الخطاب[3]» .

---

(١) « وكور الجبل ماسبذان ومهرجا نقذق وماه الكوفة وهي الدينور » ـ ابن خرداذبة ـ (المسالك والممالك) ـ ص (٢٠) .

(٢) وهي صيمرة : « كلمة اعجمية وهي في موضعين أحدهما بالبصـرة .. والصيمرة بلد في ديار الجبل » ـ الحموي ـ (معجم البلدان)، مجلد (٣) ص (٤٤٣)

(٣) اليعقوبي ـ (كتاب البلدان) ـ ص (٢٦٩) ، وجاء في نفس المصدر ، ص (٢٣٦) : « كور الجبل الحزنة الخشنة المثلجة دار الاكراد » . ـ (من كور الجبل ... همذان ونهاوند والدينور و حلوان وما سبذان ومهرجا نقذق وشهرزور والصامغان وأذربيجان ..) ـ (تأريخ اليعقوبي) . الجزء (١) ص (٢٠١).

حلـــوان[٤]

« حلوان مدينة جليلة وأهلها أخلاط من الناس من العرب والعجم من الفرس و الاكراد ••• وقرماسين مدينة جليلة القدر كثيرة الاهل أكثر أهلها العجـــم من الفرس والاكراد[٥] »

اصبهــــان

« لها رستاق جيي وفيه المدينة ، ورستاق بران وأهلها دهاقين لا يخالطهم غيرهم •• و رستاق القامدان (رويدست)وفيه الاكراد ومنه خرجت الخرمية وهو الحد بين عمل أصبهان وعمل الاهواز ، ورستاق فهمان وفيه الاكراد[٦]»

(المسافة بين مدينة السلام والري)[٧]

« من بغداد الى النهروان ٤ فراسخ •• ومن الدسكرة الى جلولا ٧ فراسخ ••• حتى تصير الى قنطرة يقال لها طارستان ، ومن جلولا الى خانقين ٧ فراســـخ ••• ثم تمر حتى تنتهي الى وادي حلوان ••• ومن حلوان الى ملى دروانستان ٤ فراسخ ••• ومن ملي درواستان الى مرج القلعة ٦ فراسخ الطريق

---

(٤) حلوان ــ كانت تقع بين (قصر شرين) و (كرند) ــ زكي ــ (خلاصة تأريخ الكرد وكرستان) ــ ص (٦) •
«حلوان العراق وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد » ــ الحموي (معجم البلدان) ــ مجلد (٢) ، ص(٣١٧) ، انظر أيضا ــ ابن حوقل ــ (صورة الارض) ــ ص (٣١٤) •

(٥) اليعقوبي ــ (كتاب البلدان) ــ ص (٢٧٠) • قرماســين ــ و (قرماشين) في (الاعلاق النفيسة) ــ ص (١٦٣) ، و (قرمسين) •• وهو تعريب كرمان شاهان بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخا قرب الدينور وهي بين همذان وحلوان ــ (معجم البلدان) ــ مجلد (٤) ، ص (٦٩) ، (كرمان شاهان •• مدينة بالجبال) ــ المقدسي ــ (احسن التقاسيم) ،ص (٢٨)

(٦) اليعقوبي ــ (البلدان) ــص (٢٧٤) ، ويذكر ابن الفقيه : (رويدشـــت والقامدار) ــ مختصر تأريخ البلدان ــص (٢٦٣) ، و(رستاق القمذان •• ورستاق رويدشت) ــ ابن خرداذبة ــ (المسالك والممالك) ــ ص (٢٠) •

(٧) اقرأ ، لسترانج (بلدان الخلافة الشرقية) ــ ص (٢٣) •

في شعب وأشجار كثيرة و هو موضع مخوف من الاكراد حتى تنتهي الى مرج القلعة ••• وبقرب العقبة قرية يقال لها اخرين وهي بناء الاكاسرة وسكانها قوم من الاكراد وفيها بيت يعظمه المجوس ••• ثم الى نهاوند وهي أحدى كور الجبل وكور الجبل ماسبذان ومهرجا نقذق وماه كوفه وهي الدينور و ماه البصره وهي نهاوند وهمذان وقم»[٨]

وجاء في كتاب أبن خرداذبة (المسالك والممالك) : « كورة أستان شاذ فيروز وهي حلوان وظيفة حلوان مع الجبارقة والاكراد من الورق ألف الف وثمان مائة الف »[٩]

وجاء في نفس المصدر مايلي :

« وهي اربعة وتفسير الزموم محال الاكراد[١٠] فمنها زم الحسن بن جيلويه يسمى البازنجان من شيراز على أربعة عشر فرسخا وزم أردم بن جواناه من شيراز على ٢٦ فرسخا وزم القاسم أبن شهر براز يسمى الكوريان من شيراز على خمسين فرسخا وزم الحسن بن صالح يسمى السوران من شيراز على سبعة فراسخ »[١١] .

يتصف موضوع الزموم بطرافة أخاذة و أهمية خاصة في هذه الفترة من التاريخ • وقد أشار الى التسميتين (زم) و (زموم) كل من المسعودي وابن خرداذبة وتوسع في الكتابة عن أمور وشؤون تلك الزموم الاصطخري و

---

(٨) ابن رستة ــ (الاعلاق النفيسة) ، ص (١٦٥) ــ وانظر ابن خرداذبة ــ (المسالك والممالك) ــ ص (٤١) .

(٩) ابن خرداذبة ــ (المسالك والممالك) ــ ص (١٤) . ولعل الورق هنا هو الورق وهو الدرهم المسكوك ــ (تاريخ البيهقي) ، ص (٨١٥) .

(١٠) « ... محال الاكراد اربعة زموم بفارس خاصة ....» ــ ابن الفقيه ــ (مختصر كتاب البلدان) ص (٢٠٣)

(١١) ابن خرداذبة ــ (المسالك والممالك) ، ص (٤٧) ، ابن الفقيه ــ (المختصر) ــ ص (٢٠٣ــ٢٠٤) ، وجاء في (المشترك وضعا والمفترق صقعا)، لياقوت الحموي ــ ص (٢١٠) : « ...جمعه رموم وهي محال لقبائل الاكراد بارض فارس ... ورم الحسن بن صالح ويسمى الريزان » .

المقدسي وأبن حوقل بصورة خاصة ، وورد ذكرها في (تأريخ الرسل والملوك) للطبري . وقد تطرق الى الزموم كتاب من الاجيال التالية لجيل هؤلاء مثل ياقوت الحموي وغيره .

كتاب الاصطخري (المسالك والممالك) و (والاقاليم)

يذكر الاصطخري تفاصيل مفيدة وشيقة عن طوائف كردية كانت تقطن مواطنا ومواقعا اشتهرت كما ذكرنا بأسم (زم) في المفرد و (زموم) في صيغة الجمع في بعض أنحاء أيران بالاخص في أقليم فارس . ومن يتمعن في أمر هذه الزموم يجدله تأريخ سابق يرجع الى عهود أخرى . ويقول المؤرخ محمد أمين زكي: « فينبغي البحث عن أصل الشعب الكردي .. بواسطة دراسة الاثار والمؤلفات الشهيرة للعلماء الاختصاصيين .. ويؤيد هذه الفكرة طبعا وجود عشائر كردية كثيرة في ــ فارس ــ في عهد الساسانيين »[١٢]

ونستطيع نحن أن نتأكد من ذلك من الفاظ وتسميات الزموم وأسماء الطوائف والرؤساء الواردة في هذه الكتب والتآليف ، وتبدو أهمية الزموم واضحة لما أولاها هؤلاء المؤلفون والمصنفون من الاهتمام .[١٣]

وجاء في كتــاب الاصطخري المــذكور

« وأما حلوان فهي مدينة عامرة ... وهي بقرب الجبل .. ثم تطوف على مثل القوس الى حد عمل واسط من حد العراق الى الجبل فأنه قليــل العمارة فيها قرى مفترشة والغالب عليها الاكراد والاعراب وهي مراع لهم[١٤]»

---

(١٢) زكي ، محمد امين ــ (خلاصة تأريخ الكرد و كردستان) ، ص ٤٣

(١٣) يجمع المسعودي كلمة (زم) في صورة (زموم) ــ (التنبيه والاشراف) ــ ص (٨٨) ويجمع هو نفس الكلمة في صيغة (زمام) في قوله : « الاكراد ... الهذبانية وغيرهم ممن بزمام فارس » ــ المصدر نفسه ، ص (٧٨)

(١٤) الاصطخري ــ كتاب (المسالك والممالك) ، ص (٦٨) ، طبعة (١٩٦١) ، ابن حوقل ــ (صورة الارض) ــ قسم أول ، ص (٢٤٧) .

وجاء في هذا المصدر أيضا :

« ذكرما بفارس من الكور والمدن والزموم .. وأما زمومها فهي خمسة: وأكبرها زم جيلوية ويعرف بزم الزميجان،ثم الذي يلي هذا الزم في الكبر زم أحمد ابن الليث ويعرف باللوالجان ، ويلي ذلك في الكبر زم الحسين بن صالح ويعرف بزم الديوان ، ثم شهريار[١٥] ويعرف بزم البازنجان ، والبازنجان الذين في حدود أصبهان ناقلة من هذا الزم ، وزم أحمد بن الحسن ويعرف بزم الكاريان وهو زم أردشير . وأما أحياء الاكراد فأنها تكثر في الاحصاء ، غير أنهم بجميع فارس يقال انهم يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر ، ينتجعون المراعي في المشتى والمصيف على مذاهب العرب ، ويخرج من بيت واحد من الارباب والاجراء والرعاة وأتباعهم مابين رجل واحد الى عشرة من الرجال ونحو ذلك وسأذكر من أسامي أحيائهم ما يحضرني ذكره على انهم لا يتقصون في العدد الا من ديوان الصدقات »[١٦]

ويقدم الاصطخري في كتابه تفاصيل اخرى

« وأما زمومها فأن لكل زم منها مدنا وقرى مجتمعة ، قد ضمن خراج ناحية منها رئيس من الاكراد ، والزموا اقامة رجال لبذرقة القوافل وحفظ الطرق ونوائب السلطان اذا عرضت ، وهي كالممالك . فأما زم جيلوية المعروف بالرميجان فان مكانه في الناحية التي تلي أصبهان ، وهو يأخذ طرفا من كورة أصطخر ، وطرفا من كورة سابور ... وكل ماوقع في هذا من المدن والقرى فمن هذا الزم ، ويتاخم في عمل أصبهان البازنجان ، وهم صنف من البازنجان الذين هم بزم شهريار ، وليس من هؤلاء البازنجان أحد في عمل فارس ، الا ان لهم بها قرى وضياعا كثيرة ، واما زم الديوان المعروف للحسين ابن صالح وهو من كورة سابور فأن حدا منه يلي أرد شير خرة ، وثلاثة حدود تحيط

---

(١٥) وهو زم (شهربراز) في (المسالك والممالك) ــ ابن خرداذبة ، ص (٤٧).

(١٦) الاصطخري ــ (المسالك والممالك) ــص (٦٧ــ٦٨) . يقول ياقوت الحموي في (معجم البلدان) ــ مجلد (٣) ، ص (٨٣٨) : « وبنواحي فارس من أحياء الاكراد مايزيد على خمسمائة الف بيت شعر » .

بها كورة سابور ، وكل ماكان من المدن و القرى في اضعافها فهي منها ، وأما زم اللواليجان لاحمد ابن الليث ـ وهو في كورة أرد شير خرة ، فحد منه يلي البحر ، وتحيط بثلاث حدود له كورة أرد شير خرة ، وما وقع في اضعافه من القرى والمدن فهو منه ، وأما زم الكاريان فان حدا منه الى سيف بني الصفار[١٧] وحدا منه الى زم البازيجان ، وحدا منه الى حدود كرمان ، وحدا منه الى ارد شير خرة ، وهي كلها في أردشير خره . واما أحياء الاكراد بفارس فهم : الكرمانية والرامانية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية و البنداد مهرية وحي محمد بن اسحاق والصباحينة والاسحاقية والاذركانية والشهركية والطهمادهنية والزبادية والشهروية والبندادكية والخسروية و الزنجية والصفرية[١٨] والشهيارية والمهركية والمباركية والاشتا مهرية والشاهونية والسلمونية والصيرية والازاددختية و البزازدختية والمطلبية والمماليه والشاهاكانية والكجتية والجليلية ، فهؤلاء الذين حضرني اسماؤهم ، ولايتهيأ تقصيهم الا من ديوان الصدقات ، ويقال انهم يزيدون على خمسمائة الف بيت ، ويخرج من الحي الواحد الف فارس الى مائة فارس ، وأقل من ذلك واكثر ، وينتجعون في المشتى والمصيف على المرعى ، الا القليل منهم على حدود الصرود و الجروم[١٩] فلا ينتقلون ، ولهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب على السلطان أمرهم ـ اذا أراد تحيفهم ، ويزعمون أنهم من العرب ، وهم أصحاب أغنام ورماك ، والابل فيهم قليل، وليس للاكراد خيل الا للبازنجان الذين انتقلوا الى حد اصبهان ، وأنما

---

(١٧) ـ معجم البلدان ـ مجلد (٣) ، ص (٢١٧) ، و « سيف بني الصفار وحدمنه ينتهي الى رم الريحان » ـ المصدر نفسه ، مجلد (٢) ، ص (٨٢٢) .

(١٨) أنظر (مروج الذهب) ـ مجلد (٣) ،طبعة (١٩٦٥) ـ ص (١٠٠) «الصفرية و الحمرية » .

(١٩) (الصرد وهو المكان المرتفع من الجبال و هو أبردها) ـ (معجم البلدان) ـ مجلد (٣) ص (٣٧٦)، (الجرم مصدر جروم معرب كرم بالفارسية والارض الشديدة الحر . . ج جروم) ـ قطر المحيط (المعلم بطرس البستاني) .

دوابهم براذين ، وهم على حسن حال ويسار ، ومذاهبهم في القنية والنجعة[٢٠] مذاهب قبائل العرب وقبائل الاتراك ، وهم فيما يقال يزيدون على مائة حي ، وأنما حضرني نيف وثلاثون حيا[٢١] »

لاشك في أن مايذكره أبن خرداذبه و الاصطخري من الزموم واسامي رؤسائها تعودان الى القرنين الثالث والرابع ، وقد يكون لها تأريخ سابق لعهود أقدم وكما يتبين في صفحات لاحقة أيضا ، ويلاحظ بالنسبة للاصطخري اهتمامه ودقته في تعيين مواقع هذه الزموم وحدودها .. ومن جهة أخرى ، فأنه يظهر ان بعض رؤساء زموم الاكراد لم يكونوا اكرادا . فمثلا يذكر الاصطخري أن (احمد بن الحسن الذي نسبنا اليه زم الكاريان ، وهو من ال الجلندى أزدي ، وابنه حجر بن أحمد هو على الزم في منعة وقوة الى يومنا هذا ، وال الصفار الذين نسب أليهم سيف بني الصفار هم ال الجلندى)[٢٢] .

ويعود الاصطخري الى ذكر الاكراد في (المسالك والممالك) في حالات نادرة خارج أقليم فارس ، فمن ذلك يذكر هو : « وأما شهر زور فانها مدينة صغيرة ، قد غلب عليها الاكراد على قربها من العراق ولايكون بها امير او عامل ، وهي في يد الاكراد ، وكذلك سهرورد الغالب عليها الاكراد وهي مدينة صغيرة [٢٣] »

ومن جهة أخرى لايتطرق الاصطخري لدرجة كافية من الوضوح الى مواقع سكن الاكراد بعد أن ينسب الطوائف الثلاث والثلاثين التي يذكرها الى اقليم فارس . فلا يذكر هو مكان تواجد الاحياء والطوائف الكردية الاخرى ، رغم أنه يذهب الى القول أن احياء الاكراد تربو على المئة . ويمكن ملاحظة هذا الغموض بخصوص مواقع القبائل التي يدرج المقدسي اسماءهم في

---

(٢٠) القنية .. ما اكتسب ج قنى ، النجعة ـ طلب الكلاء في موضعه وهي اسم من النجوع ج نجع ـ قطر المحيط (للمعلم بطرس البستاني) .

(٢١) الاصطخري ـ (المسالك والممالك) ، ص (٧١ـ٧٢) ، طبعة (١٩٦١) .

(٢٢) الاصطخري ـ (المسالك والممالك) ـ ص (٨٥) .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص (١١٨) .

تسلسل واحد مع فارق لديه حيث يذكر المواقع والمناطق التي سكنها الاكراد دون ان يطابق ذلك مع محل كل طائفة على حدة • ويختلف عمل المسعودي عن هذا شيئا ما حيث يذكر هو بعض المواقع بشكل اوضح ، ويهمل هو الاخر هذا العمل في حالات أخرى •

ويذكر الاصطخري تفاصيل اخرى عن الزموم :

« واما ملوك الزموم الذين على أبوابهم الجيوش الدائمة من ألف رجل الى ثلاثة آلاف فان منهم في زم الزميجان المعروف بزم جيلويه المهرجان بن روزبه وهو اقـدم من جيلويه وأعظم شوكة ومنزلة ، واخوه سلمة أبن روزيه بعده ، وكان جيلويه ناقلة أليهم •• وكان يخدم سلمة فلما مات تغلب جيلويه على هذا الزم •• حتى نسب الزم أليه الى يومنا هذا ••• ورياسة هذا الزم في اولاد جيلويه الى يومنا هذا ، واما زم الديوان فكان رئيسهم أزاد مر ابن كوشهاذ من الاكراد فملكه دهرا ثم عصى فقصده السلطان فهرب الى عمان وبها مات ، وصار الامر بعده الى حسين بن صالح من الاكراد ، فصار الزم في يده ويد اولاده الى أيام عمر بن الليث(٢٤) فنقله عنهم الى ساسان بن غزوان من الاكراد، فهو في أهل بيته الى يومنا هذا ، واما زم اللواليجان فكان في أيدي ال الصفار، الـى ان ولى محمـد بن ابـراهيم الطاهـري(٢٥) فارسـ فجعلـه فـي يـدي احمد بن الليث رجـل مـن الاكـراد فهـو في يـدي أهـل بيته

(٢٤) « وفيها ـاي سنة ٢٦٥ هجرية ـ مات يعقوب بن الليث بالاهواز وخلفه أخوه عمر بن الليث ... » ـ الطبري ـ (تاريخ الرسل والملوك) ، مجلد (٩) ،ص (٥٤٤ـ٥٤٥) ، طبعة (١٩٦٨) ،انظر كتاب المسالك والممالك نفسه حول آل الليث .

(٢٥) يقصد بهذا الرئيس محمد بن واصل بن ابراهيم الذي يذكره الطبري وثم أبن الاثير . فقد جاء في (تأريخ الرسل والملوك) ، مجلد (٩) ، ص (٤٧٤) : « وفيها ـ اي سنة ٢٥٦ هجرية ـ وثب محمد بن واصل بـن ابراهيم التميمي ، وهو من أهل فارس ، ورجل من اكرادها يقال له احمد بن الليث .. وغلب محمد بن واصل على فارس » ، ابن الاثير ـ(الكامل) مجلد (٧) ، ص (٢٤٠) ، طبعة (١٩٦٥) .

الى يومنا هذا ، ومحمد بن ابراهيم[٢٦] هو الذي اوقع بازاد مرد كوشهاذ حتى هرب ، واما زم الكاريان فهو في ال الصفار الى يومنا هذا على قديم الايام ورئيسهم اليوم حجر بن أحمد بن الحسن ، واما زم البازنجان فأن رئيسهم كان يسمى شهريار من الاكراد ، والزم منسوب أليه وكان مصاهر لجيلويه وصار بعده للقاسم بن شهريار ثم انتقل الى موسى بن القاسم ، والبازنجان الذين هم في حد أصبهان هم من هذا الزم فانتقلوا عن فارس ، الا ان لهم في حدود فارس ضياعا كثيرة وكان رئيسهم موسى بن عبد الرحمان ثم صارت لموسى بن مهراب[٢٧] وصارت بعده لابنه ابو مسلم محمد بن موسى ومن بعده لاحمد بن موسى والرئاسة فيهم الى يومنا هذا [٢٨] »

نستطيع ان نلاحظ بصدد كلمة (زم) والزموم أن ابن خرداذبة يذكر صيغة (زم) و كذلك أبن الفقيه ، اما الاصطخري فيدون اللفظ في صورة (زم) في (المسالك والممالك) وأحيانا بشكل (رم)[٢٩] كما في (كتاب الاقاليم)والصورة الاخيرة هي النادرة جدا • ويسجل المقدسي الكلمة بصيغة (زم) و (زموم) ، وكذلك يفعل المسعودي وابن حوقل والطبري صيغة (زم) و (زموم)• والحقيقة هي ان صيغة الكلمة هي (زم) وليس غيرها[٣٠] •

---

(٢٦) هو محمد بن واصل بن ابراهيم المذكور ، وفي (صورة الارض) لابن حوقل ص (٢٤٢) : « كان محمد بن واصل الحنظلي امير فارس » .

(٢٧) يكتب الطبري : « وفيها ـ اي سنة ٢٦١ هجرية ـ أوقع اصحاب يعقوب بن الليث بأهل زم موسى بن مهران الكردي ، لما كان من ممالاتهم محمد بن واصل ، فقتلوهم ، وانهزم موسى بن مهران » ـ (تاريخ الرسل) ، جزء (٩) ، ص (٥١٤)

(٢٨) الاصطخري ، (المسالك والممالك) ـ ص (١٤٥)

(٢٩) يذكر صفي الدين البغدادي صيغة (رموم) و (زموم) معا ـ (مراصد الاطلاع) ، ص (١٠١٢) لسنة (١٩٥٤) .

(٣٠) انظر ، الحموي ، ياقوت :ـ

ـ (معجم البلدان) ـ مجلد (٢) ،ص (٨٢١) ـ (المشترك وضعا والمفترق صقعا) ، ص (٢١٠)

فمن المعروف عند القائمين بالتحقيق في المخطوطات أنهم يعانون في مساعيهم من غياب التنقيط والتحريك في النصوص المخطوطة في الغالب •

غير أن أغلب هؤلاء المؤرخين والبلدانيين اوردوا كلمة (زم) وهم أهم من تطرق الى موضوع الزم والزموم[٣١] فلاشك في أن اللفظ المقصود هو (زم) وبالاضافة الى كل ذلك ، يرد في كتاب (معجم البلدان) تعبير مهم يؤكد بأن هذا اللفظ هو (زم) ، وخصوصا ملاحظة عصر الحموي مما يظهر أحتمال استمرار بقاء هذا اللفظ عبر القرون • وهذا التعبير هو الاتي :

« زوم بضم اوله وسكون ثانيه من نواحي أرمينيا مما يلي الموصل ولعل الجبن الزومي اليه ينسب •• وقيل الجبن الزماني وقيل الزومي ينسب الى زومان وهم طائفة من الاكراد لهم ولاية[٣٢] » •

واكثر من ذلك ، لاتزال كلمة (زومه) بمعنى محل طائفة كردية رائجة في مناطق كردية شمالية • فصاحب كتاب (عادات وتقاليد الاكراد) محمود بايزيدي يدون كلمة (زومة) مرارا وتكرارا في الكتابة المذكورة والمنشورة بالزنكو مع ترجمتها الروسية بنفس معناها المذكور • فالزومة هي حي او قرية كردية لطائفة او فرقة منهم بحسب كتاب بايزيدي • فكما ان الزم كان ينسب الى احد الرؤساء في تلك العصور ، كذلك يذكر بايزيدي العائش في النصف الاول من القرن التاسع عشر بأن كل زومة تعرف بأسم رئيسها ، فيكتب هو :

« يؤلف كل فخذ او بطن من جملة العوائل التي ترتع في المرابع سوية قسما او كتلة تسمى زومه • وتدعى هذه الفرقة بأسم رئيسهم الاغا او الشيخ أكبرهم سنا • فمثلا •• يطلق على الزومة أسم زومة علو أو زومة حسو

---

(٣١) يذكر الطبري في حوادث سنة (٢٨٤) هجرية تعبير (الاكراد واهل الزموم) ــ (تاريخ الرسل والملوك) ــ جزء (١٠) ، ص (٦٥) ، طبعة (١٩٦٨) •

(٣٢) الحموي ــ (معجم البلدان) ، مجلد (٢) ، ص (٩٥٩)؛« ومعنى زم بالكردية ــ قبيلة ــ وأصح وجه لكتابتها (زومه) ــ لسترانج ــ بلدان الخلافة الشرقية) ــ ص (٣٠٢) •

(زومة علي او زومة حسن) • فبطونهم وكذلك قراهم يطلق عليها زومة فلان[٣٣] » •

جاء في كتاب المقدسي (أحسن التقاسيم) :

« وزمومه ـ أي أقليم فارس ـ خمسة أكبرها زم أحمد بن صالح يعرف بالديوان ثم زم شهريار يعرف بزم البازنجان وهم الذين في ناحية أصبهان من هذا القوم ناقلة من هذا الزم وزم أحمد ابن الحسن ويعرف بزم الكاريكان وهو زم ارد شير خرة[٣٤]»

وجاء من نفس المصدر كذلك :

« وأما سابور فانها كورة نزيهة ••• قريبة من الجبال •• ومن مدنها دريز ••• توز زم الاكراد جنبد خشت وخشت وسط الجبال ••• وزم الاكراد لها نهرو رستاق وهي وسط الجبال ذات بساتين وفواكه وخيرات[٣٥] »

وجاء في الكتاب نفسه عن القبائل الكردية :

« وبه من أحياء الاكراد ثلاثة وثلاثون »

« الكرمانية ، الرامانية ، مدثر ، حي محمد بن بشر ، الثعلبية ، البندامهرية حي محمد بن اسحاق ، الصباحية، الاسحاقية، الاذركانية السهركية ، الطهمدانية الزبادية،الشهروية ، المهركية،البنداقية ، الخسروية،الزنجية الصفرية،المباركية أستامهرية ، الشاهونية ، الفراتية ، السلمونية،الصيرية ، الازاددختيةوالمطلبية والممالية ، والشاكانية ، وهم خمس مائة الف بيت »[٣٦] •

---

(٣٣) ملا محمود بايزيدي ـ (عادات وتقاليد الاكراد) ـ طبع بالزنكو مع الترجمة الروسية ـ رودنكو ـ موسكو (١٩٦٣) ـ [تعريب الدكتور احمد عثمان أبو بكر ـ ومعد للطبع) .

(٣٤) المقدسي ـ (أحسن التقاسيم) ـ ص (٤٤٧) ، (اردشير خرة •• هي من أجل كور فارس ومنها مدينة شيراز) ـ الحموي ـ (معجم البلدان) ،مجلد (١) ، ص (١٩٩) .

(٣٥) المقدسي ـ (احسن التقاسيم) ـ ص (٤٢٤) ، انظر ايضا الصفحتان (٥٢) و (٤٣٥) منه .

(٣٦) المقدسي ـ (احسن التقاسيم) ـ ص (٤٤٦) .

جاء في كتاب أبن حوقل (صورة الارض)

« ... وأما زمومها فهي ايضا خمسة واكبرها زم جيلويه ويعرف بزم الرميجان والذي يليه في الكبر زم أحمد بن الليث ويعرف باللواليجان ويلي ذلك في الكبر زم الحسين بن صالح ويعرف بزم الديوان ثم زم شهريار ويعرف بزم المازنجان قبيل من الاكراد في حدود أصبهان ناقلة من هذا الزم [٣٧] وزم احمد بن الحسين ويعرف بالكاريان وهو زم أرد شير . فأما أحياء الاكراد فأنها تكثر عن الاحصاء عن غير انهم بجميع أحيائهم المقيمة بفارس على استفاضة أهل الديوان والخاصة من علماء التناء [٣٨] يزيدون على خمسة مائة الف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف على مذاهب العرب ويخرج من البيت الواحد من الارباب والاجراء والخول واتباعهم مابين رجل الى عشرة من الرجال ونحو ذلك . و سأذكر من أسامي احيائهم مايحضرني ذكره على أنهم لاينتقصون في العدد الا من ديوان الصدقات » [٣٩]

جاء في نفس المصدر كذلك هذه التفاصيل :

« وذكر زمومها [٤٠] وصفاتها ، فأما زمومها فأن لكل زم منها قرى ومدنا مجتمعة قد ضمن خراج كل ناحية منها رئيس من الاكراد والزم صلاح أحوال

---

(٣٧) يلاحظ ان الاصطخري والمقدسي وابن حوقل جميعهم يذكرون ان هذا القسم من البازنجان (المازنجان) هم من زم البازنجان في اقليم فارس ، ويحتفظون بأملاك لهم هناك .

(٣٨) التاني والدهقان ج تناء . تنا بمعنى اقامة ــ (قطر المحيط) ــ (المعلم بطرس البستاني) .

(٣٩) ابن حوقل ــ (صورة الارض) ــ القسم الثاني ، ص (٢٣٦) . وهنا ايضا يذكر ابن حوقل كما ذكر البلدانيون الاخرون الذين اقتبسنا منهم عدد هؤلاء الاكراد ويقدرونهم بنحو خمسمائة الف خيمة اي عائلة .

(٤٠) ويقول ابن حوقل ايضا : « وأما أبواب المال لبيت المال على الناس فمن الزموم ..» الخ و «عامة فارس مساحة الا الزموم فأنها مقاطعات بالعبرة» (صورة الارض) ــ ص (٢٦٣) . يدور الكلام عن تقسيمات الارض الزراعية للضرائب والخراج .

ناحيته وتنفيذ القوافل وحفظ الطرق والقيام بأحوال السلطان أذا عزضت بناحيته وتنفيذ اوامره وهي كالممالك ، فاما زم جيلويه المعروف بالزميجان فأنه يلي أصبهان ويأخذ طرفا من كورة اصطخر وطرقا من كورة سابور وطرفا من كورة الرجان وحدمنه ينتهي الى اصبهان وحد منه الى حدود خوزستان وحد منه ينتهي الى زم ناحية سابور ، وكل ماوقع فيه من المدن والقرى فأنه من عمل أصبهان ومتاخمهم من عمل أصبهان المازنجان وهم من المازنجان الذين هم من زم شهريار(٤١) وليس فيهم احد في عمل فارس الا له بها ضياع وقرى كثيرة غزيرة واما زم الديوان المعروف بالحسين بن صالح وهو من كورة سابور فأن حدا منه يلي اردشير خرة وثالثه حدوده تنعطف عليها كورة سابور فكلما كان من المدن والقرى في اضعافه فهو منها ، واما اللواليجان زم أحمد بن الليث وهو في كورة أردشير خرة وما وقع في أضعافه من القرى و المدن فهو منها ، وأمازم الكاريان فأن حدا منه الى سيف ــ بني الصفار وحد منه الى زم المازنجان وحدمنه حدوده كرمان ..

وأما أحياء الاكراد بفارس فأن منهم الكرمانية والرامانية ومدين وحي محمد بن بشر و النقيلية والبنداذ مهرية وحي محمد بن أسحاق والصباحية والاسحاقية والاذركانية والسهركية والطهمدانية والزيادية والشهروية والبنداذقية والخسروية والزنجية والصفرية والشهيارية والمهركية والاستامهرية والشاهوية والفراتية والسلمونية والمصيرية والازاددختية والمطلبية والمالية واللارية والبرازدختية و الشاهكانية والجليلية . وهؤلاء المشهورون من احيائهم ولايمكن تقصيهم الا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمس مائة ألف بيت و يخرج من الحي الواحد ألف فارس واكثر وأقل لينتجعون في الشتاء والصيف في المراعي والمصايف والمشتاتي الا القليل منهم على حدود الصرود فأما أهل الجروم فلا يزولون ولا ينتقلون بل يترددون فيما لهم من النواحي ولهم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكراع ما يستصعب

(٤١) بحسب قول أبن حوقل كانت هناك مدينة زم وكان رستاقها زم شهريار نفسه ــ (صورة الارض) ــ ص (٢٣٨) .

على السلطان أمرهم اذا اراد تحيفهم أو تهضمهم ، وهم أصحاب أغنام ررميك والابل فيهم قليلة و ليس للاكراد خيل عتاق الا ماعند المازنجان المقيمين بحدود أصبهان وانما دوابهم براذين و شهاري وهم على حسن حال ويسار ومذاهبهم في القينة والنجعة مذاهب العرب ويقال انهم يزيدون على مائة حي وانما ذكرت نيفا وثلثين حيا[٤٢] .

هكذا نجد أنه قد دون الاصطخري والمقدسي وأبن حوقل بالاضافة الى المقيمين في الزموم أسماء عدد كبير من القبائل والفرق الكردية و أماكن سكن الطوائف حسبما رأينا ذلك في الصفحات السابقة . ويجدر أن نلاحظ أنه يدخل بعض الاختلاف في أسماء هذه القبائل والطوائف او أختلاف كبير في بعض الحالات . غير ان الاختلاف في تلك المسميات يصبح أكبر وأوضح كلما تباعد الزمن بين العهود ، فيدون الجيل الثاني والثالث من البلدانيين والمؤرخين — أذا اجيز لنا هذا التصنيف العملي — في القرن الخامس او السادس او السابع ومن جاء من بعدهم من هؤلاء يدونون اسماء القبائل والفرق الكردية أحيانا بخلاف مدونات الاوائل وباسماء جديدة او مغايرة ، وحتى في انساب جديدةغير مذكورة في السابق[٤٣] . فمثلا يرد في كتاب المقريزي (السلوك) مايلي :

« الاكراد ينسبون الى كرد بن مرد ... وقيل أنهم من بني حميد بن طارق الراجع الى حميد بن زهير ... وهم قبائل : منهم الكورانية بنو كوران والهذبانية(*) ، والبشنوية ، والشاهجانية والسزلجية واليزوالية والمهرانية ، والزرزارية و الكيكانية ، والجاك ، واللو ، والدنبلية ، والروادية ، والديسنية والهكارية ، والحميدية والوركجية ، والمروانية ، والجلالية ، والشنبيكية والجوبي ... وأحياء الاكراد تكثر عن الاحصاء[٤٤] »

---

(٤٢) ابن حوقل — (صورة الارض) — ص (٢٣٩—٢٤٠)

(٤٣) نحاول معالجة موضوع الانساب والاصول في بحث مخطوط اخر .

(*) الهذبانية.. طائفة يذكرها المسعودي في (التنبيه والاشراف) ، ص (٧٨) ، ويذكرها ابن حوقل في (صورة الارض في مادة الجزيرة (الجزيرة) .

(٤٤) المقريزي — (كتاب السلوك) — جزء اول — قسم اول — ص (٢—٤) .

يسجل الاصطخري في قائمة واحدة اسماء ثلاث وثلاثين قبيلة وفرقة ، أما المقدسي فيسجل أسماء ثلاثين منها مع أنه يذكر قوله (وبه من أحياء الاكراد ثلاثة وثلاثون) • من جهة أخرى ، يذكر المسعودي في كتاب(مروج الذهب) أسماء ست عشرة عشيرة وطائفة منهم ، وذلك على الوجه التالي : « نوع من الاكراد ــ وهو الشويهجان ببلاد ماهين الكوفة والبصرة وهي أرض الدينور وهمدان ــ والماجردان وهم من الكنكور ببلاد أذربيجان والهلبانية و السراة وما حوى بلاد الجبال من الشاذنجان واللزبة والماذنجان والمزديكان والبارسان والخالية والجبارقية ، والجاوانية ، والمستكان ومن بلاد الشام من الدبابلة وغيرهم •• ومنهم اليعقوبية والجوزقان وهم نصارى ، و ديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي »[٤٥]

من جهة اخرى يسجل المسعودي في كتاب (التنبيه والاشراف) أسماء خمس عشر فرقة وعشيرة اضافة الى انه يسجل فيه أيضا عددا كبيرا من اسماء البلاد والاقطار التي كانت تسكنها القبائل والطوائف الكردية ،وهي على الوجه التالي :

« الاكراد البازنجان والشوهجان و الشاذنجان والنشاورة والبوذيكان واللرية و الجوزقان والجاوانية والبارسيان والجلالية والمستكان والجبارقية والجروغان والكيكان والماجوران والهذبانية وغيرهم ممن بزموم فارس وكرمان وسجستان وخراسان وأصبهان وأرض الجبال من الماهات ماه كوفه وماه البصرة وماه سبذان والايغارين وهما كرج والبرج وأبي دلف وهمذان وشهرزور

(٤٥) المسعودي ــ (مروج الذهب) ــ جزء (٢) ص (١٢٣) ، جاء في تاريخ الطبري ، جزء (٩) ص (٤٩٠) ، طبعة (١٩٦٨) عن احداث سنة (٢٥٨) هجرية : « وفيها أوقع مسرور البلخي بأكراد اليعقوبية فهزمهم ، واصاب فيهم » . هكذا يذكر المسعودي على انهم نصارى بأسمهم اليعقوبية .

ودارا باذ والصامغان وأذربيجان وأرمينية وأران و البيلقان والباب والابواب ومن الجزيرة و الشام والثغور .. »[٤٦]

ويذكر المسعودي بالاضافة مواقع سكن اخرى : « ثم سكن من الاكراد ... جبال هراة وكوهستان وبوشنج من بلاد خراسان ومن بلاد مكران على ساحل البحر بين بلاد السند وكرمان ، اكثرهم صفرية وحمرية ، ومنهم ببلاد حمران اصطخر وصاهك بين كرمان وفارس ، ومنهم ببلاد تيهرت المغرب ومنهم ببلاد حضرموت وغيرها[٤٧] »

فأذا دققنا النظر في هذه الاسماء والالفاظ التي اوردها الاصطخري والمقدسي وابن حوقل من جهة والمسعودي من جهة ثانية ، وبين تلك الاسماء التي يدونها المقريزي من جهة اخرى لنجد فروقا وتمايزا كثيرا وواضحا . ولعل هذا مما يعتبر من الامور الطبيعية بالنظر لان القبائل والفرق غالبا ماتتغير اسماءها ومواقع سكنها بمرور الزمان وبفعل الاحداث وتعاقب الادوار . وانه من النادر ان ابقت قبيلة او طائفة كردية على أسمها وموقعها بصورة متمادية من القديم حتى الحال الحاضر[٤٨] .

---

(٤٦) المسعودي ـ (التنبيه والاشراف) ـ ص (٨٨ـ٨٩) . يذكر المسعودي ايضا : « خابور دجلة .. عليه قصور على بن داود الكردي من الرهزادية» ـ المصدر نفسه ، ص (٤٨) .

(٤٧) المسعودي ـ (مروج الذهب) ـ الجزء (٣) ، ص (١٠٠) ، طبعة (١٩٦٥) .

وعن الاصطخري في (المسالك) ، ص (١٥٤ ـ ١٥٥) : « قوهستان من خراسان .. والمدن التي بقوهستان هي متباعدة وفي مفاوز هذه المدن يسكن الاكراد » ـ اقرأ فيه ايضا ص (١٥٨) .

(٤٨) للتدقيق في اسماء ومواطن الفرق والعشائر الكردية قديما وحديثا يراجع كتاب (خلاصة تأريخ الكرد وكردستان)، موضوع (العشائر)

ولنتابع أقتباس مدونات المقدسي والاخرين :

« أقليم الرحاب[٤٩] »

« دبيل[٥٠] بلد جليل عليه حصن منيع والخير فيه كثير ... والجامع على رابية كبيرة الى جنبه كنيسة يضبطه الاكراد به قلعة بنيانهم طين وحجارة ... وسلماس طيبة عليها حصن من طين وحجارة ... وقد أحاط بها الاكراد ... وقندرية مدينة احدثها الاكراد بها جامع لطيف[٥١]

وجاء في نفس المصدر :

« جنديسابور كانت قصبة عامرة جليلة و بلدة قديمة وكانت مقر الاقليم والان قد اختلت وغلب عليها الاكراد .. واللور على حد الجبال[٥٢] »

جاء في كتاب الاصطخري (الاقاليم) :

(ذكر حدود فارس)

« واما أحياء الاكراد فأنها تكثر عن الاحصاء غير أنهم بجميع فارس يقال انهم يزيدون على خمسة مائة الف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف كالعرب ويخرج من كل بيت جماعة[٥٣] »

---

(٤٩) يقول المقدسي عن اقليم الرحاب : « وقد جعلنا هذا الاقليم ثلاث كور اولها .. أران ثم ارمينية ثم أذربيجان » ـ (احسن التقاسيم) ، ص (٣٧٤) . ويقول الحموي عنه : « الرحاب .. بأذربيجان واكثر ارمينية » ـ (معجم البلدان) ، مجلد (٢) ، ص (٧٥٨) .

(٥٠) دبيل هي دوين نفسها ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ مجلد (١) ـ (١٩١٣) (بالانكليزية) .

(٥١) المقدسي ـ (احسن التقاسيم) ، ص (٣٧٧)

(٥٢) المقدسي ـ(احسن التقاسيم) ـ ص (٤٠٨) يدور الحديث هنا عن اقليم الاهواز في ايران ويقول ابن حوقل : « واللور بلد خصيب والغالب عليه هواء الجبل ... وله بادية واقليم ورساتيق الغالب عليه الاكراد وهو بجوارهم خصب وبمصاقبتهم رطب » ـ (صورة الارض) ـ القسم (٢) ،ص (٢٥٧) .

(٥٣) الاصطخري ـ (كتاب الاقاليم) ـ ص (٥٧)

طبع كتاب الاقاليم هذا في الشكل المخطوط على الفوتوستات ، لذلك جاءت اكثر كلماتها غير منقطة وكلمات اخرى طافرة وفيه أخطاء في أسماء الاحياء . ويمكن مع ذلك الاعتماد على المعلومات الواردة فيه . وبالنسبة لاسماء الاحياء فيمكن الرجوع الى كتاب (المسالك والممالك) للمؤلف نفسه الذي نقلنا عنه سابقا . وقد صححنا ما اقتبسناه على الطبعة الاخرى لكتاب الاقاليم) ، لسنة (١٨٩١) .

وجاء أيضا في كتاب (الاقاليم) المذكور :

« وأما شهرزور فأنها مدينة صغيرة قد غلب عليها الاكراد .. ولايكون بها امير ولا عامل وهي في بلاد الاكراد وكذلك سهرورد الغالب عليها الاكراد وذكر لي أن سهرورد أهله كرم[٥٤] »

جاء في كتاب ابن حوقل (صورة الارض) :

الجزيرة

« وأما الموصل فمدينة على غربي دجلة ... تصيف في مصايفها وتشتو في مشاتيها من أحياء العرب واحياء الاكراد كالهذبانية و الحميدية والارية وكانت بها بيوت فاخرة ... وفيها أسواق ... يجتمع الاكرة والاكراد كثيرة الخير ... وفيه مدينة تعرف بكفرعزي يسكنها قوم من الشهارجة نصارى ... وينزل في نواحيها الاكراد ، وقردى وبازبدا رستاقان عظيمان[٥٥] » .

---

(٥٤) الاصطخري ـ (الاقاليم) ـ ص (٥٧) ، ويقول ابن مهلهل (ونزيز كانت مملكة ... حتى غلب على البلد صنف من الاكراد يعرفون ـ الهذبانية ـ فملكوا المدينة .. وشهرزور مدينات وقرى ... مشتى ستين الف بيت من أصناف الاكراد الجلالية واليابسان والحكمية والسولية » ـ (الرسالة الثانية) ـ ص (١٥ـ١٦) .

(٥٥) ابن حوقل ـ (صورة الارض) ـ ص (٢١٤ـ٢١٧) ويقول هو في نفس المصدر ، ص (٣١٥) : « وهذه الجبال مسكونة ماهولة بالاكراد الحميدية واللارية والهذبانية ، وغيرهم من اكراد شهر زور وسهرورد »

ويذكر الدينوري (قردى وبازبدى)[٥٦] • ويـذكر الطبري هاتـين البلدتين في حوادث سنة (١٧٤)•[٥٧] •

ويذكر أبن خردذبه[٥٨] في (المسالك والممالك) هذا البيت الشعر :

بقردى وبازبدى مصيف ومربع

وعذب يحاكي السلسبيل بروده

نستطيع ان نلاحظ من الصفحات الكثيرة السابقة أنه بجانب المؤرخين الذين سجلوا احوالا وشؤونا وأحداثا شارك الاكراد فيها بقسط من المشاركة قليل او كثير ، فبجانب هؤلاء نجد البلدانيين ، ومن المؤرخين من كانـوا بلدانيين أيضا ،الذين اولوا مناطق سكن الاكراد وكذلك الطوائف والعشائر الكردية قسطا من اهتمامهم • وتشكل الصفحات السابقة نماذج غير كاملة من ذلك رغم ما نبذله من جهد لتتمه،وهي جل ما كتب بشأنه في حينه،وقد عمدنا نحن الى أقتباس تلك الصفحات والفقرات والتعابير والجمل ومن الشذرات ما اشتلمت على موقع من مواقع سكن الاكراد او موضع لتواطن عشيرة أو فرقة منهم وما حوت الفاظا مثل الاكراد او الكرد وكذلك الكردي ليس الا • ولا ينحصر عمل هؤلاء المؤرخين والبلدانيين في المنطقة الكردية فيما اقتبسنا حسب ،بل يشتمل على مواطن ومواقع كردية اخرى يأتي ذكرها في حنايا كتبهم وثنايا تصانيفهم وبتفاصيل تقصر او تطول • فلقد يذكر كاتب من هؤلاء الاوائل أقليم اذربيجان ، مثلا ، ولايذكر وجود الاكراد فيها كسكان أصليين ، حيث لايشك ان الكرد توطنوا هذا الاقليم واستقروا فيه منذ القدم بالاعداد الغفيرة الجمة • وقد استوطن الاكراد أقاليم عديدة بشهادة هؤلاء أصحاب التصانيف •

(٥٦) الدينوري ــ (الاخبار الطوال) ــ ص (٣)

(٥٧) الطبري ــ (تاريخ الرسل) ، حوادث سنة (١٧٤) •

(٥٨) أبن خرداذبة ــ (المسالك والممالك) ــ ص (٩٥)

من جهة أخرى، قد أستأثر أقليم فارس وما ولاها وما صاقبها بأهتمام خاص من لدن هؤلاء الرواد نسبة لمواقع سكن الاكراد ــ وبالاحرى احرز هذا السقع أهتماما اكبر ولعل الاستثناء البارز بينهم هو المؤرخ المسعودي الذي يذكر عددا كبيرا من الفرق و الطوائف الكردية وعددا كبيرا ايضا من مناطق سكن الاكراد ومواقع استيطانهم في ذلك الحين . أما المؤلفين والمصنفين من مؤرخين وبلدانيين من الاجيال التالية لهؤلاء الاوائل فقد انصب أهتمامهم فيما كتبوا بهذا الصدد على المناطق الاخرى أكثر . وهذا يستوقف النظر . ولعل احد اسباب هذا الواقع هو أحتمال تناقص عدد القبائل وانخفاض شأنها وأهميتها في أقليم فارس او بالاحرى هجرة الاكراد من ذلك الاقليم وتفرقهم في الاقاليم والامصار الاخرى نحو الشمال والغرب منها بالاخص[٥٩] ولعل شيخ الربوة صاحب (نخبة الدهر ...) هو من أوائل الذين التفتوا الى احتمال هذا التشتت ، بل هو يقول ان اكراد ذلك الاقليم ابيدوا من قبل التتار[٦٠] . مهما يكن من امر يبدأ ذكر الاكراد يعتريه الوهن في اقليم فارس بالتدريج فيزداد شأنهم وذكرهم في بقاع ومواقع اخرى اكثر وابعد نحو الشمال والغرب في أيران واذربيجان و أرمينيا وحوض الفرات ودجلة والجزيرة انئذ .

---

(٥٩) يذكر القلقشندي : نقلا عن مسالك الابصار للعمري قوله « والمراد بهذه الجبال الجبال الحاضرة بين ديار العرب وديار العجم ، دون أماكن من توغل من الاكراد في بلاد العجم . قال : وابتداؤها جبال همذان وشهرزور ... ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفة من الاكراد » ــ كتاب (صبح الاعشى) ــ الجزء (٤) ، ص (٣٧٣) .

(٦٠) شيخ الربوة ــ (نخبة الدهر) ــ الفصل الرابع ص (١٧٧)

مصادر ومراجع البحث

١ ــ الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ــ (كتاب المسالك والممالك) ليدن ، طبعة (١٩٦١) .

٢ ــ الاصطخري ،ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ــ (كتاب الاقاليم) ــ طبع دى مويلر . (بلا)

٣ ــ ابن الاثير ، علي بن محمد عز الدين الشيباني ــ (الكامل في التاريخ)ــ بيروت ــ (١٩٦٥)

٤ ــ أبن حوقل ، أبو القاسم محمد النصيبي (البغدادي) ــ (كتاب صورة الارض) ــ منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت . (بلا)

٥ ــ أبن خرداذبة ،ابو القاسم عبيد الله أحمد الخرساني ــ (المسالك والممالك) ليدن ، مطبع بريل ــ (١٨٨٩)

٦ ــ أبن رستة ، أبو علي أحمد بن عمر ــ كتاب (الاعلاق النفيسة) ــ ليدن بمطبع بريل سنة (١٨٩١) .

٧ ــ أبن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الحمداني ــ (مختصر كتاب البلدان) ، ليدن ، بمطبع بريل ــ (١٣٠٢) .

٨ ــ أبن مهلهل ، ابو دلف مسعر ــ (الرسالة الثانية) نشرة بطرس بولغاكوف موسكو ــ (١٩٦٠)

٩ ــ بايزيدي ، ملا محمود ــ (عادات وتقاليد الاكراد) ــ تقديم وترجمة الى الروسية ــ (رودينكو) موسكو ــ (١٩٦٣) . (مع النص الكردي بالزنكو)

١٠ـ البستاني ـ المعلم بطرس ـ قطر المحيط ـ لبنان ـ (طبعت بالافست) ـ بلا •

١١ـ البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ـ (فتوح البلدان) ـ دار النشر الجامعيين (١٩٥٧)

١٢ـ البيهقي ، أبو الفضل ـ (تأريخ البيهقي) ، ترجمة الى العربية يحى الخشاب ـ المكتبة المصرية (١٩٥٦) •

١٣ـ الحموي ، الامام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ـ (معجم البلدان) ـ طهران (١٩٦٥)

١٤ـ الحموي ، الامام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي ـ (المشترك وضعا والمفترق صقعا) ، مطبعة المثنى بغداد • بلا

١٥ـ الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود ـ (كتاب الاخبار الطوال) ـ ليدن ، بريل (١٨٨٨)

١٦ـ زكي ، محمد أمين ـ (خلاصة تأريخ الكرد و كردستان) ، بغداد (١٩٦١)

١٧ـ شيخ الربوة ، شمس الدين الصوفي الدمشقي ـ (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) ، نشر ميهرن ، ليبزيغ ـ (١٩٢٣) •

١٨ـ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ـ (تاريخ الرسل والملوك) ـ دائرة المعارف بمصر ـ (١٩٦٨) •

١٩ـ القلقشندي ، ابو العباس أحمد بن على ـ (صبح الاعشى في صناعة الانشا) ـ المؤسسة المصرية العامة ـ (١٩٦٣)

٢٠ـ لسترنج ، كي ـ (بلدان الخلافة الشرقية) ، تعريب بشـــير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ـ (١٩٥٤)

٢١ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ـ بيروت ـ (١٩٦٥)

٢٢ـ المسعودي ، ابو الحسن على بن الحسين بن علي ـ (التنبيه والاشراف) ـ مصر ـ (١٩٣٨) •

٢٣ـ المقدسي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد أبن أحمد ابن ابي بكر ، (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) تحقيق دي غويه ، ليدن ـ (١٩٠٦) تحقيق دي غويه ، ليدن ـ (١٩٠٦)

٢٤ـ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ـ (كتاب السـلوك لمعرفة دول الملوك) ـ صححه محمد مصطفى زيادة ـ جزء أول ـ قسم أول ـ القاهرة ـ (١٩٣٤)

٢٥ـ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ـ (كتاب البلدان) ـ الطبعة الثانية ـ ليدن ، بريل ـ (١٨٩٢) •

٢٦ـ اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب بن واضح ـ (التأريخ) ـ ليدن ، بريل ، (١٨٨٣) •

صلات العرب الحضارية واثرها في الشعر قبل الاسلام

الدكتور عادل جاسم البياتي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

أمدتنا الاشارات العديدة الواردة في الشعر العربي قبل الاسلام بالادلة الواضحة التي تشير الى عمق الصلات الحضارية للعرب مع الامم المتمدنة يومئذ • فقد كشف لنا الشعر عن اسماء عدد من الامم والشعوب عرفهم الشاعر القديم ، وتأمل في طباعهم وما اشتهروا به ، وعرف احداثا وبلادا قديمة عليه أو جديدة معاصرة له • وقد دخلت هذه الاشارات في شعره متخذة صورا متعددة ومواضع مختلفة ينتفع منها الشاعر في ارشاد او اخبار أو عقد مقارنة او ترويج لامر يطلبه هو او قومه أو قصة تاريخية أو حكمة أو موعظة •

ولو شئنا أن ننظر الى هذا التواصل الحضاري في غير الشعر لظهر للعيان كثيرا ومتعددا ، يمكن حصر بعضه بحروب التحرير في أول الحكم العربي وبفتوح البلدان فيما بعد ، ويمكن حصر البعض الآخر بالتجارة والعمل واستثمار الطاقات البشرية داخل الارض العربية ، مثل مهنة البناء والحرف اليدوية والصناعات الاخرى • ويمكن حصر ذلك ايضا في لقاءات حضارية اخرى من خلال السياحة والسفر لغرض الدراسة أو الاطلاع أو جمع المعلومات او التبشير الديني • وتنهض رحلة القرشيين في والشتاءوالصيف دليلا ناصعا على مدى ما بلغه العرب من التواصل الحضاري مع شعوب الارض القديمة من روم وفرس وهند واحباش ، فقد كانوا يتجهون في الشتاء الى السواحل الجنوبية من بلاد العرب ، حيث تموج شواطىء اليمن زاخرة

بتجارات الامم القادمة الى المياه العربية تمتلىء سفنها بالبضائع المتنوعة ، فيأخذ العرب منهم ما يحتاجونه من بضائعهم ، ويعرضون عليهم ما في حوزتهم من منتوجاتهم المحلية ، ولا يقتصر ذلك على الطعام والشراب واللباس والاثاث ، ولا على السلاح والعدة الحربية الاخرى من خيل وحيوان أو غيرهما ، بل يتعداه الى ما لدى الطرفين أو الاطراف المتعاملة جميعا من الخبرات العلمية والقدرات الادبية والمعتقدات الدينية ، وكذلك كان الامر بالنسبة لرحلتهم نحو التخوم الغربية وشواطىء البحر المتوسط ، حيث يلتقون باساطيل الروم وسواهم من الامم ، يعرضون عليهم ما لديهم فيعطون ويعطون . وقد اشار القرآن الكريم الى هاتين الرحلتين[1] ، كما صرح باسم الروم في سورة حملت اسمهم[2] ، ودلت على اهتمامات عالمية فكرية وعسكرية . ولو لم يكن العرب يومئذ يتطلعون الى مثل هذه الاهتمامات ويطمحون الى معرفتها واستقصاء انبائها لما وردت السورة بهذا الوضوح وبهذا الشكل الواعي من دراسة الاحداث الفكرية والعسكرية . وتضم كتب المصادر العربية القديمة انواعا من القصص عن رجال عرب كانوا يحملون الى قومهم مشاهداتهم في اسفارهم ، وما ينقلونه عن الاجانب من افكار أو مصنوعات أو غيرهما .

ولو شئنا ان نعدد أوجه هذه الصلات ـ ونحن نبدأ باشهرها ، وهي الصلات الحربية ـ لضاق بنا مجال البحث ، لان الحملات العسكرية ، سواء أكانت من العرب أو ضدهم ، تحمل في تضاعيفها كل أسباب التأثر الحضاري ، لكن يكفي أن نشير الى اشهر حملة في التاريخ العربي ، تلك التي قادها الاسكندر بجيوشه الجرارة واساطيله البحرية الكبيرة الى بلاد العرب ، فقد تركت من الاثار ، ماجعل العلماء يتأملونها ويعقدون المقارنات حولها ، وقد بلغ من تأثير الاسكندر في نفوس الناس ، أن دخل عنصرا عربيا الى جانب الابطال القوميين والشخصيات العربية المقدسة في مأثورنا الشعبي ، حتى عد قديسا في حكايات الجماهير وقصص الانبياء والاولياء والرجال الصالحين ، مع أنه جاء غازيا ولقي حتفه في بلاد العرب ، بعد أن غزا العالم القديم[3] . وأما

بالنسبة للسواح من رجال العلم ، فتكفي الاشارة الى ما ذكره بطليموس[٤] في القرن الثاني الميلادي ، حيث شاهد مكة ، وأعجب بمكانتها العظيمة لدى العرب ، وأمدنا بأقدم تسمية لهذه البلدة • ومع أن اشارة هيرودوتس الى بلاد العرب ، وهو ابو التاريخ عند الغربيين كما لقبه « شيشرون » تكفي دليلا لهذا التواصل العلمي ، وان سياحته ودخوله في البلاد ينهضان شاهدا مع باقي الشواهد الاخرى[٥] ، الا أنه وردت اخبار عن مؤرخين آخرين ساحوا في بلاد العرب القديمة ، ونقلوا عنها أخبارا كثيرة ، كما نقلوا اليها الشيء الكثير من مظاهر الثقافة والفكر في بلادهم •

وأول مظاهر الاطلاع الحضاري على الثقافات القديمة التي كانت تزخر بها البلاد في العصور القديمة ، هي معرفة الشاعر بماضي الممالك التي شيدت فوق أرضه ، وبالاحداث الجسام التي مرت بهم ، والرجال العظام الذين نهضوا بأمر هذه الممالك ودعواتهم الاصلاحية والاستنهاضية • ولعل ابرز ذلك يتجلى في البناء والعمران وتشييد السدود والقلاع الحصون والقصور والاطم والهياكل والمعابد والصروح ، وهي سمة حضارية تعبر عن ذهنية تنزع الى العمران ، وتجسد طموحا مشروعا وحقيقيا نحو الاستقرار والبناء • فقد وردت في الشعر العربي القديم أخبار أقدم سد ركامي عرفه انسان الشرق القديم يومئذ ، وهو سد مأرب الذي شادته حضارة العرب الجنوبيين ، وبقي يغذي البطاح والصحارى الفساح المحيطة به زمنا طويلا • وما أخبار الجنتين عن يمين وشمال واشجار الفاكهة والنبات والخضرة في القرآن الكريم الا صدى الذكريات السعيدة التي ترسبت في ذاكرة الامة عما كان يقدمه السد من الخدمات والخير العميم • الا ان اشارات الشعر الجاهلي الى هذه النقاط الحضارية المضيئة في حياة امتنا ، جاءت كاشارات القرآن الكريم اليها ، اما في معرض وعظ او ارشاد او تذكير ، ولم ترد باعتبارها قصة او خبرا مقصودا بذاته • فقد ذكر الشعر انفجار هذا السد العظيم وطغيان السيل العرم على كل شيء ، حتى هدم ما كان قد شيد بسببه • فالماء ان احسن البشر استغلاله

واستثماره كان نعمة ، فان اساءوا ذلك صار نقمة . وقد ركز الشعر على هذا الجانب ، فاتخذ منه موضوعا وعظيا ، ولم يذكر التفاصيل ، وان كان مفسرو الشعر فيما بعد ، انتفعوا من مفسري القرآن الكريم ، فذكروا القصة كاملة .

ولقد اثر هذا الموقف الوعظي في الشعر على الناس ، حتى انهم نسوا اسم السد او تناسوه ، فلم يعد يعرف الا باسم « العرم » نسبة الى سيول الماء الهائلة التي خرجت من السد عند انفجاره[٦] .

قال الاعشى[٧] :

من سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما

ويروي الاعشى أيضا في قصيدة له قصة العرم والسد بشكل مبتسر ، وكيف بنته الحضارة الحميرية[٨] :

وفي ذاك للمؤتسي اسوة ومأرب عفى عليها العرم[٩]
رخاء بنته لنا حمير اذا جاءه ماؤهم لم يرم[١٠]
فأروى الزروع واعنابها على سعة ماؤهم اذ قسم
فعاشوا بذلك في غبطة فجار بهم جارف منهزم
فطار القيول وقيلاتها[١١] ببهماء فيها سراب يطم
فطاروا سراعا وما يقدرون منه لشرب صبي فطم[١٢]

واذا انتحينا صوب القطر العراقي من بلاد العرب ، تراءت لنا في الوادي الكبير الذي كان يعرف قديما بوادي الثرثار ، الممتد من جنوب الموصل ، عبر جبال تكريت ، حتى سامراء ، قلعة هائلة كانت يومئذ شامخة تتحدى الطامعين ، صامدة تصارع الغزاة والفاتحين ، عرفت في التاريخ باسم اهلها : الحضر . وهي اليوم من اعرق اثارنا . وقد اطلق العلماء على مدينتها اسم مدينة الشمس ايضا[١٣] . ولقد كان الشاعر العربي على صلة ومعرفة تامة بها وبحضارتها ، وقد ذكرها في شعره ، مما يدل على أن الناس كانوا بواسطة

الشعر يتناقلون أخبار الحضارات القديمة ، ويتغنون بها ، ويطمحون الى بعثها . قال السيب بن علس يذكر الحضر في شعره[١٤] :

وجناه من أفق فأورده ... سهل العراق وكان بالحضر

وقال الاعشى يذكر قصة زوال هذه الحضارة ، ويبدي اشفاقه عليها[١٥] :

ألم تري الحضر اذ أهله ... بنعمى وهل خالد من نعم

أقام به ساهبور الجنود حولين تضرب فيه القدم[١٦]

فما زاده ربه قوة ... ومثل مجاوره لم يقم

فلما رأى ربه فعله ... أتاه طروقاً[١٧] فلم ينتقم

وكان دعا رهطه دعوة ... هلمَّ الى امركم قد صرم[١٨]

فموتوا كراما باسيافكم ... وللموت يجشمه من جشم[١٩]

وللموت خير لمن ناله ... اذا المرء أمّته لم تدم

وفصل عدي بن زيد العبادي في الاحداث بشكل اوسع فقال[٢٠] :

والحضر صابت عليه آشية ... من ثغرة أيّد مناكبها[٢١]

ربيبة لم توقّ والدها ... لحبها اذ يضاع راقبها

أجشمها حبها لما فعلت ... اذ نام عنها للغيّ حاجبها

اذ غبّقته حمراء صافية ... والخمر وَهْلٌ يهيم شاربها

واسلمت ربها بليلتها ... تظن أن الرئيس خاطبها

فكان حظّ العروس اذ برق الصبح دماء تجري سبائبها[٢٣]

وحوّر الحضر واستبيح وقد ... أحرق في خدرها مشاجبها

لم يبق فيه الا مراوح طا ... يات وبورٌ تضغو تعالبها[٢٤]

واذا أخذنا صوب الغرب نحو التخوم الشامية ، نلتقي بالنابغة يذكر ابنية « تدمر » ويتطرق الى ذكر الانبياء والمصلحين من الرجال الاوائل الذين خرجوا بقومهم من ظلمات الجهل الى نور المعرفة والحرية والحضارة[٢٥] •

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه
ولا احاشي من الاقوام من أحد

الا سليمان اذ قال الاله له
قم في البريّة فاحددها عن الفند

وخيّس الجن اني قد اذنت لهم
يبنون تدمر بالصُّفّاح والعمد[٢٦]

فمن اطاعك فانفعه بطاعته
كما اطاعك وادلله على الرشد[٢٧]

ومن عصاك فعاقبه معاقبة
تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وعندما يتطرق الشاعر الجاهلي الى ذكر العمران والابنية ، لا يغفل ذكر الايدي التي استثمرت داخل البلاد من غير العرب ، وقدمت خبراتها في هذا المضمار ، وهم عادة من الروم او الفرس او الهند او الاحباش او الترك • بل يذكر الاعشى أناسا من كابل كانوا يعملون داخل البلاد العربية[٢٨] :

ولقد شربت الخمر تر كض حولنا ترك وكابل[٢٩]
كدم الذبيح غريبة مما يعتق أهل بابل

اما قصة المعماري الرومي « سنمار » فهي مشهورة ، وتذكر في الشعر بكثرة • وهي مؤشر واضح الى ان الخبرات البيزنطية لم تكن غريبة عن العربي يومئذ[٣٠] • فقد ذكر في بناء قصر الخورنق ان بانيه كان رجلا يقال له :

سنمار . وانه بناه بناء عجيباً مما جعله يتحول الى اسطورة في نظر الناس ، يتناقلونها في الشعر والقصص ، ويرد أيضا في اغراض الحكمة والموعظة والارشاد . قال سليط بن سعد[٣١] :

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجة يعالي عليه بالقراميد والسكب

واذا كان هذا المعمار قد قدم للعرب ما لديه من معرفة نقلها من حضارة قومه ، فان الخورنق قد بني بأيدي عربية وبخامات البلاد ومعادنها ، وقد كان البناة يضيفون الى معارفهم ماكانوا يقفون عليه من معارف غيرهم من اهالي البلاد الاخرى ، ولذلك نحن نفهم عبارة الجاحظ من هذا المنطلق . يقول الجاحظ[٣٢] : « وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بان تعتمد ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى . وكان ذلك هو ديوانها ، ثم ان العرب أحبت أن تشارك العجم[٣٣] في البناء ، وتنفرد بالشعر ، بنو (غمدان) وكعبة (نجران) وقصر (مارد) وقصر (مأرب) وقصر (شعوب) و (الابلق الفرد) .. وغير ذلك من البنيان » فعبارة الجاحظ توضح لنا ان العرب ان كانوا متفوقين في فن الشعر ، وهو من صنعهم ، واصيل لديهم ، فقد كانوا في العمارة متأثرين بخبرات غيرهم ، أي انهم عرفوا هذا الفن لدى غيرهم واطلعوا عليه ، وحاولوا ان يأتوا بمثله ليبرهنوا للعالم انهم امة بناء وعمران وحضارة ، كما انهم امة شعر وادب . ولو اطلع الجاحظ على نتائج الاثار والحفريات والدراسات الحديثة لاجرى تعديلا مهما على عبارته . فقد دلت الكشوف وبرهنت على اصالة التمدن في الارض العربية .

واذا تركنا العمران والتمدن وحضارة العالم وما تركته من آثار في الشعر ، متوجهين الى اعماق الانسان العربي نفسه يومئذ ، عائدا من خارج البلاد ، مجسدا ما وقعت عليه عيناه من جديد هناك ، أو الى الاجنبي نفسه ، داخلا الى بلاد العرب ، ومغادرا الى بلاده ، حاملا عن العرب ما وصلت اليه يده من قدراتهم في الثقافة والفنون والتجارة والسلع ، برز هذا الاثر الحضاري

في الشعر ايضا ، وظهر لنا ان العرب كانوا مع شعوب العالم فاعلين ومنفعلين • وليس من اختصاص هذه الدراسة ان تفصل في هذا الجانب فهو كبير يخوض فيه عالم التاريخ ، والاجتماع ، والاثار ،الا اننا نحاول ان تتلمس في الشعر بعض مظاهر هذا التأثر • فقد حفلت دواوين العرب الشعرية في العصر الجاهلي بطائفة من الالفاظ لكثير من المواد والسلع والالات والادوات تحمل اسم البلدان التي جاءت منها والاقوام الذين حملوها الى بلادنا • واكثر ما يرد ذكر الاجنبي وفتوحاته في احاديث الشعراء عن الخمرة •فقد كان التجار الاجانب يجوبون البلاد ، يعرضون بضاعتهم ، ويتباهون بجودتها وابتكار الوسائل المتطورة في صنعها • لذلك كانوا يغالون في ثمنها ، فيصف لناالاعشى مثلا ، تاجرا روميا معه غلامه الذي يعينه ويخدمه في ايصال بضاعته الى العملاء أو الزبائن • ولا يصرح الاعشى برومية هذا التاجر بل يشير اليه بما يعرف به او بلازمة من لوازمه ، فهو يخبرنا عن قومية الرجل الذي يبيع الشراب ، فيقول بانه ازيرق العينين أي أنه رجل رومي ، وقد عرف الروم لدى العرب بذوي العيون الزرق[٣٤] :

فقمنا ولما يصح ديكنا ... الى جونة عند حدادها[٣٥]

ينخلها من بكار القطاف ... ازيرق آمن اكسادها[٣٦]

فقال تزويدونني تسعة ... وليست بعدل لاندارها[٣٧]

وسبق قبل قليل ان تمثلنا ببيتين للاعشى يذكر فيها اهل كابل والاتراك ، ويشيد بجودة الخمرة البابلية • واذا كانت كلمة (تركض) في البيتين المذكورين تقابل كلمة (ترقص) باعتبار الركض تحريك الرجل ، وهو معنى ذكره اللغويون[٣٨] ، نكون امام لوحة شعبية «فولوكلورية» لفن هذه الشعوب ، منقولة الينا عن طريق هؤلاء الاقوام المذكورين في شعر الاعشى الى بلاد العرب ، ثم عكسها الشاعر في ابياته •

واما الالفاظ غير العربية الواردة عن الحضارات المجاورة او البعيدة والتي تظهر في الشعر ، وبالاخص ما يتعلق بالشراب ، فهي كثيرة مثل كلمة (الراووق) وكلمة القاقوزة . قال عدي بن زيد العبادي[٣٩] .

قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافه الراووق

وقال النابغة الجعدي[٤٠]

وظل لنسوة النعمان عندي على سفوان يوم اروناني

فبت كأنني نادمت كسري له قاقوزة ولي اثنتان

وقاقوزة هنا كلمة نبطية ذكرها صاحب كتاب المعرب .

ويتعلق بالتجارة لفظة « النمّي » وهي النقود المعدنية ، واللفظة يونانية Noummiyon وردت في بيت ينسب للنابغة ويروى لاوس بن حجر ايضا[٤١] :

وفارقت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمّي سفمسفير

والدينار Denarius والدرهم Dhrakhmi « دراخمي » لفظتان يونانيتان عرفتا في العصر الجاهلي ووردتا في الشعر ايضا :

قال عنترة[٤٢] :

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم

وقال زهير[٤٤] :

فتغلل لكم مالا تغل لاهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

وقال جابر بن حني التغلبي[٤٥]

النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم

وقال جابر بن حني التغلبي[٤٥]

وفي كل ما باع العراق اتاوة وفي كل ماباع امرؤ مكس درهم

وعلى صعيد العلم والمعرفة ، كان لكلمة « تلميذ » الواردة في الشعر الجاهلي من يرجعها من العلماء الى منابع الحضارات المجاورة ، فهي من المعرّبات ، وردت في شعر ينسب لامية بن ابي الصلت[٤٦] :

والارض معقلنا وكانت أمنا فيها مقامتنا وفيها نولد

وبها تلاميذ على قذفاتها حبسوا قياما فالفرائص ترعد

وله أيضا[٤٧] :

صاغ السماء فلم يخفض مواضعها

لم ينتقص علمه جهل ولا هرم

لا كشفت مرة عنا ولا بليت

فيها تلاميذ في اقفائهم دغم

ووردت اللفظة في شعر لبيد أيضا[٤٨] :

فالماء يجلو متونهن كما

يجلو التلاميذ لؤلؤا قشبا

واحتفظ العرب في شعرهم ايضا بمؤثرات كتابية مثل ذكرهم مهارق الفرس وهي صحفهم الدينية ، كقول الحارث بن حلزة[٤٩] :

لمن الديار عفون بالحبس آياته كمهارق الفرس[٥٠]

وقول ابي ذؤيب يعكس حضارة الحميريين[٥١] :

عرفت الديار كرسم الدواة يزبره الكاتب الحميرى

وقول خزر بن لوذان السدسي[٥٢]

وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

قد خط ذلك في الزبو ر الاوليات القدائم

وقول امرىء القيس[٥٣] :

اتت حجج بعدي عليها فاصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقال شتيم بن خويلد الفزاري[٥٤] :

تسمع اصوات كدري الفراخ به مثل الاعاجم تغشي المهرق القلما

وجاء للشماخ بن ضرار قوله[٥٥] :

كما خط عبرانية بيمينه بتيماء حبر ثم عرض اسطرا

ولو شئنا استقصاء هذه الظاهرة لجمعنا منها الكثير ، لكننا نؤثر الانتقال الى مظهر حضاري آخر حفظه لنا الشعر الجاهلي نقلا عن الحضارات العالمية يومئذ ، من قبيل التأثر بالقيم الدينية الوثنية كعبادة الالهة وطقوسها المتعددة التي ترافق هذه العبادات . فقد وردت كلمة «صنم» و «وثن» و « بعل » و « عشتار » في النصوص العربية الجنوبية والارمية والتدمرية وفي الكتابات الجاهلية والموارد القديمة « الكلاسيكية » وفي الشعر الجاهلي . وهي الفاظ وردت في حضارات الامم المجاورة للعرب ، مما يدل على وجود تبادل ثقافي بين العرب والامم المتحضرة . وقد جمع علماء (الساميات) طائفة من الالفاظ العربية في اللغات السامية وبالعكس ، ثم درسوا هذه الالفاظ دراسة مقارنة[٥٦] ، فظهرت الاثار اللغوية اليونانية والهندية والحبشية والفارسية في بعض هذه الاثار ، كما ظهر اثر العربية في هذه اللغات . وقد كان اكثر اعتماد العلماء على الشعر العربي قبل الاسلام ، ثم الشعر الاسلامي حتى نهاية الحكم العربي في عهد بني أمية ، فلما ثبت العباسيون اركان حكمهم ، كان التواصل والتلاقح كبيرين بين العرب والحضارات المعروفة في العالم يومئذ .

الهوامش :

(١) سورة قريش وهي أربع آيات مكية .

(٢) سورة الروم وهي ستون آية مكية .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ٢/٥ [العـــرب واليونـــان]

(٤) المصدر السابق ٤/١١

(٥) المصدر نفسه ١/٥٧

(٦) تراجع صفة السد في معجم ما استعجم ٤/١١٧٠ [مادة مأرب وتراجع مقالة في مجلة كلية الاداب ــ ملحق خاص بالعدد ٢٣ بعنوان : المـــدن التاريخية والحصون الاثرية في الشعر قبل الاسلام (ص ١٤٨) .
(ص ١٤٨) .

(٧) المصدر السابق . ولم يرد البيت في ديوانه .

(٨) ديوانه ص ٤٣ (القصيدة ٤) .

(٩) المؤتسي : المتعزي . قفى : عفى .

(١٠) لم يرم : لم يذهب .

(١١) القيول : جمع قيل ، لقب لملوك حمير .

(١٢) اي لم يبق من الماء ما يروي رضيعا فطم .

(١٣) يراجع كتاب الحضر مدينة الشمس تأليف فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى نشر وزارة الاعلام العراقية ومؤسسة كولبنكيان .

(١٤) معجم ما استعجم ١/٤٥٣ [مادة الحضر

(١٥) ديوانه ص ٤٣ (القصيدة ٤) .

(١٦) القدم جمع قدوم ، الفأس العظيمة .

(١٧) طروقا : ليــلا .

(١٨) صدم : انقطع

(١٩) يجشمه : يتكلفه .

(٢٠) الديوان ص ٤٧

(٢١) الحضر : مدينة اثرية تقع مابين دجلة والفرات على مسافة ثلاثة كيلومترات غرب الثرثار . صابت : سقطت ونزلت أيد : شديدة .

(٢٢) غبقته : سقته الغبوق وهو شرب الماء ، خلاف الصبوح . وهل : اي توهل الانسان وتوهمه .

(٢٣) يشير الى قصة الضيزن ابنة ملك الحضر [الساطرون] (سنطروق)

(٢٤) مراوح : جمع مروحة وهي ما يتروح به . الطايات : السطوح . والبور : الفاسد تضغو : تصوّت يضعف .

(٢٥) شعراء النصرانية ٦٦٣/١ بيروت (ط ٢) .

(٢٦) خيس : ذلل واحبس . الصفاح : حجارة عراض . والعمد : اساطين الرخام .

(٢٧) الضمد : الغيظ والغضب .

(٢٨) ديوانه ص ٣٤٧ (القصيدة ٧٦)

(٢٩) كابل اي ناس من اهل كابل .

(٣٠) تنظر قصته في معجم ما استعجم للبكري ٥/٥ (مادة الخورنق) والاغاني ١٤٤/٢ وتراجع مجلة كلية الاداب ملحق العدد ٢٣ بحث بعنوان : المدن التاريخية والحصون الاثرية في الشعر قبل الاسلام (ص١٤٨) لكاتب هذا البحث نفسه .

(٣١) المصادر السابقة في الهامش رقم ٣٠

(٣٢) الحيوان ٧٢/١ — ٧٣

(٣٣) يراد بالعجم جميع الاقوام من غير العرب .

(٣٤) ديوانه ص ٦٩ (القصيدة ٨) .

(٣٥) جونة : جرة . حدادها : خمارها .

(٣٦) تنخلها : تخيرها . بكار القطوف : اول ما يقطف . ازيرق : ازرق العينين اي رجل من الروم .

(٣٧) ليست بعدل لاندادها : اي لاتعادلها خمرة في الجودة والثمن .

(٣٨) يراجع اللسان (مادة ركض) .

(٣٩) ديوانه ص ٧٨ وكلمة راووق تعني المصفاة .

(٤٠) النقائض ٤٠٤ وشرح الحماسة للتبريزي ٣٠٤/١

(٤١) ديوانه ص ٤١ (القصيدة ٢١) .

(٤٢) هذه رواية الديوان ص ١٤٥ تحقيق فوزي عطـوي ط : بيروت ١٩٦٨
واما رواية الزرزني ص ١٩٦ وابي جعفر النحاس ٢/٤٧٤

جـــادت عليـــه كـــل بكـــر حـــرة
فتركـــن كـــل قـــرارة كالـــدرهـــم

(٤٣) شرح ديوان زهير ص ١ ٢

(٤٤) الاغاني ١٢٦/٦ ويروى البنان بدل الاكف .

(٤٥) مفضلية رقمها (٤٢) ص ٢١١ من المفضليات .

(٤٦) ديوانه ص ١٨٨ وتراجع اختلافات الرواية في هامش الديوان .

(٤٧) رسالة التلميذ للبغدادي (نوادر المخطوطات) (المجموعة الثانية) ص ٢٢٢

(٤٨) شرح ديوان لبيد ص ٣١ (القصيدة ٤) .

(٤٩) المفضليات ص ١٣٢ (القصيدة ٢٥) .

(٥٠) المهارق : الصحف .

(٥١) ديوان الهذليين ٦٤/١

(٥٢) اللسان (مادة حتم) وخزانة الادب ١١/٣

(٥٣) ديوانه ص ١٨٤ (شرح السندوبي) .

(٥٤) النقائض ص ١٠٦

(٥٥) شرح ديوان زهير ص ٥

(٥٦) الساميون ولغاتهم ـ دراسة في القرابات اللغوية ص٨١ .

المصادر بحسب تسلسل ورودها في البحث :

١ ــ القرآن الكريم ــ النسخة العثمانية .

٢ ــ الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ــ طبعة اولى بيروت

٣ ــ معجم ما استعجم للبكري ــ ت : مصطفى السقا . القاهرة ١٩٤٥

٤ ــ مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ملحق العدد ٢٣

٥ ــ ديوان الاعشى تحقيق محمد محمد حسين . طبع مصر ١٩٥٠

٦ ــ كتاب الحضر مدينة الشمس تأليف فواد سفر ومحمد علي مصطفى نشر وزارة الاعلام العراقية ومؤسسة كولبنكيان .

٧ ــ ديوان عدي بن زيد العبادي . ت محمد جبار المعيبد نشر وزارة الثقافة والارشاد العراقية ١٩٦٥

٨ ــ شعراء النصرانية ــ لويس شيخو اليسوعي طبعة ثانية ــ بيروت

٩ ــ ديوان عنترة . ت : فوزي عطوي . ط . بيروت ١٩٦٨

١٠ ــ الحيوان للجاحظ . المجلد الاول .

١١ ــ لسان العرب لابن منظور ــ طبع بيروت .

١٢ ــ شرح ديوان زهير برواية ثعلب . نشر دار الكتب المصرية .

١٣ ــ ديوان امرىء القيس تحقيق (ابو الفضل ابراهيم) . أو ما يـذكر في الهامش .

١٤ المضليات للضبي تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون نشر دار المعارف المصرية .

١٥ ــ ديوان الهذليين رواية ابي سعيد السكري نشر دار الكتب المصرية .

١٦ ــ ديوان أوس بن حجر . ت : د . محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)

١٧ ــ خزانة الادب للبغدادي ــ طبع بولاق .

١٨ ــ شرح المعلقات السبع للزوزني ــ طبع بيروت

١٩ ــ شرح القصائد التسع المشهورات لابي جعفر النحاس تحقيق احمدخطاب نشر وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٣

٢٠ ــ الساميون ولغاتهم ــ دراسةفي القرابات اللغويةللدكتور حسن ظاظا نشر الاسكندرية (١٩٧٣) .

٢١ ــ شرح ديوان لبيد . ت : د . احسان عباس . نشر الكويت ١٩٦٢

الفلاح : نماذج من صوره على الاثار العربية الاسلامية

الدكتور صلاح العبيدي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

لم تحظ المهن والحرف بعناية المؤرخين مثلما حظيت الاعمال الاخرى كانجازات القادة وبناء المدن وفتحها وسيرة الخلفاء والملوك وغير ذلك من المعلومات التي تتعلق بالنواحي السياسية ومايجري في بلاط الخلفاء والسلاطين ويمكن ان نعزو هذا النقص الى ان المؤرخين كانوا اقل التصاقا بواقعهم المعاش من غيرهم ممن التفتوا الى تسجيل جزئيات الحياة اليومية الواقعية سواء كان ذلك عن طريق الادب او الفن •

وقد كان الادباء والشعراء أقرب الى واقعهم بحكم صنعتهم من المؤرخين ، لذلك نجد في أدبهم وشعرهم اشارات كثيرة الى وصف بعض الحرف والمهن واربابها ، حتى اننا نستطيع ان نستخلص من الشعر صورا لكثير من مستلزمات هذه الحرف ووسائلها •

اما الفن ، وبالاخص التصوير ، فانه بحكم نقله للبيئة وتأثره بها ، فقد كان اكثر نزوعا نحو هذا اللون من العمل • وقد انعكس هذا كله على منتجاتهم المختلفة ، فجاءت اثارهم غنية بالرسوم والصور التي تمثل تلك الجوانب ، لذلك استطعنا ان نستخلص من الصور الممثلة على التحف الاثرية العربية كثيرا من سمات ارباب الحرف والمهن الشعبية وكنا قد اشرنا في بحث سابق عن الحمال[1] الى أننا سوف نتطرق الى بقية اصحاب الحرف والمهن، لذا أخترنا في هذه المرة الحديث عن الفلاح في العصر العباسي • وذلك لما تحمله شخصيته من أبعاد اجتماعية واقتصادية بعيدة الاثر في حياتنا ، فهو

المنتج المباشر للقوت ، والذي على يديه يتم احياء الارض الميتة وارواؤها ، والذي من فيض يديه نستطيع الحصول على المنتجات النباتية والحيوانية ، ان هذه الجوانب وغيرها سوف تتوضح من خلال بحثنا ، الارض والالات والحيوان باعتبارها اجزاء متممة لصورة الفلاح .

ولابد لنا قبل الكلام عن الفلاح ، ان نشير الى ان اصل الزراعة وتدجين الحيوان قد ظهر لاول مرة في العصر الحجري الحديث في شمال العراق في حدود الالف الثامن او السابع قبل الميلاد ، حيث ظهرت هناك بعض القرى الفلاحية ومنها قرية « جرمو » التي تعتبر من اقدم تلك القرى في العالم[٢]

وقد تناولت شريعة حمورابي بين أشياء كثيرة امورا تتعلق بالري وبالزراعة وادارة الحقول والالات الزراعية ، وغيرها حتى انها فرضت عقوبات على كل من يخالف تلك القوانين[٣] .

وتفيد أخبار اليمن السعيد بانها كانت على درجة كبيرة من التقدم والتطور في مجال الارواء والسقي ، وما تزال اخبار سد مأرب تملأ الكتب في صور قصص تكون جزءا مهما من تراث الامة العربية في حقل الارواء .

وعرف عن الرسول (ص) اهتمامه بشؤون الزراعة ، حتى اثر عنه الحديث المعروف « من احيا ارضا مواتا فهي له »[٤] . وحكي ايضا ان النبي (ص) رأى خشونة في يد سعد بن معاذ الانصاري ، فسأله عن السبب فقال : «اثر المسحاة اضرب وانفق على عيالي» . فقيل ان الرسول (ص) قبل يده ، وقال : « هذه يد لا تمسها النار »[٥] .

وسار الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على مبدأ ابقاء الاراضي الزراعية بايدي مالكيها على ان يدفعوا عنها الخراج[٦] كما اتبع سياسة تطبيق مبدأ التعويض بحق الفلاحين والمزارعين فقد جاء في كتب التاريخ ، ان رجلا اتى الى عمر ، فقال : « ياامير المؤمنين زرعت زرعا فمر به جيش من أهل الشام فافسدوه ، قال : فعوضه عشرة الاف [٧] .

وقد اوصى عمر بن الخطاب خير بالفلاحين ، وامر بعدم قتلهم او الحاق الاذى بهم ، فيروى عنه قوله : « اتقوا الله في الفلاحين ، لا تقتلوهم الا ان ينصبوا لكم الحرب »[٨] .

وتفيد اخبار الدولة العربية الاموية ان أصحاب الامر فيها قد اولوا الجانب الزراعي أهمية خاصة ، ففي زمن الخليفة عبدالملك بن مروان بلغت الزراعة مرحلة متقدمة ، اذ تفيد كتب المؤرخين بان الحجاج بن يوسف الثقفي كان معجبا بالزراعة ، مهتما بمواسمها ، كما كان مهتما بالارصاد الجوية ، ويحصي كمية الامطار لعلاقتها بالزراعة[٩] كما كان يشجع الاعياد الزراعية ، ويحتفل بمحصول كل زراعة كما امتدت عنايته الى الحيوانات التي لها علاقة بالزراعة وكان في زمانه قد منع ذبح الابقار وخاصة الصالحة منها للحرث والري والخدمات الزراعية الاخرى[١٠] .

ومما يذكر عن الخليفة هشام بن عبدالملك انه اولى أهتماما بالاراضي، فعمل على أحياء الصالحة منها للزراعة وعلى زيادة انتاجها .

وكذلك الحال بالنسبة الى العصر العباسي ، فقد ازدهرت الزراعة في هذا العصر ، وتنوعت المحاصيل الزراعية ، وبلغ من اهتمامهم بالجانب الزراعي ، ان الخلفاء والحكام كانوا يتدخلون في شؤون الزراعة من جميع النواحي ، فاهتموا اهتماما عظيما بمشاريع الري وانشاء السدود والقناطر وحفر الترع واحياء الاراضي وايصال الماء الى الاماكن التي لا توجد فيها مياه لغرض زراعتها . كما أصبحت حرفة الزراعة من أهم الحرف التي تدر دخلا وارباحا ، فكان الناس في الاسواق يحصلون على أنواع المحاصيل الزراعية ، مثل الحبوب والخضر[١١] والفواكه[١٢] .

وكذلك ما يحتاجونه من الحيوانات كالماشية وغيرها[١٣] .

ومما يؤسف له ان كل هذه العناية من قبل المؤرخين وغيرهم بالزرع والسقي والاراضي والحيوانات والالات الزراعية كانت تنقصها عنايتهم بالبشر الذين كانوا يقومون بهذه المهام كلها ، حيث لم ترد الينا اخبار وافية عن الفلاحين والاشخاص الذين يدجنون الحيوانات في المزارع او يعتنون بتربيتها ، او ممن يقومون بنقل المحصولات الزراعية الى المدن المختلفة .

لقد جاءتنا اخبار عن الفلاحين قد لا تكون كثيرة تشير الى ان بعض السلاطين كانوا يفرضون على الفلاحين ضرائب باهضة كما حصل في سنة ٥٤١هـ . عندما فرض السلطان عماد الدين زنكي على فلاحي مدينة الموصل ضرائب عالية فتركوا اراضيهم وهاجروا الى ماردين لان اميرها كان لايأخذ من الفلاحين الا العشر ، فما كان من عماد الدين زنكى الا وانذر امير ماردين باعادة الفلاحين الى الموصل والا فانه سيقود الجيش ويسحق ماردين واهلها ، وقد اذعن الامير لهذا التهديد واعاد جميع الفلاحين الى الموصل(١٤) .

وتشير الروايات التاريخية ان الجند كانوا في بعض الاحيان يعتدون على الفلاحين ويخربون قراهم ومزارعهم . ومع ذلك فقد وجد من السلاطين من كان يمنع عبث الجند بالقرى وايذاء وقتل الفلاحين . وقد انتقد السبكى ديوان الجند المتولى لامر الاقطاعات العسكرية مستنكرا الزام الفلاحين في الاقطاع ، مؤكدا ان «الفلاح امير نفسه لايد لا دمي عليه»(١٥) .

كما عرف عن الفلاحين انهم كانوا لا يسكتون على ظلم بل كانوا يقاومونه بعنف ، ويخبرنا ابن الجوزي ان ثلاثة من الفلاحين دخلوا على عامل الخليفة على منطقة نهر ملك ويدعى الحويزي ويعذبهم ويستخرج الاموال فلا يتلبس بها اظهارا للزهد(١٦) .

ومع ندرة الاخبار والاشارات الواردة عن الفلاح في العصر العباسي ، فاننا نستطيع ان نلمح ولو بصورة مقتضبة الى شيء من تخصص العمل

الحرفي بين جماهير الفلاحين ، حيث ورد مصطلح «الحواصد»[١٧] للدلالة على بعض الاشخاص الذين يقومون بعملية الحصاد ، و «الحراثين»[١٨] على اولئك الفلاحين الذين يقومون بعملية حراثة الاراضي وتهيئتها للزراعة .

وقد وصف اخوان الصفا [١٩] الصنائع بحسب فائدتها ، فجعلوا الحراثة من بين الصنائع الاساسية الضرورية للمجتمع .

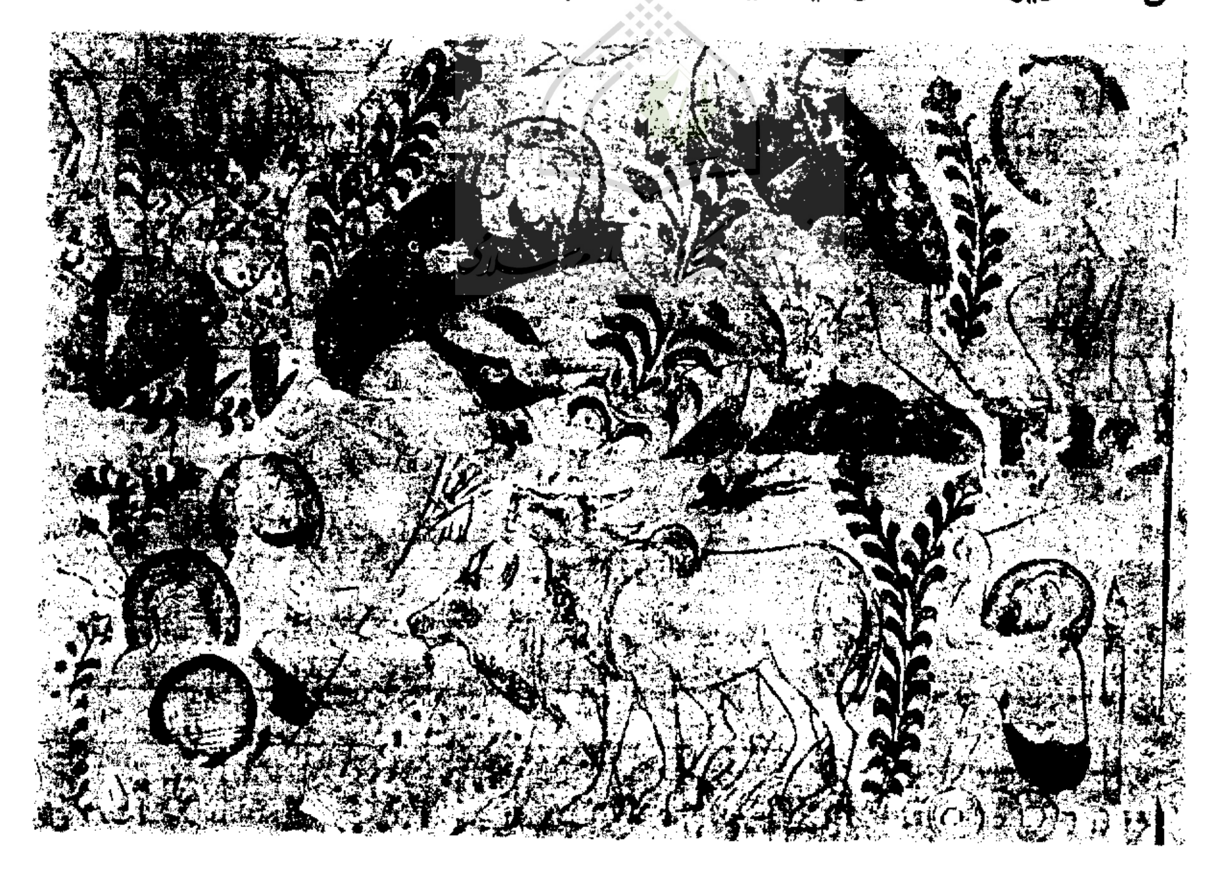
وفي مجال الري نجد تخصصا بين الذين يعملون في هذا الميدان ، فهناك عمال مهرة يشرفون على توزيع المياه في القنوات الرئيسية والفرعية يسمون بالقياسين أو الحسابين وعمال غير مهرة يديرون الدواليب والنواعير[٢٠] وهكذا .

وقد دلت دراستنا لهذا النوع من المهن على مقدار ما للاثار من اهمية كبيرة في ايضاح كثير من الجوانب مما نعتمد عليه في دراستنا ، فقد كشفت رسوم الفنانين من العصور الاسلامية عن كثير من الحقائق المتعلقة بهذا الجانب والتي لولاها لظلت غامضة ومجهولة علينا .

وستفيدنا هذه الرسوم من جانب اخر في التعرف على انماط الفلاحين في الزي والملبس ، وما كانوا يستخدمون من الالات ووسائل العمل الاخرى ، وكذلك في التعرف على حيواناتهم التي كانوا يستعينون بها في الحقل او المزرعة ، ونستطيع ان نستنتج ايضا من هذه الرسوم اساليب الزراعة والطرق المتبعة فيها يومئذ وسوف تتوضح هذه الجوانب تباعا عندما نمر بها مدعمين ذلك بالشواهد المصورة خلال البحث .

ومن دراستنا للاثار العربية الاسلامية التي تعود الى العصر العباسي ، وجدنا صورا للفلاحين وما يتعلق باعمالهم الزراعية ممثلة عليها ، والذي يتفحص هذه الاثار يرى نماذج متعددة من هؤلاء الفلاحين وهم يعملون في مزارعهم وحقولهم ، نذكر من هذه الاثار مخطوط كتاب الترياق لجالينوس الذي يرجع تاريخه الى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م المحفوظ في المكتبة الاهلية في

باريس ، ففي المخطوط تصويره[21] توضح قصة خلاصتها انه كان لاحدهم ضيعة في بعض الحقول،وكان صاحب الضيعة يرسل الى فلاحيه في هذه الحقول غذاؤهم ، وحمل اليهم في يوم زادا وشرابا ، وكان الشراب في جرة مصنوعة من الفخار ، فلما فتحوا الجرة وجدوا في الشراب افعى قد تهرأت فلم يذوقوه واعطوه الى رجل مجذوب في القرية على اساس ان هذا الشراب سوف يقتله ويخلصه من العذاب الذي يعانيه ... الخ • وقد نقل لنا الفنان هذه القصة في تصويرتين نشاهد في التصويرة الاولى (شكل ١) منظرا ريفيا لمزرعة يبدو فيها مجموعة من الفلاحين يؤدون اعمالا زراعية مختلفة ، وتظهر هذه الاعمال في شكل تسلسل طبيعي للعمل الجاري في المزرعة ، مثل حراثة الارض وحصاد النبات ودرس الحبوب وتذريتها وغربلتها ، ويظهر في القسم العلوي من التصويرة وعند الزاوية اليسرى صاحب المزرعة بملابسه المزركشة يراقب



(شكل رقم ١)

عن كثب اعمال الفلاحين ويرصد حركاتهم • اما الفلاحون فقد ظهروا موزعين هنا وهناك ، فاثنان منهم في الجهة اليمنى يقومان بتهيئة التربة وحزقهـا بواسطة الة بسـيطة تعرف بالمسحاة ، او كما يسميها صاحب كتاب التلخيص بالمعرقة [٢٢] ، فالفلاح الاول الـذي يظهر على الجهة اليمنى يمسك بالمسحاة من نهايتها العليا باليد اليسرى ، بينما فرش كفه الايمن وقبض على المسـحاة من ربعها السفلي ، وثبت قدمه اليمنى على كف المسحاة مباشرة ، وعلى مقربة من هذا نرى الفلاح الثاني وقد امسك بمسحاة ذات خشبة معترضة قرب كف المسحاة ، وهي الخشبة التي يعتمد عليها الحافر برجله ، وتعرف بـ «عتـرة المسحاة»[٢٣] وجاءت قبضة هذا الفلاح للمسحاة من اسفلها بيده اليسرى ، بينما امسك بنهايةالمسحاة بيده اليمنى ، وقد وضع قدمه اليسرى على عترة المسـحاة •

ويبدو الفلاح الاول في الصورة متعبا الى درجة كبيرة ، مما يدل على ما يعانيه من قسوة العمل ، وقد ارتسمت على وجهه علامات المعاناة ، في حين ظهر الفلاح الثاني بحيوية ونشاط ومنسجما مع العمل الذي يؤديه •

ويسترعي زي هذين الفلاحين انتباهنا ، اذ ان الفلاح الاول ظهر بسروال مثبت على وسطه بما يعرف بالتكة[٢٤] وقد جاءت هنا فوق السروال وليست بداخله كما هو مألوف ، والتكة تبدو من النوع العريض وهي مصنوعة من سفيفة من النسيج ، ويصل طرفاها السائبان الى منتصف الساقين تقريبا •

اما زي الفلاح الثاني فانه يرتدي نوعا من الملابس اقرب في شـكلها الى مايعرف بالجمازة[٢٥] والجمازة نوع من الجباب ، وتظهر في الصـورة قصيرة ، وتصل في الطول الى الركبتين تقريبا ، وللجمازة كمان قصـيران يصلان الى الكوعين ومزينتان بشريطين عريضين خاليين من الزخرفة •

وقد هدتنا التصويرة نفسها الى روءية فلاح ثالث مشغول بالحصاد والصورة تظهر فلاحا قد ثنى رجله اليمنى على الارض وارتكز على ركبتها ، ومد رجله اليسرى وارجعها الى الخلف بينما ثنى الرجل اليسرى ليسهل عليه عملية الحصد ، وقد أمسك الفلاح بيده اليسرى قبضة طيبة من السنابل يحاول قطعها بواسطة منجل صغير يقبض عليه باليد اليمنى ، ويظهر المنجل هنا من النوع غير المسنن ، وهو الذي تطلق عليه المصادر التاريخية اسم «المخلب»[٢٦] •

اما الملابس التي يرتديها هذا الفلاح فلا تظهر في الصورة بشكل واضح وعسى ان لا نكون مخطئين اذا قلنا ان ملابس البدن مؤلفة من جمازة اسوة بالفلاح السابق ، كما يرتدي في الوقت نفسه سروالا قصيرا وقد جاء السروال هنا ضيقا ومحبوكا على الجسم ، ويصل في الطول الى أعلى الركبتين •

وقبل الانتقال الى صورة اخرى ، لابد ان نشير الى نقطة جديرة بالملاحظة وهي ان الجمازة كما توحي الصورة بها انها ثوب شعبي يظهر بين الناس كزي للفلاحين يرتدونه في اوقات خاصة معينة كأوقات العمل •

وربما يتبادر الى الذهن ان عمل الفلاح ينحصر فيما ذكرناه من حرث وزرع وحصد ، الا ان الصورة نفسها اظهرت لنا فلاحا يؤدي عملا زراعيا لا يقل عن الاعمال الاخرى أهمية ، وهي عملية درس الحبوب وعزلها عن الشوائب بآلة يقال لها «النورج» والنورج عبارة عن عربة خشبية ذات عجلات حديدية ثقيلة تجرها حيوانات الحقل والصورة تعكس شكل ثورين يجران تلك العربة وقد جلس الفلاح خلفهما على مقعد مركب في مؤخرة النورج ، وعمل الفلاح هنا ينحصر في سوق الحيوانات وقد استخدم لهذا الغرض عصا رفعها في الهواء ، وراح يحث تلك الحيوانات على تأدية العمل بشكل مستمر وبلا توقف •

ولكي تكتمل ابعاد الصورة في ذهن القارىء ، نود ان نوجز عمل هذه الالة ، اذ ينحصر في حزم سنابل الحبوب مثل القمح والشعير ، فتمر العربة فوق تلك الحزم وتفرمها محولة القش الى تبن ومحتفظة بالحبوب سليمة .

ويشاهد الفلاح هنا ، وقد بدا النصف العلوي من بدنه عاريا ، بينما اكتسى النصف الاسفل من البدن نوعا من الملابس يعرف بالتبان[٢٧] ، وهو سروال صغير يستر العورة ، وقد ظهر في الصورة بلون احمر خال من أية زخرفة (شكل٢) .



(شكل رقم ٢)

وفي امكاننا ان نعزو اتخاذ هذا النوع من الملابس من قبل طبقة الفلاحين ومن شاكلتهم الى انه يوفر لاصحابه حركة اوسع من غيره اثناء العمل .

ويتصل بعمل الفلاح ايضا فضلا عما تقدم ، عمله في تذرية الحبوب وفصلها عن القش بعد عمله السابق في آلة يقال لها المذراة ، وترينا الصورة المتقدمة فلاحا امسك بمسفار[٢٨] مؤلفة من ذراع طويلة تنتهي طرفها العلوي بما يشبه اصابع الكف المبسوطة . والفلاح في هذه الصورة منهمك في عمله ، وقد اخذت ساقه اليسرى وضعا يتناسب وحركة الجسم واليد عند الميلان والسقوط ، ان ظهور الفلاح في هذه الصورة يتناسب والعملية التي تستوجب وقوفه مع اتخاذه موقفا يعاكس الريح حتى يتم فصل القش عن الحبوب بواسطة الريح وبسهولة ، لان الرياح عندئذ ستأخذ معها القش بعيدا وتسقط الحبوب في الموضع القريب من الفلاح .

ومن الملاحظ ان شكل المذراة هذه لا تختلف عن المذراة التي كان يستعملها قدماء العراق مثل السومرين وذلك قبل الاف السنين ، فقد عثر في مدينة نيبور (نفر) على لوح رخامي (شكل ٣) يرجع الى ما قبل ٤٥٠٠ سنة ، نقش عليه رسم فلاحة تحمل بيدها مذراة لا تختلف في شكلها عن مذراة العصر العباسي ، كما انها لا تختلف في الوقت نفسه عن المذراة التي يستعملها الفلاحون في وقتنا الحاضر .

وكذلك يتصل بالعملية المتسلسلة من الحرث بالمسحاة ، والحصد بالمنجل الى الدرس بالنورج ، والتذرية بالمذراة ، عملية أخرى ، هي تنقية الحبوب من سائر الشوائب الاخرى بأداة يقال لها الغربال ، والصورة تبرز فلاحة امسكت بيدها غربالا ، ويكون عادة دائري الشكل ذا أطار خشبي يشبه المصفاة ، ولا تظهر لنا الصورة المادة التي صنعت منها عيون الغربال ، لكننا نخمن انها قد تكون من الياف النبات .

ان هذه الاداة الزراعية ليست بجديدة على مجتمع العصر العباسي ، فقد وردت أشارة اليها في قصيدة كعب بن زهير بن ابي سلمى المشهورة في مدح الرسول (ص) التي يقول فيها الشاعر[٢٩] :

وما تمسك بالعهد الذي عهدت　　　الا كما تمسك الماء الغرابيل



(شكل رقم ٣)

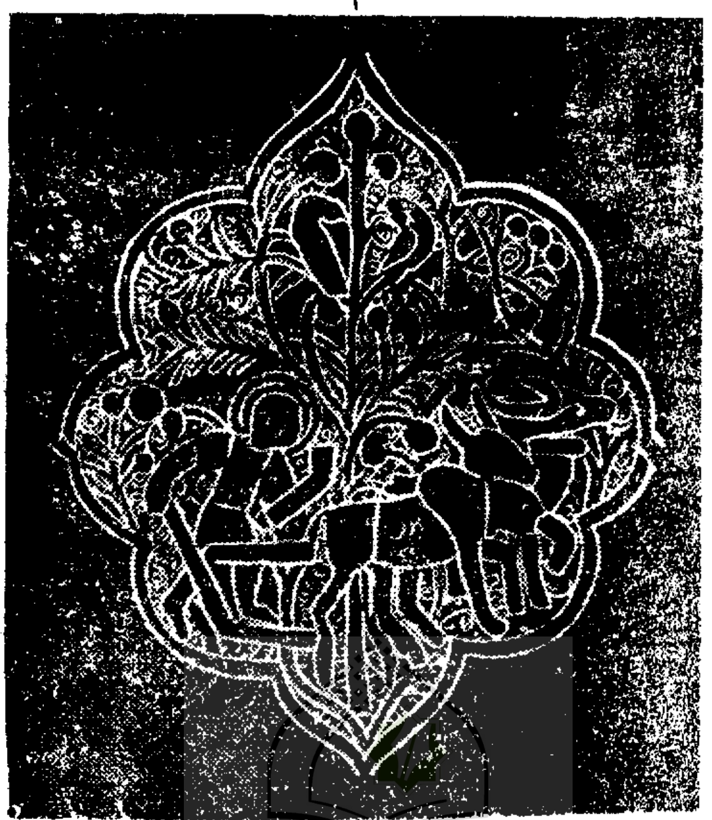
وتضـم الصورة فضلا عن التفصـيلات الوافية التي قدمناها صـورا لحيوانات ونباتـات ، وقد سبق ان ذكرنا صورة الثورين اللذين يجـران النورج ، ونود هنا ان نذكر في الصورة حيوانا اخـر يبدو القسم الامامي من مقدمة حمار يحمل حزمة كبيرة نظن انها من سنابل القمح المعدة لدرسها وتذريتها وغربلتها خصوصا وان الحمار قادم في اتجاه الفلاحين المنتشرين في الحقل والذين يقومون بالعمليات الزراعية المذكورة •

وعلى العموم فالصورة تعكس مشهدا متكاملا لمجتمع زراعي تجري فيه العمليات الزراعية المختلفة ، ويستطيع المرء من خلالها ان يكون في ذهنه فكرة لصورة تعتبر فريدة في نوعها وتكاد تكون الوحيدة من بين الاثـار العربية التي تجمع عدة فعاليات زراعية في وقت واحد •

اما التصويرة الثانية المكملة للصـورة الاولى ، فترينـا الشـخص المجذوب وهو يتسلم كأسا من رجل اخر ، والى يمين التصويرة فلاح يحمل بيده اليمنى جرة ، بينما نشاهد فلاحا اخر الى الجهة اليسرى يحـرث الارض بمسحاة من نوع المساحي التي تحدثنا عنها مسبقا ، وقد ظهر الفلاح في وسطه ازار مسبل عقده من الاعلى فنجم من ربطه طيات كثيرة ، بعضها على شكل خطوط والبعض الاخر على شكل حلزونات •

ووجدنا على التحف المعدنية امثلة لفلاحين اخرين كالذي على ابريـق[٣٠] (شكل ٤) من النحاس مؤرخ من سنة ٦٢٠هـ ـ ١٢٢٣م محفوظ حاليـا في متحف كليفلاند وهو من صناعة احمد الذكي النقاش الموصلي ومن النقوش التي تزين الابريق المذكور صورة تمثل حراثة الارض بواسطة المحـراث ، والصورة تظهر لنا مزرعة ذات اشجار متشابكة الاغصان ينتهي معظمها باشكال دائرية تمثل ثمارا لم يتحدد نوعها ، ويتخلل هذه الاشجار رسم أحد الحراثين خلف محراث يجره ثوران ، وقد قبض الفلاح على الة الحرث التي تعرف

بالدستق ، والدستق هي الخشبة التي يقبض عليها الحراث وتنتهي بآلة حادة تعرف بالسكة او السنة وبها يتم الحرث[٣١] .



(شكل رقم ٤)

وشكل المحراث هذا يذكرنا بالمحراث السومري القديم الذي كان يستعمله الفلاحون في ذلك الوقت كما يتضح لنا ذلك من احد النقوش التي ترجع الى العهد الاكدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م)[٣٢] (شكل ٥) .



(شكل رقم ٥)

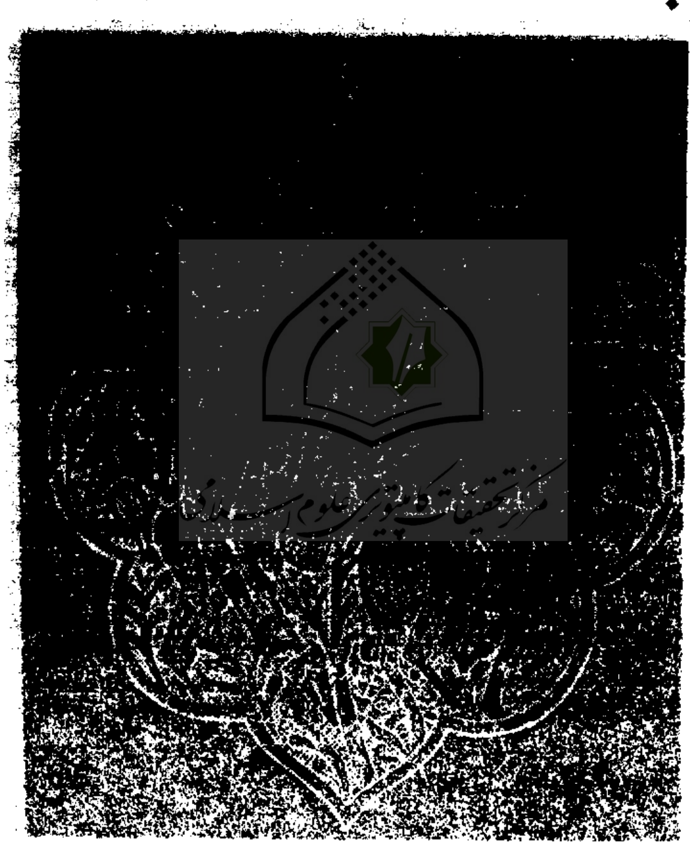
وقد ظلت هذه الالة يتناقلها الفلاحون جيل عن جيل حتى وصلت الى يومنا هذا محتفظة بشكلها وطريقة استعمالها كما كانت عليه منذ اقدم العصور .

واضافة الى الامثلة المتقدمة ، فقد عرض لنا رسم منقوش على شمعدان[٣٣] (شكل ٦) من النحاس من صناعة بن جلدك الموصلي سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م ، والرسم يمثل مزرعة تتوسطها شجرة محورة عن الطبيعة عليها فلاح يقطف فاكهة تبدو انها من التفاح ، بينما ظهر الى كل من يسار الشجرة ويمينها فلاحان اخران الاول يضع مسحاة على كتفه الايمن وقبض عليها بيمينه اما يساره فقد أسندت على ساق الشجرة ، والمسحاة مؤلفة من مقبض طويل تتصل به تقريبا من اسفله عترة المسحاة ، وفي نهايته كف المسحاة التي ظهرت على شكل مثلث متساوي الساقين ، اما الفلاح الواقف على الجهة الاخرى من الشجرة فقد امسك بالمسحاة بواسطة يده اليمنى من الوسط ويساره من أعلى المسحاة مثبتة عند العكس ، وتختلف كف المسحاة عن سابقتها في شيء واحد حيث لها نتوءان من جانبيها اشبه ما يكون باذنين ،وبدت صورة الكفة فيها شيء من الاستطالة .



(شكل رقم ٦)

ويظهر الفلاحون لدينا في مثال اخر وارد على ابريق الذكي النقاش الموصلي[٣٤] (شكل ٧) الذي قابلناه قبل قليل ، والرسم يمثل منظرا لبستان تتوسطه شجرة محورة عن الطبيعة من نفس الشجرة التي رأيناها في الرسم السابق وعليها ثلاثة طيور ، والى يسارها صياد على جواد يصوب سهمه نحو طائر ، بينما ظهر الى يمين الشجرة فلاح يعزق الارض بمسحاة ، ويرتدي الفلاح هنا تبانا ضيقا ومحبوكا على الجسم ويصل طوله الى مستوى الركبتين ، ويتدلى من أحد فروع الشجرة مزود يبدو انه مخصص لوضع طعام الفلاح .



(شكل رقم ٧)

وتمدنا تصويرة[٣٥] (شكل ٨) اخرى من مخطوط الترياق بنماذج لطائفة من الفلاحين أيضا ، يحملون في ايديهم المساحي ، والصورة تمثل منظرا لبيت او قصرا من الداخل في مقدمته حديقة ظهر بعض اشجارها ، وعليها طيور ، والذي يهمنا من المشهد صورة فلاحين أحدهما يظهر على يمين

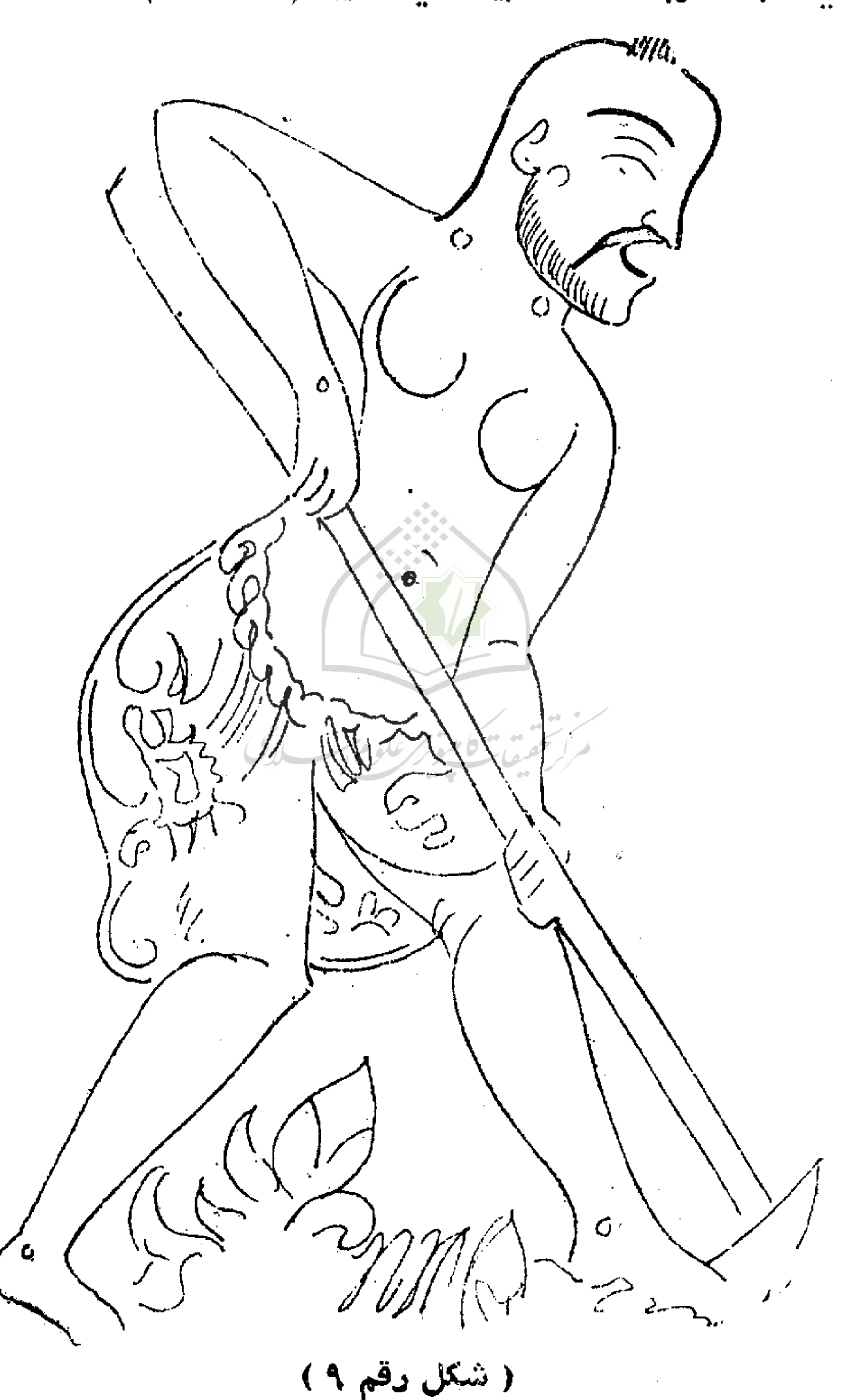
التصويرة يحمل مسحاة في يمينه ، ويبدو انه مقبل نحو شخصين يظهران في وسط الصورة ، واما الفلاح الثاني فهو يحتل الجانب الايسر من التصويرة وقد انهمك في عملية الحرث بواسطة المسحاة التي في يده •



(شكل رقم ٨)

اما ملابس هذين الفلاحين ، فقد ارتدى كل منهما تبانا ضيقا جدا بحيث تبدو ملتصقة على جسميهما تماما • كما يرتدي الفلاح الذي على يمين التصويرة جمازة ، بينما اتخذ لرأسه نوعا من أغطية الرأس يعرف بالطويلة[٣٦] ، اما الفلاح الثاني فقد القى على صدره ازار ازرق اللون تحليه خطوط بسيطة مختلفة الاشكال •

واتحفنـــا البيروني بتصـــويرة نرى فيهـــا شـــخصا يتحدث الى فلاح يعزق حقله بواسطة مسحاة وقد قبض من وسط المسحاة باليد اليسرى، وباليمنى من اعلاه وضغط برجله اليسرى على عترة المسحاة وكف المسحاة مركزة في وجه التربة وشكلها بيضوي تقريبا (شكل ٩) .



(شكل رقم ٩)

ولا ننسى ونحن نتكلم عن الزراعة ووسائلها ان نشير الى طرق الري التي استعملها الفلاحون في ري مزروعاتهم ، ومن هـذه الوسائل الناعورة والساقية حيث استخدمتا في ايصال مياه الانهار والآبار الى الجهات البعيدة والمرتفعة . وهاتان الوسيلتان هما الوحيدتان في السقي والارواء التـي وصلت الينا ممثلة على الآثار العربية . فيما اعتقد

اما الناعورة فتستعمل لري الاراضي المرتفعة عن النهر ، ولا تـزال تستعمل الى الان في منطقة الفرات ، وسميت بذلك لان لها صريفا[٣٧] في دورها . والناعورة لا تختلف عن الساقية في الوظيفة التي تؤديها وهي حمل الماء من الاماكن الواطئة الى العالية . وتعمل هذه الالة بصورة طبيعية تلقائية بقوة تيار مياه النهر . وتتألف الناعورة من عجلة خشبية قائمة تدور حـول محورها مثبتة على محيطها مجموعة من الآواني أو الجرار الفخارية وتتحرك هذه العجلة بواسطة قوة الماء الجاري في الانهر الذي يكون مصدرا للقوة ، للحركة التي يكسبها اياها دورانا ، فالمحور يدور على نفسه افقيا ، فالجرار المثبتة في اطار الناعورة عندما تبلغ اعلى وضع لها على محيط العجلة ينقلب وضعها فيصبح افقيا فتصب ما بها من ماء في مجرى يحمل ما تضعه تلـك الجرار من ماء الى حيث يراد حمله ، وعمل الفلاح هنا يقتصر على تشغيل الناعورة وضمان جريان الماء الى الاماكن المخصصة والسيطرة على توزيعه .

وهذه الآلة مهما بدت بدائية الصنع والتركيب فانها ما زالت تـؤدي مهمات كبيرة في ارواء الاراضي الزراعية على الرغم من التقدم العلمي الذي حصل في هذا الميدان ، وهي بذلك تعكس لنا صورة ناطقة للعقلية العربية التي ابتكرت هذه الآلة ومثيلاتها .

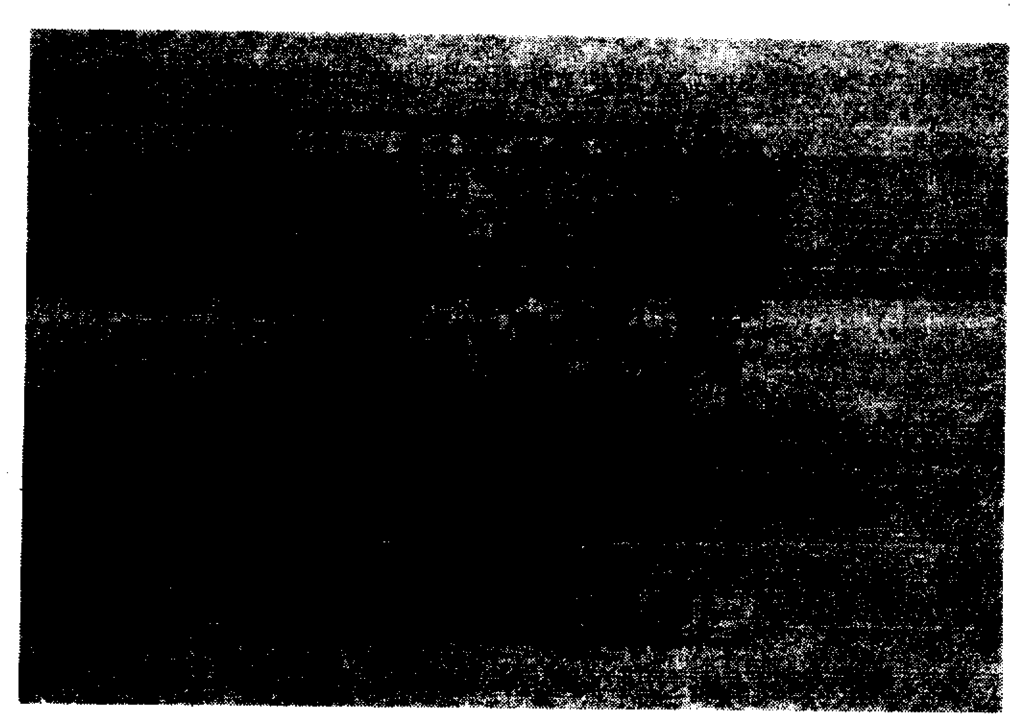
وتفيدنا صورة من مخطوط[٣٨] بياض ورياض المحفوظة في المكتبـة الانجلية في لندن ، وهي من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)

وفي هذه التصويرة نشاهد قصرا يطـــل على نهر ، وعند حافة النهر ترتفع ناعورة ، وهي بالشكل الذي وصفناه قبل قليل ، ومع ان صورة الفلاح لم تظهر هنا الا ان المصور ـ على ما يبدو ـ قد وجد ان عمل الفلاح هنا ثانويا بالنسبة لهذه الوسيلة في الارواء ، فهي بعد تشغيلها تستمر في العمل لوحدها بواسطة قوة جريان الماء ، واذا احتاج الفلاح الى التأكد من سلامة سيرها لايكلفه اكثر من القاء نظرة عليها ثم العودة الى عمله في الحقل .

ومن الجدير بالذكر ان هذا النــوع من آلات السقي قد انتقل الى أسبانيا على أيدي العرب حيث توجد النواعير التي تدار على الخيل في بعض المقاطعات الاسبانية(٣٩) .

اما الوسيلة الثانية التي استعملت في الارواء الساقية او ما يســمى بالناعور الحيواني وتدار الساقية بواسطة الحيوان حيث يعلق بها الثور او الجاموسة او الحمار فيدور في دائرة تلتف من حول البئر حيث تحرك دورته بواسطة قائم خشبي مثبت فوق عنقه رحى افقية متحركة وتلف بدورها عجلة كبيرة راسية تتحرك حركة دائرية ترفع بواسطتها الماء من أسفل الساقية في أواني فخارية متتابعة ترتفع بالدوران ، وعندما تصـير في مستوى الارض تقذف بالماء الى مجرى مستقل عنها فتحمل الماء حيث يراد حمله .

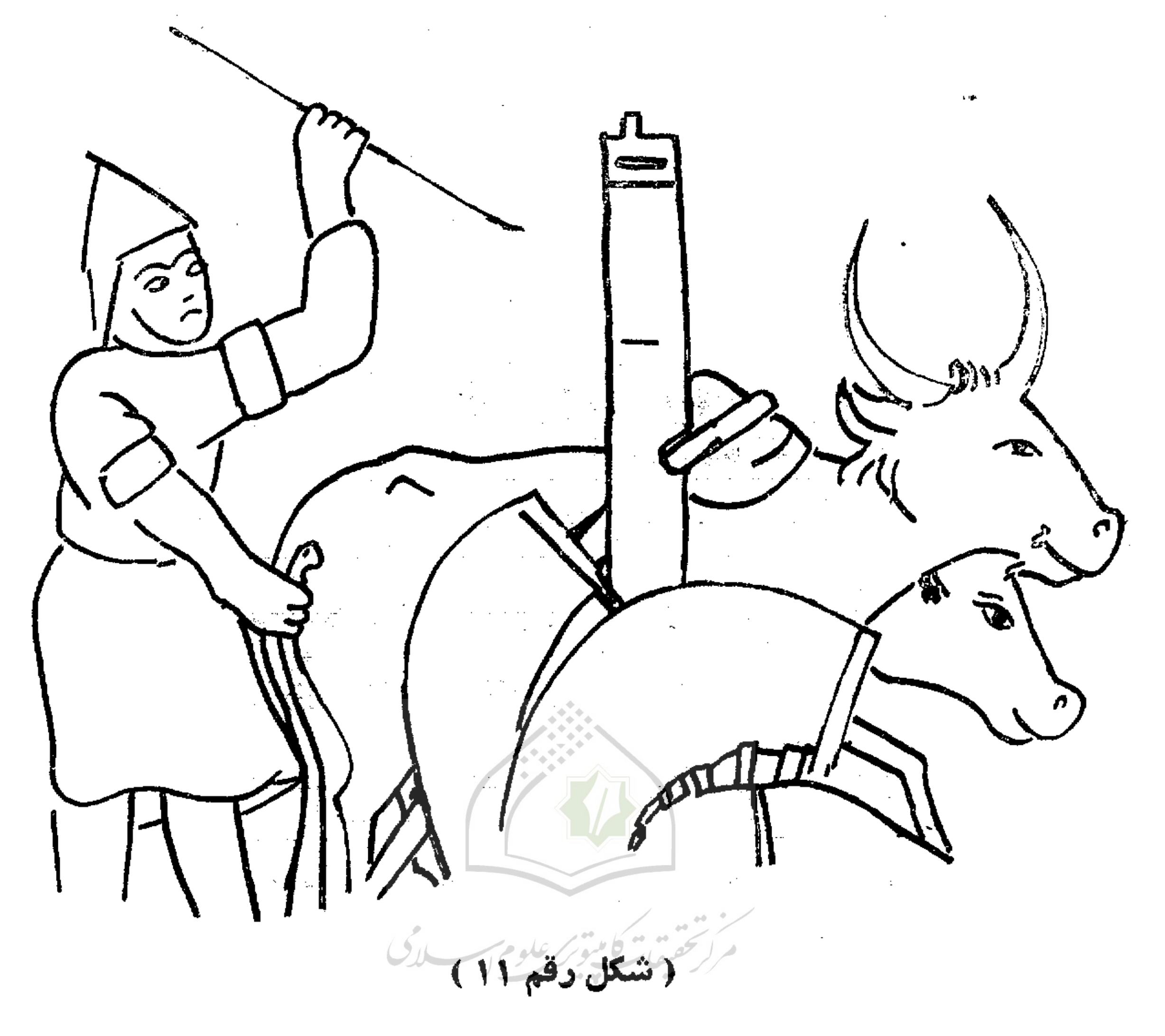
وقد وصلت الينا صورة للساقية(٤٠) (شكل ١٠) نقلها الواسطي في مخطوط مقامات الحريري يرجع تاريخه الى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م محفوظة في المكتبة الاهلية في باريس ، والتصويرة تمثل مجلس طرب وغناء قوامه مجموعة من الرجال يجلسون حول ساقية في بستان من بساتين بغداد ، وقد



(شكل رقم ١٠)

أظهر لنا الواسطي في الجزء العلوي من التصويرة (شكل ١١) جانبا من ساقية يظهر فيها فلاح خلف ثورين يديران ساقية ، وقد أمسك الفلاح بعصا طويلة رفعها الى الاعلى وعمل الفلاح في ادارة الساقية ينحصر في حث الحيوان على الدوران فهو يسهر على استمرار دوران الساقية وتدفق الماء ومراقبة عدم تسربه او ضياعه قبل وصوله الى الحقل ويفصل بين الرجال وبين هذه الساقية جدار تتوسطه فتحة على شكل عقد يتدفق من خلالها ماء الساقية وقد ظهر الماء هنا على شكل حلزونات •

وقد عكس الواسطي في هذه التصويرة لمسة انسانية يصور فيها كدح الفلاح في حقله وانشغاله عن الطرب والغناء بعمله الشاق في ادارة الساقية • ولم تفته المقابلة الواقعية بين ملابس الفلاح المهلهلة البسيطة وبين ملابس الرجال المزركشة الفاخرة •



(شكل رقم ١١)

وصورت الماشية على الآثار العربية باعتبارها جزءا من مجتمع الزراعة ، ولنا بعض لوحات تمثل الراعي في مزرعة وهو جالس عند شجرة ينفخ في نايه وبجانبه كلبه يحرس قطيع الغنم ، ويظهر مثل هذا الموضوع على ابريق احمد الذكي النقاش[٤١] الموصلي ، الذي مررنا به ، فمن بين النقوش التي تزين الابريق المذكور رسم (شكل١٢) يمثل راعيا أو فلاحا يجلس امام شجرة ينفخ في نايه ، بينما ترك قطيعه من ثلاث حيوانات ــ أظنها اغناما ــ ترعى وكلبا يجلس على الارض •

ولابد لنا ونحن نتكلم عن الفلاحين ان نشير الى امور اخرى تتعلق بحياتهم مثل الاجور التي كانوا يتقاضونها والطعام الذي كانوا يتناولونه •

الواقع ان المعلومات التي بين أيدينا عن هذه النواحي قليلة جدا بل نادرة ، ولا يمكن معها تكوين صورة واضحة المعالم لهذه الجوانب ، لكننا فهمنا من بعض المصادر ان أجور الفلاحين على العموم كانت واطئة ، فالجاحظ[٤٢] يذكر مثلا ان اجرة الحراثين كانت لاتتجاوز الثلاثين درهما في الشهر •



(شكل رقم ١٢)

اما بالنسبة الى طعامهم ، فاننا نستطيع ان نتعرف بعض الشيء على أنواع الطعام الذي كان مألوفا لديهم وذلك من خلال رواية افاد بها بعض المؤرخين ومفادها ، ان الخليفة المهدي خرج يوما للصيد وعرج الى كوخ أحد الفلاحين وطلب بعض الطعام فقدم له خبز شعير وطبقا فيه اسماك صغيرة وزيتا وتمرا وكراثا وبصلا[٤٣] •

ومثل هذا الطعام لا يكلف الفلاح شيئا من دخله الخاص ولا يدل على انه كان على مستوى عال من الدخل لان ماذكر من نباتات يمكن الحصول عليها من الحقل • اما الاسماك فلقد كانوا يصطادونها من الانهر والترع القريبة اليهم •

وقبل ان نختتم هذا البحث نـــرى من المفيد ان نقدم نموذجا لقرية فلاحية باعتبارها جزءا متمما لحياة الفلاح ، وقد برز لنا هذا النموذج من خلال تصويره[٤٤] (شكل ١٣) من مقامات الحريري وهي من بغداد سنــة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م ، وتمثل التصويرة الحارث وابا زيد السروجي فوق جملهما وخلفهما قرية تبدو بيوتها وحوانيتها والمسجد تظهر منارته ، حيث نشــاهد النخل تحمل تمرا ، ومن الجدير بالذكر ان أشجار النخيل أهم ما امتاز به أقليم العراق ، وهــذا يؤكد لنا ان الفنانين كانوا يرتبطون بفنهم بالبيئــة المحيطة بهم • وقد صور الواسطي أهــل القرية وهم منهمكون في شؤون حياتهم اليومية فألى اقصى يمين التصويرة سيدة تجلس على مكان مرتفع وهي تحمل مغزلا يدويا بسيطا للغزل ، وقد رفعت خصلة الصــوف بيدها اليسرى الى أعلى ، بينمــا يتدلى منه خيط رفيــع يتصل بالمغزل الذي كانت تبرمــه بيدها اليمنى ، ونلمح في التصــويرة ايضا فلاح يحمل مســحاة استعدادا للخروج للحقــل او أنه عائدا منه توا وفي وســط الصورة امرأة يبدو انها تبيــع الخبز الذي وضعته امامهــا في طبق ، ونشاهد الى جانب ذلك قطعــان من المعيــز مع حارسه يبــدو انها عائــدة الى مرابضها او في طريقهــا الى الحقــل •



(شكل رقم ١٣)

الهوامش :

١ ـ انظر بحثا بعنوان « الحمال » نماذج من صوره على الاثار العربية . المجلد الاول من العدد (٢١) لمجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد ١٩٧٧ . ص ٥٢٥

٢ ـ باقر . طه . مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الاول . الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين . منشورات دار البيـــان . مطبعة الحوادث بغداد (١٩٧٣) ص٩٥ـ١٩٨ .

٣ ـ راجع الاحكام التي تتعلق بالري والحقول والبساتين (المواد ٢٦ـ٦٠) وكذلك (المواد ٢٤١ـ٢٧٣)

٤ ـ ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم
كتاب الخراج ، المطبعة السلفية القاهرة ـ ١٣٨٢ ص٦٣ ابن سلام ، ابو عبيد القاسم الهروي .
الاموال . تحقيق خليل محمد هراس . دار الشرقية للطباعة (القاهرة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨ م) ص ١٢٥ .
الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد ابن حبيب .
الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة البابي الحلبيواولاده (القاهرة ـ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م) ص١٧٧/ الشيخلي : صباح ابراهيم سعيد الاصناف في العصر العباسي ص١٦ .

٥ ـ ابن حجر : احمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الاصابة في معرفة الصحابة (القاهرة ـ ١٩٣٩) جـ٢ ص٣٦ / الشيخلي : المصدر السابق ص٤١

٦ ـ ابو يوسف : المصدر السابق ص٢٨ .

٧ ـ المصدر السابق ص١١٩ .

٨ ـ آدم ـ يحيى : كتاب الخراج (مصر ١٣٨٤هـ) ص٤٨ .

٩ ـ الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر
البيان والتبين

١٠ــ ان رسته ــ ابو علي احمد بن عمر .
الاعلاق النفيسة باعتناء ام.جي . ويغويه . بريل ليدن ١٨٩٢ ص١٠٩٥
١١ــ ابن الجوزي . ابو الفرج عبدالرحمن بن علـي المدهش . مطبعة الاداب (بغداد ١٣٤٨هـ) ص٦٥ .
١٢ــ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامــم مطبعة دائرة المعــارف العثمانية . حيدر آباد الدكن ١٣٥٧هــ ١٣٥٩هـ جـ٩ ص٧٠ ، ٧٢ ، جـ١٠ ص٢٤٧ .
١٣ــ ابن الجوزي : المصدر السابق جـ٨ ص ٣١ .
١٤ــ الدوري . خضر : لمحات في حياة الطبقة الفلاحية في العراق الوسيط «اداب الرافدين» مجلة تصدرها كلية الاداب في جامعة الموصل . العدد الثاني ، تشرين الثاني (١٩٧١) ص ١٣٠ .
١٥ــ المصدر السابق ص١٣٠ .
١٦ــ ابن الجوزي : المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٦١ــ١٦٢
١٧ــ المقدسي : شمس الدين ابو عبدالله محمد : احسن التقاسيم في معرفــة الاقاليم مطبعة بريل (ليدن) ١٩٠٦ م ص ١٣٨ .
الامتناع والمؤانسة . ٣اجزاء تحقيق احمد امين واحمد الزين. مطبعة لجنة التاليف والترجمة (القاهرة ــ ١٣٨٣هـ ــ ١٩٥٣م) ص١٢٥ .
١٨ــ الجاحظ : الحيوان . تحقيق عبدالسلام محمد هارون مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده (القاهرة ــ ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨م) جـ٤ ص٤٣٤ .
١٩ــ اخوان الصــفا .
رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء . (بيروت ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٧م)
الاربلي ــ عبدالرحمن سنبط قنيتو ص٢٨٠ .
٢٠ــ الشيخلي : المصدر السابق ص ١٧ .
٢١ــ اتنكهاوزن . ريتشارد . فن التصوير عند العرب .
ترجمة د. عيسى سلمان وطه التكريتي (وزارة الاعلام العراقية) لوحة ص٨٤ .
٢٢ــ العسكري : ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد
كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء . عنى بتحقيقه الدكتور عزة حسن (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م جـ١ ص٤٧٦ .

٢٣ــ ابن سيده : ابو الحسن علي بن اسماعيل
المخصص . المطبعة الاميرية ببولاق (القاهرة ــ ١٣١٦ــ١٣١) ج ١١ ص ٢٦ وعترة المسحاة : الخشبة المعترضة في نصابها والتي يعتمد عليها الحافر برجله . انظر العسكري : المصدر السابق ج١ ص٤٧٦ .

٢٤ــ التكة . واحدة التكك وهي عبارة عن سفيفة من القماش تستعمل لربط السراويل حيث تعتبر جزءا مكملا للسروال .

٢٥ــ جبة مشقوقة القدم قصيرة تصنع من الصوف .
ابن سيده : المصدر السابق ج٤ ص٣٦ .

٢٦ــ ابن سيده : المصدر السابق ج١١ص٢٦٧ .

٢٧ــ التبان : سروال صغير يستر العورة . الثعالبي ابو منصور عبدالملك بن محمد النيسابوري . لطائف المعارف . تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي . دار احياء الكتب العربية (القاهرة ــ ١٣٧٩ ص١٠٠)
ابن منظور : جمال‌الدين محمد بن مكرم لسان العرب . دار صادر بيروت (١٣٧٤هـ) ج١٣ ص٧٢ .

٢٨ــ ابن منظور : المصدر السابق ج١٤ ص ٢٨٣ .

٢٩ــ العسكري : المصدر السابق ج١ ص ٣١٥ .

٣٠ــ العبيدي : صلاح : التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي (مطبعة المعارف) بغداد ــ ١٣٨٩هـ ــ ١٩٧٠م ص٤٣ــ٤٤ (لوحة ٥ .ب)

٣١ــ ابن سيده : المصدر السابق ج٦ ص١٠/ج١٠ ص١٥٣ .

٣٢ــ سوسة . احمد .
الري والحضارة في وادي الرافدين . (مطبعة الاديب البغدادية ١٩٦٩م) ج١ اللوح١١ .

٣٣ــ العبيدي . صلاح : المصدر السابق ص٨٦ــ٧٧ لوحة١ ، مكرر ، ز

٣٤ــ العبيدي : المصدر السابق ص ٤٢ .

٣٥ــ اتنكهاوزن : المصدر السابق صورة ص ٨٥ .

٣٦ــ الطويلة : لفظ يطلق على نوع من القلانس ، ويبدو ان هذه التسمية جاءت من طول تلك القلانس . انظر التنوخي : ابو علي المحسن على القاضي . الفرج بعد الشدة : دار الطباعة المحمدية بالقاهرة (١٣٧٥هـ ــ١٩٥٥م) ج١ ص٨٣ .

٣٧ــ ابن سيده : المصدر السابق ج٩ ص١٦٢

٣٨ـ اتنكهاوزن : المصدر السابق صورة ص ١٢٧ .

٣٩ـ هونكة . سيجرند . فضل العرب على اوربا ص ٢١٤ .

٤٠ـ حسن زكي محمد اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية منشورات كلية الاداب والعلوم ببغداد شكل ٨٧٦ .

٤١ـ العبيدي : المصدر السابق ص٤٤ .

٤٢ـ الجاحظ : الحيوان جـ٤ ص٤٣٢ / الشيخلي الاصناف ص ٩٠ .

٤٣ـ الطبري : ابو جعفر محمد جرير
تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف (القاهرة ١٩٦٨ ـ ١٩٧١) جـ٨ ص١٧٤/الجهشياري : ابو عبدالله محمد بن عبدوس الوزراء والكتاب . تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شبلي مطبعة مصطفى الحلبي واولاده (القاهرة ـ ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م) ص١٤٦ ـ الشيخلي المصدر السابق ص٩١ـ٩٢ .

٤٤ـ اتنكهاوزن : المصدر السابق ص١١٦ .

صلح الحديبيـــة

دراسة لمبدأ الصلح في السياسة العربية
في القرن الاول الهجري

الدكتور نزار عبد اللطيف
عميد المعهد العالي
للدراسات القومية والاشتراكية

عندما هاجر الرسول (ص) والمؤمنون من مكة الى المدينة ، كان واضحا ان جوهر سياسته فيها سيكون متابعة الجهاد لتحقيق شعاره الذي اعلنـــه في مكة « قولوا لا اله الا الله تفلحوا تملكون بها العرب وتذل لكم العجم » ، واذا كان في مكة قد انجز بناء الاداة الثورية التي تقود عملية التغيير في الحيـــــاة العربية فانه في المدينة سوف يعمل على تحويل المدينة الى قاعدة امينة للجهاد وتحقيق نموذج الامة التي يعمل لبنائها ، امة موحدة تؤمن باله واحد . أي انه كان لابد ان يصطدم بقوى الشرك والوثنية والتجزأة والتخلف وفي مقدمتها أهل مكة لما ترسخ بينه وبينهم من تناقض وعداوة عبر عشر سنوات قضاها في مكة محاصرا محاربا .

ولم يكن اهل مكة عند الرسول (ص) قريش فقط انما أيضا حلفائها من الاحابيش وكنانه واهل تهامه ، وهم مادة تحالفاتهـــا الاســـاسية وعصب قوتها[1] . وقد لعبت التجارة دورا بارزا واساسيا في هذه التحالفات ، اضافة الى اعتبارات اخرى ثانوية .

---

(1) تاريخ الطبري : ٢/٥٠٠ .

وجه الرسول (ص) في الفترة من ١ــ٦ هـ خمس عشرة حملة عسكرية الى قريش وحلفائها[٢] ، وكان هدفه الرئيس اضعاف تجارتها واقلاق طرقها وانهاء علاقتها بالقبائل التي حول مكة أو بالقرب من الساحل • ونجحت سياسته في تحقيق اهدافها فتحول موقف قبائل الساحل خاصة خزاعة الى موقف ناصح غير معادي ، كما هادن بعض كنانه[٣] • واضطربت تجـــارة قريش كثيرا[٤] واضطرت نهائيا الى تغيير خطها الى طريق العراق[٥] •

كان الرسول (ص) يرصد مظاهر التقهقر في قوة قريش ويرصد في ذات الوقت خصومه الآخرين ، بخاصة اليهود الذين بدأوا ينشطون في خيبـــر مستفيدين من قوة يهود المدينة الذين اخرجوا منها لنقضهم العهود والمواثيق المعقودة بينهم وبين الرسول (ص) ، وبعد معركة الخنــدق (الاحزاب) كان واضحا ان قوة الرسول(ص) بلغت قمة نضجها وتعاظمها وقد عبرالرسول (ص) عن هذا النضج بقوله « الآن نغزوهم ولا يغزوننا »[٦] • وكانت دلائل هــذا التعاظم كما يلي : ـــ

اولا ــ ان المدينة اصبحت خالصة من الجيوب المضادة والقوى المعادية فهي قاعدة متينة وامينة تمكن الرسول (ص) من الانطلاق الى خارجهـــا والضرب في عمق العدو •

ثانيا ــ تقهقر قريش وفقدانها القدرة على تكوين أي حلف جديد لضـــرب الرسول (ص) والتراجع عن الهجوم الى الدفاع •

ثالثا ــ تنامي القوة الذاتية للمؤمنين في المدينة فيما ظهر من تماسك اجتماعي وطاعة تامة للرسول (ص) ، وقدرات دبلوماسية وعسكرية قادرة على السيطرة على الظروف وتوجيهها وفقا لحاجات الدعوة والدولة الجديدة •

---

(٢) انظر الواقدي : المغازي ، جـ/ للاطلاع على مغازي الرسول (ص) الاولى•
(٣) تأريخ الطبري : ٦٤٦/٢ •
(٤) الواقدي : المغازي ١٩٧/٢
(٥) الواقدي : المغازي : ١٨٧/٢ •
(٦) تأريخ الطبري : ٥٩٣/٢ •

تطور الأوضاع بعد الخندق :

كانت الاوضاع الجديدة في الجزيرة بعد معركة الخندق تشير الى ان المؤمنين بقيادة الرسول (ص) هم الاقوى وان مرحلة بناء القاعدة الامنية قد انجزت وقد آن الاوان للخروج الى ابعد من حدودها وبدء الجهاد من اجل الوحدة والتحرير ، ومع ذلك فأن الرسول (ص) لم يترك الاحداث دون رصد انما على العكس كان رصده للاحداث دقيقا جدا وكانت عيونه المنتشرة في كل مكان تزوده بالمعلومات عن تحركات الخصوم والاعداء[٧] ، وهي معلومات تجمعت وسجلت الدلائل التالية : —

اولا — بروز خيبر مركز قوة جديد خاصة بعدما انضاف لها اليهود الذين طردوا من المدينة لاخلالهم بالمواثيق ونكثهم العهود التي عاهدهم بها الرسول (ص) •

ثانيا — نشاط احبار اليهود ودعاتهم بين قبيلتي أسد وغطفان ومحاولاتهم الرامية الى تجديد حلف قديم كان قائما بين القبيلتين قبل الاسلام متخذين من اعتماد هذه القبائل على خيبر في ميرتها وسيلة للضغط عليها[٨]

ثالثا — اتجاه جهود اليهود نحو الشمال (فدك) وما خلفها ومفاوضتهم بني سعد لعقد تحالف ضد الرسول (ص)[٩] •

كونت هذه المعلومات لدى الرسول (ص) قناعة بأن تنامي خيبر وتحولها الى مركز قوة جديد يعني ضمنيا ان قريش أصبحت في موقع ثان وان استمرار هذا التطور في الاحداث يعني ان المدينة سوف تصبح في المستقبل وسط معادلة صعبة عناصرها خيبر مع تحالفاتها في الشمال وقريش في الجنوب ، وان أي تطور بأتجاه توصل طرفي المعادلة الى التحالف يعني تهديد المدينة تهديدا بالغ الخطورة •

---

(٧) الواقدي : المغازي ١/٣٩٤ ، ٢/٤٤١ .

(٨) ن . م : ٢/٦٣٧ ، ٧٠٢ « اسد وغطفان تمتنع بخيبر عن العرب » .

(٩) الواقدي : المغازي ٢/٥٦٢ ، تأريخ الطبري : ٢/٦٤٢ .

موقف الرسول (ص) :

كانت خطة الرسول (ص) ذات مسارين :

الاول ــ اشغال خيبر وحلفائها واعاقة جهودهم وعدم تركها تتطور باتجاه هدفها دون اعاقة ، واشعار خيبر والقوى القبلية حولها بوجوده ورصده تحركاتهم وقدرته على التدخل متى شاء .

وقد نفذ هذا الهدف المحدود عن طريق :

١ ــ مضاعفة الحملات العسكرية باتجاه خيبر والقوى التي تسعى لكسبها فبين سنتي ٥ــ٧هـ وجه سبع حملات عسكرية الى خيبر ومن حولها[١٠] .

٢ ــ القيام بعمليات اغارة خاطفة لتصفية بعض المواقع النشطة والمتقدمة في جهود خيبر مثل ابي رافع سلام بن ابي الحقيق وهو من الذين نشطوا في عقد حلف الاحزاب . كما قامت سرية خاصة بقيادة عبدالله بن رواحه بالهجوم على خيبر واختطاف أسير بن رزام مع ابرز رجالات خيبر وقتلهم[١١] .

الثاني ــ تعميق ضعف قريش وفرض الانكفاء عليها في مكة لتأمين عدم مشاركتها في الاحداث المقبلة او عدم افادتها من الظروف التي قد تفرزها احداث المستقبل . وقد هيأ الرسول (ص) لخطته هذه على النحو التالي:

١ ــ اذكاء العواطف الدينية والشخصية لدى المسلمين نحو مكة عن طريق اظهار قدسيتها وواجب المؤمنين بتقديسها باعتبارها مركز ديانة ابراهيم الخليل أبو الانبياء ورمز الوحدة الروحية للعرب . وهذا يعني ان الحج لهذا المركز واجب عليهم[١٢] .

---

(١٠) الواقدي : المغازي ــ يراجع الجزء الاول .

(١١) الواقدي : المغازي ٧٠٢/٢ . سيرة بن هشام : ٤٠/٤ ، الدياربكري : ١٢/٢ ، ١٥ .

(١٢) تأريخ الطبري : ٦٣٥/٢ رواية الامام علي بن ابي طالب ، الدياربكري : ٢٢/٢

٢ ـ اعلان تقديس المسلمين لمكة على الناس ومحاولة تكوين قناعة لدى القبائل بحق المسلمين في زيارة مكة •

وعندما اطمأن الرسول (ص) الى تعبئة المؤمنين نفسيا على هذه الامور قرر الخروج الى مكة حاجا سنة ٦ هـ وقد اختلفت الروايات في عدد المؤمنين معه ولكن ارجحها انهم كانوا ١٤٠٠ مؤمن(١٣) •

لقد كان توجه الرسول (ص) الى مكة توجها عسكريا اظهر فيه كل عوامل القدرة العسكرية ومقومات القوة ، قال (ص) لبديل بن ورقاءالخزاعي: « انا لم نجيء لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين ، وان قريشا قد نهكتهم الحرب واخذت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل الناس فعلوا والا فقد حموا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله امره»(١٤) ان هذا القول يحدد لنا وحسب اولويات الخطة التي اتبعها الرسول (ص) •

١ ـ انه جاء حاجا •

٢ ـ وان قريش انهكت وامامها أحد ثلاث خيارات :

أ ـ الصلح « فان شاءوا ماددتهم مدة » •

ب ـ الدخول في الدين الجديد •

جـ ـ القتال •

وطبيعي ان الرسول (ص) حسب اولوياته كان يريد المصالحة غير انه لكي يصل اليها ، عليه أن يظهر ما يعزز انكفاء قريش ويرهبها ويدفعها الى الصلح فليس من المعقول ان يتجه للصلح ضعيفا كان لابد ان يذهب بكل مقومات قوته ومظاهرها لكي يدفع خصمه نحو الصلح فالانطلاق من موقع القوة هو الذي يحسم القضايا ويوجهها نحو الهدف المرسوم • وعوامل القوة التي اعتمدها

---

(١٣) تأريخ الطبري : ٢/٦٢٠ •

(١٤) الدياربكري : ٢/١٨ .

الرسول (ص) كانت تتمثل في الطاعة المطلقة التي اظهرهـــا المؤمنون له[١٥] والارتفاع بالتعبئة النفسية للمؤمنين الى الحد الاقصى « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح »[١٦] وانهم كـانوا استوعبوا تحقيق هذا الهدف الى الحد الذي لن يثنيهم عنه شيء • حتى ان الرسول (ص) واجه أشكالا في علاج حالة الاستغراب التي مر بها المؤمنون عند عقده الصلح والتي وصلت حد الاعتراض على قرار الرسول (ص)[١٧] ، وفي رواية للطبرى انهم لما « رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا ان يهلكوا »[١٨] •

ولقد نجحت سياسة الرسول (ص) في فرض الانكفاء على قريش وتعميق شعورها بالضعف والتخاذل بدليل كثرة السفراء الذين ارسلتهم قريش للمفاوضة وعددهم خمسة[١٩] • بينما لم يرسل الرسول الا سفيرين[٢٠] •

لقد تجمعت عدة دلائل تؤكد ان هدف الرسول (ص) كان جر قريش الى مهادنته بدليل :

١ ــ عدم تشديده على سريّة توجهه الى مكة والسماح بتســرب معلومات مسيره الى المشركين فهو اذا كان يريد لهم أن يعلموا بتحركه وان يثير تحركه في اوساطهم جدلا يقلقهم « الحرب النفسية » •

---

(١٥) تأريخ الطبري : ٦٢٧/٢ •

(١٦) الديار بكري : ٢٢/٢

(١٧) تأريخ الطبري : موقف عمر بن الخطاب ٦٣٤/٢ ، رفض المسلمين ، حلق شعورهم ، ونحر اضحياتهم ص ٦٣٧ ، موقف الامام علي بن ابي طالـب اثناء كتابة نص الصلح ص ٦٣٦ •

(١٨) ن • م : ٦٣٥ •

(١٩) الديار بكري : ١٨/٢ ، ٢١

(٢٠) ن • م : ١٩/٢ ، ٢٠ •

٢ ــ تأكيده على رغبته في الهدنة منذ خروجه « ويح قريش ، لقد اهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب »[٢١] . وقد حاول ايصال هذا الرأي الى اهل مكة مع العديد من الناس[٢٢] .

٣ ــ اللجوء الى ابراز قوته وبالمقابل احداث تناقض يضعف قوة الخصم يفرض عليه التوجه نحو الصلح ، فعندما قدمت قريش قوة من الاحابيش بقيادة سيدهم الحليس حرص الرسول (ص) ان يقدم « الهدى » لما كان يعرفه من « تاله » الاحابيش لكي يقتنعوا بأنه لم يأت ليحارب وقد تحقق هذا فعلا وعندما رجع سيد الاحابيش الى مكة قال : يا معشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل من الهدى في قلائده ، قد اكل اوباره من طول الحبس عن محله. فقالوا له: اجلس انما انت رجل أعرابي لا علم لك[٢٣] . فغضب الحليس من رد قريش وقال : « يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن البيت الحرام من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد »[٢٤] .

٤ ــ استخدامه عثمان بن عفان سفيرا لمفاوضة قريش وهو أكثر المؤمنين لينا واكثرهم أقاربا في مكة[٢٥] .

٥ ــ اظهاره درجه عالية من المرونة وحرصه على تذليل كل العقبات التي تقف أمام الصلح والقبول ببعض الامور التي اعتبرها المؤمنون « دنيـة في الدين »[٢٦] ومن ذلك :

---

(٢١) سيرة بن هشام : ٢٥/٤ ، تأريخ الطبري : ٦٢٠/٢ ، ٦٢٣ .

(٢٢) ن . م : ٢٥/٤ ، تاريخ الطبري : ٦٢٥/٢ « قصة بديل بن ورقاء الخزاعي » ٦٢١/٢ « قصة بشر بن سفيان الكعبي »

(٢٣) تأريخ الطبري : ٦٢٨/٢ ، الديار بكري : ١٩/٢ « الهدى » أبل تنحر في موسم الحج .

(٢٤) ن . م .

(٢٥) تأريخ الطبرى : ٦٣٠/٢ .

(٢٦) سيرة بن هشام : ٢٨/٤ .

١ ـ الموافقة على استبدال عبارة « بسم الله الرحمن الرحيم » بعبارة « باسمك اللهم » وهي العبارة التي كانت تستفتح بها قريش ٠

٢ ـ الموافقة على حذف عبارة « رسول الله » والاكتفاء بأسمه واسم والده طرفا في المصالحة ٠

تطور المفاوضات :

تبادل الطرفان السفراء على مدى يوم كامل وكان الرسول (ص) معسكرا في الحديبية فلما نضجت نقاط الاتفاق اجتمع الرسول (ص) بمندوب مكة سهيل بن عمرو في خيمة الرسول (ص) واتفقا على المصالحة في صلح عرف بالحديبية ٠ نصه :

هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهم الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على انه من اتى [رسول الله][٢٧] (محمدا) من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع [رسول الله] (محمد)[٢٨] لم ترده عليه وان بيننا عيبه مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب ان يدخل في عقد [رسول الله] (محمد) وعهده دخل فيه ، ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ٠٠ وانك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، وانمعك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا[٢٩] ٠

(٢٧) في تقديري ان العبارة اضافة اسلامية لاحقة فقد رفضت قريش كل مايشير الى الاسلام في الصلح والاضافة بين هلالين من عندي .

(٢٨) انظر اعلاه .

(٢٩) صيغة العبارة غير منسجمة مع صيغة الصلح في المقدمة وهي اشبه بتسجيل حوار المفاوض المكي من كونها نصا في الصلح .

بعد الصلح أخذ الرسول (ص) بيعة المؤمنين وهي البيعة التي عرفت ببيعة الشجرة وبيعة الرضوان من الرضا « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة »[٣٠] . وفي تقديرنا ان هذه البيعة كانت لعلاج حالة القلق التي اعترت المؤمنين وعدم استيعابهم قبول الرسول (ص) بالمصالحة وفي ظل امور اعتبروها « دنية في الدين » فد يكون المؤمنون مهيئين لفكرة المصالحة غير انهم لم يكونوا كذلك بالنسبة لمصالحة لا تقر بأن محمد بن عبدالله (ص) رسول الله ويعبر موقف عمر بن الخطاب عن هذا بشكل دقيق[٣١] .

نتـائج الصلح :

اسفر الصلح عن نتائج مباشرة واخرى غير مباشرة

اولا ـ النتائج المباشرة :

١ ـ تحالف الرسول (ص) مع خزاعة .

٢ ـ اصبح بامكان الرسول (ص) ان يزور مكة ويبقى فيها ثلاثة أيام ، أي أصبح المجتمع الجديد الذي بناه الرسول (ص) شيئا معاشا يراه أهـل مكة عن قرب ودونما انفعالات تحريضية وهي مسألة تتيح لهم المقارنة وتبين الفروق الجوهرية بين المجتمع الجديد والمجتمع القديم بعيدا عن نزعة التحريض والاستعداء[٣٢] .

٣ ـ اعتراف قريش بأنها لم تعد وحدها المتسيدة في الجزيرة وان هناك قوى اخرى تستطيع ان تحتل موقعا مساويا لها بين القبائل .

٤ ـ الافادة من الهدنة في تعزيز ايمان القبائل المحيطة بالمدينة او تلك التي تقع بينها وبين مكة والتفرغ لنشر المبادىء خارج حدود المدينة .

---

(٣٠) الفتح : ١٨ ، تاريخ الطبري : ٦٣٢/٢ .

(٣١) تأريخ الطبري : ٦٣٤/٢ .
لا تذكر المصادر ان احدا تخلف عن البيعة باستثناء الجد بن قيس الانصاري انظر ص : ٦٣٢ .

(٣٢) تاريخ الطبري : ٦٣٨/٢ رواية الزهري .

ثانيا ـ النتائج غير المباشرة :

حقق الصلح النتائج غير المباشرة التالية : ـ

١ ـ تفكك المجتمع المكي وانهيار مقوماته الدينية والفكرية وفشل مقاومته وتدهور قناعة اهل مكة بها ، حتى انهم لم يصمدوا اذا كلموا بالاسلام حتى يدخلوا فيه فآمن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة[٣٣] .

٢ ـ تحرير خيبر .

كان ابرز نتائج الصلح اطلاقا « تحرير خيبر » فهي المهمة التي من أجلها عقد الرسول (ص) صلح الحديبية « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة تأخذونها فيحل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها »[٣٤] . وما أن رجع الرسول (ص) من مكة حتى تحرك الى خيبر وأمر المسلمين جميعا بالتحرك الى خيبر دون انتظار ومما لا شك فيه ان الرسول(ص) أفاد كثيرا من صلح الحديبية وآمن خطوطه الخلفية ، وعندما وصل خيبر نزل بينها وبين غطفان والشمال اي عزلها عن القوى التي كان يتوقع ان تساعدها[٣٥] . وربما ان الرسول (ص) كلف قوة محدودة في التحرك حول غطفان لاشغالها ثم أغار على حصون خيبر وما ان تم له تحريرها حتى هاجم بني سعد في فدك[٣٦] .

---

(٣٣) تأريخ الطبري : ٦٣٨/٢ ، الدياربكري : ٦٥/٢ .

(٣٤) سورة الفتح : ١٨

(٣٥) الواقدي : المغازي ٦٣٩/٢ ، تأريخ الطبري : ٩/٣

(٣٦) الواقدي : المغازي ٥٦٢/١ ، ٧٢٣ .

الدروس المستخلصة :

ان الظروف التي احاطت بعقد صلح الحديبية وصيغة الصلح تحدد لنا جوهر مبدأ الصلح عند الرسول (ص) على النحو التالي : ـ

١ ـ أن يكون الصلح بمستوى قضية جوهرية •

٢ ـ أن يكون تكتيكا ظرفيا ضمن نظرة ستراتيجية مرتبطة بالهدف فهو اجراء غير مجرد ولا مستقل •

٣ ـ ان يرتكز الصلح الى موقع قوة متنامي •

٤ ـ ان لا يكون مع قوة خارجية يتسم التناقض معها بسمة تأريخيـة لا رجعة فيه •

٥ ـ المحافظة على موقع القوة بمواصلة تنمية عناصر القوة وقياس المستوى الذي تبلغه مع المستوى المتحقق في الظرف الزماني والمكاني •

الافعال في القرآن الكريم ونظائرها السامية

د . خالد اسماعيل
كلية الاداب / جامعة بغداد

نظرا لاهمية دراسة الافعال باصولها وأوزانها وأزمنتها ومعانيها ، وما يتصل بها من امور اخرى من أجل فهم أية لغة من اللغات ، وادراك العوامل المؤثرة فيها والمسيرة لها ، لذا اخترت هذا الجانب اللغوي موضوعا لهذا البحث . ولما كان دراسة الافعال في اللغات السامية من جوانبها السابقة أجمع أمرا واسعا جدا ، يستوجب سنين طوالا من النظر للاحاطة به ، كان من الاوفق الانطلاق من احدى اللغات السامية ، التي تمتاز بخصائصها القديمة ، الى اللغات الاخرى للاستعانة بها في حل المعضلات التي تواجه البحث . ولما كانت اللغة العربية تعد من أغنى اللغات السامية في الخصائص المذكورة وأوزان أفعالها ومعانيها ووفرة مادتها اللغوية ، كانت أصلح من سواها لان تكون أساسا ومنطلقا لهذه الدراسة .

ولما كان من الاولى في مثل هذه الدراسة ان ترسم لها حدودا تتقيد بها كان القرآن الكريم لما فيه من غناء في اللغة وللثقة التامة بما جاء فيه من أثر ، هو المعين المفضل على ما سواه من المصنفات اللغوية .

ولما بدأت أقلب البصر في هذا الموضوع ، وابحث عما قام به من سبقني من دراسات فيه وقفت على كتاب الدكتور مصطفى شويمي : الافعال في القرآن : أصولها وصيغها ، باريس ١٩٦ ، باللغة الفرنسية ، والذي انصرف فيه الى احصاء الأفعال في القرآن الكريم ومعانيها وأوزانها ، وهو كتاب جيد ضمن نطاقه هذا ، وقد بذل المؤلف جهدا حميدا في هذا المسار ، وبقي أن

ندرس كل ظاهرة من ظواهر الفعل المذكور دراسة أكثر تحليلا وأعمق غورا لاستخلاص النتائج المرجوة منها والتي لا يمكن ان تحققها مثل تلك الدراسة الجامعة والواسعة • وسأعرض هنا لطائفة من الافعال في القرآن الكريم من زاوية نظائرها السامية •

١ ــ ابى

= امتنع ، رفض : ١٥ مرة • وهذا الاصل يدل على الامتناع ، (مقاييس اللغة ١/٤٥ــ٤٦) •

ونظيره في الاكدية أَبِيةُ : رغبة ، وفي الارامية أبَا : آراد ، وفي العربية الجنوبية أَبَى : رفض • ولا ترد أبَى في العبرية إلاّ منفية (كولر ــ باوم جارتنر ، معجم العهد القديم ٣) ، ويبدو ان الاصل السامي يدل على (الرغبة) مطلقا ، ثم صار المعنى في الاكدية والارامية والعبرية : الرغبة في الشيء ، وفي العربية الشمالية والجنوبية : الرغبة عن الشيء • وتدل لفظة (أبي) في اللهجة العربية الكويتية وعند قسم من البدو في السعودية والعراق على الرغبة في الشيء خلاف العربية الفصحى وبالاتفاق مع اللغات السامية الاخرى • وقد وهم من قال ، على ما أعتقد ان لفظة (أبي) الكويتية ناشئة من لفظة (أبغي) لسببين :

أولا : انه لا يؤثر عن اللهجة الكويتية الانتقال الصوتي من غ الى ي •

ثانيا : ان معنى (الرغبة في الشيء) جلي في اللغات السامية الاخرى غير العربية الفصحى ، واللهجة العربية الكويتية وان كانت عربية الا انها سامية أيضا • وقد حافظت أحيانا اللهجات العربية على بعض الالفاظ والمعاني التي اندثرت من الفصحى وبقيت نظائرها في اللغات السامية الاخرى •

٢ ــ أتى

= جاء : ٣٦ مرة • والاصل يدل على مجيء الشيء (مقاييس اللغة ١/٤٩ــ٥٠) ، ونظيره في الاوجاريتية أ ت و ، وآرامية العهد القديم

أتا ، والسـريانية إتا ، والعربيـة الجنوبية والحبشـية أتـو ، والعبرية أتَى ، كل ذلك بمعنى جـاء (كولـر باوم جارتنـر ١٠٠) وتشترك في هذا الاصل جميع اللغات السامية الغربية ، كما نستدل مما سبق وهو من الاصول الشائعة . ولم يرد في الاكدية حتى الان ، وهي الفرع الشرقي لهذه اللغات .

٣ ـ أثر

= ذكر : ٦ مرات . والأصل هو رسم الشيء الباقي . وهو احد الاصول الثلاثة التي يذكرها ابن فارس (مقاييس اللغة ١/٥٣ـ٥٧) . الا انني أعتقد ان هذا المعنى هو الاصل وان المعاني الاخرى هي فرع عليه ، كما يتبين من دراسة معاني هذا الاصل وسنة الانتقال من المعاني المادية البسيطة الى المعاني المركبة والمعقدة والمعنوية (لسان العرب ٥/٦٠ـ ٦٥) .

ونظيره في الاكدية أَ شْر ُ : مكان ، والاوجاريتية أ ش ر : خطا ، والاراميـة أثْرا : اثر ، والسـريانية أثْرا ، والعبريـة أشـر : يسير قدما ، يقود (كولر باوم جارتنر ٩٥) .

٤ ـ أجر

= اكترى : ٣ مرات . والاصل يدل على الجمع ، ومن ذلك يتفرع معنيان :

أ ـ جبر العظم الكسير .

ب ـ الكراء .

فالمعنى الاول هو ان يجمع العظم الكسير بعضه الى بعض ، والثاني معنى مجرد وأصله الجزاء بشيء مادي ، كأن يجمع للأجير شيء معين كالقوت أصلا ، ثم صار بعد ذلك مالا ، ويدل على ذلك المعنى العبري أگر يجمع ، يدر حاصلا ، أگوراه : الاجر ، الجـزاء وفي الاراميـة

اليهوديـة أگر : جمـع و أگرْا : عصـا ، كمـا تـدل لفظة آگـر وكذلك إگر السـريانية على الكـراء (ليفـي ، معجـم التلمـود والمدراش ٢٣) ، وتدل في الاكدية إ گ° رُ على الكراء والجزاء (كولر ــ باوم جارتنر ٩) • وقد نبه ابن فارس الى انه يمـكن الجمع بـين المعنيين في العربية (مقاييس اللغة ٦٢/١ــ٦٣) •

٥ ــ أجل (أجل)

= أخر ، حبس : مرة واحدة (لأي يوم اجلت) ٧٧/١٢ • واعتقد ان الاصل هو حبس الشيء ماديا أولا وكما يصنع في المأجل : شبه حوض واسع يؤجل فيه الماء ثم يفجر في الزرع • ثم يحمل الحبس والتأخير على الزمن والدين والمال في : أجلوا مالهم : حبسوه ، وغير ذلك مما لا استطيع ذكره تفصيلا في هذا الموضع • ولا اتفق من ابن فارس في قوله ان هذا الاصل يدل على خمس كلمات متباينة ، لا يمكن حمل واحدة على واحدة من جهة القياس (مقاييس ١ / ٦٤ ــ ٦٥) •

اما في العبرية فقد وردت كلمة إگلي ، قطر المـاء ، ممـا يشـير الى بعض معنى المأجل : حوض الماء (كولر باوم جارتنر ٩) • أمـا في الارامية اليهودية فهناك إيگلَى ، أگْلَى : أبواب • واعتقد ان لهذه اللفظة علاقة كبيرة بمعنى الغلق والحبس ، كما في غلق ومنها مغلاق ومغاليق : رتاج • ما يغلق به الباب • أما اللفظة آگالِيم أحواض ماء ، برك فانها مجانسة للمعنى العربي في كلمة ماجل (ليفي معجم التلمود والمدراش ٢٠ــ٢١) • ولم يشر أحد حتى الان الى علاقة اللفظتـين الاراميتين بالاصل العربي •

٦ ــ أخذ

= تناول ، حاز : ٢٦٣ مرة • والاصل حوز الشيء وجيبـه وجمعـه مقاييس ٦٨/١ــ٧٠) •

وهو أصل سامي مشترك ، ففي الاكدية أَ خ ا زُ : أخذ ، أمسك ، قبض والاوجاريتية أ خ ذ ، والموابية أحـز : غـزا ، والارامية أحـد والعربية الجنوبية أخـذ وكذلك في الحبشـة ، وفي العبريـة أحـز مسك قبض (كولر ــ باوم جارتنر ٢٩) •

٧ ــ أخر (أخر)

= أجل ٢٤٠ مرة • والاصل هو خلاف التقدم (مقاييس ١/٧٠) ويبدو ان الفعل مشتق من لفظة آخرى : نقيض المتقـدم ، ويقترن الفعل في القرآن بمعنى التأخير الزمني لا المكاني •

وهو من الاصول السامية المشتركة الشائعة ، ففي الاكدية أَ خَرُ : تخلف وفي الاوجاريتية أ خ ر : فيما بعد ، وفي العربية الجنوبية أخر ، بالمعنى المعروف في العربية الشمالية ، وفي الفينيقية أحري : بقيـة ، وفي السريانية حرَثا : بعد ، خلف ، وفي العبرية الوسيطة تأخر كمـا في عبرية العهد القديم أيضا (كولر ــ باوم جارتنر ٣١) •

٨ ــ ادى (ادى)

= اوصل ، ٥ مرات • والاصل هو ايصال الشيء أو وصوله اليه من تلقاء نفسه مقاييس ١/٧٤) •

ونظيره في الارامية اليهودية أذِي = يذرِي : يرفع ، يقـذف • ولم يشر أحد من قبل الى هذا التجانس (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٢٧) • ولم يرد لهذا الاصل نظائر في اللغات السامية الاخرى •

٩ ــ أذن

= سمح • ٤٢ مرة • والاصل الاذن ومنها يتفرع الباب • فأذن له أي أسمعه فسمح له • واذن بالامر : علم به • ولا اتفق مع ابن فارس في جعل هذا الباب أصلين متقاربين في المعنى متباعدين في اللفظ (مقاييس ١/٧٥ــ٧٧) فالصلة ، على ما بينت ، واضحة الدلالة بين الاذن من جهة والسماح والعلم بالشيء من جهة اخرى •

وأذن من الاصول السامية المشتركة الشائعة لدلالته على عضو من اعضاء الجسم ، ففي الاكدية أَ زْ نُ والاوجاريتية أُدن والارامية أُذنا أُزِن • كل ذلك بمعنى الاذن المعروف • وجاء الفعل من ذلك بالعبرية بمعنى : استمع الى ، انصت ، وفي العبرية گلا أُزِن بمعنى : اعلم أنبأ (كولر ــ باوم جارتنر ٢٥) •

١٠ــ اذى (آذى)

= آلم : ١٥ مرة كله من المزيد بالالف • والاصل يدل على الالم وعدم الاستقرار (مقاييس ١/٧٨) • ولم يرد هذا الاصل الا في العربية الجنوبية في اسم علم لشخص أ ذ ي ة ، وربما اذّى المضعف العين (ف• مولر ، الاصول الجوفاء والناقصة في العربية الجنوبية ص ٢٦ •) (اطروحة دكتوراه • توبنجن) •

١١ــ أسس

=وطّد :٣ مرات بمضعف العين مما يشير الى ان الفعل مشتق من الاسم وهو الاسّ • والاصل يدل على الشيء الوطيد (مقياس ١/١٤) • ونظيره في الارامية اليهودية أشَش : اسّس ، وطّد (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ١/١٨٢) •

١٢ــ أسف (آسف)

= اغضب : مرة واحدة بالمزيد بالالف • والاصل يدل على التلهف والاثارة (مقاييس ١/١٠٣) • ولم اجد له نظيرا في اللغات السامية الاخرى لتباعد المعاني •

١٣ــ أسي

= حزن : ٤ مرات • ويبدو لي ان أسى وأسو هما أصل واحد وهما متقاربان في المعنى • فاصل أسو المدواة والاصلاح والمواساة بشيء مادي كما في أسوت الجرح ، ولذلك يسمى الطبيب الآسي • ثم حمل ذلك على اسوت بين القوم أصلحت ، واسيت فلانا اذا عزيته • وقريب

من كل ذلك آسي على الشـيء : حزن وفي ذلك معنى الحنو والعطف والمواساة • ولهذا لا أتفق مع ابن فارس في جعلهما أصلين منفصلين • وبناء على هذا فان نظيره في الاكدية أ سُ و : طبيب ، وفي الاراميـة اليهودية والسامرية والمندئيـة أسَّي داري ، شـفى ومن ذلـك في الاراميـة آسْيا : طبيب • وفي العبريـة آسـون : نازلة ، كارثـة (كولر ــ باوم جارتنر ٧١) • ولم يذكر بروكلمـان في الموسـوعة السريانية ص ٣١ ، النظير العربي للاصل السـرياني أسَّي شـفى ، آسْيَا : طبيب (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ١٢٣) •

١٤ــ افك

= قلب ، كذب • ١٦ مرة • فالاصل في المعنى هو القلب وهو شيء مادي كما في الآية الكريمة (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) ٤٦/٢٢ • ثـم حمل على ذلك قلب الامور والحقائق فصار افك بمعنى كذب وهو أمر معنوي مجرد (مقاييس ١١٨/١) •

وهو من الاصول السامية الشائعة • ففي الاوجاريتية هـ پ ك : قلب ، اسقط وفي الفينيقية هتهپك ، والعبرية الوسيطة والارامية اليهوديـة أفَـخ ، والسـريانية هفخ • والمندئيـة أفك والعبرية هَفَـخ • : قلب • (كولر ــ باوم جارتنر ٢٤٠) •

وهذه هي من النوادر التي تناظر فيها الالف العربية هاء في العبرية وفي اللهجات الكنعانية الاخر ، ومثل ذلك ألف التعدية التي تجانس هـاء التعدية في العبرية •

١٥ــ أفل

= غاب • ٣ مرات • للقمر والشمس ، والاصل يدل على الغيبة ومـا يقترن بها من ظلمة أو ضآلة وصغر ودقة • ولا اتفق مع ابن فارس في جعل هذا الباب أصلين : غيبة ، وصغار الابل • فأكبر الظن ان الدقـة والصغر لها علاقة معنوية بالغيبة والظلام • (مقاييس ١١٩/١) •

ونظير ذلك في الاكدية أَ پَ ا لُ : تأخر ، أبطأ ، وفي العبرية أَفِل ظلمة (كولر ــ باوم جارتنر ٧٧) •

١٦ــ أكل

= طعم • ٩٣ مرة • وهو من الاصول السامية المشتركة لانه يدل على فعل من الافعال الحيوية •

نظيره في الاكدية أ كَ ا لُ ، وفي الاوجاريتية أ ك ل • كما ورد في الارامية بلهجاتها الارامية اليهودية والسامرية والسريانية والمندئية ، الا في الحبشية حيث لم يؤثر عنها هذا الاصل (كولر ــ باوم جارتنر ٤٣) •

١٧ــ ألت

= نقص • مرتين • الاولى كما في الآية (ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) ٥٢/٢١ ، والثانية بتخفيف الهمز (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) ٤٩/١٤ • وكان حقها ان تقرأ بتحقيق الهمز هكذا (لا يألتكم) كما في قراءة الحسن والاعرج وأبي عمرو ، كما في تفسير أبي حيان (١١٧/٨) وقراءة الجمهور بالتخفيف (مقاييس ١٣٠/١ هامش ٦) ، والاصل يدل على النقصان (مقاييس ١٣٠/١) • ولم أجد له نظيراً في اللغات السامية الاخرى •

١٨ــ ألف (ألف)

= وفق ، ضم • ٥ مرات • مرة بمعنى الضم الحقيقي المادي كما في الآية (ألم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه) ٢٤/٤٣ • واربع مرات بمعنى الضم المجرد ، أي ضم القلوب وتأليفها •

والاصل يدل ، كما سلف القول ، على انضمام الشيء الى الشيء أو الاشياء الكثيرة (مقاييس ١٣١/١) • وهو من الاصول المشتركة الشائعة ، ففي الاكدية أ لَ ا پُ : صنم ، والارامية ألف ، يلف مقود ، تعلم ، وفي العبرية إلِّف يعلم ، يتعلم •

ومن ذلك إلف : قطيع ، كثرة ، بقر ، حيث يجانسه في الاكدية أَ لْ پُ والاوجاريتية أ ل پ : بقرة ، وفي الفينيقية والسوقطرية أَلْف : عجل • والمعنى بين ألف وقطيع أو بقرة متجانس إذ إنّ البقر كان في مقدمة الحيوانات التي جعلها الانسان الفا أو اليفة • الا انه لم يرد في عربيتنا الف بمعنى بقرة ، وانما اطلقت هذه الصفة على الطير لا غير • والالف العدد المعروف هو الاخر من التأليف أي الضم فالكثرة فالعدد المعروف (كولر ـ باوم جارتنر) (٥٦ـ٥٧) •

١٩ـ ألم

= توجع • ٣ مرات • والاصل يدل على الوجع • وقد يكون للالم علاقة بربط أو شد الشيء بمعنى الشديد والشدة • فان كان ذا مقبولا فنظيره في العبرية إلّم : شدّ ، اخرسّ • ويأتي الالم في لهجة عنه بمعنى : القيح •

٢٠ـ الا (يألو)

= قصر ، حلف ٣٠ مرات • الوت : قصرت • أما المعنى الثاني أي حلف فقد يكون له علاقة بكلمة : ال : الا وهو أصل سامي مشترك : إلاه ، الله ، إل •

٢١ـ أمر

ضد نهاه ، ألزم • والاصل التفوه والتكلم ، كما في يأتمر وكما في الاصل السامي فيما عدا الاكدية والحبشية أمر : قال • وقد يكون التفوه أصلا عاما ليس مختصا بالانسان ، وانما للحيوان أيضا كما في الاكدية إ مِّ رُ ، والاوجاريتية أ م ر ، والسريانية إمّرا : والعربية إمّر : الصغير من الحملان أولاد العنان ، والامرة الرفل (لسان ٥/٩٢) •

ومن ذلك الامر : النماء والبركة ، وأمر الشيء : كثر • ومهره مأمورة كثيرة الولد • فالاصل إذن الصوت الذي خص به الحيوان ثم الانسان وحمل على ذلك بقية المعاني • ولا اتفق مع ابن فارس في جعل هذا

الباب خمسة أصول : الامر من الامور ، والامر ضد النهى ، والامر النماء والبركة والمعلم والعجب • اذ ان كل هذه المعاني محمولة على الاصل وهو الصوت الذي قد يكون للحيوان ، الامر ، قبل الانسان ، كما في باب قال أيضا الذي يشترك فيه الانسـان والحيوان والجماد (لسان ١٤/٩٠ ـ ٩٤) ، وكمـا في قـول العبرية أيضا الذي يشترك فيه الجماد والانسان والالاه •

٢٢ـ أمن

= صدق : ٥٥٨ مرة • الاصل هو الشيء الثابت الراسـخ ، ثم يحمل على ذلك الامانة ضد الخيانة والتصديق وكلاهما من المعاني المجردة المشتقة من معانٍ مادية • ولا اتفق بناء على هذا في جعل هذا البـاب أصلين متقاربين احدهما الامانة ضد الخيانة ، والاخر التصديق • فهذان المعنيان متدانيان كما يقول هو نفسه (مقاييس ١/١٣٣ــ١٣٥) ويعودان الى أصل واحد • وهو من الاصول السامية المشتركة ، فقد وردت منه مشتقات في الاكديـة ، واسـم علـم الأمن في الفينيقية ، وامن في العربية الجنوبية ، وامون في السوقطرية بمعنى : يقول الحق ، يصدق ، وفي السـريانية إثإمن ، وفي الحبشـة : أَمْنَ ، وفي العبريـة نإمن يبدي صدقا ثباتا (كولر ـ باوم جارتنر ٦٠ــ٦١ ، بروكلمان الموسوعة السريانية ٢٥) •

٢٣ـ آنس

= رأى ٦٠ مرات • والاصل هو الانسان على ما اعتقد ، ومنه اشتقت سائر المعاني الاخر ى، ولا اتفق مع ابن فارس في جعـل معنى هـذا الاصل : ظهور الشيء ، وكل شيء خالف طريقـة التوحش (مقاييس ١/١٤٥) فأما ما ذكره فأمر عام جدا ، والانطلاق من شيء محسوس معين كالانسان الذي تشترك معظم اللغات السامية به أوفق وأولى • فقد ورد في العبرية إنوش وكذلك في الارامية ، وفي السـريانية

ناشا (كولر - باوم جارتنر ٧٠) كمـــا ورد في الاوجاريتية أ ن ش : صار رجلا ، و/ن‌ش‌م : أناس (ايستلاتيز ،معجم اللغة الاوجاريتية ٢٨)٠

٢٤ـ أنى

= حان ٠ مرة واحدة (ألم يَأْنِ للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) ٥٧/١٦ ، والاصل يدل على الوقت ٠ ولا اتفق مع ابن فارس على جعله أربعة اصول : البطء ٠٠٠ ، وساعة من الزمان ، وادراك الشيء ، وظرف من الظروف (مقاييس ١/١٤١ــ١٤٢) ٠ فاننـا بلطف النظر نستطيع ان نستخلص ان هناك ما يجمع بين هذه الاصول الاربعة ، وهو والزمن ، فالبطء وادراك الشيء والظرف كله محمول عليه ومشتق منـه ٠

ونظير ذلـك في العبـرية آن ، آنَى ، آنِي وفي الاوجـاريتية أن بمعنى : الى أين ، متى ، والفعـل آنَى بمعنى : يسببِّب حـدوث يقع لِ (كولر باوم ــ جارتنر ٦٧) ٠

٢٥ـ أوب (أوب)

= ردد ٠ مرة واحدة (ياجبال أوبي معه والطير وألنـا له الحـديد) ١٠/٣٤ ٠ والاصل الرجوع (مقاييس ١/١٥٢ــ١٥٤) ٠ وقد يناظره في العبرية أوڤوت : ركية من جلد الماعز جعل ظاهرها الذي فيه الشعر باطنها من أجل حفظ الخمر (كولر باوم ــ جارتنر ١٨) ٠

٢٦ـ آد

= ثقل على ٠ مرة واحدة (ولا يؤده حفظهما وهو العـلي العظيم) ٠ ٢/٢٥٥ ٠ والاصل العطف والانثناء (مقاييس ١/١٥٤) ٠ وقد يكون نظـير ذلـك أُود في العبريـة ، و أُذا في الاراميـة اليهوديـة و أُوذا في السريانيـة بمعنى : خشــب للحرق ، من الانثنــاء أو من تقليب هذه القطع في النار (ليفي ، معجم المدراش والتلمود ١/٣٧) وقد جاء في العربية تأود العود (النبت) : تعطّف وتعوّج ٠

٢٧ــ أوى

= لجأ • ١٤ مرة • والاصل التجمع والميل • ولا اتفق مع ابن فارس (مقاييس ١/١٢١ــ١٥٢) في جعل الاشفاق اصلا ثانيا لهذا الباب فإن الاشفاق معنى مجرد كالحنو والعطف مشتق من الحركة المادية وهي الانحناء والانعطاف والميل وما أشبه ذلك • ولهذا فانه يعود الى المعنى الاول وهو التجمع والميل •

ونظيره في العبرية والعبرية الوسطية إقّا رغِب اليه ، اشتاق (كولر ــ باوم جارتنر ١٨) •

٢٨ــ أيد

= قوى • ٩ مرات • والاصل يدل على القوة والشدة (مقاييس ١/١٦٣) واظن نظير ذلك في العبرية إيد : كارثة ، سوء • وهذا قريب من الشدة بمعنى : الضيق والسوء • ولم أجد أحدا قد ذكر النظير العربي للكلمة العيربة (كولر باوم جارتنر ٣٦) •

٢٩ــ بأس (ابتأس)

= حزن • مرتين • والاصل يدل على الشدة وما ضارعها (مقاييس ١/٣٢٨) ومن ذلك أيضا (بئس) فعل الذم الذي ورد ٣٧ مرة بهذا المعنى ، وبئسما بزيادة ما التي بمعنى الذي ، مرتين •

ولم أجد لهذا الاصل نظيرا في اللغات السامية •

٣٠ــ بتك

= قطع • مرة واحدة (ولآمرِنهم فليبتكن آذان الانعام) ٤/١١٩ •ولم أجد له نظيرا في اللغات السامية الاخرى •

٣١ــ بتل (تبتل)

= انقطع • مرة واحدة (واذكر ربك وتبتل اليه تبتيلا) ٨/٧٣ والاصل يدل على ابانة الشيء من غيره (مقاييس ١/١٩٥) • وهو أصل سامي

مشترك ففي الأكدية بَ تُ و لُ : أعزب و بَ تُ لْ ةُ : عذراء ، وفي الاوجاريتيه بتلة : عذراء ، وفي السريانية بثولا عذراء ، والعبرية بتولا والمعنى في كل ذلك هو المنقطع عن الزواج •

٣٢ــ بث

= نشر • ٥ مرات • والأصل يدل على تفريق الشيء واظهاره (مقاييس ١/١٧٢) •

ولم أجد له نظيرا ساميا •

٣٣ــ بجس

= نبع • مرة واحدة (فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) ١٦٠/ والاصل يدل على تفتح الشيء بالماء خاصة (مقاييس ١/١٩٩) • ولم أجد له نظيرا ساميا •

٣٤ــ بحث

= فتش • مرة واحدة (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) ٣١/٥٥ والاصل يدل على اثارة الشيء في التراب (مقاييس ١/٢٠٤) ولم اجد له نظيرا ساميا •

٣٥ــ بخس

= نقص • ٥ مرات • والاصل كذلك يدل على النقص (مقاييس ١/٢٠٥) ولم أجد نظيره في اللغات السامية الاخرى •

٣٦ــ بخل

= امسك ، صار بخيلا ١٠ مرات • والاصل يدل كذلك على الامساك • والبخل معنى مجرد مشتق من معنى مادي محسوس كالامساك والمنع• ولم أجد نظيره في اللغات السامية الاخرى •

٣٧ــ بدأ

= افتتح الشيء ١٥٠ مرة • والاصل يدل على الافتتاح والاستهلاك (مقاييس ١/٢١٢ــ٢١٣) •

ونظيره على ما اعتقد في العبرية بدا : ابتدع وهو من ذلك ، اي استهلال أو افتتاح الشيء أول ما يكون ، كما في البكر الولد الاول ، وابتكر ابتدع ، وفي الآرامية اليهودية بدا ، بدى ، بدي : فصل ، عزل ، وكذلك ألّف ، ابتدع ، وفي السريانية بذا : ألّف ومنه الكذب بمعنى التأليف كما في عاميتنا ، أي ابتكار الشيء الجديد بالمعنى السيء ، وفي المهرية : بدو ، والسوقطرية : بدِي بمعنى : كذب (كولر باوم جارتنر ١٠٨ ، ليفي ، معجم المدراش والتلمود ١/١٩٢ـ١٩٣ ، بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٥٩) .

ولم يربط احد ، على حد علمي ، وكما في المصادر السابقة ، بين الاصول السامية والاصل العربي .

٣٨ـ بدع (ابتدع)

= ابتكر . مرة واحدة (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) ٥٧/٢٧. والاصل هو وقوع الشيء الجديد . ولا اتفق مع ابن فارس في جعله أصلين : ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال ، والآخر الانقطاع والكلال (مقاييس ١/٢٠٩ـ٢١٠) . واعتقد ان ما ذكرت وهو وقوع الشيء الجديد ، يضم المعنيين ويقربهما بعضهما من بعض بحيث تتضح العلاقة بينهما ، واذكر هنا كمثال : حدث : وقدع وحديث : جديد ، وحدث : ما وقع من خيرأو سوء .

ولم أجد نظيره في اللغات السامية الاخرى .

٣٩ـ بدل (بدّل)

= غيّر . ٣٢ مرة . والاصل يدل على قيام شيء مقام الشيء الذاهب (مقاييس ١/٢١٠) .

ونظيره في العبرية بدل وفي العبرية الوسيطة كذلك بمعنى : فصل ، عزل (كولر باوم جارتنر ١٠٩) .

٤٠ـ بدا

= ظهر • ٢٧ مرة • والاصل يدل كذلك على ظهور الشيء (مقاييس ٢١٢/١) • ونظيره في الثمودية أسماء اعلام مشتقة منه : ب د ي ، ب د ي ن ، ب د ي ت ، وفي العربية الجنوبية : ب د ي ت (مولر ، الاصول الجوفاء والناقصة ٢٩) •

٤١ـ بذر (بذّر)

= أسرف • مرة واحدة • (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) ١٧/٢٦ • والاصل يدل على نثر الشيء وتفريقه (مقاييس ٢١٦/١) • ومنه بَذَرَ البذر أو البزر وجمعهما بذور وأبزار وبزور •

ونظيره في العبرية بزر : فرّق نشر ، وفي آرامية التوراة بدر فرّق ، وفي السريانية بذر : نثر • ويبدو ان من الكلمة الاكدية بِ زْ وُ جاءت الارامية بِزْرا والعربية بَزْر التي حقها أن تكون بَذْر على الاصل (كولر باوم جارتنر ١٠٥٦) •

٤٢ـ برأ

خلق • ١٠ مرات • والاصل كما اعتقد يدل على اخراج شيء من شيء ثم حمل عليه بقية فروع الباب • فمن ذلك برأ : خلق وبرىء شفي ، وتبرّأ : تباعد ••• الخ • ولا اتفق مع ابن فارس في جعل هذا الباب أصلين : أحدهما الخلق ، والآخر التباعد من الشيء (مقاييس ٢٣٦/١) ونظيره في العبرية برا خلق (الله) ، وفي العربية الجنوبية برى : حرّر ، كما هذا الاصل في اللجهات الظفارية والسوقطرية والدثينية والشخورية بمعان متشابهة (مولر ، الاصول الجوفاء والناقصة في العربية الجنوبية ٢٩) ، وفي السريانية برا : خلق •

٤٣- برج (تبرّج)

يبدو لي أن الاصل فيه هو البرج ومعنى البروز والظهور متأتٍ من الاصل لظهوره وبروزه كالعلم بمعنى الجبل وبمعنى الشهرة والوضوح.

= تزّين • مرتين • والاصل بروز ألوان وحمل على ذلك المبالغة في التزين • أما البرج : الحصن فانها من الالفاظ اللاتينية الدخيلة في العربية • وبهذا فان ابن فارس محق في جعل هذا الباب أصلين : أحدهما البروز والظهوروالآخر البرج (مقاييس ٢٣٨/١) •

ولم أجد نظيرا للتبرج في اللغات السامية الاخرى •

٤٤- برح

= زال ، ذهب • ٣٠ مرات • والاصل الزوال والبروز والانكشاف (مقاييس ٢٣٨/١) • واظن الاصل الآخر الذي يذكره ابن فارس ، وهو الشدة والعظم محمولا على الاصل الاول ، واذكر مثلا على ذلك ذهب : زال ، ذهب :مات ، وهلك أيضا بمعنى ذهب ، مضى كما في اللغات السامية الاخرى أيضا ، وهلك بمعنى : فنى ، مات • فالزوال والفناء والشدة معانٍ متلازمة ترجع الى أصل واحد •

ونظيره في العبرية بَرَح : هرب وكذلك في الاوجاريتية ب ر ح : فرّ ، هرب (كولر باوم جارتنر ١٤٩) •

٤٥- برّ

صدق مرتين • والاصل ، على ما اظن ، هو فصل الشيء عن الشيء ثم حمل الصدق ، الذي هو معنى مجرد ، عليه • والذي يشير الى ذلك أيضا اللغات السامية الاخرى • ففي الاكدية بَ رُّ طاهر وفي العربية الاسلامية مثل هذا المعنى ، نقي • وفي العبرية الوسيطة والارامية اليهودية بَرَر نقي ، اختار ، وفي العربية الجنوبية في صيغة المتعدي : طهّر ، نقّى • (كولر - باوم جارتنر ١٥٦) • أما بقية معاني هذا الاصل والتي يجعلها ابن فارس اصولا قائمة بذاتها وهي :

الصدق ، وحكاية صوت ، وخلاف البحر ، وبنت فانني اعتقد انها ترجع الى الاصل الذي ذكرناه أولا وهو فصل الشيء عن الشيء ، فيما عدا حكاية الصوت فانها ليس لها معنى تقاس عليه • فالصدق هو الشيء الطاهر المنقى المفصول عن الشوائب ، وكذلك البر هو الجزء من الارض المفصول عن الماء ، والبر : الحنطة هو الحب المنقى المفصول عن القشرة• وهكذا ترجع هذه الفروع الى أصل واحد •

ولم أجد أحدا ربط بين الاصول السامية والاصل العربي ، مع ان العلاقة ، على ما تبدو لي ، جلية واضحة •

٤٦ــ برز

= ظهر • ٧ مرات • والاصل يدل كذلك على ظهور الشيء وبدوّه (مقاييس ٢١٨/١) ونظير ذلك في الارامية اليهودية ، على ما أظن ، برَز : خرق ، ثقب • والمعنيان متدانيان ، فالخرق هو بروز الشيء من الوجه الآخر • وقد تكون المبارزة بمعنى المطاعنة من هذا (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٢٦٢/١) • ولم أجد أحدا نبه الى العلاقة بين الاصلين العربي والارامي •

٤٧ــ برق

= تحيّر • مرة واحدة (فاذا برق البصر) ٧٥/٧ • والاصل على ما اعتقد يرجع الى البرق وما يصاحبه من ظواهر طبيعية وما يحمل على ذلك • ولا أظن ابن فارس مصيبا في جعل هذا الباب أصلين : أحدهما لمعان الشيء ، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء (مقاييس ٢٦١/١) • فان لمعان الشيء هو من صفاة البرق ، وكذلك البياض والسواد ، فالبرق غالبا ما يحدث في ظلام الليل فيجتمع النور والظلام • ونظيره ب رَ ا قُ في الاكدية ، برَق في الآرامية اليهودية ، ب ر ق في الحبشية ، ب ر ق في السوقطرية ، الكل بمعنى لمع (البرق) ، وفي الاوجاريتية ب ر ق بمعنى البرق المعروف (كولر باوم جارتنر ١٥٥) •

٤٨ـ برك (بارك)

= مجّد • ١٧ مرة ، الاصل ، كما اعتقد ، هو ركبة الانسان • وهي مقلوبة من ب ر ك ، كما يدل على ذلك بقية الباب ، وكما تدل على ذلك اللغات السامية الاخرى • وركبة الانسان هي من المسميات العريقة في القدم ككل أعضاء جسم الانسان • وهي كذلك مشتركة بين اللغات الاخرى • ومن المعاني المشتقة من (ركبة) هب برك : أي نزل على ركبته ، وبارك مجّد التي الاصل فيها أيضا النزول على الركبة لغرض التمجيد •

وابن فارس يجعل أصل الباب ثبات الشيء • وهذا أمر عام جدا (مقاييس ٢٢٧/١) •

ونظيره في الاوجاريتية : ب ر ك ، والفنيقية برك ، والآرامية باريخ والعبرية بـرك : بمعنى بارك • بِرِخ في العبريـة : رُكْبة وكذلك في الاوجاريتية ب ر ك م ، والاكدية بِ رْ كُ ، بُ رْ كُ والسريانية بُورخا والحبشية بِرك (كولر باوم جارتنر ١٥٣ ــ ١٥٤) •

٤٩ـ برم (ابرم)

= احكم • مرة واحدة (أم أبرموا أمرا فإنـا مبرمـون) ٤٣/٧٩ • والاصل على ما أظن ، يدل على فتل خيطين من لونين مختلفين ومن ذلك يشتق بقية الباب ويحمل عليه سائر المعاني مثل : برِم : ضجر (من الفتل) ••• الخ ، ولا أجد ابن فارس محقا في جعل هذا الاصل أربعة أبواب : احكام الشيء ، والغرض به واختلاف اللونين وجنس من النبات مقاييس ٢٣١/١) • فان كل ذلك ما عدا النبات مرده الى الاصل الذي ذكرناه • أما النباتات فاشتقاقها على الاغلب يبقى غامضا لعدم وضوح العلاقة في معظم الاحيان • ونظيره في الاكدية بَ رْ مُ : فأر متعـدد الالوان ، وفي العبرية برُمِيم غَزْل ذو لونين مختلفين (كولر باوم جارتنر ١٥٥) •

٥٠ـ بسر

= كلح ٠ مرة واحدة (ثم نظر ٠ ثم عبس وبسر) ٧٤/٢٢ ٠ وهو أصل يدل على الطراءة ٠ وجعله ابن فارس اصلين : احدهما الطراءة وان يكون الشيء قبل اناه ومنه متبسر أي متعجل وقبل النضج ، والاصل الآخر وقوف الشيء وقلة حركته ٠ ولم يذكر ابن فارس الاصل الثاني (مقاييس ٢٤٩/١) ولم أجد في المعجمات ما يبرر جعل هذا الباب أصلين ، فان المعاني جميعها ترجع الى الاصل الاول ٠

ونظيره في العبرية بُسِر : عنب غض ، فَجّ ، وكذلك في الآرامية اليهودية بِسرا والسريانية بِسرِا (كولر باوم جارتنر ١٣٥ — ١٣٦) ٠

٥١ـ بسّ

= ساق ، فَت ٠ مرة واحدة (اذا رجّت الارض رجّا ٠ وبسّت الجبال بسّا) ٥٦/٥ ٠ والاصل يدل على السوق وفت الشيء وخلطه (مقاييس ١٨١/١) واحسب الاصل الاول حكاية صوت من بسبست الدابة واسبستها ، ، اذا سقتها وزجرتها وقلت لها بس بس (لسان ٣٢٥/٧)٠
ونظيره في السريانية بَسبِس (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٨٠) ٠

٥٢ـ بسط

= مدّ : ١٦ مرة ٠ والاصل يدل على امتداد الشيء (مقاييس ٢٤٧/١) ولم اجد نظيره السامي ٠

٥٣ـ بسل

= حلك ٠ مرتين (اولئك الذين أُبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم) ٧٠/٦ مرتين ٠واعتقد ان الاصل يدل على عدم النّضج معشيء من الشدة ٠ ولا اتفق مع ابن فارس الذي يذكر ان الاصل يدل على المنع والحبس (مقاييس ٢٤٨/١—٢٤٩) ، وذلك لأن الفاظ الباب

تدل على غير ذلك ، كما ان اللغات السامية الاخرى لا تؤيد ذلك المعنى.
فمن ذلك البسل : الشدّة ولبن باسل : كريه الطعم حامض ، وكذلك النبيذ اذا اشتد وحمض . وخل باسل ، اذا طال تركه فاخلف طعمه وتغيّر .... وابسل البسر : طبخه وجفّفه . واما بسل بمعنى : عبس من الغضب أو الشجاعة فمن المحمول على ذلك . (لسان ١٣/٥٦ــ٥٨)
واما نظيره في اللغات السامية ففي الاكدية بَ شَ ا لُ : يغلي و بَ شْ لُ ناضج (مطبوخ) تماما ، وفي الحبشية بَسَلَ : أغْلَى ، وفي العمانية مبسلي : التمر المطبوخ ، وفي الآرامية والعربية الجنوبية : ضحّى ، وفي العبرية بَشَل ، نضج ، طبخ (كولر باوم جارتنر ١٥٧).
وأما ما ورد في لهجة عنه مثل بسل وبسّل بمعنى : اتنقى ، اختار ، فان مردّه الى المعنى الذي اصلناه ، لأن المنتقي لا يختار الا الناضج من الثمار وغيرها .

٥٤ــ تبع

تلا الحق ١٥٩ مرة . والاصل هو التلو والقفو (مقاييس ١/٣٦٢ــ٣٦٣) . ولم يرد في عبرية التوارة . وجاء في الآرامية اليهودية تقع بمعنى : يطلب ، يريد ، وفي عبرية التلمود تقع بالمعنى ذاته ، وكذلك في السريانية تقع والحبشية : تبع وفي الاكدية تِ بُ .
(ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٤/٦٢٥ ، بروكلمان الموسوعة السريانية ٨١٤) .

٥٥ــ ترف (اترف)

نعم . ٣ مرات بالمزيد بالالف . والترف جاء في القرآن الكريم بالمعنى السيء المذموم وليس بمعنى المدح . ويبدو لي ان اصل المعنى هو الامتلاء بالمعنى المذموم . فالترفة : الطعام الطيب . وترف النبات ، تروى . والترفه كذلك : مسقاة يشرب بها . ثم حمل على ذلك المعاني المجردة مثل المترف : الذي قد ابطره النعمة ... المتنعم المتوسع في

ملاذ الدنيا وشهواتها (لسان ١٠/٣٦٠) • ولم يذكر ابن فارس أصلا للمعنى (مقاييس ١/٣٤٥) • ومما يؤيد ما ذهبنا اليه النظائر في اللغات السامية الاخرى • ففي العبرية ترافيم : معبودة ، صنم محتقر (كولر باوم جارتنر ١٠٤١) • وفي عبرية التلمود هِتْرِيف : قبح : فسد (القمار) ، وفي الآرامية اليهودية أتْريف : سلك سلوكا مشينا (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٤ / ٦٧٤) وفي السريانية ترَف وفي الحبشية ترف ، (بروكلمان : الموسوعة السريانية ٨٣٧) •

٥٦ـ تقن (اتقن)

أصلح • مرة واحدة بالمزيد بالالف (صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) ٢٧/٨٨ • والاصل ، على ما أرى ، تسوية الشيء ، وخاصة الارض • يقال : تقنوا أرضهم بالتقن ، وهو الحمأة والطين • هذا هو أصل الباب ، ولا اتفق مع ابن فارس في جعله أصلين : احكام الشيء ، والطين والحمأة • فالمعنيان متدانيان • والاصل ، كما ارى ، فرع من الثاني (مقاييس ١/٣٥٠ـ٣٥١) •

ويؤيد ما ذهبنا اليه المعاني المستفادة من اللغات السامية الاخرى • ففي الاكدية تَ قَ ا نُ : ينظم ، وفي العبرية : يقوم ، ينظم ، وفي عبر التلمود والمدراش تَقَن : يسوى ، يصطلح (الطرق والاسواق التي أتلفها المطر في الشتاء) ، ليفي معجم التلمود والمدراش ٤/٦٦٢) وفي الارامية اليهودية تقِن والسريانية تقِن يثبت ، ينظم (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٨٣١ـ٨٣٢) •

٥٧ـ تلو

أتبع • ٦١ مرة ، مرة واحدة بمعنى مجيء الشيء خلف الشيء (والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها) ٩١/٢ • وأما بقية الالفاظ الواردة في القرآن فبمعنى القراءة ، أي تلاوة القرآن ، أي اتباع الآية بالآية الاخرى • وقد ذكر ابن فارس ان أصل الباب هو الاتباع (مقاييس ١/٣٥١) •

ونظير ذلك في العبريـة تَلَى : علق ، وفي عبريـة التلمود والمدراش تِلى ، تَلَى : يرفـع ، وفي السريانيـة تلا رفع ، علـق (كولر باوم جارتنر ٢٩ ، ١ بروكلمان ، الموسوعة السـريانية ٨٥٤ ، ليفي معجـم التلمود والمدراش ٤/٦٤٤) وفي العربية الجنوبيـة ت ل و : تبع ، والحبشية : تَلَوَ تبع (مولى ، الاصول الجوفاء والناقصة في العربية الجنوبية ٣٣) • وقد اوردت جميع المصادر السابقة إلا الاخير تل ، على أنه نظير عربي للاصل السامي • وهذا اشتقاق بعيد •

والادنى منه ان يقال : تلا وذلك للتجانس الصوتي • اما التباعـد الظاهر في المعاني بين المجموعة السامية الجنوبية (العربية الشـمالية والجنوبية والحبشية) وسائر اللغات السامية الاخرى ، فانه يمكن تقريبه وذلك اننا لو نظرنا في الاصل ، علق فان فيه معنى الاتبـاع والرفـع •

فالتعلق بالشيء يكون على الاغلب من الخلف • يقال : تعلق بأذياله • والمسألة المعلقة ، المشـكوك فيها ، كما في عبرية التلمود والمدراش ٤/٦٤٥ (رقم ٤) •

وقريب من ذلك تلاه : خذله ، أي تركه مثل المنقطع المعلق • أما معنى الرفع فمعروف • يقال : علق الشيء •

هذا ، كما أظن ادنى ان يؤخذ به من طلب اشتقاق بعيد مثل تـلّ لا توافق حروفه حروف الاصول السامية الاخرى ، كما ان له معاني مغايرة لتلك الاصول •

٥٨ـ تم

كمل : ٢٠ مرة • والاصل يدل على الكمـال (مقاييس ١/٣٣٩) • واقرب شيء للاصل هو التم والتم : الجذع التام ، أو الشيء التـام الصلب عموما ثم فرع عليه (لسان ١٤/٣٣٦) •

ونظيره في العبرية تمم كمل ، وفي الفينيقية تم : عزم ، قرر ، وفي الارامية اليهودية تميما والسريانية تَمِيما : تام كامل (كولر باوم جارتنر ١٠٣٢ ، بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٨٢٦) •

حرف الثاء

٥٩ـ ثقل

رجح : ٦ مرات • والاصل هو ضد الخفة (مقاييس ١/٣٨٢) • وهو من الاصول السامية المشتركة ، ففي الاكدية ش قَ ا لُ : يزن وفي الارامية القديمة شقل وكذلك في الفينيقية ، كما ورد في عبرية التلمود والمدراش وفي الارامية اليهودية ، وفي السريانية تقل كما وردت في المندئية لفظة تِيقلاتا وفي الحبشية سَقَل : يطلق ، يزن ، وفي العبرية شقل : يزن كما ورد اشتقاق له في الاوجاريتية (كولر باوم جارتنر ١٠٠٨) بمعنى : ثقل ، وزن معين •

٦٠ـ ثنى

طوى : مرتين • والاصل يدل على تكرير الشيء مرتين (مقاييس ١/٣٩١) وهو من الاصول السامية المشتركة ، ففي الاكدية شَن نُ و : تغير أعاد • ونحن نريد معنى : أعاد هنا ، لانني اعتقد ان معنى تغير يعود لاصل آخر على ما سنرى في العبرية • وانه قد اندمج في الاكدية أصلان في أصل واحد •

كما ورد في الاوجاريتية : ث ن ى : اعاد ، كرر ، وكذلك في عبرية التلمود والمدراش وآرامية التوراة شنه والارامية اليهودية تنا كرر ، وفي السريانية تنا : كرر •

وذهب الباحثون الى ان سنة هي من هذا الاصل الذي من معانيه في العبرية والاكدية : التغيير كذلك • والسنة هي الزمن والمدة المتغيرة ، ولكن التناظر الصوتي لا ينسجم مع هذا الاشتقاق • اذ حق ان يكون في العربية بدل سنة بالسين ثنة بالثاء • ولكي يفسروا هذا الشذوذ

الصوتي قالوا ان سنة هي لفظة دخيلة في العربية ولهذا جاءت بالسين بدلا من الثاء كما يقتضي التجانس الصوتي •

وكان الاجدى من ذلك ان يقال ان سنة هي من سنه بمعنى تغير (الطعام أو الشراب) ومنه قوله تعالى (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) ٢/٢٥٩ • وهذا الأصل يطابق معنى ولفظا الاصل العبري شنه تغير وكذلك الاصل الاكدي شَ نُ و تغير ، واما معنى شنه : كرر و ش نُ و كرر في الاكدية فانهما يناظران ثنى بالعربية • وليس في كل ذلك شذوذ في الصوت أو المعنى • وهو اولى ان يؤخذ بـه •

٦١ـ ثور (أثار)

بعث ، حرث : ٥ مرات • والاصل يدل على انبعاث الشيء • ويقول ابن فارس انه أصلان قد يمكن الجمع بينهما بأدنى نظر •• انبعاث الشيء وجنس من الحيوان (مقاييس ١/٣٩٥) • وانني متفق مع ابن فارس في الجمع بين المعنيين ، اذ ان الانبعاث يجمع بينهما ، كما ان الفتح والمزق يجمع بين كلمة البقر ، وبقر البطن : شقها • وفي العبرية ما يماثل هذا بَقار : البقر ، و بُقِر : الفجر (انفتاح الظلام) ، و بَقَر تأمل ، فكر (= تبحر بحر : شق) ، وفي آرامية التوراة بقر : بحث ، فحص • وكل ذلك لـه علاقة بمعنى الانبعاث والاثارة •

ونظير الاصل العربي ثور ، على ما أرى ، هو شور بمعنى : ثور ، وفي الاوجاريتية ثور ، والاكدية شُ و رُ كما ورد في عبرية التلمود والمدراش ، وفي الارامية اليهودية تورا والسريانية تَوْرا كما ورد في الحبشية والعربية الجنوبية : ثور (كولر باوم جارتنر ٩٥٨) •

ولما كان تور في العربية وأثار من أصل واحد ، فانني اعتقد ان شور في العبرية بمعنى : نظر ، تأمل و شور : ثور انما هما لاصل واحد أيضا ، كما ان ثور وأثار العربية والقرآن ، أي بحث ونقر فيهما وفكر في معانيها هما لاصل واحد • (لسان ٥/١٧٩) • فيكون بهذا الاصل العربي برمته يناظر الاصل العبري برمته • وهذا ما لم يذكره احد من قبل ، بل انهم فصلوا بين شور : ثور وبين الفعل شور نظر ، تأمل ، كما استبعدوا ثورا من أثار •

وهذا غير صحيح كما بينت (كولر باوم جارتنر ١٩٥٧) •

٦٣ـ جدل (جادل)

ناظر : ٢٥ مرة • والاصل يدل على استحكام الشيء في استرسال يكون فيه (مقاييس ١ / ٤٣٣) • ونظيره في العبرية گدل : اشتد عظم ، وفي الاوجاريتية جدل : كبير ، عظيم • ومنه على ما اعتقد في الاكدية گ ِ دْ لُ خيط (من البصل) وفي الآرامية اليهودية گديل الجديل = الحبل المفتول ، كما في العبرية گدِيليم حبل مفتول وكذلك في السريانية گدل والحبشية جدل (كولر باوم جارتنر ١٧١ــ١٧٢) بروكلمان الموسوعة السريانية ١٠٤ ، ليفي ، معجم التلمود والمدراش ١/٣٠٢) •

ولا اظن كولر باوم جارتنر على حق في فصل گدل : اشتد عظم عن گدِيليم حبل مفتول • فان المعنيين متقاربان يؤولان الى أصل واحد ، كما في العربية فان الاصل هو احكام الحبل المفتول ، ثم استعير للقوة والشدة عموما وللجدال : الخصومة والمناظرة ، مثل سجل وساجل •

٦٣ـ جعل

صنع وضع .. الخ : ٣٣٨ مرة . ومن العسير جدا تأصيل هذا الباب لتعدد دلالته واستعاراته (مقاييس ١/٤٦١) . والذي يبدو لي من دراسة ألفاظ الباب ان معظمه يدل على شيء صغير محتقر ، من ذلك : الجعل والجعال والجعيلة والجعالة بتثليث الجيم : الاجر (القليل) على العمل الجعال والجعالة : ما تنزل به القدر من خرقة او غيرها . والجعلة الفسيلة او الودية وقيل النخلة القصيرة . الجعول : الرآل ولد النعام . والجعل : دابة سوداء وقيل هو ابو جعران (لسان ١٣/١١٦ـ١١٩) . وجعل : صنع وعمل ووضع انما هو محمول على هذا المعنى : أي صنع الشيء الصغير ، ثم الصنع والعمل والوضع اطلاقا .

ونظيره ، كما ارى في العبرية گعل : كره استهجن وفي صيغة هِفْعِيل للتعدية يأتي بمعنى : يستمني خارج الرحم (الثور) . وهذا المعنى يناظر المعنى العربي أجعلت الكلبة والذئبة والاسدة وكل ذات مخلب وهي مجعل واستجعلت : اجبت السفاد . واظن ان المقصود بذلك انها اشتهت الولد : أي الصغار من أمثالها .

وقد جاء ان الجعول : ولد النعام (كولر باوم جارتنر ١٩٠) أما في عبرية التلمود والمدراش فجاء گعل بصيغة هِفْعيل بمعنى طهر (من مني الحيوان) الانية . (بالمني وفضلات الحيوانات = جعل : روث الخيل (لسان ١٣/١١٩ ، ليفي معجم التلمود والمدراش ١/٣٥٠ ـ ٣٥١) وفي السريانية گوعْلا َيا : أمر وفي صيغة المزيد بالالف بمعنى : أمر = صنع ، عمل (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ١٢٧) . ولم يذكر كولر باوم جارتنر ولا ليفي النظير العربي للاصول العبرية والارامية . أما كارل بروكلمان فقد ذكر الاصل العربي الا انه لم يذكر الاصول الاخرى المناظرة للاصل السرياني .

٦٤ـ جلد

ضرب بالسوط : مرتين • والباب كما يقول ابن فارس يدل على قوة وصلابة (مقاييس ١/٤٧١) • واظن ان الاصل في ذلك هو الجلد ، جلد الانسان ، ثم حمل عليه ما غيره من فعل واسم فمن ذلك جلد : ضرب بالسوط (على الجلد) • وجلد جزورة ، اذا نزع وجلدها ، من باب السلب • والجلد صلابة الجلد ، ثم صار عاما يطلق على ما هو قوي وصلد •

ونظيره في العبرية گِيْلدِي : جلد ، وفي السريانية گِلْدا : جلد بشرة • ثم حمل على ما سوى ذلك من المواد الصلدة فجاء في عبرية التلمود والمدراش گَلَد : تصلب (الماء) جمد ، وفي الارامية اليهودية گَلَد : تصلب ، كثف وكذلك في السريانية گَلّد •

٦٥ـ جنب

أبعد : ابتعد : ١٢ مرة • ويقول ابن فارس ان لهذا الباب اصلين : الناحية والبعد (مقاييس ١/٤٨٣) ، ولا أظن هذا صوابا منه ، فان ألفاظ الباب تشير الى ان الاصل هو جنب الانسان ، ومنه اشتق معنى الناحية التي تكون الى الجنب ، والبعد الذي هو منها ، لانه متطرف وليس في القلب أو الوسط • وشبيه بهذا طرف : جنب ، وتطرف :نأى ، وناحية كذلك بالمعنى ذاته ، وتنحى : اجتنب ، اعتزل •

ونظيره في العبرية وعبرية التلمود والمدراش گَنَف : سرق ، اخفى، وكذلك في الفينيقية والارامية اليهودية گنف والسريانية گنف والاصل في كل ذلك : وضع الشيء جنبا ، أي ليس امام الناظر ثم صار المعنى : اخفاه ثم سرقه (كولر باوم جارتنر ١٨٩ ، ليفي معجم التلمود والمدراش ١/٣٤٤ـ٣٤٥) •

٦٦ــ جن

ستر • مرة واحدة (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) ٦/٧٦ • والاصل يدل على الستر (مقاييس ١/٤٣١) •

ونظيره في الاكدية گـَ نُنُّ : غطاء ، گـَ نَ ا نُ غطى ، وفي الارامية اليهودية گـَن ، وفي العربية الجنوبية ، جنن ، وفي السريانية وفي العبرية گنـَن ، أحاط ، دافع عن •

٦٧ــ جور

ساكن ، ألجأ : ٨ مرات • وهو يدل على الميل (مقاييس ١/٤٩٣) •
يقال : جور : اسقط أرضا ، قوض • وجار على : مال على ، أي ظلم •
وأجار : الجأ والجار معروف •

ونظـيره گور في العبريـة بمعنى : يساكن لمولى ، وفي الفينيقية گـر وكذلك في الفينيقيـة غريب • ومن ذلك گور ، في العبريـة بمعنى : هاجم وخاف من • وكل ذلك مشتق من الميل الى الشيء او عنه ومـا يتعلق به من ظلم أو عطف أو خوف أو هجوم ولا احسب كولر باوم جارتنر على صواب في فصل معنى : هاجم ، ومعنى : خاف من الاصل واحتسابهما أصلين منفصلين مع ان حروفهما متجانسـة في معانيهـا متقاربة (كولر باوم جارتنر ١/١٧٥ ـــ ١٧٦) •

٦٨ــ حبر

فرح : مرتين ، والاصل يدل على الاثر في حسن وبهـاء على الاغلب (مقاييس ١/١٢٧ــ١٢٨) • فالحبر : الجمال والبهاء ، والمجر : المزمن• ومن المحمول عليه ، الحبرة : الفرح • اما في غير الحسن فيقال : حبر الرجل ، اذا كان يجلده قروح فبرئت وبقيت لها آثار ، والحبر : صفرة تعلو الاسنان •

ونظيره في العبرية حبر في صيغة المزيد بالهاء • يزدان بالالفاظ ضد ، وفي الاكدية إ ب ا رُ ، والارامية اليهودية حَقوُرتا والسريانية حقَرْتا كرم متعدد الالوان (كولر باوم جارتنر ٢٧٣ ، ٢٧٠) •

أما حبر واحبار فليس من هذا الاصل وانما هو من خبر • وهو من الدخيل من حاقِر ولهذا جاء بالحاء بدلا من الخاء على الاصــل •

٦٩ـ حج قصد ، ناظر : ١٤ مرة • يقول ابن فارس ان لهذا الاصل اربعة معان : القصد ، والسنة ، والحجاج ، والحجحجة (مقاييس ٢/٢٩ـ ٣١) •

ولكنني أرى ان هذه المعان كلها ترجع الى أصل واحد ، كما يستدل من ألفاظ الباب ودلالة اللغات السامية الاخرى ، وهذا الاصل هو الحجاج : العظم المستدير حول العين ، أو العظم النابت عليه الحاجب، أو العظم المطبق على رقبة العين وعليه منبت شعر الحاجب • والمتفق عليه انه مستدير ، واطلق تشبيها أيضا على الحجة والحاجة شحمة الاذن ، وهي مستديرة كذلك ، وصار الحجة ثقبة شــحمة الاذن ، والخرزة أو لؤلؤة تعلق في الاذن • ثم ذلك فيه معنى الاستدارة • وما سوى ذلك فمحصول على ما قلنا ، منه حج : اذا قدح بالحديد في العظم (أصلاً بالحِجاج) ، وما يقاربه بالمعنى •

والحج المعروف هو أصلا الطواف بالبيت ، وذلك بالدوران حوله • والمحاجة هي على ما اظن المقابلة بالنظر أصلا ثم استعيرت للمجادلة • ويشبهها المباراة ، والمنافسة والمساجلة ••• الخ (لسان ٣/٤٨ـ٥٢) • ونظيره في العبريــة حگگ : قفز (كالســكران) • وذلك بالدوران كما يفعل السكران حول نفسه أو حول شيء آخر • ثم استعير ذلك السير في موكب ، ثم أخيرا للطواف بالحج • وفي العربية الجنوبية : ح ج ج : طاف بالحج وكذلك في السريانية أَحَگ ، حگ : دار ، طاف (كولر باوم جارتنر ٢٧٥ ، بروكلمان الموسوعة السريانية ٢١٨ ، ٢١٣)•

كلم ، جاء بجديد : ٦ مرات • والاصل هو كون الشـيء لم يكن (مقاييس ٢/٣٦) • ومن دراسة ألفاظ هذا الباب ، ونظائرها في بقية اللغات السامية ، أرى ان الاصل في ذلك هو ما ورد في العبرية وهو حٌدِش : الهلال أول ما يظهر ومنه الشهر المعروف •

وقريب منه في العربية الحدث : المطر النازل في أول السـنة • وأول السنة يعرف كما هو معلوم بظهور الهـلال فحملت الامطار الجديدة على ظهور الهلال الجديد • كما حمل كل شيء جديد على ذلك ، فقيل حدث لكل فتى من الناس والدواب والابل والوعل ، وللامر الجديد • ومن ذلك جاء الفعل حدث : وقع أمر جديد ، وحدث : تكلم بالشيء الجديد ، وأحدث أمرا : جاء بشيء جديد •• الخ (لسان ٢/٤٣٦ـ ٤٣٩) •

ونظير ذلك كما ذكرت سابقا حٌدِش في العبريـة الهلال أو ما يظهر ، والفعل منه جدد وفي الاوجاريتيـة : حدث والاكديـة إ دِ ى شُ والفينيقية حدش وآراميـة التـوراة حَدَث وفي عبريـة التلمـود والمدراش حِدّش والارامية اليهوديـة حَدِث والسـريانية حدِث والعربية الجنوبية : حدث وفي الحبشية حدس (كولر باوم جارتنز ٧٧٩) •

٧١ـ حرض (حرّض)

حث • يقول ابن فارس ان لهذا الباب اصلين : نبت والذهاب والتلف وشبه ذلك (مقاييس ٢/٤١) •

ولكن من دراسة ألفاظ هذا الاصل يتبين ان الاصل هو واحد وهو الاحريض : العصفر عامة • وثوب محرض : مصبوغ بالعصفر • كما ان الحرض والحرض من نجيل السباخ وقيل هو من الحمض • وقيـل هو الاشنان • والحرض الجص ، والحراض الذي يحرق الجص ويوقد عليه النار •

وغاية القول هي ان لهذا النبات لونا أصفر أو ناريا وعليه حمل بقية المعاني مثل الضعف والفساد • يقال الحرض : الفاسد ، وحرض الرجل نفسه : أفسدها ، احرضه المرض ، اذا اشفي منه على شرف الموت • وحرض : هلك • والاحريض : الساقط ••• الخ • وشبه هذا الباب الارقان واليرقان ، وارق ضعف ، سهر ، ومما حمل عليه أيضا حرض : حض ، حث • ومرده ايضا الى ما أصلناه من اللون الناري والايقاد ، مثله مثل اذكى النار ، واذكى الحمية • والحمية هي الاخرى قريبة من هذا أيضا •

وعليه فان ما ذكره ابن فارس من تفسير لكلمة حرض : المشرف على الهلاك وانها أساس حرض ، بمعنى ان من يحرض ويخالف فقد أفسد وأهلك في الآية الكريمة (حرض المؤمنين على القتال) غير صحيح (مقاييس ١/٤١ ، لسان ٨/٤٠٣ـ٤٠٥) •

ونظيره في العبرية حرص : تحمس للشيء ، هاجم وهو من المحمول على الاصل الذي ذكرناه • ولم يقرن كولر باوم جارتنر الاصل العربي بالاصل العبري وانما ذكر نظيرا له خرص ، وهذا كما تبين وهم منه ، لاختلاف المعاني (كولر باوم جارتنر ٣٣٦) •

٧٢ـ حرف (حرف)

غيّر ، عدل عن : ٤ مرات • ويذكر ابن فارس له ثلاثة اصول : حد الشيء والعدول ، وتقدير الشيء (مقاييس ٢/٤٢) • ولا اظنه مصيبا في ذلك فأن هذه الاصول الثلاثة يمكن ارجاعها الى أصل واحد وهو : الحد : الحرف • وعليه حملت بقية المعاني فحرف كل شيء حده ، كالسيف وغيره • ومنه الحرف وهو الوجه ، أي طرف الوجه • وانحرف محمول عليه ، أي تطرف : ذهب الى الطرف وهو الحد • وحرفه : عدل به عن الوسط الى الطرف فمال به • والمحراف : حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج من ذلك ، فهي كالحد ، حد السكين

أو أي آلة • وحرف واحترف : كسب باستخدامه المحراف أصلا ، ثم صار عاما أي كسب • ومنه الحرفة : المهنة ، والحريف : المعامل • (مقاييس ٢ / ٤٢ — ٤٣) • ونظيره في عبرية التلمود والمدراش حرف وكذلك في الارامية اليهودية والسريانية حرف : صار حادا ، ذكيا حرف ، وفي العبرية حِرِف : يقـول قولا حادا ، يلوم (كولر باوم جارتنر ٣٣٥) • وكل ذلك محمول على طرف الشيء وحده •

٧٣ـ حفظ

وعى : ١٢ مرة • وهو يدل على استيعاب الشيء • وهذا احسن من المراعاة التي يذكرها ابن فارس أصلا لهذا الباب (مقاييس ٢/٨٧) • ومن المجاز الحفيظة والاحفاظ : الغضب • وشبيه به وجه له أو عليه حزن أو غضب أو أحب • وذلك مرده الى الاحتفاظ بمشاعر معينة • ونظيره حفص في العبرية بمعنى : أحب ، وفي عبرية التلمود والمدراش حِفِص شيء محفوظ ثمين ، وفي الارامية اليهودية حِفْصا : شيء ثمين وفي السريانية حفـطعل : مجتهـد في ، وفي الفينيقيـة محفص أمر مراد ، محبوب •

٧٤ـ خبط

ضرب : مرة واحدة في قوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) ٢/٢٧٥ •

والاصل في المعنى هو الوطء والضرب ، ثم يحمل على ذلك (مقاييس ٢/٢٤١) فخبط البعير الأرض بيده : ضربها • وخبط الورقة من الشجر : ضربه ليسقط • ويحمل على ذلك الخباط : داء يشبه الجنون• وتخبط في الآية الكريمة من ذلك •

ونظيره في العبريــة حبط : ضرب ، ذرى (الحنطة) وفي عبرية التلمود والمدراش حبط ، ضــرب وكذلك في الارامية اليهودية والسريانيــة والحبشية خفظ : ضرب (كولر باوم جارتنــر ٢٧١ ، بروكلمــان : الموسوعة السريانية ٢٠٩) •

٧٥ـ خذل

ترك • مرة واحدة (وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) ٣/١٦٠ • والاصل يدل على ترك الشــيء والقعود عنــه (مقاييس ١/١٦٥) • يقال خذلت الوحشية : أقامت على ولدها ، وهي خذول • وحمل على ذلك الخذلان : ترك المعونة •

ونظيره في العبريــة حــدل : توقف ، انتهى ، وفي العربية الجنوبيــة خذل : توقف ، انتهى (كولر باوم جارتنر ٢٧٧) •

٧٦ـ درس

عفا ، تعلم تتبع : ٥ مرات • يقول ابن فارس ان الاصل يدل على خفاء وخفض وعفاء (مقاييس ٢/٢٦٧) وهذا صحيح للاصل الاول ، وأما الاصل الثاني وهو الدرس والدراسة : طلب العلم والتتبع فلا يفصله ابن فارس عن الاصل الاول وانما يعده فرعا منه ومحمولا عليــه • وهذا على ما أرى ، من دراسة ألفاظ الباب واللغات السامية الاخرى ، غير صحيح • وعليه ينبغي التمييز بين أصلين : درس عفا ، وداس ، ودرس : طلب وتتبع •

فمن الاول درس المنزل : عفا • والدريس : الثوب الخَلَق ، ودرست المرأة حاضت • ودرست الحنطة : دستها كالطريق الذي يدرس ويمشى فيه (مقاييس ٢/٢٦٧) •

ونظيــــر هـــذا درش في عبرية التلمود والمدراش و درس بحرف السامخ داس بشدة (ليفي ، معجم التلمــود والمــدراش ١/٤٢٦) والامهرية درش ، والاكدية دَ رَ شّ : أساس •

وأما الأصل الثاني وهو درس : طلب العلم ومنه الدراسة فنظيره في العبريـة وفي عبرية التلمود والمدراش درش بالشـين والسريانيـة درَش : طلب تتبع بالشين كذلك ، والحبشية : درس : (بروكلمـان الموسوعة السريانية ١٦٨) • اما درش في الاوجاريتية فمعناها غـير أكيد ، ولهذا لا يستحب الاحتجاج بها هنا •

٧٧ــ دلى

دفع ، دنا : ٤ مرات • والاصل يدل على مقاربة الشيء ومداناته بسهولة ورفق (مقاييس ٢/٢٩٣ــ٢٩٤) • وقد يكون الدلو هو الاسـاس ثم فرع عليه • فيقال ادليت الدلو : ارسلتها في البئر ، فاذا نزعت فقد دلوت • والدلو : ضرب من السير سهل • ومن المجاز ادلى بمحبته : اتى بها وأدلى بماله الى الحاكم من ذلك • ومن المحمـول كذلك ، داليت الرجل : داريته •

ونظيره في الاكدية دَلَوُ ، استقى المـاءَ وفي الاراميـة اليهودية دلاَ ، دلِي : دلو ، استقى ، وكذلك في عبريـة التلمـود والمدراش ، وفي السريانيـة دلا والحبشيـة دلو بالمعنى ذاتـه ، وكذلك في العبرية دلى • ويرجـع ذلك كلـه الى دلو المـاء من البئـر (كولر بـاوم جارتنر ٢١٠ ، بروكلمـان ، الموسوعة السريانية ١٥٤) •

٧٨ــ ذكا (ذكى)

ذبح : مرة واحدة في الآية الكريمة (وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) ٥/٣ ، والاصل يدل على حدة الشـيء ونفـاذ (مقاييس ٢/٣٥٧) فمنه يقال للشمس : ذكاء لانها تذكو كما تذكو النار ، والصبح : أي ذكاء ، لانه من ضوئها •

ومن معنى الحدة الذبح والنار ، ومن ضوء النار الطهـارة التي هي من صفات الضوء الساطع ومن صفات النار أيضا يقال ذكيت الذبيحة وذكيت النار ، وذكوتها : زدتها اشتعالا • والذبح في ذكى فيه أيضا معنى الطهارة والنقاوة مما ليس في لفظة الذبح السائدة • ومن المحمول عليه ذكاء الانسان أي سرعة الفطنة ، يقال ذكي يذكى •

ونكيره في العبرية زكى يطهر نفسه ، وكذلك في الاكديـة زَ كَ و ، وفي الاراميـة اليهوديـة دكا ، دكى ، وفي آراميـة التـوراة زاخُو والسريانية دخي ، دخا : يتطهر (كولر باوم جارتنر ٢٥٥ ، بروكلمان ، الموسوعة السريانية ١٥٢) •

٧٩ــ ذوق

طعم ، اختبر : ٥٨ مرة • والاصل فيه اختبار الشيء (مقاييس ٢/٣٦٤)• يقال منه ذق هذه القوس : انزع فيها لتخبر لينها من شدتها •

وذقت فلانا وما عنده : خبرته • ومن المجاز يقال : ذقت المأكول • والذواق المأكول والمشروب • (لسان ١١/٤٠١ــ٤٠٢) •

ونظيره في السريانيـة داق : ضبط ، دقق ، وفي الاراميـة اليهوديـة دَقِقـا دقـة ، ضبط ، أَدِّيق : تأمـل بدقـة ، دَيـق : يظهـر بدقة وتأمل (بروكلمان ، الموسوعة السـريانية ١٤٦ ، ليفي معجـم التلمود والمدراش ١/٣٨٤ــ٣٨٥) •

٨٠ــ رحم

عطف على : ٢٨ مرة والاصل يدل على الرقة والعطف (مقاييس ٢/٤٩٨) • واظن ان الاصل في ذلك هو الرحم : رحم الانثى لان منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد ، بخلاف ابن فارس الذي يجعل الرحمة هي أصل الرحم ، واعتقد ان الاولى ان يكون الشيء المادي هو أصل الشيء المعنوي المجرد كالرحمة • هذا اضافة الى ان أعضاء

الانسان هي من الالفاظ السحيقة في القدم . ويقال من ذلك : شاة رحوم اذا اشتكت رحمها بعد النتاج ، وقد رحمت ورحمت . ثم حمل على ذلك رحمة : رق له وتعطف عليه . والرحم : علاقة القرابة . ونظيره في الاكدية ر ي مُ والاوجاريتية : رحم : حب ، عطف ، وفي العبرية رحم رحم ، احب . وقد ورد هذا الاصل في جميع اللغات السامية الا الحبشية ، وليس صحيحا ، كما أرى ، ما ذكره كولر باوم جارتنر من ان النظير العربي لهذا الاصل هو رخم ، فان رخم لا يجانس في حروفه ولا في معناه الاصول التي ذكرناها ، واقرب منه ، كما قلنا، هو رحم (كولر باوم جارتنر ٨٨٥) .

أما بروكلمان فقد ذكر ماذكرنا ، من أصل عربي للاصول السامية الاخرى (بروكلمان الموسوعة السريانية ٧٢٣) .

واما نظير الرحم فهو ر ي مُ في الاكدية رَحْمَا في الارامية اليهودية ورَحْما في السريانية .

٨١ــ رغب

طلب ، أراد : ٤ مرات ، يذكر ابن فارس معنيين لهذا الاصل : طلب التجاء والاخر سعة في العيش (مقاييس ٤١٥/٢) . وأظن ان المعنى الاول يرجع للاخر . فان السعة في الشيء قريب منها الاحتواء والضم . ومن ذلك الرغبة في الشيء واليه وعنه . ورغب النفس : سعة الامل وطلب الكثير . ورغب : اتسع وواد رغب : واسع وطريق رغب كذلك. والرغيب : الواسع الجوف . رجل رغيب الجوف ، اذا كان أكولا ، حوض رغيب وسقاء رغيب : واسع . ومحمول على ذلك رغب : طلب اراد : حرص على الشيء (لسان ٤٠٦/١ــ٤٠٨) ونظيره في العبرية رعب : جاع ، أي رغب في الاكل . فالمعنيان متدانيان وفي عبرية التلمود والمدراش هِرْعيف ، وفي الاوجاريتية : رغب : جاع ولم يقرن كولر باوم جارتنر الاصل العربي بالاصول السامية الاخرى ، وذكر

بدلا منه رغى : وهو أصل لا يتفق مع الاصول الاخرى لا من جهة حروفه ولا من جهة معناه (كولر بـاوم جارتنر ٨٩٨) • وكذلك لم يورد ليفي ذكر الاصل العربي رغب نظيرا للاصول الاخرى ، كما لم لم يورد أي أصل عربي آخر (معجم التلمود والمدراش ٤/٤٥٨) •
أما ايستلايتنر (معجم اللغة الاوجاريتية ٢٩٥) فقد ذكر : رغـب الا انه لم يفسر اشتقاقها ومعناها •

٨٢ـ زلف (ازلف)

قرب : ٤ مرات • الاصل يدل على اندفاع وتقدم في قرب الى شـيء (مقاييس ٣/٢١) ويبدو لي من دراسة بقية المعاني في اللغات السامية الاخرى ان الاصل هو اندفاع الشيء رويدا رويدا •

يقال الزلف : الاجاجين الخضر التي تقطر ماء عند امتلائها ، أو الصفحة الممتلئة وعلى التشبيه المرآة • والزلفة : البركة تطفـح • والزلف : مصانع الماء جمع زلفة : مصنعة الماء • الزلف : الغدير • المزلفة القرى التي بين البر والبحر ••• الخ (لسان ١١/٣٨ـ٤٠) •

ونظير ذلك في عبرية التلمود والمدراش زلف : قطـر ، انـزل قطـرة قطرة ، وكذلك في الارامية اليهودية ، زلوف : اندفـاع الخمـر من الآنية (ليفي ، معجم التلمود والمدراش ١/٥٣٩) وفي السـريانية : زلـف ، زلفتا : رفاء ، محارة مثل زلفة : محارة (لسـان ١١ / ٣٩ ، بروكلمان الموسوعة السريانية ١٩٨ • هذا ولم يورد ليفي في معجمه النظير العربي للاصول السامية خلاف بروكلمان في موسوعة • ومن نزول الماء أو أي سائل آخر قطرة قطرة جاء معنى الاقتراب : الزلف والزلفة والزلفى : الدرجة أيضا • وازلف الشيء : قربه • ولهذا يكون معنى الآية (وأزلفنا ثم الآخرين) ٦٤/٦ ، أي : قربناهم من الماء • والزلفة الطائفة من أول الليل من ذلك أيضا •

٨٣ـ زلق (ازلق)

صعق • مرة واحدة (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) ٥١/٦٨ • والاصل يدل على تزلج الشيء (مقاييس ٣/٢١) • ويمكن ان نضيف الى ذلك قولنا : الاصل يدل على تزلج وبرق • اذ ان مرد ذلك الى الماء الذي ينزل من السحاب مصحوبا بالبرق ، كما تشير الى ذلك ألفاظ الباب في اللغات السامية الاخرى • يقال : الزلق الزلل بسبب وجود الماء وكذلك المكان أزلقت الحامل : اذا ألقت ولدها ، أي اذا القت الماء ولم تقبله رحمها • الزلق الذي اذا دنا من المرأة رمى بمائه قبل أن يغشاها • تزلق : اذا تنعم حتى يكون للونه بريق وبصيص • والتزلق صبغة البدن بالادهان ونحوها • واما يزلقونك بأبصارهم في الآية الكريمة ، فأظن ان أقرب شيء الى معناها هو الآية الكريمة (يكاد البرق يخطف أبصارهم) ٢/٢٠ ، أي أي يكادون ببريق أبصارهم أن يخطفوك ويصرعوك (لسان ١٢/٩ـ ١١) •

ونظيره في الارامية اليهودية زليقا : برق وفي السريانية زَلّيقا : شعاع ، برق ، وفي صيغة المزيد بالالف : ابرق ، لمع (بروكلمان الموسوعة السريانية ١٩٨) • هذا ولم يذكر ليفي ، معجم التلمود والمدراش ١/٥٣٩) النظير العربي للاصول السامية ، بينما اتى بروكلمان على ذكره في موسوعته •

٨٤ـ سب

شتم : مرتين • اصلان ، احدهما يدل على القطع ثم اشتق منه الشتم (مقاييس ٣/٦٣) والاخر ، السبب : الحبل وهو من أصل يدل على طول وامتداد (مقاييس ١/٦٤) •

فمن الاصل السب : العقر ، يقال سببت الناقة ، اذا عقرتها • وسب : شتم ونظير هذا في السريانية سِبًّا : عـورة (بروكلمـان الموسوعـة السرينانية ٤٥٤) وفي الاوجاريتية ، على ما أظن سب ، من سـبب ، وفي عبرية التلمود والمدراش سبب يحوم ، يقطـع ، وفي الاراميـة اليهوديـة سـوڤا : اطـار حـدود ، وفي العبريـة سبب يتحـول ، يدور يلتفت ، يجلس حول مائدة ••• الخ (كولر باوم جارتنر ٦٤٦) • ومما لاريب فيه ان هنالك صعوبة في الربط بين معنى القطع ومنـه الشتم في العربية والسريانية وبين معنى الدوران والتحول والاحاطة الذي في العبرية والارامية • ولكن أقرب تفسير يترامى لي هو المعاني المستفادة من قطع في العربية ومنها المجاز : قطع مسافة ، والقطيعة : الهجران ، وفي الدعاء على الانسان في اللهجات عندنا بمعنى : بعـد وهجر • الا ان الذي يبدو لي والله أعلم ان في معنى سب ونظائره القطع بشكل دائري ، وليس القطع عموما فقط ، وعندئذ يقرب الى التصور اشتقاق معنى : قطع المسافة والاحاطة والالتفات والحوم • وقد أورد كولر باوم جارتنر سنن : جعل نظيرا للاصول السـامية ، وهذا على ما أظن ، بعيد في حروفه وفي معانيه الاخرى عن الاصول السامية •

أما الاصل الثاني لسب في العربية فهو السبب : الحبل ، وكل ما يتوصل به الى غيره ، كما في الآية الكريمة (فليرتقوا في الاسباب) ١٠/٢٨ ، وقد تسبب اليه : توصل ، والسب : الحبل في لغة هذيل والسـبب والسبيب والسبيبة المضلة من الشعر (لسان ١/٤٣٨–٤٤٢) •

ونظـير هذا في السـريانية شَف : ذهب ، وارسـل شڤِي : أورده ، جمع وربد (بروكلمان ، الموسوعة السريانية ٧٤٩) وفي الاكديـة شِن بڠ : حزام وهكذا لا نكون خرجنا بهذا الاشتقاق عن القاعدة المعروفة في تجانس الحروف في اللغات السامية : وهي : —

١ ـ شين في الاكدية = شين في العبرية = شين في الارامية = سين في العربيـة •

٢ ـ سامخ في العبرية = سامخ = الارامية = سين في العربية •

فتكون النتيجة انه قد اندمج في العربية أصلان أحدهما فيه سين منقلبة عن شيء والآخر فيه حرف س أصلي ، وهما متباينان في المعنى •

٨٥ـ سجر

اوقد ، ملأ : مرتين • يقو لابن فارس ان لهذا الباب ثلاثة اصول : الملء والمخالطة والايقاد (مقاييس ٣/١٣٤) • وادنى من ذلك بدلالة اللغات السامية الاخرى أيضا ان يكون له معنيان بدلا من ثلاثـة : الملء ، والايقاد • واما المخالطة فأظنها مشتقة من الايقـاد ، لان من لوازم النار تعدد الالوان ولاسيما الحمرة والسواد والبياض • فاذا قيل : عين سجراء اذا خالط بياضها حمرة فانه من هذا الباب • وكذلك السجير : الصاحب والخليط من الايقاد والمرارة التي تصاحبه ، كمـا يقال : صديق حميم •

فمن المعنى الاول ، الملء : البحر المسجور : المملوء • ويقال للموضع الذي يأتي عليه السيل فيملؤه : ساجر • ومنه أيضا : الشعر المنسجر : المسترسل من كثرته (مقاييس ٣/١٣٤) ونظيره في العبريـة سَگرِير مطر مدرار ، وفي عبرية التلمود كذلك بالمعنى ذاته ، وفي الاراميـة اليهوديـة سَگرِيرا والسريانية سَگْرا : مطـر غزيـر ، وكذلك في السامرية أسْگر (كولر باوم جارتنر ٦٥٠) •

وقد فصل كولر باوم جارتنر وبروكلمان (الموسوعة السريانية ٤٦٠) هذا الفصـل عن سگـر في السريانيـة وسگر في العبريـة وسـگر (في الارامية اليهودية وآرامية التوراة و : س ج ر في الاوجاريتيـة

والكل بمعنى : اغلق ، سد • ولا احسب هذا صحيحا فان المعنيين متقاربان ، فقد يغلق الشيء بعرض ما أو بماء وفي العربية غلب على ذلك الماء • وان جاء أيضا ان الساجور : القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب • سجر الكلب والرجل : وضع الساجور في عنقه (لسان ٦/١٠) وهكذا نكون قد وجدنا النظائر السامية الموافقة للاصل العربي لفظا ومعنى •

وأما الاصل الآخر فهو الايقاد يقال : سجرت التنور : أوقدته • والسجور : ما يسجر به التنور والحطب •

ونظائره شگر في السريانية أشْگر (في الارامية اليهودية بمعنى : أوقد كما احسب ان شگر في السريانية وشگر في الارامية اليهودية بمعنى : رمى من ذلك أيضا • اذ ان الاصل هو رمى الحطب في النار للايقاد ، ثم اجرى ذلك على عموم الاشياء • وقد فصل بروكلمان وليفي هذين المعنيين عن بعضهما وفسر بروكلمان السريانية بأنها صيغة = شفعل من : جرر متابعا في ذلك المستشرق شولتهايس • وهذا طلب بعيد المتناول (بروكلمان الموسوعة السريانية ٧٥٦ ، ليفي معجم التلمود والمدراش ٤/٥٠٩) •

٨٦ــ طحى

بسط : مرة واحدة • في الآية الكريمة (والسماء وما بناها • والارض وما طحاها) ٦/٩١ ، والاصل يدل على البسط والمد (مقاييس ٣/٤٤٥) ، يقال : طحا بك همك : ذهب ، مد ، الطاحي : الممتد (لسان ١٩/٢٢٧ ـ ٢٨٢) • ونظيره في العبرية كِمْطَحْقي قِشِت رمية قوس (كولر باوم جارتنر ٣٥١) •

٨٧ــ طمس

محا ، غطى : ٥ مرات • وقد ورد الفصل في القرآن الكريم مرتين مقترنا بحرف الجر (على) ، وثلاث مرات بدون ذلك • والاصل يدل على محو الشيء ومسحه (مقاييس ٣/٤٢٤) وبمقارنة هذا الاصل باللغات السامية الاخرى يمكن ان نقول ان الاصل يدل على اختفاء شيء في شيء آخر مثل : الطامسة : الجبال التي غطاها السراب فلا ترى • وطمس في الارض : دخل فيها اما راسخا واما واغلا • وطمس يتعدى ولا يتعدى ، وانطمس : محي ودرس • وفي القرآن الكريم (ولو شئنا لطمسنا على أعينهم) : أي غطينا فصاروا كالعميان • وقوله تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) : أي نمحوها ونخفيها (لسان ٧/٤٣٢ــ٣٣) •

ونظيره في الارامية اليهودية طمش وفي السريانية : غاص ، غط في الماء وغيره • وقريب منه جدا المعنى المتداول في لهجة العراق : طمس بضم الطاء بلهجة بغداد ، وبفتحها في اللهجة الشمالية بمعنى : غاص أو غط في الماء •

ولم يقرن أحد هذا الاصل العربي بالاصول السامية الاخرى ، على ما أعلم • أما بروكلمان فقد ذهب الى ان النظير العربي للاصول السامية آنفة الذكر هو : طمث وانني اعتقد ان معنى طمث بعيد عن الاصول السامية المذكورة وأقرب اليها الاصل الذي ذكرناه وهو طمس (بروكلمان : الموسوعة السريانية ٢٨٠ ، ليفي : معجم التلمود والمدراش ٢/١٦٧) •

٨٨ــ ظلم

جار على : ١٠٩ مرات • ويذكر ابن فارس لهذا الاصل معنيين : احدهما خلاف الضياء والنور ، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعديا (مقاييس ٣/٤٦٨) ولكن من دراسة الالفاظ السامية المناظرة نستطيع

ان نقول ان الاصل واحد وهو : الظلام ومن هذا احتمل معنى الظلم والتعدي • واشير هنا الى عشق من العبريـة والارامية بمعنى : ظلم ، اضطهد ، وغسق الليل اذا أظلم • فالظلام والظلمة من المعاني الماديـة التي يمكن ان يشتق منها معاني مجردة كالظلم والجور والاضطهاد وقريب منه أيضا : ليلة غدرة : أي مظلمة وما اشتهر من ذلك من معنى الغدر والكيد (مقاييس ٤/٤١٣ ، لسان ١٢/١٦٢) •

ونظير ظلم في الاكدية صَ ل ا مُ : اسودّ ، وفي الارامية اليهوديـة طلـمَ والسريانيـة طلَم : اضطهـد طالوُميا ظلـم ، اضطهـاد (بروكلمان : الموسوعة السريانية ٢٧٧ ، ليفي ، معجم التلمود والمدراش ٢/١٦١) •

٨٩ـ عبس

تجهم ، غضب : مرتين • والاصل يدل على اليبوس ومنه اشتق تكره الشيء (مقاييس ٤/٢١١) • فالقبس : ما يبس على هلب الذنب من بعر وغيره • وهو من الابل كالوذح من الشاء • وفي الحديث : أنه مر بابل قد عبست في أبوابها ثم اشتق منه : اليـوم العبوس : الشـديد الكريه ، وعبس الرجل يعبس بوسا •

ونظـيره في العبرية عبش : يبس ، جف (كولر باوم جارتنر ٦٧٨) •

٩٠ـ غرف (اغترف)

اخذ ، تناول باليد : مرة واحدة في الآية الكريمة (ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده) ٢/٢٤٩ • يقول ابن فارس ان هـذا الاصل لا تنقاس كلمه بل تتباين (مقاييس ٤/٤١٨) ، وقوله تتباين صحيح ، ولكن قوله لا تنقاس غير صحيح على ما اظن • فالاصل كما تدل الفاظ الباب يدل على اقتطاع شيء • فمن ذلك غرف الماء واغترفه وما اشتق منه وحمل عليه ، ومنه غرف ناصية الفرس جزها وحلقها • ومن المحمول على القطع والاقتطاع : ناقة غارقة وخيل مغارف : سريعة (لسان ١١/١٦٩ـ١٧٣) •

ونظيره في الاكدية أَ رْ پُ ، أَ رْ پَ ةُ : سحاب وفي عبرية التلمود مَعَرَف عَنَـان قطر الغيث ، وفي العبرية عرف يقطر وعرف (العنق) = غرف الناصية : جزها وقطعها ، وغرف الشيء قطعه فانغرف انقصف : انغرف العظم : انكسر •

يتبين مما تقدم ان غرف يدل على الانقطاع سواء اغتراف الماء وما اشتهر منه مثل نهر غراف : كثير الماء وغيث غراف : غزير ، أو قطع الشيء وكسره •

ولهذا لا احسب كولر باوم جارتنر محقا في جعل عرف : يقطر وعرف يكسر أصلين وانما هما أصل واحد (كولر باوم جارتنر ٧٣٨) • كما لم أجد أحدا قد فطن الى النظير العربي للاصول السامية الاخرى •

٩١ـ نحت

قطع ، نقص برا : ٤ مرات ، ثلاث مرات تتحدث الآيات عن نحت بيوت من الجبال ومرة تتحدث عن نحت اصنام لعبادتها • والصفة الغالبة هي نحت الحجر ، وقد تتعلق الآية الرابعة بنحت الخشب •

والنحت يتضمن حفر الشيء وقطعه وتسويته • فالمعنى هو الدخول في الشيء من أعلى الى أسفل والنفاذ فيه ثم تسويته حسب الصورة المطلوبة ويقول أبن فارس ان الباب يدل على نجر شيء وتسويته بحديدة (مقاييس ٥/٤٠٤) • ولا أظن ان استخدام حديدة شيء لازم • فقد ينحت بأي شيء • فالحافر النحيت الذي ذهبت حروفه ، وجمل نحيت : انتحتت مناسمه (لسان ٢/٤٠٣) • والنحيتة : الطبيعة من طبع ، والغريزة من غرز والكل فيه معنى الدخول في الشيء من أعلى الى أسفل •

ونظيره في الاوجاريتية : ن ح ت : سوى ، قشر (ايستلايتنر ، معجم اللغة الاوجاريتية ٢٠٤) وقد وردت اللفظة ايضا في ارامية العهد

القديم نزل ، وضع ، هوى وفي السـريانيـةنحِت : نـزل ، هبـط ، وفي العبريـة : نحت غار ، تغلغل ، عمق (الشقوق) سـواها (كولر باوم جارتنر ٦١١ ، بروكلمان الموسوعة السريانية ٤٢٤) • والم يشر هذان المصدران الى النظير العربي الذي ذكرناه للاصول السـامية الاخرى • الا ان بروكلمان ذكر نظيرا آخر هو : حت ، وكما تبـين لا تتناظر حروف هذا الاصل مع الاصول السـامية ، كما ان المعنى أيضا مختلف وان كان فيه بعض معنى الاصل السامي • اما ايستلايتنر فقد ذكر الاصل العربي الذي ذكرنـاه وهو : نحت نظيرا للاصـل الاوجاريتي ، ولكنه اهمل ذكر الاصول السامية الاخرى لعدم ثقته من تجانس معانيها مع المعنى في العبرية والاوجاريتية وهذا لا مسوغ له ، لان معاني الاصول كلها متماثلة كما بينا •

٩٢ــ هم

أراد : ٩ مرات • والاصل يدل على جريان ودبيب (مقاييس ٦/١٣) • همني الشيء : اذا بني ، وانهم الشـحم : ذاب • السـحاب الهاموم : الكثير الصوب والهميمة : المطرة الخفيفة والريح الليـنـة الهبوب • الهوام حشرات الارض وهم في رأسه : جعل اصابعه تدب في خلال شعره • ومن المجاز الهم : الحزن لمـا يسبب من حركـة وقلق • وهم بالشيء : أراد فعله ، أي تحرك لفعله • والهمة من ذلك ، وكذلك الهمام : العظيم الهمة : أي ارادة الفعل • واهمني : أقلقني أي حركني• ونظـيره في العبرية همم : يثير الاضطراب والحركـة (في معسكر) يستفز (الناس من مكان) ، يحرك (كولر باوم جارتنر ٢٧٣) •
وفي عبريـة التلمـود همم : بحث ، أثار الاضطـراب وفي الاراميـة اليهودية بحث في الارض ، سـبب اضطرابا (ليفي : معجم التلمـود والمدراش ١/٤٧٦ــ٤٧٧) •
ولم يذكر كولر باوم جارتنر ولا ليفي نظيرا عربيا للاصول العبريـة والارامية •

مصـــادر البحـــث

أ ـ المصـادر العربيـة

١ ـ ابن فارس ، احمد القزويني (مت ٣٩٥٠/١٠٠٥) : معجم مقاييس اللغة . نشر عبد السلام محمد هارون ، ٦ جـ . القاهرة ١٣٦٦–١٣٧١هـ .

٢ ـ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (مت ٧١١٠/١٣١١) : لسان العرب. عشرون جـ. طبعة مصورة عن طبعة بولاق (سلسلة تراثنا) الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة .

٣ ـ الجواليقي ، موهوب بن احمد (مت. ٥٣٩/١١٤٤) : المعرب من الكلام الاعجمي . نشر وتحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٦١/١٩٤٢ .

٤ ـ عبدالباقي ، محمد فؤاد : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (سلسلة كتاب الشعب) مطابع الشعب . القاهرة .

٥ ـ القرآن الكريم : تفسير الجلالين . المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٨٥هـ .

٦ ـ معجم الفاظ القرآن الكريم (منشورات مجمع اللغة العربية) مجلدان . ط ٢ . الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٣٩٠ ـ ١٩٧٠ القاهرة .

ب ـ المصادر الاجنبيـة

1. Aistllitner; Josef: Worterbuch der Ugaritischen Sprache, Hrsg. von Otto Eissfeld. Akademie Verlag. Berlin 1963.
2. Brockelmann, Carl: Lexicon Syriacum. Eitio secunda aucta et emendata. Halis Sax. 1928.
3. Couemi, Moustapha: Le Verbe dan le Coran, Racines et formes. Paris. Klincksieck 1966 (Etudes arabes et islamiques. Serie 3 Etudes et documents VI).
4. Fraenkel, Siegmund : Die aramaischen Fremdworter im Arabischen. Leiden 1886.
5. Jacobi, Renate: Rewiew of: Moustapha Chouemi, Le Verbe .... (In Oriens. Vol. 21-22/1968-69. S. 396. Leiden. E.J. Brill 1971.
6. Koeler, Baumgartner: Lexicon In Veteris Testamenti Libros Leiden 1953.
7. Levy, Jacob: Neuhebraisches und chaldaisches worterbuch uber die Talmudim und Midraschim. 4. Bde. Leipzig 1876-89.
8. Muller, W. Walter: Die Wurzel Mediae und Tertiae Y/W in Altsudarabischen. (Inaugural Dissertation).
9. Wensinck, A. J.: Concordance et indices la tradition musulmane. Tom. 1-4ff. Leiden 1936—62ff.
10. Zimmern, Heinrich: Akkadische Fremiworter als Beweis fur bahylonischen Kultureinfluss. 2. Aufl. Leipzig.

علم اجتماع الثورة وخصائص المجتمع الثوري

د . فوزيه العطيه
استاذة علم الاجتماع المساعده
كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمه :

من المتفق عليه بين علماء الاجتماع ان علم الاجتماع وليد الازمات الاجتماعية والثورات . وبالرغم من المكانه المرموقه التي يحتلها هذا العلم والنتائج الايجابيه التي حققها فان فرعاً من فروعه ، هو علم اجتماع الثوره، لا زال يعاني من الاهمال ، رغم الدراسات العديده التي قام بها عدد من المفكرين الكبار ، امثال جون لوك J. Locke في انكلترا وجان جاك روسو J.J. Rousseau ومكسمليان روبسبير M. Robespierre في فرنسا وتوماس جيفرسون Th. Jeferson وجورج واشنطن G. Washington في امريكا الشماليه وغيرهم ، في مجال الثوره وحق الشعب في القيام بها والبواعث لنشوبها . لقد اتسمت تلك الدراسات بالطابع المثالي، الامر الذي ترك اثره السلبي المباشر في نمو وتطور علم اجتماع الثوره في الازمنه الحديثه . فقد استخلص جون لوك النتائج التي توصل اليها عبر الاحداث الاجتماعيه والسياسيه وعبر عنها بمذهبه الخاص بسيادة الشعب وحقه في الثوره . حيث يرى ان التعاقد بين الشعب والملك ضروري لتنظيم العلاقة وسيادة السلام في المجتمع ، ولكنه يرى ضرورة اقرار حق الشعب في الثوره ، حينما تتجاوز سلطة الدولة حدود التفويض الممنوح لها ، لالغاء العقد والاطاحه بالسلطه . الا انه اعتبر الملكيه الخاصه حقاً طبيعياً مقدساً لا يمكن الغاؤه او المساس به .

ان تلك الدراسات لم تكشف عن العوامل التي تؤدي الى نشوب الثورات ، وانما اكدت فقط على ان الاساليب الثوريه والثوره تتطلبها الحقوق الطبيعيه للانسان وليس بسبب نضج وتطور الحاجات الماديه اللازمه للتغير والتطور الاجتماعي . لقد مهدت تلك الافكار المثالية ، الطريق للتحولات الاجتماعيه والاقتصاديه العميقه في المجتمعات الحديثه . وقد نشر فرانسواشاتوبريان F. Chateabriand مؤلفه الموسوم (محاولة تاريخيه سياسية واخلاقية في لندن عام ١٧٩٧ ، درس فيه الثورات وعلاقتها بالثورة الفرنسية ، وقد استخدم في دراسته منهج المقارنة . وذهب الى ان الثورة تعني انقطاع التاريخ ، اي انها تفصل بين مرحلتين حيث ان الفكر والاخلاق والقوانين تتناقض في الفتره التي تعقب الثوره عما قبلها[1] .

وحدد للثورة مجالها الطبيعي الخاص ودائرتها التي يحدد محيطها الشعب أو قائد محنك ذو قدرات خارقة تمكنه من تحقيق اهداف الثورة .

لقد بقيت نظرة شاتوبريان هذه غير معروفه ، وظل مؤرخو الثورات يدورون في صراع حاد ويخوضون في متاهات مختلفه من اجل تحديد اسباب الثورة وحدودها التاريخية الخاصة بها . وقد سيطرت في أواخر القرن الثامن عشر افكار رواد الفلسفة الالمانية الكلاسيكية المناوئة للاساليب الثورية . فقد عارض ايمانويل كانت Kant الثوره ودعا الجماهير للخضوع الكامل لرأي حاكم ارهابي ، وقد كانت عقيدته الاصلاح لا الثوره ،وعلى يد الصفوه élite أو السلطه لا على يد الجماهير او الشعب .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ علم الاجتماع البرجوازي يعارض افكار الثورة الاجتماعية ويرفض مباداءها ويضع بدلها مفهوم التطور

---

(١) شاتوبرياند مفكر فرنسي (١٧٦٨ ـ ١٨٤٨) ، هاجر الى اميركا ثم عاد اثناء الثوره الفرنسيه الى فرنسا ثم هاجر الى انكلترا وعاش فيها في عام ١٧٩٢ . انظر

André Decouflé, Sociology des Révolution, P.U.F. France 1960. p. 5

الاجتماعي الذي يمكن ان يتحقق بصوره تدريجيه وتلقائيه لاحداث التغيرات الاجتماعيه المطلوبه .

وقد شبه هربرت سبنسر الثورة الاجتماعية بالاوبئة والمجاعات التي تؤدي الى خلق الاضطراب الاجتماعي والتفكك وتؤدي الى احداث الفوضى بدلا من النظام والاستقرار . كما أعلن فردريك نيتشة F. Nitzsché العداء للثوره ورفض التغيرات الاجتماعيه الفجائيه والجذريه[٢] .

ان علم اجتماع الثوره يتعرض لاخطار كبيره تتحدد بهوية الذين يبحثون فيه ، الامر الذي أدى الى اختلاف النظريات التي يقدمها علماء الاجتماع لتحديد معنى الثورة .

معنى الثورة وانواعها :

يؤكد اغلب المؤلفين الذين كان طموحهم دراسة الثورات دراسة مقارنة من اجل التوصل الى تحديد السمات الاساسيه للثوره ، على ان دور علم اجتماع الثوره يمكن ان يختلف تبعا للاتجاه الفكري للباحث في هذا الموضوع ، حيث ان هذا العلم يجمع بين افكار وقيم متنوعه يمكن للملاحظ ان يميز بينها ويحدد هويتها .

لقد اجمع المؤلفون الاوربيون المحدثون على الربط بين الثوره والتصنيع واعتبروا التصنيع من خصوصيات الجماعات التي تتمكن من استيعاب المنافع الاجتماعيه التي يحققها ، ولذا فهي لا تتمكن من معرفة مزاياه وتوضيحها ، اما القادة الثوريون فيمكن تصنيفهم الى فئات وشرائح مختلفة وذلك مثل المثقفين والعمال والفلاحين والعسكريين . اما المفهوم الواسع الانتشار فهو (القوى الثوريه) ، التي يعتمد في وجودها على العمل الجماعي في المجتمع ، وهي بهذا التحديد يمكن ان تضم الطبقه العامله او الفئات الفلاحيه أو المراتب الوسطى التي تخضع وتذعن لمصالحها ولضغط الاحداث الثوريه او لتلقائيتها التي تحددها قدراتها المختلفه .

---

(٢) إيوري كرازين ترجمة شوقي جلال ، علم اجتماع الثوره ، دار الثقافه الجديده ١٩٧٤ ، ص ١١ .

لقد تنوعت تعريفات الثورة واختلفت اختلافاً متباعداً حتى وصلت الى اخضاع اهم التحولات الثورية والانقلابات العسكرية والتعديلات الوزارية اليها فمجموعة الدراسات التي قدمها مركز الدراسات الدولية فـي جامعة برنستون والتي تضمنها كتاب « الحرب الداخليـــة » حيث تمثـــل الثورة الموضوع الرئيس فيه وقد جاء فيه «ان الثورة تعنى محاولة استخدام العنف أو التهديد بالعنف لتغيير ساسة حكومة او تغيير الحكام[٣] • » وهذا يؤكد ان تعريف الثورة لم يقتصر على تغيير سياسة الحكومة فحسب وانما ضيق الدائره فحصرها بالتعديـلات الجزئيـة التي يتعرض لها نظام الحكـم أو التعديلات السياسيه الطفيفه •

ويعرف المفكر الانكليزي برينتون الثورة بانها « محاولة خارجه على القانون وتتسم عادة بالعنف لغرض تغيير الحكم القائم »[٤] • هذا التعريف يقتصر على العلاقات السياسيه البسيطه ويمحو الحدود الفاصله بين الثوره التي تهدف الى اجراء تغييرات جذرية شاملة وبين التغييرات السياسية الجزئية التي قد لا يترتب عليها أي تغير جوهري في الحياة الاجتماعية والحضارية • كما يتضمن هذا التعريف مفاهيم الثورة والثورة المضادة • اما ســيجمون نيومان S. Neuman فيقول « ان الثورة تعني التحولات الجذرية للتنظيم السياسي والبنية الاجتماعية ونظام الملكية الاقتصــادية بل ويشـــمل حتى الاسطورة السائدة »[٥] • ويعتبر الثورة طفرة في التطور التاريخي وبذلك يفصل بينها وبين الانقلاب الا انه لا يفصل بين الثورة والثورة المضادة •

ان الثورة الاجتماعية تمثل صورة من صور الانتقال من وضـــع الى آخر ، ويكون الهدف الاساسي فيها الغاء العلاقات الانتاجيــه التي تعوق التقدم الاجتماعي • وقد تحدث اثناء التحولات الفجائية الثورية ثورة مضادة

---

(٣) يوري كرازين ، المصدر السابق ص ٢٦ •

(٤) نفس المصدر ص ٢٧ •

(٥) وهذا ما يمكن ملاحظته في مسار الكثير من الثورات في البلدان الناميه •

أو فترات وفاق سياسي ، وهذا هو السبب في ان الثورة الاجتماعية يجب ان تصاحبها ثورات سياسية وذلك مثل الثورة الفرنسية بين عامي ١٧٨٩-١٨٧١ ، التي استغرقت زمناً طويلا • وتعمل الثورة السياسية على اكمال مهمة الثورة الاجتماعية ، وهذا ما جعل الثورة الاجتماعية صورة من صور الانتقال الفوري من وضع اجتماعي ـ اقتصادي بال الى وضع اكثر تقدماً في خاصيته المميزة له ومحتواه السياسي ، من اجل انتقال السلطة السياسية الى الطبقات الثورية في المجتمع •

ان أية محاولة لفهم وتعريف الثورة بمعزل عن سياق الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية المميزة سيحول دون مشاركة علماء اجتماع الثورة في تحديد مسارها ولا يمكن ايضاح الميكانيكية التي توضح كيفية نشوء وتطور العملية الثورية •

وثمة عدد من علماء الاجتماع عملوا في اطار المنهج البنيوي الوظيفي بهدف كشف المصادر الموضوعية للتغير الثوري داخل نسق الظواهر الاجتماعيه • ومن ابرز ممثلي هذا الاتجاه تالكوت بارسونز T. Parsons الذي يعتبر الثورة انحرافاً مرضياً يؤدي الى خلخلة التوازن في بناء السلطة • اما روبرت ميرتون فيطرح مفهوماً خاصاً به اسماه « الاختلال الوظيفي » ليبرز من خلاله الصراع الاجتماعي في النظرية الوظيفيه البنيوية • ويعتقد ميرتون ان الاختلافات الوظيفية قد تؤدي بالمجتمع الى حالة عدم التوازن والاستقرار ، وهنا يصبح التمرد هو الرد أو الاستجابه لهذه الحالة ، وعندما يصبح التمرد مستقراً في جزء أساسي من المجتمع فانه يشكل قوة كامنة للثورة التي تعيد تشكيل البنية المعيارية والبنية الاجتماعية[٦] •

---

6. Robert K. Merton, Social theory and social structure, Enlarged edition, New Delhi, 1968 p.p. 109—245.

ويرى جونسون ان النموذج المجتمعي الوظيفي البنيوي قد يعتبر انعكاساً لمجتمع مستقر Static • وان" الصفة الاساسية لهذا النموذج المثالي هي حالة السكون والتوازن ، وهذا مالا يمكن تحقيقه بصوره تامه • وان أي نظام يتعرض لخلل في احد اجزائه ينعكس اثره على النظام برمته • ان الظواهر التي تسبب اختلالا في توازن المجتمع والتي تتطلب اجراء علاجيا لاستعادة التوازن ، مثل تلك الحالة نسميها اختلالا وظيفيا •(٧) وان هذا الاختلال الوظيفي الذي يتعرض له المجتمع يوجب التعديل أو التغيير ، واذا قاومت السلطة هذا التغير وتجاوز الاختلال الوظيفي القدرة على تغيير النظام فان التغييرات تكتسب طابعا ثورياً اي ان الصراع بين المؤسسات الاجتماعية والتناقضات القائمة بين البنى والعمليات الاجتماعية المختلفة يؤدي الى وقوع الثورة • وان كان هذا التفسير لا يكشف عن الاسباب التاريخية للثورة الاجتماعية ، أي لا يشير الى مصدر الاختلال الوظيفي أو التناقضات، ولا يميز بين مظاهر الاختلال الوظيفي وبين التناقضات التي تظهر في اي مجتمع سواء تلك التي تؤدي الى الثورة أم التي لا تؤدي اليها •

ان علم اجتماع الثورة يجب ان يسند بدراسات علميه مقنعة عن الحركات الثوريه وان تشابهت الثورات الشعبية • والثورة تمثل النظام المادي والفكري المناقض لفترة ما قبل الثورة وتعني محاولة التفتيش عن مستقبل افضل ، وهي نقيض الركود والمحافظه ، وبالتالي فهي تمثل ظواهر اجتماعية تغير المجتمع وتقلب أوضاعه وتقطع بين مرحلتين متناقضتين •

ان صفة الثوره الشعبيه هي الاستمرار وعدم التوقف • وان الافكار الثورية في علم السياسة ظهرت في القرن الثامن عشر ، حيث ان مونتسكيو أعلن بأن النظام الطبيعي للثورة الشعبية هو « روح القوانين » ، ولكن حتى رجال الفكر بما فيهم روسو ومونتسكيو وثوار فرنسا عام ١٧٨٩ أنفسهم لم يعطوها المعنى الجديد وربما يمكن ان تفسر الثوره من خلال التقاليد

---

(٧) يوري كرازين : نفس المصدر السابق ص ٣٠ .

الاشتراكية وتقاليد الثورة المضادة التي سادت في القرنين التاسع عشر والعشرين . والثورة في الانسكلوبيديا الاشتراكية تعني « الجهود المكرسة لتحقيق الانتصارات للحركات العماليه ، وهي التغيرات الجذريه والشامله للنظام والمفاهيم والمباديء ، وهي تعني التحرر الانساني والاجتماعي »(٨) .

والثورة تعني لدى معظم المفكرين المعاصرين « الخلق التاريخي »(٩) . وهذه النظره للثوره تفرض التمييز بين الاصلاح والثوره وكذلك بين الثوره والانتفاضه . فالثوره سريعه على عكس الانتفاضه التي تمتد لفتره زمنيه اطول ، فثورة ١٨٣٠ في فرنسا كانت بمثابة انتفاضه Insurrection لانها امتدت لمدة ثماني عشرة سنة . أما كمونة باريس ١٨٧١ ، والتي حاول أعداؤها وصفها بالانتفاضة البسيطة فهي في الواقع ثورة دامت بضعة أسابيع فقط .

ان هذا التمييز بين الثورة والانتفاضة لا يتناقض مع ما وصفت به الانتفاضة من حيث كونها وسيلة خاصة للاستحواذ على السلطة بالقوة .

ومما سبق يبدو ان علم اجتماع الثورة ما زال في بداية ظهوره ، وان الثورة ما زالت تشغل افكار المنظرين السياسيين وعلماء النفس الاجتماعي ، ومن المفيد ان نستعرض الابحاث الاساسية التي حددت محتوى الثورة وقوانينها في هذا المجال .

يربط أغلب الباحثين تاريخ علم اجتماع الثورة بالثورة الفرنسية ١٧٨٩ – ١٧٩٩ ولكنه تفرع الى اتجاهين الاول سلمي ممثل بمدرسة تيريز Thiers ، والآخر يميل الى العنف وممثل بمدرسة ميشليه Michelet

ان نظرية الثوره السياسيه الفرنسيه للقرن التاسع عشر أيدت امكانية قيام الثورات ضمن اطار الثوره الفرنسيه ، ويعتقد توكفيل Tocqueville بان ليس هنالك حدث اكبر واطول مدى واكثر تهيئة من الثوره الفرنسيه

(٨) اندريه دوكفيله ، المصدر السابق ص ١٢ – ١٣ .

(٩) اندريه دوكفيله ، المصدر السابق ص ١٣ .

لعام ١٧٨٩ ، فالتقدم العلمي يسير جنباً الى جنب مع المعرفة « بالديمقراطيه » المتصاعده في المجتمعات الصناعيه • الا ان دراسة الثوره وتحديد معناها اتجه اتجاهاً خاصا في فرنسا ، لان الباحثين الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهـره بدأوا من منطلقـات نفسـية وذاتية مثل تارد ولـوبـون ودوفيليس Tarde, Lebon و De Felice .

• كما ان دراسات ميرلو ــ بونتي Merleau-Ponty والعنف في مؤلفه « الانسانيه والعنف » وجان ــ بول سارتر في مؤلفه نقد « المذهب الديالكتيكي العقلاني » وغيرهم من الفرنسيين الذين بحثـوا في الحركات الثورية كانوا بعيدين عنها في دراساتهم تلك بعض الشيء • لقد فسر سارتر مشروع الثوره على انه عملية كسب جمعي يتساوى فيه الجميع ، واعتقد بان الاحكام التي وضعها الاجتماعيون في وصفهم للثوره كانت متسرعه وغيـر واقعيه ، وغير موضوعيه، خصوصافي تفسيرهم لسلوك الفرد في موقفالجماعة الثوريه ، وما يخضع له من تغيرات نفسيه وعقليه تدفعه الى العمل الجمعي المشترك • ويعتقد سارتر ايضاً انه ليس هنالك موقف ثوري مثالي ، الامـر الذي يتطلب الوقوف على الجوانب المتشابهه والمختلفة في الثورات لتحديد معناها • وقد يكون الرعب الجمعي احد الجوانب المتشابهه في الثـورات والذي يؤدي الى خلق الجمع الثوري ، لذا يجب التعرف على وظيفة الرعب وتحليل العناصر التي تخلق الجمع الثوري •

ان دراسة الثورات والظواهر الحشديه فيفرنسا والتي اتجهت اتجاهات فلسفية تقابلها دراسات أخرى في أمريكا الشمالية اتجهت اتجاهاً آخر استند في تحليل الثوره وتحديد معناها على نقد الثوره الروسيه ١٩١٧ وامتدادها في اوربا الغربية بعد الحرب العالميه الاولى ووصفت هذه الدراسات الثـورة بكونها تتعارض مع النظام والحرية الديمقراطية وتؤدي الى عرقلة التغير ، كما اعتقدوا بامكانية التنسيق بين الصـراع والعلم لخلق مشـروع الثوره المضاده ، واهم من برز في هذا الاتجاه سوروكن بارسونز ومورنيو وغيرهم،

وقد ربط سوروكن بين الثورة وافساد السلوك البشري في مختلف مجالات الحياة من اقتصاديه ودينيه وخلقيه وجمالية وقد وصف الثورة بانها عباره عن خدعه[10] تؤدي الى افساد الشعور نحو الملكيه وعلاقات العمل وعلاقات الرئيس بالمرؤسين والاتجاهات الدينية والخلقية والجنسية .. الخ، وخصوصا في مؤلفه الذي وضعه عام ١٩٢٥ « علم اجتماع الثورة » .

لقد تطور النقد الى حد حمل عدداً كبيرا من علماء الاجتماع الى الرغبه في منع الفلاسفه من استخدام النظرية الديالكتيكيه مثل منطق الحريه الذي يربط الجماعة بالتاريخ . ان هذه الظاهرة تكمن في كيفية تمكن علم الاجتماع من تحليل الثورة وتحديد معناها وأنواعها من خلال الصراع الذي يقتسمه العالم اليوم ، والذي يمكن تفسيره بانه صراع بين الحضارة التقليدية والحضاره الثوريه ، بين المحافظه والتحرر .

عوامل نشوب الثورة :

ما هي طبيعة العوامل التي تؤدي الى نشوب الثوره ونجاحها ؟ هل هي ظروف المجتمع الصناعي والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتناقضه فيه ؟ ام هي الظروف والاوضاع السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه التي يعاني منها المجتمع النامي أو المتخلف ؟

يعد علم اجتماع الثوره نموذجاً للتغير الاجتماعي المادي والفكري وان مجال علم الاجتماع يتحدد بدرجة مساهمته في الازمات التي يجابهها المجتمع وان مسألة الواقع الفلسفي لعلم اجتماع الثورة لا يمكن معالجته بمعزل عن التصور الاجتماعي للثورة نفسها .

ولاختيار مواد الملاحظة الخاصة في الطريقة الثورية في العالم بشكل عام وما يمليه الفكر البشري من ايديولوجيات وتفسيرات ، فان علم اجتماع

---

10. André Decouflé op. 15-18

(١٠) اندريه دوكفيله المصدر السابق ص ١٥ ــ ١٨ .

الثوره يجب ان يمتزج بالمذاهب الثوريه والتحليل العام • ولا يكفي لعلم اجتماع الثوره ان يميز بين الظواهر الثوريه والحركات الاجتماعيه الاخرى، وذلك للتوصل الى فهم التغيرات الفكرية والاجتماعية والابتعاد عن وضع الاوصاف التي تذهب الى وضع نموذج للثوره متذرعين بان الثورات يجب ان تخضع لحدود معينه والحقيقه ان الثوره يمكن اعتبارها عمليه تجديد مستمرة لا يمكن قياسها بظواهر محدودة وانها لا تتحقق بمجرد الوصول الى الحكم ، لان الثوره صراع طويل بين الطبقات الاجتماعيه الكادحه من جهةوبين مستغليها من جهه اخرى ، وهذا يعني ان مهام الثوره تتجدد وتتحدد من خلال الآفاق الجديده التي تتوغل فيها ، وان هذه الافاق تشكل المعالم الجديدة التي تواجهها كل ثوره في حدود واقعها المتميز وظروفها المفروضه•

هنالك رأيان في تحديد اسباب الثوره ، الاول يرى ان الثوره تحدث نتيجة للانتقال الفكري والتغير الحضاري ، وهذا هو رأي العلماء الغربيين امثال دركايم Durkheim وبارك Park وسوركن Sorokin • اما الرأي الآخر فيرى ان اسباب الثوره هو النزاع الاقتصادي ، كما يعتقد الاشتراكيون • الاان الثوره عند اصحاب هذين الرأيين هو امر حتمي يفرض نفسه على الانسان والمجتمع فرضاً • والتغيرات الحضاريه الحتمية في المجتمع تؤدي الى أحداث أزمة حضاريه « ثوره » تؤدي الى تغير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من شكل الى اخر • ان فقدان التوازن وقيام الثوره يؤدي دائما الى تغير نحو الافضل ويساعد على قبول الجماعات للتغيرات الحضاريه المطلوبه على اختلافها • فالتغيرات والاصلاحات قد تلاقي الفشل اذا لم تأت نتيجة حدوث ازمه « ثوره او ما شاكلها »(١١)

---

(١١) قد تؤدي بعض الحركات الاجتماعيه كالانقلابات مثلا الى احداث الاصلاحات السطحيه وليس الجذريه كما تفعل الثوره .

Maurice Duverger, Sociologie de la Politique, P.U.F. Frane 1973, P. 216.

ان الثوره الاجتماعيه ليست ظاهره قائمه بذاتها ، بل تتغير دائما بسبب مجموعة من العلاقات الاجتماعية المتصارعة ، كما ان الطبيعة الموضوعية للثورة لا يمكن تحديدها دون الاشاره الى النظام الاجتماعي ـ الاقتصادي القائم في المجتمع . فطبيعة التناقضات الاجتماعيه والاقتصاديه هي التي تؤدي الى حدوث الازمات الاجتماعيه (الثوره) . وان الحاجه الملحه لحدوث تحول نحو نظام اجتماعي اقتصادي افضل هي التي تؤدي الى الثوره .

ويمكن تصنيف الثورات بحسب طبيعة القوى الاجتماعيه وانتماءاتها الطبقيه الى ثلاثة اصناف رئيسيه هي[١٢] :

١ ـ الثوره ضد النظام العبودي

٢ ـ الثوره البرجوازيه

٣ ـ الثورة الاشتراكيه

ان نمط الثوره الاجتماعيه يتحدد بطبيعة الفئات المشاركه فيها وبالتركيب الطبقي للشرائح الاجتماعيه ودرجة الوعي الاجتماعي والسياسي لها وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تربط فيما بينها . وهذه المؤشرات تحدد عمق التغيرات الثوريه وطبيعتها سواء كانت ثورة تقودها صفوه[١٣] ، اي نخبه تمثل مجموعه من الافراد يتميزون بخصائص وقابليات « غير اعتياديه »، أم تقودها المنظمات الجماهيرية الشعبية .

ويعتقد سارتر في مؤلفه « نقد الديالكتيكيه » ، ان الثوره عمليه كسب جمعي ، يتساوى فيه الجميع ويبحث سارتر عن الجوانب المتشابهة في الثورات

---

(١٢) عبدالمنعم الغزالي الجبيلي ، تاريخ الحركة العمالية والنقابية في العالم منشورات مكتبة النهضه بغداد ١٩٦٤ ص ٩ ـ ١٥ .

(١٣) ان مفهوم الصفوه او النخبة اثير من قبل المفكرين الليبراليين وذلك لمعارضته المفهوم الماركسي في الطبقات الاجتماعية ، حيث يرفض اصحاب هذا الاتجاه وجود طبقيه في المجتمع الراسمالي ويعتقدون بوجود تراتب اجتماعي تتمثل فيه ظاهرة الحراك الاجتماعي وليس الصراع الطبقي .

تبل حالات القلق الجمعي والرعب الجمعي والعنف الجمعي وما تتركه من أثر في المجتمع الثائر ، والتغيرات التي يخضع لها الفرد في موقف الجمع الثوري بحيث يصبح قادرا على العمل الجمعي المشترك • ان تحول القلق الثوري او الجمعي الى هياج جمعي يشتد بتأثير عوامل نفسيه ـ اجتماعيه تهيء الى احداث الثوره ، واحداث السلوك الجمعي الهائج والمنظم ضمن ايديولوجيه معينه لتحقيق اهداف تبغيها ، فتوزع الادوار بحسب مستلزمات الحركه الثوريه تبعا لمراحلها المختلفه[١٤] •

لقد لاحظ بعض علماء الاجتماع مثل سوروكن ومورينو وبارسونز وغيرهم ، الذين أثارتهم الثورة الروسية عام ١٩١٧ وامتدادها في أوربا الغربية بعد الحرب العالمية الاولى واعتقدوا بأن حدوث الثورة سيسبب تعارضاً بين النظام والحريات الديمقراطية نادوا بضرورة قيام الثوره المضاده لاعتقادهم بان الثوره تعرقل التغير والتقدم في المجتمع •

فمستلزمات دراسة الثوره تلزم الباحثين بتحليل كل ثورة منذ بداياتها ، وان هذه الدراسة يمكن ان تمر خلال ثلاثة مستويات ، العلاقات العامه بين الثورة والمجتمع الكلي ، وخصائص المشروع الثوري وانماط ادراك الجوانب الحقيقية لمشروع الثورة • وعندما تتسع الشقة بين الجماهير وبين الطبقة الحاكمة وتتناقص الثقة بين السلطة وأعمالها وتنتشر التيارات الفكرية الجديدة المناوئه للسلطه ويظهر الارتباك والتحلل في التنظيم الاجتماعي وتضعف قوة ونفوذ السلطه السياسيه في المجتمع وتتضاءل كفاءة الفئه المشرفه على النظام الاجتماعي ـ الاقتصادي القائم ،تظهر الازمات الاجتماعيه وتتفاقم الكوارث وتصعد من نضال الجماهير وتزيد من نقمتهم ، وقد يعبر عنها بالتظاهر الجماهيري او الاضرابات المتواليه او باغتيالات بعض الزعماء البارزين في السلطه ، ومن الطبيعي ان يصاحب ذلك قلق جمعي واضطراب حشدي ويصبح المجتمع مهيأ للعمل الثوري •

---

14. Jean Stoetzel; La Psychologie sociale Flammrion, Paris 1963, P.P. 230—233.

ان الوضع الثوري يرتبط بالبؤس العام • فالمجتمعات الصناعية والمدن الكبرى تضم عادة فئات اجتماعيه كثيره تعيش على هامش المجتمع مثـــل المتسولين والمشردين والعاطلين عن العمل ، وهؤلاء يحسون فـــي اعماقهـم بالشعور بالثوره على النظام القائم ، اما في المجتمعات الناميه ، في اســـيا وافريقيا وامريكا اللاتينيه ، فان نفس هذا الشعور يظهر لدى الجماهيــر الفلاحية في الريف وبين الفئات الفقيرة في المدينة • الا ان هذا البــؤس لا يؤدي الى الثوره ما لم يظهر التنظيم وما لم يكن هناك هدف وصوره لنموذج المجتمع ونظامه المرغوب فيه ، ويطلق فرانسوبيرو François Perroux على هذه الصورة « الصورة الرائدة » • اما بول هنري شومبارت دولـو P.H.C. De Lauwe فيؤكد على ان المشروع الثوري الجمعي هو اكثر من مجرد صوره وهو سلوك مشترك يعمل على تحسيس اوضاع المجتمع مـــن خلال اشراك الجماعات كلياً فيه • وهناك نموذجان من المشاريع الثوريه يمكن التمييز بينهما : المشروع المتحكم المسيطر والمشروع الثوري•والمقصود بالاول المشروع ذو النظام المستبد والذي هو عباره عن مجموعه متناسقه مـــن المشاريع الفرديه (الليبراليه) Néo-Libéralisme تتركز فيها خطورة تناقض المؤسسات المعارضه لصالح المؤسسات الشعبيه • أمـــا المشــروع الثوري فهو يتعارض مع المشروع المسيطر « المشروع القائم »[١٥] ، وهو يتصف بكونه جماعيا •

ان هذا يجب الا يؤدي الى الخلط بين تجربة البرت كامو Albert Camus التي تؤكد على ثورة الانسان الرافض الذي يعاني من ثورة ذاتيه خياليــه تتعارض مع اساس العداله التي تدفعه الى رفض الظلم والثوره عليه وبـــين المشروع الماركسي للثوره الذي يستند على اسس موضوعيه ماديه ، يعاني

---

(١٥) بييرلاروك Pierre Laroque, Les classes sociales, P.U.F. FRANCE, 1968, pp. 19-23.

منها المجتمع والفئات ذات النسبه الغالبه فيه ، حيث يعتقد كامو ان الانسان الرافض والثائر سيعتاد « احتراف الثورة » ولا يعتقد بوجود قوى اخرى تتحكم بمصيره .[١٦]

هنالك اختلاف بين المشروع الثوري غير المنظم وبين الجماهير المنظمه التي تسعى الى ممارسة السلطه . وان خصائص الجمهور او الحشود ومفهوم المشروع الثوري تؤدي بالضرورة الى المقدرة على الانتقام بحسب النموذج العقلي السائد في ذلك الجمهور وطبيعة ظروفه ومقتضيات مصالحه ، والتي تتحدد بموجبه مسيرة الثوره . فقد تتخذ الثوره صوره ثوره دمويه أو ثوره سلميه وذلك بحسب طبيعة الظروف الموضوعيه السائده في المجتمع .

فالتمييز بين الصوره والمشروع « اللذين اشرنا اليهما في الصفحات السابقه » ، يمكن ان يجنبنا صورة الثوره الدمويه او السلميه ، وان تحليل المصطلحات الثوريه هو الذي يحدد شكل مساهمتها ، وهذا دليل على الهوة الفاصلة بين التعبير الشعبي للمشروع الثوري وبين الحاله الاوليه التي تمثل التنافس بين الجماعات الاجتماعية المختلفة من أجل الاستحواذ على السلطه .

فالثورة لا تؤدي الى تراكم العنف ولا الى ظهور مجموعة مؤسسات فردية مختلفه ، وانما هي تستند على تخطيط (مشروع) لتحقيق المجتمع السعيد الخالي من البؤس . ومن هنا تبدو ضرورة تحليل مفهوم الثوره وتمثيلها للعمل الجمعي المحرك لها وفيما تحققه من نتائج عمليه . وعلى المستوى الفردي قد يبدو المشروع الثوري وكأنه عالم جديد يحقق له المكاسب التي يسعى اليها .

---

(١٦) اندريه دوكفيله ، نفس المصدر ص ٢١ .

فالثورة الثقافية الصينية مثلا ، ترفض العالم القديم الذي سبق الثورة وتسعى لتغيير المجتمع عن طريق الثوره • ومن الطبيعي ان يتحدد المشروع الثوري في هذه الحاله بطبيعـة المجتمع وظروفه الموضوعيـه فهو يختلف في المجتمعات الناميه من حيث انها تعاني من فقر وبؤس عام عنه في المجتمعـات الصناعيه التي يعزز فيها الواقع اوضاعاً واحوالا مختلفه كل الاختلاف عن تلك المجتمعات •

فالمشـروع الثوري في المجتمعات الناميـه تقوده الفئات الوسـطى (البرجوازيه المتوسطه) ، التي تشكل اقليه بالنسبه للجماهير الفقيره ، الا انها تبعد في الوقت ذاتـه مساهمـة الجماهير الفقيره في الاداره والابداع الفكري ، الامر الذي يؤدي بهم الى التفكير بخلق مشاريعهم الثوريه التي تنسجم مع طبيعة حياتهم وتطلعاتهم • فتظهر الطبقات الفقيره وكأنها تخوض انتفاضات تلقائيه من باب الضغط على السلطه •

ان الحركات الثورية في البلدان النامية تعاني من سلبيات عديدة ، تؤدي الى ان تتجه الثوره فيها الى احاطة نفسها بمعتقدات سائده في تلك المجتمعات وان هذه الروح الثوريه التي تتصاعد لدى الجماهير في البلدان الناميه وغير القادره على قياس مضمون رسـالة التحـرر لا تتمكن من انجـاز التحرر الجماهيري • ان المشاريع الثورية في المجتمعات الناميـة تمزج غالبيتها بين الدين والسياسه وغالب ما تتخذ الدين واجهه لتحقيق الاهداف السياسيه في مرحلة معينه • فالحركات السياسيه كثيرا ما تصطبغ بالصبغه الدينيه ، وتتخذ الدين واجهه لها من اجل تحقيق اهدافها • ولعل الحركات المناوئه للحكم في العصر العباسي كالزنج والقرامطه والبابكيه قد اعتمدت الدين واجهه لهـا وادعى اصحـابها انتماءهم الى البيت العلوي لغرض التأثير على الجماهـير واكتساب تأييدها • وقد تأخذ الحركات الثـورية طابعا آخر عندما تستند الدين وسيلة من اجل استثارة الجماهير للدفاع عن حقها عندما تتعرض الامة الى الخطر او يتعرض الوطن الى الغزو •

ان علم اجتماع الحركات الاجتماعيه والتغيرات الاجتماعيه يهتم بالوظيفه الدينيه في البلدان الناميه من اجل الصراع ضد الاستعمار واخذه شكل مقاومه شعبيه للدفاع عن الوطن ضد السيطره الاجنبيه ، اذ يمكن عن طريق العامل الديني استقطاب الجماهير وخلق نوع من التضامن بينهم لخوض الصراع ضد الاستعمار والتحرر من سيطرته . لان تشتت الجماهير الكادحه في البلدان الناميه وسمو الروابط العائليه يؤدي الى نوع من الشعور الجماعي تجاه العائلة أو القبيلة أو الدين ، والشعور بالتفرد نحو الوطن أو الامة احياناً .

وقد يكون الدين سلاحاً ذا حدين احياناً ، حيث يمكن استخدامه في الشكل المعاكس ، لان الاستعمار الذي يرتكز على الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين الذين يشلون الحليف التاريخي لسياسته وكل المرتكزات التي يعتمدها تتوثب عندما تجد تحولا جماهيرياً ينشط لاستعادة الحق وانهاء حالة الاستعباد . وفي اطار هذا التحرك يتوجه المستعمرون الى محاولة تمزيق الوحدة الوطنيه وايجاد الخنادق بين الفئات الشعبيه عن طريق الدين لامرار ما يهدفون الى تحقيقه وذلك بايجاد المظلات التي يمكن ان تستظل بها تلك المحاولات وبذلك يستخدم الدين استخداماً مناهضا لتطلعات الجماهير ويسخر رجاله تسخيراً يبعدهم عن المهمة السمحاء التي جاء بها الدين .

ان الثوره لا تستطيع تحقيق بعض المفاهيم المقترحه ، فالتمييز بين الاصلاح والثورة مسألة تحتاج الى دراسة ظروف كل منهما وظروف المجتمع الذي تولد فيه ، فالثوره تتصف بكونها سريعة وحاسمه ، اما الاصلاح فيأخذ طابع الانجاز وفق فترات زمنيه طويله نسبياً .

وكذلك الامر بالنسبة للثوره والانتفاضه ، فالانتفاضه تعني الاصلاح الاجتماعي ، اما الثوره فتحقق تغيرات جوهريه اساسيه في المجتمع وكذلك بالنسبه للزمن فالانتفاضه تستغرق وقتا اطول في الوقت الذي تنتهي الثوره نهاية سريعه وحاسمه .

اما بالنسبة للمجتمعات الصناعيه ، فان المشروع الثوري يبدو اكثر غموضاً وتشعباً ، حيث ينقسم غالبا الى مشاريع ثانويه ، وحيث يكون الفقر غير مستبعد فيها ، الا ان ذلك يبدو هامشيا كما يشير الى ذلك ڤيكسيليار J. Vexliard ولابينز J. Labbens وفريزنسكي J. Wresinski وما تيلارت A. Mattelart .. وغيرهم[17] .

ان استبعاد الفقر باعتباره مؤثراً في انجاز المشروع الثوري ، لا يمكن أن يؤخذ به ، فالفقير الذي اكتسب صفة الفقر نتيجة تسوله أو عدم ممارسته لمهنة وأصبح عاطلا يبدو غير متأثر بتأثيرات النظام القائم. لان المسافة الاجتماعية التي تفصل بين هذه الفئه الفقيره الهامشيه في المجتمعات الصناعيه ضيقه نسبيا وهي في نفس الوقت لا يمكن قياسها باعتبارها غير واضحه . وان عدم القدره لهذه الفئه على المساهمه في المشروع الثوري تكون بسبب كونها تشكل أغلبية غير مؤثرة في المجتمع . وان غموض موقع هذه الفئة في المجتمع بسبب تشتتها وعدم تنظيمها هو الذي يحدد علاقتها بهذا المشروع الثوري .

ان هذه الفئات الهامشيه في مجتمع ترتكز مؤسساته ونظمه الاجتماعيه على العدل والمساواة الاسطوريه تتناقض وموقعها الاجتماعي ، حيث تعيش وكأنها فئات منبوذه اجتماعياً بشكل غير مشروع الامر الذي يشد هذه الفئات الى المشاريع الثوريه بحكم ظروفها الخاصه في المجتمعات الصناعيه التي تظهر فيها مجاميع متجانسه مع نفسها من جهه ومختلفه عن الفئات الاخرى في المجتمع من جهة اخرى ، الامر الذي يؤدي الى شعورها بكونها فئات اجتماعية تختلف عن بقية الفئات في المجتمع . الا ان طبيعة المجتمعات الصناعيه وكون الفئات الهامشيه قليله نسبياً وذات اثر محدود

---

(١٧) ينتظر ما سبق .

لايولد لها الشعور بالقدره على تغيير المجتمع[18] كما هي الحال بالنسبه للمجتمعات الناميه حيث تعيش جماهير غفيره بحالة فقر وبؤس وتشعر بسبب زيادة نسبتها بالقدره على تغيير المجتمع عن طريق العنف الجمعي والثوره •

في هذه الظروف تبدو الامور غامضه ، لان الفقر يمكن ان يؤدي في الفئات ذات الوضع الهاشمي وبمستوى الطموح الى الحد الادنى لخلق الظروف النفسيه والتنظيميه الضروريه من اجل الشعور والاحساس اللازم للتناقضات بين هذه الفئات الفقيرة والفئات الاجتماعيه التي تسيطر على المجتمع بصوره عامه وعليها بشكل خاص •

ان المشروع الثوري يعمل على تغيير الحياة اللاانسانيه للانسان عن طريق تحقيق المجتمع المتناسق • وان الجماهير الفقيره التي تحافظ على تقاليدها تتضمن قدرة الثوره على تحقيق المجتمع المتجانس ، وهنا يكمن القاسم المشترك بين هؤلاء الناس والثوره لان كلا منهما يسير من اجل انجاز الحدث واكتمال السيطره •

وكما يعتقد توماس منزر Thomas Münzer ، ان الثوره الفلاحيه في فرنسا عام ١٥٢٤ تعني العنف وتمثل في الوقت ذاته العالم القدسي حيث يعامل الانسان بلطف • فان الثورة الماوتسية الصينية تمثل الحلم الذي كان يساور الفلاحين الفقراء بتحقيق مجتمع العدل والمساواة • كما ان الثوره البلشفيه في روسيا حررت القوى الشعبيه وحققت العداله في المجتمع وكذلك الامر بالنسبة لثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ في القطر العراقي ، فقد تمكنت من تحقيق التحولات الاشتراكية التي أدت الى تحسين أوضاع الفلاحين والعمال • وانها ما تزال سائرة في طريق البناء الكامل وانجاز الاهداف الكبرى التي رسمت أهدافها وتسعى من أجل استكمالها •

---

(١٨) ان الصراع في المجتمعات الصناعية يتخذ صورة خاصة ومختلفة عما هي في المجتمعات الناميه وذلك بسبب اوضاعها الاقتصاديه والاجتماعيه الخاصه نتيجة التناقضات بين اشكال العمل والفكر وموانع الطبقات المختلفه من وسائل الانتاج •

ان الحقائق الاساسيه للمشروع الثوري يمكن تنظيمها حول مفهومين جوهريين : الشمولية والتاريخية ، لانها ترتبط بالانسان وتشمل النظام الاجتماعي الذي يسعى الى تغييره وتجديده ، وخلق المجتمع الجديد .

وان هذه الخصائص تحدد الثورة وتكشف عن طابعها الخاص بها في المجتمع ، وفي الجماهير التي تخضع تنيجة للثورة الى التغيرات الاجتماعية والعقلية وتعرف كيف تقف بوجه الثورة المضادة . فالثوري يعرف ثورته كالبائس الذي يعرف بؤسه .

ان تحليل شمولية المشروع الثوري تعني باختصار الشعور والادراك والتنظيم ، وان علم اجتماع الثوره لكي يحدد المراحل الاساسيه للثوره عليه أن يعود الى التاريخ الخاص بالمشروع الثوري.وان المشروع الثوري لايمكن ان يحقق التغير الذي يحمله في نفسه الا بالمستوى العام الكلي ، حيث يشمل المجتمع برمته ، ويشمل الانسان ببنائه ، حيث يخضعه الى تغيرات فكرية وعقليه تتناسب مع تغيير الظروف والعلاقات الاجتماعيه ، الامر الذي تؤدي الى تغير الشخصيه .

ان الصفه الشموليه للثوره ترتبط بالتغير الجذري للمجتمع والظروف والاوضاع القائمه فيه . والثوره الاجتماعيه لا تعني تغير نظام الحكم فحسب وانما تعني تغير جوانب الحياة كافه كما تحدث تغيرات اساسيه في الطبيعه البشريه .

والثوره تعنى من جانب اخر انقطاع التاريخ بين الافعال الاجتماعيه وبين وظائفها . فالثوره اذن ليست مجرد تتابع الحوادث ، تتابعاً تاريخياً ولا مجرد تراكمات افعال وانما هبات جديده في التاريخ . فهي اذن ليست موازنه بين القديم والحديث من السلوك والاتجاهات ، وانما تغيير وتجديد شامل . فالمشروع الثوري يمكنه تغيير المجتمع ، لانه يعني القوه ، ويعني الصراع والحرب التي لا تتوقف ، والثوره تعني حتمية التاريخ .

ان الثوار يحتاجون الى التمسك بتقاليد داخليه واخرى خارجيه في التاريخ ، وهي عباره عن خلق جمعي لمستقبل مشرق وانبثاق قيم جديده •

ان تحليل الحركات التحررية والتغيرات الاجتماعيه في الوطن العربي مثلا، يكشف بوضوح عن التحرر من السيطره الاجنبيه ، وان تحرر واستقلال المجتمع يؤدي وظيفة خاصه ، وذلك يعني التخلص من الاستغلال والنفوذ الاجنبي ، اي الميلاد الجديد للمجتمع •

ان اغلب الحركات الثوريه المعاصره تتميز باطر حضاريه تقليديه • وان الاصلاحات في جوانب معينه من الحياة ، مثل الاصلاح الزراعي ، الذي يغير نوع الملكيه الزراعيه لا تشكل بمفردها ثوره • وهناك من يخلط بين ظواهر الحرب الثوريه وبين الازمات الوطنيه الاجتماعيه ـ الاقتصاديه • الا ان التغيرات الاجتماعيه والفكريه ترتبط بالمشاريع الثوريه نفسها من حيث انها تتم كعمل جمعي يومي • لقد حاول علم اجتماع الثوره في المجتمع الصناعي ان يبين الخصائص الاقتصاديه والاجتماعيه التي يتميز بها بسبب التناقضات في المصالح بين طبقاته المختلفه ، وهذه الظاهره قد تزيد من احتمال وجود مشاريع ثوريه في هذه المجتمعات تسعى لانها استغلال الانسان للانسان •

والثورة بعيدة عن الاسطورة ، وان كانت مضطرة ، لاجل تنفيذ مشاريعها الخاصه ، ان تتخذ لها تقاليد معينه في بعض الاوقات ، فان هذه التقاليد لا تستند الى قوانين ورموز خاصة ، وانما تستند الى ما يطلق عليه علم الاجتماع (الذاكره الجمعيه) ، ومن هنا فقد تتخذ الثوره لها بناء وقتيا لحل البناء التاريخي التقليدي لتبني مرحلة تاريخية جديدة • ولكي تنتشر الثوره وتضمن اتساعها ، عليها الانتفاع من الماضي لبناء الحاضر وخلق المستقبل • فالمشروع الثوري يعبر عن تغير اجتماعي شامل للحياة الجمعيه • وان علم اجتماع الثوره يمكن ان يحدد المحتوى لطموحات الجماهير في الثوره محددا ظروفها الموضوعيه • والثوره تنظم طقوسها وتتخلص من ماضيها وتحاول تقديم محتوى ايجابيا لمشاريعها العامه والشامله •

والثوره في حالة اندلاعها ، تظهر صراعاً حاداً بين انصار التغير التلقائي أو العفوي وبين انصار التغير الارادي ، والذي يحدده ويوجهه قاده ثوريون • وقد يؤدي هذا الصراع ، الذي يتخذ صوره صراع سياسي بين الاحـزاب السياسيه الى تمزيق الثوار أحياناً ، كما حدث في اسبانيا عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، الامر الذي ادى الى فقدانها وضياع قادتها الثوريين ، بسبب محاولاتهـم التوفيقيه بين المثاليه الفوضويه والماديه اللينينيه في مشاريع حزب العمـال الحكومي ، الذي انبثق بشكل تلقائي بين الجماهير الشعبيه •

ان مورنيو Moreno ينطلق من كون الثوره ظاهره جمعيه مثل بقية الظواهر الجمعيه الاخرى ، وهو يعتقد بان هناك طرقا فنيه خاصه بالثوره ، واستنادا على دراساته التجريبيه السوسيومتريه (القياس الاجتماعي) وضع نظريته في « التلقائيه الخلاقه » التي يعتقد بانها تتضمن الاجابه على كيفية دفع الجماهير المستعده للموافقه على الاوضاع الجديده ، وذلك عن طريق التعبئه التلقائيه للجماهير والتي تدفعها للمساهمه بشكل عضوي للعمل على قلب نظام الحكم القائم • ويستخلص ضرورة وضع طرق معينـة لتعبئة طاقاتهـا والاستفاده منها •[١٩] ويميز مورنيو بين ثلاثة مستويات للظواهر الثوريه هي :

١ ـ المجموعه الثوريه

٢ ـ المجموعه العفويه أو التلقائيه تحرض الجماهير للعمل المطلـوب

٣ ـ المجموعه التحرريه ، حيث يعمل القائد والجماهير معاً •

وينتقل مورنيو من دراساته التجريبيه عـن الجماعات الصغيره الى الجماهير الثائره • ويبدو ان العفويه او التلقائيه قد امتدت لكـي تؤثر في توجيه الابحاث العلميه • الا ان رأي مورنيو هذا بعيد عن الواقع العملـي، حيث ان هنالك صراعاً ايديولوجياً بين الفئات الاجتماعيه المختلفه ، وان ثورة

---

(19) Jean Maisonneuve, La Psychologie sociale, P.U.F. Paris, 1964, p.p. 82-84.

الجماهير يمكن تفسيرها استناداً الى الوعي الشعوري والصراع الارادي الذي يتحدد ويوجه من خلال الظروف الموضوعيه والماديه وليس الى العفويه الفطريه أو الوعي التلقائي • ان الجماهير الثائره المسلحه بنظرية اجتماعيه — ديمقراطية تتصف بالوعي والتنظيم تستطيع أن تحدد مسيرتها وتخطط للوصول الى أهدافها ، وهذا ما يؤكد التضاد بين الثورة العفوية والثوره الاراديه ، ويوصف الثوري بالوعي والشعور(٢٠) •

ان التطور التلقائي للحركات الثوريه يؤدي الى الخضوع لايديولوجيه البرجوازيه وهذا يؤدي الى ضرورة الموافقه على ان الحركات الجماهيريه الثوريه تفرض واجبا نظريا سياسيا وتنظيميا • وان نظرية الحزب المنظم الذي يتولى قيادة وتوجيه عمل الجماهير الثورية تفرض على كل المؤمنين بها الالتزام بالتوجيه ، فالحزب الثوري ينظم الوعي ويبلور الشعور الثوري • ويجب الا يقتصر عمل علم اجتماع الثورة على دراسة العفوية فحسب ، وانما عليه ان يسهم في دراسة اتجاهات الجماهير نحو القادة سواء كانت على نطاق الحزب أم على النطاق العام •

وقد تلعب التلقائيه دورا مهما في بعض الاحيان ، ففي فرنسا كلها ، عدا الجانب الشرقي منها،فياواسط القرن السابع عشر، انبثقت انتفاضات شعبية في المدن مثل ديجون وبوردو وروان ومولان واكس ، وفي منطقة النورماندي، وقد كانت هذه الانتفاضات ذات خصائص عفويه تلقائيه • وفي عام ١٧٨٩ عمت فرنسا حركات ثوريه دون ان ترتبط تلك الحركات باتجاه سياسي معين والفتره من ٢٠ حزيران — ١٠ اب عام ١٧٨٩ ادت الى خلق حالات من الرعب الجمعي ، وذلك بتأثير « المؤامرة الارستقراطيه » التي حاولت نشر الفوضى• وفي شباط عام ١٨٤٨ ، ظهرت كومونة باريس وثورات تحررية اخرى في اوربا ، بسبب الشعور الجماهيري العام وليس بسبب ظهور قادة معينين ،

---

(٢٠) بوفر اندريه ، الحرب الثورية ، تعريب اكرم ديري والهيثم الايوبي، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر لبنان ، الطبعة الاولى لبنان ١٩٧٣ ص ص١٥ — ٢٠

ويمكن التميز بين طبيعة القوى الثوريه وطرق مساهمتها في الثورة ، حيث تسيطر الهيئات الشعبيه وتأخذ على عاتقها مهمة التوجيه .

وفي عام ١٩٠٠ ادى انتشار الافكار الاشتراكيه الى اضـراب عام في جنوبي اسبانيا وهو اضراب تلقائي تميز بالعنف وادى ، الى الثوره . كمـا تعددت الحركات الثوريه التلقائيه في المانيا والنمسا وايطاليا وهنغاريا ، وهذا يعبر عن تلقائيه جمعيه لها تنظيمها وطقوسها الخاصه .

ان الضروره التلقائيه تطابق الضروره الموضوعيه (الثوره الاراديه)، اي ان الجماهير لها حرية اختيار الموقف التاريخي المناسب . فالثوره كمـا يقول اندريه بيتر André Piettre لم تعد تتضمن مفهوماً تاريخيا ، وانما يعد لها كما يعد للحرب ، لذا فان الجماهير لابد لها من تنظيم وتعبئة سياسيه للتهيؤ للانفجار الذي يظهر كنتيجة للصراع الاقتصادي .[٢١] أي تبرز هنا ضرورة اعداد برنامج تستند عليه الاحزاب والجماهير الثوريه لكي تقوم بدورها التاريخي في انجاح الثوره وتحديد مسار احداث المجتمع .

اما بالنسبه للقطر العراقي ، فان الثوره اندلعت فيه نتيجة لموقف ثوري موضوعي ، وهي ليست عملا تلقائيا ، او عفوياً وانما تعتبر نتيجة للظروف الموضوعيه المواتيه لنشوب الثوره .

فالثوره لا يمكن ان تحدث نتيجة لتخطيط أو تدبير فقط وانما تحدث نتيجة للتناقضات الاجتماعيه والاقتصاديه وفي الوقت الذي تتهيأ فيه الظروف الذاتيه (الوعي والشعور) يتحول الصـراع الى النقطه الحرجه (قلـــق جماهيري) يؤدي الى مشروع ثوري ثم الى ثورة اشتراكية تســـاهم فيهـا الجماهير الثوريه لخوض غمارها ، ولابد لهذه المشاريع الثوريه من الاستناد على الوعي السياسي والتنظيم واعداد استراتيجية وتكنيك الصراع عــلى أسس عميقة من التفكير والتخطيط الذي يستوجب وجود قادة نظريين وحزب

---

(٢١) يوري كرازين : المصدر السابق ص ٨٢ .

جماهيري قادر على خلق وتوجيه المشاريع الثوريه المنسجمه مع الظروف الموضوعيه بشكل منظم .

واذا كان لابد من تحديد خصائص عامه لاية حركه ثوريه فان الثوره لا تنطلق الا عند استيعابها لقوانين التاريخ وامكانيتها في التعبير عن ارادة الجماهير في تحقيق نزوعها الانساني المشروع وقدرتها على ادراك التناقضات التي سادت الفتره التي سبقت الاعداد لها ، وبمعنى اخر فان الثوره في قطر معين لاتعد استثناء من الحركه الثوريه في العالم وان كانت الظروف الموضوعيه الخاصه بكل مجتمع تحدد مسار الثوره فيه من خلال ما تمليه عليها الظروف في تحديد قدرتها على المواجهه .

ان الاهداف التي تسعى الثوره الى تحقيقها تتبلور وتتحدد اثناء عملية التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين الجماهير الثوريه من جهه وبين المشروع الثوري والظروف الموضوعيه المحيطه بها من جهة اخرى . وقد تكون هذه الاهداف محدوده في المراحل الاولى للمشروع الثوري ولكنها تتبلور وتتضح تدريجيا كلما استمر المشروع الثوري في التنفيذ ، كما تخضع الى عملية التحوير والتعبير حسب مقتضيات الظروف الموضوعيه التي تتأثر بها الثورة . ان العملية الثورية تبقى قاصرة ومعرضة للتخلخل ما لم تتكامل فيها الشروط الاساسيه لانجاحها ، فامتلاك الطبقات ذات المصلحة في التغير الثوري للمواقع القيادية يعد من اهم مستلزمات نجاح العمل الثوري وضروراته ، شريطة ان تبقى الصله بين الجماهير التي تشكل الطبقات والشرائح ذات المصلحه في التغير الثوري وبين قيادتها الثوريه صلة حيه ومتفاعله ، لقطع الطريق على تسرب اي افتراض يمكن ان يعزلها او يقيم بينها شكلا من اشكال التعارض . والمشروع الثوري يخلق في المجتمع نوعا من الرأي العام ، الذي يؤثر بدوره تأثيرا مباشرا في سياسة السلطة بين الطبقات المستفيدة من التغير في المجتمع ، ويساعد على انجاز التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويمتد ليغير كذلك القيم والعقائد والاتجاهات والانماط السلوكيه .

ويعتقد بعض الباحثين مثل ماكيفر MacIver واوكبرن Ogburn ان الثوره تشمل بتغيراتها الجوانب الماديه واللاماديه لحضارة المجتمع ، الا ان التغير في الجوانب الماديه يتم بشكل اسرع مما هو في الجوانب اللاماديه ، بل ان التغيرات الاقتصاديه هي التي تؤدي الى تغيرات في القيم والافكار والفلسفه والعلاقات الانتاجيه في المجتمع ، وقد يزداد حجم هذه الفجوه بين الجانبين المادي واللامادي للحضاره في المجتمعات الناميه والمتخلفه اجتماعيا بسبب ما يسود فيها من جهل واميه تساعد على الابقاء والمحافظه على القيم والعادات والمعتقدات الخاصه بالمجتمع نظرا لطبيعة العلاقات الاجتماعيه التي تربط بين الافراد من جهة وبينهم وبين المؤسسات الاجتماعيه من جهة اخرى . وقد تواجه الثوره ثوره مضاده ، تقوم بها الجهه التي تهددت مصالحها سواء كانت تلك الجهه داخليه ام خارجيه . وفي حالة نجاح الثوره المضاده فان قادتها يعملون على وضع مشاريعهم ومفاهيمهم في قوالب ثوريه لكي تنسجم مع الظروف الاجتماعيه القائمه بهدف تمويه الجماهير وامتصاص قدراتها وهيجانها وتوجيه جهودها وجهة معاكسه . ومما يساعد على نجاح الثوره المضادة الاختلافات والانشقاقات التي قد تحدث بين الثوار حيث تظهر مناهج ووسائل واساليب متباينة ومتعددة ومن خلال ذلك تنشط الثورة المضادة لتستغل ... ولكي تستطيع الثورة تحصين نفسها ضد هجمات الفصائل المعادية وايقاف نشاط الثورة المضادة يجب ان تحدد الموازين الموضوعية الدقيقة في جملة امور تتحدد من خلال المنهج العلمي الواضح ووضع الجماهير في المواقع الواعية والقوية ، ووضع اجهزتها الثورية في حالة معايشة دائمة لعملية الثورة .

ان الثوره والمشاريع الثوريه تؤدي بالضروره الى التغيرات الحضاريه التي تؤدي بدورها الى التغير الاجتماعي والتقدم المطرد ، والثوره حتميه رغم اختلاف وجهات النظر حول مسبباتها . ولكي تتمكن الثوره من تحقيق النجاح المستمر لابد لها من اعداد النشء وفق أسس ومفاهيم ثورية جديدة تؤدي الى خلق اتجاهات منسجمه ومتوافقه مع احتياجاتها ومتطلباتها .

لقد اصبح من البديهيات المتفق عليها والمسلم بنتائجها ان الاسس العلميه التي تنطلق من الواقع وتتجه في معالجاتها الى المشاكل التي يعيشها ذلك الواقع هي الاساس في بناء اية نظريه ، وان الفكر القادر على استيعاب التناقضات الحاصلـه في هذا الواقع والتفاعلات التي تتحـرك في اعماق شرائحه هو الفكر القادر على رسم الصوره الموضوعيه وهو الفكر القادر على تحديد الرؤية الصائبة في التشخيص وهو بالتالي الفكر الذي يستطيع ان يحرر الانسان من بقايا الركام الثقيل الذي ظل يلازمه طوال سنين ويؤثر في حياته دهوراً متلاحقة •

لقد ظل الانسان في المجتمعات النامية عموماً والوطن العربي خصوصاً يعاني مـن اسـباب التخلف والتجزئه واشـكال العبوديه والاسـتغلال واضطراب الانماط السلوكيه مما جعل حياته حافله بالعجز وموغله باسباب الحذر الاجتماعي وخاضعه لنوازع التفكك والانتقام • ومـن هنا كانت الافكار تتجه الى ادراك هذا الواقع ادراكاً حقيقياً وتدعو الى تلمس جوانب التحول الاجتماعي والتغير السلوكي لغرض الوقوف على الطريق التي تحدد لهذا المجتمع طريق الخلاص واضعـة هـذه الجموع الغفيره من الناس في الطريق الذي يحقق لها الرفاه ويبين لها المستقبل المشـرق ويرفع عنها اعباء الاستغلال الذي ناءت تحت عبئه حقبة من الزمن •

ان التحليل الصائب لواقع المرحله والتفسير العلمي لمجريات امورها يؤكد التوجه الصائب في تغيير عـلاقات الانتاج بحيث يأخـذ الطابـع الاشتراكي لتركيز الاسس النوعيه والمتينه من اجل بناء الاقتصاد القومي وتوجيه الجماهير من اجل انهاء حالة التجزئه والتخلف والاستغلال •

لقد اكد علم اجتماع الثوره على التجاوب مع الواقع المشخص مـن اجل خلق الثوره والسير بها من اجل تحقيق اهدافها • ومن الطبيعي ان

يختلف هذا المفهوم للعصر الذي تنبثق فيه الثوره والمنطقه التي تمتد في اجزائها لتنمو البذور الاولى لها والافكار التي تحدد المسار والمنهج الذي يدور في اطاره وطبيعة الجماهير ـ صاحبة المصلحة ـ التي تتحمل اعباء التفجير والدفاع وتسلم السلطه ، وهذا يعني ان استراتيجية الثوره في كل قطر ترتكز على الظروف السياسيه والاجتماعيه الحقيقيه التي تعيشها جماهير ذلك القطر الى جانب التقاليد التاريخيه وعوامل الاتصال التي تشدها بابناء الامه التي تنتمي اليها والواقع الحي الذي تمر به والقضايا المركزيه التي تمثل محور نضالها ومراعاة الوضع العالمي المحيط بها . ومن هنا كان الاتجاه الواسع والجذري هو الاتجاه الصائب من أجل معالجة التناقضات الكامنه في كل قطر والمعتمده في الاساس على رفض الحلول المبتوره والقائمه على المعالجه غير الواعيه وانهاء جوانب العمل البعيد عن التحليل والقاصر عن استيعاب الحتمية التاريخية التي ينطلق باتجاهها الواقع في المجتمعات المنطلقه الى حياة افضل ، لان اي حل من هذه الحلول يعني تشويه الشكل المطلوب وابعاد الثوره عن اهدافها وقطع الشريان الحقيقي الذي يمكن ان يمدها بعناصر القوه ، فالجماهير في كل معركة وفي كل ثوره هي العنصر الفعال فيها ، وهي المحرك الاساسي في دفع قدرتها باتجاه المواقع التي تعطي المعركة حيويتها المستمره وتمنح الثوره مقومات الحياة ، وان القضايا المصيرية التي تتبناها الثورات وتدفع من اجلها اعز التضحيات لا يمكن ان تصل الى الغايه المرسومه او الهدف المنشود اذا لم تعتمد على الجماهير اساساً في الوصول لانها هي صاحبة المصلحه وهي اولى بالمشاركه الفعاله . وقد حققت الجماهير من خلال نضالها وكفاحها قدرتها على تحمل المسؤوليه ، ومن الطبيعي ان تختط كل ثوره طريقها المناسب وهي بذلك تختلف من مجتمع الى اخر حسب اختلاف المعطيات في الميدان الاجتماعي والتاريخي والسياسي وحسب المتطلبات التي يفرضها ويحددها الواقع الاجتماعي والتكوين العام الذي يحكم العلاقات ويحدد السلوك .

المصادر العربية :

١ – يوفران اندريه ، الحرب الثورية ، تعريب اكرم ديري والهيثم الايوبي ، المؤسسه العربيه للدراسات والنشر ، لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ .

٢ – عبدالمنعم الغزالي الجبيلي ، تاريخ الحركة العمالية والنقابية في العالـم ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٦٤ .

٣ – يوري كرازين ، علم اجتماع الثوره ، تعريب شوقي جلال ، دار الثقافة الجديده ١٩٧٤ .

المصادر الاجنبية :

1. André Decouflé; Sociologie des Révolutions P.U.F. France 1968

2. Gaston Bouthoul; Sociologie de La Politique, P.U.F. France 1965.

3. Jean Maisonneuve; La Psychologie Sociale, P.U.F. France 1964.

4. Jean Stoetzel; La Psychologie sociale, Flammarion Paris, 1963.

5. Maurice Duverger; sociologie de la politique, P.U.F. 1973.

6. Pierre Laroque; Les classes soiales. P.U.F. France. 1968.

7. Robert Merton, social theory and social structure, Enlarged Indian Edition New Delhi 1968.

مقدمة في اللغة والحضارة

د . ابراهيم السامرائي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

بحث أهل العلم من المفكرين والفلاسفة في مدلول « الحضـــارة » وما تنصرف اليه في شؤون الحياة وما يتصل بالناس من أفكار وعادات ومواد وطرائق . ولعلهم انتهوا الى ان البشرية الأولى قد مرت بمراحـــل انتهت الى نموذج حضاري من الاستقرار والفكر والسلوك ، وما يتطلب جماع هـــذا من لوازم .

ومن غير شك ان في هذه المادة من الافكار العامة والمباديء الاساسية قدراً كبيراً يجمع بين الحضارات قديمها وحديثها في مشرق الارض ومغربها . وهذا لا يبعد ما تتصف به الحضارات المختلفة من سمات خاصة فرضـــها الزمان والمكان . وهذا يؤدي الى أن تكون حضارة الاقسام الشمالية غـــير حضارة الاقسام الجنوبية ، وحضارة الاقاليم البحرية شـــيء آخر ، ثم ان حضارة البلدان الباردة غير تلك التي تشتد فيها الحرارة ، ومثل هذا يقـال في الحضارة اليونانية والرومانية والعربية والايرانية والهندية والصـــينية . وليس غريباً أن تطبع الاديان الحضارات بطابع خاص فالحضارة المسـيحية غير الحضارة الاسلامية مثلاً .

قلت : لقد بحث أهل العلم في مادة « الحضـــارة » ، فكان طبيعياً ان يعرضوا لما يتصل بمصـــطلح « المدنية » . وليس في العربية فرق كبير بين الحضارة والمدنية ذلك ان « الحضارة » متصلة بالحَضَر والحاضرة ، ومثل

ذلك « المدنية » التي تتصل هي أيضا بالمدينة [1] • غير ان الباحثين في الموضوع ذهبوا بعيداً في الكلستين الاعجميتين

ولا يهمنا في هذه الدراسة شيء كثير من ذلك •

ان الحضارة في العربية نقيض البداوة ، والحاضرة تقابل البادية وكلمة « الحضر » تقابل كلمة « البدو » • ولقد أحسن الشاعر القديم حين قال :

ومن تكنِ الحضارةُ أعجبته فأيَّ رجالِ باديةٍ ترانا

ومن غير شك ان « البداوة » تشغل حَيزاً كبيراً في « العربية » وذلكأن الأصول القديمة في العربية اعتمدت من بين ما اعتمدت على مادة ذات أصول عميقة في الحياة البدوية • ولا أريد أن أصرف الجهد فأعرض لهذا الموضوع وذلك لاني أفردت له دراسة خاصة[2] تتصل بتاريخ العربية •

وفي طوق أي باحث ان يهتدي الى المواد البدوية في أدبنا القديم مما يتصل بالبادية ولوازمها من شخوص مادية وأخرى مما يعود الى الحيوان والنبات والشجر • وكثير من هذا واضح في الادب القديم جاهليّه واسلاميّه ، ولا حاجة بنا الى أن ندل على ذلك فهو معلوم مشهور •

وكأنّ الباحثين لما رأوا من صفات البداوة في أدبنا القديم أخذوا بذلك وغلّبوه على سائر الصفات الاخرى حتى لكأن ذلك الادب مقصور على أنماط بدوية لا يتجاوزها الى غيرها • وكأن « الجاهلية » شيء يرادف الجهل للبداوة التي غُلّبَت على غيرها من مظاهر الحياة الجاهلية الاخرى •

---

(1) المدينة كلمة قديمة لا تختص بالعربية وحدها من بين اللغات السامية وذلك لان مادة « دين » وهي مادة سامية تعني الحكم والقضاء . ومن هنا ظل شيء من ذلك فقيل « يوم الدين » في العربية للدلالة على الحكم والحساب . وكانت كلمة « بيت دين » في العبرانية تعني « المحكمة » أو دار الحكم ، وكان من ذلك ايضا ان تكون مكان اجتماع الناس للحكم والسلوك الانساني الذي يعتمد على الحق والنظام .

(2) كتاب يتصل بتاريخ العربية موسوم بـ « من تاريخ العربية » .

ان مصطلح الجاهلية شيء جاء به الاسلام ، وهو من غير شـك نبز لجميع مظاهر الحياة قبل الاسلام . ومن غير شك أيضاً أن « الجاهلية » بالنسبة الى الاسلام حياة تفتقر الى كثير من مظاهر الحياة الحضارية التي جاء بها الاسلام فكراً وعقيدة وسلوكاً . ولعل الباحثين سعوا مدفوعين بهـذا النظر ، وغير شاعرين ، الى سلب كل فضيلة من عهود الجاهلية المنبوزة ، فلم يتحرّوا المظاهر الحضارية في عصر ما قبل الاسلام عامة .

ومن حق العلم ان يفترض الباحث الجاد ان في تلك العهود التي سبقت الشريعة الغراء أنماطاً حضارية تتصل بالأدب والفكر والسلوك ومظاهر مادية حسية عرفها الناس وأفادوا منها .

ومن البديهي أن يكون أولئك القوم في جاهليتهم على نحو فكري متقدم اذا عرفنا أن كتاب الله ، مصدر الفكر والحكمة ، قد توجّه اليهم وخاطبهم وقد بشّر الرسول الأمين به التماساً لهدايتهم ، وليس من العقل والمنطق أن يأتي كلام الله بهذا السداد والحكمة في قوم غلبت عليهم بدائية جاهلة لا تفقه الا اليسير مما يضطربون فيه .

وفي كلام الله ما يومىء الى أنّ العرب غير الأعراب فاذا كان القرآن قد نبز أولئك الاعراب بالجفوة والقسوة والضلالة فلا يعني ذلك ان جمهرة المجتمع القديم بداة جفاة لم يهتدوا الى شيء من معاني الحياة الحضرية .

ومن الغريب ان الباحثين في تاريخ الادب القديم قد فاتهم علم كثير حين زعموا أن الأدب العربي القديم أدب بيئة بدوية ، وهم يشيرون الى وصـف الفلوات والاطلال والدمن وما يعرض فيهـا من حيوان ونبات وشـجر . وهم يشيرون كذلك الى أن الشاعر القديم يقطع تلك البيد على راحلته فيصف سيرها ويصف الطريق الذي يدرج فيه ثم يأتي على وصف تلك الراحلة . وجملة هذا وغيره من مواد الأدب تؤلف الصورة البدوية الجاهلية .

قلت : ان الباحثين في الأدب قد فاتهم علم كثير حين ذهبوا ذلك المذهب فقلدهم فيه خلق كثير وسار على نهجهم الدارسون الى يومنا هـــذا • ان الاستقراء الوافي لمادة الأدب القديم تكشف عن صــفحات جديدة غريبة لم يهتد اليها أولئك الدارسون •

أقول : ان الاستقراء الوافي ليشير الى أن جملة ما تشتمل عليه القصيدة الجاهلية حشد لمواد كثيرة لا تعدم أن تجد فيها فكراً يتصل بحضـــارة وأدوات وحاجات تبتعد عن البداوة المعروفة • وسأعرض بعد هذه المقدمـــة لاستقراء ما في الأدب الجاهلي من مواد الحضارة لأدفع بالدليـل الأكيد ان الجاهلية لم تكن خلواً من الفكر الذي استطاعت العربية في تلك الأحقـاب أن تفي بهذه المهمة فكانت لغة حضارة وبداوة في الوقت نفسه •

ومن غير شك أن الاسلام قد امتحن هذه اللغة فكانت في عهوده كلهـا الأداة المحكمة في الوفاء بالحضارة الجديدة التي جاء بها الاســلام عقيــدة وأحكاماً وسلوكاً • ثم ان هذه الحضارة الجديدة قد اندفعت شرقا وغربـا فكان لها أن تتصل هنا وهناك بأنماط حضارية أخرى •

ولقد كانت هذه محنة جديدة امتحنت بها العربية فكانت اللسان المفصل للإعراب عن هذه المواد الجديدة من أجنبية وافدة وأخرى مما تمخض عنه اتصال الفكر العربي الاسلامي بغيره مما واجهه في تلك البقاع التي انساح فيها •

وسأعنى ببيان هذه الألوان التي استطاعت فيهـا العربية أن تفي بتلك المواد في العصور المختلفة وسأنتهي من ذلك الى شيء مما تضطلع به العربيـة في عصرنا هذا فتواجه العصر الجديد بمشكلاته العلمية المعقدة •

ولعلي سأفي بشيء من هذا فأثبت مادة لها مكانها وخطرها في تـاريخ لغتنـا •

لقد حفل أدبنا القديم بمواد حضارية تتصل بالعقيدة الدينية وبانمـاط أخرى من فنون وأدوات هي من صنع الاستقرار الحضاري •

واني لأبدأ بما يتصل بالفكر الديني في نصوص الأدب القديم فأجد من ذلك قول امرىء القيس[٣] :

حلّت لي الخمرُ وكنت امرءاً عن شربها في شُغلٌ شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقبٍ إثماً من الله ولا واغل

قال : « حلت لي الخمر » وذلك لما قتلت بنو أسدٍ أباه حرّم على نفسه الخمر حتى يأخذ بثأر أبيه ، فلما غارّهم وقتلهم حلّت له .

وقوله : « غير مستحقب اثماً من الله ولا واغل » أي غير مكتسبه ولا محتمله فيقول : انه يشرب الخمر وقد حلّت له فلا يأثم ، ويكرّم نفسه عن أن يشرب الوغْل وهو ما يشربه الواغل أي الذي يدخل على الشاربين فيشاركهم الشراب من غير ان يدعى له كالوارش مع الطعام .

وهذا النص يشعرنا ان من الجاهليين زمن الشاعر امرىء القيس من يؤمن بالله فيتحرج من شرب الخمر . وهو يعني ان لهم قدراً من فكر ديني مادته ألوهية حقة تتوزع في فرائض ورسوم وواجبات . وهذا شيء من مادة حضارية متقدمة في السلوك الانساني سمحت به عربية جاهلية اضطلعت بنماذج حضارية الى جانب غناها بالمواد البدوية .

ان الدارس ليحظى في كثير من مواد أدب الجاهليين على ما يتصل بالحياة الدينية في صورها القديمة ورسومها التي مارسوها في حياتهم فهذا بشر ابي خازم يقول[٤] :

حلفت برب الداميات نحورها وما ضم اجواز الجواء ومذنب

فهو يحلف بالهدي الذي ينحر للآلهة .

واذا قرأت قول امرىء الفيس[٥] :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة مُمسى راهبٍ متبتل

---

(٣) ديوان امرىء القيس (دار المعارف) ص١٢٢

(٤) ديوان بشر بن ابي خازم (دمشق ١٩٦٠) ص٨

(٥) ديوان امرىء القيس ص١٧

أدركت صورة الراهب الاشيب المتبتل ومصباحه في جوف الليل • ومن غير شك انه شبه وجه حبيبته بذلك • ان هذا المشهد الذي يقربه الشاعر من بيئة حضرية تنتظمها شخوص ومشاهد دينية قد برز في أدبه فكان منه نماذج عدة • ثم ان الاشارات الى الأديان وأهلها والى شيء من نوازمها لكثيرة جداً فهذا امرؤ القيس يشبه ناقته ببنيان اليهودي اظهاراً لقوته وصلابة عودها فيقول[٦] :

فعزّيت نفسي حين بانوا بجسرة أمونٍ كبنيان اليهودي خيفق

ولعلك تلمح مادة حضارية في لغة جاهلية وأنت تقرأ قول بشر[٧] :

فقل كالذي قال ابن يعقوب يوسف لاخوته والحكم في ذاك راسب

فاني سأمحو بالذي أنا قائل به صادقاً ما قلت اذ أنا كاذب

ان هذه الاشارات التاريخية وضرب المثل بذلك ليشير الى ان الشاعر الجاهلي لم ينصرف الى البيئة الجاهلية انصرافاً لا تعرف فيه اشراقة حضارية• وهذا يهدينا الى القول ان العربية الجاهلية قد عرضت لها محنة الاعراب عن نماذج حضارية في بيئة أخذت من هذه المواد قدراً •

ولقد أشرت الى حديث الشاعر القديم عن الراهب ، ولم يكن ذاك شيئاً نادراً في ذلك الادب القديم فقد ألفه الدارس وعرف ان الجاهليين عرفوا الديارات وما يقيم فيها الرهبان من رسوم دينية وما يشتمل عليه من أدوات ومواد تنتظم في ذلك الاطار الديني •

يقول امرؤ القيس[٨] :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفّال

والاشارة الى النار ، أي نظرة الى النار •

---

(٦) المصدر السابق ص١٦٩

(٧) ديوان بشر ص٤٢

(٨) ديوان امرىء القيس ص٣١

ثم يقول وهو يصف البرق[٩] :

يضيء سناه أو مصابيح راهب   أهانَ السليط بالذبالِ المفتَّل

ألا ترى ان هذه الصورة للبرق من شخوص الطبيعة بدوية كانت أم حضرية قد حظيت بصورة مشبهة لها حضرية خالصة لها حين ذكر الشاعر أجزاء الصورة من الزيت والذبال المفنل أي الفتائل •

ولا بد لنا أن نعرض لهذه الشخوص الجادة والتي تنتظم في الحياة الدينية بل قد تؤلف مادة فكر ديني جاهلي فتقرأ في ديوان أوس بن حجر[١٠] :

حلفت برب الداميات نحورها   وما ضم أجماد اللبَّيْنِ وكبْكبُ

فهو يقسم بربِّ الهدي يساق الى البيت فينحر تقرباً • ثم ان هذا الحلف والقسم ليتجاوز « ربّ الدامیات » فیکون اللّات والعُزّى ثم الله وهو أكبر من هذه الآلهة الممثلة بالأوثان فيقول[١١] :

وباللات والعُزّى ومن دان دينها   وبالله إن الله منهن أكبر

وهو يقول أيضاً[١٢] :

فان يَهوَ أقوام رَدايَ فانما   يقيني الاله ما وقى وأصادف

ثم يقول[١٣] :

فلا وإلهي ما غدرت بذمة   وانّ أبي قبلي لغيرُ مُذمَّم

---

(٩) المصدر السابق ص٢٤

(١٠) ديوان أوس بن حجر ص٧

(١١) المصدر السابق ص٣٦

(١٢) المصدر السابق ص٦٤

(١٣) المصدر السابق ص١١٨

وما أظن ان هذا الأدب وهو يفصح عن هذا الخلق الديني منصرف الى بداوة جافية أو بعيـــد عن فكر حضاري قائم على عقيـــدة دينية راســـخة الأصول •

وأنت تبصر ان الشاعر الجاهلي يسلك زاداً نافعاً من ثقافة يستعين بهـا على الاعراب عن أدبه وفكره القديم فهذا أوس الشاعر يقول(١٤) :

اذا استقبلته الشمس صدّ بوجهه   كما صدّ عن نار المهوّل حالف

ان المهوّل هو القائم على النار المقدّسة والضمير في قوله « استقبلته » يعود الى الثور الوحشي • لقد كانوا يحلفون بالنار وكانت لهم نار يقـــال انها كانت باشراف اليمن ، فاذا تفاقم الأمر بين القوم فحلف بها انقطع بينهم، وكان اسمها هولة أو المهولة ، وكان سادنها اذا أتِيَ برجل هيّبه من الحلف بها ولها قيّم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا وقع فيها استشاطت وتنقّضَت فيقول هذه النار قد تهدّدَتك • فان كان مريبـــاً نَكَلَ وان كان بريئاً حَلَف(١٥) •

وأنت تحسّ ان هذا الشاعر الذي وصفناه أنه بدويّ فلم ننظـــر الى ما كان له من ثقافة واسعة يقول(١٦) :

والفارســـية فيهم غير منكرة   فكلهم لابيـه ضيزن سَـــلِف

وفي البيت اشارة الى ما أباحتـــه الفرس من تزوج الولد من أمـــه وخالتـه •

---

(١٤) المصدر السابق ص٦٩

(١٥) المعاني الكبير ط. حيدر آباد ـ الهند ٤٣٤/١

(١٦) ديوان أوس ص٧٥

وفي ديوان زهير بن أبي سلمى مادة حضارية ذات قيمة تاريخية • وانك لتشعر أن هذا الشاعر ليس بعيداً عن فكر اسلامي متقدم حين يقول(١٧) :

فلا تكتمنّ اللهَ ما في نفوسكم
ليخفى ومهما يُكتَم اللهُ يَعلمِ
يؤخَّر فيوضع في كتابٍ فيُدَّخَرْ
ليوم الحساب أو يُعجَّل فيُنْقَمِ

ان أجزاء هذين البيتين وهي الله والكتاب والحساب وما يتبع ذلك من لوازم ، خلاصة فكر ديني ثابت الدعائم راسخ الأصول •

ومثل هذا نجده في شعر لبيد وهو أحد أصحاب المطولات • وقد يقال ان لبيداً أدرك الاسلام فثقف من مادته شيئاً ، غير أننا لا نستبعد أن يكون قد عرض له كثير من هذا في جاهليته •

ولنعرض لحديث « الكتابة » في تلك النماذج الأدبية القديمة لنتأكد أن وجوهاً حضارية حفل بها أدبنا القديم وان العربية الجاهلية كانت لغة حضارة الى جانب الاعراب عن معاني البداوة وأجزائها الكثيرة •

فهذا امرؤ القيس يقول(١٨) :

لمنْ طلل أبصرته فشجاني كخطّ زبور في عسيب يمان

يقول : أحزنني الطلل كخط زبور أي دَرَس فلا يرى منه الا مثل الكتاب في الخفاء •

وهو يقول(١٩) :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفانِ
ورسم عفت آياته منذ أزمان
أتت حجج بعدي عليها فأصبحت
كخطّ زبور في مصاحف رهبان

---

(١٧) شرح ديوان زهير ص١٨
(١٨) ديوان امرىء القيس ص٨٥
(١٩) المصدر السابق ص٨٩

انك تبصر أنه شبه الرسم الدارس للطلل بالزبور وخطه الذي أتى عليه الزمان فمحا من سطوره ما محا ، وهو يشير الى أنّ هذا « الكتاب » المزبور من صحف الرهبان في دياراتهم . وما أظنك الا أن تذهب معي في أن الأديب الجاهلي ليس كأحد من أهل البداوة ممن انقطعوا في باديتهم فلا يرون الا الفلاة وشخوصها البدوية .

وهذا بشر بن أبي خازم يقول فيعرض « لكتاب بني تميم » فيقول[٢٠]:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المُعار

وهو يقول أيضاً حين يعرض للرسوم والأطلال[٢١] :

كأنّها بعد عهد العاهدين بها

بين الذَّنوبِ وحَزمي واحِفٍ صُحُفُ

وهذه الصورة وهي تشبيه الطلل الدارس بالكتاب الذي أتت على سطوره الأيام ، ترد كثيراً في أدبهم القديم فهذا زهير يقول[٢٢] :

لمن طلل كالوَحيِ عافٍ منازلُه عفا الرَّسُّ فالرسيسُ فعاقِلُه

والوحي هو الكتاب . وحديث « الوحي » هذا كثير في شعره ومنه[٢٣] :

دارٌ لأسماء بالغَمرين ماثلةٌ كالوحي ليس بها من أهلها أرِمُ

أي ليس بها أحد .

وقوله[٢٤] :

لمن الديار غشيتها بالفَدْفَد كالوحي فيحَجَر المسيل المُخلِدِ

---

(٢٠) ديوان بشر ص٧٨

(٢١) المصدر السابق ص١٣٧

(٢٢) شرح ديوان زهير ص١٢٦

(٢٣) المصدر السابق ص١٤٦

(٢٤) المصدر السابق ص٢٦٨

والاشارة الى الكتابة والكتاب والصحف والزبر كثيرة في أدبهم فهذا لبيد يقول(٢٥) :

دَرَسَ المَنا بمُتالع فأَبان — وتقادمت بالحُبْس فالسُوبانِ
فنِعاف صارةَ فالقَنانِ كأنّها — زُبُرٌ يُرجّعُها وليدٌ يمانِ
متعوّدٌ لَحِنٌ يُعيد بكفه — قلماً على عُسُبٍ ذَبَلنَ وبانِ

فأنت ترى الصورة كاملة تنتظم الوليد اليماني ممسكاً بكفه القلم يخطّ على الزبر .

وهو يقول أيضاً(٢٦) :

عفا الرسم أم لا بعدَ حَولٍ تجرّما
لأسماء رسمٌ كالصحيفة أعجما

ويقول أيضاً(٢٧) :

وجلا السيولُ عن الطلول كأنّها
زُبُرٌ تُجدّ مُتونَها أقلامُها

فالصحيفة والاقلام والزبر شيء استعان بها الشاعر لتصوير مادته البدوية . ألا ترى غلبة مادة الحضارة على أنماط البداوة المتخلفة .

ولا بد أن أعرض للصور الفنية الأخرى في أدب الجاهليين الأقدمين فأشير الى الرسم والنحت والغناء والآلات وغيرها .

---

(٢٥) ديوان لبيد (ط. الكويت) ص١٣٨
(٢٦) المصدر السابق ص٢٧٨
(٢٧) المصدر السابق ص٢٩٩

هذا هو امرؤ القيس يعرض لبيت بجوار وادي الساجوم كأن دُمى سقفه الحور الغرائر قد حلين الياقوت وقلائد الذهب على هيئة فقر الجراد، تضوع منهن رائحة السنا الذكية فيقول[28] :

كأن دُمى سَقف على ظهر مَرمرٍ
كسا مزبد الساجوم وشياً مصورا

غرائر في كنٍ وصونٍ ونعمةٍ
يُحلّين ياقوتاً وشذراً مفقرا

وريحَ سناً في حُقّةٍ حميريةٍ
تُخَصّ بمفروك من المسك أذفَرا

وباناً وأُلوِيّاً من الهند ذاكياً
ورنداً ولبنى والكباء المقتّرا

أقول : ألا ترى أن « بيت » امرىء القيس هذا ليس الا قصراً من قصور الحضارة المترفة الانيقة فقد حفل بصور الدمى والوشى المصور والبناء ذي السقف من المرمر . ثم انه استعان على ذلك فشبه الدمى بالغرائر الحسان ذوات الصون والنعيم في أكمل زينة وأجل هيئة .

أما الحديث عن النعيم المتمثل في الوشي الأنيق الذي يشير الى أن الجاهليين عرفوا ضروباً من الترف فنجده في قول امرىء القيس[29] :

خرجتُ بها تمشي تجرّ وراءنا
على أَثرَينا ذَيلَ مِرط مُرَحّلِ

والمرط المرحّل هو الثوب الموشّى والذي عيّنَ وشيه كتعيين جدَيات الرَحْل وهو ضرب من البرود .

---

(٢٨) ديوان امرىء القيس ص٥٩

(٢٩) المصدر السابق ص١٤

ومن لوازم الترف والاناقة العطور التي وردت في أدبهم وها هـو ذا امرؤ القيس يقول(٣٠) :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضّل

وأنهم كانوا يجتهدون في أن يتوفر لديهم من مواد الترف فيجلبونها من الهند وأطرافها تجارة بحرية بالسفن والى هذا يشير الشاعر فيقول(٣١) :

اذا ذقت فاها قلت طعمَ مدامةٍ

معتّقة مما يجيء به التَجْرُ

وقد عرفوا هذا اللون من التجارة ولذلك جاء في تشبيهاتهم(٣٢) :

فشبّهَهم في الآلِ لما تَكَمَّشوا

حدائقَ دَوْمٍ أو سفيناً مُقيَّرا

وأنت تدرك من تشبيهاتهم أنهم عرفوا من مواد الحضارة والترف والاناقة القدر الكبير فامرؤ القيس يشبه لحم ناقته بهدّاب الدمقس المفتل أي الحرير المفتول فيقول(٣٣) :

يظلّ العذارى يرتمين بلحمها

وشحم كهدّاب الدِمَقْس المُفتّل

ويقول(٣٤) :

اذا ما الثريا في السماء تعرّضت

تعرّضَ أثناء الوشاحِ المفصّل

---

(٣٠) المصدر السابق ص١٧
(٣١) المصدر السابق ص١١٠
(٣٢) المصدر السابق ص٥٧
(٣٣) المصدر السابق ص١١
(٣٤) المصدر السابق ص١٤

ويقـــول[٣٥] :

ذَعَرت بهـــا سرباً نقيــاً جلوده
وأكرعُــهُ وشيُ البرود من الخـــال

ويقـــول[٣٦] :

وعنس كألـواح الأران نســـأتها
عـــلى لاحبٍ كالبُرْدِ ذي الحِبَراتِ

لقد شبه الطريق اللاحب بالبرد الموشى أي ذي الحبرات •

وهذا بشر بن أبي خازم يعرض لاخفاف ناقته التي بليت من الســـير فيشبّهها بقطع الزجاج المتكسر فيقول[٣٧] :

وقـد بَليَ الاخفــافُ الا وشــائظاً
بقين لهـــــا مثل الزُجــاج المُهَظَّمِ

وكأنهم ضاقوا ذرعاً ببيئهم البدوية أحياناً فتوجهوا الى مشـــاهدهم الحضرية وها هو ذا زهير يقول[٣٨] :

يقطعْنَ أجـواز أميـال الفـلاة كما
يغشَى النواتي غمار اللُجّ بالسُفُنِ

وهكذا ترى النواتي في غمار اللج في السفين كما تقرأ قوله وهو يشــبه الابل مجتمعة في سيرها ، سريعة في الفلاة حيث لا ماء فيها فيقول[٣٩] :

معصوصباتٌ يُبادِرنَ النجاءَ بنـا
إذا ترامت بهـــا الديمومـــة الجَدَدُ
عوم القوادس قفّى الأَرْدَمون بهـــا
إذا ترامى بهـــا المغلوبُ الزَبَدُ

---

(٣٥) المصدر السابق ص٣٧
(٣٦) المصدر السابق ص٨١
(٣٧) ديوان بشر ص١٩٨
(٣٨) شرح ديوان زهير ص١٥٥
(٣٩) المصدر السابق ص٢٨٠

والقوادس هي السفن ، والأردمون جمع أردم أي الملاح •

أما حديث الزراعة فكثير أيضاً وها هو ذا الشاعر لبيد يعرض للنخيل فيقول[٤٠] :

جَعْلٌ قصارٌ وعَيْدانٌ ينوء بها

من الكوافر مكمومٌ ومُهتَصَرُ

الجَعْلِ : القصار من النخل • والعَيْدان : الطوال • وينوء به : ينهض به ، وقال أبو عمرو : يسقط به • ومكموم أي كمامته غلاقة • ومهتصر: متدلٍ •

ثم يقول :

يشربْنَ رِفهاً عِراكاً غير صادرةٍ

فكلّها كارعٌ في الماء مُغتمِرِ

أما حديث الغناء وآلاته فكثير في أدبهم وها هو ذا عبيد بن الابرص يقول[٤١] :

ومسمعة قد أصحل الشَربُ صوتها

تأوّى الى أوتار أجوفَ محنوبِ

أي ان الشاربين أصحلوا صوتها أي جعلوه مبحوحاً فهي تلجأ الى أوتار آلتها المحنية •

وها هو ذا الشاعر طرفة يقول[٤٢] :

نداماي بيضٌ كالنجومِ وقَيْنةٌ

تروحُ علينا بين بُردٍ ومُجْسَد

(٤٠) ديوان لبيد ص٥٨

(٤١) ديوان عبيد بن الابرص (تحقيق حسين نصار) ص٢٥

(٤٢) ديوان طرفة (ط. صادر) ص٣٠

ولا بد من الاشارة الى ما يتصل بالزرع من العناية المقصودة لأخلص الى مكان اللغة في هذا اللون الحضاري • لعله من الثابت أنه لم يؤثر عن الجاهليين شيء كثير مما يتصل بالفلاحة والزرع والاهتمام بالأرض على أنها مستقر وقرى تزرع فيتخذ من ذلك مادة حضارة واستقرار • ولم يشذّ عن هذا النمط من الحياة الجاهلية القديمة الا ما عرف عن أطراف بلاد العرب كما كان في اليمن التي كان فيها للزراعة مكان أي مكان ، وكما كان في يثرب والطائف من عناية بصنوف الشجر المثمر والنخيل ومثله ما كان في هَجَر وأطراف عمان •

غير اننا لا نعرف اهتماماً بالأرض وزراعتها الا في العصر الاسلامي فقد جاء في الأثر : ان الرسول (ص) قد اهتم بالارض ووزّعها بين طائفة من المسلمين فأقطع علي بن أبي طالب أرضين هنا وهناك كما أقطع الزبير وأبا بكر وعبدالرحمن بن عوف وأبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي • وخلف بعد الرسول الراشدون فساروا سيرته بالعناية بالارض ولا سيما في الأقاليم المفتوحة ، ومثل ذلك كان في خلافة بني أمية •

وكانت العربية قد وفت بهذه الحاجات الجديدة مما اقتضته الزراعة من تهيئة الأرض وسقيها وما يستخدم في ذلك كله من أدوات وآلات • ولابد ان نستقرى هذه المواد مما يتصل بمصادر المياه كالآبار والعيون والغدران والمسايل • ان مجموع هذه المواد تؤلف معجماً وافر المواد يتصل بالزرع وحاجاته وأدواته • وقد فطن الى هذا الباب اللغويون الاقدمون فصنّفوا رسائلهم في طائفة من موضوعات هذا الباب الكبير ، فكانت كتب للنبات وكتب للشجر وكتب للكرم وكتب للنخل وكتب أخرى تتصل بالزرع والارض وما يلزمهما من مواد •

وأنت تستطيع أن تجمع شيئاً مما يتصل بأدوات السقي وأدوات الزرع من كتب اللغة العامة[٤٣] • ومن غير شك ان اللون البدوي كان يشغل من الرقعة العربية ومن طبقات المجتمع القديم حيّزاً كبيراً • ان البداوة أبقت ميسمها وطابعها في حياة الجاهليين وعاداتهم وأخلاقهم وأدبهم وسائر أوجه النشاط الانساني القديم • ولعل شيئاً من هذا عرض للاسلاميين فلم ينج نفر من هذه الآثار البدوية • وقد ارتضى هؤلاء البداوة أسلوباً وحياة ، ومن ثم فقد تنكروا لمظاهر الحياة الحضرية وما يتصل بها من الزراعة والعناية بالأرض فذموا هؤلاء الذين لزموا الأرض وعنوا بها •

غير أننا لا نعدم أن نجد طائفة أخرى رضيت عيش الحضر فاهتمت بالزراعة اهتماماً نلمحه في أدبهم • واذا كان هناك اهتمام بالزراعة فلا بد أن يكون اهتمام آخر بنواحي الحياة الحضرية الاخرى كالاهتمام بالحرف التي نظر فيها أهل البداوة لوناً من ألوان الذل والجبن والاستكانة •

وكأن أهل الحواضر قد استساغوا نمط العيش ذلك اننا نجد أمية بن أبي الصلت من الجاهليين قد عاش في الطائف الحاضرة التي عرفت الزرع والخضرة والبساتين وهو يشير الى ذلك في قوله :

فأنبتنا خضارم ناضرات يكون نتاجها عنباً وتينا

ومن المواطن الحضرية في بلاد العرب « البحرين » التي عرفت ببساتين النخل والشجر ، ومن أجل هذا جاءت الاشارات الى هذا في قول الصلتان العبدي وهو يرد على الشاعر جرير الذي عيَّر قومه بأنهم أهل نخل وزرع ، قال :

أعيَّرتنا بالنخل ان كان ما لنا

نودّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل

---

(٤٣) انظر « المخصص » لابن سيده في أبواب الارض والزرع وما يتصل بهذا . ومثل ذلك كتاب « التلخيص » ٢/٤٤٢ ، ٤٧٢

وهو يشير في قصيدته هذه الى أن قرى الزرع والنخل موطن أهل الخير والصلاح ، وان الله ـ جل وعلا ـ اختار النبيين والرسل منهم وهو يقول :

وأيّ نبيٍّ كــان من غــير قريــة
وما الحكم يا ابن اللؤم الا مع الرُسْل

وليس غريباً ان يرى الصلتان العبدي في الفــلاحة والزرع مظهراً من مظاهر الخير والصلاح ، في حين ان جريراً يرى في هذه المظاهر الحضريــة عيباً ونقصاً لا يحسن بأهل المروءة أن يلتزموا بها وهو يقول :

أقول ولم أملك ســـــوابق عبــرة
متى كان حُكم الله في كَرَب النخــل

وهو يخاطب الصلتان بهجوه فيقول :

كم عمة لك يا خُلَيد وخالــة خضر نواجزهـا من الكـرّاث
نبتت بمنبتـه فطـاب لشَـمّها ونأتْ عن القيصوم والجِثجاث

فأنت ترى مقدار تعلق جرير بالبيئة البدوية وبعــدهـا عن مواطن الحضارة التي ارتضت الزرع وسيلة للعيش واستقراراً في قرى النخــل والشــجر .

وهذا أمية بن أبي الصلت يذكر أهله بأنهم يلومونه على اقتناء بســاتين النخل فيقول :

يلومونني في اشــتراء النخيل أهلي فكلُّهُمُ يعذل

وبعد فهذا عرض لصور من أدبنا القديم برزت فيها امارات حضريــة بعيدة عن البداوة الجافية . وقد أدركنا منها أن في العربية الجاهلية ســعة للاعراب عن مظاهر الحضارة كما هي حافلة بسواد البداوة في الوقت نفسه ،

فترة العاصفة والاندفاع في الادب الالماني

Sturm und Drang

د. وائل تقي عبدالهادي
كلية الآداب / جامعة بغداد

انفرد الادب الالماني خلال القرن الثامن عشر بحركة ادبية لها خصوصيتها المميزة يدل عليها الاسم الغريب والمثير للانتباه الذي يطلق عليها • وقد استأثرت تلك الحركة بأهتمام ودراسات العديد من مؤرخي الادب في العالم • ونظرا لكون القرن الثامن عشرأهم القرون التي بدأفيها تأثيرالحضارة العربيةعلى الفكر الاوربي واضحا ، فأنه من الواجب تقديم نبذة عن ماهية الحركة الادبية فيهذه الفترة للقاريء العربي •

قبل البدء في بحث « العاصفة والاندفاع » لابد من القاء نظرة موجزة على عصر التنوير وأهم دوافعه ، وذلك لانها ـ أي العاصفة والاندفاع ـ تعد جزءا متمما له ، ولانها ظهرت خلاله •

كانت المانيا مع اطلالة القرن الثامن عشر تعج بأفكار التنوير الوافدةاليها من انكلترا وفرنسا والتي استهدفت قبل كل شيء تحرير الفكر الاوربي من النظرة الكنسية الضيقة التي كانت تعتبر اساس الفكر والعلوم وذلك لانهـا أصبحت عائقا أمام التطور الذي اخذت تشهده اوربا في كافة المجالات •

وانطلاقا من ذلك أصبح شعار هذه المرحلة « تحكيم العقل » في معالجة كافة الامور الدينية والدنيوية وهذا يعني بشكل أو بآخر « الانطلاق الحر للشخصية الانسانية »(١) •

---

(١) من محاضرة للبروفسور (Höhle) القاها في كلية الآداب ـ جامعـة بغداد تحت عنوان « لسنك والعرب والاسلام » .

تتيجة لذلك تغير الكثير من المفاهيم والمعتقدات المتوارثة وبلغت الجرأة برواد عصر التنوير حد التشكيك بمعتقدات الكنيسة الاساسية بما فيها الثالوث المقدس واعتقادهم بالوجدانية وكان على رأس من قادة هذه الحملة اديب الكبير فولتير (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨) الذي بقي مصرا على رأيه حتى الرمق الاخير رغم ضغوط الكنيسة وتهديدها بعدم السماح بدفنه في مقابر المسيحيين •

أما في المانيا دعا لسنك Lessing (١٧٢٩ــ١٧٨١) الذي ينظر اليه على انه من اكبر المعبرين عن حركة التنوير الى التسامح الديني ومساواة الاديان الثلاثة في مسرحيته « ناتان الحكيم » وتعتبر هذه الدعوة بحد ذاتها تحديا كبيرا لافكار الكنيسة ورفضا للتعصب الديني الذي استغل من قبل الكنيسة ابشع استغلال خلال حروب الاندلس والحروب الصليبية ولم تكن قناعته قد جاءت اعتباطا وانما أتت نتيجة اطلاعه على مكنونات الدين الاسلامي[٢] ، الامر الذي حدا به الى اتخاذ موقف المدافع المنصف عن الدين الاسلامي وذلك في مقالات نشرها في الخمسينات من ذلك القرن وكان من البديهي أن تتضمن تلك المقالات تثمينا ايجابيا لدور العرب الحضاري ، وذلك للترابط الوثيق بين كلمتي الاسلام والعرب لدى المثقفين الاوربيين وان كان هنالك البعض ممن يضع العثمانيين صنو العرب •

تعطي كتابات لسنك مؤشرا لادراك الادباء الالمان ما للحضارة العربية ــ التي يسر لها الدين الاسلامي سبل التطور ــ من شأن كبير وعطاء لاينضب سواء في مجال العلوم او الآداب • وليس أدل على اعجاب الالمان بالادب العربي من ترجمة كتاب حي بن يقظان لابن طفيل عام ١٧٢٦ الى الالمانية[٣] ، وقد أثار هذا العمل الادبي الفذ بالذات اهتمامهم لاحتوائه على أفكار جريئة تتماشى مع أفكار عصر التنوير الى حد بعيد •

---

(٢) قام لسنك بترجمة كتاب « العرب تحت حكم الخلفاء » لمؤلف (Abbé Mamy) من الفرنسية . المصدر نفسه .

(٣) ص ١٠ Texte und Kontexte P. 10

لقد انصب اهتمام مفكري التنوير على دراسة الفلسفة الاغريقية التي نقلها لهم الفلاسفة العرب ، وانطلاقا من تحررهم من النظرة الدينية الضيقة فأنهم ابدوا تحيزا واضحا الى الفلسفة المادية ، ووجدوا ضالتهم في أفكار الفيلسوف الهولندي اليهودي سبينوزا التي كانت محرمة انذاك[٤] والتي تنادي بوحدة الوجود وهي أفكار سبق لفلاسفة العرب ان جاهروا بها قبل اكثر من ستة قرون من ذلك الوقت . يبدو مما تقدم ان هنالك تشابها كبيرا في التوجه الفكري الاوربي في القرن الثامن عشر والحركة الفكرية العربية في القرن الحادي عشر والثاني عشر ، والتي وصفها أحد الكتاب الاوربيين بأنها « انسانية حرة سواء في المدن أو القصور ، جريئة ، لا تعرف الخوف ، كما هو الحال في القرن الثامن عشر[٥] .

وفي المجال السياسي كان الانحياز للفلسفة المادية والوقوف ضد الكنيسة يحمل في طياته توجها ضد السلطة الاستبدادية المتحكمة ، ذلك لان الكنيسة كانت أهم دعامات السلطة ومن تعاليمها استمد الحكام سلطانهم وعلى هذا الاساس كانت الفلسفة المادية تمثل ـ بالنسبة لمفكري التنوير ـ بديلا لتعاليم الكنيسة «كانت فلسفة الطبيعة التي ترفض النظرة المسيحية المتشائمة ترمي الى ان الانسان بسيطرته على الطبيعة يتمكن من تغيير العلاقات الاجتماعية بما يلائم احتياجاته»[٦] . تجاه ضعف موقف الكنيسة تضعضعت اهم ركائز السلطة السياسية واصبحت تبعا لذلك عرضة لحملة انتقاد ادبية مباشرة من ادباء التنوير ، حاولوا خلالها تبيان معايب الحكم الاستبدادي وعدم ملائمته التطور الفكري والاجتماعي الاوربي وكذلك ارشاد الحكام الى الطريق القويم للحكم .

---

(٤) Philosophisches Wöterbuch Bnd II P. 1032 ص ١٠٣٢

(٥) Ley, Geschichte der Aufklärung ص ١٦

(٦) المصدر نفسه ص ١٥ .

استند ادباء التنوير في تصورهم لما يجب ان يكون عليه الشكل السياسي للبلاد على فلاسفة الاغريق اكثر من غيرهم ، وقد اختص ڤيلاند (Wieland) (١٧٣٣ ــ ١٨١٣) بمعالجة هذه الناحية وذلك في قصتي « اكاتون » و «ملوك شيشيان » التي عرض فيهما صفات الحاكم الصالح والمدينة المثلى . أما بالنسبة الى نظرة ادباء التنوير للانسان والمجتمع فانهم لم يعيروا حياة الفرد ومشاكله الشخصية اهتماما كبيرا وذلك لانهم كانوا « يعالجونها من خلال النظم والقواعد الاجتماعية المتعارف عليها »[٧] .

بذل رواد عصر التنوير جهودا كبيرة في سبيل تطوير اللغة الالمانية ورفع مستواها الادبي وكذلك في التأكيد على اهمية المسرح الالماني كما انهم نقلوا روائع الادب العالمي الى اللغة الالمانية كمسرحيات شكسبير وقصص الف ليلة وليله وألفوا كتبا عن الحضارتين الاغريقية والرومانية .

بقيت هذه الحركة الادبية التي تزعمها لسنك وڤيلاند والشاعر كلوبشتوك (Klopstock) (١٧٢٤ ــ ١٨٠٣) مهيمنة على النشاط الفكري والادبي في المانيا حتى السبعينات من القرن الثامن عشر بالرغم من ظهور انتقاد شمل اسلوب معالجتها للامور السياسية بدأ في منتصف ذلك القرن ، اذ أن مسرحيات لسنك وكتاباته ومواعظ ڤيلاند ونصائحه لم تكن لتجدي نفعا مع السلطة الاستبدادية التي اخذت تتمادى في طغيانها ، ولم تتوان عن استغلال الشعب باستخدام ابشع الاساليب في سبيل مصالحها الخاصة وزيادة اموالها ، كبيعها الجنود الالمان الى انكلترة لاستخدامهم ضد حركة الاستقلال في امريكا الامر الذي أثار موجة سخط كبيرة بين جماهير الشعب[٨] .

---

(٧) ص ٧ . Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit

(٨) « باعت السلطات الاستبدادية الالمانية انكلترة ٢٩١٦٦ جندي مقابل مايعادل ١٠ ملايين دينار ذهب وقد سقط منهم خلال المعارك في امريكا ١١٨٥٣ جنديا . تعرض الاديب الالماني شيلر الى هذه الحادثة بصورة عرضية في مسرحيته « دسيسة وحب » التي سيأتي ذكرها فيما بعد .

تناولت جملة الانتقادات التي وجهت الى ادباء التنوير جمودهم المتأتي من وضعهم « التعقل فوق كل اعتبار »[٩] وكذلك الفصل بين الشعور والواقع وهذا ما لم يتقبله الفكر الجديد المتأثر بآراء المفكر الفرنسي جان جاك روسو التي وضعت « الشعور فوق مرتبة التعقل »[١٠] .

كان على رأس المنتقدين لاسلوب التنوير كل من المفكرين هامان Hamann (١٧٣٣ــ١٧٨٨) وهيردر Herder (١٧٤٤ــ١٨٠٣) اللذين دعيا الى اعتبار « العالم والحياة وحدة متكاملة لا يمكن فصلهما »[١١] والى « سيطرة المشاعر بواسطة اللغة التي اعتبرها هامان واسطة بين عالم الروح والعالم المحسوس[١٢] كما انهما كانا متأثرين الى ابعد الحدود بأفكار روسو ، وكتاباته .

كانت عظمة هذين المفكرين تكمن في سعة اطلاعهما على مختلف العلوم شرقية كانت أم غربية[١٣] ، بضمنها الدين الاسلامي وبأنهما كانا يعبران عما تختلج به صدورهما من أفكار حية بجرأة متناهية كان لها أكبر الاثر على الادباء الشبان مثل كوته (Goethe) الذي أصبح فيما بعد أعظم ادباء المانيا .

كان عمر كوته عند لقائه الاول بهيردر عام ١٨٧٠ لا يتجاوز الحادية والعشرين وقد تم ذلك اللقاء في مدينة شتراسبورك الواقعة تحت حكم فرنسا حيث أعجب الاديب الشاب بمنطق هيردر اعجابا شديدا تنم عليه احدى رسائله التي كتبها بعد عامين من حيث يقول « لا يمضي يوم بدون ان اتحادث مع شخصكم واتمنى لو انني تمكنت من العيش بجانبكم دوما »[١٤] وقد تضمنت

---

(٩) ص ١٩٢ Deutsche Literaturgeschichte in einem Band

(١٠) المصدر نفسه .

(١١) ص ١٤٤ Hunger - Deutsche literaturgeschichte

(١٢) ص ٦٤ Schneider - Die deutsche Dichtung in der Geniezeit

(١٣) كتب هيردر في احدى رسائله بتاريخ ٢٨ــ١٠ــ١٧٧٠ : لقد رميت بنفسي هذه الايام بشدة بين اليهود والعرب المصريين والاحباش والسوريين والسامريين ، ص ٢٧٠ (Heder Briefe p. 270)

(١٤) ص ٤٢٣ CH Beck-Sturm und Drang, Klassik, Romantik I p. 423

الرسالة كذلك آراء كوته تجاه ما أشار عليه هيردر من الاهتمام بدراسة هوميروس ــ شاعر الالياذة ــ والاديب الانكليزي شكسبير . كانت مسألة الاقتداء بهذين الاديبين قد اثارت جدلا فكريا في اوربا نظرا لان الاعجاب الشديد بهذين الاديبين أخذ يقود بالتالي الى تقليد اعمالهما وقد كتب الاديب الانكليزي يونك (Young) ل ذلك في احدى رسائله « لاتقلدوا كتابته ــ مشيرا الى هوميروس ــ بل قلدوا روحه ! »(15) ، وانطلاقا من ذلك فقد اعتبر هوميروس وشكسبير من فلتات الطبيعة ورمزا للعبقرية التي أصبحت ــ خلال السبعينات ــ مرادفة لكلمة القوى المبدعة خلافا لما كانت تدل عليه خلال الستينات وهو للتفريق بين المقلد والاصيل .

أصبح منطلق الادباء الشباب تبعا لذلك النظرية المطروحة آنذاك من قبل الاديب والمفكر الفرنسي جان جاك روسو بأن « العبقرية موهبة طبيعية لدى بعض الناس وكان الغرض من هذه النظرية تخطي حدود سيطرة العلماء وقوانينهم »(16) .

وقد أدى ذلك الى ظهور نزعة الاعتداد بالنفس والنبوغ لدى الادباء الجدد الذين عبروا عن ذلك في كتاباتهم التي تميزت « بعرض سريع لافكارهم بدون تردد أو مراجعة ورفض التقاليد او التقيد بالقواعد الادبية المتعارف عليها وقد بلغت ابعاد الاندفاع حد قدم تقبل كلام النقاد »(17) .

ان التحول في ادراك مفهوم الادب من كونه «انجاز للمثقفين الى اعتباره موهبة طبيعية ادى الى أن يتوجه الادباء الجدد في كتاباتهم الى الناس كافة »(18) بغض النظر عن مستوياتهم الفكرية أو الاقتصادية عن طريق ادخال كلمات شائعة الا انها لا تمت الى الاعراف الادبية المعتادة بصلة وذلك لاعتقاد

---

(١٥) المصدر نفسه

(١٦) ص ١٧ Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit p. 17

(١٧) المصدر نفسه ص ٢٢ .

(١٨) المصدر نفسه ص ١٧ .

هؤلاء الادباء بأن مهمة الادب في هذه المرحلة هو التغلغل في نفس القاريء أو المشاهد واثارته بشتى السبل •

كانت هذه أهم النقاط التي لعبت دورا كبيرا عند تأليف كوتـــه لمســرحيته الأولى بعنـــوان (Götz von Berlichingen) التي ظهرت عام ١٧٧١ أي بعد فترة وجيزة من لقاء كوته بهيردر •

مع صدور هذه المسرحية بدأت مرحلة جديدة من عصر التنوير اتسمت بالحيوية والاندفاع لم يشهد مثلها الادب الالماني من قبل وقد اطلق كوته على هذه المرحلة الادبية « الثورة الادبية » • اما اسم « العاصفة والاندفاع » الذي يطلق عليها كذلك فهو نسبة الى عنوان مسرحية ظهرت عام ١٧٧٦ للكاتب مكسمليان كلنكر (Klinger) [١٩] •

حازت مسرحية كوته الاولى على اعجاب المشاهدين وسببت لكاتبهاشهرة واسعة في المانيا بالرغم من انتقاد هيردر الذي كتب الى كوته يقول « لقـــد حطمك شكسبير» [٢٠] لان كوته وضع مسرحيته على غرار مسرحيات شكسبير التي تميزت بسرعة تغيير المشاهد • كما ان كوته اقتبس موضوعها من تأريخ المانيا خلال ثورة الفلاحين عام ١٥٢٥ أما الشيء الجديد في هذه المسرحية فهو لغتها المبسطة واستعمال كلمات نابية ـ بالمفهوم العام ـ ضد السلطة لم تعهدها المسارح الالمانية من قبل وكذلك الكفاح في سبيل الحق والعدالة المتمثل في شخص بطل المسرحية الاقطاعي « كوتز » الذي يتعاطف مع الفلاحين الثـــائرين بالرغم من منزلته ويقودهم في نضالهم ضد السلطة المستغلة وضد رجال الدين الى ان يقع اسيرا في يد اعدائه •

وفي عام ١٧٧٣ وضع كوته مسودة لعمل ادبي سماه « اناشيد محمد » احتوى على اروع قصائده التي يصور فيها « عظمة النبي محمد وروحـــه

---

(١٩) ص ٤٧١ Annalen der deutschen Literatur p. 471

(٢٠) C.H. Beck-Sturm und Drang, Klassik, Romantik p. 423.

المتطلعة الى الكمال»[٢١] على شكل تيار يجرف معه كل المياه ويقودها الى المحيط .

ان اعجاب كوته الشديد بشخصية محمد تعود الى اطلاعه على القرآن الكريم الذي اقتبس منه بعض السور وضمنها قصيدته الرائعة هذه كما انه كان يستشهد بسور من القرآن ففي احدى رسائله الى هيردر عام ١٧٧٢ يذكر كوته« ان حالي كمال قال موسى في القرآن «ربي اشرح لي صدري»[٢٢] . لا بد هنا من ملاحظة نقطة مهمة وهي ان اعجاب كوته بالقرآن كان بتأثير من هيردر الذي كتب في احدى رسائله في بداية عام ١٧٧١ اي أثناء تواجد كوته معه مبديا أسباب اعجابه بقصيدة نشرت في احدى الجرائد السويسرية « لانها تحتوي على شجاعة محمدية منزلة من السماء»[٢٣] .

حصل كوته على شهرة في اوربا وفي فرنسا بالخصوص خلال مؤلفه «آلام الشاب ڤيرتر» الذي صدر عام ١٧٧٤ وقد تميز بوصف دقيق للمشاعر الجياشة التي زخرت بها صدور شباب تلك الفترة ورفض العلاقات الاجتماعية التي تعرضها رسائل ڤيرتر الذي يدفعه حبه الى زوجة صديقه الى الانتحار ليضمن لها السعادة وليتخلص من آلامه وما يلاقيه من عذاب .

بدأ كوته في هذه المرحلة كتابة مسرحية فاوست وكان غرض كوته هو اطلاق العنان لمخيلته من خلال شخصية فاوست الناقم على العلوم المتداولة والتطلع الى العلوم الحقة والمعرفة ويدفعه ذلك الى محاولة الاتصال بقوى ماوراء الطبيعة بواسطة السحر . وفي قصيدته الشهيرة (Prometheos) «يرفع كوته المقدرة البشرية الى مرتبة الاولوهية»[٢٤] .

---

(٢١) ص ١٨٥ Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit p. 185

(٢٢) ص ٤٢٣ C.H. Beck-Sturm und Drang, Klassik, Romantik p. 423

(٢٣) ص ٢٩٥ Herder Brief p. 295.

(٢٤) ص ١٩٠ Schneider—Die deutsche Dichtung in der Geniezeit p. 190

اما في مقطوعته الادبية (Egmont) التي تدور حوادثها حول حركة الاستقلال الهولندية من نير الحكم الاسباني فتظهر ولاول مرة في الادب الالماني عبارة « آلهة الحرية » .

تظهر أعمال كوته الادبية تعلقا شديدا بالطبيعة تصل ذروتها في عبارة « اهدني ايتها الطبيعة » التي حلت محل « اهدني أيها الرب » وهذا يبين تأثر كوته بأفكار سبينوزا التي سبق ذكرها . والتي تعرضت لانتقاد الفيلسوف الالماني كانت الذي قال «تتعرف على الطبيعة عندما نصنعها»[٢٥] .

بعد نيف وعشر سنوات من قيام كوته بحركته الادبية أي في عام ١٧٨١ ظهرت مسرحية جديدة لاديب شاب يدعى شلر (Schiller) استحوذت على «اعجاب جمهور المشاهدين الى درجة نسي فيها نفسه»[٢٦] وسبب هياجه الامر الذي دعا السلطة الاستبدادية الحاكمة الى منع عرض المسرحية وملاحقة مؤلفها الذي اضطر الى الهرب من المقاطعة .

كان الشيء الذي أثار حفيظة المشاهدين الكلمات القاسية والمؤثرة ضد الاستبداد والتي اظهرته على حقيقته حيث يقول فرانز الذي يمثل الاستبداد بكل معانيه لفلاحي مقاطعته : « ان احب الالوان لدي هو شحوب الفقروخوف العبيد ، والويل لمن يمر امام عيني بخدود وردية » .

يهب أخ فرانز وهو كارل بالوقوف امام جبع أخيه وطغيانه ويتعرض لذلك لمؤامرات فرانز الذي يستطيع من خلالها أن يوغر صدر ابيه ضد كارل فيضطر هذا للهرب وينتزعم عصابة من اللصوص هدفه من ذلك الدفاع عن الحق واغاثة المظلومين فكان يقتل الحكام الظالمين ويسلب اموال الاغنياء الجشعين ويوزعها على الفقراء والمحتاجين الا ان مثاليته تقوده للاصطدام مع افراد عصابته التي كانت السرقة بالنسبة لهم مهنة يتعيشون عليها لذا يضطر الى تسليم نفسه للسلطات ويساق الى الموت .

---

(٢٥) المصدر نفسه ص ٣٦ .

(٢٦) الدكتور غازي شريف : «التغريب في المسرح الالماني» العدد الحادي والعشرين ، مجلة كلية الآداب ــ جامعة بغداد المجلد الثاني ص ١١٥ .

المسرحية الثانية التي عالج شيلر من خلالها مشاكل عصره السياسية والاجتماعية هي مسرحية دسيسه وحب «التي صدرت عام ١٧٨٤ والتي تحكي قصة حب بين ابن الامير وابنة موسيقي ضعيف الحال ولعدم تماشي ذلك مع تقاليد العصر فأن الامير واتباعه يلجأون الى استعمال أساليب دنيئة في سبيل ابعاد الابن فردناند عن ابنة الموسيقي لويزا وتكون نهاية المسرحية هو انتحار فردنايد بعد موت لويزا بالسم على يديه وامام هذا المشهد يسقط في يد الامير فيسلم نفسه للعدالة طواعية » .

اهم ما تعرضه هذه المسرحية هو انحطاط وضعة الطبقة الحاكمة الالمانية والمواجهة المباشرة بين فردناند الذي يمثل أمل الطبقات الاجتماعية الجديدة وبين الجيل القديم في شخصية والده كما ان شيلر قد صاغ المسرحية بصورة تجعل المشاهد يعتقد بأنها صورة واقعية لحياة القصور في المانيا[٢٧] . لذا تعتبر هذه المسرحية اروع تتاجات هذه الفترة»[٢٨] .

سار شيلر على منوال كوته في تصويره للكفاح الشعب الهولندي ضد اسبانيا في سبيل نيل حريته وذلك في مسرحيته « دون كارلوس » التي ركز هجومه على استبداد الملك الاسباني فيليب الثاني وعلى محاكم التفتيش ولا انسانيتها » .

اختلف شيلر عن غيره من ادباء العاصفة والاندفاع بجرأته وبكرهه الشديد للسلطة المستبدة وحبه المثالي والثوري للانسانية[٢٩] ، وهذا يرجع الى أن شيلر كان على مساس مباشر بالاستبداد منذ صباه الذي قضاه مجبرا في المدرسة العسكرية التي كانت تخضع لاشراف أمير المقاطعة المباشر وقدتركزت هذه الفترة العصيبة من حياته آثارا لا تنسى عبر عنها في كتاباته الادبية .

---

(٢٧) ص ٢٦٦

Schneider-Die deutsche Dichtung in der Geniezeit p. 266.

(٢٨) المصدر نفسه ص ٢٧١ .

(٢٩) ص ١١١

Thomas Mann, über deutsche Literatur (Reclam) p. 111.

هنالك أعمال ادبية اخرى للاديبين كوته وشيلر لم تنل شهرة كبيرة لذا لم يجر ذكرها كما ان الادباء الآخرين الذين ساروا في هذه الفترة على هــذا النهج لم يصبهم مثل ما اصاب كوته وشيلر من شهرة ونجاح اللذان يعتبران مفخرة الادب الالماني حتى يومنا هذا .

ادى ارتباط كوته بمناصب رفيعة في مدينة فايمار التي اصبحت مركزا للاشعاع الادبي في المانيا الى حدوث تغيير تدريجي في اتجاهه الادبي وقــد ارهقته المشاكل الوظيفية والعاطفية في تلك المدينة الى درجة التفكير بالهرب فغادر المانيا متوجها الى ايطاليا عام ١٧٨٦ حيث بقي هناك قرابة الثلاث سنوات بدأ خلالها مرحلة ادبية جديدة هي مرحلة « الكلاسيك » وبعد عودته التقى بشيلر لاول مرة وقد انضم شيلر الى الاتجاه الادبي الجديد اي قبل حدوث الثورة الفرنسية بوقت قصير .



ما يسمى بالدخيل او الاعجمي في المعجمات العربية

بقلم : طه باقر الاستاذ بقسم الاثار
كلية الاداب ـ جامعة بغداد
والعضو العامل في المجمع العلمي العراقي

مقدمة وتمهيد (١)

من الحقائق الحضارية المهمة التي كشفت عنها البحوث والتحريات العلمية الحديثة ان تراث حضارة وادي الرافدين الضخم لم يقتصر على الجوانب الفكرية والادبية والعلمية في الحضارات التي جاءت من بعدها بل انه شمل حقل اللغة كاستعارة المفردات اللغوية الكثيرة التي انتقلت منها طائفة مهمة الى اللغتين اليونانية واللاتينية ومنها الى اللغات الاوربية الاخرى كما سيتضح لنا ذلك من الامثلة التي سنوردها • واكثر من هذا انتقل الكثير من المفردات اللغوية الحضارية الى اللغات العربية القديمة (او ما يسمى باللغات السامية) كالارامية والسريانية والعربية والعبرانية •

ومع ان مواطن الحضارات القديمة في الوطن العربي ورثت الكثير من تراث لغاتها القديمة بيد انه يصح القول للاسبابالتي سنوردها ان العراق تفرد من بين تلك الاقطار بضخامة تراثه اللغوي القديم من اللغات القديمة التي ازدهرت في حضاراته القديمة المتعاقبة وتركت رواسب لغوية كثيرة متراكمة لا تزال اثارها باقية في العامية العراقية وفي اللغات العربية المحكية الاخرى في ارجاء الوطن العربي ولكن بدرجات أقل •

---

(١) تستند هذه المقدمة بالدرجة الاولى الى بحث لي نشرته في مجلة « التراث الشعبي » ، السنة الثانية ، العدد العاشر (١٩٧١) ص٦ فما بعد .

ولعلني لا ابالغ اذا قلت ان موضوع الرواسب اللغوية في تراثنا اللغوي العربي يأتي في مقدمة الموضوعات التي يجدر ان يضطلع بها باحثونا اللغويون ذلك لانه يدخل في صميم تراثنا العربي اللغوي الضخم المتمثل في المعجمات العربية التي تعد بحق من اروع ما انتجه الفكر العربي في ميدان علوم اللغة ، وكانت منطلقا بارزا في تطوير علم المعاجم في الحضارات الانسانية (Lexicography) • ومع انه لا يدخل في موضوع بحثي نشوء هذا العلم وتطوره في الحضارة العربية الاسلامية بيد ان هناك امرا يلاحظه الدارس لتلك المعاجم ويدخل في صميم هذا البحث المتواضع ، ويجدر التنويه به ذلك هو ضعف تلك المعجمات ونقصها في اهم ما يميز المعاجم الحديثة واعني بذلك التأصيل اللغوي اي ارجاع المفردات الى اصولها الاشتقاقية (Derivation) ولا سيما في الالفاظ التي ظنوها غير عربية فوسموها بالتسمية الغامضة « الدخيل » او « الاعجمي » وقد يستعملون مصطلح فارسي او سرياني ــ ارامي في بعض المفردات • على ان هذا النقص الذي نوهت به في معجماتنا العربية لا يقلل من شأنها ويضيرها ، ذلك لان معرفة اللغويين العرب بما يسمى باللغات السامية او اللغات العربية القديمة كانت ناقصة محددة لان ما كان معروفا منها اقتصر على الارامية والعبرانية ولم تكن اللغات السامية الاخرى قد كشف عنها النقاب عن طريق مدوناتها اللغوية ، ذلك الكشف الذي يعد من اروع ما انجزته التحريات الآثارية الحديثة •

وهناك نقائص اخرى في معجماتنا العربية مع انها لا تدخل في موضوع بحثي ولكن ينبغي الاشارة اليها واعني بذلك اهمالها لعرض تطور المفردات اللغوي بحسب العصور المختلفة كما انها نادرا ما تذكر معانيها الفنية والاصطلاحية • ويستثنى من ذلك قلة من المعجمات الصغيرة في الفنون والعلوم اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مفاتيح العلوم للخوارزمي وكتاب (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١٧٤٥) • واراني متطفلا على

هذا الموضوع الخطير اذا أهبت بلغويينا المحدثين ان يضطلعوا بهذا الواجب القومي الخطير فيحذوا حذو لغويينا القدماء ويخرجوا لنا معجمات حديثة وفق اصول فن المعاجم الحديثة ، على ان يتلافوا فيها تلك النقائص التي اشرت اليها واهمها قضية التأصيل اللغوي باعادة النظر اعادة جذرية فيما اصطلحوا عليه من الدخيل او الاعجمي التي يمكن البرهنة عليه بالادلة التاريخية التي لا يرقى اليها الشك في ان معظمه تراث اصيل من تراثنا اللغوي القديم ولا سيما من اللغات القديمة التي ازدهرت في حضارة وادي الرافدين مثل السومرية واللغة الاكدية وفرعيها الرئيسين البابلية والاشورية. وقد جاءت الينا عن طريق عدة لغات منها الارامية والفارسية القديمة ، كما ان طائفة كبيرة من تلك المفردات ظلت حية في استعمال عامية العراق ولا سيما في شؤون الفلاحة والزراعة والري والبساتين ، ويقتصر استعمال البعض منها على عامية العراق .

صعوبات التاصيل اللغوي :-

موضوع الرواسب اللغوية القديمة او التراث اللغوي القديم في العربية من الموضوعات الشيقة الجذابة التي تستهوي القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية وتستدرج الهواة والباحثين المتطفلين الى المخاطر والمزالق ، وقد قرأنا في الاونة الاخيرة العجائب والغرائب في موضوع التأصيل او كما يسميه البعض «الترسيس» ، فحفزني ذلك على ان ادلو بدلوي لاسهم بنصيب متواضع في هذا الموضوع الشائك الذي بدأ به ولعي منذ عهد قديم وتجمعت لدي عنه مادة لا تزال حبيسة دفاتري القديمة ، ولكن رغم تلك المخاطر التي نوهت بها قررت بالحاح من الاصدقاء والزملاء ان اخرجها الى النور لتكون حافزا للباحثين الاخرين لمناقشتها . وساقتصر فيما ساورده من المفردات اللغوية التراثية على اوضحها واوثقها من حيث تأصيلها وارجاعها الى تراثنا اللغوي القديم ، وقد اقر الكثير منها معظم الثقات من الباحثين وتحققت لدى هوية البعض الاخر منها بالادلة اللغوية التاريخية .

ولكي يكون ما ساورده من مفردات واضحا جليا رأيت ان اضعه في اطاره اللغوي التاريخي بتقديم فذلكة تأريخية عن لغات العراق القديم ليكون القارىء على بينة حين نرجع اصل بعض المفردات الى اللغة او اللغات التي تكلم وكتب بها سكان العراق القدماء • واول ما اذكر تلك الحقيقة التاريخية التي تميز تاريخ وادي الرافدين في قدم تراثه الحضاري ومنه تراثه اللغوي وتنوع هذا التراث واختلاف اصوله التي ترجع الى الاقوام المختلفة التي اسهمت في تكوين حضارته • وتكدس وتراكم هذا التراث بهيئة طبقات كثيرة منضدة بعضها فوق بعض على نحو ما يجده المنقب الاثري في موضع أثري استوطنه الانسان منذ ابعد عصور ما قبل التاريخ ، واستمر الاستيطان فيه الى يومنا هذا فتراكمت فيه طبقات السكنى المتعاقبة ، الاحدث فوق الاقدم مكونة ادوارا حضارية تاريخية ، يتميز كل منها بخصائصه الحضارية الخاصة وان كلا منها ورث عناصر حضارية من سابقه ، ومن ناحية الموضوع الذي بين ايدينا يهون الامر على الباحث في هذه الادوار التاريخية لو ان نفس العناصر او الاقوام البشرية استمرت في استيطان ذلك التل الاثري الذي ضربناه مثلا ، وليس من جانب اقوام متعددة ذات اصول ولغات مختلفة •

ويمكن ايجاز هذه الصورة بالقول ان حضارة وادي الرافدين كانت حضارة متعددة اللغات أو غير متجانسة اللغات (Hetrogenous) بالمقابلة مع حضارات قديمة اخرى مثل حضارة وادي النيل التي تعد من هذه الناحية ذات تراث لغوي متجانس (Homogenous) اذ يقتصر الامر في تراثها اللغوي على رواسب اللغة المصرية القديمة • ان التشبيه الذي اوردته ليس من باب المجاز بل انه عين الواقع التاريخي بالنسبة الى تراث حضارة وادي الرافدين اللغوي • وليت العلم الحديث يخترع لنا جهازا « الكترونيا » يبلغ من الدقة والحساسية درجة بحيث انه يستطيع ان يستعيد لنا اصوات اللغات العديدة التي كانت تتكلم بها الاقوام التي استوطنت العراق منذ عصور ما قبل التاريخ • ولو تحققت هذه الامنية

العلمية الخيالية لسمعنا العجب العجاب من اصوات لغات ولهجات ورطانات لم يفطن الى وجودها الباحثون في لغات العراق القديم ، ولاستطعنا ان نحل اسرارا والغازا ما زالت مبعث حيرة وتخيلات : فمن كان يا ترى اولئك الاقوام الذين انشاؤا حضارات أو ثقافات عصور ما قبل التأريخ ؟ وما هي اللغة التي كان يتكلم بها انسان « النياندرتال » من العصر الحجري القديم الذي عاشت جماعات منه في كهوف العراق الشمالية قبل نحو ٧٠٫٠٠٠ ـــ ٥٠٫٠٠٠ عام ، ومنها كهف شانيدر في اعالي الزاب الاعلى حيث وجدت فيه نماذج عديدة من هياكله العظمية ؟ وهل ان لغات فصائل الانسان القديمة المختلفة ماتت وعفيت آثارها فلم تترك شيئا في لغات الانسان الحديث ؟ ومن كان اولئك الاقوام الذين كانوا اول من استوطن السهول الرسوبية في وسط العراق وجنوبيه قبل السومريين والساميين ولم يخلفوا لنا سوى آثار ضئيلة من لغتهم ومنها اسماء معظم المدن التاريخية المشهورة ومنها اسما دجلة والفرات ، ومفردات قليلة في اسماء بعض الحرف والمهن الحضارية المهمة مثل نجار وملاح وفخار واسكاف وغيرها من المفردات التي رأى بعض الباحثين انها ليست من اصول سومرية ولا اكدية (سامية) واطلقوا على اهلها اسما غامضا هو « الفراتيون » الاوائل (Proto-Euphrateans) (٢)

واذا تجاوزنا مثل هؤلاء الاقوام المجهولي الاصل فينبغي على الباحث مع ذلك ان يأخذ بنظر الاعتبار لغات الاقوام الاخرى المشهور ةممن خلفوا لنا مدونات تاريخية في لغاتهم الخاصة وفي مقدمتهم السومريون والاكديون ولغتهم الاكدية بفرعيها الرئيسين البابلية والاشورية • ونوجز فيما يلي نبذة عن هذه اللغا تالتاريخية المشهورة لعلها تكفي لايضاح الموضوع الذي بين أيدينا :

---

(٢) لا يسعنا اسهاب القول في موضوع هؤلاء الاقوام فاحيل القارىء الى المناقشة الموجزة في كتابي : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول (١٩٧٣) ص ٧٤ فما بعد . وانظر بحث صاحب النظرية الاستاذ « لاندز بيركرر » في المجلة التاريخية لجامعة انقرة (١٩٤٣ ـ ١٩٤٥) وايضا S.N. Kramer, The Sumerians (1963), P. 40.

١ ـ اللغة السومرية

ليس من موضوعنا ان نسهب القول في الاراء المختلفة التي قيلت عن اصل السومريين الذين كانوا من اقدم المستوطنين في سهول وادي الرافدين واسهموا بنصيب كبير في حضارته وكانت لهم تأثيرات ثقافية واسعة في الاقوام الاخرى التي استوطنت العراق القديم وفي مقدمتهم الاكديون (الساميون) وشملت تأثيراتهم اقوام الشرق الادنى الاخرى • وخلاصة ما يقال عن اصل السومريين والمهد الذي نزحوا منه ان ذلك لا يزال من الالغاز التي لم تحل بعد • ومن ناحية موضوع هذا البحث نكتفي بالقول ان اللغة السومرية هي الاخرى مجهولة الاصل ولا يمكن ارجاعها الى احدى العائلات اللغوية المعروفة [٣] فهي مثلا ليست من عائلة اللغات العربية القديمة (السامية) ولا من عائلة اللغات « الهندية الاوربية » ولا من عائلة « الاورال ــ الطاي »، بيد انها من بعد حل رموز الخط المسماري الذي دونت به والذي يعزى اختراعه الى السومريين اصبحت لغة معروفة في مفرداتها ونحوها ونصوصها المدونة التي تعد من اقدم او اقدم نصوص مدونة في التأريخ (منذ مطلع الالف الثالث ق • م) • وكانت هذه اللغة بحكم تفوق السومريين الثقافي لغة العلم والادب في وادي الرافدين وظلت كذلك حتى من بعد زوال كيان السومريين السياسي منذ مطلع الالف الثاني ق • م • وتركت من ناحية الموضوع الذي بين أيدينا تراثا لغويا ضخما في تاريخ العراق سواء كان ذلك بطريق مباشر باستمرار تداول الكثير من مفرداتها ومصطلحاتها الفنية ام عن

---

(٣) لعله من المفيد ان نورد التعريف العلمي لما يصطلح عليه علماء اللغة العائلة اللغوية ، فيقصدون بالعائلة اللغوية (Family of Languages) عدة لغات منحدرة من اصل واحد ولذلك فهي تتشابه في مفرداتها ونحوها اي تراكيبها . واذا استثنينا لغات الهنود الحمر في امريكا وبعض اللغات التاريخية المجهولة الاصل ومنها للغة السومرية فان اللغات البشرية المعروفة تنتظم في اربع عائلات لغوية هي التي اشرنا اليها (اى : (١) عائلة اللغات العربية (السامية) (٢) عائلة اللغات الحامية (٣) عائلة لغات الاورال ــ الطاي (٤) عائلة اللغات الهندية الاوربية .

طريق غير مباشر باستعارة الكثير من مفرداتها من قبل الاقوام القديمة في العراق القديم وفي مقدمتهم الاكديون (الساميون) • ويجدر ان نذكر بهذا الصدد ان السومريين انفسهم استعاروا من الاكديين مفردات لغوية غير قليلة دخلت في صلب لغتهم ، وسنقف على امثلة لهذا الاقتباس المتبادل في المفردات التي سنذكرها من بعد هذه المقدمة • وهنا ينبغي على الباحث ان يحسب لهذه الحقيقة التأريخية حسابها حين يحاول ارجاع اصول التراث اللغوي في العراق ، فقد تكون الكلمة التي يظنها سومرية الاصل هي في الواقع سامية النجار استعارها السومريون من الاكديين •

٢ ـ اللغات العربية القديمة (السامية) :

من الحقائق المعروفة عن تاريخ الاستيطان البشري في العراق وفي اجزاء الوطن العربي الاخرى كثرة هجرات الاقوام الذين سماهم المستشرق « شلوتزر » (١٧٨١) بالاقوام السامية ظنا منه انهم من ابناء سام بن نوح كما جاء في جدول الانساب في التوراة (سفر التكوين الاصحاح العاشر ٢١ ـ ٣١ والاصحاح الحادي عشر ١٠ ـ ٢٦)

وهذه فرضية لا يسندها الواقع التاريخي ، والصحيح ان نطلق عليهم اسم اقوام الجزيرة او الجزيريين او الاقوام العربية[٤] من حقيقة كون الجزيرة العربية هي المهد الذي نزحت منه تلك الاقوام منذ ابعد عصور ما قبل التاريخ الى الاجزاء المختلفة من الوطن العربي بحيث يصح القول ان الاصول العربية او الجزيرية فيها تطغى على تركيب سكانها وتراثها اللغوي • واذا كان ليس من موضوعنا الكلام على تلك الهجرات في الازمان التاريخية المختلفة ، بيد ان موضوع بحثنا ذو صلة لازمة بالتعرف على اللهجات والفروع التي انقسمت اليها عائلة اللغات العربية او ما يسمى باللغة الام (Ur Sprache) ، فنقول ان الباحثين تواضعوا على تقسيم

(٤) راجع كتابي الموسوم « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الاول (١٩٧٣) الفصل الاول

افراد هذه العائلة اللغوية الى كتلتين أو مجموعتين كبيرتين هما كتلة اللغات العربية الشرقية (السامية الشرقية) وكتلة اللغات الغربية (السامية الغربية) وتلحق بهذه الكتلة الثانية اللغات العربية بفرعيها الكبيرين ، العربية الشمالية التي نزل القرآن الكريم باحدى لهجاتها وهي لغة قريش ، وكانت اصل اللهجات العربية المحكية الان في الوطن العربي • والفرع الثاني اللهجات العربية الجنوبية كالمعينية والسبأية والحميرية وقريب منها اللغة الحبشية -•

وانحصرت الكتلة الشرقية بالدرجة الاولى في العراق القديم وعرفت باسم اللغة الاكدية نسبة الى بلاد اكد المشتق اسمها من اسم العاصمة الاكدية « اكد » او « اكادة » التي اسسها مؤسس السلالة السرجونية سرجون (في حدود ٢٣٧٠ ــ ٢٣١٥ ق • م) • ولا يعني هـذا كما قد يتبادر الى الذهن ان هذه السلالة تمثل اولى هجرة للساميين الى وادي الرافدين ، بل ان الثابت تاريخيا ان العرب القدماء (الساميين) نزحوا الى العراق من الجزيرة منذ ابعد عصور التاريخ ، ولكن السومريين هم الذين برزوا في مسرح الحوادث ثقافيا وسياسيا ، ولا سيما في العهد الذي عرف في تاريخ العراق القديم باسم عصر دول المدن (City—States) او عصر السلالات (٢٨٠٠ ــ ٢٣٧٠ ق • م) ، ومع ذلك فان اسماء غير قليلة من اسماء حكام تلك الدويلات كانت اسماء عربية قديمة (سامية) ، ولعل ابرز مثال على ذلك ان مالا يقل عن نصف اسماء سلالة كيش الاولى البالغ عددهم اربعة وعشرين ملكا كانت اسماء سامية • وكانت سلالة كيش هذه اولى سلالة حكمت في العراق من بعد الطوفان بحسب أثبات الملوك السومرية • ولكن باستثناء اسماء الاعلام وطائفة من المفردات الاكدية الواردة في عصر السلالات السالف الذكر لم تأت الينا لحال التاريخ نصوص مدونة باللغة الاكدية باستثناء نص اكدي منقوش على تمثال للملك السومري « لوكال زاكيري » من اخر عصر السلالات وهو الذي قضى عليه سرجون الاكدي • وبدأت اللغة الاكدية تدخل في طور التدوين الواضح منذ عهد

السلالة الاكدية السالفة الذكر واصبحت لغة الدولة الرسمية وتحل محل السومرية شيئا فشيئا ، ولكن بقيت السومرية مستعملة في النصوص الادبية والعلمية الى آخر اطوار حضارة وادي الرافدين ، كما كان الحال في اللغة اللاتينية في أوربة من بعد زوال الامبراطورية الرومانية •

ويعني هذا بعبارة اخرى ان العراق القديم كان مزدوج اللغة (Bilingual) حيث اللغتان الرئيستان السومرية والأكدية • وعلى ما هو معروف في تاريخ العراق اللغوي مرت اللغة الاكدية في تاريخها الطويل بادوار تطورية حدث فيها كثير من التغييرات الصوتية والتركيبية ، استتبع عنها ان انقسمت الى لهجات يمكن حصرها في لهجتين رئيستين هما اللغة البابلية في بلاد بابل واللغة الاشورية في بلاد اشور ، وانقسمت كل من هاتين اللهجتين بمرور الازمان الى لهجات فرعية مثل البابلية القديمة والوسيطة والحديثة والمتأخرة ، والاشورية القديمة والوسيطة والحديثة • وحكم في العراق فيما يسمى بالعصر البابلي الوسيط (١٥٠٠ ـــ ١٠٠٠ ق • م) سلالة عرفت باسم السلالة الكشية اصل حكامها من الاقوام الجبلية في جبال زجروس بيد ان هؤلاء الكشيين لم يأتوا الى العراق باعداد كبيرة وكانوا مجرد طبقة حاكمة مع اتباعها من المحاربين ، وانهم لم يستعملوا لغتهم القومية بل انصهروا في بودتقة حضارة وادي الرافدين بحيث انهم لم يخلفوا تراثا لغويا يعتد به ويقتصر على اسماء الاعلام من ملوكهم واسماء آلهتهم ومفردات لغوية قليلة دونها اصحاب المعاجم في العراق القديم • ومع ان الاكدية بفرعيها الرئيسيين البابلية والاشورية ظلت كما قلنا اللغة السائدة في وادي الرافدين بيد انها دخلت في ادوارها الاخيرة (منذ مطلع الالف الاول ق • م) تحت تأثيرات لغوية لا يستهان بها من بعض افراد اللغات العربية الغربية وبوجه خاص اللغة الارامية •

اما كتلة اللغات العربية الغربية فكانت لغات الاقوام التي استوطنت بلاد الشام في موجات تاريخية متعاقبة ، اشهرها بحسب الترتيب التأريخي : اللغة الكنعانية ولهجاتها المختلفة كالاوغاريتية (اوغاريت التي تمثلها رأس الشمرا الآن بالقرب من اللاذقية) والفينيقية ثم الامورية (نسبة الى امورو أو مارتو وهو المصطلح الذي اطلقه سكان العراق القدماء على بلاد الشام والغرب)، ثم الارامية والعبرانية ، ولهجات اخرى مضاهية . وصارت بلاد الشام وبواديها وجهات الفرات الاعلى وشمالي غربي الفرات وجزيرة ما بين النهرين العليا بمثابة مهد ثان للاقوام العربية القديمة انتشروا منها في هجرات كثيرة الى أقاليم الوطن العربي ، ولا سيما وادي الرافدين حيث اقاموا فيه عدة دول حاكمة بعد ان قضوا على امبراطورية سلالة اور الثالثة السومرية واشتهرت من تلك السلالات الحاكمة سلالة بابل الاولى (١٨٩٤ ــ ١٥٠٠ ق . م) التي اشتهر منها ملكها السادس حمورابي (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق . م) . ولكن الغريب في امر الاموريين الذين استوطنوا العراق أنهم رغم نفوذهم السياسي لم يدونوا بلهجتهم الامورية بل انهم اتخذوا اللغة البابلية . فيمكن القول مما يتعلق بموضوع بحثنا ان الاموريين لم يتركوا تراثا لغويا يعتد به باستثناء اسماء بعض الاعلام واسماء بعض الالهة . على ان الحال كان يختلف بالنسبة الى اللهجة او اللغة الارامية من حيث تراثها اللغوي الكبير في العراق وفي انحاء الشرق الادنى . فان الاراميين رغم اخفاقهم السياسي بسبب ضغط الاشوريين عليهم خلفوا تراثا ثقافيا كبيرا في النواحي اللغوية ولا يزال هذا التراث حيا الآن ، حيث يتكلم باللهجات السريانية (من فروع الارامية القديمة) عدة طوائف مسيحية في سورية والعراق ولبنان ، ويتكلم السريانية ايضا الطائفة الصابئية (المندعية) وصارت الارامية وسيطا لغويا جاءتنا عن طريقها طائفة كبيرة من المفردات البابلية بالاضافة الى مفرداتها الخاصة ، وهو ما درج على تسميته اصحاب المعاجم العربية باسم الدخيل والارامي .

اذا اهملنا بعض الاقوام القديمة الذين يشك في اصلهم الهندي ـ الاوربي مثل الكوتيين الذين قضوا على امبراطورية سرجون الاكدي (في حدود ٢٢٠٠ ق ٠ م) ومثل اللولوبيين ثم الكشيين الذين نوهنا بهم ـ نقول اذا استثنينا امثال هؤلاء الاقوام الذين لم يثبت انهم خلفوا في العراق اي تراث لغوي ، فلابد للباحث الذي يتناول تأصيل التراث اللغوي في العراق ان يأخذ بعين الاعتبار لغات الاقوام الايرانية مما كان لهم اثر مباشر في حياة العراق السياسية مثل الماذيين الذين اسسوا سلالة حاكمة قبل الفرس الاخمينيين الذين حكموا العراق زهاء قرنين من الزمان (٥٣٩ـ٣٣١ ق ٠ م ٠ فمع ان اللغة البابلية بخطها المسماري ظلت لغة رسمية في العراق وحتى في بلاد ايران في المدونات الرسمية ، ولكن مما لاشك فيه ان حقبة القرنين اللذين دامتها الامبراطورية الفارسية الاخمينية قد تركت تراثا لغويا يعتد به ٠ وبالاضافة الى ذلك صارت الفارسية القديمة وسيطا لغويا جاء الينا عن طريقه طائفة مهمة من المفردات البابلية ، مما نجده ينعت في معجماتنا العربية بصفة الاعجمي او الدخيل ٠ واعقب الفرس الاخمينيين فترة حكم الاسكندر الكبير وخلفائه من السلوقيين (٣٣١ ـ ١٢٦ ق ٠ م) وهي فترة كانت على جانب كبير في اهميتها الحضارية ومنها الجوانب اللغوية فمما لاشك فيه ان مفردات بابلية كثيرة قد انتقلت الى اللغة اليونانية كما خلفت اليونانية بدورها بعض المفردات والمصطلحات اللغوية ٠ واستمرت التأثيرات اللغوية المتبادلة ما بين البابلية والفارسية في العهد الفارسي الفرثي الذي اعقب حكم السلوقيين في العراق (١٥٠ / ١٢٦ ق ٠ م ـ ٢٢٦ م) ثم الفرس الساسانيون (٢٢٦ ـ ٦٣٧ ٠ م) ، واستمرت التأثيرات المتبادلة الى العهود العربية الاسلامية على ما هو معروف لدى المؤرخين واللغويين ٠

ومن اللغات التي ينبغي على الباحث في تراث العراق اللغوي ان يحسب لها حسابا اللغات التركية التي قلنا انها تنتمي الى العائلة اللغوية المصطلح عليها « الاورال ـ الطاي » • فبالاضافة الى ما هو معروف في تاريخ العراق الحديث من دخول القطر تحت حكم الدولة العثمانية طوال عدة قرون (١٥٣٤ / ١٦٣٨ ـ ١٩١٧) ، وتداول اللغة التركمانية في بعض جهات العراق الآن ـ نقول بالاضافة الى ذلك دخلت عناصر تركية الى العراق في عهود تاريخية اقدم ولا سيما منذ عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (٨٣٣ ـ ٨٤٢ م) • ثم فترة تسلط الاتراك السلاجقة على الخلافة العباسية (١٠٣٧ ـ ١١٥٢ م) وعهد احفاد هولاكو اي الايلخانيين (١٢٥٨ـ١٣٣٨ م) وفترة حكم الجلائريين الاتراك (١٣٣٨ ـ ١٤١١ م) وعهد الاسرتين التركمانيتين الحاكمتين اي اسرة الخروف الاسود « قره قوينلو » (١٤١١ ـ ١٤٦٨) واسرة الخروف الابيض « آق قوينلو » (١٤٦٩ ـ ١٥٠٨) •

واقدم في الصفحات التالية القسم الاول من تلك المفردات اللغوية التي لا يحوم حولها الشك في أنها من تراث حضارة وادي الرافدين اللغوي وهي مرتبة حسب حروف المعجم من حرف الالف الى حرف الخاء آملا ان اتبعها ببقية المفردات في الاجزاء الاخرى من هذا البحث • ولعله من المفيد ان انبه على ما سبق ان ذكرته ان هذه المفردات تقتصر على تراثنا اللغوي من حضارة وادي الرافدين وانها لا تتناول تلك المفردات التي لا تكاد ان تحصى في العربية والاكدية والمتشابهة في لفظها ومعناها مما هو مشترك بين اللغتين بصفتهما من ارومة واحدة اي من عائلة لغوية واحدة •

تبادل الأصوات في اللغات العربية (السامية)[1]

× × × × ×

	العربية	الأكدية	العربية الجنوبية	الحبشية	العبرانية	السريانية	الأوغاريتية	[illegible]
١	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ	أ
٢	ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب	پ
٣	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت
٤	ث	ش	ث	س	ش	ث	ث	ث
٥	ج	گ	گ	گ	گ	گ	گ	گ
٦	ح	ح، أ	خ	ح	ج	ح	ح	ج
٧	خ	خ	خ	خ	خ	ح	خ	خ
٨	د	د	د	د	د	د	د	د
٩	ذ	ز	ذ	ز	ز	د	د، ذ	ذ
١٠	ر	ر، ل	ر	ر	ر	ر	ر	ر
١١	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
١٢	س	س	س	س	س	س	س	س
١٣	ش	ش	س	ش	ش	ش	ش	ش
١٤	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
١٥	ض	ض، ص	ض	ض	ص	ع	ص، ض	ض
١٦	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
١٧	ظ	ص، ظ	ظ	ص	ص	ط	ذ	ذ
١٨	ع	أ، ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
١٩	غ	غ، أ	ع	ع	ع	ع	غ	ع
٢٠	ف	پ	ف	ف	پ	پ	پ	پ
٢١	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
٢٢	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
٢٣	ل	ل، ر	ل	ل	ل	ل	ل	ل
٢٤	م	م	م	م	م	م	م	م
٢٥	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
٢٦	و	و	و	و	و	و	و	و
٢٧	ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي
٢٨	هـ	هـ، أ، ش	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ

[1] عن نحو اللغات السامية المقارن وتبادل أصوات الحروف فيها راجع أحدث دراسة عن الموضوع في المرجع الآتي :
S. MOSCATI, A. SPITALER, VON SODEN, An INTRODUCTION TO THE COMPARATIVE GRAMMAR of The SEMITIC LANGUAGES (1963)

المراجع الاساسية ومختصرات عناوينها : ــ

1. H. Zimmern, **Akkadische Fremd Wörter Als Beweis für Babylonishce Kultureinfluss** (2nd ED. 1917) = Zawb
2. R.C. Thompson, **Dictionary of Assryian Botany** = Dab
3. ———, **Dictionary of Assyrian Chemistry** = Dac.
4. Landsberger, **Die Fauna Und Flora Des Alten Mesopotamien** = Fam
5. Von Soden, **Akkadische Hand Wörterbuch** = Von soden
6. **Chicago Assyrian Dictionary** = Cad
7. R. Labat, **Manuel D'Èpigraphie Akkadienne** (1952) = Mea

الألف والهمزة

١ ـ أكــار

الكلمة الاكدية « اكارو » (Ikkaru) مشتقة من الكلمة السومرية « انكار » (Engar) ، وتكتب بالعلامة التي ترمز الى المحراث . وتعني هذه الكلمة بوجه عام العامل في الارض اي الزراع والفلاح . وانتقلت الى العبرية بهيئة « اكار » والارامية « اكارا » . والمرجح كثيرا ان « اكارو » الاكدية واصلها « انكار » السومرية من المفردات اللغوية التي جاءت الينا من التراث اللغوي لاولئك القوم المجهولي الاصل واطلق عليهم المصطلح الغامض « الفراتيون الاوائل » ولم يكونوا من الاكديين (الساميين) ولا من السومريين ، وقد ارجع الباحثون حديثا مفردات اخرى مهمة الى هؤلاء الاقوام من بينها اسماء معظم المدن العراقية القديمة واسماء طائفة مهمة من الحرف والصناعات مثل النجار والفخار والاسكافي وغيرها مما سيرد ذكره فيما بعد .

والاكار في المعجمات العربية الحارث والزراع ، وجمعه أكره واكارون، كما ذكرت مادة اكر ، اكرا ، واكرّ الارض حفرها وحرثها ، والاكرة وجمعها اكر ، الحفرة . والاكارات عند الفقهاء ما يعطي من الارض الى الاكرة لزرعها واعمارها مقابل حصة معلومة . وجاء في رواية قتل أبي جهل : « فلو غير أكار قتلني » اراد بذلك الانتقاص والاحتقار . وفي اللسان ان الحديث نهى عن المواكرة اي المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الارض .

٢ ـ الافكــل

كلمة الافكل الواردة في المعجمات العربية اصلها من الكلمة الاكدية الواردة في النصوص المسمارية بهيئة « أبكلو » أو « أپكلو » Apkallu التي تكتب بالطريقة المسمارية الرمزية بالعلامتين المسمارتين « نن ـ ميى » (Nun-Me) وقد تكتب بالعلامتين « نن كال » (Nun-Gal) وفي هذا المعنى وردت في خاتمة شريعة حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق . م)

في وصف الاله « ايا » الذي تميز بالحكمة والمعرفة وانه حكيم الالهة ؛ كما نعت بالصفة نفسها الاله « مردوخ » كبير آلهة بابل وابنه الاله « نبـو » (اله مدينة بورسبا الذي عد اله الكتابة والحكمة) • وقد اشتق الاكديون من كلمة « أبكلو » ما يدعى في العربية بالمصدر الصناعي باضافة اللاحقة « ـ اوتـو » الى آخر الكلمة أي « أپكلوتـو » (Apkallutu) التـي تعنى الحكمة • وورد في المصادر المسمارية بعض المرادفات لكلمة « أبكلو»، منها « عمقو » (العمق او التعمـق) و « خاسيسـو » « الحاسـس » و « مودو » اي العارف •

واطلق مصطلح « ابكلو » في نصوص ادب حضارة وادي الرافدين على ما سموه « الحكماء السبعة »[٦] الذين عزوا اليهم اصل المعرفة والحكمة عند البشر ، وذكر مصطلح الحكماء السبعة في ملحمة جلجامش (مقدمـة اللوح الاول) على انهم هم الذين وضعوا اسس مدينة الوركاء • واطلقت الكلمة نفسها ايضا على العراف والكاهن المعوذ ولا سيما من الطبقة العليا •

وورد اسم الافكل في النقوش العربية الجنوبية وهو يطلق على الكاهن الاعلى ، كما وردت الكلمة في نبطية تدمر بهيئة « افكلا » وفي التلمـود « افقيلو » وهناك احتمالان عن اصل كلمة الافكل في العربية الجنوبية • فاما انها مأخوذة من اكدية وادي الرافدين او انها اصيلة في العربية الجنوبية• ومما تجدر ملاحظته بهذا الصدد ان اكدية وادي الرافدين اقرب لهجة الى العربية الجنوبية بحيث يصح الافتراض ان الاكديين انفسهم هاجروا الى

---

(٦) شاعت فكرة الحكماء السبعة في الحضارات القديمة ومنها الحضـارة اليونانية التي لا يشك في انها اقتبستها من حضارة وادي الرافدين التـي برزت فيها هذه الفكرة بصورة واضحة قبل اليونان بعدة قرون . عـن الحكماء السبعة في مدونات حضارة وادي الرافدين انظر البحوث الاتية :
Reiner in Orientalia , Vol. 30. 9,
Van Dijk, La Sagessé . . . .
و « مقدمة في ادب العراق القديم » (١٩٧٦) لطه باقر

العراق من جنوبي الجزيرة في عصر مبكر من التاريخ (لعله في اواخر الالف الخامس ق • م) • ومن ناحية اخرى لا يمكن الجزم هل ان هذه الكلمة الاكدية من السومرية او العكس الذي يؤيده وجود الكلمة في العربية الجنوبية كما نوهنا • وعلى ما يرجح انتقلت كلمة افكل من جنوبي الجزيرة الى شمالها مع تحوير في معناها الأصلي ، حيث تورد المعجمات العربية لها جملة معان منها الشجاعة والرعدة والجماعة من الناس فيقال مثلا اخذ فلانا افكل اذا اصابته رعدة من خوف او برد ، وجاء في حديث عائشة : « وأخذني افكل وارتعدت من شدة الغيرة » •

٣ ـ اشكارة ، شكارة

يستعمل مصطلح إشكارة وشكارة ولا سيما في العراق الان في الشؤون والاعمال الزراعية بمعنى قطعة من الارض صغيرة يخصصها او يهبها مالك الارض لاحد الاشخاص لزرعها وجني غلتها دون حصة يأخذها المالك ، وهكذا ورد معناها في بعض المعجمات العربية على انها ما يزرعه الخولي لنفسه في قطعة صغيرة من ارض المالك •

وجاءت كلمة « إشكارو » (Ishkaru) في الاكدية وهي مأخوذة من اللغة السومرية : « اش ــ كار » (Ish—Gar) . وتعنى بوجه عام عمل او واجب ، ولا سيما فيما يتعلق بالاعمال المتعلقة بكري الانهار والفلاحة والزراعة ، وتعنى كذلك ما يعين او يخصص للفلاحين والعمال من واجبات • واستعملت في النصوص الادبية بصيغتها السومرية بمعنى سلسلة او مجموعة متسلسلة من القطع الادبية مثل الاشعار والاغاني، فيطلق مثلا على ملحمة جلجامش (إشكار جلجامش)

٤ ـ اسكفة

وردت في الاكدية كلمة اسكفة بلفظ يضاهي العربية اي بصيغة « أسكبتو » (Askuppatu) من مادة « سكابو » أو « سقاپو » اي سقف ، جريا على القاعدة في تبادل الاصوات في اللغات العربية القديمة

(السامية) من ان حرف الفاء في العربية يضاهيه صوت « الپاء » في الاكدية واللغات السامية الاخرى • واشتق في الاكدية من مادة « سقابو » اسم الالة « اسكبتو » باضافة حرف (أ) الى اول الفعل ، وهذا اسلوب في الاشتقاق مألوف في اللغة الاكدية مثل « إكريبو » من فعل « كرابو » أي قدم النذور والقرابين • ومن الاكدية اخذت الكلمة الارامية « اسكبتا » و « اسكفتا » والمندائية (المندعية) « عشقوفتا » وتضاهيها العبرية «مشقوف» •

وتعنى الاسكفة في الاكدية عتبة الباب ، ولا سيما صفحة من الحجر توضع في عتبة الباب السفلى ، كما وردت مثلا في ملحمة جلجامش (اللوح الاول) • وترد مادة سكف في المعجمات العربية بمعنى جعل للباب عتبة ، والساكف اعلى الباب الذي يقابل العتبة السفلى التي يوطأ عليها •

٥ ـ الاسكاف ، والاسكافي

وردت في الاكدية كلمة « أشكابو » مطابقة في اللفظ والمعنى للعربية اسكاف واسكافي بتغيير في بعض الاصوات بموجب قانون تبادل الاصوات في اللغات العربية القديمة (السامية) حيث الشين الاكدية تلفظ سينا في العربية والپاء الاكدية فاء العربية •

وترجع الكلمة الاكدية « اشكابو » في اصلها الى السومرية «اشكاب» Ashgab التي تكتب بنفس العلامة المسمارية الرمزية التي تعني الجلود • وورد في السومرية مرادف اخر هو «شكنكا» (Shikanga) الذي يعني بوجه عام الذي يعمل في الجلود اي الخفاف والاسكافي • ويرجح الباحثون المختصون ان كلتا الكلمتين الاكدية والسومرية من تراث تلك اللغة المجهولة التي سبقت الاشارة اليها ولم تكن سومرية ولا اكدية وانقرضت باستثناء طائفة مهمة من المفردات اللغوية لبعض الحرف والصناعات واسماء معظم المدن القديمة كما نوهنا • ومن الاستعمالات الطريفة لكلمة الاسكافي في اللغة الاكدية انها وردت لقبا لبعض العائلات القديمة (معجم .CAd, I, 443) وذكرت كلمة الاسكاف في المعجمات العربية (مثل

لسان العــرب) ان الاسكاف والأســكوف والاسكف الخ تعني الصانع مطلقا وتطلق ايضا على الخفاف والنجار وعلى الحاذق من الصناع •

٦ ـ انجانــة ، أجانه

جاء في الاكدية ما يضاهي العربية « انجانة » و « أجانه » اي «اكنو» (Agannu) ولعل منها الارامية والسريانية « اكون » و « أكانا » والعبرانية « أكانو » ، وكلها وردت بما يسمى الكاف الفارسية ، ولكــن الواقع ان هذا الكاف المشبع صوت اصيل في اللغــات العربية القديمــة (السامية) ولا يوجد فيها صوت الجيم العربي •

وفي المعجمات العربية الاجانه اناء تغسل فيه الثياب وجمعها أجاجين ، كما ذكرت مادة « أجن » الثوب ، بمعنى دقه بمدقة مخصوصة ليستخرج ماءه •

٧ ـ ازميــل

توجد في الاكدية كلمة « أزميلو » (Azamillu) المضاهية في لفظها للكلمة العربية ازميل وهي الآلة المعروفة من الحديد التي ينقر بها الحجر والخشب ، وتعني كذلك شفرة الحداد • ولكن معنى الكلمة الاكدية يختلف عن معنى الازميل العربية فانها تعني في الاكدية بوجه عام الكيس ولاسيما الكيس الكبير المعمول على هيئة الشبكة لحمل الاشياء مثل التبن وغيره ، على نحو ما هو مســتعمل الان في العــراق • ولذلك فالمرجح ان « أزميلو » الاكدية ترادف الكلمة العربية الازمل والزمل اي الحمل والراحلة من مادة زمل زملا الشيء اي حمله •

٨ ـ الآســ

كلمة الآس العربية مطابقة للاكدية « آسو » (Asu) لفظا ومعنى، وتكتب في نظام الخط المسماري بالمقاطع السومرية : «شم كر» مسبوقة بالعلامة الدالة على الشجر أي « كش » ، ويعني اسمها بالسومرية الشجرة ذات الرائحة الطيبة المألوفة في شجرة الآس • وكثر ذكر الاس في النصوص المسماريــة

وفي المعجمات (الأثبات) النباتية منذ العصر الأكدي (منتصف الألف الثالث ق ٠ م) ، وذكرت له عدة استعمالات طبية (انظر مجلة سومر ١٩٥٢ ، ص٢٣ ، والمعجم المرموز له (Dab, 306ff) • واستخرج سكان العراق القديم من الآس نوعا من العطور والزيت اطلقوا عليه مصطلح « زيت الآس» (وفي النص الأكدي شمن ــ آسي أءي سمن الآس) ٠ وجاء ذكر الآس في ملحمة جلجامش (اللوح الحادي عشر ، السطر ١٥٧) في رواية بطل الطوفان البابلي «اوتو ــ نبشتم» عن الطوفان وكيف انه قرب من بعد انحسار الطوفان الى الالهة اذ يقول : « نصبت سبعة وسبعة[٧] قدور للالهة وكدست تحتها القصب الحلو وخشب الأرز والآس ،فشم الآلهة شذاها » .

٩ ــ الآسـي

كلمة « آسو » (Asu) في اللغة الاكدية تطلق على الطبيب • والرأي السائد بين الباحثين اللغويين ان هذه الكلمة مأخوذة من المصطلح السومري الذي يعني الطبيب ايضا وهو « آ ــ زو » (A-Zu) او « يا ــ زو » (Ia-Zu) المؤلف كل منهما من كلمتين سومريتين تعنى الاولى منهما « آ » ، الماء والثانية « زو » العارف (من عرف) وفي الصيغة الثانية تعنى اللفظة الاولى « يا » (IA) الزيت فيكون المعنى العام العارف بالماء او الزيت » ، ولعل منشأ ذلك ان كلا من الماء والزيت يدخلان في فن الشفاء والتداوي ، او ان ذلك يشير الى اله الماء « ايا » المختص بالطب والشفاء •

وفي المعجمات العربية « أسا ، اسوا ، وآسا الجرح • داواه • وآسى تأسية الرجل عالجه • والاساء الدواء • ويطلق الاسى (وجمعه اساة واساء

(٧) لاحظ التعبير الشعائري الطريف « سبعة وسبعة » بدلا من قوله اربعة عشر دلالة على قدسية رقم ٧ . واستعمل التعبير نفسه في الشعائر الدينية الاغريقية (Dis Hepta)

والمؤنث آسية) كذلك على الطبيب • ويبدو ان مثل هذه الاستعمالات قديمة في العربية ووردت في الشعر الجاهلي ، كما جاء في شعر الحطيئة :

هم الآسون أم الرأس لما ــ تواكلها الاطبة والاساة

١٠ ــ اكو ، ماكو

الكلمتان « اكو » و « ماكو » من المفردات اللغوية التي يقتصر تداولها على عامية العراق ، وتعنيان على ما هو معروف « يوجد » و « لا يوجد » • وقد حار المفسرون المحدثون في اصلهما وذهبوا في ذلك مذاهب شتى •فمنهم من رأى انهما اختصار ليكون وما يكون . وجاء في معجم الالفاظ الكويتية للشيخ جلال الحنفي ان كلمة ماكو مركبة من « ما » النافية ومن لفظة « اكو » التي خمن اصلها تخمينا صحيحا على انها من الالفاظ العراقية القديمة التي بقيت معروفة ومتداولة الى يومنا هذا ، ، ونقل عن الاب الكرملي ان اكو وماكو من الصابئية (المندائية) اللتين نقلتا عن اليونانية (كذا !) • على ان النصوص المسمارية ساعدتنا على حل هذا اللغز اللغوي، فقد ورد في اللغة الاكدية « ماكو » وتعني لا يوجد ، وترادفها في السومرية كلمة « نو ــ كال » (NU-GAL) (لا يوجد) • وتعني اللفظة الاكدية « ماكو » عكس الكلمتين اللتين تعنيان الوجود وهما « كاشو » و « باشو » (انظر مجلة سومر المجلد ١٤ ، ٤١ ، ومعجم (CAD) • ومع انه لم يرد الى الآن نص مسماري عن كلمة « اكو » ولكن المرجح ، قياسا على ورود كلمة « ماكو » ، أن هذه الصيغة نفي لكلمة « اكو » •

١١ ــ أفلي ، وهرفي

من الالفاظ الاكدية الطريفة التي تداولها العراقيون القدماء في الاعمال الزراعية الكلمتان « أفلي » و « هرفي » بالمعنى الذي يستعملهما فيه فلاحو العراق الان • فزراعة الهرفي الزراعة المبكرة و « الافلي » الزراعة المتأخرة • ومع ان مادة افل في العربية لا تطابق في معناها بالضبط المعنى العراقي القديم للزراعة المتأخرة ، بيد ان مادة هرف « وبالتشديد » هرف تهريفا

تعني بالضبط المعنى الاكدي ، فيقال هرفت النخلة اذا عجلت ثمرها • والكلمتان الاكديتان « هربو » (Hurpu) أي الهرفي و « ابلوتو » (Uplutu) كانتا شائعتي الاستعمال في النصوص المسمارية المتعلقة بالزراعة (انظر المعجمين Von Soden. Cad • والجدير بالذكر في هذا الصدد ان هاتين الكلمتين وردتا بالمعنى الذي اشرنا اليه في احد الواح الطين المسمارية المكتشفة في تل حرمل ويرجع زمنهما الى العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني ق • م) ، وهو رسالة ادارية تتعلق بالزراعة (اللوح المرقم ٥١٣٢١ في سجل المتحف العراقي والمنشور في مجلة سومر ١٤ ، رقم ٤٠ ، سطر ٧) • وقد جاءت فيه العبارة الاكدية : « شيئم هربوتم وشيئم اوبلوتم » (أي الشعير الهرفي والشعر الافلي) •

١٢ ـ الآجر واللبن

الاجر ، وواحدته آجرة ، ما يبنى به من الطين او اللبن المفخور (المشوي) ترجعه معظم المعجمات العربية الى اصل فارسي • بيد ان الواقع في ضوء ما ساذكره عن ورود كلمة الآجر في النصوص المسمارية ينبغي ان نأخذ هذا التأصيل المذكور في المعجمات العربية على انه يعني ان كلمة الآجر العربية قد جاءت اليها عن طريق الفارسية والارامية اللتين استعارتاها من تراث العراق القديم اللغوي • فالواقع ان كلمة الاجر قديمة الاستعمال في اللغة الاكدية وجاءت بصيغة « آگرو » (Agurru) « اكورا » ، ومنها الارامية « اكورا » والفارسية « اكور » والاغريقية « اكوروس » (Agouros) • ويرادف لفظة « آگرو » الاكدية المصطلح السومري الذي يكتب بالمقاطع المسمارية السومرية « سك ـ آل ـ أور ـ را » Sig - Al - Ur - RA • ويرادف الكلمة السومرية (Sig 4) الكلمة الاكدية « لبتو » (من لبنتو اي اللبن في العربية ، وهو على ما هو معروف الاجر المجفف بالشمس ، ويجدر ان نذكر بهذه المناسبة ان احد الاشهر البابلية المسمى « سيمانو » ، وهو الشهر الثالث في التقويم البابلي (ما بين

ايار وحزيران) يكتب اسمه بالعلامة المسمارية الدالة على الآجر واللبن ، مسبوقة بالعلامة الدالة على الشهر وهي « ايتو » بالسومرية و « ارخو » في البابلية ، فيكون معنى اسم هذا الشهر في السومرية « شهر اللبن » اي الشهر الذي يعمل فيه اللبن ، وهو فصل ملائم لصنع الآجر .

ونختتم هذه الملاحظات اللغوية الموجزة عن الآجر في التنويه بنص ورد في ملحمة جلجامش يدل على قدم استعمال الاجر في حضارة وادي الرافدين. فقد جاء في ديباجة اللوح الاول من الملحمة وصف اسوار مدينة الوركاء التي شيدها جلجامش وانها بنيت بالاجر المفخور ، وباللفظ البابلي : « شما لبتا ـ لا آجرات » . هذا بالاضافة الى العثور على الآجر في اقدم المباني التي نقب فيها في العراق القديم منذ الالف الثالث ق . م .

١٣ ـ الاثـل

كلمة الاثل العربية ، التي تطلق على نوع من الشجر من فصيلة الطرفائيات ، تضاهي الاكدية « أشلو » لفظا ومعنى (بقلب الشين الاكدية ثاء في العربية وفق قانون تبادل الاصوات الذي نوهنا به) . وقد كثر ورود الاثل في النصوص المسمارية كاستعمالاته في السحر في صنع الدمى ، وجاءت في النصوص الادبية محاورة طريفة بين شجرة الاثل والنخلة[٨] .

١٤ ـ آذار

يرجع اصل الكثير من الاشهر المتداولة الآن في العراق وبعض الاقطار العربية الاخرى والتي تسمى خطا الاشهر الرومية او السريانية الى تراث العراق القديم وقد انتقلت الينا عن طريق الاراميين والعبرانيين . ومن هذه الاشهر الشهر المسمى « آذار » وهو الشهر الثالث في التقويم الشمسي اي مارت . ولعله من المفيد ان نورد اسماء الاشهر العراقية القديمة كما عم استعمالها في التقويم البابلي منذ العصر البابلي القديم (مطلع الالف الثاني

---

(٨) راجع كتابي الموسوم : « مقدمة في ادب العراق القديم » (١٩٧٦) ص١٦٥ وكذلك Lambert, The Babylonian Wisdom Literature (1960)

ق • م) • حيث وحدت الاشهر المحلية المختلفة في تقويم عام ولا سيما في بلاد بابل واليك اسماء هذه الاشهر ابتداء من راس السنة البابلية في شهر نيسان : (١) نيسانو (نيسان ما بين مارت وابريل) (٢) ايارو (ايار ما بين ابريل ومايس) (٣) سيمانو ، سيوان (ما بين مايس وحزيران) (٤) تموزو او « دؤزو » (تموز ، ما بين حزيران وتموز) (٥) آبـو (آب ، مابين تموز وآب) (٦) اولولو ، ايلول (ايلول ما بين آب وايلول (٧) تشريتو (تشرين ما بين ايلول وتشرين الاول) (٨) أرخ شمنو ، سمنو (اي الشهر الثامن ما بين تشرين الاول وتشرين الثاني) (٩) كيسليمو (ما بين تشرين الثاني وكانون الاول) (١٠) طبيتو ما بين كانون الاول وكانون الثاني) (١١) شباطو (شباط (ما بين كانون الثاني وشباط) (١٢) أدارو اذار (ما بين شـباط واذار) (١٣) ارخو مرخو شا أدارو ، وهو اسم الشهر الثالث عشر الكبيسي ويسمى ايضا « أدارو اركو » اي اذار التالي او اذار الثاني •

ومن الطريف ذكره عن اسماء هذه الاشهر البابلية انها تكتب بمقاطع من العلامات المسمارية السومرية يشير معناها العام الى صفة الشهر من حيث المناخ او الى الاعمال الزراعية او الشعائرية التي تتعلق بـه • ففي حالـة موضوع كلامنا وهو اذار فانه يكتب بالعلامات المسمارية الدالة على الحصاد، وهو كما رأينا آخر الشهور في السنة البابلية ، ويقع موسمه ما بين شباط ومارت • وفي السنين الكبيسة يضاف شهر ثالث عشر من بعد اذار يسمى اذار التالي او الزائد (ويطلق على الشهر الكبيس في السومرية ايتو درك وفي الاكدية أرخو دركو) [٩] • اما لفظ الشهر بالاكدية اي « أدارو » فانـه مشتق من المادة الاكدية « هدر » التي تعنى أرعد واظلم اي ما يضاهي معنى هدر العربية • اذ يقال هدر الرعد اذا صوت ، وهدر الحمام اي قرقر وكرر صوته ، والهدار بتشديد الدال للمبالغة يوصف به الرعد ، فيقال الرعـد

---

(٩) حول التقويم البابلي واسماء الاشهر البابلية راجع :
Langdon, Babylonian Meneology

الهدار • وتنطبق هذه المعاني في المادة الاكدية على ما يتميز به شهر اذار من حيث الرعود الهادرة والامطار والعواصف •

١٥ ـ أردخل ـ أردكـلا

يرجع الباحثون كلمة « أردخلا » واردخل او اردخيل واردكلا الى اصل ارامي ، ومعناها البناء ومنها الصيغة الارامية « أردخلوتا » (اردخلوثا) أي حرفة البناء[١٠] ويرجح كثيرا ان منها الكلمة المستعملة في اللغات الاوربية التي تطلق على البناء والمعمار اي (Architect) واقدم منها الكلمة الاغريقية « ارخيتكتون » (Arkhitekton) • وترد كلمة الاردخل في المعجمات العربية (لسان العرب مثلا) بمعنى الرجل الضخم • وهناك احتمال قوي ان اصل كلمة الاردخل الاراميةبدورها من الاكدية (انظر مثلا المرجع المرموز له بـ (Zimmerun, AWB, 26 وعلى وجه التعيين من الكلمة الاكدية المركبة « أرد ـ ايكلي » ومعناهـا خادم القصر ، او احد حاشية القصر وموظفيه • وتولد من هذا المعنى الاساسي في العصر البابلي المتأخر (لعله منذ القرن السابع ق • م) معنى فرعي يدل على الصنعة والمهنة وبالاخص المعمار والبناء ، فقد ذكر المصطلح في بعض النصوص المسمارية مع النجارين وبعض مواد البناء (راجع معجم (Cad, I, 210)

١٦ ـ انبـوب

تشتق المعجمات العربية كلمة انبوب من مادة نب او نبب فيقال تنبب النبات اذا صارت له أنابيب ، وتنبب المـاء أي تسيل ، والانبـوب ما بين العقدتين من القصب والرمح • والمرجح عندنا ان كلمة انبوب من التراث اللغوي الاكدي من الكلمة الاكدية « انبوبو » (Inbubu) ومنها الاراميـة « أبوبا » (Abbuba) والسريانيـة « انبـوبـو » المندائية (المندعية) امبوبا واللاتينية (Ambubaya)

---

(١٠) راجع مثلا « دليل الراغبين في لغة الارامين » للمطران يعقوب اوجين منا

وتعني كلمة « انبوبو » الاكدية بالدرجة الاولى انبوب القصب حيث تسبق العلامات المسمارية التي يكتب بها العلامة الدالة على القصب • واطلقت كلمة انبوب ايضا على ضرب من الآلات الموسيقية الهوائية •

١٧ ــ أرجوان

تكاد المعجمات العربية ان تجمع على ان كلمة ارجوان ، وهو اللون القرمزي المعروف ، أصلها من الفارسية ، بيد ان ورودها في النصوص المسمارية الاقدم عهدا يشير بلا ادنى ريب الى انها من الاكدية « ارگمانو » (Argamamu) ، ومنها الكلمة العبرانية « ارگمان » (Argaman) والارامية « اركيوان » والحثية « اركمان » •

وكثر ورود الارجوان في المدونات الاشورية الرسمية ضمن الجزية التي كانت تقدم الى الملوك الاشوريين • والمرجح ان كلمة « ارگمانو » الاكدية مأخوذة بدورها من احدى اللغات او اللهجات العربية القديمة في بلاد الشام ولا سيما الكنعانية ، فقد وردت بصيغة أ ر ج م ن في نصوص المدينة الكنعانية الشهيرة « اوغاريت » راس الشمرا الان بالقرب من مدينة اللاذقية في سورية •

١٨ ــ آنك

الآنك في المعجمات العربية (مثل اللسان) الاسرب وهو ضرب من الرصاص يطلق عليه اسم الرصاص القلعي ، اي الرصاص الجيد المنسوب الى معدن القلع • وجاء في الحديث « من استمع الى قينة صب الله الانك في اذنيه يوم القيامة » • ويذهب معظم المعجمات العربية الى ان كلمة الانك معربة • ولكن كلمة الانك العربية مطابقة في اللفظ والمعنى للكلمة الاكدية « أنكو » او بتشديد الكاف المضمومة ، ويعني الرصاص ايضا وفي احتمال آخر القصدير • ويرجح أن الكلمة الاكدية بدورها مشتقة من السومرية « أنا (واصلها في الكتابة السومرية آن ــ نالك » وانتقلت الكلمة الى اللغات السامية الاخرى مثل العبرانية بهيئة « أناك » والسريانية « انكا » (بتشديد الكاف)

١٩ ــ اقليـــم

اختلف اللغويون العرب في تأصيل كلمة الاقليم فقد حسبه البعض مثل ابن دريد (انظر اللسان) بانه ليس عربيا ، وذهب البعض الاخر مثل الازهري الى انه عربي ، وقيل في اصل التسمية انه سمى اقليما كأنه مقلوم اي مقطوع من الاقليم الذي يتاخمه • ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان اقرب اصل له الكلمة اليونانية « كليما » (Klima) و « كليماتوس » ومنها في اللغات الاوربية (Clime) و (Climate) • والمرجح عندنا ان الكلمة اليونانية بدورها مأخوذة من السومرية « كلام » (Kalam) التي تعني كذلك الاقليم والقطر والبلاد (ولا سيما بلد المتكلم) ، واتخذ هذا المصطلح الملك السومري الشهير « لوكال زاكيزي » (منتصف الالف الثالث ق • م) لقبا سياسيا ، اذ لقب نفسه « ملك الاقليم » (وفي السومرية لوكال كلاما) ويعني بذلك ملك بلاد او اقليم سومر •

٢٠ ــ اتـون

ترجع المعجمات العربية كلمة « اتون » الى المولد والدخيل ، فقد جاء في لسان العرب مثلا ان الاتون بالتشديد الموقد • والعامة تخففه ، وجمعه أتن وأتاتين ••• وهو ايضا اخدود الجصاص والجيلر وكذلك اتون الحمام• والاتون من بين الكلمات الكثيرة التي حسبت دخيلة ولكنها في واقع الامر من تراث العراق اللغوي ، فقد وردت في الاكدية بصيغة « آتونو » المشتقة بدورها من الكلمة السومرية أدن (Udun)

٢١ ــ آيـار

مر بنا في الملاحظات التي اوردناها عن شهر اذار ان شهر ايار يأتي ثاني شهر في التقويم البابلي ، وانه يقع ما بين نيسان وايار في تقويمنا الحالـي • وقيل في أشتقاقه في الاكدية أن «ايارو» او «أيارو» (بتشديد الياء) يعني الازهار او تفتح الازهار ، وانتقل الى العبرانية والارامية بهيئة « إيار (بكسر

الالف وتشديد الياء) ، ومنهما انتقل الى العراق وبعض الاقطار العربية الاخرى .

٢٢ ــ أرخ ، يؤرخ

مادة « أرخ » يؤرخ ، اى عين الزمن وحدده ومنها كلمة تأريخ وتوريخ، من المفردات المهمة التي لا يشك في انها مشتقة من اسم الشهر في اللغة الاكدية أي « ارخو » . كما ان «ورخ» و «أرخ» من اسماء اله القمر في اللغات العربية الجنوبية القديمة ، وهو الاله الذي سمى باسماء اخرى منها «ود» و «المقا» و «سين» في وادي الرافدين .

٢٣ ــ أيس وليس

سمى النحويون العرب ليس فعلا جامدا واختلفوا في تأويله واشتقاقه هل هو فعل أو حرف[11] . ولكن الخليل ابن احمد الفراهيدي وقع على حقيقة أشتقاقه في أنه فعل مركب من اداة النفي «لا» و « أيس » التي تعنى وجد اي الوجود ، أي انه « لا ايس » فطرحت الهمزة والزمت اللام بالياء . وان ايس تضاهي الكلمة الارامية « ايث » التي تعني الوجود ايضا .

من المصادفات اللغوية التأريخية الطريفة ان تعليل الخليل لفعل ليس الذي ذكرناه يؤيده وجود الفعل نفسه في اللغة الاكدية بصيغة « لاشو » (Lashu) ، المركب كذلك من نفس الكلمتين المضاهتين وهما اداة النفي الاكدية « لا » وفعل « ايشو » الذي يعني في الاكدية الوجود ايضا

٢٤ ــ أرملة

تشتق المعجمات العربية كلمة أرملة (للمؤنث) وأرمل (للمذكر) من مادة « رمل » وارمل القوم اذا نفد زادهم ، والمرمل الذي نفد زاده ، والارملة التي مات زوجها والارمل الذي ماتت زوجته .

---

(١١) راجع بحث الدكتور ابراهيم السامرائي المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقى (١٩٦٩) ، ص ٥٦ فما بعد .

وتضاهي هذه الكلمة العربية الكلمة الاكدية « المتو » (Almattu) للمؤنث و « المانو » للمذكر وهما محوران من « ارمرتو » (Armartu) بابدال الراء لاما . وان هذا الابدال او بالاحرى القلب ظاهرة لغوية مالوفة في اللغة الاكدية ولهجاتها المختلفة وكذلك بين الاكدية واللغة العربية واللغات السامية الاخرى . ويكفي ان نذكر بعض الامثلة الشائعة مثل « بصرو » الاكدية للبصل العربية و « پيرو » الاكدية للفيل (وفي هذا المثال تقابل الفاء العربية الپاء الاكدية) . ووردت كلمة أرملة في العبرانية بهيئة « المانا » والارامية « ار متلا » . والجدير بالذكر عن كلمة « المتو » الاكدية ان الاكديين ترجموا بها المصطلح السومري الذي يطلق على الارملة وهو « نو – مو – سو » (اي المرأة التي لا زوج لها) .

٢٥ – أذان

يذهب بعض اللغويين العرب الى ان كلمة أذان (النداء لمواعيد الصلوة) غير عربية [١٢] ، ولكن وجود الكلمة في اللغات العربية القديمة (السامية) يشير الى خلاف ذلك ، مثل كلمة « ادانو » و « دانو » مستعملة بكثرة في اللغة الاكدية وتعني بالدرجة الاولى الموعد او مدة زمنية او يوما معينا ويضاهيها في الارامية « عدان » والسريانية « عيدان »

٢٦ – أوزة ، وزة

الاوزة التي تطلق على الطائر المعروف تحسبها المعجمات العربية من الدخيل وهذا رأي صحيح اذا اعتبرنا الاوزة العربية من الارامية « وزة » التي يبدو انها اصل العامية العراقية (وزة) ، ولكن المرجح عندنا ان كلمة الاوزة تراث لغوي قديم جاء الى العربية من اللغة الاكدية حيث وردت في النصوص المسمارية كلمة « أسو » المأخوذة من السومرية « اوز »

---

(١٢) انظر مثلا : « شفاء الغليل فيما كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين احمد الخفاجي المصري (٩٧٧ – ١٠٦٩ هـ) .

٢٧ ـ الاجاص ـ عنجاص

ذكر الاجاص ، الثمر المعروف، في المصادر المسمارية بهيئة «أنكاشي» (Angashe) التي تضاهي العامية العراقية عنجاص(١٣)

٢٨ ـ الابل ، الجمل ، الناقة

مع ان كلمة « ابل » وجمل من المفردات العربية الاصيلة وفي اللغات السامية الاخرى ، بيد أنه يحسن ان نورد عنهما بعض الملاحظات المفيدة من حيث ورودهما في النصوص المسمارية مما له صلة في تاريخ اقدم استعمال للجمل في الحمل والاسفار في حضارة وادي الرافدين بوجه خاص والاقطار المجاورة بوجه عام . فنقول انه يؤخذ من تلك النصوص ان كلمة ابل وفي الاكدية « ابلو » (Ibilu) اقدم استعمالا من كلمة جمل . والى حد ما جاء الينا من مدونات يرقى اقدم ورود لكلمة ابل الاكدية الى مطلع الالف الثاني ق . م . وتكتب بالمقاطع المسمارية السومرية : « انشي ــ آ ــ اب ــ با » (Anshe-A-AB-BA) ويرادفها في الاكدية في المعجمات المسمارية « ابلو » . وتعني كلمة « انشي » السومرية بوجه عام الحمار او فصيلة الحمار والفرس وتستعمل علامة دالة في نظام الخط المسماري تسبق كتابة الحمار والخيل والابل . ومعنى المقاطع السومرية الاخرى التي تلي « انشى »البحر ، فيكون المعنى العام لتلك المقاطع السومرية « حمار البحر » وهي تسمية غريبة لعلها تشير هنا ليس الى البحر حرفيا بل الى سيف البحر او ساحل البحر ، مما قد يستنتج منها ان الجمل ادخل الى العراق القديم عن طريق المناطق الساحلية في الجزيرة العربية ، كما يحتمل ان البحر هنا قد استعمل مجازا للتعبير عن البادية والصحراء .

---

(١٣) راجع مجلة سومر (١٩٥١ ــ ١٩٥٣) والمرجع DAB, 307

اما كلمة جمل فقد وردت في الاكدية بصيغة « انشى ــ كم ــ مال » ولفظها « گما لو » (Gammalu) بتشديد الميم او « كملو » (Gamlu) واقدم ورود لها منذ مطلع الالف الاول ق • م ، ولا سيما في اخبار الملك الاشوري « شيملنصر » الثالث (القرن التاسع ق • م) في اخبار حملته على دويلات بلاد الشام في معركة القرقار (٨٥٣ ق • م) • التي ورد فيها لفظ عرب وهو اقدم ذكر له في الاخبار المدونة • ولعله من المفيد ان نذكر العبارة الاشورية بنصها : « أنشى كم ــ ما لى شا شرانى عريبى كاليشونو « جمال من ملوك العرب كلهم » • ووردت العلامات التي يكتب بها اسم الجمل أي « أنشي ــ كم ــ مال » مرادفة للعلامات التي يكتب بها اسم الابل التي ذكرناها اي « انشى ــ آ ــ أب ــ با »

وجاء اسم الناقة في المدونات الاشورية منذ القرن الثامن ق • م بهيئة « أناقاتي » (Anaqâte) وهي صيغة جمع المؤنـث السالم في الاكدية والاشورية) ، كما جاءت ذلك في نص تجلاتبليزر الثالث (القرن الثامن ق • م) في كلامه على الغنائم التي غنمها من الملكة العربية شمسي[١٤]

هذا ولا يمكن تحديد اقدم عهد ادخل فيل الجمل الى الاقطار العربية ، على ان هناك امارات على ظهوره في مناطق البوادي العربية المتاخمة للجزيرة في حدود ١٠،٠٠٠ ق • م) كما تشير الى ذلك رسوم الجمال التي اكتشفت في الموضـع المسمى « كلوة » في شرقي الاردن الى الجنوب من عمان ، في منطقة الصفا المعروفة •

---

(١٤) راجع معجم CAD. I, ومجلة IRAQ مجلد ١٧ ، ١٨ ص ١٣٨ و ١٢٦ •

٢٩ ـ بطة ، بشـة

كلمة البط والبطة في معظم المعجمات العربية (انظر مثلا لسان العرب) من الكلمات الاعجمية المعربة • ولكن الواقع التاريخي ان هذه اللفظة هي من بين المفردات اللغوية الكثيرة التي جاءت الينا من تراث حضـارة وادي الرافدين اللغوي ، حيث وردت في النصوص المسمارية الكلمة التي اطلقت على البط والبطة بصيغة « بوصو » **(Busu)** و « بسو » وهي مرادفة لمجموع العلامات السومرية المسمارية : « بور ـ اوس ـ موشن » والمقطع الاخير اي « موشن » العلامة الدالة التي تكتب من بعد انواع الطيور • ويحتمل ان « بشو » الاكدية تعنى « البشة » في العامية العراقية و «بصو» البطة •

٣٠ ـ باريـة

كلمة البارية ، التي تطلق على ضرب من الحصر المصنوعة من القصب ، من المفردات الكثيرة التداول في العراق ، وتذكرها المعجمات العربية انهـا معربة من الفارسية ، بيد انها مثل الكلمات الاخرى التي مرت بنا تراث لغوى من الاكدية حيث كثر ورودها في النصوص المسماريـة بصـيغة « بورو » ايضا **(Buru)** ، ومنها الارامية « بوريا » والفارسية « بوريا » • وتنتشر صناعة البواري الان في انحاء العراق الجنوبية حيث يكثر القصـب الذي تصنع منه • وهكذا كانت في العراق القديم كما تشير الى ذلك النصوص المسمارية الخاصة بصنعها وانواعها (راجع البحث المنشور في مجلة **JCS, II)**

٣١ ـ البطـم

شجرة البطم كانت معروفة في العراق القديم ، وقد جاء ذكـرها في النصوص المسمارية بصيغة تضاهي العربية وهي « بطنـو » ، وتكتب في السومرية بالعلامتين المسماريتين « لام ـ كال » **(Lam-Gal)** مسـبوقتين بالعلامة الدالة على الاشجار والخشـب اي « كشـ » • ويسمى البطم في العبرانية « بطنيم » (بهيئة الجمع) وفي الارامية « بطنا » و « بطميثا » •

وتذكر المعجمات العربية (مثل لسان العرب) البطم على انه شجرة الحبة الخضراء وواحدته بطمه • وتسمى شجرة الحبة الخضـراء الان في شمالي العراق بالبطم الصغير ، ويضاهي هذه التسمية الاسم الاكدي « بطنو صغرو » اما البطم الكبير فهو الشجرة التي من فصيلة البطميات والشـبيهة بشجرة الفستق (Pistachia) وثمـرها حبوب صغار ويؤكـل مثـل الفستق الصغير •

٣٢ ــ بق ــ بقـه

تطابق لفظة البقة والبق العربية الكلمة الاكدية « بقو » وقد ذكر البق في المصادر المسمارية ولا سيما الاثبات الخاصة بالحيوانات والنباتات (انظر المرجع المرموز له ب (JCS, IV, 73 ,(Fam, 131

٣٣ ــ البقـل

ورد لفظ البقل (وجمعه بقول) في معظم اللغـات العربية القديمـة (اللغـات السامية) ، ففي الاكديـة « بقلو » (بضم اوله) (Buqlu) والارامية « بقلا » والكنعانية الاوغاريتية بقل ، والحبشـية « بقيل » ، وتجعله المعجمات العربية ارامي الاصل •

٣٤ ــ بستوكـه

البستوكه في استعمال العامية العراقية وعاء (برنية) من الفخار مزججة في الغالب اما باللون الازرق او الاخضر • وتحفظ فيها السوائل مثل الدبس والخل والدهن وما شاكل ذلك • ويؤصلها المعجم العربي ــ الفارسـي ــ الانجليزي (Richardson, 1829) على انها من الفارسية « بسـتك » • ومع ان هذا التأصيل صحيح باعتبار ان الكلمـة العامية العراقية مصدرها من الفارسية بيد انه يرجح ايضا ان الاصل البعيد لهـذه الكلمة من الكلمة السومرية « بسان ــ دكا » (Pisan-Dugga) او « بسان ــ دك » و « بسان ــ دبا » ومنها الاكدية « بسان تكو » ، ومعناها الاساسي وعاء من الفخار لحفظ الاشـياء ومنهـا الـواح الطين المكتوبة واشتق من هذا الاستعمال مصطلح «حفظ السجلات» و «حافظ السجلات»•

٣٥ ـ البلور

كلمة البلور في المعجمات العربية من الفارسية ، ولكن الكلمة نفسها وردت في اللغة الاكدية بصيغة « بورلو » (Burallu) التي يرجح انها مأخوذة من السومرية « بولك » (Bulug) بقلب اللام راء في الاكدية • ومنها السريانية « بيرولتا » والحبشية « بيريله » (Berelle) واليونانية « بيرولوس » (Byrollos)

٣٦ ـ البلوط

ورد ذكر البلوط في الاثبات المسمارية الخاصة باسماء النباتات بلفظ يضاهي الكلمة العربية لفظا ومعنى اى بصيغة « بيلط »مسبوقا بالعلامة الدالة على الاشجار . ويكثر البلوط في شمالي العراق وثمرة معروف ، وهو من فصيلة الاشجار التي يطلق عليها الاسم العلمي

Quercus Ballota   Quercus Infectoria

٣٧ ـ البصل

يدعى البصل في اللغة الاكدية « بصرو » أي مضاهيا للعربية بصل بقلب اللام العربية راء في الاكدية وفق القاعدة العامة التي نوهنا بها • ويكتب اسم البصل في نظام الخط المسماري بنفس العلامة التي يكتب بها اسم الكرات اي العلامة المسمارية السومرية « كراش » (وسيأتى ذكرها تحت كلمة الكرات) • واطلق العراقيون القدماء على نوع من البصل البري اسم « سيكلم » (Sikillum) ، من السومرية « سكل » ، ويرجح ان الكلمة العربية سجل مأخوذة منها •

٣٨ ـ البيرة

اطلق مصطلح البيرة على عدة امكنة ولا سيما في شمالي ما بين النهرين والمرجح عندنا ان تأصيلها اللغوي من الكلمة الاكدية « بيرتو » ومعناها الاساسي الحصن والقلعة وتطلق ايضا على المدينة •

٣٩ ـ الباطية

يضاهي لفظ الباطية في العربية الكلمة الاكدية « باطو » و «باطيئو» الواردة في المصادر المسمارية . وكان الغالب في الباطية في العراق القديم انها من معدن النحاس او الفضة (Von Soden)

٤٠ ـ البرغـوث

وردت كلمة البرغوث في الاكدية بهيئة « برشوع » و « برسوع » وفي الكنعانية الاوغاريتية بـرغت والعبرانية برعوش ، والارامية « پرتعتا » و « برطعتا »

٤١ ـ البشـــام

البشام والبشامة في المعجمات العربية شجرة طيبة الرائحة يستاك بها وجمعها بشام ، ويعرف حبـه (ثمره) عنـد العشابين والصيادلة باسـم البلسان . وجاء ذكر البشام والبشامة في شعر جرير :

أتنســـى يـــوم تصقـــل عارضيهـــا
بعـــود بشـــامة ســـقى البشـــام

وذكر البشام والصمغ المستخرج منه واستعمالاته الطبية في كتب الطب العربية وكتب العشابين (راجع مثلا مفردات ابن البيطار) .

وذكر البشام في النصوص المسمارية الخاصة باسماء النباتات والاشجار بصيغة تطابق العربية لفظا ومعنى وهي كلمة « بشامو » (راجع مجلة سومر ، ١٩٥٢ ، العدد ٢ ، ص ١٥٢)

٤٢ ـ تبـن

التبن المعروف ما يقطع من سوق النباتات والحشائش كالشعير والقمح وغيرها من بعد فصل سنابلها ، ويتخذ علفا للحيوانات ويطلـق على التبن في الاكدية « تبنو » المطابقة للكلمة العربية لفظا ومعنى .

٤٣ ـ تالة ، تال

التال صغار النخل وفسيله والواحدة تالة • وقد وردت كلمة « تالو » في اللغة الاكدية بهذا المعنى ، وكذلك كلمة « فسيل » او « فصـيل » التي سنذكرها تحت حرف الفاء•وان هاتين الكلمتين من تراث العراق القديماللغوي في حقل الفلاحة وبساتين النخل مما لا يزال يستعمله فلاحو العـراق الان • وترادف الكلمة الاكدية « تالو » المصطلح السومري الذي يطلق على النخلة الصغيرة وهـو « كشـمار ـ تر » (Gishimmar Tur) اي حرفيا « النخلة الصغيرة » •

والمرجح ان لفظة « تالو » وتالة في الاكديـة والعربية مأخـوذة من مادة « تلا ، يتلو » اى انها تعنى التابع والتالـي • ووردت كلمـة التال في بعض اللغات العربية القديمة (اللغات السامية) مثل الارامية بصيغة « تالا »• ومما تجدر ملاحظته بمناسبة ذكرنا للنخيل ان العلامة المسمارية التي يكتب بها اسـم النخل والنخلـة وهـي « گشـمار » (Gishimmar) كانت من العلامات المسمارية التي ظهر شكلها الصـوري منذ اول ظهـور الخط المسماري في حضارة وادي الرافدين في المنتصف الثاني مما يسـمى عصـر الوركاء (في حدود منتصف الالف الرابع ق • م)

٤٤ ـ ترجمـان

كلمة ترجمان من الالفاظ التي عدت في المعجمات العربية من الدخيـل الاعجمي ، بيد انها وردت في الاكدية بصيغة « ترگمانو » (Turgmanu) ومنها الارامية « تركمينا » بفتح التاء او ضمها والعبرانية « ترگوم » وانتقلت هذه الكلمة السامية الى اللغات الاوربية بهيئة « دركومان » (Dragoman)

٤٥ ـ تشـرين

شهر تشرين في الاكدية « تشريتو » والعبرانية « تشرى » (انظر شهر اذار) •

٤٦ ـ تهامـــة

كلمة تهامة التي تطلق على الجزء الجنوبي من الحجاز والمتاخم للساحل ترجع في اصلها الى المفردات العربية القديمة (السامية) ، ومنها الاكدية حيث وردت فيها كلمة « تيامتو » (Tiamtu) التي تطلق علــى البحر بوجــه عام وعلى سيف البحر او ساحل البحر مجازا ، ووردت اللفظة في اسطورة الخليقة البابلية المعنونة بعنوان « حينما في العلى » (حينما عيلش) • على انها الهة الماء الملح او البحر ، حيث جسدت المياه الملحة بهيئة الهة ويقابلها اله المـــاء العذب « أبسو » ، وكانا اول الهين ظهرا الى الوجود ومن اختلاط مياههما ولدت الالهة الاخرى • ويكثر ورود المصطلح « تيامتو » و « تامتـــو » في النصوص المسمارية وهو يعني البحر • وتضاهي هذه الكلمة الاكدية الكلمة العبرانية « تهوم » الواردة في الاسطر الاولى من سفر التكوين مما يضاهي ما جاء في اسطورة الخليقة البابلية الى حد كبير •

٤٧ ـ تكان ، دكــان

يرجع بعض المعجمات الحديثة مثل المعجم العربي ـ الفارسي ـ الانجليزي (Richardson, 1829) كلمة تكان الى اصل فارسي • على انه يرجح كثيرا ان كلمة التكان المستعملة في عامية العراق بالدرجــة الاولى اصلها من الكلمة السومرية « دكان » (Dugan) ومنها الكلمة الاكدية « تكانو » (Tukkanu) التي تعنى بالدرجة الاولى الكيس ولا ســيما كيس النقود ، ونقلت باستعمال مجازي الى الدكان والتكان اي محل البيع بالنقود

٤٨ ـ التنــــور

يرجع معظم المعجمات العربية كلمة التنور الى اصل ارامي ـ سرياني ، او فارسي حيث الكلمة الارامية « تنورا » والفارسية « تنور » بيد انه وردت كلمة التنـــور في اللغـــة الاكدية بصـــيغة مضاهية للعربيـــة أي « تنورو » (Tinuru) • وتشتقها المعجمات الاكدية الحديثة (انظر مثلا (Bezold)

من المادة الاكدية « نار ، ينور » وتعنى النار والنور ، واشتق منها الاسم « تنورو » باضافة التاء الى أول الفعل وهي طريقة مألوفة في الاشتقاق في اللغة الاكدية • وتكتب كلمة تنور في السومرية بعلامات مسمارية تعنى بالدرجة الاولى النار والخبز والاتون (انظر تحت كلمة أتون) • ويرى باحثون اخرون ان كلمة «تنورو» الاكدية مقلوبة من الكلمة السومرية «ترونا» (Turunna) التي تعنى الموقد او الفرن • والجدير ذكره بهذا الصدد ان عدة نماذج من التنانير الطينية وجدت في اثناء التنقيبات الاثرية مما يشبه التنور العراقي الحالي ، واقدمها ما وجد في اثناء تنقيبات مديرية الآثار العراقية في تل العقير (في البادية ما بين النهرين الى الجنوب من بغداد بنحو ٥٠ ميلا) حيث وجدت بقايا تنانير ترجع الى دور العبيد (في حدود ٤٠٠٠ ق • م) •

٤٩ ـ التين

ورد ذكر التين واشجار التين في المصادر المسمارية منذ اقدم الازمان ، ولفظه مثل العربية « تنو » (Tittu) التي اصلها « تنتو » (Tintu) ثم ادغمت النون بالتاء • وهي قاعدة عامة في الاكدية بالنسبة الى حرف النون اذا وليه حرف بدون ان تفصلهما حركة • وتضاهي الكلمة الاكدية الكلمة العبرانية « تينتا » والارامية « تينا » (انظر مجلة سومر ١٩٥٢ ، عددا ، ص٢٣ والمرجع المرموز له ب: Bab, 303

٥٠ ـ تاجر

في النصوص المسمارية لفظتان تطلقان على التاجر ، احداهما الكلمة السومرية « دم ـ كار » (Dam-Gar) والاخرى الكلمة الاكدية « تمكارو » (Tamkaru) ، وهما متشابهتان ولا يعلم على وجه التأكيد ايهما اصل للاخرى ، ولكن اغلب الباحثين يميلون الى ترجيح اشتقاق السومرية من الاكدية اي « تمكارو » التي صارت بدورها اصلا لكلمة التاجر في معظم اللغات العربية القديمة (السامية) مثل العبرانية « تكار » والارامية « تكارا » والمندعية (الصابئية) « تنكارا » •

٥١ ـ تخم ، تخوم

كلمة تخم العربية (وجمعها تخوم) اى الحد وردت في اللغة الاكدية بهيئة « تخوما » ، بضم التاء او فتحها ، ويبدو ان هذه المادة من المفردات العربية القديمة (السامية) ومنها الارامية « تيخوما » (Zimmern, p. 9)

٥٢ ـ تيس

كلمة التيس في العربية (وجمعها تيوس) الذكر من المعز والظباء والوعول من الكلمات العربية القديمة (السامية) ، فقد وردت في الاكدية بهيئة (Tashshu) و « دشو » ، وفي العبرانية « يتش » ، وقد مرت بنا عدة امثلةسابقة على قلب الشين الاكدية الى سين في العربية . وترادف الكلمة الاكدية المصطلح السومري للتيس الذي يكتب بالعلامتين المسماريتين وهما « ماش » (Mash) التي تعنى الظأن ، والعلامة الثانية « تتا » وتعنى الذكر (ماش ـ تتا) .

٥٣ ـ التبلية

التبلية من المفردات الفلاحية التي يقتصر استعمالها على العامية العراقية بين فلاحي النخيل في المناطق الوسطى من العراق ، وهي من تراث العراق اللغوي الخاص بالزراعة وبساتين النخل . والتبلية العراقية مأخوذة من الكلمة الاكدية « تبالو » المشتقة بدورها من الفعل الاكدي « تبالو » او « وبالو » ، و «أبالو» ، ويعني حمل ، ورفع ، ثم أضيفت التاء الى اول الجذر لاشتقاق الاسم منه ، ولا سيما اسم الالة كما هو معروف في نظام الاشتقاق في اللغة الاكدية . والتبلية المستعملة الان في العراق آلة يرقى بها الى اعلى النخلة ، قوامها حبل من ليف النخل (وكلمة ليف اكدية ايضا وسيرد ذكرها في حرف اللام) تتوسطه قطعة بيضية الشكل تقريبا من الليف ايضا ومتصلة بطرفي الحبل حيث يسند المتسلق ظهره عليها ويحرك الحبل المحيط بجذع النخلة الى الاعلى متسلقا معه . وستمر بنا مفردات اخرى فلاحية مستعملة في العامية العراقية بين فلاحي العراق مثل المسحاة والمر والخلال والشيص والجمار وغيرها في مواضعها من الحروف الهجائية المختلفة .

٥٤ ـ التركيس

يطلق مصطلح التركيس في عاميته فلاحي النخيل في العراق على العملية المعروفة التي يقوم بها فلاح النخيل حين تبلغ ثمرتها من بعد التلقيح حجما صغيرا ، فيرفع العذوق ويسندها فوق سعف النخلة مع هز العذق هزا خفيفا لاسقاط الاثمار اليابسة • وقد ورد ذكر التركيس في اللغة الاكدية بصيغة تطابق العربية وهي مشتقة من مادة « ركساو » الذي يعنى ربط وشد وعقد ، ومنها كلمة « ركستو » اي الربط ويطلق مجازا على العقد القانوني مثل عقد الزواج • ويجدر التنويه هنا بان مادة « ركس » العربية تعني ايضا شد وربط، فيقال ركس البعير اي شده بالركاس وهو حبل يشد في خطم الجمل الى رجليه

٥٥ ـ التل والطل

كلمة التل والطل العربية وردت في الاكدية بهيئة « تلو » ، والعبرانية تيل او تل والارامية « تيلا » و « تلا » • ولا يمكن الجزم ان كانت الكلمة الاكدية مأخوذة من السومرية التي تعنى التل بلفظ مشابه للاكدية اى «دل» (Dull)

٥٦ ـ الثوم

كلمة ثوم ، وهو النبات المعروف من فصيلة الزنبقيات (Allium Sativa) وردت في الاكدية مثل العربية بهيئة «شومو» (بلقب الثاء العربية شينا في الاكدية وفق قاعدة تبادل الاصوات في اللغات السامية مما مر بنا في عدة امثلة سابقة) • وتكتب كلمة « شومو » في نظام الخط المسماري بالمقطعين المسماريين السومريين « شي ــ شار » (She-Shar) ومعناهما الحرفى « بصل البستان »

٥٧ ـ جمار

جمار وجامور النخلة في المعجمات العربية لبها او شحمها ، اي الجمار المستعمل الان في العامية العراقية • ومن المرجح ان اصل الكلمة العربية من السومرية « كشمارو » وهو المصطلح السومري الذي يطلق على النخيل بوجه

عام ، فيتضح من ذلك ان الاكدية لم تستعمل الكلمات الشائعة في اللغات العربية القديمة (السامية) مثل كلمة « تمر » العبرانية و « تمره » الحبشية و «دقلا» الارامية (انظر مادة تال وتاله حول تاريخ ظهور العلامة المسمارية التي يكتب بها اسم النخلة) •

٥٨ ـ الجص

كلمة الجص في المعجمات العربية من الاعجمي الدخيل على قاعدة ان حرفي الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية • اما في اللغة الاكدية فقد وردت كلمة « كصو » (Gassu) وتعنى الجص ، وتكتب بالمقطعين السومريين « ام ــ بار » (Im-Bar) ومعناهما الطين الابيض • والمرجح ان الكلمة الاكدية « گصو » هي أصل الكلمات المضاهية لها في اللغات السامية الاخرى مثل الارامية « كصا » ، وانتقلت الكلمة من الاكدية ايضا الى الاغريقية بهيئة « كبسوس » (Gupsos) ثم الى اللاتينية واللغات الاوربية بصيغة (Gypsum)

٥٩ ـ الجسر

كلمة جسر وهو ما يعبر عليه على النهر بهيئة قنطرة ونحوها وردت في الاكدية مثل العربية بهيئة « كشرو » (Gishru) ومنها الآرامية « كشرا » ، والمرجح ان اصل الكلمة من السومرية « كش ــ رو » (Gish - Ru)

٦٠ ـ الجرجير

الجر جير نوع من البقول من فصيلة « الصليبيات » (Eruca Sativa) ، له ازهار صغيرة بيضاء واوراق مركبة شديدة الخضرة • وقد وردت كلمة الجر جير في اللغة الاكدية بصيغة تضاهي العربية وهي « كنكيرو » (Gingiru) ومنها الارامية « كر كيرا » (انظر مجلة سومر ١٩٥٣ ، العدد ٢ ، ص ٢١٢ • والمرجع المرموز له : (Dab, 211

٦١ ـ الجبن

ورد في اللغة الاكدية ما يضاهي الكلمة العربية جبن بهيئة « گبنتو » (Gubantu) ولعل منها الارامية « كبنتا » والعبرانية « كبينا »

٦٢ ـ الجمشد ، والجمست

وردت في اللغة الاكدية كلمة « الكميشو » (Algameshu) بمعنى الجمشد أي حجر الامثيست (Amythyst) ، ويرجح أن اصل الكلمة الاكدية من السومرية « الكامس » او « الكامش » (Al-Ga-Mesh)

٦٣ ـ الحمض

كلمة الحمض العربية تطلق على ما ملح وامر من النبات ، وفي العامية العراقية « حميض » وتضاهيها الكلمة الاكدية « حمضو » (Imsitu) وهو العشب المعروف بالاسم العلمي (Rumex Acetosa) وترادف الاكدية الكلمة السريانية « خموتا » (انظر مجلة سومر ، ١٩٥٣ ، ص٥ : والمرجع المرموز له بـ (Dab, 9)

٦٤ ـ حران

مع ان هذه الدراسة لا تتضمن اصول اسماء المدن القديمة بيد انه يجدر ان ننوه باسم المدينة التاريخية المشهورة « حران » في جزيرة ما بين النهرين العليا المشتق من الكلمة الاكدية « خرانو » او « حرانو » التي تعنى الطريق ولا سيما طريق القوافل ، وترادف هذه الكلمة اللفظة السومرية « كسكل » (Kaskal) . واشتق من الكلمة الاكدية مجازا اسم مدينة حران اي مدينة القوافل (Caravan City)

٦٥ ـ الحنطة ـ القمح

الحنطة في الاكدية « أطيتو » (Uttetu) واصلها « حنطيتو » ، ثم ادغمت النون بالطاء وضاع صوت الحلق ح بسبب استعمال اللغة الاكدية الخط المسماري الذي اوجده السومريون الخالية لغتهم من حروف الحلق العربية والاكدية .

اما القمح المرادف للحنطة فقد ورد في الاكدية ايضا بلفظ يضاهي العربية أي « قمحو » ويكتب « قيمو » ، بفقدان حرف الحلق ح ايضا للاسباب التي اوردناها .

٦٦ ـ الحلفاء

يرجح كثيرا ان اصل كلمة الحلفاء العربية من الاكدية « الفتو » (Eliptu) على الرغم من ان بعض الباحثين رأى ان هذه الكلمة الاكدية تعنى نوعا من الاثل . وفي الارامية « خلفا » . وقد وصف هذا النبات في بعض النصوص المسمارية بانه فراش الالهة « عشتار » ، ولعل هذا الوصف يؤيد تعيينه بالحلفاء العربية اشارة الى الحصر التي تصنع من الحلفاء في العراق قديما وحديثا (راجع مجلة سومر ١٩٥٣ ، ص ٥ ، والمرجع Dab, 9

٦٧ ـ الخروب ـ الخرنوب

الخروب ـ وفي العامية خرنوب ـ في اللغة الاكدية «خروبا» (Kharuba) ومنها الارامية « خاروبا » و « خربا » ، وانتقلت الكلمة الى الاغريقية بهيئة « خروبا » (Kharrouba) ومنها الى اللغات الاوربية مثل الانجليزية (Carob) . ويسمى الخروب في اللغة السومرية بالمصطلح « إيري ـ تل ـ لا » (Eri-Til-La) الذي يعني حرفيا «نبات مدينة الحياة» ، وتذكرنا هده التسمبة بما جاء في المآثر العبرانية (في سفر اخنوخ المنتحل مثلا) حيث الخروب نبات الحكمة . بيد ان المعتقدات الشعبية في معظم البلاد العربية ترى ان الخروب موطن الشيطان (عن الخروب في المصادر المسمارية واستعمالاته الطبية راجع مجلة سومر ، ١٩٥٣ ، ص٢٠١، والمرجع (Dab, 186

٦٨ ـ الخس والمرار

كلمة الخس في اللغة الاكدية تطابق العربية حيث وردت في النصوص المسمارية بهيئة « خسو » ، وفي السريانية « خستا » والارامية « خسا » .

والمرجح ان كلمة « خسو » الاكدية مشتقة من الاسم السومري للخس الذي يكتب بالعلامات « خيي ـ أس ـ سا » (Hi-As-Sa) مسبوقة بالعلامة الدالة على النبات (وهي المرادفة للاكدية شمو (Shammu)).
وذكرت المعجمات المسمارية من بعد كلمة الخس نوعا اخر من الخس بصيغة مطابقة لكلمة « خسو » ولكن باضافة الصفة الاكدية « مرارو » مما يرادف الكلمة العربية « المرار » أي الخس المر الذي يسمى بالمصطلح العلمي (Centarea Calcit Rapa) ، اما الاسم العلمي للخس الاعتيادي فهو (Lactuca Sativa) (انظر مجلة سومر ، ١٩٥٢ ، عدد ١ ، ص٧٤ و ١٧٥ ، والمرجع (Dab, 73

٦٩ ـ الخص

كلمة الخص العربية التي تعني بالدرجة الاولى الكوخ او البيت من القصب او اغصان الاشجار وردت في اللغة الاكدية بلفظ مطابق للعربية اى « خصو » ، وترادف هذه كلمة اكدية أخرى تعني الكوخ ايضا « كيكيشو » (Kikishu) التي وردت في ملحمة جلجامش بهذا المعنى (اللوح الحادي عشر الخاص برواية الطوفان)
وجاء في بعض المعجمات العربية عن اصل كلمة الخص انه سمي كذلك لانه يرى ما في داخله من خصاصة أي فرجة ، والخصاص التفاريج الضيقة ، وقيل انه من خوص النخل .

٧٠ ـ خشالة

تطلق كلمة الخشالة في العامية العراقية بالدرجة الاولى على ما تكسر وعتق من اواني النحاس وغيرها . وجاء في المعجمات العربية عن مادة الخشل انه الرديء من كل شيء ، والخشل من المقل كالحشف من التمر . ويطلق الخشل ايضا على رؤس الحلى كالخلاخل والاسورة ، ويستعمل في عامية العراق على مطلق الحلى ولا سيما الحلى الذهبية والفضية .

ووردت في اللغة الاكدية كلمة « خشالو » و « خشلو » و « خشلاتو » على ما انكسر وانسحق مثل الطحين ونحوه (راجع معجم (Cad) ورسائل تل حرمل المنشورة في مجلة سومر ١٩٥٨ ، في اللوحين المسجلين في سجل المتحف العراقي تحت الرقمين ٥١١٩٨ و ٥٢٦٢٨)

٧١ ـ الخـر

في استعمال العامية العراقية تعني كلمة الخر مجرى لتصـريف المياه ولا سيما المياه الآسنة ، ويوجد نهر معروف باسم الخر في بغداد يمر الان في مدينة المنصور • ووردت في الاكدية كلمة « خـرو » و « خريتو » وتعني المجرى المائي والجدول ، من المادة الاكدية « خيرو » (Kheru) ومعناها الاساسي حفر وكري بالنسبة الى الجداول والانهار

٧٢ ـ خش ، يخش

يستعمل فعل خش في عامية العراق وفي بعض الاقطار العربية بمعنى دخل فيضاهيه المادة الاكدية « خاشو » التي تعني تحرك بسرعة ودخل ايضا •

٧٣ ـ خـدن

تضاهي كلمة خدن العربية الكلمة الاكدية « خنتو » و « ختانو » وتعني القريب برابطة الزواج ، فبالنسبة الى الرجل زوج ابنته او زوج اخته ، كمـا تعني العريس ايضا •

٧٤ ـ الحماة والحمو

الحماة ، ام الزوجة ، في اللغة الاكدية « حميتو » (Emetu) والمذكر « حمو » (Emu)

٧٥ ـ الخـوخ ـ الدراقن

كلمة الخوخ شائعة الاستعمال في العراق وفي بعض الاقطار العربيـة مثل بلاد الشام ، وقد يطلق عليه « برقوق » و « دراقن » وهـو المعروف بالاسـم العلمي (Prunus Persica) وفي الانجليزيـة (Prune) وورد اسم الخوخ في اللغة الاكدية بلفظ يطابق اللفظ العربـي بهيئة « خخـو » (Khakhkhu) • وذكر في كتب النباتات

العربية مثل ابن البيطار الذي قال ان الدراقن والدراقي الخوخ بلغة اهل الشام . وجاءت كلمة دراقن ايضا في المصادر المسمارية بهيئة « درقو » المأخوذة من السومرية « دا ــ رو ــ أق » و « دا ــ رو ــ قو ويرادفه في الارامية « دوراقينا » (راجع مجلة سومر ١٩٥٢ ، ص ٢٥ ، والمرجع المرموز له ب (Dab, 305

٧٦ ــ الخلــه

الخلة (وجمعها خلل) ما فيه حلاوة من النبات ويطلق على الخلــه في العربية ايضا السدا والديرم واسمها في الفارسية « نا نخواه » ، وسماها ابن البيطار « نانوخه » . وقد وردت كلمة الخله في اللغة الاكدية بهيئة « خلو » ، واستعملت في طب العراق القديم على هيئة بهار وبخور (انظر مجلة سومر ١٩٥٢ ، ١٨١ ، والمرجع المرموز له ب (Dab, 67

٧٧ ــ الخردل

من المحتمل جدا ان الكلمة الأكدية الواردة في النصوص المسمارية بهيئة « خلد فخانو » (Khaldapakhanu) تضاهي الكلمة العربية خردل وقد جاءت الكلمة الاكدية مرادفة للسومرية « خار ــ خار » ، كما تضاهي الكلمة الاكدية اسم الخردل بالسريانية وهو « خردلونا » والاوغاريتية الكنعانية « خندر » ، ويسمى الخردل (Mustard) بالاسم العلمي (Sinapis Mustard) ؛ ويوجد نوع من الخردل منتشر في بلاد ما بين النهرين يعرف بالاسم العلمي (Sinapis Orientalis) (راجع مجلة سومر ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٥ ، والمرجع (Dab, 207

٧٨ ــ الخرص

يسمى الذهب في اللغة الاكدية « خراصو » ومنه العبرانية « خاروص » والكنعانية الاوغاريتية خرص . واستعار الاغريق الكلمة الاكدية بهيئة « خروسوس » (Chrusos) ومنها المصطلح الانكليزي (Chrysalis) وفي العربية من معاني الخرص ، بضم الخاء (وجمعها اخراص) حلقة من الذهب او الفضة .

٧٩ ـ الخربـق

الخربق في المعجمات العربية نبات مزهر من فصيلة الشفاريات ، ورقه ابيض واسود • وذكرته كتب النباتات والاعشاب العربية انه سم للكلاب • وهو نوعان ابيض واسود وان الابيض منه يقيء الانسان والاسود يسهل المعدة • واعتقد فيه القدماء ان يشفي المجانين •

وورد اسم الخربق في اللغة الاكدية بصيغة « قر باخو » ، وله مرادف وصفي يعني « كلب الالهة كولا » (Gula) وهي الهة الطب والشفاء والكلب حيوانها المقدس ، كما وصف بانه « كلب الاله شمش (اله الشمس)• ويعلل بعض الباحثين أصل هاتين التسميتين على انهما ناشئتان من كثرة الانسجة المنتشرة من جذور هذا النبات التي تخيلها القدماء وكانها ارجل الكلب ، ومن قبيل ذلك تسمية الكاتب الروماني « بليني » له باسم يعنى القدم الاسود (Pliny, Natural History, XXV, 2)

ويسمى الخربق في الانجليزية (Hellebore) ، والاسم العلمي للخربق الابيض (Helleborus Album) والاسود (Helleborus Niger) ولا يخفى ان الكلمة الاولى من هذه التسميات مأخوذة من كلمة الخربق (انظر مجلة سومر ١٩٥٣ ، ص٥٤ والمرجع المرموز بـ (Dab

ميراث الجد مع وجود الاخوة في المذاهب الفقهية

محيي هلال السرحان
المدرس في قسم الدين ــ كلية الاداب
جامعة بغداد

خلاصة الموضوع :

تعتبر مسألة ميراث الجد مع وجود الاخوة اعقد مسألة من مسائل علم الميراث ، فقد حوت ذخيرة فكرية ضخمة من الاراء الفقهية وتراثا عربيا اسلاميا اصيلا نابعا من صميم فكر هذه الامة يضرب لنا مثلا شرودا في قوة تشريعاتها وخصوبتها ، فهي معين ثر ، ومنهل عذب للمشرعين يستقون منه على مر العصور .

ولتسهين هذه المسألة الشائكة وتقريبها فقد عمدت تبسيطها لطلابي وسلكت ــ لاجل عرضها عليهم عرضا هينا وتوضيحها لهم توضيحا وافيا ــ طريقا واضح المعالم بين الحدود يتلخص في انني قدمت للموضوع بمباحث تمهيدية عرفت فيها باصطلاحي الجد والاخوة عند الفقهاء ، ليسهل تشخيصهم ، وتحديد مركزهم بالنسبة الى الميت ، ولان ميراثهم حين اجتماعهم مثار اختلاف بين الفقهاء . وبينت بعض الاحكام الموجزة عن ميراث الجد بدون الاخوة ، وعن ميراثهم دون وجود الجد على سبيل الاجمال ، ثم مقدمات لها صلة وثيقة بالموضوع كأسباب اختلاف الصحابة وتحرجهم في الافتاء في هذه المسائل .

ثم دخلت في صميم الموضوع ببيان الاراء الفقهية بصورة اجمالية ، وانصار هذه الآراء من الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار وادلة كل رأي ومناقشاتها .

ثم بينت تلك الآراء بصورة تفصيلية تفريعية ، وضربت الامثلة الكثيرة على ذلك تسهيلا للبحث وتقريبا للنظريات ، وقارنت بين تلك الآراء .

ولم اتعرض الى ميراث الجدة والجدات ، ولا الى ميراث ابناء الاخوة وبناتهم لان ذلك مما يطيل البحث كثيرا ويشعبه فآثرت الجمود على حرفية الموضوع . ومن الله التوفيق

مباحث تمهيدية

ما المقصود بالجد والاخوة ؟

يختلف المقصود بهما في اللغة والاصطلاح : فيحتم علينا ان نبين ذلك :

معنى الجـد

الجد في اللغة :

الجد في اللغة : ابو الاب ، وابو الام ، وان علا ...

قال في القاموس : « الجـد ابو الاب ، وابو الام ، (ج) اجـداد ، وجدود وجدودة . »[1] .

وقال في المصباح المنير : « والجـد ابو الاب ، وابو الام ، وان علا .. »[2] .

اما الجد في الاصطلاح :

فهو عند جمهور اهل السنة على قسمين : صحيح ، وغير صحيح ...

فالصحيح[3] : هو الذي يتصل بنسب الميت دون ان تكون في سلسلة النسب انثى[4] ، فهو الذي « يمكن نسبته الى الميت بدون ان تدخل بينه وبين الميت انثى كأبي الاب وأبي ابي الاب وان علا ، وهو المراد عند

---

(١) الفيروز آبادي : القاموس المحيط (ط ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٢ ، مادة جدد) جـ ١ ص ٢٩١ .

(٢) الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ط ٢ المطبعة الاميرية بمصر ١٩٠٩) مادة جدد جـ ١ ص ١٤٥ .

(٣) الفناري : محمد شاه : حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية تحقيق فرج الله زكي الكردي مصر ص ٩١ و ص ٩٤ .

(٤) الشنشوري : شرح الشنشوري لمتن الرحبية (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ) ص ١٠١ .

الاطلاق »[٥] ويعتبر من العصبات النسبية ، ومن اصحاب الفروض[٦] .

وغير الصحيح :

ويسمى ايضا (الفاسد) ، وهو الذي تتوسط في النسب بينه وبين الميت انثى . وبعبارة اخرى « هو الذي دخلت في نسبته الى الميت انثى ، كأبي الام ، وأبي ام الاب .

ويعتبر الجد الفاسد من ذوي الارحام »[٧] .

هذا عند اهل السنة .

اما عند الجعفرية :

فهو عام يشمل النوعين ما دام جداً بالمعنى اللغوي ، فهو مطلق[٨] يشمل الصحيح والفاسد .

ما المقصود بالاخوة

الاخوة في اللغة :

الاخوة في اللغة جمع اخ ، وهو من يتصل بالشخص في النسب باحد والديه أو بكليهما ، واخ مخفف ومشدد وقيل اخو ، فلامه محذوفة ولذلك تعود في التثنية فيقال اخوان وتطلق الاخوة على اخوة النسب واخوة الصداقة . قال في المصباح : « الاخ لامه محذوفة وهي واو ترد في التثنية على الاشهر فيقال : اخوان وفي لغة يستعمل منقوصا فيقال اخان . وجمعه

---

(٥) الكشكي : محمد عبدالرحيم : الميراث المقارن (الطبعة الثانية مطبعة خلف (١٩٦٣) ص ١٦٢ .

(٦) عمر عبدالله : احكام المواريث في الشريعة الاسلامية (الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر ١٩٦٠) ص ١٨٩ .

(٧) البرديسي ، محمد زكريا : الميراث والوصية في الاسلام (الدار القومية للطباعة والنشر في القاهرة ١٩٦٤) من سلسلة التعريف بالشريعة الاسلامية رقم (٤) ص ٥٥ .

(٨) الحلي ، الشيخ عبدالكريم رضا : الاحكام الجعفرية في الاحوال الشخصية (مطبعة حجازي بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٤٧) ص ١٤٨ .

اخوة ، واخوان ... والانثى : اخت ، وجمعها اخوات . وتقول : اخو تميم ، اي واحد منهم »[9] .

وقال في المنجد : « وهو من جمعك واياه صلب أو بطن »[10] .

قال الزمخشري : « اخوان الوداد اقرب من اخوة الولاد ، ومن المجاز : بين السماحة والحماسة تآخ »[11] .

الاخوة في اصطلاح الفقهاء :

لئن كان المعنى اللغوي واسعا يشمل اخوة الصداقة واخوة النسب ، فان المعنى الاصطلاحي عند الفقهاء يضيق فيقتصر على اخوة النسب فقط ، اي اولئك الذين تجمعهم مع الشخص بطن واحدة ، أو ظهر واحد .. وبعبارة اخرى : هم الذين يلتقون معه في النسب باحد والديه ...

والاخوة على ثلاثة انواع :

١ ــ الاخوة لأم : وهم الذين يتصلون بالشخص عن طريق الام فقط ، ويسمون عند الفقهاء احيانا (اولاد الاخياف) « وسموا بذلك من قولهم فرس اخيف ، اذا كانت احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء ، فنسب باحدى عينيه الى شيء وبأخرى الى شيء اخر فحال الاخوة والاخوات لام كذلك ... »[12] .

٢ ــ الاخوة لاب : وهم الذين يتصل بهم الشخص عن طريق الاب فقط ويسمون (اولاد العلات) .

---

(٩) المصباح المنير : مادة (اخ) ج ١ ص ١٦ .

(١٠) المنجد : مادة (اخ) ص ٥ .

(١١) الزمخشري : اساس البلاغة (دار ومطابع الشعب بالقاهرة ١٩٦٠) ص ٧ .

(١٢) السرخسي : شمس الدين : المبسوط (طبعة ساسي بمطبعة السعادة بمصر ١٣٣١هـ) الجزء ٢٩ ص ١٥٤ .

قال القائل :

ويوسف اذ دلاه اولاد علة   فاصبح في قعر الركية ثاويا[13]

٣ ـ الاخوة لاب وام معا : وهم الاخوة الاشقاء الذين يرتبط بهم الشخص عن طريق ابيهوامه معا . ويسمون (اولاد الاعيان) ، « وسموا بذلك لان عين الشيء اتم ما يكون منه وتمام الاتصال يكون من الجانبين في حقهم »[14] .

احكام ميراث الجد اذا لم يوجد معه اخوة بصورة موجـزة

لا يثير ميراث الجد عند عدم وجود الاخوة اية صعوبة ، فهو يقوم مقام الاب عند عدم وجوده باتفاق الفقهاء .

واحواله في الميراث

١ ـ يرث بالتعصيب فقط اذا لم يوجد فرع وارث لانه عصبة ، فيأخذ من التركة ما بقى منها بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم .

مثل توفيت عن زوج	جد
$\frac{1}{2}$ فرضا	$\frac{1}{2}$ تعصيبا

٢ ـ يرث بالفرض فقط ، وذلك عند وجود الفرع المذكر الوارث ، فيأخذ السدس فرضا فقط :

مثل توفي عن ام	جد	ابن
$\frac{1}{6}$ فرضا	$\frac{1}{6}$ فرضا	الباقي تعصيبا

(١٣) السرخسي : المبسوط جـ ٢٩ ص ١٥٣ .

(١٤) نفس المصدر والصفحة .

٣ ــ يرث بالفــرض والتعصيب ، وذلك عند وجــود الفرع المؤنث الوارث مثل :

توفي عن	ام	بنت	جد
	١/٦ فرضا	١/٢ فرضا	١/٦ فرضا + الباقي وهــو ١/٦ تعصيبا •

٤ ــ وقد يكون محجوبا حجب حرمان ، وذلك اذا وجد معه الاب •
ويختلف الجد عن الاب في بعض المسائل

١ ــ ان الاب لا يحجب ابدا الا بمانع من موانع الارث ، بينما الجد قــد يحجب وذلك بوجود الاب •

٢ ــ لا ترث ام الاب مع الاب كما لا ترث كل جدة لابويه (اي ابوي الاب)، وترث ام الاب مع الجد[١٥] •

٣ ــ لقد اجمع الفقهاء على ان الاب يحجب الاخــوة حجب حرمان من اي صنف كانوا[١٦] اما الجد فقد اجمعوا على حجبه الاخوة لام فقط في مذاهب اهل السنة ولم يجمعوا على حجبه للاخوة لابوين او لأب ، بل لقد ذهب الجعفرية الى عدم حجبه لهم حتى الاخوة لام كمــــا سيتضح ذلك •

---

(١٥) حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية ص ٩٢ ــ ٩٣ •

(١٦) نفس المصدر •

٤ ــ في المسألة الغراوية[١٧] يحجب الاب الام الى ثلث الباقي عند جمهور اهل السنة في حين لا ينقصها الجد الى ذلك :ــ

مثل توفيت عن	زوج	ام	اب
	$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{3}$ الباقي	الباقي
	٦	٢	٤

مثال توفيت عن	زوج	ام	جد
	$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{3}$ التركة	الباقي
	٦	٤	٢

٥ ــ لا يجوز اقرار الجد بابن ابنه حيا كان الابن أو ميتا ، ويجوز اقــرار الاب اذا كان الابن ميّتا[١٨] .

٦ ــ لا يكون الابن مسلما باسلام الجد ويكون مسلما باسلام الاب[١٩] .

٧ ــ الجد لا يجر الولاء والاب يجر الولاء[٢٠] .

٨ ــ نفقة الصغير على الجد والام اثلاثا اذا لم يكن للصغــير مال ولو كان له ابوان فجميع النفقة على الاب[٢١] .

---

(١٧) نفس المصدر .

(١٨) السمرقندي : ابو الليث : خزانة الفقه وعيون المسائل (تحقيـــق الدكتور صلاح الدين الناهي) شركة الطبع والنشر الاهلية بغداد ١٩٦٥ المجلد الاول ص ٤١٧ .

(١٩) نفس المصدر .

(٢٠) نفس المصدر وانظر حاشية الفناري على حاشية السيد الشريف على السراجية ص ٩٣ .

(٢١) السمرقندي : خزانة الفقه وعيون المسائل جـ ١ ص ٤١٧ .

ميراث الاخوة في حالة عدم وجود الجسد معهم

اخوة الميت على ثلاثة انواع كما قلنا ولكل منهم احكام خاصة :

١ ــ الاخوة لابوين أو الاشقاء :

يرث الاخ المذكر منهم بالعصوبة المحضة فلا فرض له لأنه احد العصبات عند جمهور اهل السنة والاخت الشقيقة من ذوات الفروض لها النصف ان كانت واحدة أو الثلثان ان كن اكثر من واحدة وان اجتمع الاخوة الاشقاء ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وهم محجوبون حجب حرمان اذا وجد الاب أو الفرع المذكر الوارث ... واذا كانوا اثنين نزلوا بفريضة الام من الثلث الى السدس (وخالف في ذلك ابن عباس) واختلف الفقهاء ، في توريث الاخوات مع البنت أو البنات :

فالجمهور على انهن عصبة يأخذن ما بقى بعدهن ...

وذهب داود الظاهري[٢٢] والجعفرية[٢٣] وطائفة الى ان الاخت لا ترث شيئا مع البنت[٢٤] وذلك مفصل في مراجعه فليراجع ...

٢ ــ الاخوة لاب :

لا خلاف بين الفقهاء في ان الاخوة لاب يقومون مقام الاخوة لابوين عند عدمهم .

٣ ــ الاخوة لام :

وهم من ذوي الفروض : فان كان اخا واحدا اخذ السدس وكذا ان كانت اختا . وان كانوا اكثر من واحد فهم شركاء في الثلث بلا فرق بين ذكر أو انثى ...

---

(٢٢) الظاهري : ابن حزم : المحلى (ادارة الطباعة المنيرية) جـ ٩ ص ٢٥٦ .

(٢٣) الحلى المحقق : الشرائع تحقيق محمد جواد مغنية (دار مكتبة الحياة بيروت) المجلد الثاني ص ١٨٤ .

(٢٤) ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) جـ ٢ ص ٣٣٨ .

وهم محجوبون حجب حرمان باربعة عند اهل السنة[٣٥] الاب والابن والبنت والجد والجـد الصحيح في حين ان الجـد لا يحجبهم عند الجعفريـة .

وهـم يحجبون الام حجب نقصـان اذا تعددوا الى السدس بدلا من الثلث ...

ميراث الجد مع وجود الاخوة

صعوبة الموضوع :

يعتبر موضوع ميراث الجد مع الاخوة من اعقد المسائل وادقها في علم الميراث ولذلك افاض الفقهاء في الحديث عن هذه الحالة ، وامتلأت بطـون الكتب بالكلام الكثير والتفريعات على ذلك .

اختلاف الصحابة في الموضوع :

وبالنظر لتعقيد الموضوع ودقة مسائله التي تنفرد من بين مسائل علم الميراث ، لذلك اختلف الصحابـة في هـذا الموضـوع وتباينت آراؤهـم واحكامهم . الامر الذي كثر التفريعات والاستدلالات . ولكن رغم تلك التفريعات فاننا نستطيع ان نرد هذه الاختلافات بصورة عامة الى خطـين عريضين ، أو فكرتين اساسيتين ، مبناهما على توريث الاخوة مع الجد أو عدم توريثهم معه ... ثم تنشأ بعد ذلك التفريعات ...

وقبل ان نشرح هذين الرأيين ، يجدر بنـا ان تتبين اسـباب ذلك الاختلاف الذي دعا الى ظهور مسائل عديدة غزيرة ، اغنت الفقه بآراء جميلة، ستظل منبعا يستمد منه القانونيون والفقهاء على مرور العصور ...

---

(٣٥) حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية ص ٩٧ — ٩٨ .

اسباب اختلافهم في هذا الموضوع

ولعل اختلاف الصحابة في ميراث الجد مع الاخوة وتشعب آرائهم يرجع الى سببين مهمين :ـ

اولا : لان ميرات الجد لم يأت فيه نص قرآني ، ولا حديث نبوي يفصله[٢٦] كما جاءت ايات المواريث مفصلة دقيقة •

لذلك كانت المسألة « اجتهادية »[٢٧] يحصل فيها « ثواب الاجتهاد » كما يقول العلامة السرخسي[٢٨] اذ روى ان عمر لما ألح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السؤال عن الكلالة وضع يده في صدره فقال : « اما يكفيك آية الصيف »[٢٩] فقال وانما احاله على الآية ليجتهد في طلب معناها فينال ثواب المجتهدين •

ثانيا : صعوبة تحديد مركز الجد بالنسبة للمتوفى تحديدا واضحا :

واتجاهاتهم في هذا الموضوع تختلف باختلاف الكيفية التي يتكيف بها مركز الجد[٣٠] وسبب الصعوبة يرجع الى عدة امور :

أ ـ تشابه الجد والاب :

على الرغم من اختلاف الجد عن الاب في بعض الاحكام كما سبق ان بينا[٣١] ـ فانه يشبهه شبها كبيرا في كثير من الامور منها :ـ

١ ـ انه يحجب أولاد الام اجماعا عند اهل السنة كما يحجبهم الاب •••

---

(٢٦) الشنشوري : الدرة المضية في شرح الفارضية (دمشق ، الطبعة الاولى ١٩٦١) ص ٣٠ .

(٢٧) عمر عبدالله : احكام المواريث ١٩١ .

(٢٨) السرخسي : المبسوط ١٥١/٢٩ .

(٢٩) نفس المصدر ، والمراد بآية الصيف قوله : « يستفتونك ... » .

(٣٠) البسام : عبدالرحمن : محاضرات في الوصايا والمواريث القاها على طلبة كليتي الحقوق والشريعة العراقيتين سنة ٩٥٧ ـ ٩٥٨ القسم الاول ص ٤٩ من طبعة الشريعة .

(٣١) يراجع موضوع (اختلاف الجد عن الاب) من بحثنا هذا .

٢ ـ وانه اذا زوج الصغير والصغيرة فلا يكون لهما خيار البلوغ ...

٣ ـ وانه لا يقتل بقتل ولده ...

٤ ـ وانه لا تقبل شهادته له ...

٥ ـ وانه لا يجوز دفع الزكاة اليه ...

٦ ـ وانه يقدم على الاخ في ولاية النكاح ...

٧ ـ وانه يحرم ما نكح هو على ابن ابنه كما يحرم عليه ما نكح ابن ابنه[٣٢] ..

ب ـ تشابه الجد والاخوة من حيث قوة صلتهم بالميت :

ومع تشابهه مع الاب فانه يشبه الاخوة من حيث قوة الصلة والقرابة والارتباط بالميت مما يعقد صعوبة تحديد مركزهما من الميت فأيهما اقرب الى الميت ؟ الجد ام الاخوة ..؟

ان الجد والاخوة يتصلان بالميت عن طريق الاب فمنزلتهما القرابية تكاد تكون متساوية في ما بينهما ... الامر الذي عنه انطلق الاختلاف في ما بين الصحابة ... حتى ضربوا الامثلة على تشابك درجة القرابة امثلة غامضة حينا وناطقة بتساوي الصلة بينهما ومن ذلك : ما أخرجه الدار قطني قال :

قال الحافظ بسند قوي عن زيد بن ثابت : ان عمر اتاه فذكر قصة فيها ان مثل الجد كمثل شجرة تنبت على ساق واحد يخرج منها غصن ، ثم خرج من الغصن غصن ، فان قطعت الغصن رجع الماء الى الساق ، وان قطعت الثاني رجع الماء الى الاول[٣٣] .

(٣٢) يراجع في ذلك حاشية السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ والمبسوط : جـ ٢٩ ص ١٨٢ .
ومحمد عبدالرحيم الكشكي : الميراث المقارن ص ١٦٥ .

(٣٣) الصنعاني : تتمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير (القاهرة مطبعة السعادة ١٣٤٩ ملحق بنهاية الجزء الرابع من الروض النضير ص ٥٨ ، وانظر الخبر في سنن الدارقطني ٤/٩٣ ـ ٩٤ .

وتشبيه اخر ، يشبههما فيما روى البيهقي ايضا انه شبه الجد بالبحر ، والنهر الكبير والاب بالخليج المأخوذ منـه ، والميت واخوتـه كالساقيتين المتدتين من الخليج والساقية الى الساقية اقرب منها الى البحر ، الا ترى اذا سدت احداهما اخذت الاخرى ماءها ولم يرجع الى البحر[٣٤] وقـد مثله زيد : « بواد خرج منه نهر انفرق منه جدولان ، كل واحد منهما الى الاخر اقرب منه الى الوادي »[٣٥] وقد روى عن الامام علي (رض) انـه شبه الاخوين بشجرة انبتت غصنين ، والجد مع النافلة بشجرة نبت منهـا غصن ، فالقرب بين غصني الشجرة اظهر من القرب بين اصل الشجـرة والغصن النابت من غصنها ، لان بين الغصنين مجـاورة بغير واسطة وبين الغصن الثاني واصل الشجرة مجاورة بواسطة الغصن الاول[٣٦] .

وقد اورد كل من ابن قدامة المقدسي[٣٧] والمرتضى[٣٨] الرواية على هذه الصورة « انه مثله علي (رض) بشجرة انبتت غصنا فانفرق منه غصنان ، كل منهما اقرب منه الى اصل الشجرة » .

كل هذه التشبيهات تدل على ان الصلة بين الميت والاخوة والصلـة بين الميت والجد متقاربة شديدة التشابه ...

---

(٣٤) نفس المصدر ص ٥٨ أيضا .

(٣٥) المرتضى ، احمد بن يحيى : البحر الزخار الجامع لمذاهب علمـاء الامصار (الطبعة الاولى مطبعة السـنة المحمدية ١٩٤٩) جـ ٥ ص ٣٤٨ .
وانظر ابن قدامة : المغني على مختصر الخرقي (الطبعة الاولى مطبعة المنار بمصر ١٣٤٨) جـ ٧ ص ٦٥ .

(٣٦) السرخسي : المبسوط جـ ٢٩ ص ١٨١ .

(٣٧) المقدسي : ابن قدامة : الشرح الكبير على متن المقنع (الطبعـة الاولى في مطبعة المنار بمصر ١٣٤٨) على حاشية المغني لابن قدامـة جـ ٧ ص ٩ .

(٣٨) المرتضى ، احمد بن يحيى : البحر الزخار : جـ ٥ ص ٣٤٨ .

ج ـ تشابه الجد والاخ من حيث الاحكام :

وكما اشبه الجد الاب في بعض الاحكام ، فهو ايضا يشبه الاخ في بعض الاحكام الاخرى ومنها :

١ ـ انه لا تفرض عليه صدقة فطر الصغير .

٢ ـ انه لا يصير الصغير مسلما باسلامهما كما يصير مسلما باسلام احد والديه ...

٣ ـ وفي ان نفقة الصغير على جده وامه اثلاثا[٣٩] كما تكون على الاخ والام وغير ذلك[٤٠] فهما متشابهان ... وقد تعارضا ...

لهذه الاسباب :

اعنى لعدم وجود نص قرآني او من الحديث في ميراث الجد معهم ، ولعدم تشخيص مركز الجد والاخوة من الميت . ولتردد الجد في احكامه بين المشابهة بالاب والمشابهة بالاخ ، ولاستواء المنزلة القرابية ـ تقريبا ـ بينهما ، وعدم اجماع الصحابة ، ولتعارض القياس ـ اقول لهذه الاسباب وغيرها تردد الكثير من الفقهاء في اعطاء رأيه وترجيح احدى الفكرتين ، وربما نجد عن الصحابي الواحد روايتين احداهما يؤيد فيها الفكرة الاولى (اعني توريث الاخوة مع الجد) والثانية يؤيد فيها الفكرة الثانية (اعنى عدم توريثهم معه) ، وربما يتوقف فلا يعطي رأيا بالمرة ، كما سنذكر ذلك فيما بعد :

---

(٣٩) (اثلاثا) بالنصب على انها حال . وخبر ان هو الجار والمجرور (على جده) .

(٤٠) السيد الشريف : شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٥٠ .

تحرج الصحابة من الافتاء في ميراث الجد مع الاخوة :

ونظرا لشدة اتصال الجد والاخ بالميت ، اتصالا لا نستطيع به تمييز اكثرهما قوة ، فقد تحير الكثير من الصحابة في الكشف عن حكم الشارع في ميراثه مع الاخوة ، لغموض اقوى الصلتين بالميت فتحرجوا بناء على ذلك من الافتاء في تلك المسائل التي يجتمع الجد فيها ، بالاخوة ، وتحرزوا كثيرا من الولوج في هذه المسائل خوفا من مجانفة الحق والوقوع في الاثم والمعصية ، لقوة الفكرتين ـ اعنى ميراثهم معه أو عدم ميراثهم ـ كما سنرى ...

لذلك اثرت عنهم بعض الاقوال التي تدل على مبلغ الحرج الذي يقاسونه :ـ

قال عمر بن الخطاب (رض)

« اجرؤكم على الجد اجرؤكم على النار »(٤١)

وعن عبيدة السلماني :

« اجتمعوا في الجد على قول فسقطت حية من سقف البيت فتفرقوا فقال عمر (رض) ابى الله ان يجتمعوا في الجد على شيء . ولما طعن عمر (رض) وايس من نفسه قال:

اشهدوا انه لا قول لي في الجد ولا في الكلالة واني لم استخلف احدا »(٤٢) .

وقال الامام علي (رض)

« من سره ان يقتحم جراثيم جهنم بحر وجهه فليقض بين الجد والاخوة »(٤٣) .

---

(٤١) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٨٢ .

(٤٢) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٠ ـ ١٨١ .
والسيد الشريف : شرحه على السراجية ص ٢٥١ .

(٤٣) الرملي المنوفي الشهير بالشافعي الصغير (المتوفى سنة ١٠٠٤) كتاب نهاية المحتاج الى شرح المنهاج (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨) ج ٦ ص ٢٣ ـ ٢٤ وجراثيم : اصول .

وحين سأله رجل عن فريضة قال : « هاتها ان لم يكن فيها جد »[٤٤] .

وقال ابن مسعود (رض) سلوني عما شئتم من عصباتكم ولا تسألوني عن الجد لا حياه ولا بياه »[٤٥] .

وقال ابن عمر (رض عنهما)

« اجرؤكم على جراثيم جهنم اجرؤكم على الجد »[٤٦] .

ومن هنا نفهم السر في توقف الكثير من الصحابة عن الافتاء وعدم اعطاء رأى في مسائل ميراث الجد مع الاخوة :

فقد توقف شريح عن ان يقول في فريضة فيها جد واخ رغم سؤاله مرة بعد مرة[٤٧] .

وقد حذا حذوه سعيد بن جبير وغيرهما[٤٨] .

مما يدل على استعظامهم الكلام فيه وتهيبهم من الخوض في مسألة عويصة كهذه لا يحمد الدخول فيها .

الاراء الفقهية في ميراث الجد مع الاخوة

ومع تحرجهم من الافتاء واستعظامهم للكلام في ميراث الجد مع الاخوة ، فقد كانت هناك مسائل فقهية تعرض على الفقهاء بصورة واقعية في مجتمع الصدر الاول ...

فتحرزهم وتحرجهم لا يسوغ لهم الاعراض والتغافل والتغاضي عن المسألة ، بل كانت مسألة حياتية تحتاج الى فتوى ومعرفة حكم .. بصورة عاجلة .. لذلك كان لابد من ابداء الرأى وكسر حجاب التهيب . فلابد من حكم لهذه المسألة .

---

(٤٤) ابن حزم : المحلى جـ ٩ ص ٢٨٢ .
(٤٥) الرملي : نهاية المحتاج جـ ٦ ص ٢٤ .
(٤٦) ابن حزم : المحلى جـ ٩ ص ٢٨٢ .
(٤٧) ابن حزم : المحلى جـ ٩ ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .
(٤٨) نفس المصدر ص ٢٨٣ .

وهنا اعمل الصحابة الاوائل اجتهادهم ضمن روح الدين الاسلامي للكشف عن حكم الشارع في المسألة ، ولاختلاف المدارك واختلاف المقدمات القياسية ودقة الصلة بين الميت وبين كل من الجد والاخوة ...

لذلك كثرت الاقوال والآراء في المسألة ...

ولكننا كما سبق ان قلنا نستطيع ان نردها على سبيل الاجمال الى رأيين اساسيين :

الراى الاول :

ان الجد عند عدم وجود الاب يقوم مقام الاب في الارث والحجب، فيرث ما يرثه الاب ، ويحجب من يحجبه ، فيحجب الاخوة كلهم استثناء .

الراى الثاني :

ان الجد يقوم مقام الاب في الارث مع الاولاد وغيرهم ، ويقوم مقام الاب في حجب الاخوة والاخوات لام . اما الاخوة الاشقاء أو لأب فلا يحجبهم ولكن يقاسمهم على اختلاف في درجات المقاسمة .

انصار الراى الاول :

وقد ذهب الى هذا الرأي ــ أعنى ان الجد يحجب الاخوة مطلقا ــ جمع غفير من الصحابة الاوائل والفقهاء :

فقد قال به[49] ابو بكر الصديق ، وابن عباس ، وعائشة ، وابي بن كعب ، وابو موسى الاشعري وابو الدرداء ، وعبدالله بن الزبير ، ومعاذ ابن جبل ، ورواية عن عمر ، وعثمان ، وعلى وابن مسعود[50] .

---

(٤٩) انظر : السرخسي : المبسوط جـ ٢٩ ص ١٧٩ . ابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير جـ ٧ ص ٨ . وابن قدامة : المغني : جـ ٧ ص ٦٤ . والرملي : نهاية المحتاج جـ ٦ ص ٢٤ . السيد الشريف : شرحه على السراجية ٢٤٩ . الشنشوري : شرحه على متن الرحبية ١٠١ . ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد جـ ٢ ص ٣٤٠ .

(٥٠) الصنعاني : تتمة الروض النضير جـ ٤ ص ٥٤ ــ ٥٥ .

وحكى هذا المذهب ايضا عن عمران بن الحصين ، وجابر بن عبدالله ، وابي الطفيل وعبادة بن الصامت ، وعطاء ، وطاووس ، وجابر بن زيد(٥١) ، وعبيدالله بن عبدالله وابي الشعثاء ، وشريح ، والشعبي(٥٢) ، وحذيفة بن اليمان ، وابن عمر ، وابي سعيد الخدري(٥٣) رضوان الله عليهم اجمعين .

وذهب الى هذا الرأي من فقهاء الامصار قتادة ، واسحق ، وابو ثور ، ونعيم بن حماد ، والمزني وابن سريج ، وابن اللبان ، وابن المنذر ، وعثمان التيمي ، واسحق بن راهويه(٥٤) .

ومن فقهاء المذاهب ابو حنيفة(٥٥) وداود الظاهري(٥٦) واختاره جمع

---

(٥١) انظر : ابن قدامة : المغنى/ج ٧ ص ٦٤ . السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٠ . الصنعاني : تتمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٤ . المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ٨ — ٩ .

(٥٢) الصنعاني : تتمة الروض النضير ج٤ ص ٥٥ .

(٥٣) السيد الشريف : شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ .

(٥٤) المقدسي : الشرح الكبير : ج ٧ ص ٩ . وابن قدامة : المغني : ج ٧ ص ٦٤.الصنعاني : تتمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٥ . الشنشوري : شرح الشنشوري : لمتن الرحبية ص ١٠١ .
الشيخ محمد الخضري : حاشية الخضري على الكتاب السابق في صلبه ص ١٠١ — ١٠٢ . ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج ٢ ص ٣٤٠ . الدسوقي : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير (مالكي) (دار احياء الكتب العربية) ج ٤ ص ٤٦٢ . السيد الشريف : شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ . الفناري : حاشية الفناري على الكتاب السابق ص ٢٤٩ .

(٥٥) انظر المصادر السابقة وانظر السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٠ .

(٥٦) المصادر السابقة وانظر المحلى لابن حزم ج ٢٩ ص ٢٨٤ .

من الشافعية[٥٧] منهم المزني[٥٨] وغيره[٥٩] وهو احدى روايتين عن الامام احمد بن حنبل[٦٠] .

انصار الراى الثاني :

وهو ان الجد يحجب الاخوة لام فقط ، ولكنه لا يحجب الاخوة الباقين سواء كانوا اشقاء أو لأب ، بل يقاسمهم على خلاف في كيفية المقاسمة كما سنشرحها فيما بعد ...

فقد ذهب الى هذا الرأى[٦١] الامام علي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، رضي الله عنهم . وبه اخذ سفيان الثوري ، والاوزاعي ، وابو يوسف ، ومحمد[٦٢] صاحبا ابي حنيفة ومالك[٦٣] والشافعي[٦٤] ، واصح

---

(٥٧) الرملي : نهاية المحتاج جـ ٦ ص ٢٤ .

(٥٨) الفيروز آبادي الشيرازي : المهذب في فقه الامام الشافعي : (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٩) جـ ٢ ص ٣٢ .

(٥٩) الشنشوري : الدرة المضية في شرح الفارضية ص ٣٠ . وابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد جـ ٢ ص ٣٤٠ .

(٦٠) الشنشوري : الدرة المضية في شرح الفارضية ص ٣٠ .

(٦١) انظر السرخسي : المبسوط جـ ٢٩ ص ١٨٠ . ابن قدامة : المغني جـ ٧ ص ٦٥ . المقدسي : الشرح الكبير : جـ ٧ ص ١١ . الرملي : نهاية المحتاج جـ ٦ ص ٢٤ . السيد الشريف : شرحه على السراجية ص ٢٤٩ . الشنشوري : شرحه على الرحبية ص ١٠١ . ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد جـ ٢ ص ٣٤٠ .

(٦٢) انظر المبسوط للسرخسي جـ ٢٩ ص ١٨٠ .

(٦٣) الدسوقي : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير جـ ٤ ص ٤٦٢ . والرملي : نهاية المحتاج جـ ٦ ص ٢٤ (شافعي) والمقدسي الشرح الكبير جـ ٧ ص ١٢ .

(٦٤) الشافعي : الام (شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة الاولى ١٩٦١) جـ ٤ ص ٨١ . والمقدسي : الشرح الكبير جـ ٧ ص ٩ . والرملي : نهاية المحتاج جـ ٦ ص ٢٤ . والفيروز آبادى : المهذب جـ ٢ ص ٣٢ .

الروايتين عن الامام احمد بن حنبل[٦٥] ، والزيدية[٦٦] والجعفرية[٦٧] ، على اختلافهم في معنى الجد وفي التقسيم كما سنذكره ...

ادلة اصحاب الراى الاول :

(اي القائلين بحجب الاخوة مطلقا مع الجد) .

استدل هؤلاء على مذهبهم بادلة منها :

١ ـ ان الجد اب عند عدم وجوده وغالبا ما يطلق عليه ذلك : وقد وردت آيات كثيرة بهذا المعنى قال تعالى :

« يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة » (الاعراف ٢٦) .

« قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم ...... » (البقرة : ١٣٣) .

وكان ابراهيم جدا ...

« واتبعت ملةآبائي ابراهيم واسحق ...... » (يوسف : ٣٨) .

وكان اسحق جده وابراهيم جد ابيه .

وقال صلى الله عليه وسلم :

---

(٦٥) الشنشوري : الدرة المضية في شرح الفارضية ص ٣٠ . والمقدسي : الشرح الكبير جـ ٧ ص ١٢ . وابن قدامة : المغني جـ ٧ ص ٦٨ .

(٦٦) الصنعاني : تتمة الروض النضير جـ ٤ ص ٥٤ . والمرتضى : البحر الزخار جـ ٥ ص ٣٤٨ .

(٦٧) الحلي : المختصر النافع في فقه الامامية (مطبعة النجف ١٩٦٤) ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ . والحلي ايضا : شرائع الاسلام في الفقه الجعفري (منشورات دار مكتبة الحياة بيروت) المجلد الثاني ص ١٨٨ .
الشهيد العاملي : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية (بيروت ١٩٦٠. جـ ٢ ص ٣١٦ . العاملي : الفرائض والمواريث من كتاب مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة (مطبعة الشورى بمصر ١٣٢٦) مجلد ٢٨ ص ١٥٢ . الحكيم : السيد محسن الطبطبائي : منهاج الصالحين (الطبعة الثامنة مطبعة القضاء بالنجف ١٣٨٤) جـ ٢ ص ٢٣١ .

« ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا ...... »

« سام ابو العرب وحام ابو الحبش ...... »

وقد استعمل ذلك في شعر الشعراء فقال الشاعر :

انـا بنى نهشـل لا ندعي لأب

عنـه ولا هـو بالابناء يشرينـا

فوجب ان يحجب الاخوة كالأب الحقيقي(٦٨) .

اجابوا عليهم :

بان هذا في مقام النسبة والتعريف وبأن الابن يقال للرضيع وللمتبنّى ولهذا قيده في آية التحريم في قوله :

« وحلائل ابنائكم »

بقوله :

« الذين من اصلابكم » (النساء : ٢٢)

لاخراجهما(٦٩) .

فاستدركوا عليهم :

ان هذا الاطلاق وارد على مقتضى الحقيقة اللغوية فيكون حقيقة لغوية(٧٠) .

٣ ـ كما ان ابن الابن يقوم مقام الابن (اي مقام ابيه) في حجب الاخـوة عن الميراث فكذلك يقوم الجد مقام الاب في حجبهم ..

---

(٦٨) ابن قدامة : المغني جـ ٧ ص ٦٦ .
وابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير جـ ٧ ص ١٠ .

(٦٩) الصنعاني : تتمة الروض النضير جـ ٤ ص ٥٥ .

(٧٠) نفس المصدر .

يؤيد ذلك ما نقل عن ابن عباس انه كان يقول :

« الا يتّقي الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل اب الاب ابا »(٧١) ومعنى ذلك ان الاتصال بالقرب من الجانبين يكون بصفة واحدة وبمنزلة واحدة فيأخذ الجد حكم ابن الابن في قيامه مقام الابن قياسا فيقوم مقام ابنه ...

اجابوا عليهم :

بانه لا يلزم من كون الشيء كالشيء ان يساويه في جميع الاحكام(٧٢) .

٣ ـ قال صلى الله عليه وسلم :

« الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر » متفق عليه ...

« والجد اولى من الاخ بدليل المعنى والحكم :

اما المعنى فان له قرابة ايلاد وبعضية كالأب ...

واما الحكم فان الفروض اذا ازدحمت سقط الاخ دونه ولا يسقطه احد الا الاب ، والاخ والاخوات يسقطون بثلاثة ، ويجمع له بين الفرض والتعصيب كالأب ، وهم ينفردون بواحد منهما ، ويسقط ولد الام وولد الاب يسقطون بهم بالاجماع اذا استغرقت الفروض المال وكانوا عصبة ، وكذلك ولد الابوين في المشركة عند الاكثرين ولانه لا يقتل بقتل ابن ابنه ولا يحد بقذفه ، ولا يقطع بسرقة ماله ، وتجب عليه نفقته ويمنع من دفع زكاته اليه كالاب سواء فدل ذلك على قربه »(٧٣) .

---

(٧١) شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٤٩ . والمبسوط ج ٢٩ ص ١٨٢ . ابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٠ .

(٧٢) حاشية الخضري على شرح الشنشوري لمتن الرحبية (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ ص ١٠٢) .

(٧٣) ابن قدامة : المغني : ج ٧ ص ٦٧ . وابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ٩ ـ ١٠ . والسرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٢ .

اجابوا عليهم :

ان الحديث الذي تمسكتم به هو حجة في تقديم الاخوات لانهن من اصحاب فروض فيجب ان يأخذن فروضهن وما بقي يكون للجد ...[74] .

فأستدركوا قائلين :

« ان هذا الخبر حجة في المذكورين المنفردين وفي الذكور مع الاناث ، أو نقول هو حجة في الجميع ولا فرض لولد الاب مع الجد ، لانهم كلالة والكلالة اسم للوارث مع عدم الولد والوالد ، فلا يكون لهم معه فرض »[75] .

٤ ـ ان الجد يساوي الاب لما بينهما من الايلاد والبعضية والجزئية وهو يساوي الأب كما قلنا في كثير من الاحكام فيساويه في حجب الاخوة .. يؤيد ذلك ويحققه : أن أبا الاب ، وان علا ، يسقط بنى الاخوة وان نزلوا ، ولو كانت قرابة الاخ والجد واحدة لوجب ان يكون ابو الجد مساويا لبني الاخ لتساوى درجة من ادليا به[76] وهو واضح .

اجابوا عليهم :

ان الجد وان شابه الاب في بعض الاحكام فانه لم يأخذ كل احكام الأب كما مر[77] الا ترى ذلك دليلا على انه ليس كالاب فلا يحجبهم للادلة التي ستأتي ...

---

(٧٤) ابن قدامة : المغني جـ ٧ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٧٥) ابن قدامة : المغني جـ ٧ ص ٦٦ .

(٧٦) ابن قدامة : المغني جـ ٧ ص ٦٦ . وابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير جـ ٧ ص ١١ .

(٧٧) ذكرنا ذلك في موضوع (ويختلف الجد عن الاب) من بحثنا هذا .

٥ ــ ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر في القرآن ميراث الاخوة البتــة ، ولا ميراث الاخوات الا في آيتي الكلالة فوجب ضرورة بنص القرآن ان لا يرث أخ ولا أخت الا في ميراث الكلالة ، ووجب ان لا يؤخذ ميراث الكلالة الا من نص أو اجماع راجع الى النص ، فوجدنا من ورثــه اخوة ذكورا أو اناثا أو كليهما اشقاء أو لأب ، ولم يكن للميت ولــد ذكر ولا ولد ولد ذكر ، ولا ابنة ، ولا اب ، ولا جد لأب ، فانــــه اجماع مقطوع عليه من جميع الامة على انه ميراث كلالة ...

ووجد السلف مختلفين اذا كان للميت احد ممن ذكرنا :

فبعضهم يقول : هو ميراث كلالة وبعضهم يقول : ليس ميراث كلالة ، فوجب الانقياد للاجماع المتيقن ، وترك ما اختلف فيه ، اذ لا نص عند المختلفين في ذلك فوجب أن لا ميراث البتة لاخ ولا لاخت ما دام للميت احد ممن ذكرنا »(٧٨) .

ادلة اصحاب الراى الثاني :

(اي القائلين بتوريث الاخوة مع الجد) .

استدل هذا الفريق ايضا بأدلة كثيرة منها :

الدليل الاول :

لان ميراثهم ثبت بالكتاب فلا يحجبون الا بنص أو اجماع أو قياس وما وجد شيء من ذلك فلا يحجبون ...(٧٩) .

اجابوا عليهم :

بقولهم : « اما قول من قال ميراث الاخوة منصوص في القرآن وليس ميراث الجد منصوصا في القرآن فباطل ، بل ميراث الجد منصوص في القرآن بقوله تعالى :

---

(٧٨) ابن حزم : المحلى جـ ٩ ص ٢٩٩ .

(٧٩) ابن قدامة : المغنى جـ ٧ ص ٦٥ والشرح الكبير جـ ٧ ص ٩ .

« يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة » (الاعراف : ٢٦) فجعلنا بنين لآدم عليه السلام ، وجعله ابا لنا وهو ابعد جد لنا فالجد أب .

وقال تعالى :

« ولابويه لكل واحد منهما السدس » .

« وورثه ابواه فلامه الثلث »[٨٠] (النساء : ١٠) .

الدليل الثاني :

لانهم تساووا في سبب الاستحقاق فيتساوون في الارث ، فان الجد والاخ يدليان الى الميت بالاب والجد اصل والاخ فرع والفرع اقوى .

اجابوا عليه :

بان ذلك خاص بالاب وليس خاصا بالميت .

« اذ الاخ ليس باصل الميت ولا فرعه ، وانما هو مشارك له في الاصل ، والجد ليس هو اصلا للميت من قبل الاب ، بل هو اصل اصله ، والاخ يرث من قبل انه فرع لاصل الميت . فالذي هو اصل لاصله اولى من الذي هو فرع لاصله ، ولذلك لا معنى لقول من قال :

ان الاخ يدلي بالبنوة والجد يدلي بالابوة ، فان الاخ ليس ابنا للميت وانما هو ابن ابيه والجد ابو ابي الميت ، والبنوة انما هي اقوى في الميراث من الابوة في الشخص الواحد بعينه »[٨١] .

الدليل الثالث :

ما روى عن علي (رض) انه شبه الجد والاخوين بشجرة انبتت غصنا فانفرق منه غصنان كل واحد منهما الى الاخر اقرب منه الى اصل الشجرة ...

---

(٨٠) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٣ .

(٨١) ابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤١ .

وما روى عن زيد (رض) انه مثله بواد خرج منه نهر فانفرق منه جدولان كل واحد منهما الى الاخر اقرب منه الى الوادي ...

فالعصوبة يجب ان تنبني على القرب الا ان في الجد معنى آخر وهو الولاد ، يتأيد بذلك المعنى اتصاله بالنافلة ، وبالولاد يستحق الفرضية من له اسم الابوة وبهذه الفرضية انما يستحق السدس قال تعالى :

« ولأبويه لكل واحد منهما السدس » (النساء : ١٠) .

فلا ينقص نصيب الجد عن السدس باعتبار الولاد بحال وتأيد بهذا الولاد قرابته من الميت ، فيكون مزاحما للاخوة ، ويقاسمهم اذا كانت المقاسمة خيرا له من السدس[٨٢] .

اجابوا عليهم :

ان العصوبة لا تعتبر فيها القرابة[٨٣] ، ولو اعتبرت فيها القرابة لكان ابن البنت اقرب من ابن العم ، ومن مولى العتاقة ، والعمة اقرب من ابن العم ، ومع ذلك لم يجعل كذلك ، فكيف والجد اقرب لان ولادته لابي الميت قبل ولادة ابي الميت لاخوة الميت ... ثم ان هذه الاخبار التي استدللتم بها مرسلة وضعيفة في رواياتها[٨٤] .

وقد استدركوا قولهم :

فقالوا : لما كان الجد ذا فرض فيقدم ، فاذا آل الامر الى العصوبة فيعتبر الادلاء ، ولما كان الادلاء متساويا في ذلك ، ولكل واحد منهما ترجيح من وجه فيقع التعارض ، ويكون المال بينهما بالمقاسمة[٨٥] .

---

(٨٢) المغني ج ٧ ص ٦٥ . والشرح الكبير ج ٧ ص ٩ . والمبسوط ج ٢٩ ص ١٨١ ــ ١٨٢ .

(٨٣) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٣ . والمبسوط ج ٢٩ ص ١٨٢ .

(٨٤) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٣ ــ ٢٩٥ .

(٨٥) المبسوط : ج ٢٩ ص ١٨٢ .

الدليل الرابع :

ان توريث الاخوة مع الجد هو مذهب عمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم ولكل واحد منهم مزية :

اما عمر : فحديث « ان الله جعل الحق على قلبه ولسانه » .

واما علي فالاحاديث تشير الى انه لا يزيغ عن الحق ولا يفارقه .

واما ابن مسعود « فحديث : رضيت لامتي ما رضى لها ابن ام عبد » .

واما زيد : فله فضيلة الاخصية بالفرائض لحديث «افرضكم زيد»[٨٦] .

اجابوا عليهم :

بان الرواية عن الاربعة في توريث الجد مضطربة ولقد اثر عن عمر انه كان مضطربا في توريث الاخوة مع الجد[٨٧] .

بل لقد حفظ عبيدة السلماني عنه في ميراث الجد معهم مائة قضية مختلفة[٨٨] مما يدل على انه لم يستقر على رأي ...

بل لقد اثر حجب الجد للاخوة عن كل من عمر وعثمان وعلي وابن مسعود في رواية ثانية[٨٩] .

وغير ذلك من الادلة التي يطول البحث بها لعدم استنادها الى نص قطعي ...

---

(٨٦) انظر بشأن ذلك بالتفصيل في كتاب الصنعاني : تتمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٥ .

(٨٧) الصنعاني : تتمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٦ .

(٨٨) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٩٥ ، ورواه الدارمي (السنن ـ كتاب الفرائض ـ ٢/٢٥٤ رقم ٢٩٠٣ . وانظر شرح السيد الشريف على السراجية ص ٢٥٠ ، ورواه البيهقي (السنن الكبرى : ٦/٢٤٥) ، واخبار القضاة ٢/٤٠٠ . والمبسوط : ١٦/٨٤ . وطبقات ابن سعد ٢/٢/١٠٠ .

(٨٩) الصنعاني : تتمة الروض النضير ج ٤ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

وقد افاض الفقهاء في الكلام حول ذلك وسودوا بطون كتبهم بكثير من الصفحات التي لو لخصناها لضاق بنا المقام فضلا عن استيعابها ونقل نصوصها ...

لذلك آثرنا الاكتفاء بما ذكرناه ...

وفي خضم هذه المعركة :ـ لا نستطيع ان نتخذ موقفا لوجاهة ما تمسك به الفريقان . ولسنا بأفقه من القاضي شريح أو سعيد بن جبير حينما توقفا عن ان يقولا في فريضة فيها جد واخ رغم سؤال شريح مرة بعد مرة[٩٠] .

ولان الاخت صاحبة فرض صريح في القرآن ، ولعدم اتفاق الفقهاء على انه يراث المتوفى مع وجود الجد هو كلالة ...

ولو اتفقوا على ذلك لكان الحل واضحا ... لذلك نستعظم القول في هذه المسألة ونتهيب الخوض في موضوع لا يحمد الولوج فيه ...

تفصيل القول في آراء الفقهاء حول المسالة

الراى الاول :

(القائل باقامة الجد مقام الاب في حجب الاخوة)

لقد جرى اصحاب هذا الرأى على حجب الاخوة دائما بوجود الجد ..

فقد اقام هؤلاء الجد مقام الاب تماما في كل المسائل في علم الميراث ، الا ان ابا حنيفة رحمه الله قد استثنى من ذلك فصلين فلم يعطه نفس ما اعطى للاب بل استثنى ذلك من بين جميع المسائل ...

هذان الفصلان هما :

اذا توفيت عن : زوج وام وجد

او توفى عن : زوجة وام وجد

---

(٩٠) ابن حزم : المحلى ج ٩ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

إذ اعطى الام فيها ثلث جميع المال ، ولو كان مكان الجد اب لكان لها ثلث الباقي بعد اخذ صاحب الفرض فرضه[91] وهاتان المسألتان تعرفان بالمسألتين الغراويتين ، ولها كلام في كتب الفقه ليس هذا محله لان البحث لا يتسع له .

وعلى كل حال فان هذا المذهب بسيط وسهل لا يثير مشاكل ولا استثناءات ولا تكديرا للمسائل والاصول الفرائضية التي يسير عليها كل فقيه من الفقهاء ، كما يحدث في الرأى الثاني ...

اذ يكفي ان نحجب الاخوة والاخوات ــ سواء كانوا اشقاء أو لأب أو لام ــ حجب حرمان لانهم كلالة ... ولا ميراث للكلالة مع وجود الجد ، لانه عصبة ... ولان ميراث المتوفى بوجود الجد ليس كلالة ...

امثلة على هذا الرأي :

١ ــ مات عن : اخ أو اخت أو كليهما أو اكثر	جد
لا شيء	كل التركة
له أو لها أو لهما أو لهم	تعصيبا

٢ ــ مات عن : زوجة	اخ أو اخت أو كليهما	جد
$\frac{1}{4}$ فرضا	أو اكثر	$\frac{3}{4}$ تعصيبا
	لا شيء	

٣ ــ ماتت عن : زوج	اخ أو اخت أو كليهما	جد
$\frac{1}{2}$ فرضا	أو اكثر	$\frac{1}{2}$ تعصيبا
	لا شيء (محجوبون)	

٤ ــ مات عن : ام	اخ أو اخت	جد
$\frac{1}{3}$ فرضا	لا شيء	$\frac{2}{3}$ تعصيبا

---

(٩١) السرخسي : المبسوط ج٢٩ ص ١٨٠ .

٥ ــ مات عن : ام	اخوين أو اختين أو اخ واخت فاكثر	جـد
$\frac{1}{6}$	لا شيء لهما او لهم	$\frac{٥}{٦}$ تعصيبا

٦ ــ مات عن : ابن	اخ أو اخت أو اكثر	جـد
$\frac{٥}{٦}$ تعصيبا	لا شيء (محجوب)	$\frac{1}{6}$ فرضا

٧ ــ مات عن : اب	اخ أو اخت أو اكثر	جـد
كل التركة (تعصيبا)	لا شيء (محجوب)	لا شيء محجوب

٨ ــ مات عن : بنت	اخ أو اخت أو اكثر	جـد
$\frac{1}{2}$ فرضا	لا شيء (محجوب)	$\frac{1}{6}$ فرضا+الباقي تعصيبا

٩ ــ ماتت عن : زوج	أم	اخ أو اخت	جـد
$\frac{1}{2}$ فرضا	$\frac{1}{3}$ الباقي	لا شيء	الباقي تعصيبا

١٠ ماتت عن : زوج	ام	ابن	اخ أو اخوة	جـد
$\frac{1}{4}$ فرضا	$\frac{1}{6}$ فرضا	الباقي	لا شيء	$\frac{1}{6}$ فرضا

تفصيل الراى الثاني :

(القائم على توريث الاخوة مع الجد)

يقوم هذا المبدأ على توريث الاخوة مع الجد مبدئيا ولكن اصحاب هذا الرأى قد انقسموا في كيفية توريثهم معه الى اربعة مذاهب سنذكرها فيما يلي :

١ ــ مذهب الامام زيد بن ثابت (رض)

يتلخص هذا المذهب بما يأتي :

لا يخلو ميراث الجد مع الاخوة : اما ان يكون معهم وارث آخر ذو فرض ، اولا يكون معهم احد من اصحاب الفروض ...

أ ـ فاذا انحصرت التركة في جد واخوة :

كان للجد أوفر النصيبين :

اما ان يقاسمهم كأخ منهم أويأخذ ثلث جميع التركة ودليله :

من وجهين :

الوجه الاول :

ان الام والجد اذا اجتمعا وليس معهما غيرهما يكون له ضعف مالها والاخوة يحجبون كلا منهما نقصانا لكنهم لا ينقصون الام عن السدس فلا ينقصونه عن ضعفه وهو الثلث ...

الوجه الثاني :

ان الجد يحجب الاخوة لام باجماع اهل السنة مهما بلغ عددهم ، واعلى فرض لهم هو الثلث فحصة الجد اذا لم تكن اكثر من الثلث فلا تنقص عنه في حين ان الاخوة الاخرين لا يحجبون الاخوة لام مطلقا(٩٢) .

وعلى هذا فان كان مع الجد اخ واحد ، أو كان معه اخ واخت أو كان معه اختان أو ثلاث اخوات ، فالمقاسمة خير له من الثلث ...

وان كان معه اثنان من الاخوة أو اربع اخوات ، أو اخ واختان ، فالثلث والمقاسمة سواء فاعطه ما شئت منهما ...

فان زادوا على ذلك ، فالثلث خير له ، فيعطى له .

هذه هي احكامه مع الاخوة سواء اكانوا اشقاء ام لأب ...

ولكن اذا اجتمع معه الاشقاء ، مع الاخوة لاب : فان الاخوة الاشقاء يعادون الجد بالاخوة لاب ويحتسبون معهم كالاخوة الاشقاء .. فاذا اخذ الجد حصته رجع الاشقاء على الاخوة لاب فاخذوا منهم حصتهم لانهم يحجبونهم حجب حرمان ...

---

(٩٢) الخضري : حاشية الخضري على شرح الشنشوري لمتن الرحبية ص ١٠٤ .

الا ان يكون الاشقاء اختا واحدة أو اختين فتأخذ (ان كانت واحدة) منهم تمام نصف المال اكمالا لفرضها ثم ما فضل فهو لهم ٠

ولا يمكن ان يفضل عنهم اكثر من السدس لان ادنى ما للجد هو الثلث ، وللاخت النصف والباقي هو السدس ٠

وتأخذان ــ ان كانتا اثنتين ــ تمام الثلثين ، اكمالا لفرضهما ، وهو الثلثان وما فضل فهو لهم ٠

ولا يمكن ان يفضل شيء في هذه الحالة للاخوة للاب لان ادنى ما للجد هو الثلث وللاختين الثلثان ، فلا يمكن ان يبقى شيء ٠٠٠

امثلة تطبيقية

اذا كان الاخوة من جنس واحد

١ ــ مات عن : اخ — جد

$\frac{1}{2}$ — $\frac{1}{2}$ المقاسمة اوفر له

٢ ــ مات عن : اخت — جد

$\frac{1}{3}$ — $\frac{2}{3}$ المقاسمة اوفر له للذكر ضعف الانثى

٣ ــ مات عن : اخ — اخت — جد

$\frac{2}{5}$ — $\frac{1}{5}$ — $\frac{2}{5}$ المقاسمة اوفر له

٤ ــ مات عن : اختين — جد

$\frac{1}{2}$ — $\frac{1}{2}$ المقاسمة اوفر له

٥ ــ مات عن : اخوين — جد

$\frac{2}{3}$ — $\frac{1}{3}$ تتساوى القسمة مع الثلث

٦ ــ مات عن : اخوين — اخت — جد

الباقي للذكر ضعف الانثى — $\frac{1}{3}$ الثلث أوفر له

٧ ــ مات عن : اخ	اختين	جــد
١/٣	١/٣	١/٣ الثلث او المقاسمة لانهما سيان

٨ ــ مات عن : اخوين	اختين	جــد
الباقي للذكر ضعف الانثى		١/٣ الثلث اوفر له

اما اذا كان الاخوة مختلفين (اي ليسوا من جنس واحد كان يكون بعضهم اشقاء والاخرون لاب فاليك الامثلة :

١ ــ مات عن اخ شقيق	اخ لاب	جــد
١/٣	١/٣	١/٣ المقاسمة كالثلث

ثم يرجع الاخ الشقيق على الاخ لاب فيأخذ حصته لانه يحجبه حجب حرمان فتكون كالآتي :

اخ شقيق	اخ لاب	جــد
٢/٣	محجوب لا شيء	١/٣

٢ ــ مات عن اخت شقيقة	اخ لاب	جــد
١/٥	٢/٥	٢/٥ المقاسمة اوفر له

ثم ترجع الاخت الشقيقة على الاخ لاب فتكمل فرضها وهو النصف من حصته فتكون المسألة من (١٠) اسهم كالآتي : ــــ

اخت شقيقة	اخ لاب	جــد
٥/١٠	١/١٠	٤/١٠

٣ ـ مات عن : اختين شقيقتين اخ لاب جـد

اختين شقيقتين	اخ لاب	جـد
$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{3}$ المقاسمة كالثلث

ثم ترجع الاختان على اخيهما فتكملان فرضهما ، وهو الثلثان من حصته ، وحينذاك لا يكون له شيء كالآتي :

اختان شقيقتان	اخ لاب	جـد
$\frac{2}{3}$	لا شيء	$\frac{1}{3}$

ب ـ اذا كان مع الجد والاخوة وارث آخر من ذوي الفروض :

وفي هذه الحالة يعطى اصحاب الفروض فروضهم ثم ينظر فيما بقى فيعطى للجد الشيء الاوفر من بين ثلاثة اشياء :

المقاسمة ...

أو ثلث الباقي ...

أو سدس جميع التركة ...

وقالوا في تعليل ذلك :

« لان المقاسمة هي الاصل لكونه في درجتهم ، فقدمت عند كونها احظ من السدس وثلث الباقي ، ويقدم السدس عليهما عند كونه احظ لان الاولاد لا ينقصونه عنه فبالاولى الاخوة . ويقدم ثلث الباقي حيث كان احظ منهما قياسا على الام في الغراوين لان لكل ولادة وهي لا تنقص عنه مع الاب فكذا لا ينقص عنه الجد مع الاخوة »(٩٣) .

« واما اعطاؤه ثلث الباقي اذا كان احظ فلأن له الثلث مع عدم الفروض فما اخذ بالفروض كأنه معدوم قد ذهب من المال فصار ثلث الباقي بمنزلة ثلث جميع المال »(٩٤) .

---

(٩٣) الخضري : حاشية على شرح الشنشوري لمتن الرحبية ص ١٠٦ .

(٩٤) ابن قدامة : الشرح الكبير ج ٧ ص ١٢ . وانظر الرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ . وانظر ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٩ .

امثلة تطبيقية :

وامثلته كثيرة ... ولكننا نستطيع ان نبوب هذه الامثلة الى اربعة احتمالات :ـ

الاحتمال الاول :

ان لا يبقى من التركة شيء بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم : مثال توفيت عن :

زوج	بنتين	ام	جد	اخ أو اكثر
١/٤	٢/٣	١/٦	١/٦	لا شيء لانه عصبة

فتعول المسألة الى ١٥ بدلا من ١٢

الاحتمال الثاني :

ان يبقى منها بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم اقل من السدس مثال : توفيت عن :

زوج	بنتين	جد	اخ أو اكثر
١/٤	٢/٣	١/٦ فرضا	لا شيء لانهم عصبة

فتعول الى (١٣) بدلا من (١٢)

الاحتمال الثالث :

ان يبقى بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم سدس التركة ، مثل توفيت عن :

زوج	ام	جد	اخ
١/٢	١/٣	١/٦	عصبة يأخذ ما يبقى ولا يبقى شيء

فيأخذ الجد ذلك السدس المتبقى ولا شيء للاخ .

الاحتمال الرابع :

ان يبقى اكثر من السدس بعد اخذ اصحاب الفروض فروضهم فيأخذ الاوفر له من ثلاثة اشياء : المقاسمة : أو ثلث الباقي : أو السدس من جميع التركة مثل توفي : عن :

زوجة	بنتين	جد	اخ أو اكثر
١/٨	٢/٣	١/٦	الباقي

فيأخذ السدس هنا لانه هو الاوفر ٠٠٠

وقد يأخذ المقاسمة التي هي اوفر له كما في المثال التالي :

ام	اختين	الجد
١/٦	الباقي للذكر مثل حظ الانثيين	

فتصح من ١٢ للام ٢ وللاختين ٥ وللجد ٥ لانه المقاسمة اوفر له

وقد يأخذ ثلث الباقي وهو خير له كما في المثال التالي : توفي عن :

ام	اربعة اخوة	جد
١/٦	الباقي	١/٣ الباقي لانه اوفر له

فتصح من (٣٦) للام (٦) وللجد (١٠) ولكل اخ (٥) اذ ان ثلث الباقي اوفر له ٠

استثناءات هذا المذهب

وقد سار الامام زيد بن ثابت رضي الله عنه في هذا على ان الاخوات لسن صاحبات فرض بل هن عصبة مع الجد ٠

وسار على هذا المذهب في كل المسائل ولم يخرج عليه الا في المسألة الاكدرية خاصة فانه جعل الاخت صاحبة فرض لاجل الضرورة تصحيحا للمسألة ٠

وصورتها : امرأة ماتت عن :

زوج	أم	اخت شقيقة	جد
$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{6}$

فتعول المسألة الى (٩) بدلا من (٦)

وانما جعل الاخت هنا صاحبة فرض لاجل الضرورة ، فانه لم يبق بعد نصيب اصحاب الفرائض الا السدس فان جعل ذلك للجـد صارت الاخت محجوبة بالجد وهذا خلاف اصله ...

وانه جعل ذلك بينهما بالمقاسمة انتقص نصيب الجد عن السدس ومن مذهبه انه لا ينقص نصيبه عن السدس باعتبار الولاد بحال ...

واسقاط الاخت بالجد متعذر ايضا لانها صاحبة فرض عند عدم الولد بالنص وفريضتها النصف فلهذه الضرورة جعلها صاحبة فرض هنا ...

وبعد ان يأخذ اصحاب الفروض فروضهم ينضم نصيب الاخت الى نصيب الجد فيقسم بينهما للذكر مثل حظ الانثيين فتصح كالآتي :

زوج	ام	اخت شقيقة	جد
$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{6}$
٣	٢	٣	١

فتعول الى ٩ فتكون كالآتي :

زوج	أم	اخت ش	جد
$\frac{٣}{٩}$	$\frac{٢}{٩}$	$\frac{٣}{٩}$	$\frac{١}{٩}$

ولاجل القسمة نصححها من (٢٧) ويكون ذلك بضرب البسط والمقام في $\frac{٣}{٣}$. وبعد ضرب البسط والمقام في $\frac{٣}{٣}$ ينتج كالآتي :

زوج	ام	اخت ش	جد
$\frac{٩}{٢٧}$	$\frac{٦}{٢٧}$	$\frac{٩}{٢٧}$	$\frac{٣}{٢٧}$

وبعد جمع حصة الاخت مع حصة الجد ينتج كالآتي :

الزوج	الام	الاخت مع الجد
$\frac{٩}{٢٧}$	$\frac{٦}{٢٧}$	$\frac{١٢}{٢٧}$

وتقسم بينهما هذه الـ (١٢) سهما للذكر مثل حظ الانثيين فتكون :

الزوج	الام	الاخت	الجد
$\frac{٩}{٢٧}$	$\frac{٦}{٢٧}$	$\frac{٤}{٢٧}$	$\frac{٨}{٢٧}$

ولو كان بدل الاخت اخ لما كانت اكدرية عنده بل السدس الباقي يكون للجد ولا شيء للاخ وهو عاصب (٩٥) كالآتي :

الزوج	الام	الاخ	الجد
$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{3}$	لا شيء	$\frac{1}{6}$
٣	٢	(لانه عصبة)	١

وسنبين الاراء المختلفة في هذه المسألة بعد عرض المذاهب .

---

(٩٥) السرخسي : المبسوط جـ ٢٩ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

من اتباع هذا المذهب

وقد قال بهذا المذهب :

١ ــ الحنابلة(٩٦) .

٢ ــ الشافعية(٩٧) .

٣ ــ المالكية(٩٨) .

٤ ــ وابو يوسف ومحمد من الحنفية(٩٩) .

٢ ــ مذهب الامام علي بن ابي طالب (رض الله عنه)

يتلخص هذا المذهب بما يأتي :

١ ــ ان الجد يأخذ الاوفر من شيئين :

المقاسمة

أو سدس التركة

سواء كان مع الجد والاخوة غيرهم من ذوي الفروض أو لم يكن ... « وانما لم ينقصه عن السدس لجميع التركة لانهم لما اجمعوا على ان الابناء لا ينقصون منه شيئا كان احرى ان لا ينقصه الاخوة »(١٠٠) .

---

(٩٦) ابن قدامة : المغني ج ٧ ص ٦٦ . وابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ١٢ . والحجاوي المقدسي : الاقناع ج ٣ ص ٨٣ . والخرقي : مختصر الخرقي ص ١٢١ . والشنشوري : الدرة المضية ص ٣٢ .

(٩٧) الشافعي : الام ج ٤ ص ٨١ . والخضري : حاشية على الشنشوري ص ١٠٣ . والرملي : نهاية المحتاج ج ٦ ص ٢٤ . والفيروز آبادى المهذب ج ٢ ص ٣٣ .

(٩٨) الدسوقي : حاشية على الشرح الكبير ج ٤ ص ٤٦٣ وابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٩٩) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٨٤ .

(١٠٠) ابن رشد : بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٢ .

٢ ـ انه لا يعتد بالاخوة والاخوات لاب مع وجود الاخوة والاخوات الاشقاء في مقاسمته بل هم محجوبون ...

ولكن يعتد بهم اذا انفردوا عن الاخوة والاخوات الاشقاء ويجعل الجد كأحد الذكور منهم .

٣ ـ انه اذا اجتمع مع الجد والاخوة اصحاب الفروض غير البنات فانه يعطيهم فروضهم ثم ينظر الى ما بقي . فان كان السدس اعطى له ، وان كان اقل اكمل الى السدس وان كان اكثر يعطى احظ النصيبين المقاسمة أو السدس والباقي للاخوة .

٤ ـ ان الاخوات المفردات هن صاحبات فرض مع الجد للواحدة النصف وللاثنتين فاكثر الثلثان .

٥ ـ وان الجد مع الابنة صاحب فرض له السدس ولا يكون عصبة بحال ...

٦ ـ يجوز ان تفضل الام على الجد .

امثلة تطبيقية على مذهب الامام علي (رض)

الامثلة كثيرة لا تحصى ولكننا نستطيع ان نمثل لاربع حالات :

الحالة الاولى :

الجد مع الاخوات بلا اخ ولا وارث آخر ، مثل : توفي عن

اخت	جد
$\frac{1}{2}$ فرضا	$\frac{1}{2}$ تعصيبا

وتوفي عن :

اختين فاكثر	جد
$\frac{2}{3}$ فرضا	$\frac{1}{3}$ تعصيبا

الحالة الثانية :

الجد والاخت مع البنات ، مثل توفى عن :

بنت	اخت فاكثر	جد
$\frac{1}{2}$ فرضا	الباقي (عاصبة)	$\frac{1}{6}$ فرضا فقط
بنتين	اخت فاكثر	جد
$\frac{2}{3}$ فرضا	الباقي (عاصبة)	$\frac{1}{6}$ فرضا فقط

الحالة الثالثة :

الجد والاخت مع صاحب فرض اخر مثل توفى عن :

ام	جد	اخت
$\frac{1}{3}$	الباقي مقاسمة بينهما للذكر ضعف الانثى	

زوج	ام	ثلاث اخوات	جد
$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{6}$	$\frac{2}{3}$	$\frac{1}{6}$ لانهأوفر

فتصح من ١٨ لصحة القسمة

٩	٣	١٢	٣

وتعول الى ٢٧

الحالة الرابعة :

الجد والاخوة وفيهم ذكور ، سواء اكان معهم صاحب فرض ام لا ...

مثل توفى عن :

ام	جد	اخ	اخت
$\frac{1}{6}$	اوفر النصيبين	البـاقي بينهما للذكر	
	وهو المقاسمة	مثل حظ الانثيين	فتصح من ٦
١	٢	٢	١

زوج	ام	جد	اخ	اخت
$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{6}$	له الاوفر	الباقي بينهما للذكر	
		وهو السدس	ضعف الانثى	فتصح من ١٨
٩	٣	٣	٢	١

جد	اخ	اخت

اوفر النصيبين

وهو المقاسمة

للذكر ضعف الانثى

٢/٥	٢/٥	١/٥

جد	اخوين	اختين

المقاسمة لانها اوفر

٢/٨	٤/٨	٢/٨

جد	اخ شقيق	اخ لاب
١/٢	١/٢	محجوب

انصار هذا المذهب :

وقد قال بهذا المذهب :

الشعبي

والنخعي

والمغيرة بن المقسم

وابن ابي ليلى

والحسن بن صالح(١٠١)

والزيدية(١٠٢)

(١٠١) المغني جـ ٧ ص ٦٧ . والشرح الكبير جـ ٧ ص ١١ .

(١٠٢) المرتضى : البحر الزخار جـ ٥ ص ٣٤٧ – ٣٤٨ . والصنعاني : الروض النضير جـ ٤ ص ٥٤ .

٣ ـ مذهب عبدالله بن مسعود (رض)

وهو مذهب يجمع بين المذهبين السابقين ويتلخص في :

١ ـ ان الجد يقاسم الاخوة ، فيأخذ الاوفر حظا من القسمة ، أو ثلث الباقي ، أو سدس التركة (كما هو الشأن في مذهب زيد) .

٢ ـ لا يعتد بالاخوة لاب مع الاخوة الاشقاء في مقاسمة الجد ، بل هم محجوبون بهم ، ولكن يعتد بهم اذا انفردوا عن الاخوة الاشقاء (كما هو الشأن في مذهب علي ـ رض ـ) . فاذا اجتمع مع الجد والاخوة اصحاب الفرائض فاهل الحجاز يروون عن عبدالله بن مسعود انه يعطي اصحاب الفرائض فرائضهم ، ثم ينظر للجد الى ثلاثة اشياء ـ كما هو مذهب زيد (رض) واهل العراق يروون عنه انه ينظر للجد الى المقاسمة والى السدس كما هو مذهب علي(رض)[١٠٣] .

٣ ـ ومن مذهبه ان الاخوات المنفردات اصحاب فروض مع الجد (كما هو الشأن في مذهب علي) .

ومما تفرد به عبدالله بن مسعود (رض) :

ما يلي :

المسالة الاولى :

ابنة	جد	اخت
½	الباقي للذكر مثل حظ الانثيين	
٣	٢	١

المسالة الثانية :

زوج	ام	جد
½	الباقي مناصفة بينهما لانه لم يفضل الام على الجد	
٢	١	١

(١٠٣) السرخسي : المبسوط جـ ٢٩ ص ١٨٥ .

المسألة الثالثة :

جد	اخت شقيقة	اخت لاب او اخ لاب
½	½ فرضا	لا شيء

انصار هذا المذهب :

وقد اخذ بهذا المذهب :

علقمة

والاسود

وابراهيم النخعي[١٠٤]

٤ ــ مذهب الامامية :

ذهب الامامية الى التقسيم كمبدأ عام ، اي ان الاخوة يقاسمون الجد ٠٠ ودليلهم على ذلك :

قول الصادق : « ان الجد شريك الاخوة وحظه مثل حظ احدهم ما بلغوا اكثروا أو قلوا »[١٠٥] ٠

وما روى عن ابي جعفر الباقر حين سئل عن الجد : فقال « يقاسم الاخوة ما بلغوا وان كانوا مائة الف »[١٠٦] ٠

اسس التقسيم عندهم :

ولكن اسس التقسيم عندهم لا تتفق مع اي مذهب من المذاهب السابقة ونستطيع ان نلخص الامور المهمة في ميراث الجد مع الاخوة عند الجعفرية بما يلي :

---

(١٠٤) ابن قدامة : المغني جـ ٧ ص ٦٧ ٠ ابن قدامة المقدسي : الشرح الكبير جـ ٧ ص ١٦ ٠ السرخسي : المبسوط جـ ٢٩ ص ١٨٥ ٠

(١٠٥) الحر العاملي : الفصول الهمة في اصول الائمة (الطبعة الثانية بالمطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٧٨) ص ٣٨٠ ــ ٣٨١ ٠

(١٠٦) نفس المصدر : ٣٨١ ٠

١ ــ ان الجد عندهم يختلف عن الجد عند اهل السنة والجماعة : فهو يشمل أب الاب وان علا وأب الام وان علا وأب امهاتهم وان علون .

اي سواء ادلى الى الميت بذكر أو بانثى ... صحيحا كان أو فاسدا .

٢ ــ ان الجد والاخوة من المرتبة الثانية لديهم في الميراث فلا ترث هذه المرتبة مع وجود احد من المرتبة الاولى التي هي الابوان والاولاد وان نزلوا سواء كان الاولاد ذكورا أو اناثا .. وسواء كان الاولاد صلبيين أو اولاد البنات ...

فلا يرث الجد والاخوة مع وجود الولد وان نزل ولا احد الابوين المتصلين(١٠٧) .

٣ ــ اذا اجتمع الاجداد عند الجعفرية كان لمن يتقرب بالام الثلث واحدا كان أو اكثر ولمن يتقرب بالاب الثلثان ولو كان واحدا(١٠٨) .

ولو كان معهم زوج أو زوجة اخذ أو اخذت النصيب الاعلى ، ولمن يتقرب بالام ثلث الاصل والباقي لمن يتقرب بالاب(١٠٩) .

وبناء على ذلك يأخذ الجد الفاسد الثلث والجد الصحيح السدس ...

---

(١٠٧) الحكيم : السيد محسن الطبطبائي : منهاج الصالحين جـ ٢ ص ٢٢٩ .

(١٠٨) الحلي : المحقق المختصر النافع ص ٢٦٩ . الحكيم : منهاج الصالحين جـ ٢ ص ٢٣١ . الحلي : المحقق : شرائع الاسلام جـ ٢ ص ١٨٨ . العاملي : محمد الجواد بن محمد بن محمد الحسيني : كتاب الفرائض والمواريث من كتاب مفتاح الكرامة شرح قواعد العلامة مطبعة الشورى بمصر ١٣٢٦ هـ المجلد الثامن والعشرون ص ١٤٩ ــ ١٥٠ .

(١٠٩) الحلي : المختصر النافع ص ٢٦٩ . الحكيم : منهاج الصالحين جـ ٢ ص ٢٣١ . الحلي : الشرائع جـ ٢ ص ١٨٨ . العاملي : مفتاح الكرامة جـ ٢٨ ص ١٥٠ .

(١١٠) الحلي : المختصر النافع ص ٢٧٠ . الحكيم : منهاج الصالحين جـ ٢ ص ٢٣٣ . الشهيد الثاني : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية جـ ٢ ص ٣١٧ . العاملي : مفتاح الكرامة جـ ٢٨ ص ١٥٢ .

٤ ـ انهم يجعلون الجد يقاسم ابناء الاخوة[١١٠] •

ودليلهم على ذلك

قول الصادق : « ان ابن الاخ يقاسم الجد »[١١١] •

مع انهم محجوبون عند أهل السنة •

٥ ـ لا يرث الجد ولا الجدة مع احد الابوين شيئا ولكن يستحب ان يطعما سدس الاصل عندهم[١١٢] •

٦ ـ لا يورثون الاخوة لاب مع الاشقاء حتى ولو كانت الشقيقة اختا واحدة اذ تأخذ فرضها ثم يردون عليها الباقي ولا شيء لاخوة الاب[١١٣] •

٧ ـ « اذا اجتمع مع الاخوة للام جد وجدة أو احدهما (اي من قبل الام) كان الجد كالاخ والجدة كالاخت وكان الثلث بينهم بالسوية •

وكذا اذا اجتمع مع الاخت أو مع الاختين فصاعدا (للاب والام) أو (للاب) ـ جد وجدة أو احدهما كان الجد كالاخ من قبله والجدة كالاخت ، وينقسم الباقي بعد كلالة الام بينهم للذكر مثل حظ الانثيين »[١١٤] •

٨ ـ « لو اجتمع الاخوة والاجداد فلقرابة الام من الاخوة والاجداد الثلث بينهم بالسوية ذكورا كانوا أم اناثا •

---

(١١١) الحر العاملي : الفصول المهمة ص ٣٨٢ •

(١١٢) الحلي : شرائع الاسلام مجلد ٢ ص ١٨٧ ، والعاملي : مفتاح الكرامة جـ ٢٨ ص ١٣١ •

(١١٣) الحلي : شرائع الاسلام مجلد ٢ ص ١٨٨ . والعاملي : مفتاح الكرامة جـ ٢٨ ص ١٤١ •

(١١٤) الحلي : الشرائع جـ ٢ ص ١٨٨ •

ولقرابة الاب من الاخوة والاجداد الثلثان للذكر ضعف الانثى ، فلو كان المجتمعون فيهما جدا وجدة للام واختا واخا لهم وجدا للاب واخا واختا له فلاقرباء الام الثلث ولاقرباء الاب الثلثان »[115] .

٩ ـ لا يمنع بعد الجد الاعلى بالنسبة الجد الاسفل المساوي للاخوة[116] .

١٠ـ قد يجتمع ثمانية اجداد في هذا المذهب[117] في حين ان ذلك لا يكون في مذاهب اهل السنة جميعها فلا يجتمع في مذاهبهم مع الجد جد اخر بالمرة ... لانهم اما ان يكونوا محجوبين حجب حرمان بالجد الاقرب ، أو يكونوا من ذوي الارحام فلا يرث منهم احد مع الجد الصحيح ... وعلى ذلك فلا يرث عند اهل السنة الا جد واحد فقط مهما تعددت الاحوال ... ان لم يكن محجوبا .

امثلة تطبيقية على هذا المذهب

١ ـ اخ شقيق أو اكثر جد لاب أو اكثر

المقاسمة بينهم للذكر مثل حظ الانثيين

٢ ـ اخ لام جد لام

الثلث لهما فرضا + الباقي ردا

ويقتسمون بالسوية

٣ ـ	اخ أو اخت	جد او جدة	ابن
	لا شيء (محجوب)	لا شيء (محجوب)	كل التركة بالقرابة

(١١٥) الشهيد الجبعي العاملي : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية ج ٢ ص ٣١٦ .

(١١٦) المصدر السابق .

(١١٧) المصدر السابق ص ٣١٨ . والعاملي : مفتاح الكرامة ج ٢٨ ص ١٥٥ .

٤ ــ اخوة لام　　اجداد لام　　اخوة لاب　　اجداد لاب

لهم الثلث فرضا يقتسمونه بالسوية　　لهم الثلثان يقتسمونه للذكر مثل حظ الانثتين

٥ ــ اخوة اشقاء　　اجداد لاب

المقاسمة بينهم للذكر مثل حظ الانثتين

٦ــ زوج　　جد لام　　جد لاب

½　　⅓ فرضا　　الباقي وهو السدس

بعض المسائل الخلافية في ميراث الجـد مع الاخوة

١ ــ المسألة الاكدرية :

وقد مرت آنفا وهي : توفيت عن

زوج　　ام　　اخت　　جد

وفي قسمة فرائضها اربعة اقوال :

١ ــ قول زيد : وقد مر ذكره .

٢ ــ قول الصديق : ان للزوج النصف ، وللام الثلث ، على ما رواه محمد بن الحسن والباقي للجد ، ولا شيء للاخت لانها محجوبة بالجد .

٣ ــ قول عبدالله بن مسعود :

ان للزوج النصف ، وللاخت النصف ، وللجد السدس ، وللام السدس، كيلا يؤدى الى تفضيل الام على الجـد فتعول بسهمين والقسمة من ثمانيــة .

٤ ــ قول علي :

للزوج النصف ، وللاخت النصف ، وللام الثلث ، وللجد السدس فتعول بثلاثة فتكون القسمة من تسعة .

وهذا قريب من قول زيد ، الا انه على مذهب زيد يجمع ما يصيب الجد والاخت فيجعله بينهما للذكر مثل حظ الانثيين وعند (علي) لا يجعل كذلك، بل لكل واحد ما أصابه •

وسميت بالاكدرية

« لان اسم الزوج ، أو السائل أو قبيلة الميتة ، أو المسؤول أو قبيلته ــ اكدر •••

أو لكونها كدرت على زيد مذهبه اي لانه لا يفرض للاخوة مع الجد ولا يعيل بل يسقطهم اذا لم يبق شيء •••

وقد فرض للاخت النصف ، واعال المسألة من ستة الى تسعة ، ثم جمع نصف الاخت وسدس الجد ، وقسمهما على جهة التعصيب ، فاعطى للجد ضعف الاخت •••

قال ابن الهائم : « وينبغي حينئذ ان تسمى مكدرة لا اكدرية »[118] •

٢ ــ المسالة الخرقاء :

وهي : (اخت شقيقة) أو لأب وجد وام وفيها ستة أقوال :

١ ــ قول ابي بكر الصديق ، وهو قول ابن عباس : للام الثلث ، والباقي للجد ولا شيء للاخت لانها محجوبة بالجد •

٢ ــ قول علي :

للام الثلث وللاخت النصف فريضة وللجد السدس •

٣ ــ قول زيد :

للام الثلث ، والباقي بين الجد والاخت للذكر مثل حظ الانثيين •

٤ ــ قول عبدالله بن مسعود :

---

(١١٨) البتني : عبدالملك بن عبدالوهاب المكي : شرح خلاصة الفرائض نظم : متن السراجية نشر ضمن كتاب يشمل مجموعة تشتمل على ثلاثة كتب في علم الفرائض (مطبعة مصطفى محمد الطبعة الاولى ١٩٣٥) ص ٣٣ •

للاخت النصف وللام السدس في رواية والباقي للجد .

لانه يجعل نصيب الجد ضعف نصيب الام ، كما هو مذهبه في زوج وام وجـد .

٥ ــ ومن قوله الاخر :

للاخت النصف والباقي بين الجد والام نصفان لانه لا يرى تفضيل الام على الجد ويرى التسوية بينهما .

٦ ــ قول عثمان :

ان المال بين ثلاثتهم اثلاثا ..

قال السرخسي :

« وجواب هذه المسألة بهذه الصفة محفوظ عن عثمان (رض) ووجهه ان الام تستحق الثلث بالنص ولو لم يكن هنـاك ام لكان للاخت النصف بالفريضة ، والنصف الاخر للجد فاذا استحقت الام الثلث عليهما كان ذلك من نصيبها جميعهما[١١٩] ويبقى حقها في الباقي سواء ، فكان المال بين ثلاثتهم اثلاثا[١٢٠] .

وهذه المسألة تسمى الخرقاء[١٢١] .

وتسمى الخرقى لكثرة اختلاف الصحابة فيها ...

وتسمى المسبعة ، والمسدسة ، والمخمسة ، والمربعة والمثلثة والعثمانية والشعبية والحجابية[١٢٢] .

---

(١١٩) كذا وردت ولعلها (من نصيبهما جميعا) .

(١٢٠) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٩١ .

(١٢١) الخرقي : مختصر الخرقي على مذهب الامام المبجل احمد بن حنبل (الطبعة الثانية منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٦٤) ص ١٢٣ .

(١٢٢) الحجاوي المقدسي : الاقناع في فقه الامام احمد بن حنبل تصحيـح وتعليق عبداللطيف السبكي (المطبعة المصرية بالازهر ١٣٥١) ج ٣ ص ٨٣ ــ ٨٤ .

وتلقب ايضا بالخمسية لانها اختلف فيها خمسة من الصحابة[١٢٣] ...

وقالوا في تعليل تسميتها بذلك :ـ

« فتسمى عثمانية لان قديما جوابها محفوظ عن عثمان ، وتسمى مثلثة لجعل عثمان المال بينهم اثلاثا ، وتسمى حجاجية ، وشعبية ، لان الحجاج القاها على الشعبي على ما حكى : ان الحجاج لما قدم العراق اتى بالشعبي موثقا بحديد فنظر اليه بشبه المغضب وقال :

انت ممن خرج علينا يا شعبي ؟!...

فقال : اصلح الله الامير لقد اجدب الجناب ، وضاق المسلك ، واكتحلنا السهر واستحلسنا الحرر ، ووقعنا في فتنة ، لم يكن فيها تروية اتينا ولا فجرية اقويا .

قال : صدق خذوا عنه ما يقول في أم واخت وجد ؟!...

فقال : قد قال فيها خمسة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ومن هم ؟

قال عثمان وعلي وزيد وابن مسعود وابن عباس .

فقال ما قال فيها الحبر ؟ يعني ابن عباس ؟

قال « ...... الخ »[١٢٤] .

ثم بين آراءوهم كما مر ...

---

(١٢٣) الدسوقي : ابن عرفة : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لابي البركات سيدي احمد الدردير ج ٤ ص ٤٦٤ .

(١٢٤) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٩١ . وانظر المقدسي : الشرح الكبير ج ٧ ص ١٧ . وانظر ابن قادمة : المغني ج ٧ ص ٧٨ ــ ٧٩ .

٣ ـ **المسالة الثالثة :**

امرأة　　　اخت　　　ام　　　جد

وفيها اربعة اقوال :

١ ـ قول الصديق (في رأيه الاول) :

للمرأة الربع وللام ثلث ما بقى والباقي للجد ، ولا شيء للاخت لانها محجوبة بالجد .

٢ ـ قول الصديق ايضا (في رأيه الثاني) :

للمرأة الربع ، وللام ثلث جميع المال والباقي للجد ، ولا شيء للاخت لانها محجوبة .

٣ ـ قول علي وزيد :

للمرأة الربع ، وللام الثلث ، والباقي بين الجد والاخت بالمقاسمة .

٤ ـ قول ابن مسعود :

للمرأة الربع وللاخت النصف والباقي بين الجد والام نصفان[١٢٥] .

٤ ـ **المسالة الرابعة :**

زوج　　　ام　　　جد　　　اخ شقيق أو لأب

وفيها ثلاثة اقوال :

١ ـ قول للصديق (في رأيه الاول) :

للزوج النصف وللام ثلث جميع المال ، والباقي للجد ، ولا شيء للاخ لانه محجوب بالجد ...

٢ ـ قول للصويق (في رأيه الآخر) :

للزوج النصف ، وللام ثلث الباقي وللجد الباقي ولا شيء للاخ ايضا .

---

(١٢٥) السرخسي : المبسوط ج ٢٩ ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

٣ ــ قول على وعبدالله بن مسعود وزيد :

للزوج النصف ، وللام ثلث جميع المال ، والباقي للجد ولا شيء للاخ فيكون موافقا لاحد قولي ابي بكر الصديق .

والقول الاخر لعبدالله بن مسعود : للزوج النصف والباقي بين الام والجد نصفان ولا شيء للاخ[١٢٦] .

٥ ــ المسالة الخامسة :

زوجة وام وجد واخ شقيق أو لأب وفيها خمسة اقوال :

١ و ٢ ــ قولان للصديق كما قلنا في المسألة السابقة الا ان الزوجة تأخـذ الربع هنا بينما في المسألة السابقة يأخذ الزوج النصف ...

٣ ــ قول علي وزيد : للمرأة الربع ، وللام ثلث جميع المال والباقي بين الجد والاخ نصفان لان المقاسمة خير له هنا من السدس .

٤ ــ قول عبدالله بن مسعود :

للمرأة الربع وللام ثلث ما بقي والباقي بين الجد والاخ نصفان ...

٥ ــ قول اخر لعبدالله بن مسعود أيضا :

للمرأة الربع والباقي بين الجد والام والاخ اثلاثا كيلا يؤدى الى تفضيل الام على الجد[١٢٧] .

٦ ــ المسالة السادسة وهي :

ابنة واخت وجد

وفيها خمسة اقوال :

١ ــ قول الصديق :

للابنة النصف والباقي للجد بالفرض والعصوبة ولا شيء للاخت لانها محجوبة .

---

(١٢٦) نفس المصدر ص ١٩٢ .

(١٢٧) المبسوط جـ ٢٩ ص ١٩٢ .

٢ ــ قول زيد :

للابنة النصف والباقي بين الجد والاخت للذكر مثل حظ الانثتين .

٣ ــ قول علي :

للابنة النصف وللجد السدس والباقي للاخت .

٤ ــ قول عبدالله بن مسعود في رأيه الاول :

للابنة النصف والباقي بين الاخت والجد نصفان .

٥ ــ قول عبدالله بن مسعود في رأيه الآخر :

للابنة النصف وللجد ثلث ما بقي وهو والسدس في المعنى سواء والباقي للاخت(١٢٨) .

بعض المسائل الملقبة في ميراث الجـد والاخـوة

هناك كثير من المسائل التي وضعت لها القاب واسماء ولكننا سنقتصر هنا على ذكر بعض ما يخص ميراث الجد والاخوة فقط ... والا فان المسائل كثيرة(١٢٩) .

١ ــ الاكدرية : وقد مرت

٢ ــ الخرقاء : وقد مرت ايضا

٣ ــ مختصرة زيد : وهي

ام وجد واخت شقيقة واخت لأب واخ لاب

٤ ــ تسعينية زيد : وهي

ام وجد واخت شقيقة واخت لاب واخوان لاب .

---

(١٢٨) المبسوط جـ ٢٩ ص ١٩٢ والمغني جـ ٧ ص ٨٠ .

(١٢٩) انظر الحجاوي المقدسي : الاقناع في فقه الامام احمد بن حنبل جـ ٣ ص ٨٤ ــ ٨٥ .

٥ ـ عشرية زيد : وهي :

جد ، اخت لابوين ، اخ لأب •

٦ ـ مربعة الجماعة : وهي :

زوجة ، اخت ، جد •

وبعـــد :

فان الموضوع شائك وعسير اضافة الى سعة ابوابه وتفرع مسائله مما يعكس للمشرعين صورة رائعة للتراث الفكري الخالد الذي تركه لنا الفقهاء الذين كانوا الاعمدة التي قام عليها بناء الفقه الاسلامي ، المنهل العذب الخصب الذي اغترف منه المشرعون ولا زالوا يغترفون على مر السنين •

ونظرا لسعة الموضوع وتشعب مسائله فقد سلكت فيه عزيزي القارىء مسلك المؤرخ لا المفسر ـ كما رأيت ـ ولو قمت بذلك ـ اعنى شرح وجهات النظر شرحا استدلاليا ـ لضاق بي المجال ـ وانا في هذه العجالة السريعة ، لذلك فانني اعترف بتقصيري وعجزي لكوني على ثقة من انه لو اعيد النظر في هذه الرسالة لتغير تبويبها وعرضها واسهابها في بعض الجوانب واخلالهـا في الاختصار في جوانب اخرى ••• فلي العـذر على كل حـال من قارئي العزيز •••

والحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

المذاهب السنية :

الفقه الحنفي

١ ـ البتني : عبدالملك بن عبدالوهاب المكي : متن خلاصة الفرائض نظم السراجية نشرت ضمن كتاب مجموع المتون الكبير (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤ هـ) .

٢ ـ البتني ايضا : شرح خلاصة الفرائض السراجية نشرت ضمن كتاب يشمل مجموعة تشتمل على ثلاثة كتب في علم الفرائض (طبعة مصطفى محمد الطبعة الاولى ١٩٣٥) .

٣ ـ السيد الشريف : علي بن محمد الجرجاني : (المتوفى ٨١٤ هـ) : شرح السيد الشريف على السراجية (طبعة فرج الله زكي الكردي بمصر) .

٤ ـ الفناري : العلامة محمد شاه علي بن يوسف بن محمد الفناري (المتوفى ٩٢٩ هـ) حاشية الفناري على شرح السيد الشريف على السراجية مطبوع على هامش الكتاب السابق .

٥ ـ شيخي زاده : عبدالرحمن افندي داماد : مجمع الانهر شرح ملتقى الابحر (المطبعة العثمانية استانبول ١٣٢٧ هـ) المجلد الثاني .

٦ ـ الحلبي : الشيخ ابراهيم بن محمد (المتوفى ٩٥٦) : ملتقى الابحر مطبوع في صلب الكتاب السابق .

٧ ـ الخصكفي : محمد بن علي بن محمد بن علي الملقب بعلاء الدين المتوفى ١٠٨٨ هـ الدر المنتقى شرح الملتقى مطبوع على هامش الكتابين السابقين .

٨ ـ السمرقندي : ابو الليث : خزانة الفقه وعيون المسائل (تحقيق الدكتور صلاح الدين الناهي بغداد شركة الطبع والنشر الاهلية ١٩٦٥) المجلد الاول

٩ ـ السرخسي : شمس الدين : المبسوط (طبعة ساسي بمطبعة السعادة بمصر ١٣٣١ هـ) الجزء ٢٩ ص ١٥٤ وما بعدها .

الفقه الشافعي :

١٠ـ ابو شجاع : القاضي احمد بن الحسين بن احمد الاصفهاني : التقريب مؤسسة الشرق للطباعة والنشر ١٣٨٠ هـ .

١١ـ الغزي : محمد بن قاسم : فتح القريب المجيب على الكتاب المسمى بالتقريب (مؤسسة الشرق للطباعة والنشر ١٣٨٠ هـ) .

١٢ـ متن الرحبية : نشر ضمن كتاب مجموع المتون الكبير (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤) ص ١٨٧ ـ ٢٠١ .

١٣ـ الشنشوري : شرح الشنشوري : لمتن الرحبية (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ) .

١٤ـ الخضري : الشيخ محمد : حاشية الخضري على شرح الشنشوري لمتن الرحبية منشور في صلب الكتاب السابق (المطبعة العامرة بمصر ١٢٩٣ هـ) .

١٥ـ النووي : الامام ابو زكريا يحيى بن شرف النووي : منهاج الطالبين مطبوع في صلب كتاب مغنى المحتاج (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤ هـ) .

١٦ـ الشربيني : الشيخ محمد الخطيب : مغنى المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٤ هـ) .

١٧ـ الرملي : شمس الدين محمد بن ابي العباس احمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الانصاري الشهير بالشافعي الصغير المتوفى ١٠٠٤ هـ : كتاب نهاية المحتاج الى شرح المنهاج (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨) ج ٦ .

١٨ـ الشبراملسي القاهري : حاشيته على الكتاب السابق (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨) ج ٦ .

١٩ـ المغربي الرشيدي : حاشيته على الكتاب السابق نفس الطبعة والجزء .

٢٠ـ الفيروز ابادى : الشيرازي : المهذب في فقه الامام الشافعي (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٩) ج ٢ .

٢١ـ الشافعي : محمد بن ادريس المطلبي : الام (شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة الاولى ١٩٦١) الجزء الرابع .

الفقه الحنبلي :

٢٢ـ الشنشوري الشافعي : عبدالله بن محمد المتوفى سنة ٩٩٩ هـ : الدرة المضية في شرح الفارضية على مذهب الامام المبجل احمد بن حنبل (منشورات المكتب الاسلامي بدمشق الطبعة الاولى ١٩٦١) .

٢٣ـ الحجاوي المقدسي : قاضي دمشق العلامة المحقق ابو النجا شرف الدين موسى (المتوفى سنة ٩٦٨ هـ) الاقناع في فقه الامام احمد بن حنبل (المطبعة المصرية بالازهر ١٣٥١ هـ) جـ ٣ .

٢٤ـ الخرقي : ابو القاسم عمر بن الحسين الخرقي (المتوفى سنة ٣٤٤ هـ) مختصر الخرقي (منشورات المكتب الاسلامي بدمشق الطبعة الثانية ١٩٦٤) .

٢٥ـ ابن قدامة : موفق الدين ابو محمد عبدالله بن احمد بن محمود المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) المغنى : (على مختصر الخرقي) (مطبعة المنار الطبعة الاولى بمصر ١٣٤٨) ج ٧ .

٢٦ـ ابن قدامة المقدسي : شمس الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن ابي عمر بن احمد المتوفى ٦٨٢ هـ) :
الشرح الكبير على متن المقنع في مذهب الامام احمد بن حنبل : مطبوع في حاشية الكتاب السابق (مطبعة المنار بمصر الطبعة الاولى ١٣٤٨) ج ٧ .

الفقه المالكي :

٢٧ـ الدردير : ابو البركات سيدي احمد : الشرح الكبير (دار احياء الكتب العربية) جـ ٤ .

٢٨ـ الدسوقي : شمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لابي البركات سيدي احمد الدردير (دار احياء الكتب العربية) جـ ٤ .

٢٩ـ ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد : (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) جـ ٢ .

المذاهب الشيعية :

١ ـ مذهب الامامية

٣٠ـ العاملي : محمد الجواد بن محمد بن محمد الحسيني : مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة (مطبعة الشورى بمصر ١٣٢٦) المجلد الثامن والعشرون .

٣١ـ المحقق الحلي : المختصر النافع في فقه الامامية (مطبعة النجف ١٩٦٤).

٣٢ـ المحقق الحلي : شرائع الاسلام في الفقه الجعفري (مطبعة دار الحياة بيروت) المجلد الثاني .

٣٣ـ العاملي : الشهيد الثاني : الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية (بيروت ١٩٦٠) جـ ٢ .

٣٤ـ الحكيم : السيد محسن الطبطبائي : منهاج الصالحين (الطبعة الثامنة مطبعة القضاء بالنجف ١٣٨٤) الجزء الثاني .

٣٥ـ الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الائمة (الطبعة الثانية بالمطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٧٨) .

٣٦ـ مؤلف مجهول : رسالة في الفقه الجعفري موجزة ناقصة (زمن الطبع ١٣٥١ هـ كتاب الميراث من ص ٢٠٥ ـ ٢١٦) .

٣٧ـ الحلي : عبدالكريم رضا : الاحكام الجعفرية في الاحوال الشخصية مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٤٧ .

٢ ـ مذهب الزيدية :

٣٨ـ المرتضى : احمد بن يحيى (المتوفى ٨٤٠ هـ) .
البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار (مطبعة السنة المحمدية مصر ١٣٦٨ هـ) جـ ٥ .

٣٩ـ الصنعاني : العباس بن أحمد بن ابراهيم بن احمد الحسني اليمني تتمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٩) في الجزء الرابع من الروض النضير .

الظاهرية :

٤٠ـ ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد المتوفى ٤٥٦ هـ .
المحلى (ادارة الطباعة المنيرية طبعة أولى ١٣٥١) جـ ٩ .

كتب فقهية مقارنة :

٤١ـ عمر عبدالله : أحكام المواريث في الشريعة الاسلامية (دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٦٠) ص ١٨٩ وما بعدها .

٤٢ـ الشيخ محمد ابو زهرة : أحكام التركات والمواريث (مطبعة مخيمر بالقاهرة ١٩٤٩) .

٤٣ـ البسام : عبدالرحمن محاضرات في الوصايا والمواريث القاها على طلبة الحقوق والشريعة ببغداد سنة ٩٥٧ ـ ٩٥٨ القسم الاول .

٤٤ـ البرديسي : محمد زكريا البرديسي الميراث والوصية في الاسلام (سلسلة التعريف بالشريعة الاسلامية الكتاب رقم ٤) (الدار القومية للطباعة القاهرة ١٩٦٤) .

٤٥ـ الكشكي : الشيخ محمد عبدالرحيم : الميراث المقارن (مطبعة خلف الطبعة الثانية) ١٩٦٣ .

كتب لغوية :

٤٦ـ الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (الطبعة الثانية بالمطبعة الاميرية مصر سنة ١٩٠٩) مادة (جدد) جـ ١ ومادة (اخ) .

٤٧ـ لويس معلوف : المنجد في اللغة (الطبعة السابعة عشرة بالمطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠ مادة (جدد) ومادة (اخ) .

٤٨ـ الزمخشري : اساس البلاغة (دار ومطابع الشعب القاهرة ١٩٦٠) مادة (جدد) ومادة (اخ) .

٤٩ـ الفيروز آبادي : مجد الدين : القاموس المحيط (ط ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٢) مادة (جدد) ومادة (اخ) .

« والحمد لله اولا وآخرا »

الشيبانيون في اقليم الجزيرة
« دورهم السياسي خلال القرن الثالث الهجري »

سليمة عبدالرسول
استاذة مساعدة بقسم التاريخ
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

المقدمـة :

شيبان قبيلة عربية سميت على اسم جدها شيبان بن بكر بن وائـل ، وهي من القبائل العربية الكبيرة ذات التفرعات العديدة ، ولقد تهيأ لهـذه القبيلة ان تلعب دورا متميزا خلال تاريخها الطويل ، كمـا عرف التاريخ العربي والاسلامي العديد من الشخصيات الشيبانية البارزة سـواء بسبب مواقفها السياسية أو العسكرية أو الثقافية ، فكان ذلك سببا لرفع شـأن شيبان وعلو منزلتها بين القبائل الاخرى .

ومثلما عرف التاريخ العربي قبل الاسلام قادة شجعان وفرسـان أشاوس من الشيبانيين ، شهد مطلع العهد الاسلامي بطلا مغوارا كان موقفه النابع من أخلاقيات العرب أشبه بالاسطورة ، ذلك هو المثنى بن حارثـة الشيباني الذي تحدى سلطة الفرس على الرغم من قواه وقوى حلفاءه العرب القليلة بالقياس الى جبروت الدولة الساسانية . وقد كانت موقعة ذي قار شرارة حرب التحرير العربية وتخليص العراق من نير الحكم الفارسـي . وواصل الشيبانيون دورهم السياسي المتميز في القرنين الاول والثاني للهجرة فبرز بيت زائدة الذي قدم شخصيات كان لها دورها في البطولات العسكرية

أو الاعمال الادارية ، فمعن بن زائدة الشيباني ويزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وابنه خالد بن يزيد الذين تزخر باخبارهم كتب التاريخ مبينة مواقفهم العسكرية ومقدرتهم الادارية والمكانة المرموقة التي تبؤوها في البلاط الاموي والعباسي .

وما أن حل منتصف القرن الثالث حتى برزت شيبان بكامل ثقلها سواء من خلال شخصياتها أو تجمعاتها القبلية فكان لها دورها الخطير في مجريات أحداث الدولة العباسية . فكانت الاوضاع السياسية والمالية مشجعة لكثير من التجمعات القبلية العربية لان تلعب دورا متميزا في هذه الاحداث . فقد ضعفت السلطة المركزية ضعفا شديدا شجع بعض الاقاليم على الانفصال ، وزاد من ارتباك الاوضاع المالية والادارية فخلق حالة من التذمر العامة ، وبخاصة عند العامة بسبب تردي أحوالها المعاشية . وانفجر هذا التذمر أحيانا على شكل ثورات أو استغل لتحقيق مطامع سياسية وكان للشيبانيون في اقليم الجزيرة ، ولبعض شخصياتهم دورهم المتميز في أحداث هذا القرن من تاريخ الخلافة العباسية . فارتقى بعضهم مناصب رفيعة في الدولة ، وتمرد آخرون ضدها ، ووسع بعضهم الآخر من حدود نفوذه ليشمل ولايات اسلامية أخرى . وبلغ الامر ببعضهم الى حد الامتناع عن طاعة الخليفة وعدم الاعتراف به ، وحجب الاموال التي تجد طريقها عبر مراكزهم عن بيت المال ، وأحسن مثال على ذلك موقف عيسى بن الشيخ وأحمد بن عيسى بن الشيخ وابنه محمد .

لم تكن الاوضاع السابقة خير مجال لظهور شخصيات شيبانية فحسب ، بل هيأت المجال أيضا للتجمعات القبلية من بني شيبان التي كانت تنتشر شرقي الموصل ، فأقلقت السلطة العباسية بتمردها ، لأنها رفضت الخضوع لسلطة يسيرها الاتراك وتخليها عن العرب باسقاط اسمائهم من ديوان المرتزقة[1] ولم تتوان تلك القبائل أن تظهر سخطها معبرة عن تذمرها

الواضح كلما وجدت الظروف سانحة باضطراب الوضع أو قيام فتنة أو ثورة ، فتغير بمجموعها على المدن لتسلب وتنهب وحتى لتقتل شفاءا لغليلها مقتصة لحقها المهضوم .

أما الخوارج في الجزيرة فقد ذكر يوليوس فلهاوزن[٢] : « انهم ينتمون بغالبيتهم الى قبيلة واحدة هي قبيلة بني شيبان من بكر » فقد أقلق هؤلاء السلطة وكلفوها غاليا في الارواح والمال خلال القرنين الاول والثاني للهجرة . وفي القرن الثالث حمل مساور الشاري رايتهم وخرج على السلطة ، بل واستطاع أن يهزم جيوش الخليفة مرات عديدة ، ويدخل الموصل دون قتال ، كما سيطر على أماكن أخرى من اقليم الجزيرة وجمع الضرائب فيها .

لذلك فاننا نهدف من وراء هذه الدراسة تقديم صورة شاملة لمجموعة بشرية تلتئم برابطة القرابة القبلية لبني شيبان ، وتبرز في منطقة محددة هي اقليم الجزيرة ، وفي حدود زمنية معينة هو القرن الثالث الهجري الذي يعد من الفترات الخطيرة التي مرت بها الدولة العباسية ، كما تهدف هذه الدراسة خدمة البحث العلمي اللاحق في الاستفادة مما ستتركه من آثار على مجمل الوضع السياسي والعسكري والاقتصادي للدولة العباسية .

والملاحظة الاخيرة التي أمدتنا بها دراسة هذه القبيلة وشخصياتها هي أن الرابطة القبلية التي ضعفت بظهور دولة الاسلام لم تستطع الفترات اللاحقة من تطور الدولة الاسلامية من محوها ، وكانت تبرز قوية أثناء ضعف السلطة المركزية ، ولكن على الرغم من ذلك يبقى التأرجح واضحا في سلوك بعض الشخصيات الشيبانية من أمر انتمائهم للقبيلة والولاء لها أو للدولة .

نسب قبيلة شيبان

ترجع قبيلة شيبان[٣] الى أصل عدناني ، وهي فرع من بكر ، ونسبها يرجع الى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[٤] ولد شيبان بن ثعلبة بن عكابة : ذهل وثعلبة وعوف ، وولد ذهل بن شيبان : محلم ومرة وابو ربيعة والحارث ومازن وعبد غنم وعوف وعمرو وشيبان الاصغر[٥] ولد مرة بن ذهل بن شيبان : همام وجساس ، ومن نسل مرة هذا المثنى بن حارثة الشيباني ، وبسطام بن قيس الشيباني[٦] • ولد جساس بن مره بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة : شهاب ولأي واليه يرجع نسب أحمد بن عيسى بن الشيخ الذي تميز بدور سياسي خطير في أحداث القرن الثالث الهجري • ولد همام بن مرة : مرة ومن بني مرة هذا عمرو (الصلب) الذي ينسب اليه معن بن زائدة بن عبدالله بن مطر بن شريك بن الصلب ، وابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة وابنه المشهور خالد بن يزيد[٧] •

اقليم الجزيرة ـ منطقة سكنى الشيبانيين

عرفت الاقسام الشمالية من بلاد وادي الرافدين باسم اقليم الجزيرة ، ويراد به الاراضي السهلية المحصورة بين دجلة والفرات • أما الحدود الجغرافية لهذه المنطقة فتختلف فيها المراجع التاريخية والجغرافية • والحدود العامة التي نستنتجها من مطالعة غالبية المراجع[٨] التي تعرضت لتحديد هذا الاقليم تعينه بالمنطقة المحصورة بين دجلة والفرات ولا تجعل من هذين النهرين كحدود نهائية ، بل ضمت اليها أقساما في الجانب الغربي لنهر الفرات مثلما أضيفت أقسام من الجانب الشرقي لدجلة ، ولكن يؤكد دائما على طبيعة الارض السهلية ضمن حدود ما عرف باقليم الجزيرة ، فما تعدى السهل ليس من الجزيرة • أما الحدود الجنوبية فتعين بخط وهمي يبدأ عند الانبار على الفرات والى تكريت على دجلة •

استوطنت بعض القبائل العربية مناطق معينة من اقليم الجزيرة فعرفت باسمها كديار ربيعة أي منطقة نفوذ قبيلة ربيعة من أقليم الجزيرة ، وكذلك ديار مضر وديار بكر[٩] . فديار ربيعة تشمل الاراضي الواقعة بين الموصل وتمتد غربا حتى منطقة نصيبين ، ولها اراضي في شرقي دجلة هي من السهول التي تروى بواسطة الزابين ونهر الخابور الصغير[١٠] أما ديار مضر فتمتد مع الفرات من سميساط[١١] الى عانة مضافا اليها سهول نهر البليخ أحد روافد الفرات[١٢] .

أما ديار بكر فتشمل الاراضي السهلية في حوض دجلة الاعلى المطلة على نصيبين ومركزها مدينة آمد[١٣] وتشمل اراضي في شرقي دجلة ولكن لا تتجاوز بلاد الجبل[١٤] .

نفهم مما اشرنا اليه من ان مناطق اقليم الجزيرة من ديار مضر وربيعة وبكر وهي اسماء « القبائل الذين كانوا ينزلونها في القديم »[١٥] قد أصابها نصيب وافر من هجرات هذه القبائل التي تركت اوطانها الاولى لتستقر في اقليم الجزيرة .

ان الذي يبحث في أمر هجرات القبائل هذه يجد انها لم تكن على دفعة واحدة بل جاءت متعاقبة وفي ازمان مختلفة منها قبل الاسلام ومنها بعده . ففي القرن الخامس الميلادي خرجت قبيلة ربيعة على سلطة اليمن واصبح لها كيانا مرموقا بين القبائل فتزعمت عددا من القبائل كقضاعة ومضر وأياد ونزار ، ولكن ما لبث ان دب النزاع بين بطونها وافخاذها من جهة وبينها وبين حلفائها من القبائل الاخرى من جهة ثانية ، فحرب البسوس بين بكر وتغلب ، ووقائع شيبان وتغلب ، وحروب ربيعة ومضر[١٦] خير مثال على تلك المنازعات التي دفعتها الى النزوح من مواطنها متجهة صوب الشرق فأناخت بطونها في مناطق متعددة ومتجاورة تقريبا ، اذ استقر بنو وائل من بكر وتغلب منطقة البحرين وبعض اراضي اليمامة وهضاب نجد ، ولكن

ما فتأوا ان تفرقوا اثر منازعاتهم المستمرة وحروبهم المتواصلة ، فاتجهت تغلب نحو الشمال ودخلت اراضي العراق متوغلة فيه على نهر الفرات ، أما بكر فبقيت في مناطقها حتى اذا ما اتسعت بطونها وافخاذها انتشرت في مناطق متفرقة من الارض فصعدت قبائل منها نحو الجنوب الغربي من ارض العراق في منطقة الحيرة على حدود مملكة اللخميين[١٧] • وبعد حرب بين بكر وتغلب وهزيمة الاخيرة نزحت بعض بطون تغلب وسكنت في اطراف اقليم الجزيرة ، أما مضر فبقيت في منازلها في تهامة ثم انتقلت لتستقر في اقليم الجزيرة على اثر منازعاتها المستمرة بين بطونها ، وعدم استيعاب أرضها لاعدادها المتزايدة[١٨] •

وخلال العصر الاسلامي ، وبعد فتح اقليم الجزيرة ، زادت هجرات القبائل العربية اليها كقبيلة طيء وكندة وقبائل من الازد خاصة على عهد الخليفة عثمان بن عفان كذلك معاوية بن ابي سفيان الذي اسكن مجموعات قبلية في اقليم الجزيرة ايضا ، وفي أثناء ولاية مروان بن محمد لاقليم الجزيرة جاءتها قبائل عربية أخرى فاستقر بها الازد وشيبان وغيرهم ، وبذلك أصبح عرب اقليم الجزيرة بموجب هذه الهجرات المتعددة « مزيجا من قبائل مضر وربيعة العدنانيين ، ومجموعات قبلية أخرى عدنانية وقحطانية »[١٩] •

عين المؤرخون مناطق سكنى بنى شيبان في اقليم الجزيرة فذكر ابن حوقل[٢٠] : انهم اتخذوا المنطقة المحصورة بين الزابين مصائف لهم • وسكن بعضهم منطقة البوازيج[٢١] • أما الهمداني[٢٢] فجعل ارضهم تمتد من بداية منطقة ديار بكر ، اي من جبل الطور البري وهو لبني شيبان وذويها ، حتى حدود بلاد خراسان • ولم يقاسمهم فيها أحد سوى الاكراد • وفي وصف سلمان صائغ[٢٣] لسكان الموصل والقبائل التي سكنت فيها ذكر « أن اكثرهم عددا وقوة هم بنو شيبان الذين كانوا قد انتشروا في اطراف الموصل سيما في شرقها » •

لم يكن العرب العنصر البشري الوحيد لسكان اقليم الجزيرة ، وانما عاشت الى جانبهم أقوام أخرى كان لها اثرا واضحا في تاريخ المنطقة ، ومن هذه الاقوام الاكراد الذين قاسموا بني شيبان مناطق سكناهم وصاهروهم وساندوهم في كثير من ثوراتهم حتى قيل انهم تحالفوا على أن يقتلوا على دم واحد ، عندما بلغهم خروج المعتضد الى بني شيبان سنة ٢٨٠ هـ[٢٤] . وعندما أقام الحمدانيون دولتهم في نهاية القرن الثالث الهجري ، ادرك هؤلاء خطر الاكراد فحالفوهم وتزوج جدهم ــ حمدان ــ امرأة كردية وحــذا غيره من الحمدانيين حذوه وبذلك كسبوا ودهم ومساندتهم[٢٥] .

اما المجموعة البشرية الثالثة التي سكنت اقليم الجــزيرة الى جانب العرب والاكراد ، فهم الاراميون الذين سكنت غالبيتهم منطقة طور عابدين في المناطق الواقعة شرقي دجلة بمحاذاة منطقة سكنى الاكــراد والارمن . وقد كان لهؤلاء النصارى دورا بارزا في النواحي الثقافية والاقتصاديــة ، وشغل عددا كبيرا من ابناءهم وظائف كتابية للخلفاء والامراء ، ومنهم من اصبح مسؤولا اداريا عن بعض مناطق الموصل[٢٦] .

عرض تاريخي لنشاط الشيبانيين السياسي والعسكري الى حدود القرن الثالث الهجري

لبني شيبان مواقف حافلة بالبراعة السياسية والمقدرة الحربية ، ويشهد لهم بذلك تاريخهم قبل الاسلام ، فغزواتهم الكثيرة مع القبائل الاخــرى اثبتت مكانتهم بينها وذاع صيتهم بالجرأة والتضحيــــة والاقدام ، ويرى البعض ان أهداف ودوافع حروبهم ومعاركهم كانت تتصف « بطابع التحرر والانعتاق من قيود الغير ، أو بطابع قومي ضد نفوذ أجنبي » ، وبعبــارة أخرى كانت « انتفاضات دامية على الظلم والاستبداد ، ومغامرات خطيرة في سبيل الانعتاق والانطلاق ، أو كفاح حقيقي في سبيل الكرامة »[٢٧] .

خاض بنو شيبان أول حرب تؤكد ذلك النهج في كفاحهم ضد الاستبداد والظلم هي معركة (خزاز) عندما فرض أحد ملوك اليمن الاتاوة على القبائل النزارية المجاورة لمملكته وكان بينهم جماعة من قبيلة ربيعة الذين أبو أن يخضعوا لمذلته فامتنعوا عن دفعها ، وجمعوا قواهم تحت زعامة كليب بن ربيعة التغلبي وفرسانه من بني شيبان ، وجابهوا قوات ملك اليمن بالقرب من جبل خزاز بين البصرة ومكة ، فانتصروا في هذه الحرب ، ثم انفصلت ربيعة عن قبيلة نزار واجتمعت كلمتها تحت زعامة كليب التغلبي الذي كان صهرا لمرة بن ذهل بن شيبان . كان كليب هذا صعب المراس حاد الطبع ، طغى وتجبر على اصحابه ، وأفرد لنفسه مميزات خاصة على حساب الآخرين، فتذمر أصحابه من سلوكه هذا وهم الذين عرفوا بالانفة وعزة النفس فكرهوه لظلمه واستبداده وتخلصوا منه عندما حانت لهم الفرصة في حرب البسوس المشهورة(٢٨) .

جرّت حرب البسوس الويلات على قبيلتي بكر وتغلب مدة أربعين سنة اذ لم يقتصر انتقام عدي بن ربيعة أخو كليب من بني شيبان فقط ، بل كان يقتل كل بكري يصادفه حتى ضجت بكر فذهب بعض أشرافها الى الحارث ابن عمرو الكندي ملك الحيرة ـ وأمه شيبانية ـ وشكوا اليه أمرهم وما حل بهم من « غلبة السفهاء وحكم الاقوياء وطلبوا اليه ان يملك ابناءه عليهم ، فبعث بابنه شرحبيل مسؤولا عن قبيلة بكر بن وائل »(٢٩) . فخضعت بكر للحارث وقويت شوكتها حتى انها أخضعت العديد من القبائل الى سلطانها .

أخذ دور بني شيبان يزداد أهمية تدريجيا قبيل العصر الاسلامي عندما ظهر من بينهم سادة وزعماء ذاع صيتهم في الشجاعة والشهامة ، وكان لهم أبرز الاثر في واقعة ذي قار المشهورة ، وملخصها ان كسرى أبرويز ملك الفرس غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة لوشاية بلغته عنه ، وعندما طلبه كسرى ، أودع النعمان أهله وسلاحه عند هانىء بن مسعود الشيباني

زعيم بني شيبان وسيدها حينذاك[٣٠] وبعد قتل النعمان من قبل كسرى ومطالبة الاخير لهانيء بودائع النعمان ، أمتنع هانيء عن ذلك مما أثار حفيظة ملك الفرس وصمم ان ينتقم من بني شيبان فاقتنص فرصة تقيضهم في الصيف في حنو ذي قار ليهاجمهم ، وأحس بنو شيبان بذلك فتهيأوا لهجوم كسرى هذا واجتمعوا تحت زعامة سيدهم هانيء بن مسعود الذي وزع أسلحة النعمان بينهم ، وعندما هاجمتهم القوات الفارسية ابلوا في مقاومتها وتمكن الحارث بن شريك بن عمرو الشيباني من قتل قائد الفرس الهامرز ، فذعر الفرس لمقتل قائدهم وضعفت معنوياتهم ، بعد ان شاهدوا استماتة العرب وصلابة دفاعهم فولوا هاربين[٣١] .

وفي العصر الاسلامي جند المثنى كتائبه من شيبان وبكر بن وائل وغزا بهم العراق فدوخ الساسانيين بحملاته المتكررة حتى ذاع صيته ووصلت أخباره الخليفة ابو بكر ، ثم اصبح المثنى الساعد الايمن لحروب خالد بن الوليد في العراق ، وعندما انتدب أبا عبيدة الثقفي لقيادة الجيوش المرسلة الى العراق ، لم يتردد المثنى في التعاون التام معه اذ كانت غايته التخلص من الحكم الفارسي وتحرير أرض العراق من نفوذه ، وفي الحروب ابدى المثنى والشيبانيون معه شجاعة ومقدرة حربية تحدوا بها الموت عندما دارت عليهم رحى الحرب في موقعة الجسر ، عند ذلك أيقن ابو عبيدة انه ارتكب خطأ بعبوره الجسر الى جانب الفرس وعدم الانصات الى نصيحة المثنى الذي أوصاه بعدم العبور وبعد مقتل ابي عبيدة الثقفي خاف المثنى ان تنهار عزيمة المسلمين فحمل الراية وصاح في قومه والمسلمين ان يدافعوا عن دينهم ، وأمر جماعة منهم ان يشدوا الجسر ، فعبر بالبقية الباقية من الجيش وهو مصاب بطعنة رمح أحدثت فيه جرحا بليغا[٣٢] . وخاض المثنى ــ برغم جرحه ــ واصحابه من بني شيبان معركة البويب ، ثم التحق وقومه بالقائد سعد بن ابي وقاص ، غير انه لم يلبث ان توفي من أثر الجرح فالتحقت كتائبه بالجيوش الفاتحة .

وفي العصر الاموي برز قائد آخر من بني شيبان هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي ابلى بلاءا حسنا في محاربته الخوارج من بني شيبان وزعيمهم الضحاك بن قيس الشيباني ، كما خاض معارك حاسمة ضد الجيوش العباسية التي كانت بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي الذي توفي اثر ضربة عاجلة من معن أردته قتيلا(٣٣) .

عرف معن في الاوساط العباسية انه من مقاومي دعوتهم ، وتمكن الافلات من ايديهم اثناء حصار واسط ، واختفى مدة من الزمن ليظهر ثانية ويذود عن الخليفة المنصور عند هجوم الراوندية عليه وكأنه يريد من وراء عمله هذا طلب الصفح من السلطة العباسية ، فاعجب به المنصور لشجاعته ومقدرته الحربية فقربه واصبحت له مكانة مرموقة في بلاطه . وعلى الرغم من العلاقة الظاهرية الطيبة بين المنصور وخصمه السابق معن بعد هجوم الراوندية وموقف معن فيها ، لكن الطرفين كانا حذران احدهما الآخر ، حيث يبدو أن موقف معن من المنصور كان يريد من وراءه شراء حياته وليتخلص من مطاردة عيون المنصور ورجاله ، في نفس الوقت جعل المنصور في موقف حرج بعد أن افتداه ودافع عنه ببسالة ، فلم يستطع المنصور بعد ذلك الا ان يقرب اليه معن ، ولكن ظل يراقبه عن كثب . ومن جانب آخر كان معن في قرارة نفسه لا يزال على ولائه كما يبدو للامويين لانه كانت له ولامثاله من القادة والزعماء العرب دورا بارزا في العهد الاموي ، بينما أصبحت الادوار البارزة في العهد العباسي الاول للفرس ، وهذا ما يضير معن وغيره من فرسان العرب . ويبدو أن معن أصاب شهرة ومكانة أخذت بالاتساع تدريجيا بحيث بلغه الشعراء ومدحوه ، وكان يغدق عليهم العطاء وكأنه يقصد من وراء ذلك تحقيق غرض سياسي في نفسه ، ولكن المنصور كان يراقب عن كثب تحركات معن الخفية ، فيلومه في دفع مبلغ مائة الف درهم للشاعر مروان بن ابي حفصة على قوله :

معن بن زائدة الذي زيدت به — شرفا على شرف بنو شيبان

ولكن معن كان ذكيا ونبيها فأحس ما في نفسية الخليفة المنصور ومقصده فاجابه : بانه لم يعط الشاعر الدراهم لقوله كذلك وانما اعطاه اياها لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته ، وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان[٣٤]

لذلك عينه المنصور واليا على اليمن[٣٥] ليبعده عن المسرح السياسي في مركز الخلافة ويتأكد استنتاجنا أعلاه عندما نعرف من الروايات التاريخية ان المنصور نقل معن من ولاية اليمن الى اقليم سجستان لمحاربة الخوارج ، فقتل معن من جراء معاركه معهم فعقد المنصور ليزيد بن مزيد الشيباني الولاية على سجستان بعد وفاة عمه معن[٣٦] .

حرص الخليفة المهدي الذي أعقب والده المنصور في حكم الدولة الاسلامية على اعتماد سياسة التوازن بين القوميتين العربية والفارسية ، ولم ينس ان أقوى القبائل العربية حينذاك كانت ربيعة بفرعيها بكر وتغلب ، فزعامة بكر بن وائل في بني شيبان التي انتقلت على عهده من معن بن زائدة الى يزيد بن مزيد الشيباني ، فاستدعى الخليفة زعيم بني شيبان يزيد وعقد اليه قيادة الجيش لمحاربة الخوارج في منطقة بخارى ، حيث استطاع ان يقضي على اخطر ثورة خارجية آنذاك ، ثم بعثه بحملة مع ابنه هارون الرشيد الى بلاد الروم[٣٧] . وتعالت شهرة يزيد بن مزيد الحربية خاصة بعد قمعه ثورة الوليد بن طريف الشاري على عهد الخليفة هارون الرشيد حتى اطلق عليه اسم فارس العرب[٣٨] . بعد ذلك ولاه الرشيد اقليمي اذربيجان والجزيرة ، واتخذ يزيد من الموصل مقرا له ، واستطاع بكل حزم وقوة أن يضبط الامن والسلام في ربوع تلك المنطقة[٣٩] . ولما كانت كل من أرمينية واذربيجان مصدر قلق للدولة العباسية ، اقترح يزيد على الخليفة الرشيد أن يوليه هذه الاقاليم وان يجعل مقره في مدينة برذعة[٤٠] فوافق الرشيد على اقتراحه وولاه عليها ، فسار يزيد مع أهله وعشيرته من بكر وتغلب الى

هناك ، وقضى بقية حياته حتى توفي سنة ١٨٥ هـ في مدينة برذعة[٤١] تاركا ابنه محمد واليا على أرمينية[٤٢] ولم ينل شهرة يزيد الحربية من ابناءه سوى خالد الذي ذاع صيته في القرن الثالث الهجري •

دور الشيبانيين في الشؤون الادارية والعسكرية في القرن الثالث الهجري

لعب الشيبانيون دورا حساسا في القرن الثالث الهجري لا سيما النصف الاخير منه ، فبالاضافة الى كونهم قادة حربيين من الدرجة الاولى ، كانوا ولاة أشداء ، لم يقتصر حكمهم على ولاياتهم ، بل أمتدوا بنفوذهم الى مناطق أخرى كلما لمسوا ضعفا وترديا في أحوال الدولة والخليفة متحدين بذلك سلطة الدولة وهيبتها ، وقد برز منهم قادة لامعون في هذا الميدان منهم :

خالد بن يزيد الشيباني

هو ابن القائد المشهور الذي سبق ذكره يزيد بن مزيد بن زائدة بن عبدالله بن مطر بن شريك بن الصلب من بني مرة بن همام بن مرة بن ذهل ابن شيبان[٤٣] بلغ بن يزيد على عهد الخليفة المأمون من المنزلة الرفيعة والسمعة الطيبة لقابلياته الادارية والحربية حتى شبهوه بشجاعة والده وكنوه بكنيته ، ففي السلم بابي خالد وفي الحرب بابي الزبير ، وهي الكنية التي كنى بها خالد في بعض أيامه بمصر[٤٤] •

وفي سنة ٢٠٦ هـ أرسله المأمون مع عمرو بن فرج الزخجي الى مصر بجيش من ربيعة وغيرها ، وأمرهما أن يتعاونا النظر فيها ، فينظر عمر في أمر الخراج ، وخالد في المعاون والصلاة ، وسار خالد بالجيش ، وعند وصوله ارض مصر راسل واليها السابق عبيدالله بن السري الذي كره ان يسلم البلاد محتجا بان الخليفة كان قد ارسل اليه كتاب بولايتها ، وتهيأ عبيدالله لمقابلة هذا الجيش بالقرب من حوف مصر الشرقي ، ونشب القتال بينهم مدة ثلاثة أيام ، تمكن عبدالله في نهايتها — على اثر خيانة حصلت بين اتباع خالد ممن انضم اليه من سكان أسفل مصر — أن يأسر خالد ، ولكنه أحسن معاملته فاكرمه وحمله في البحر الى العراق[٤٥]

وبعدها ولاه المأمون الموصل وزاده ديار ربيعة[٤٦] . ثم رأى المأمون ان أوضاع منطقة ارمينية غير مستقرة بسبب ضعف واليها ، فاوعز الى خالد أمر هذه البلاد ، وسار اليها خالد مع أهله وعشيرته كما انضم اليه خلق عظيم من ربيعة ، وسيطر فعلا على تلك المنطقة مدة من الزمن ثم استدعاه المأمون ، فخاف خالد أن يكون قد وشي به عند الخليفة ، غير ان الخليفة ضمه الى أخيه المعتصم عندما قدم[٤٧] وأصبح لخالد عند المأمون منزلة عظيمة ، فكان يعتمد عليه في كثير من الامور السياسية الهامة ، وعندما القي القبض على ابراهيم بن المهدي ليلا متخفيا بزي امرأة ، أرسل خالد مع ابراهيم ليحفظه حتى دار المأمون[٤٨] .

وفي عهد المعتصم نال خالد شهرة حربية واسعة نتيجة لاعجاب المعتصم بمقدرته الحربية وكان يردد ذلك في مجالسه ، وولاه المصيصة ونواحيها[٤٩] . ولم تسلم هذه الشخصية العربية من الوشايات عند الخليفة ، لا سيما وانه عاش في زمن كان التمايز فيه واضحا بين الاتراك اصحاب المعتصم وبين عدد من الشخصيات العربية التي لم ترتاح لنفوذ وقوة هؤلاء الاتراك ، فتغير المعتصم عليه وقرر نفيه الى مكة ، ولكن تدخلت في ذلك شخصيات عربية كانت تحاول دائما ان تخفف من حدة الصراع العربي التركي ، وكانت تنجح في مهمتها احيانا وتخفق احيانا اخرى ، ورجحت الكفة العربية في هذه المرة فشفعت لخالد عند المعتصم وأعفاه من الخروج الى مكة[٥٠] .

وفي زمن الواثق انتفضت ارمينية وضعف أمر الخلافة هناك ، فولى الواثق هذه المنطقة خالد بن يزيد بعد ان ضم اليه مناطق من ديار ربيعة ، ونجح خالد في العمل على استقرار الاوضاع ومسك الامور بيد قوية ، وبسبب من سمعته الواسعة ومعرفة أهل المنطقة به عندما تولاهم سابقا على عهد المأمون ، خافته معظم شعوب تلك المناطق وارسلت اليه بالطاعة والهدايا . غير ان خالدا ساءت صحته هناك وتوفى فحمل في تابوت الى منطقة دبيل[٥١] . فدفن فيها ، وأخذ أصحابه بعد وفاته يتفرقون ، وكادت

البلاد ان ترجع الى حالتها السابقة ، فرأى الخليفة الواثق ان يعين ابنه محمدا عليها ، وفعلا استطاع محمد ان يرد اصحاب ابيه ويسيطر على تلك المناطق(٥٢) .

يتضح لنا من ذلك ان الخلافة الى حدود نهاية القرن الثالث الهجري كانت تعتمد التجمعات القبلية وتستند اليها في مهمات سياسية وعسكرية كبيرة وبخاصة في بلاد ارمينية ومناطق خراسان ، فخوفا من تفرق وحدة بني شيبان الذين كانوا متماسكين مع زعيمهم خالد ، وبالتالي ضعفهم كقوة متحدة ضاربة ، واقرارا بالعرف القبلي نقل الواثق أمر الولاية من بعد خالد لابنه محمد ، والذي نجح في اعادة وحدة القبيلة ، في نفس الوقت أفاد الواثق من ذلك بعودة النفوذ المركزي وسيطرته القوية على أرمينية .

وقبل ان نختتم كلامنا عن خالد نورد ما ذكرته بعض المصادر الادبية بخصوصه والتي تتفق جميعها في انه كان سيدا ذو منزلة رفيعة بين سادات العرب وفارسا مقداما من فرسانها الشجعان ، بالاضافة الى ما كان يتميز به من الصفات العربية النبيلة كالكرم وحسن الضيافة ، وديوان الشاعر أبا تمام يزخر بالعديد من القصائد الشعرية التي توضح ذلك(٥٣) .

ان الذي تشير اليه المصادر الادبية يلقي ضوءا على أسباب العلاقة بين خلفاء بني العباس وبين سادات بني شيبان ، حيث لم تكن هذه العلاقة تستند بطولات فذة في ميادين القتال لبعض الشجعان من بني شيبان ، ولكن بالاضافة الى ذلك فانها تستند التجمع القبلي لشيبان ومكانة هذه القبيلة المتميز بين قبائل العرب في اقليم الجزيرة .

ذكرنا سابقا ان الخليفة الواثق ولى محمد بن خالد خلفا لابيه على مناطق أرمينية فمسكها بيد حازمة ، وفي عهد الخليفة المستعين ، قلد محمد ابن خالد أمر الثغور الجزرية سنة ٢٥١ هـ ، وعندما كان محمد ينتظر وصول الجيش والاموال ليتولى أمر الثغور ، قام الاتراك بفتنة على المستعين ، فعجل محمد من سيره نحو بغداد ووصلها في اربعمائة من

اصحابه ، فخلع عليه محمد بن عبدالله بن طاهر الخلع والهدايا ووجهه بجيش لحاربة أيوب بن أحمد ، غير ان محمد كان قد اخفق في هذه الحرب ، فانهزم ونهبت متاعه وفر الى ضيعة له في منطقة السواد[٥٤] .

عيسى بن الشيخ

عيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان[٥٥] من أبرز القواد الامراء في الدولة العباسية خلال هذا القرن ، له منزلة عظيمة بين أفخاذ قبيلته ، وقد أدرك ذلك خلفاء بني العباس ، فعندما ثار أبن البعيث[٥٦] سنة ٢٣٤ هـ وتحصن في مرند من مناطق اذربيجان ، رأى الخليفة المتوكل أن يرسل له جيشا فيه عيسى بن الشيخ ليستميل بني ربيعة الذين كانوا مع ابن البعيث في ثورته ، وفعلا سار عيسى بن الشيخ الى ابن البعيث وطلب منه ان ينزل على حكم أمير المؤمنين والا قتل وأصحابه، فاستجاب لعيسى عدد كبير من بني ربيعة ولكن ابن البعيث كان قد هرب ، ثم أسر من قبل الجند ونودي بالامان لبقية أتباعه[٥٧] .

وفي سنة ٢٥١ هـ أنتدب عيسى بن الشيخ من قبل الخليفة المستعين بالله لقمع ثورة الموفق الخارجي ، وأرسل عيسى بن الشيخ الى المستعين بالله ان يرسل اليه ما يحتاج من السلاح لتصبح له عدة جيدة يقوى بها على العدو ، وتمكن عيسى من تهزيم الموفق وتأسيره[٥٨] .

كان عيسى بن الشيخ ذكيا ، لم يدع الامور تفوته ، والفرص تفلت من يده ، وما أن أحس باضطراب الدولة وسيطرة الاتراك عليها ، الذين كان همهم الاول والاخير هو المال ، استطاع عيسى ان يعطي بغا الشرابي اربعين الف دينار ليشتري أمر ولاية الرملة ، فعين فيها سنة ٢٥٢ هـ ، وكان من علو المنزلة أن ارسل خليفته أبا المغراء عليها[٥٩] .

ولما بلغ سوء العلاقة بين الاتراك والمستعين أشده ، وأرادوا به شر مثلما فعلوا بآبائه واجداده ، ترك المستعين مدينة سامراء الى بغداد ، فبايع أتراك سامراء المعتز على الخلافة ، وبقي من كان منهم ببغداد على الوفاء

لبيعة المستعين[٦٠] . كان عيسى بن الشيخ في فلسطين يراقب تطور الاحداث في دار الخلافة عن كثب وبلغت به الجرأة أن امتنع عن مبايعة المعتز الخليفة الجديد ، على الرغم من مبايعة كافة عمال الولايات له بعد مقتل المستعين ، فاوعز الخليفة المعتز الى عامل دمشق التركي نوشري بن طاجيل بالزحف نحو فلسطين لتأديب عيسى بن الشيخ ، وتهيأ عيسى لهذا الجيش وخرج لمقابلته ، وخاض ضده حرب صعبة قتل فيها ابن النوشري ، وتفرق جند عيسى بن الشيخ ، فقفل راجعا الى فلسطين وحمل ما استطاع ان يحمله منها وسار الى مصر ، ومن هناك ارسل بالبيعة للخليفة المعتز ، بعد ان ارسل له الاخير رجلا من الاتراك لهذه المهمة . ثم عاد عيسى بن الشيخ من مصر الى فلسطين ، وفي الطريق صادف جيشا كان قد ارسل من قبل المعتز تحت ضغط الاتراك للانتقام لابن النوشري من عيسى بن الشيخ ، وحذر كل منهما الآخر ثم سار الاثنان الى العراق[٦١] فأقر عيسى خلافة المعتز ، لكن الخليفة لم يهدأ له بال على ما أوجس من خيفة لتمرد وعصيان هذا الوالي ، وتحت ضغط الاتراك ثانية ارسل الخليفة جندا من الاتراك ليرصدوه اثناء عودته ويقتلوه ، غير ان عيسى أحس بذلك واستطاع ان يفلت منهم فخرج مستترا في يوم مطير في خيل جريدة حتى استطاع ان يفوتهم ويصل فلسطين . وهناك بدأ عيسى يحتاط للظروف فرتب جنده ، واجتمع اليه من قبائل ربيعة خلق عظيم وصاهر قبيلة كلب لتقف الى جانبه ، وابتنى له حصنا خارج مدينة الرملة سمي (الحسامي)[٦١] .

ويمكن اعتبار هذه الخطوات من عيسى بن الشيخ ، أول عمل منظم يستند التجمعات القبلية الذي ربما كان يؤدي الى خلق كيان سياسي منفصل عن الدولة كما حدث للحمدانيين .

ولم يكتف عيسى بذلك ، بل أخذ يوسع نفوذه وسلطانه على حساب الفوضى والاضطرابات التي عمت دار الخلافة فزحف سنة ٢٥٦ هـ الى دمشق وتغلب عليها [٦٢] وضمها الى منطقة نفوذه فلسطين والاردن . كما

قام بعملية تحدي أخرى للسلطة فحجز أموالا كانت في طريقها من مصر الى بغداد مقدارها سبعمائة الف دينار[٦٣] وعندما كتب الخليفة المهتدي كتب الامان الى جميع المتحركين والمتغلبين ومنهم عيسى بن الشيخ ، أمره أن يرسل أموال مصر الى دار الخلافة ، غير أن ابن الشيخ امتنع عن ارسالها ، وأخبر الخليفة بانه انفقها على الجند ، عند ذلك بلغ من أمر عيسى حدود الاستقلال الكامل عن سلطة الخلافة ، ولكن دون اعلان رسمي بذلك ، ولم يكن أمام الخليفة بد الا حسم السيف ، فاوعز الى أحمد بن طولون في مصر بالمسير اليه ، غير ان الخليفة عدل عن هذه الفكرة فارسل كتابا الى ابن طولون وهو في الطريق اليه ، يصرفه فيه الى الاسكندرية[٦٤] .

وفي سنة ٢٥٦ هـ بويع بالمعتمد خليفة على المسلمين ، فكتب بالبيعة الى كافة الاقطار الاسلامية فبايع أهل خراسان ومصر وديار ربيعة ، ولكن عيسى بن الشيخ امتنع عن البيعة أيضا ، فكان أمر امتناع عيسى عن المبايعة يعد تطورا خطيرا في علاقة عيسى والشيبانيين وحلفائهم بالدولة العباسية ، وأهتم الخليفة لهذا الامر بشكل كبير ، فارسل له جيشا في سبعمائة تركي بقيادة أماجور ، وسار هذا بالجيش حتى قدم دمشق فتهيأ له ابن الشيخ وخرج بجموعه من فلسطين وحاصر الجيش التركي وقائده بباب دمشق ، ولما اشتد الحصار على أماجور خرج وأصحابه من المدينة فتبعه منصور بن عيسى بن الشيخ وظفر بن اليمان خليفته ، وجرت حرب بين الطرفين قتل فيها منصور وأسر ظفر بن اليمان ثم ضربت عنقه بعد ذلك ، أما عيسى بن الشيخ فقد انصرف الى الرملة وحمل عياله وتحصن في مدينة صور[٦٥] .

ولكن هذه الحرب لم تكن حاسمة لصالح الخلافة . فلا يزال عيسى حيا ولا تزال أعداد قبيلة شيبان وربيعة كثيرة وقوية . كما أن عيسى لم يزل يحتل مكانة الزعامة بين ربيعة ، فعمد المعتمد لاعتماد أسلوب آخر في تصفية حركة ابن الشيخ فارسل اليه من بغداد وفدا يحمل اليه كتاب الامان لنفسه وماله وولده ، والصفح عما بدر منه ، وتوليته ارمينية ـ التي سبق

وان رفض عيسى بن الشيخ ان يقيم الدعوة فيها للمعتمد ــ فوافق عيسى على ذلك ، واستلم كتاب الامان ، واقام الدعوة للمعتمد في أرمينية ، وكان اكبر ظنه ان الشام ستبقى بيده ، غير ان المعتمد أنفذ اماجور بجيش وقلده دمشق واعمالها ، فترك عيسى البلاد سنة ٢٥٧ هـ وسلم ما كان بيده الى أماجور التركي[٦٦] فكانت خدعة ذكية أبعدت عيسى عن مناطق نفوذه وأهله وعشيرته الذين كان يستمد منهم العون والنصرة في أعماله ٠

تولى عيسى بن الشيخ أمر ارمينية مكرها وجعل مركزه مدينة آمد ، وبقي موقفه سلبيا من السلطة ، وانتظر يتحين الفرص المواتية للانتقام لنفسه كلما لاحت في الافق علائم الفوضى والاضطراب تعم مركز الخلافة ، فعندما اختلف القادة الاتراك ، اسحاق بن كنداج مع أحمد بن موسى بن بغا بسبب تولية الاخير موسى بن اتامش منطقة ديار ربيعة ، فارق اسحاق معسكره واتجه الى مدينة بلد ، وواصل سيره الى الموصل وطلب من أهلها المال ، وكان عليها علي بن دواود الذي تهيأ لقتاله واجتمع معه حمدان بن حمدون ، واسحاق بن عمر بن أيوب حتى بلغت عدتهم خمسة عشر الفا وقامت الحرب فانتصر ابن كنداج ، وهرب حمدان وعلي الى نيسابور ، وابن أيوب الى نصيبين ، فاتبعه اسحاق بن كنداج ، غير أن ابن أيوب ترك نصيبين واتجه نحو آمد مستجيرا بعيسى بن الشيخ ، فكانت الفرصة الذهبية التي طالما انتظرها عيسى بن الشيخ ، وتهيأ عيسى فعلا لخوض الحرب ضد القائد التركي اسحاق بن كنداج فطلب نجدة عسكرية من والي أرزن[٦٧] غير ان ابن كنداج قفل راجعا ــ لاستلامه كتاب من الخليفة فيه أمر تعينه على الموصل وديار ربيعة وارمينية ــ تاركا على حصار عيسى بآمد جيشا اقلق عيسى بهجماته المتكررة ، وعندما أيقن عيسى أن الحصار قد طال ، ولم تصله امدادات من اية جهة من الجهات ، اضطر الى طلب الصلح كبقية الامراء على أن يقرهم ابن كنداج على اعمالهم مقابل مئتي الف دينار[٦٨] ٠ فبقي عيسى بن الشيخ عاملا على بلاد ارمينية وديار بكر الى ان توفي سنة ٢٦٩ هـ[٦٩] ٠

أحمد بن عيسى بن الشيخ

هو أحمد بنعيسى بن الشيخ الشيباني ، الامير ، صاحب آمد وديار بكر ، وعلى الاغلب ان أحمد هذا ، هو ابن عيسى بن الشيخ المذكور آنفا ، لانه يحمل نفس النسب[٧٠] وقد خلف والده على الارجح في ولاية تلك المناطق بعد وفاته سنة ٢٦٩ هـ .

أصبح لأحمد بن عيسى بن الشيخ نفوذا واسعا مكنه من الاستيلاء سنة ٢٧٩ هـ على قلعة ماردين وتغلب على صاحبها التركي محمد بن اسحاق بن كنداج[٧١] وقبض على ما فيها من الاموال ، فتأثر الخليفة المعتضد لذلك ، ومما زاد سخط الخليفة هذا ، على بني شيبان عامة ، ما قام به الاعراب منهم من خروج على السلطة واقلاق أمنها فصمم الخليفة المعتضد ان يضع حدا لهجوم القبائل الشيبانية وتمردها على السلطة ، ولتوسع نفوذ الامراء الشيبانيين ، فسار الخليفة بنفسه سنة ٢٨٠ هـ بحملة قوية أوقعت ببني شيبان مما يلي الجزيرة والزاب في الموضع المسمى بوادي الذئاب فقتل وأسر العدد الكبير منهم ، اما أحمد بن عيسى بن الشيخ فهرب من ماردين الى منطقته ، ولما رأى المعتضد ذلك بعث اليه بكتاب يطلب فيه الاموال التي استولى عليها من ابن كنداج اثناء استيلاءه على ماردين ، فأمتثل احمد بن عيسى لاوامر الخليفة وبعث بالاموال مع هدايا ودواب وبغال[٧٢] .

بقيت علاقة أحمد بن عيسى بن الشيخ بالخلافة حسنة بعد أحداث هذه الحرب ، ويتبين ذلك من موقفه من الخوارج حين ظفر بزعيمهم محمد ابن عبادة الخارجي بعد حرب ، وأخذه أسيرا الى المعتضد الذي قيل انه « سلخ جلده كما يسلخ الشاة »[٧٣] .

محمد بن احمد بن عيسى بن الشيخ

توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ بآمد سنة ٢٨٥ هـ ، وبلغ الخليفة خبر وفاته وسيطرة ابنه محمد على منطقة آمد وما يليها ، فثارت ثائرته لقوة نفوذ

هذه العائلة وتصرفها بأمر ولاية آمد دون علم وموافقة الخليفة ، فجهز جيشا قويا لتأديب هذا المتغلب ، صحب معه ابنه علي الملقب بالمكتفي ، بعد ان عقد له على الجزيرة وقنسرين والعواصم .

سار جيش الخليفة المعتضد سنة ٢٨٦ هـ متخذا طريقه عبر مدينة الموصل ، وسمع محمد بحملة الخليفة هذه فتهيأ لها متحديا سلطة الخليفة ، فتحصن في منطقته ، وأمر بسد أبواب المدينة ونصب المجانيق على سورها ، وعندما وصلت جيوش الخليفة حاصرت مدينة آمد ونصبت عليها المجانيق ثم اشتد القتال بين الطرفين وتراموا بالمجانيق ، ولما طال القتال دون نصر سريع رأى الخليفة ان يعامل محمدا بسياسة اللين والدبلوماسية فبعث اليه رسولا يقنعه بالنزول لاوامر الخليفة ويعطيه الامان لنفسه وأهله ، وسمعت (أم الشريف) وهي عمة محمد بن أحمد ، والتي ربما كانت بمقام امه ــ بكتاب المعتضد ، فاسرعت الى مقابلة الرسول وناقشت معه مسألة عصيان ابن أخيها الحدث الذي تأثر باراء من حوله وانصت لاقوالهم وبعثت بكتاب الى محمد ضمنته نصيحتها وموعظتها ورجته ان يحكم عقله في مثل هذه الامور ، غير ان محمدا انزعج من كتابها وطرحه ارضا معللا أن الامور لا يمكن ان تقاس باراء النساء ولا بعقولهن يتم الملك ، وطلب من رسول الخليفة ان يرجع لخليفته ويبين موقف محمد منه ، وفعلا رجع الرسول الى الخليفة ومعه كتاب أم الشريف الموجه الى محمد ، وأخبره بموقف محمد فاعجب الخليفة بكتابها ، ولكنه صمم على فتح مدينة آمد مهما كلفه ذلك ، فاشتدت الحرب وعظم القتال ، فيأس محمد من مقاومة جيوش الخليفة فاستسلم وطلب الامان لنفسه واهله ، فاستأمنه المعتضد[٧٤] .

وبعد أن فتح المعتضد آمد ، تذكر أم الشريف وكتابها ، فارسل اليها رسوله السابق ليفتش عنها ، فلما ابصرته أسفرت عن وجهها ، وانشدت شعرا عبرت فيه عن عزهم وشجاعتهم وغدر الزمان بهم بقولها :

ريب الزمان وصرفه ... وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا ... الصعب والبطل الشجاعا

ولقـــد نصحت فمـــا أطعت ، وكم حرصت بان أطاعـــا
يا ليت شعري هـل تـرى يـوما لفرقتنـا اجتمـــاعا

ثم بكت وضربت يدا بيد وهي تقول بانها كانت تعلم هذه النتيجـة المؤسفة ، ثم أخبرها الرسول ، بان الخليفة قد ارسله اليها فرجته أم الشريف أن يحمل الى الخليفة هذه الابيات الشعرية :

قل للخليفـة والامـام المرتضى وابن الخلائق من قريش الأبطح
بك أصلح اللـه البلاد وأهلها بعـد الفســاد وطالما لم تصلح
وتزحزت بك قبـة العـز التي لولاك بعـد اللـه لم تتزحزح
وأراك ربك ما تحب فلا تـرى ما لا يحب ، فجد بعفوك وأصفح
يا بهجـة الدنيـا وبدر ملوكها هـب ظالمي ومفسـدي لمصلح

ومضى الرسول الى الخليفة وأخبره بحال أم الشريف ووضع بين يديه ما قالته من الشعر فأعجب الخليفة بشعرها وأمر أن « يحمل اليها تخـوت من الثياب ، وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمـد مثل ذلك ، وشفعها في كثير من اهلها ممن عظم جرمه وأستحق العقوبة عليه »(٧٥) .

ان أمر هذه الحرب ونتائجها يلفت الانتباه ، فبعد أن يطلب الخليفة من محمـد التنـازل وحسم الموقف دون حرب يرفض محمد ذلك باباء ، وعندها يصمم الخليفة على فتح آمد ، ولكنه ــ أي الخليفة ــ يقبـل في آخر لحظة بينه وبين النصر وقتا قصيرا ، طلب الامان لمحمـــد . أن الامر الذي نستنتجه من وقائع هذه الحرب ، هو أن الخليفة ما كان يريد أن تصل الامور بينه وبين شيبان القبيلة ذات العز والمكانة السامية والقوة ، وكثرة انصارها وحلفائها ، الى القطيعة التامة فهم عرب وعلى أطـراف بلاد الروم والترك ، وبالتالي فهم سند الخلافة عند الملمات . وهكذا أحتل الشيبانيون كقبيلة كبيرة قوية مركزهم السياسي في اقليم الجـزيرة في القـرن الثالث الهجري . وبسبب تلك المكانة المهمة للشيبانيين والتي قدرها المعتضد حق قدرها من تجيش الجيوش الكبيرة والسير بنفسه اليهم ، انه بعد أن فتـح

مدينة آمد كما مر معنا سابقا ، بعث بكتاب الى مدينة السلام ليقرأ من على منبر المسجد الجامع يبشر الناس بفتح المعتضد لمدينة آمد[٧٦] وكأنه من أعظم الانتصارات العسكرية ، وفي الواقع لم يكن انتصارا بمغزاه الحربي وانما بمغزاه السياسي .

وبعد أن رجع المعتضد الى بغداد بلغته سنة ٢٨٧ هـ وشاية من أحد أقرباء محمد بن أحمد بن عيسى ، بان محمد يعزم على الهرب في جماعة من أهله واصحابه . فأمر الخليفة بالقاء القبض عليه وعلى جماعة من اهله وحبسهم في دار ابن طاهر[٧٧] .

الشيبانيون الخوارج

ظهر من بني شيبان خوارج ، قادوا الحملات العسكرية ضد السلطة ، وأقلقوها لفترة طويلة من الزمن ، وكان أبرز هؤلاء في القرن الثاني الهجري، الضحاك بن قيس الشيباني ، الذي خرج على الدولة الاموية سنة ١٢٧ هـ في منطقة اقليم الجزيرة وأتسعت حركته ، فاستحوذ على الكوفة وحاصر واسط . شغل الخليفة بمحاربته أكثر من خمس سنين[٧٨] ثم خرج الوليد ابن طريف الشيباني سنة ١٨٧ هـ على عهد الخليفة هارون الرشيد ، وكان الوليد قد اظهر من المقدرة الحربية والشجاعة مما أقلقت الخليفة هارون الرشيد، فبعث اليه بقائده يزيد بن مزيد الشيباني وهدده الخليفة بالموت ان لم يسرع في القضاء على حركته ، وفعلا استمات يزيد في الحرب حتى مكنه ذلك من القضاء على ثورة الوليد بن طريف وقتله[٧٩] .

وحل القرن الثالث الهجري ، قرن الاضطراب السياسي والفوضى العسكرية ، فاشتدت وقوت حركات الخوارج ، الذين اتعبوا الدولة عسكريا وأرهقوها ماليا ، فظهر منهم محمد بن عمرو الشيباني في اقليم الجزيرة بديار ربيعة معلنا خروجه على السلطة سنة ٢٣١ هـ على عهد الخليفة الواثق ، غير ان حركته هذه أخفقت ، اذ سرعان ما القي القبض عليه ، وارسل اسيرا الى الخليفة الواثق الذي أودعه السجن وصلب بقية اتباعه عند خشبة بابك[٨٠]

ويبدو أن محمد الخارجي كان قد فر من السجن أو خرج منه بشكل من الاشكال ، اذ اوردت المصادر انه خرج على السلطة في عهد الخليفة المنتصر سنة ٢٤٨ هـ بناحية الموصل ، واشتبك مع جيوش الخليفة بقيادة اسحاق ابن ثابت الفرغاني الذي تمكن من أسره أيضا[٨١] • ويظهر ان حركة محمد هذه لم تكن ذات أهمية عند الخليفة ، الذي لم يبادر الى ان يتخذ أشد الاجراءات في حق هذا الثائر ، القتل مثلا ، بل يدخله السجن ويقتل من وقف الى جانبه من أصحابه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، ان تبلبل الوضع السياسي وتبدل الخلفاء بفترة قصيرة ، اتاحت لمحمد وامثاله ان يلعبوا دورهم فيهربوا من السجن أو يخرجوا منه خلال تلك الظروف الصعبة التي تمر بها الخلافة ، ليعزم على الثورة ثانية في خلافة الخليفة الجديد ، لذا نرى ان محمد بن عمرو يخرج على السلطة في خلافة المستعين سنة ٢٥٢ هـ بديار ربيعة غير انه قتل في هذه المرة[٨٢] •

وفي سنة ٢٥٢ هـ خرج مساور بن عبدالحميد الشاري من بني شيبان[٨٣] في منطقة البوازيج ، معلنا تمرده على السلطة لسوء تصرف عمالها الاداريين ويرى ابن الاثير[٨٤] ان خروج مساور على السلطة كان بسبب سجن ابن مساور (حوثرة) من قبل رئيس شرطة الموصل ، والاساءة اليه خلقيا مما أغاض مساور فاعلنها ثورة على السلطة ، وبايعه عدد كبير من أهله وأصحابه • ويبدو ان سبب اعتداء رئيس الشرطة على ابن مساور ، انما يمثل عملا يراد منه النكاية به وبأبيه الخارجي ، وربما فهم الخوارج من أهل وجماعة وأصحاب مساور هذا العمل انذارا وتهديدا سافرا لهم ، لذلك التفوا حول مساور بأعداد كبيرة ومن بينهم عرب وأكراد استطاع ان يناول بهم جيوش الخلافة مرات عديدة[٨٥] •

أشتد أمر مساور الشاري سنة ٢٥٣ هـ[٨٦] فأهتم الخليفة المعتز لذلك وأرسل اليه جيشا يقوده القائد التركي أساتكين ، وكان مساور قد اتجه باتباعه صوب طريق خراسان ، وهناك اشتبك مع جيوش الخليفة بحرب

أسفرت عن مقتل عدد كبير من جنود الخليفة ، بعدها اتجه مساور الى جهة حلوان ، فخرج اليه اهلها فقاتلهم • ويذكر انه قتل منهم ما يقارب الاربعمائة رجل ، ثم سار الى جلولاء حيث قابلته جيوش الخليفة عندها ، وفي هـذه المرة ايضا أحرز مساور نصرا كبيرا حيث استطاع ان يفتك بعدد كبير منهم ، وفر من نجا منهم [٨٧] وهكذا تعاظم شأن مساور وكثر اتباعه فاستولى على أعمال الموصل[٨٨] وقيل انه سار بعد ذلك من الموصل « حتى قرب من سر من رأى ونزل المحمدية ثلاثة فراسخ من قصور الخليفة ودخل القصر وجلس على الفرش ودخل الحمام »[٨٩] •

لم يهدأ للخليفة بال ، بسبب انتصارات وتوسع نفوذ مساور البجلي[٩٠] فاوعز سنة ٢٥٤ هـ الى والي الموصل الحسن بن أيوب بن أحمد العدوي بتجهيز جيشا قويا ضم اليه حمدان بن حمدون جـد الامراء الحمدانيين ، لمقاتلة مساور الشاري فالتقوا به بالقرب من وادي الذئاب ، فأحرز الشاري النصر عليهم[٩١] •

كان لانتصارات مساور هذه الاثر الكبير في نفوس النـاس ، حيث استطاع أن يسير الى الموصل ويدخلها سنة ٢٥٥ هـ دون مقاومة اهلها مما يؤكد ان اهل الموصل كانوا غير راغبين في واليهـم الذي هرب وأستتر ، وترك مدينته طعمة لمساور ، اما مساور فلم يتعرض لاهل الموصل ، بل سار الى دار الوالي وأحرقها ، وفي يوم الجمعة دخل المسجد واعتلى المنبر وخطب بالناس قائلا « اللهم أصلحنا واصلح ولاتنا » وقيل انه عندما كان يخطب جعل الى جانبه حرسا يحرسونه بالسيوف • وبعدها قرر مساور ان يترك الموصل ، تلك المدينة الكبيرة الكثيرة السكان ويتخذ من الحديثـة دار هجرته[٩٢] •

بدأت حركة مساور المتعاظمة تعاني اختلافات بين صفوف زعمائهـا بسبب خلافات عقائدية ، وتحولت هذه الخلافات الى فرقة أستعدت بعضها البعض الآخر ، ونشب قتال فيما بينهم ، ومع ذلك ينجح مساور في تصفية

خصومه . وبلغ من سعة النفوذ بحيث انه منع وصول الاموال التي تمر بمناطق نفوذه الى دار الخلافة . ولم يكن أمام الخليفة المهتدي الذي شعر بتفاقم خطر مساور سوى اعلان حالة الحرب القصوى والتعبئة العامة للقادرين على حمل السلاح ــ النفير العام ــ وعقد الويه الجيش لقادة أتراك ، ولكن باءت جميع هذه الجهود بالفشل الذريع ، اذ قفل قادة الجيش راجعين الى سامراء اثر سماعهم أنباء الخلاف بين الاتراك والخليفة المهتدي الذي نجم عنه قتل المهتدي وتولية المعتمد خليفة للدولة العباسية[٩٣] . ووجه الخليفة الجديد أول اهتمامه نحو حركة مساور ، فسير اليه جيشا كبيرا عقد لواءه لمفلح التركي ، وكانت بدايات اللقاء الحربي بينهما لصالح جيوش الخليفة وعندها اعتصم مساور بالجبل بالقرب من منطقته الحديثة ، وأستمر مفلح في حصاره ، ولكن مساور نجح في مناورة عسكرية أراد بها ايهام مفلح بموقعه الحقيقي ، فسار مفلح صوب الموصل ظنا منه الالتقاء بمساور ، وبعد أن عبر مفلح الموصل وديار ربيعة ومنطقة سنجار ونصيبين ، عاد ثانية الى الحديثة بحثا عن مساور ، فظهر مساور وجنوده من خلفهم ودار قتال عنيف خسر فيه مفلح الكثير من جنوده مما أضطره الى الانسحاب الى سامراء ، فاستولى مساور على تلك المناطق وجبى خراجها[٩٤] .

وفي سنة ٢٥٨ هـ ولى الخليفة المعتمد مسرور البلخي منطقة الجزيرة والموصل ، ودارت « بينه وبين مساور الشيباني حروب » كثيرة لم يستطع مسرور القضاء على حركة مساور هذه غير انه تمكن من تأسير عدد من اصحاب مساور[٩٥] .

صعب على الخليفة المعتمد ، أمر مساور الشاري ورأى في سنة ٢٥٩ هـ ان يولي منطقة الموصل الى اساتكين ــ من كبار القواد الاتراك ــ وبعث اساتكين هذا بابنه اذكوتكين واليا عليها ، ولكنه أساء التصرف في ادارتها ، ولم يحسن السيرة بين أهلها الذين ضجروا منه ، وخرجوا عليه وقاتلوه قتالا

شديدا حتى اجبروه على الخروج من بلدهم الى سامـراء[٩٦] . مهـدت اضطرابات الموصل هذه السبيل امام حركة مساور ان تتسع ، ويزداد خطرها على الدولة ، بحيث استطاع مساور في سنة ٢٦١ هـ من قتل يحيى بن حفص مسؤول منطقة خراسان ، وسار القائد مسـرور البلخي بنفسه ليتتبع اثـر ساور غير انه لم يظفر به[٩٧] .

يمكننا أن نعزي رجحان كفة مساور واتباعه في حروبهم مع جيوش الدولة العباسية الى أسباب منها أولا ــ ما كان للوضع السياسي والاقتصادي والاداري والعسكري الذي أحاط بالدولة العباسية ، من اثر في ذلك ، ثانيا أعتماد مساور لنظام الحرب التقليدية تارة ، والحيل العسكرية تارة اخرى ، كلما اقتضى الموقف العسكري لمعركة من المعارك ، فانسحابه من الجبـل لايهام عدوه بتحركاته ، والتفافه عليه من الخلف ونجاحه لتسديد ضـربة قوية لجيش مفلح ، خير مثل على ذلك ، ثم تتبع مسرور البلخي لمساور بعد قتله والي خراسان ، مثل آخر لاسلوب مساور في الحـرب ، ثالثا ، كانت المنطقة التي تحرك في أطرافها مساور واستمد من اهلها العـون والدعم في نشاطاته المختلفة ، شيبانية خارجيـة على الاغلب ، فان لم يكن أنصـاره ومؤيدوه خوارج يدعمونه بسبب العقيدة ، فهم شيبانيون ينصرونه بسبب انتمائهم القبلي .

توفي مساور الخارجي سنة ٢٦٣ هـ عندما كان على رأس جيش لمقابلة جيوش الخليفة في منطقة البوازيج ، وولى أصحابه من بعده عليهم هارون ابن عبـدالله البجـلي[٩٨] . الذي كان مـن اكبر اعـوان مسـاور الشاري[٩٩] .

شهد اقليم الجزيرة سنة ٢٧٢ هـ حدثا عزز من قـوة هارون الشاري وزاد من نفوذه عندما أعلن حمدان بن حمدون خروجه عن طاعة الخليفة ، وانضمامه الى هارون الشاري ، ووجد هارون في نفسه القوة الكافية بعد تحالف حمدان معه فسارا سوية الى الموصل ودخلاها « وصلى الشاري بهم في مسجد الجامع »[١٠٠] .

وتوطيدا لمواقع أقدامهم وسيطرتهم وتنفذهم في اقليم الجزيرة ، وقفوا بالمرصاد لأية جماعة يشم من تحركها رائحة التعاون مع السلطة ، حتى لو كانت هذه الجماعة من أقرب أقربائهم ، فقد صادف أن ولت السلطة العباسية رجلا من موالي الشيبانيين على مدينة الموصل ، ورفض سكان الموصل قبوله واليا عليهم فاستنجد الوالي ببني شيبان الذين تحركوا سنة ٢٧٩ هـ وعبروا الزاب لفرض سلطة والي المدينة على اهلها بالقوة ، عند ذلك شعر هارون بضرورة التحرك السريع خشية استفحال أمر هذه المجموعة من الشيبانيين الذين كانوا بعملهم هذا يؤيدون السلطة عن قصد أو دون قصد ، وخشية اشتغلالهم من قبل السلطة في نجاحهم لتثبيت والي الموصل بتحويلهم صوب الخوارج أعداء الدولة الاقوياء ، فسار هارون وحمدان وأهل الموصل لقتال الاعراب من بني شيبان بالقرب من بعشيقا ، غير ان نتائج المعارك كانت لمصالح الاعراب[١٠١] .

تعرضت حركة هارون الشاري الى انقسامات بين صفوفها لبعض احين ، مما عطل نشاطات هارون الموجهة ضد السلطة العباسية ، فقد شق عليه عصا الطاعة محمد بن عبادة الذي يعرف بابي جوزة سنة ٢٨٠ هـ وكثر اتباعه فبنى له عند سنجار حصنا وضع فيه مائة وخمسون رجلا بقيادة ابنه ـ ابا هلال ـ مما أثار حفيظة الشاري فذهب الى بني تغلب وأستنصرهم ، فاجتمع بين يديه منهم عددا كبيرا سار بهم الى الحصن وحاصره ، ولعب بنو تغلب دورا فعالا في اقناع اتباع محمد داخل الحصن بالقاء اسلحتهم بعد أن أمنوهم عن طريق المكاتبة معهم ، وبذلك استطاع هارون أن يملك الحصن ويقيد ابن محمد . ثم سار هارون بعد ذلك الى قبراثا[١٠٢] قاصدا محمد بن عبادة الذي قابله بجيش يقدر باربعة آلاف رجل ، وخسر هارون الجولة الاولى من الحرب أمامه ، ولكنه نجح أخيرا في تسديد ضربة لجيش محمد انهزم على اثرها محمد نفسه الى منطقة آمد فوقع بيد صاحبها أحمد بن عيسى بن الشيخ ـ بعد قتال ـ فارسله بدوره الى الخليفة المعتضد الذي

سلخ جلده[١٠٣] وبذلك انفرد هارون برئاسة الخوارج وازداد نفوذه فسيطر على « القرى والرساتيق ، ثم جعل على دجلة من يأخذ الخاوة من الاموال الصادرة والواردة ، وبث نوابه في المناطق يأخذون الاعشار من الغلات »[١٠٤] .

قرر المعتضد بعد ما صار اليه أمر الخوارج من الاتساع والقوة أن يضربهم ويضرب حمدان الذي انضوى تحت لواء هارون ، وفي المقابل اجتمع بنو تغلب لصد هجوم المعتضد ولكنهم غلبوا على أمرهم ، اذ استطاعت جيوش الخليفة من قتل واغراق أعداد كبيرة منهم في الزاب[١٠٥] . بعدها واصل المعتضد سيره نحو الموصل في طريقه الى قلعة ماردين مقر حمدان ابن حمدون وعندما علم حمدان بقرب جيوش الخليفة من مقره ، فر من القلعة موليا عليها ابنه الحسين ليواجه جيوش الخليفة ، ولكن الاخير استسلم للخليفة بعد حصار قصير . وارسل المعتضد جيشا يقتفي أثر حمدان ، وكان حمدان قد لجأ الى أحد ولاة الخليفة في اقليم الجزيرة ، فاستأمنه هذا ثم ارسله الى الخليفة حيث القاه في السجن[١٠٦] .

نجح المعتضد في تركيز الحرب ضد حمدان ثم سجنه ، من عزل هارون عن حليف قوي استندت اليه حركة الخوارج في اقليم الجزيرة . ورغبة منه في تعميق الخلاف بين تغلب وبين جماعة هارون ، أستعدى الحسين بن حمدان التغلبي على هارون ، ووافق في نفس الوقت المعتضد على شروط الحسين في حالة نجاحه ، باخراج والده حمدان من السجن .

سار الحسين الى هارون في ثلاثمائة فارس ومعه من قواد الاتراك وصيف بن موسكير ، وعندما قرب الحسين الى مخاضة في دجلة ، أوعز الى وصيف ومن معه ان يلزموا هذا الجانب ليسدوا الطريق على هارون في حالة هربه ، ويسير هو بالجيش لملاقاة هارون . وسار الحسين والتقى بهارون وجرت حرب بينهما انهزم فيها هارون وجاء المخاضة فعبرها دون مقاومة ثم اختفى ، ذلك لأن وصيف وجماعته كانوا قد فارقوا اماكنهم ، وظنوا ان

الحسين يريد أن يظفر بهارون دونهم ، فساروا في أثره . وعندما جاء الحسين متتبعا اثر هارون تألم كثيرا عندما أحس ان خطته قد فشلت وهرب هارون وافتقده ، عندها ذهب الى أحياء العرب هناك واستجوبهم فاخبروه بانه اجتازهم ، فسار في اثره ولقيه بعد أيام مع عدد من أصحابه يقدرون بمائة رجل ، فالقى الحسين بنفسه على هارون وأخذه أسيرا الى المعتضد ، فاركبوه على فيل والبسوه لباس التشهير ــ دراعة ديباج وبرنس حرير طويل على رأسه ــ رغما عنه ، وقيل انه عندما صلب كان يردد باعلى صوته : « لا حكم الا لله ولو كره المشركون » وخلع المعتضد الخلع والهدايا على الحسين كما بر بوعده فأمر « بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه والاحسان اليه ، ووعده باطلاقه »[١٠٧] .

موقف اعراب بني شيبان من السلطة

لم تتهيأ الفرصة لجميع الشيبانيين بالاستقرار في مراكز المدن الرئيسية لاقليم الجزيرة ، بل بقيت بعض البطون والافخاذ تراوح بين الاستقرار والترحل وتسكن اطراف المدن . وكانت العلاقة بينهم وبين السلطة العباسية تتسم بطابع العداء في معظم الاحيان لسببين أحدهما ضعف السلطة المركزية الذي يشجع دائما القبائل البدوية ونصف البدوية على الغزو والاغارة ، والثاني ميلهم القبلي لبني جلدتهم الشيبانيون من سكان المدن الذين عرفنا مواقفهم المعادية للسلطة ايضا ، بسبب مذهبهم الخارجي أو اعتراضهم على سلوك وتصرف الخليفة ، يضاف الى ذلك سوء أحوالهم الاقتصادية ، واسقاط اسمائهم من ديوان الخراج ــ كما اسلفنا ــ شجعهم اكثر للخروج عن طاعة الخلافة . وكانت مراكز انتشار هذه القبائل اطراف الموصل خاصة شرقيها[١٠٨] . ومما يؤكد بقاء روح العصبية القبلية تفسير الخليفة المأمون لخروج القبائل ضده وخاصة قبيلة ربيعة ــ وشيبان منها ــ قوله : انها كانت « ساخطة على الله منذ بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من مضر ، ولم يخرج اثنان الا خرج أحدهما شاريا »[١٠٩] .

وفي عهد الخليفة المأمون كتب واليه على الجزيرة عبدالله بن طاهر ، الى سائر المتغلبين في مناطق الجزيرة ، فاجابوه على الطاعة ، وطلبوا منه أن يرسل لهم الامانات فوافق على ذلك(١١٠) غير أن حالة الهدوء هذه لم تدم طويلا ، اذ سرعان ما قطعت هذه القبائل ـ واغلبهم من بني شيبان ـ طريق خراسان واستولت على أموال كانت في طريقها الى دار الخلافة(١١١) وربما دفعتها ظروفها الاقتصادية الى القيام بمثل هذا العمل ، اذ رافق هذا العام (٢٠٧ هـ) غلاء في العراق حتى « بلغ القفيز(١١٢) من الحنطة بالهاروني اربعين درهما الى الخمسين بالقفيز الملجم »(١١٣) . ولكن الخليفة المأمون لم يغفل عملهم هذا بل كتب الى السيد بن أنس والي الموصل بضربهم « حتى تستأصل شأفتهم وأسب ذريتهم » وفعلا خرج اليهم ابن أنس وكبسهم بالدسكرة(١١٤) واوقع بهم شر وقعة فأسر وقتل العد الكبير منهم ، واستولى على أموالهم ، وحمل روؤس قتلاهم في السفن الى المأمون(١١٥) .

وفي سنة ٢٥١ هـ قيل ان الخليفة المعتز أرسل ما يقارب مائتين جندي بين فارس وراجل الى ناحية البندنجيين(١١٦) يرأسهم رجل تركي يسمى أبلج، فاتجهوا الى دار الحسن بن علي الشيباني ، فانتهبوها وأغاروا على قريته وقرى أخرى قريبة منها فلما أطمأن هؤلاء بظفرهم ، استنجد الحسن بن علي قومه وأخواله الاكراد ـ لان أمه كانت كردية ـ فغاروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ، من بينهم قائدهم أبلج وارسلوا بروؤس القتلى الى بغداد(١١٧) .

كان بنو شيبان متهيأون دوما للخروج على السلطة ، بحيث أخذوا يلبون دعوة أو نجدة كل من يستنجد بهم ، وفعلا حصل ذلك في سنة ٢٥٣ هـ عندما استجارت قبيلة عنزة ببني شيبان واعلنوها حربا على القائم بأمر الموصل سليمان بن عمران الازدي الذي اشترى ناحية من المرج فطلب منه رجل من عنزة الشفعة فلم يجبه سليمان مما دفع ذلك الرجل ان يحرض قومه عنزة عليه ، واستجارت هذه ببني شيبان ، فهاجموا القرى ونهبوا الاموال ، وخرج اليه سليمان بجموع من اهل الموصل ، فوقعت بين الاثنين

حرب شديدة ظفر بها سليمان حتى قيل انه « أدخل من رؤوسهم الى الموصل اكثر من مائتي رأس »[118] .

وعندما عين اسحاق بن كنداج واليا على الموصل سنة ٢٦٧ هـ أشتبك بحرب مع عيسى بن الشيخ الشيباني وحمدان بن حمدون ومن دخل الى جانبهم من قبائل ربيعة وبكر وتغلب ، ولكن ابن كنداج استطاع ان يهزمهم الى نصيبين ثم الى آمد وهناك حاصر عيسى بن الشيخ هناك[119] .

بقيت القبائل الشيبانية تترقب الظروف السياسية ، وتتحين الفرص لاعلان سخطها على السلطة ، وعندما خلع الطاعة حمدان بن حمدون سنة ٢٧٢ هـ وانضم الى هارون الخارجي ، مما أدى الى اضطراب الخليفة وتهيأه لحربهم . استغل بنو شيبان ذلك الوضع ، وهاجموا نواحي المدن فسلبوا ونهبوا ثم ساروا الى الموصل وعبروا الجانب الشرقي من دجلة ، وباءت محاولات هارون وحمدان للتصدي لهم بالفشل كما اسلفنا الكلام عن ذلك[120] .

وفي سنة ٢٧٩ هـ وقف بنو شيبان الى جانب ولاتهم الشيبانيين ، فعندما عين هارون بن سيما مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ واليا على الموصل ، رفضوه اهلها ، فخرج بنو شيبان وعبروا الزاب بخيمهم واثقالهم، فتصدت لهم القوى المسيطرة على الجزيرة انذاك ــ هارون وحمدان ــ وبمساعدة أهل الموصل، اشتبكوا مع بني شيبان بحرب انهزم فيها الشيبانيون في بداية الامر ونهبت أموالهم . فهربوا الى الزاب ، وبعد أن صعب عليهم عبور الزاب ، ووجدوا خصومهم منشغلين في السلب والنهب ، أعادوا الكر عليهم فقتلوا منهم الكثير ، وضربت الفوضى اثر هذه المعارك ، أطنابها في مدينة الموصل ، فذهب وفد من اهلها الى بغداد يطلبون تعيين واليا عليهم ، وفي الطريق كانوا قد التقوا بمحمد بن يحيى المجروح الذي كان قد استلم أمر ولاية الموصل[121] .

اضطرب المعتضد لوضع بني شيبان وكثرة غاراتهم هذه ، فصمم وضع حد لها بحملة قادها بنفسه سنة ٢٨٠ هـ متوجها صوب أماكن سكناهم ،

ولما سمع بنو شيبان بحملة المعتضد هذه تهيأوا لقتاله ، وسار المعتضد ، وقصد بعض الاعراب منهم عند السن ونهب الجند أموالهم وقتلوا الكثير منهم ، وغنموا منهم غنائم كثيرة حتى قيل : « عجز الناس عن حمل ما غنموه فبيعت الشاة بدرهم والبعير بخمسة دراهم » وأمر بالنساء والذراري ان يحفظوا حتى يأخذهم الى بغداد ، وبعدها سار الى الموصل ، وعند رجوعه منها ، خرج اليه بنو شيبان يسألونه الصفح عنهم ، وبذلوا له الرهائن ، فأخذ منهم خمسمائة رجل رهينة[١٢٢] .

لم تعط حملة المعتضد الانفة الذكر لبني شيبان درسا ، بل استمروا على تحديهم للسلطة ، فاغاروا سنة ٢٨٦ هـ على القرى في منطقة الانبار وقتلوا وأخذوا المواشي ، ولم يستطع مسؤول هذه المنطقة أن يردهم فكتب الى المعتضد يسأله العون ، فأمده الخليفة بجيش اشتبك مع الاعراب بمعركة اندحر فيها ، وتألم الخليفة لهزيمة جيشه هذه ، فارسل جيشا آخر ، غير أن الاعراب تحولوا الى منطقة عين التمر فافسدوا وعاثوا هناك ، فوجه اليهم المعتضد جيشا ثالثا الى عين التمر ، غير أن الاعراب لزموا طريق البادية متجهين الى نواحي الشام ، وهكذا عاد جيش الخليفة الى بغداد بعد ان اخفق في ملاقاة هذه القبائل وتأديبها[١٢٣] .

وعلى الرغم من أن موقف قبيلة بني شيبان من السلطة خلال القرن الثالث الهجري يتسم بالعداء والاقتتال ، لكننا عثرنا في أخبار هذه القرن تعاونا بين الشيبانيين والخلافة ، ففي سنة ٢٩٠ هـ ثار القرمطة ببلاد الشام وحاصروا عاملها وقتلوا الكثير من اهلها ، فسار اليهم المكتفي بجيش أسهم فيه بنو شيبان ، ونجح هذا الجيش من تفريق القرمطة ، والقاء القبض على بعض زعمائهم[١٢٤] .

كما شارك بنو شيبان ثانية مع جنود الخليفة في حرب القرامطة الذين كانوا تحت قيادة ذكرويه القرمطي ، وهزم القرامطة في المعارك التي دارت في منطقة بين الكوفة والبصرة ، حيث أصيب قائدهم بجروح لم تمهله

الوصول الى بغداد أسيرا[١٢٥] • وربما يرجع سبب هذا الموقف الى سلوك الخليفة المكتفي بالذات مع الشيبانيين ، أو بسبب الخلاف المذهبي بينهم وبين القرامطة •

وهكذا نأتي على نهاية القرن الثالث الهجري ودور الشيبانيين ولاة وزعماء وقادة وقبائل وخوارج فيه •

الهوامش

(١) ابن تغر بردي ــ النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ٢٢٣/٢ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية .

(٢) فلهاوزن ــ الدولة العربية وسقوطها ص ١٨٧ ، نقله الى العربية الدكتور يوسف العش دمشق ١٣٧٦ هـ ، ١٩٥٦ م .

(٣) ابن دريد ــ الاشتقاق ص ١٢ وقد جاء فيه ان العرب سمت شيبان وهو فعلان من الشيّب . تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، مطبعة السنة النبوية . مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٧٨ ، ١٩٥٨ ، ياقوت ــ معجم البلدان ٣٤٥/٣ ليبزك ١٨٦٨ يذكر فيه عن ابن جنى : انه يحتمل ان يكون من شاب يشوب ويكون أصله على هذا شيوبان ، فلما اجتمعت الواو والياء على هذه الصورة قلبت الواو ياء وادغمت فيها فصار شيبان ومثله في كلام العرب ريحان وريدان ، والشيباني ، اما ان يكون منسوب الى القبيلة ، او منسوب الى جده الاعلى وليس من القبيلة ، واما منتسب اليها . انظر ابن القيسراني ــ محمد بن طاهر ــ الانساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط ص ٨٤ . بريل ١٨٦٥ .

(٤) ابن منظور ــ لسان العرب ٥١٤/١ مادة شيب ، دار صادر ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م ، انظر شجرة نسب شيبان في كتاب يزيد بن مزيد ــ عبد الجبار الجومرد ص ٢٥ ، ٢٦ ، الطبعة الاولى ، دار الطليعة بيروت ١٩٦١ م .

(٥) ابن حزم ـ جمهرة انساب العرب ص ٣٠٢ ، نشر وتحقيق ا. ليفي بروفنال ، دار المعارف مصر ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م ، القلقشندي ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ٣٣٨/١ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ـ المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٣٦١/٣ الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م شرح وتصحيح أحمد أمين وآخرون .

(٦) الزركلي ـ الاعلام ٩٠/٨ الطبعة الثانية ، مطبعة كوستا توماس وشركاه ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .

(٧) ابن حزم ـ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧ ، القلقشندي ـ نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ص ٣٠٩ تحقيق ابراهيم الابياري ، الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٥٩ ، النويري ـ نهاية الأرب في معرفة فنون العرب ٣٣٢/٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤ ، ابن عبد ربه ٣٦١/٣ .

(٨) ابن حوقل ـ صورة الارض ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ليدن ١٩٢٨ ، ابو الفدا ـ تقويم البلدان ص ٢٧٣ ، اعتنى بتصحيحه رينورد وماك كولبن ، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠ ، القلقشندي ـ صبح الاعشى ٣١٤/٤ .

(٩) ابو الفدا ـ ص ٢١٣ ، القلقشندي ـ صبح الاعشى ٣١٥/٤ .

(١٠) ياقوت ٦٢٧/٢ ، طهران ١٩٦٥ ، فيصل السامر ـ الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ١٣٩/١ مطبعة الايمان بغداد ١٩٧٠ وتجد فيه وصفا وافيا لجغرافية اقليم الجزيرة انظر من ص ١٢٣ ـ ١٦٤ .

(١١) مدينة على شاطىء الفرات الغربي في طرف بلاد الروم . ياقوت ١٥١/٣ ـ ١٥٢ .

(١٢) السامر ١٣٤/١ .

(١٣) من مناطق ديار بكر ، غربي دجلة ، عليها سور حصين جدا مبنى من الحجارة السود ، وارضها كثيرة الخصب . ابو الفدا ـ تقويم البلدن ص ٢٨٧ .

(١٤) ياقوت ٦٣٧/٢ .

(١٥) القلقشندي ـ صبح الاعشى ٣١٥/٤ .

(١٦) السامر ١٦٨/١ ـ ١٦٩ .

(١٧) المصدر السابق ١٦٨/١ ـ ١٦٩ .

(١٨) المصدر السابق ١٦٩/١ ـ ١٧٠ .

(١٩) المصدر السابق ١٧٢/١ ـ ١٧٣ ، ١٦٥/١ .

(٢٠) صورة الارض ص ٢٢٨ ، ليدن ١٩٢٨ .

(٢١) بلدة بالقرب من تكريت على فم الزاب الاسفل عندما يصب في دجلة . ياقوت ٧٥٠/١ .

(٢٢) صفة جزيرة العرب ص ١٣٣ ، تحقيق النجدي مطبعة السعادة مصر ١٩٥٣ م .

(٢٣) تاريخ الموصل ٧٣/١ المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م .

(٢٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٣٧/١٠ تحقيق محمد ابو الفضل دار المعارف - مصر .

(٢٥) السامر ١٨١/١ - ١٨٦ .

(٢٦) المصدر السابق ١٨٧/١ - ١٩١ .

(٢٧) الجومرد ، ص ٢٩ .

(٢٨) حدثت‌هذه الحرب بين بكر وتغلب وسببها ان امراة من بني شيبان تدعى البسوس جاءت لزيارة ابن اختها جساس بن مرة الشيباني ، وتركت ناقتها طليقة في مرعاها ، فدخلت الناقة حمى كليب التغلبي الذي حرمه على غير ابله ، ورماها كليب بسهم خرم ضرعها ، فاعتبرتها البسوس اهانة ، فحرضت قومها على كليب ، وخرج اليه جساس وقتله بعد عتاب . انظر ايام العرب ص ١٠٩ - ١١٢ ، ١٤٢ - ١٤٤ تأليف محمد احمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمود ابو الفضل ، الطبعة الاولى ١٣٦١هـ ، ١٩٤٢م ، مطبعة عيسى الحلبي - مصر .

(٢٩) ايام العرب ص ٤٦ .

(٣٠) الطبري ٢٠٥/٢ ، ايام العرب ص ٢٣ - ٢٤ .

(٣١) ايام العرب ص ٢٧ - ٣٢ .

(٣٢) الطبري ٤٥٦/٣ - ٤٥٧ .

(٣٣) الجومرد ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣٤) المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢٨٦/٣ ، دار الاندلس للطباعة والنشر - بيروت .

(٣٥) الطبري ٤٥٣/٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٥٠٢/٥ - ٥٠٤ دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

(٣٦) ابن الاثير ٦٠٦/٥ .

(٣٧) الطبري ١٢٤/٨ ، ١٥٢ .

(٣٨) المصدر السابق ٢٦١/٨ ، الازدي - تاريخ الموصل ص ٢٩٧ ، تحقيق علي حبيبة القاهرة ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م .

(٣٩) الطبري ٢٧٠/٨ ، ابن الاثير ١٦٦/٦ .

(٤٠) بلد في أقصى اذربيجان ، ومعناه بالفارسية موضع السبي ، ياقوت ٥٥٨/١ .

(٤١) الطبري ٢٧٣/٨ .

(٤٢) ابن حزم ص ٣٠٧ ، الزركلي ٢٤٤/٩ .

(٤٣) ابن حزم ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٤٤) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣٤٢/١ ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

(٤٥) اليعقوبي ـ تاريخ ٥٥٥/٢ ـ ٥٥٦ ، بريل ١٨٨٣ .

(٤٦) الازدي ص ٣٢٣ ، الزركلي ٣٤٣/٢ ، الجومرد ص ٢٧٣ ، وقد جاء عند الازدي ص ٣١٠ ان سبب زيادة المأمون ديار ربيعة لولاية خالد ذلك ان خالد عندما بلغ الموصل وأراد الدخول مع جيشه من بابها نشب اللواء بسقف الباب فاندق ، فتشائم خالد من ذلك ، غير ان الشاعر ابي الشيص محمد بن رزيق الذي كان معه ارتجل له شعرا قال فيه :

ما كان مندق اللواء لطيرة تخشى ولا أمر يكون مؤيلا
لكن هذا الرمح أضعف ركنه صغر الولاية فاستقل الموصلا

فَفرح خالد بقوله واستبشر ، وقيل ان الخليفة المأمون سمع بذلك فكتب الى خالد : لقد استقل رمحك الموصل فزدنا في ولايتك ديار ربيعة كلها .

(٤٧) اليعقوبي ٥٦٥/٢ ـ ٥٦٦ .

(٤٨) الطبري ٦٠٣/٨ .

(٤٩) الجومرد ص ٢٧٢ .

(٥٠) ديوان ابي تمام ٧/١ هامش رقم (١) شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبد عزام دار المعارف مصر ١٩٦٥م .

(٥١) جاء في ياقوت ٥٤٨/٢ ـ ٥٤٩ ان دبيل مدينة بارمينية ، ودبيل موضع يتاخم اعراض اليمامة .

(٥٢) اليعقوبي ٥٨٧/٢ ـ ٥٨٨ ، الزركلي ٣٤٣/٢ .

(٥٣) روي ان الشاعر ابا تمام قصد خالد وهو بارمينية فامتدحه بقصيدة ، اجزاه خالد عليها بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره ، ومضت أيام وظن خالد أن الشاعر قد رحل الى اهله ، وصادف ان خرج خالد يتصيد فرأى أبا تمام تحت شجرة وبين يديه زكرة فيها شراب وغلام يغنيه فسأله خالد مالذي فعله بالمال) فاجابه الشاعر :

علمني جودك السماح فما أبقيت شيئا لدي من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرة كمقدرتك

تنفق في اليـــوم بالهبات وفي الســـاعة ما تجنيـــه في سنتك
فلست ادري من أين تنفق لو لا ان ربـــي يمـــد في هبتك

وقيل ان خالد عندما سمع قصيدة ابي تمام هذه أمر له بعشرة آلاف اخرى . انظر : الاصفهاني – الاغاني ٣١٠/١٦ تحقيـق عبدالسـتار احمد فراج – دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥م ، الصولي – اخبـار ابي تمام ص ١٥٨ تحقيق خليل محمود وغيره قدم له احمد امين ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر . وعند وفاة خالد بن يزيد ، رثاه أبو تمام بقصيدة منها :

ومنها :

أالله انى خـالد بعـد خـالد وناس سراج المجد نجم المحامد؟

ومنهـــا :

اشيبان عمت نارها من مصيبة فما اشتكى وجد الى غير واجد
اذا شب نارا أقعدت كل قائم وقام لها من خوفه كل قاعـد

انظر ديوان ابي تمام – ٦٥/٤ – ٧٣ .

(٥٤) الطبري ٣٠٣/٩ .

(٥٥) ابن الاثير ١٧٦/٧ .

(٥٦) ثائر كان في حبس اسحاق بن ابراهيم ، شفع له بغا الشرابي ، واخذ منه نحو ثلاثين كفيلا منهم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، وكان يتردد بسامراء ، ثم هرب الى مرند ، واجتمع اليـه من رغب الفتنة من مناطق متعددة ، انظر الطبري ١٦٥/٩ .

(٥٧) الطبري ١٦٥/٩ ، ابن الاثير ٤٢/٧ .

(٥٨) المصدر السابق ٣٠٨/٩ ، المصدر السابق ١٦٣/٧ .

(٥٩) الطبري ٣٧٢/٩ ، ابن الاثير ١٧٦/٧ ، الزرمكي ٢٨٨/٥ .

(٦٠) اليعقوبي ٦١١/٢ – ٦١٢ .

(٦١) المصدر السابق ٦١٣/٢ – ٦١٤ .

(٦٢) الطبري ٤٧٤/٩ – ٤٧٥ ، ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، الكندي – الولاة وكتاب القضاء ص ٢١٤ مطبعـــة الاباء اليسوعيين – بيروت ١٩٠٨ ، ابن تغر بردى – النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ٧/٣ وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية ، انظر ايضا زامباور معجم الاسرات الحاكمة ، مطبعة فؤاد الاول ١٩٥١ جـ١ ص ٤٣ وقد التبس عليه الامر فخلط بين شخصيتين الاولى عيسى بن الشيخ الشيباني ، والثانية النوشري بن طاجيل ، وذكر ان والي دمشق منذ زمن المنتصر سنة ٢٤٧هـ هو « عيسى بن محمد بن السليل النوشري المعروف بابن

الشيخ وقد استردها منه أماجور سنة ٢٥٦هـ الذي انتصر على منصور ابن عيسى بن محمد النوشري » وهذا التباس واضح فالنوشري بن طاجيل تركي الاصل وهو والي دمشق من قبل الخليفة فعندما استولى عليها عيسى بن الشيخ الذي يرجع نسبه الى جساس بن مرة بن ذهل ابن شيبان ، سنة ٢٥٦ هـ زحف اليه النوشري ، كما زحف عيسى بن الشيخ لمقابلته ، والتقى الاثنان في منطقة الاردن ، ووقعت حرب بينهما قتل فيها ابن النوشري ، وخاض عيسى بن الشيخ حربا أخرى مع جيش بقيادة أماجور التركي الذي جاء ليسترد دمشق منه سنة ٢٥٦ هـ قتل في هذه الحرب منصور بن عيسى بن الشيخ وخليفته ظفر بن اليمان . انظر اليعقوبي ٦١١/٢ . وهناك فرق كبير بين الشخصيتين السابقتين انظر الفهرس للطبري وابن الاثير تحت اسم عيسى بن الشيخ والنوشري وكذلك الاعلام — للزركلي ٢٨٨/٥ ترجمة عيسى بن الشيخ وكذلك ٢٩٢/٥ ترجمة النوشري .

(٦٣) ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، الكندي ص ٢١٤ ذكر فيه ان الاموال كانت « سبع مائة الف دينار وخمسين الف » .

(٦٤) اليعقوبي ٦١٨/٢ ، ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، الكندي ص ٢١٤ ، ابن تغربردي ٧/٣ .

(٦٥) اليعقوبي ٦١٨/٢ — ٦٢٠ ، الكندي ص ٢١٤ .

(٦٦) المصدر السابق ٦١٢/٢ ، الطبري ٤٧٥/٩ ، ابن الاثير ٢٣٨/٧ ، ابن خلدون — العبر ٣٢٩/٣ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات — بيروت لبنان ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

(٦٧) وهي مدينة مشهورة من نواحي ارمينية ، وقيل انها من اطراف ديار بكر ، وعدها بعضهم من نواحي الجزيرة . ياقوت ٢٠٥/١ — ٢٠٦ .

(٦٨) الطبري ٥٥٣/٩ ، ابن الاثير ٣٣٣/٧ — ٣٣٤ ، ابن خلدون ٣٢٩/٣ .

(٦٩) الطبري ٦٢٧/٩ ، ابن الاثير ٣٥٧/٧ ، أما ابن خلدون ٣٤٤/٣ يذكر ان تاريخ وفاته كانت سنة ٢٦٨ هـ ، وابن تغر بردي في النجوم ٤٦/٣ ان وفاته كانت سنة ٢٧٠ هـ .

(٧٠) يذكر ابن الاثير ١٧٦/٧ نسب عيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وابن حزم في جمهرة الانساب ص ٣٠٦ يذكر نسب أحمد بن عيسى فيقول : (... وهؤلاء بنو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، من ولد جساس بن مرة : شهاب ولأي ... منهم القائم بأمر أحمد بن عيسى بن الشيخ) وان كلامه (القائم بأمر احمد بن عيسى بن الشيخ) غير واضح ومن المؤكد ان كلمة (آمد) قد سقطت ، فهو أراد أن يقول : (القائم بأمر

آمد) احمد بن عيسى بن الشيخ ، اذ ان كافة المصادر تعرّف احمد ابن عيسى بن الشيخ بانه صاحب آمد ، انظر الطبري ٦٨/١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٧٨/١١ الطبعة الاولى مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦ ، ابن تغر بردي ١١٦/٣ ، الزركلي ١٨٢/١ .

(٧١) الطبري ٣١/١٠ ، ابن الاثير ٤٦٠/٧ ، يذكر تحسين في كتابه (المعتضد بالله) اطروحة غير مطبوعة ص ٦٦ ان المعتضد عندما تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ كانت تواجهه مشاكل عدة في الجزيرة منها تمرد عيسى ابن الشيخ وانه اراد بذلك القول احمد بن عيسى بن الشيخ ، لان عيسى بن الشيخ كان قد توفي سنة ٢٦٩ هـ ، انظر الطبري ٥٥٣/٩ ؛ ابن الاثير ٣٣٣/٧ — ٣٣٤ .

(٧٢) الطبري ٣٢/١٠ — ٣٣ ، المسعودي ١٥٥/٤ ، ابن الاثير ٤٦٢/٧ ، ابن الجوزي — المنتظم ١٤٢/٥ ، الطبعة الاولى ، حيدر آباد ١٣٥٧ هـ ، ابن خلدون ٣٤٧/٣ .

(٧٣) ابن الاثير ٤٦٢/٧ — ٤٦٤ .

(٧٤) الطبري ٧٠/١٠ ، المسعودي — مروج ١٥٢/٤ — ١٥٤ ، ابن الاثير ٤٩١/٧ ، ابن كثير ٧٨/١١ ، ابن خلدون ٣٤٩/٣ .

(٧٥) المسعودي ١٥٢/٤ — ١٥٤ .

(٧٦) الطبري ٧٠/١٠ .

(٧٧) المصدر السابق ٧٤/١٠ .

(٧٨) الطبري ، انظر ٣١٦/٧ — ٣١٨ ، ٣٢٠ — ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٧٩) الطبري ٢٥٦/٨ ، ٢٦١ .

(٨٠) اليعقوبي ٥٨٩/٢ وقد ذكر ان محمد بن عمرو كان قد خرج في ثلثمائة أو اربعمائة رجل من الخوارج بينما يذكر الطبري ١٤٠/٩ انه خرج في ثلاثة عشر رجلا .

(٨١) الطبري ٢٥٥/٩ ، ابن الاثير ١٢٠/٧ .

(٨٢) المصدر السابق ٣٧٢/٩ ، المصدر السابق ١٧٦/٧ .

(٨٣) اليعقوبي ٦١٤/٢ ، ابن خلدون ٣٤٠/٣ ، ٢٩٣ .

(٨٤) ابن الاثير ١٧٤/٧ .

(٨٥) السامر ٦٨/١ .

(٨٦) المسعودي — مروج ٩١/٤ .

(٨٧) الطبري ٣٧٤/٩ — ٣٧٨ ، ابن الاثير ١٧٩/٧ .

(٨٨) ابن خلدون ٢٩٢/٣ ، الصائغ ٧٩/١ .

(٨٩) اليعقوبي ٦١٤/٢ .

(٩٠) يلقب بالبجلي ايضا ، وربما انه كان يرجع في النسب الى بني بجيلة الذين سموا باسم أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، ويقال انهم من القبائل العدنانية لأن نزار بن معد بن عدنان ولد له : مضر وربيعة وأياد وانمار ، وولد لأنمار ولد : بجيلة وخثعم ، وذكرت المصادر ، ان قبيلة بجيلة هذه وقع لها حرب شديدة مع كلب بن وبرة في مكان يعرف بالفجار ، فافترقت بجيلة منذ ذلك الوقت في أحياء العرب . انظر ابن حزم ، جمهرة الانساب ص ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، القلقشندي ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ١٧١ ، ١٧٢ تحقيق الابياري الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٩ م ، وربما بسبب تفرق بجيلة هذا انتسب مساور وغيره من البجليين الى قبيلة شيبان .

(٩١) ابن الاثير ١٨٨/٧ ، ابن خلدون ٢٩٢/٣ .

(٩٢) ابن الاثير ٢٠٥/٧ ، ابن خلدون ٢٩٢/٣ ، الصائغ ٨٠/١ ، زامباور ٥٧/١ .

(٩٣) الطبري ٤٥٢/٩ ، ٤٥٦ ، المسعودي ـ التنبيه والاشراف ص ٣١٧ تصحيح الصاوي القاهرة ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م ، ابن خلدون ٢٩٢/٣ ، ٣٣٩ ، الصائغ ٨٠/١ .

(٩٤) الطبري ٤٧٤/٩ ، ابن خلدون ٣٩٣/٣ ، الصائغ ٨٠/١ .

(٩٥) الطبري ٥٠١/٩ ، ابن خلدون ٣٤٠/٣ ، ٢٩٣ .

(٩٦) الصائغ ٨١/١ .

(٩٧) الطبري ٥١٢/٩ .

(٩٨) أشرنا في هامش رقم ٩٠ الى نسب مساور البجلي ، والذي نعرفه شيبانيا في مصادر أخرى ، ومن المحتمل ان يكون هارون البجلي شيباني ايضا ، ونستند في ذلك على دلالة نسب مساور البجلي والشيباني أولا ، ثم لقبول جماعة مساور من الشيبانيين بزعامة هارون بعد وفاة رئيسهم مساور ثانيا .

(٩٩) ابن كثير ٣٦/١١ ، ابن خلدون ٣٤١/٣ .

(١٠٠) الطبري ٩/١٠ ، ابن كثير ٥٠/١١ ، الصائغ ٨٤/١ .

(١٠١) الصائغ ٨٦/١ .

(١٠٢) قرية بنواحي بقعاء الموصل . ياقوت ٢٧/٤ .

(١٠٣) ابن خلدون ٣٤٧/٣ ، الصائغ ٨٤/١ ، السامر ٧٦/١ ـ ٧٧ .

(١٠٤) الصائغ ٨٤/١ .

(١٠٥) ابن خلدون ٣٤٧/٣ .

(١٠٦) الصائغ ٩٤/١

(١٠٧) الطبري ٤٣/١٠ ، ٤٤ ، ابن الاثير ٣٧٦/٧ — ٤٧٧ ، ابن الجوزي — المنتظم ١٦١/٥ ، ابن خلدون ٣٤٨/٣ ، الصائغ ٩٤/١ .

(١٠٨) الصائغ ٨٤/١ .

(١٠٩) اليعقوبي ٥٥٥/٢ .

(١١٠) اليعقوبي ٥٥٥/٢ .

(١١١) الازدي ص ٣٦٤ .

(١١٢) القفيز — مكيال ، وهو ثمانية مكاليك (مكوك) عند اهل العراق ، وهو من الارض قدر مائة واربع واربعون ذراعا ، لسان العرب ٣٩٥/٥ دار صادر بيروت ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م ، المنجد مادة قفز ، المطبعة الكاثوليكية — بيروت ، الطبعة الخامسة .

(١١٣) الطبري ٥٩٦/٨ ، ابن الاثير ٣٧٤/٦ .

(١١٤) الدسكرة في اللغة — الارض المستوية ، وهي قرية بنواحي نهر الملك غربي بغداد ، وقيل ان الدسكرة قرية بنواحي خراسان . ياقوت ٥٧٥/٢ .

(١١٥) ابن الاثير ٣٨٥/٦ ، الازدي ص ٣٦٤ ، ابن خلدون ٢٥٤/٣ ، الصائغ ٧٧/١ .

(١١٦) قرية مشهورة في العراق في طرف النهروان من ناحية الجبل ، وقيل أن البندنجيين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان ، اكبرها باقطنايا بها سوق ودار أمارة ومنزل القاضي — ياقوت ٧٤٥/١ .

(١١٧) الطبري ٣١٧/٩ .

(١١٨) ابن الاثير ١٨١/٧ .

(١١٩) الطبري ٥٨٧/٩ ، ابن الاثير ٣٦٢/٧ .

(١٢٠) ابن كثير ٥٠/١١ ، ابن خلدون ٣٤٤/٣ .

(١٢١) ابن الاثير ٢٧٩/٧ ، ابن خلدون ٣٣٧/٣ ، الصائغ ٨٦/١ — ٨٧ .

(١٢٢) الطبري ٣٢/١٠ — ٣٣ ، المسعودي — مروج ١٥٥/٤ ، ابن الجوزي ١٤٢/٥ ، ابن الاثير ٤٦٢/٧ ، ابن خلدون ٣٤٧/٣ .

(١٢٣) ابن الاثير ٤٩٥/٧ .

(١٢٤) ابن خلدون ٣٥٥/٣ .

(١٢٥) المسعودي — التنبيه والاشراف ص ٣٢٦ .

مصادر ومراجع البحث

(١) ابن الاثير – علي بن ابي الكرم محمد (ت ٦٣٠ هـ)
(الكامل في التاريخ) دار صادر ، بيروت ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م

(٢) ابن تغر بردي – ابو المحاسن يوسف
(النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة) وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية .

(٣) ابن الجوزي – (ابو الفرج عبدالرحمن بن علي)
(المنتظم) الطبعة الاولى حيدر آباد ١٣٥٧ هـ

(٤) ابن حزم – ابو محمد علي بن سعيد
(جمهرة انساب العرب) نشر وتحقيق ا. ليفي بروفنسال دار المعارف مصر ١٣٦٨هـ – ١٩٤٨م .

(٥) ابن حوقل – ابو القاسم النصيبي
(صورة الارض) ليدن ١٩٢٨م .

(٦) ابن خلدون – عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ)
(العبر وديوان المبتدأ والخبر ..) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

(٧) ابن دريد – ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ)
(الاشتقاق) شرح وتحقيق عبدالسلام هارون ، مطبعة السنة النبوية ، مؤسسة الخانجي بمصر ١٣٧٨ هـ .

(٨) ابن عبد ربه – ابو عمر احمد بن محمد
(العقد الفريد) الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م .

(٩) ابن القيسراني – ابو الفضل محمد بن طاهر (ت ٥٠٧ هـ)
(الانساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط) بريل ١٨٦٥ م .

(١٠) ابن كثير – الحافظ الدمشقي ، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)
(البداية والنهاية) الطبعة الاولى مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م

(١١) ابن منظور – ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم
(لسان العرب) دار صادر ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .

(١٢) ابو الفدا ـ عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢ هـ)
(تقويم البلدان) اعتنى بتصميمه رينــورد وماك كولبن ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٤٠م .
(١٣) الازدي ـ ابو زكريا يزيد بن محمد (٣٣٤ هـ)
(تاريخ الموصل) تحقيق علي حبيبة ـ القاهرة ١٣٧٨هـ ١٩٦٧م
(١٤) الاصفهاني ـ ابو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦ هـ)
(الاغاني) تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار الثقافـة بيروت ١٩٥٥م .
(١٥) الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
(البيان والتبين) الطبعة الثالثة : مكتبة الخانجي ، القـاهرة ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .
(١٦) جاد المولى (وآخرون) (أيام العرب) تأليف محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي محمد ابو الفضل ، الطبعة الثانية ، مطبعة عيسى الحلبي مصر ١٣٦١هـ ، ١٩٤٢م .
(١٧) الجومرد ـ عبدالجبار
(غرة العرب من شيبان ، يزيد بن مزيد) الطبعة الاولى ـ دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦١م .
(١٨) حميد ـ تحسين
(المعتضد بالله) اطروحة ماجستير لم تطبع ـ مكتبة الدراسات الاسلامية ـ كلية الاداب ، ١٩٦٩م ـ ١٣٨٩هـ
(١٩) ديوان ابي تمام ـ شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف مصر ١٩٦٥م .
(٢٠) زامباور ـ معجم الاسرات الحاكمة ، مطبعة فؤاد الاول ١٩٥١م
(٢١) الزركلي ـ خير الدين
(الاعلام) الطبعة الثانية ، مطبعـة كوستا توماس وشـركاه ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .
(٢٢) السامر ـ فيصل جرىء
(الدولة الحمدانية في الموصل وحلب) مطبعة الايمان بغـداد ١٩٧٠م .
(٢٣) الصائغ ـ سلمان
(تاريخ الموصل) المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م
(٢٤) الصولي ـ محمد بن يحيى
(اخبار ابي تمام) تحقيق خليل محمود وغيره ، قدم له احمـد امين ، بيروت المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

(٢٥) الطبري ـ محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
(تاريخ الرسل والملوك) تحقيق محمد ابو الفضل ، دار المعارف مصـر .

(٢٦) فلهاوزن ـ يوليوس
(الدولة العربية وسقوطها) ترجمـة الدكتور يوسف العش ، دمشق ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م .

(٢٧) القلقشندي ـ ابو العباس أحمد بن علي (٧٥٦هـ ـ ٨٢١هـ)
(صبح الاعشى في صناعة الانشا) نسخة مصورة عن الطبعـة الاميرية ، المؤسسة المصرية للتاليف والطباعة والنشر ، مطبعـة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٢م .

(٢٨) القلقشندي (نهاية الارب في معرفة انساب العـرب) تحقيق ابراهيم الابياري الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٥٩م .

(٢٩) الكندي ـ ابو عمر محمد بن يوسف
(الولاة وكتاب القضـاء) مطبعـة الآبـاء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م .

(٣٠) المسعودي ـ علي بن الحسن (ت ٣٤٦ هـ)
(التنبيه والاشراف) تصحيح الصـاوي ، القاهـرة ١٣٥٧هـ ١٣٨م .

(٣١) المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) دار الاندلس للطباعـة والنشر ، بيروت .

(٣٢) المنجد ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ، الطبعة الخامسة

(٣٣) النويري ـ شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب
(نهاية الارب في معرفة فنون العرب) مطبعة دار الكتب المصريـة ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م .

(٣٤) ياقوت ـ الحموي (ت ٦٢٦ هـ)
(معجم البلدان) ليبزك ١٨٦٨م .

(٣٥) الهمداني ـ ابو محمد الحسن بن أحمد
(صفة جزيرة العرب) تحقيق النجدي ، مطبعـة السعادة ، مصر ١٩٥٣م .

(٣٦) اليعقوبي ـ احمد بن واضح (٢٨٠ هـ)
(تاريخ اليعقوبي) بريل ١٨٨٣م .

نظام الافراج الشرطي واصلاح المجرمين

الدكتور
عز الدين علي الخيرو
الاستاذ المساعد ـ كلية الاداب
جامعة بغداد
وعضو مجلس ادارة مصلحة السجون

عندما نشأت السجون الحديثة كانت العقوبة الموقعة على المحكوم عليه بالحبس تنفذ خلال المدة المحددة لقضائها ، ولم تكن هناك وسيلة لانقاص المدة المقررة بالحكم الا الاعفاء عن جزء من مدة العقوبة على سبيل الرأفة ، فاذا صدر الحكم على متهم بالحبس لمدة عشر سنوات مثلا ، فذلك يعني ان المحكوم عليه يقضي عشر سنوات فعلا في السجن ، وعند انتهاء المدة يخلى سبيل المحكوم عليه ، ويطلق سراحه دون اي اجراء من مراقبة أو مساعدة ، ما عدا المساعدة التي يقدمها افراد من الناس أو بعض جمعيات مساعدة المساجين . ولذلك يبقى المطلق السراح هائما في المجتمع ، وهذا يكون مصدر خطر عليه[1] .

لذلك فالأصل ان الافراج الشرطي يكون نهائيا بانتهاء المدة المقررة للعقوبة طبقا للآراء التقليدية ، ولكن الآراء العقابية الحديثة تذهب الى اعتبار

---

(1) راجع : عبدالجبار عريم : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتأهيل المجرمين والجانحين ، صفحة ٣٢٨ مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٥ .

الأصل في الافراج ان يكون غير نهائي ونستخلص من ذلك ان وظيفة الافراج غير النهائي هي التمهيد للافراج النهائي ، وتقرر تبعا لذلك ان كل افـراج نهائي لا يسبقه افراج غير نهائي يمهد له يغلب الا يكون من شأنه تأهيـل المفرج عنه للحياة في المجتمع • وقد ترتب على ذلك ان تنوعت صور الافراج غير النهائي ونشأت بها نظم عقابية عديدة تحتل مكانا ملموسا في السياسـة العقابية كالاختصار التلقائي والبارول والافراج الشرطي[٢] •

ويتطلب دراسة « نظام الافراج الشرطي واصلاح المجـرمين » تقسيم البحث الى ثلاث مباحث :

المبحث الاول ـ تعريف وتكييف الافراج الشرطي

المبحث الثاني ـ شروط الافراج الشرطي

المبحث الثالث ـ آثار الافراج الشرطي

---

(٢) نوضح المقصود بهذه الانظمة في هذا المجال :

١ ـ الاختصار التلقائي : هو النظام المبني على قاعدة ان كل محكـوم عليه لم يثبت سوء سلوكه يخصم لـــه عن كل مدة يقضيها في المؤسسة العقابية جزء من مدة العقوبة ويطلق سراح كل محكوم عليه امضى نسبة معينة من مدة عقوبته •

٢ ـ البارول : نظام بمقتضاه يفرج عن المحكوم عليه بعد قضاء فترة من العقوبة داخل المؤسسة ، ويبقى المفرج عنه خاضعا للمراقبـــة خلال فترة معينة بحيث انه اذا خالف شروطه يعاد مرة اخرى الى المؤسسة العقابية ليستوفي المدة المتبقية من العقوبة •

٣ ـ الافراج الشرطي : هو استبدال الجزء الاخير من مدة العقوبـــة السالبة للحرية بعقوبة مقيدة للحرية •

راجع : الدكتور يسر انور علي والدكتورة آمال عبدالرحيم عثمان : علم العقاب ، صفحة ٢٦٩ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧١ •

المبحث الاول

تعريف وتكييف الافراج الشرطي

الفرع الاول

تعريف الافراج الشرطي

يعرف الافراج الشرطي بانه النظام الذي بموجبه يطلق سراح المحكوم عليه قبل انقضاء كل مدة عقوبته اطلاقا مقيدا بشروط تتمثل في التزامات تفرض عليه وتقيد حريته حتى انتهاء مدة العقوبة .

ويخلص من هذا التعريف : ان الافراج الشرطي يعني استبدال تقييد الحرية بسلبها ، خلال الجزء الاخير من مدة العقوبة ، ويتميز بأنه افراج غير نهائي ، بمعنى انه يجوز الرجوع فيه ، ومن ثم قيل انه معلق على شرط فاسخ هو الاخلال بالالتزامات المفروضة ، ويعني غالبا العودة بالمحكوم عليه الى سلب الحرية .

والافراج الشرطي بطبيعته انتقائي ، يفترض توافر شروط معينة لجواز منحه باجراءات معينة للتحقق من توافر تلك الشروط ، وتشرف على هذه الاجراءات جهة تخول سلطة تقديرية للفصل بجدارة المحكوم عليه للافراج الشرطي بان تنهى سلب الحرية وتخضع المحكوم عليه لمعاملة تقتصر على مجرد تقييد الحرية ، وعلى هذا النحو كان اساس الافراج الشرطي هو اعتبارات المصلحة العامة المتصلة بتطور المعاملة العقابية تبعا لتطور الخطورة الاجرامية ، ولم يكن اساسه الشفقة بالمحكوم عليه . والافراج الشرطي تبعا لذلك نظام عقابي تقرره سلطة يخولها ذلك القانون ، وليس حقا للمحكوم

عليه[٣] ، ومن ثم لا يكون منحه متوقفا على طلبه ، في ذاته ، اعتبار في منح الافراج الشرطي أو تطبيقه .

ويرجع بعض الكتاب[٤] الافراج الشرطي في اصوله التاريخية الى التقرير الذي تقدم به ميرابو Mirabeau الى الجمعية الوطنية الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر واعتبر فيه هذا الافراج أحد سبل اصلاح نظام السجون وقد تناوله بعد ذلك بالدراسة مارسايني Marsangy سنة ١٨٤٧ وأقره في فرنسا للمرة الاولى القانون الصادر في ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٨٨٥[٥] .

---

(٣) لا يعني انكار ان يكون الافراج الشرطي حقا للمحكوم عليه أنه بالضرورة منحه له ، فالتكييف العقابي الصحيح له انه تعديل في اسلوب المعاملة العقابية تقتضيه اعتبارات التأهيل ، وهي اعتبارات تتصل بالمصلحة العامة ومصلحة المحكوم عليه المرتبطة بها وتختص بتقديرها السلطات التي يخولها القانون ذلك .

راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥١٩ — ٥٢٠) ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٦ .

(٤) الدكتور محمود نجيب حسني في كتابه علم العقاب في الصفحات ٥٢٠ ثم ٢٢ و ٢٣ ، حيث يقول : « بان الجمعية الوطنية الفرنسية كانت قد عهدت الى ميرابو (١٧٤٩ — ١٧٩١) رئاسة لجنة تبحث في الغاء نظام أوامر الاعتقال فوسع نطاق مهمة اللجنة وتناول بالبحث مشاكل السجون الفرنسية في مجموعها واقترح برنامجا اصلاحيا يقوم على الاهتمام بالعمل العقابي واقرار نظام السجن الانفرادي والتدرج في المعاملة بحيث تمنح المزايا لمن تثبت جدارتهم بها والافراج الشرطي والرعاية اللاحقة للمفرج عنهم وقد ضمن ميرابو بحثه في تقرير شهير قدمه في سنة ١٧٩٠ نشره بعد وفاته بجوان سنة ١٨٨٨ .

(٥) نصت المادة الاولى من هذا القانون على وجوب ان يقرر في كل سجن نظام عقابي يقوم على الدراسة اليومية لسلوك المحكوم عليهم ومدى مواظبتهم على العمل ، ويستهدف تهذيبهم واعدادهم للافراج الشرطي . ويكشف هذا النص عن منزلة الافراج الشرطي في النظام العقابي وكون الاعتراف به يستوجب تعديلا شاملا لهذا النظام بحيث يتجه الى الاعداد لذلك الافراج .

ويشير بعض الكتاب[٦] الى ان أول قانون لنظام الافراج الشرطي كان قد صدر في ولاية « ماسوشست » الامريكية في سنة ١٨٣٧ • ويضيف بعض الكتاب[٧] أيضا بان انكلترا كانت أول الدول في تطبيق نظام الافراج الشرطي عام ١٨٥٣ •

وعرفت مصر نظام الافراج الشرطي لاصلاح المجرمين بموجب الامر العالي الصادر في ديسمبر (كانون اول) ١٨٩٧[٨] ، وفي العراق لم يدخل هذا النظام الا في التشريع الجنائي العراقي المتمثل بقانون الاحداث رقم ١١ لسنة ١٩٦٢ (المواد ٤٨ و ٤٩ و ٥٠)[٩] ثم نقل هذا النظام ـ مع تعديلات جوهرية ـ الى قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١[١٠] •

لقد تجاهلت معظم التشريعات الجنائية العربية تعريف الافراج الشرطي[١١] ما عدا التشريع المغربي رقم ٤١٣ لسنة ١٩٦٢ (المادة ٥٩) التي

---

(٦) عبدالجبار عريم في كتابه : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتاهيل المجرمين والجانحين ، صفحة ٣٣٠ .

(٧) الدكتور علي احمد راشد في كتابه : القانون الجنائي ، صفحة ٧١٩ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٤ .

(٨) راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادىء القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ مطبعة نهضة مصر بالفجالة القاهرة ١٩٦٢ .

(٩) راجع : الدكتور اكرم نشأت ابراهيم : موجز الاحكام العامة في قانون العقوبات العراقي صفحة ١٥٠ مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٩ .

(١٠) المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد ٢٠٠٤ في ١٩٧١/٥/٣١ (المواد ٣٣١ ـ ٣٣٧) والمعدلة بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ التعديل الثاني لقانون اصول المحاكمات الجزائية المنشور في الوقائع العراقية عدد ٢٣٣٣ في ١٩٧٤/٣/٢٧ .

(١١) وهي التشريع العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ والتشريع المصري رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ وقانون العقوبات اللبناني رقم ٣٤٠ لسنة ١٩٤٣ وقانون العقوبات السوري رقم ١٤٨ لسنة ١٩٤٩ وقانون الاجراءات الجنائية الليبي لعام ١٩٥٣ وتعديله بالقانون رقم ١٨ لسنة ١٩٦٢ وقانون الجزاء الكويتي رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠ وقانون بشأن العقوبات رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ لليمن الجنوبية .

تنص على ان الافراج الشرطي هو : « اطلاق سراح المحكوم عليه قبل الاوان نظرا لحسن سيرته داخل السجن على ان يظل مستقيم السيرة في المستقبل ، اما اذا ثبت عليه سوء السلوك أو أخل بالشروط التي حددها الافراج المقيد ، فانه يعاد الى السجن لتتميم ما تبقى من عقوبته »[١٢] .

الفرع الثاني
تكييف الافراج الشرطي

يمكن تكييف نظام الافراج الشرطي من ناحيتين احداهما قانونية ، والاخرى عقابية ، وتتضح كل ناحية من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الاول
التكييف القانوني للافراج الشرطي

اختلفت الآراء في هذا المجال ، ويمكن التمييز بين اتجاهين فيه :

الاتجاه الاول : الافراج الشرطي عمل اداري

يذهب اصحاب هذا الاتجاه الى اعتبار الافراج الشرطي عملا اداريا يتعلق بتعديل المعاملة العقابية حتى تلائم التطور الذي طرأ على شخصية المحكوم عليه ، وهو من هذه الوجهة أشبه بأوجه النشاط الاداري الذي تمارسه الادارة العقابية تنفيذا للعقوبة ، ولذا يدعو هذا الاتجاه الى تخويل السلطة الادارية المختصة صلاحية منح الافراج الشرطي ، وهذا ما ذهب اليه التشريع الفرنسي حيث جعله من اختصاص وزير العدل (المادة ٧٣٠ من قانون الاجراءات الجنائية)[١٣] ، وبهذا الاتجاه أخذ التشريع العقابي المصري (المادة

---

(١٢) يسمى القانون الجنائي المغربي ــ الافراج الشرطي بالافراج المقيد بشروط .
راجع : القانون الجنائي المغربي رقم ٤١٣ لسنة ١٩٦٢ ، المادة (الفصل) ٥٩ .

(١٣) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٢٣ .

٥٣ من قانون تنظيم مصلحة السجون رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦) حيث يفوض مدير عام مصلحة السجون حق اصدار أمر الافراج الشرطي طبقا للاوضاع والاجراءات التي تقررها اللائحة الداخلية للسجون [١٤] .

وينتجه قانون العقوبات الكويتي أيضا الى تأييد هذا الاتجاه ، حيث خول النائب العام (المدعى العام) حق اصدار الامر بالافراج الشرطي وبالغائه (المادة ٩١)[١٥] .

الاتجاه الثاني : الافراج الشرطي عمل قضائي

يذهب اصحاب هذا الاتجاه الى اعتبار الافراج الشرطي عملا قضائيا لأنه ينطوي على مساس بالقوة التنفيذية للحكم ويدخل تعديلا عليه من حيث تحديد مدة معينة للعقوبة ، ويقود هذا الاتجاه الى تخويل سلطة منح الافراج الشرطي للقضاء ، وهذا ما قرره التشريع الالماني (المادة ٢٦ من قانون العقوبات)[١٦] ، وكذلك فعل التشريع العراقي (المادة ٣٣١ فقرة ج من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ وتعديله الثاني بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤) عندما خول محكمة الجزاء الكبرى التي يقع ضمن اختصاصها المكاني الجهة التي يقضي المحكوم عليه عقوبته عند تقديمه الطلب سواء كانت سجنا أو مؤسسة اصلاحية ، وان كان قد نقل اليها من سجن أو مؤسسة أخرى ، واذا وجدت في المحافظة اكثر من محكمة جزاء كبرى فيوزع بينها ببيان من رئيس محكمة الاستئناف[١٧] .

---

(١٤) راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادىء القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ .

(١٥) راجع : قانون العقوبات الكويتي رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠ ، المادة ٩١ .

(١٦) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٢٤ .

(١٧) كانت المادة ٣٣١ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ تنص على ان : « للمحكمة التي اصدرت الحكم أو المحكمة التي حلت محلها ان تقرر الافراج عن المحكوم عليه بعقوبة أصلية مقيدة للحرية » .

ونعتقد ان الطبيعة القانونية للافراج الشرطي تميل الى اعتباره حكما قضائيا يحقق احتراما لمبدأ الفصل بين السلطات واقرارا لقيمة العمل القضائي، وحماية المجتمع من خطر المجرمين وحماية الحرية الشخصية من العبث بها تحت تأثير العوامل السياسية والاعتبارات الشخصية معا ٠

المطلب الثاني

التكييف العقابي لنظام الافراج الشرطي

يتمثل التكييف العقابي للافراج الشرطي في ان الاجماع يكاد ينعقد في شأنه على انه لا يعتبر انهاءا للعقوبة ، والدليل على ذلك أن المحكوم عليه لا يسترد به حريته الكاملة ، ولا تنقطع عن طريقه صلته بسلطات تنفيذ العقوبات في حين أنه لو كان انهاءا للعقوبة لما كان محل لفرض قيود على حرية المفرج عنه ٠

لذلك فالتكييف العقابي الصحيح للافراج الشرطي هو أنه تعديل لاسلوب تنفيذ العقوبة ، وليس انهاءا لها لأن المحكوم عليه قد طبقت عليه أساليب المعاملة العقابية في داخل المؤسسة العقابية حتى ثبت أنه قد أصبح في حاجة الى معاملة عقابية من نوع مختلف لا تتطلب سلب الحرية ، ولكن تكتفي بتقييدها ، وهذه المعاملة العقابية تكمل ما سبق تطبيقه في المؤسسة العقابية وتمهد للحرية الكاملة ، وتعتبر على هذا النحو مرحلة انتقالية بينهما وقد اقرت هذا التكييف حلقة الدراسات العقابية التي عقدت في « ستراسبورج » سنة ١٩٦١ ، فوصفت الافراج الشرطي بأنه : « جزء من الجهود التأهيلية » وقررت ان وظيفته هي « التمهيد للتأهيل بتطبيق نظام انتقالي يتوسط بين الحبس والحرية ، ويسمح بان يعقب سلب الحرية نظام متكامل قوامه اساليب من المساعدة والمراقبة »[١٨] ٠

---

(١٨) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٢٤ ــ ٥٢٥) ٠

ويدفع نظام الافراج الشرطي المحكوم عليه في تحسين سلوكه خلال فترة العقوبة سعيا وراء الافادة من هذا النظام ، ولا شك في ان انتهاج هذا السبيل من أغلب المسجونين يكفل تطبيق المعاملة على احسن وجه لتحقيق اغراض الجزاء الجنائي[19] ، ومن ناحية أخرى ، فأن فرض التزامات معينة على المحكوم عليه بعد الافراج عنه افراجا شرطيا ، وكون استمرار هذا الافراج معلقا على وفائه بهذه الالتزامات التي تتمثل في اتخاذ مسلك سليم مطابق للقانون ، يجعل المفرج عنه يحرص على احترام القانون حتى لا يتعرض لالغاء الافراج والعودة الى السجن ، مرة أخرى ، ومن ناحية ثالثة ، فان فترة الافراج الشرطي تسهم باعتبارها نوعا من المعاملة العقابية ، في تحقيق تكييف المحكوم عليه مع المجتمع ، اذ تعتبر فترة انتقال من سلب الحرية الى الحرية الكاملة ، ففي خلال فترة الافراج الشرطي ينتقل المحكوم عليه من سلب الحرية المطلق في ظل المؤسسة العقابية الى نوع من الحرية المقيدة ، فيمثل هذا النظام نوعا من التدرج في ممارسته لحريته حتى لا يدفعه انتقاله طفرة واحدة من القيود الشديدة الى الحرية الكاملة ، الى اساءة استعمالها والعودة الى ارتكاب الجريمة[20] .

لذلك فالتكييف العقابي للافراج الشرطي يتمثل باعتباره تعديل لاسلوب تنفيذ العقوبة ، وليس انهاءا لها ، وان المفرج عنه قد استفاد من اساليب المعاملة العقابية المقررة داخل المؤسسات العقابية ، واصبح محتاجا الى معاملة عقابية جديدة تتمشى مع وضعه الجديد .

---

(١٩) ندعو هنا الى عدم استثناء اي فئة من المحكوم عليهم من الاستفادة من نظام الافراج الشرطي ، واذا وجدت ضرورة تتطلب استثناءات فيجب ان تكون نتيجة تدقيق وتمحيص للوصول الى تحديد دقيق لتلك الانواع من الجرائم التي يستثنى منها .

(٢٠) راجع : الدكتورة فوزية عبدالستار : مبادىء علم الاجرام وعلم العقاب ، صفحة ٣٨٧ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢ .

ويؤكد هذا الاتجاه ما ذهب اليه التشريع المصري (المادة ٥٩) ، حيث أوضح بأنه اذا خالف المفرج عنه الشروط التي وضعت للافراج ، ولم يقم بالواجبات المفروضة عليه ألغى الافراج واعيد المحكوم عليه الى السجن ليستوفي المدة الباقية من العقوبة المحكوم بها عليه[٢١] . وايدت هذا الاتجاه قواعد قانون العقوبات الكويتي (المادة ٨٨) حيث تضمنت الغاء الافراج الشرطي اذا ساءت سيرة المفرج عنه . واتجه قانون العقوبات السوري (المادة ١٦٩) الى اعادة تنفيذ العقوبة من قبل المحكوم عليه عند ارتكابه جريمة أخرى ، أوجبت الحكم على المفرج عنه بعقوبة جنائية أو جنحة ، أو أن يثبت بحكم قضائي خرق المحكوم عليه للحرية المتمتع بها أثناء المراقبة أو مخالفة تقديم الكفالة أو الرعاية أو عدم دفع التعويض للمدعي الشخصي اذا كان قد قيد الافراج بهذه الشروط أو بواحد منها[٢٢] ، وكذلك الحال بالنسبة للتشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٣ من قانون اصول المحاكمات الجزائية المعدل)[٢٣] ، تنص على أنه اذا أخل المفرج عنه افراجا شرطيا بشروط الافراج تصدر المحكمة المختصة قرارا بالقاء القبض على من افرج عنه بموجبه وايداعه السجن أو المؤسسة التي اخلي سبيله منها لتنفيذ ما أوقف تنفيذه من العقوبات .

---

(٢١) راجع : الدكتور رؤوف عبيد : القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٧ .

(٢٢) راجع : حسين جميل : نحو قانون عقابي موحد للبلاد العربية ، صفحة ٢٩٣ معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٥ .

(٢٣) راجع : المادة ٣٣٣ من أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدلة بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ حيث توسعت هذه المادة وبفقرات ثلاث لفسح المجال امام المفرج عنه للاستفادة من الانذار الوارد في الفقرة هـ من المادة ٣٣٢ ، واذا كان هناك اصرار من المفرج عنه على الاخلال بشروط الافراج الشرطي فيلغى حكم الافراج الشرطي ، ويعود المحكوم عليه الى السجن مرة أخرى ، لتنفيذ ما تبقى من مدة العقوبة المحكوم بها .

المبحث الثاني

شروط الافراج الشرطي

يتطلب منح الافراج الشرطي لمحكوم عليه توافر عـدة شروط يمكن حصرها في مجموعتين : الاولى اساسية والثانية ثانوية .

المجموعة الاولى : الشروط الاساسية لمنح الافراج الشرطي

تجمع التشريعات الجنائية التي أخذت بنظام الافـراج الشـرطي على وجوب توافر شروط أساسية تتمثل بحسن سلوك المحكوم عليه خلال مدة معينة يقضيها المحكوم عليه في المؤسسة العقابية حتى يمنح افراجا شرطيـا قبل انتهاء مدة العقوبة .

الشرط الاول : شرط حسن سلوك المحكوم عليه

يجب أن يثبت أن المحكوم عليه قد استفاد من المعاملة العقابية التي قدمت له وأثرها البالغ في نفسيته ، وفي تقويم سلوكه بحيث أصبح لا يخشى من اطلاق سراحه ، ولا يشكل اي خطر على المجتمع لأنه مستعد لتطبيـق المعاملة التي يفترضها نظام الافراج الشرطي ، وأصـبح الامل غالبـا في ان يستفيد المحكوم عليه من هذه المعاملة تأهيلا للحياة الاجتماعية . ويقتضى الاسلوب العلمي فحص شخصية المحكوم عليه بعد مضي فترة معقولة من الخضوع للمعاملة العقابية في داخل المؤسسة والتحقق عن طريق الفحص من تطور شخصيته على وجه يقتضي تعديلا مقابلا في المعاملة العقابية على النحو الذي يفترضه الافراج الشرطي . والجانب الغالب من الفحص التجريبي يعهد به الى العاملين في المؤسسة العقابية الذين يقع على عاتقهم ملاحظة التحسن الطارىء على سلوك المحكوم عليهم والتطور الذي أصاب شخصياتهم كثمرة للمعاملة العقابية يضاف الى ذلك وجوب اجراء فحوص فنية حيث قد يثبت أن

أوجها من الخلل المرضي قادت المحكوم عليه الى الاجرام ويتوقف على شفائه منها منحه الافراج الشرطي • وبينت المادتان ٨٤٦ و ٨٤٧ من قانون الاجراءات الجزائية الفرنسي (في قسمه الخامس) معالم مهمة العاملين في المؤسسة العقابية من هذه الوجهة بحيث يتعين عليهم الا يضعوا في اعتبارهم المظاهر الخارجية للسلوك فحسب ، بل عليهم ان يوجهوا العناية الى جميع عناصر التقدير ، وبصفة خاصة ، الاتجاه العام للمحكوم عليه وعلاقاته بزملائه وجميع الاشخاص الذين يتصلون به ومشروعات المستقبل التي أعدها والجهود التي يبذلها في سبيل اكتساب تدريب مهني وتكوين مدخرات ومدى خضوعه للوائح ومقدار مواظبته على العمل[٢٤] •

واشترط قانون تنظيم السجون في مصر رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ (المادة ٥٢) وجوب ان يكون سلوك المحكوم عليه اثناء وجوده في السجن سلوكا يدعو الى الثقة بتقويم نفسه ، وان لا يكون الافراج عنه خطرا على الامن العام[٢٥] • واشترط التشريع العراقي أيضا (المادة ٣٣١ فقرة أ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١) توافر استقامة سير وحسن سلوك المحكوم عليه بعقوبة أصلية سالبة للحرية شرطا للافراج عنه شرطيا •

ونعتقد ان وجوب توافر هذا الشرط يمكن ان يعتبر وسيلة لتفريد المعاملة العقابية بين المحكوم عليهم ، فيميز بين المحكوم عليهم حسني السلوك والمحكوم عليهم الذين ساء سلوكهم ، بأن يمنح الاولون الافراج الشرطي نوعا من المكافأة على حسن سلوكهم دون الآخرين ، ومن شأن هذا الشرط حمل المحكوم عليهم وتشجيعهم على انتهاج السلوك القويم رغبة في الافادة من نظام الافراج الشرطي •

---

(٢٤) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٢٧ - ٥٢٩) •

(٢٥) راجع : الدكتور رؤوف عبيد : القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٦ •

الشرط الثاني : شرط المدة التي يقضيها المحكوم عليه

اتفقت التشريعات الجنائية ، التي أخذت بنظام الافراج الشرطي ، على وجوب بقاء المحكوم عليه مدة من الزمن داخل المؤسسة العقابية لكي يستفيد من هذ االنظام ، وهي تقدر عادة على أساس نسبة معينة من مدة العقوبة المحكوم بها • وأختلفت تلك التشريعات في تحديد مدة العقوبة الواجب قضاؤها في المؤسسة العقابية ، وهي لا تقل عن نصف مدة العقوبة في التشريع الفرنسي (المادة ٧٢٩ من قانون الاجراءات الجنائية) وكذلك في تشريع اليمن الجنوبية (المادة ٦١ من قانون العقوبات) ، وهي ثلثا مدة العقوبة في التشريع الالماني (المادة ٢٦ من قانون العقوبات) وكذلك الحال بالنسبة للقانون الانكليزي (المادة ٦٦ من مجموعة قواعد السجون الانكليزية) • في حين ، نجد ان هناك تشريعات جنائية اخرى لدول معينة تتطلب مزيدا من المدة بحيث لا تقل عن ثلاثة أرباع مدة العقوبة يقضيها المحكوم عليه داخل المؤسسة العقابية ، وهذا ما فرضه التشريع المصري (المادة ٥٢ من قانون تنظيم السجون) وكذلك التشريع العراقي (المادة ٣٣١ فقرة أ من قانون أصول المحاكمات الجزائية) •

ونلاحظ ان هذا التحديد النسبي قد يكون غير متصور في حالة العقوبة المؤبدة ، اذ كيف يمكن تحديد ثلاثة أرباع مدة عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة التي تمتد بامتداد حياةالمحكوم عليه ؟

الحقيقة ان بعض التشريعات تتدخل لتحديد تلك المدة كما فعل التشريع العراقي الذي حدد مدة الحكم المؤبد بعشرين سنة[٢٦] ، ولكن بالرغم من هذا الوضوح في التشريع العراقي ، فقد أوجب التشريع المصري بان لا يفرج عن المحكوم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة الا اذا قضى المحكوم

---

(٢٦) المادة ٨٧ من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ ، والمادة ٦٨ من قانون مصلحة السجون العراقي رقم ١٥١ لسنة ١٩٦٩ ، والتي تنص على ان :

« يعتبر الحكم بالمؤبد موقوتا بعشرين سنة » .

عليه في السجن عشرين سنة على الاقل[٢٧] ، بينما لم ينص التشريع العراقي على هذا التحديد •

هذا وقد تكون المدة المشترطة للافراج الشرطي قصيرة بحيث يثور الشك حول ما اذا قد تحقق في خلالها ارضاء الشعور بالعدالة أو الردع العام باعتبارهما من اغراض العقوبة • وقد تغلبت التشريعات الجنائية على هذه الصعوبة بان حددت لهذه المدة حدا ادنى لا يجوز الافراج شرطيا عن المحكوم عليه قبل مضيه وقد حددها بثلاثة اشهر كل من التشريع الفرنسي (المادة ٧٢٩ فقرة ٢ من قانون الاجراءات الجنائية) والتشريع الالماني (المادة ٢٦ من قانون العقوبات) ، وهي ستة أشهر في التشريع العراقي (المادة ٣٣١ فقرة آ من قانون أصول المحاكمات الجزائية) ، وكذلك في تشريع اليمن الجنوبية (المادة ٦١ من قانون العقوبات) ، ولكن التشريع المصري حددها بتسعة أشهر (المادة ٥٢ فقرة ٢ من قانون تنظيم السجون)[٢٨] • وكذلك فعل التشريع السوري (المادة ١٧٢ فقرة ٢ من قانون العقوبات السوري) • وأكثر من ذلك فقد قررت بعض التشريعات الجنائية العربية بان لا تقل مدة بقاء المحكوم عليه في المؤسسة العقابية عن سنة حتى يستفيد من نظام الافراج الشرطي ومن هذه التشريعات قانون العقوبات الكويتي (المادة ٨٧) والقانون السوداني (المادة ٢٥٧) •

---

(٢٧) المادة ٥٢ من قانون تنظيم السجون المصرية رقم ٣٩٤ لسنة ١٩٥٦ ، والتي تنص على ان « ... واذا كانت العقوبة هي الاشغال الشاقة المؤبدة ، فلا يجوز الافراج الا اذا قضى المحكوم عليه في السجن عشرين سنة على الاقل » •

راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادىء القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ •

(٢٨) راجع : الدكتورة فوزية عبدالستار : مبادىء علم الاجرام وعلم العقاب ، الصفحات (٣٨٧ — ٣٨٨) •

ويترتب على هذه التحديدات للحد الادنى من الزمن الذي يجب أن يقضيه المحكوم عليه في المؤسسة العقابية امتناع تطبيق نظام الافراج الشرطي على الاشخاص الذين يحكم عليهم باقل من تلك المدة اللازمة(٢٩) .

	الفرنسي	الالماني	اليمن الجنوبية	العراق	المصري والسوري	الكويتي والسوداني
مدة الافراج الشرطي	$\frac{1}{2}$ المدة	$\frac{2}{3}$ المدة	$\frac{1}{2}$ المدة	$\frac{3}{4}$ المدة	$\frac{3}{4}$ المدة	$\frac{3}{4}$ المدة
الحد الادنى للافراج	٣ شهور	٣ شهور	٦ شهور	٦ شهور	٩ شهور	سنة
مدة العقوبة الدنيا	٦ شهور	٤٫٥ شهرا	سنة	٨ شهور	سنة	١٦ شهرا

المجموعة الثانية : الشروط الثانوية لمنح الافراج الشرطي

تشترط بعض التشريعات وجوب توافر شروط أخرى ، نعتقد بأنها شروطا ثانوية ، وذلك ؛ اما لأنها متداخلة بالشروط الاساسية أو أن بعضها غير مطلوب في بعض التشريعات الجنائية ، ويمكن متابعة تلك الشروط على النحو التالي :

الشرط الاول : الا يكون في الافراج خطر يهدد الامن العام

يلاحظ ان بعض التشريعات كالتشريع المصري (المادة ٥٢ فقرة ١ من قانون تنظيم السجون) تشترط ان لا يكون في الافراج خطر على الامن العام(٣٠) .

والحقيقة ان ثبوت تقويم سلوك المحكوم عليه واتجاهه السبيل القويم ، نتيجة بقاءه المدة المحددة في المؤسسة العقابية طبقا لنظام الافراج الشرطي ، يترتب عليه ضمان حسن سلوك المحكوم عليه ، وبالتالي لا يشكل خطرا على الامن العام .

(٢٩) ولتوضيح هذه النسب يمكن اعطاء الجدول التالي :

(٣٠) راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادىء القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٥ .

الشرط الثاني : ان يكون المحكوم عليه قد اوفى بالتزاماته المالية

تشترط بعض التشريعات عادة بان يكون المحكوم عليه قد أوفى بجميع الالتزامات المالية المحكوم بها من قبل المحكمة الجنائية (المادة ٥٦ من قانون تنظيم السجون المصري ، وكذلك المادة ٨٤٨ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي ، في قسمه الخامس ، والمادة ٣٨ من قانون العقوبات السويسري)[٣١] ، وتشمل هذه الالتزامات :

- الغرامة
- المصاريف القضائية
- التعويضات ، سواء كانت مستحقة للدولة أو الافراد المتضررين من الجريمة .

ونعتقد أن هذا الشرط ليس مطلوبا لذاته ، وانما هو دليل على ندم المحكوم عليه لارتكابه الجريمة ومحاولته الاعراب عن ارادة التأهيل لديه فينعكس أثر ذلك على مدى تقبل المجتمع له (وفيه المجنى عليه وأهلوه) ليفسحوا له مكانا في نطاقه فيدعم ذلك الامل في تأهيله ، ولا يجعل الشارع من عسر المحكوم عليه وعجزه ، تبعا لذلك عن الوفاء بهذه الالتزامات ، عائقا دون الحصول على الافراج الشرطي طالما أن هذا العجز لا يعني عدم الندم على الجريمة ولا ينفي بالضرورة « ارادة التأهيل » بما لا يحول دون توافر علة الشرط على الرغم من انتفائه ، ويؤكد ذلك أن هذا الشرط غير مطلوب لذاته[٣٢] .

---

(٣١) لم يتطرق التشريع الجنائي العراقي الى هذا الشرط وترك مسألة الوفاء بالتزامات المالية المحكوم بها من قبل الى القواعد العامة لتنفيذ الديون المترتبة على احكام جنائية ، واغلبها تتحول الى اقساط شهرية ومستمرة الدفع ، وربما يكون المحكوم عليه قد وفاها خلال المدة اللازمة لمنحه الافراج الشرطي .

(٣٢) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٣٢ ــ ٥٣٥) .

الشرط الثالث : رضا المحكوم عليه بالافراج الشرطي

لقد تبنت بعض التشريعات شرط رضا المحكوم عليه لمنحه الافراج الشرطي ، بحيث لا يصدر هذا الحكم الا بعد موافقة المحكوم عليه « المادة ٢٦ من قانون العقوبات الالماني والمادة ٣٣٢ المعدلة من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي »(٣٣) ، وأكثر من ذلك فقد أعطى التشريع الفرنسي حق رفض الافراج الشرطي لكل محكوم عليه مما يقتضي عدم جواز تطبيق التدابير والشروط الخاصة التي يتضمنها بدون رضائه (المادة ٥٣١ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي)(٣٤) .

واننا نعتقد أن رضا المحكوم عليه يمكن ان يتخذ دليلا على رغبته في تنفيذ الافراج الشرطي ، وان عدم رضاه يضعف الامل في امكان جدوى تطبيق هذا النوع من المعاملة عليه بغية تأهيله وتحقيق تكييفه مع المجتمع والتدرج به من سلب الحرية الى تقييدها قبل حصوله على الحرية الكاملة حتى يتحقق الردع الخاص على أحسن وجه ، وحتى لا يحدث الانتقال المفاجىء من السلب الكلي للحرية الى الحرية المطلقة رد فعل عنيف قد يصل الى حد العودة الى ارتكاب الجريمة .

ولنتساءل الآن :

هل يكفي أن تتوافر هذه الشروط ، الاساسية والثانوية ، لمنح الافراج الشرطي ؟

وهل مصلحة الهيأة الاجتماعية وسلامة افرادها توجب استبعاد مرتكبي جرائم معينة من الانتفاع بنظام الافراج الشرطي ؟

---

(٣٣) والتي تنص على ان : « يقدم طلب الافراج الشرطي من المحكوم عليه واذا كان حدثا فمنه أو من احد والديه أو وليه أو وصيه أو مربيه أو احد اقاربه ... » .

راجع : قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدل بالتعديل الثاني بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ .

(٣٤) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٣٥ .

الحقيقة ان الأصل منح الافراج الشرطي لكل محكوم عليه ، اذا تبين أنه قد أستفاد من المعاملة داخل المؤسسة العقابية بما يتفق والتطور الطارىء على شخصيته ، بحيث لا يخشى منه على اعضاء الهيأة الاجتماعية ، ولكن على العكس اذا كانت القرائن كلها تشير الى عدم أهلية المحكوم عليه لاسترداد حريته قبل انقضاء مدة العقوبة ، فينعدم حينئذ الاساس الذي يقوم عليه نظام الافراج الشرطي ، وفي هذه الحالة لا مسوغ للافراج الشرطي على حساب مصلحة الهيأة الاجتماعية ٠

ومن ناحية أخرى يرى بعض المختصين ان أفضل القوانين الخاصة بالافراج الشرطي هي التي لا تستبعد المحكوم عليه من الافراج الشرطي لسبب نوع الجريمة المرتكبة والتي لا تعين مدة العقوبة التي يجب ان يقضيها المحكوم عليه بالسجن قبل ان يكون صالحا للافراج الشرطي ، وذلك لان القوانين لا تستطيع ان تتنبأ بصلاحية المحكوم عليه للافراج الشرطي ٠ ويرون أيضا بان توافر سلطة كفوءة مختصة في الافراج الشرطي وبمساعدة هيأة موظفي السجن تكون في وضع أحسن لمعرفة ما اذا كان السجين مؤهلا للافراج الشرطي ، من عدمه وما هي درجة خطورته ؟ وما هو نوعها ؟ وهل هو مهيء ليسترد حريته ؟ ومدى قدرته على الاستفادة من الاشراف بعد اخلاء سبيله ٠

ان هذا الرأى على الرغم من كونه صحيحا من الناحية النظرية لكنه من الناحية العملية لا يمكن التسليم به لأنه طالما ان هناك اصنافا خطرة من المجرمين فان عدم استبعاد هذا الفريق منهم فيه مجازفة بمصلحة الهيأة الاجتماعية وسلامة افرادها ٠ كما أن هذا الرأي يتطرف الى جانب المحكوم عليه بصورة مطلقة دون حساب للخطر المحتمل للهيأة الاجتماعية ٠

وفي الحقيقة ان كثيرا من التشريعات الجنائية تضع استثناءات محددة تمنع تطبيق نظام الافراج الشـرطي على بعض المحكومين ولنستعرض على سبيل المثال ما تقرره قوانين بعض الولايات المتحدة الامريكية من استثناءات تشمل المحكومين بجرائم :

ـ القتل العمد

ـ الخيانـة

ـ الاغتصـاب

ـ الزنا بالمحارم

ـ العود بجناية[٣٥] .

وبامعان النظر في هذه المجموعة من الجرائم يتضح لنا خطورة المجرم الذي يرتكبها وانعدام أي بادرة للاصلاح . وتتفات درجات القابلية للاصلاح حسب الظروف الاجتماعية الدافعة للجريمة ، وهذا يستتبع التدقيق بالجرائم التي تستثنى بحيث ننتهي باستخدام الوسائل العلمية الحديثة ، النظريـة والعملية ، الى تحديد دقيق لتلك الانواع من الجرائم التي لا يشملها نظام الافراج الشرطي وبأقل ضرر ممكن بحيث يتحقق التوازن بين مصلحـة الهيأة الاجتماعية وبين مصلحة المحكوم عليهم لنصل الى مجتمع تنخفض فيه الجريمة الى اقصى حد ممكن ودون ان نطمع في الوصول الى مجتمـع خال من الجريمة كما يتوهم بعض الكتاب ، لأن الاجرام ظاهرة اجتماعيـة ـ كما هو معلوم ـ وليس ظاهرة فردية ترتبط بانسان معين أو بمجموعة من المجرمين بالفطرة .

---

(٣٥) راجع : عبدالجبار عريم : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتأهيـل المجرمين والجانحين ، الصفحات (٣٤٥ ـ ٣٤٩) .

ان التشريعات الجنائية العربية تكاد تجمع على اتخاذ موقف معين من موضوع عدم تضمين القواعد القانونية نصا يضع استثناءات محددة عندما يحرم المحكوم عليه من الاستفادة من نظام الافراج الشرطي كما فعل التشريع الجنائي العراقي الذي أخذ بالبداية بهذا الاتجاه العام عند صدور قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ ، ولكنه عاد فوضع تلك الاستثناءات بالتعديل الثاني لهذا القانون بالقانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ ضمن المادة ٣٣١ فقرة د[٣٦] .

---

(٣٦) التي تنص على ما يلي :

يستثنى من احكام الافراج الشرطي المحكومون الآتي بيانهم :ـ

١ ـ المجرم العائد الذي حكم عليه بأكثر من الحد الاقصى للعقوبة المقررة للجريمة طبقا لاحكام المادة (١٤٠) من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ أو المادة (٦٨) من قانون العقوبات البغدادي .

٢ ـ المحكوم عليه عن جريمة ضد أمن الدولة الخارجي أو جريمة تزييف العملة أو الطوابع أو السندات المالية الحكومية .

٣ ـ المحكوم عليه عن جريمة وقاع او لواط أو اعتداء على عرض بدون الرضا أو جريمة وقاع أو اعتداء بغير قوة أو تهديد أو حيلة على عرض من لم يتم الثامنة عشرة من عمره أو جريمة وقاع أو لواط بالمحارم أو جريمة التحريض على الفسق والفجور .

٤ ـ المحكوم عليه بالاشغال الشاقة أو السجن عن جريمة سرقة اذا كان قد سبق الحكم عليه بالاشغال الشاقة أو السجن عن جريمة سرقة اخرى ولو كانت قد انقضت عقوبتها لاي سبب قانوني .

٥ ـ المحكوم عليه بالاشغال الشاقة أو السجن عن جريمة اختلاس للاموال العامة اذا كان قد سبق الحكم عليه بالاشغال الشاقة أو السجن عن جريمة من هذا النوع أو الحبس عن جريمتي اختلاس متعاقبتين او أكثر أو عن جريمة اختلاس مكونة من فعلين متتابعين أو اكثر ولو كانت قد انقضت عقوبتها لاي سبب قانوني .

المبحث الثالث
آثار الافراج الشرطي

تختلف آثار تطبيق نظام الافراج الشرطي باعتباره نظاما لاصلاح المجرمين باختلاف الحالة التي يكون عليها المفرج عنه تحت شرط وهذه الحالات هي ما يلي :

الحالة الاولى ـ خلال مدة الافراج الشرطي

الحالة الثانية ـ الاخلال بالتزامات الافراج الشرطي

الحالة الثالثة ـ انتهاء مدة الافراج الشرطي

ولتوضيح هذه الحالات الثلاث نبحث في :

الحالة الاولى : خلال مدة الافراج الشرطي

يعتبر المفرج عنه تحت شرط كأنه لا يزال تحت العقاب ، لأن الافراج الشرطي ليس انهاءا للعقوبة ، وانما هو مجرد تعديل للمعاملة العقابية بما يتفق مع التطور الطارىء على شخصية المحكوم عليه ، وهو تطور معناه أن المعاملة في داخل المؤسسة العقابية قد استنفذت أغراضها بالنسبة له ، وأنه قد صار محتاجا الى معاملة من نوع جديد تكمل المعاملة الاولى وتمهد للحرية الكاملة . ووفقا لهذا التكييف فان المفرج عنه يعتبر ـ خلال فترة الافراج الشرطي ـ خاضعا لاجراءات تنفيذ العقوبة وان كان قد دخل بهذا الافراج مرحلة جديدة متميزة تماما عن المرحلة السابقة عليها ، ولا تنقضي العقوبة الا اذا تحول الافراج الشرطي الى افراج نهائي عند انقضاء فترة الافراج الشرطي دون الغائه وخلال تلك الفترة يتحدد الوضع العقابي للمفرج عنه بأعتباره خاضعا لمعاملة عقابية تقنع بتقييد الحرية ولا تقتضي سلبها . وهذه المعاملة تقوم على عنصرين : الرقابة والمساعدة ، وهذه

المعاملة مؤقتة بطبيعتها ، فلها مدة تنقضي ببلوغها وهـذه المعاملة أيضا ، غير نهائية فهي قابلة للتعديل ـ بل والالغاء ـ خلال الفترة التي تمتـد خلالها •

هذا ويلاحظ أن :

١ ـ الرقابة تستهدف اشراف السلطات العامة على سلوك المفرج عنـه على نحو يتاح به العلم بهذا السلوك والتثبت مما قد ينطوي عليه من خلال الالتزامات المفروضة ثم تعديل المعاملة تبعا لذلك تعديلا قد تصـل الى حد الغائها اذا ثبت أنه لم يعد جديرا بالافراج •

٢ ـ المساعدة تستهدف امداد المحكوم عليه بالامكانيات المادية والمعنوية التي تعينه على انتهاج الطريق المطابق للقانون وتنأى بـه عن الظروف التي قد تنحرف به الى الاجرام(٣٧) •

ولهذه المعاملة العقابية أهميتها الجوهرية في نجاح نظام الافراج الشرطي بأعتبار دوره العقابي التمهيد للتأهيل ، وهو اعتبار يقوم على افتراض عجز المحكوم عليه عن انتهاج طريقه في المجتمع دون عون من السلطات العامة ، واعتبار حالة الافراج الشرطي مرحلة انتقال بين سلب الحريـة والحريـة الكاملة ، كل ذلك يقتضي اخضاع المفرج عنه لهذه المعاملة العقابية بعنصريها •

وتتمثل هذه المعاملة العقابية في فرض التزامات هادفة عليه واسـناد الاشراف على سلوكه الى شخص محل للثقة ، ويقابل هذه الالتزامات بعض الحقوق التي يتعين الاعتراف بها للمفرج عنه ازاء السلطات العامـة ، وهي حقوق تقتضيها استفادته من المساعدات التي تقدمها له الدولة ويفترضهـا وضعه العقابي ذاته •

---

(٣٧) وقد أشارت الى ذلك المادة ٧٣١ فقرة ١ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي فنصت على انه : « يجوز أن تقترن الاستفـادة من الافراج الشرطي بالتزامات خاصة كتدابير مساعدة ومراقبة تتجه الى تسهيل تأهيل المفرج عنه والتحقق من ذلك » .

هذا ، ونلاحظ أن التشريعات الجنائية تختلف فيما بينها في تحديد الالتزامات المفروضة على المفرج عنه ، ولكن يوجد بينها أساس مشترك يهدف الى اعداد وتأهيل اجتماعي سريع وطبيعي يضاف الى ذلك وجود اتجاه عام فيها يقتضي ان تحدد تلك الالتزامات بحيث يكون الوفاء بها ممكنا دون مشقة بالغة ، ولا يكون ثمة تعارض بينها وبين الحقوق الاساسية للانسان والمواطن ، ولا يكون من شأنها عرقلة الجهود والمشروعة التي يبذلها المحكوم عليه لبناء مركزه في المجتمع(٣٨) .

لقد أجتهدت التشريعات الجنائية في كفالة خضوع المفرج عنه لرقابة السلطات العامة والتزامه سلوكا يباعد بينه وبين الانحراف الى الاجرام ، والمكن يؤخذ على بعض الشروط انها تقرن ذلك بتنظيم تدابير مساعدة تضمن

---

(٣٨) طبقا للمادة ٥٧ من قانون تنظيم لائحة السجون المصرية رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ فقد صدر قرار وزير العدل في يوم ١١ يناير (كانون ثاني) ١٩٥٨ محددا فيه التزامات المفرج عنه ، وهي :

١ ـ ان يكون حسن السير والسلوك ولا يتصل بذوي السيرة السيئة .

٢ ـ ان يسعى بصفة جديدة للتعيش من عمل مشروع .

٣ ـ ان يقيم في الجهة التي يختارها ، ما لم تعترض جهة الادارة عن تلك الجهة ، وفي هذه الحالة يجب على المفرج عنه تحت شرط ان يقيم في الجهة التي تحددها جهة الادارة لاقامته .

٤ ـ لا يغير محل اقامته بغير اخطار جهة الادارة مقدما ، وعليه ايضا أن يقدم نفسه الى جهة الادارة في البلد الذي ينتقل اليه فور وصوله .

٥ ـ أن يقدم نفسه الى جهة الادارة التابع لها محل اقامته مرة واحدة كل شهر في يوم يحدد لذلك يتفق وطبيعة عمله .

وتحدد المادة ٣٣٢ فقرة ب من قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي بعض تلك الالتزامات المتمثلة بمنع المفرج عنه من التردد خلال مدة الافراج على الحانات أو الملاهي أو منعه من الاقامة في اماكن معينة أو منعه من التردد عليها أو ان تفرض عليه اي تدبير احترازي آخر مما نص عليه في قانون العقوبات عدا المصادرة .

للمحكوم عليه امكانيات الاستقرار في مركز اجتماعي مطابق للقانون ويؤخذ عليها ، كذلك انها وضعت في صورة مجردة بحيث تفرض ذات الالتزامات على كل مفرج عنه في حين كانت الاصول العقابية مقتضية تحديدها على نحو يتيح تفريدها بحيث تفرض على كل مفرج عنه الالتزامات التي تتفق وشخصيته ويكون من شأنها التمهيد لتأهيله ويؤخذ عليها أنها صيغت على نحو افترض معه ان تظل مطبقة دون تعديل طيلة فترة الافراج الشرطي في حين تقضي مبادىء المعاملة العقابية الحديثة ان يرد عليها من التعديلات ما يجعلها متلائمة مع التطور الذي يطرأ على شخصية المحكوم عليه متفقة مع مقتضيات تأهيله وهي بطبيعتها متطورة ، ويعاب عليها في النهاية أنها أغفلت النص على خضوع المفرج عنه لاشراف هيئة أو شخص بعينه على شق طريقه الجديد في المجتمع ويقدم اليه الارشاد ويكون الواسطة بينه وبين السلطة المختصة بالغاء الافراج ، وقد غدا هذا الاشراف عنصرا جوهريا في تطبيق نظام الافراج الشرطي الحديث(٣٩) .

هذا ، وقد اجتهدت التشريعات الحديثة في تدارك المآخذ السابقة التي شابت الافراج الشرطي في صورته التقليدية : فالتشريع الفرنسي يضع في ذات المستوى من الاهمية تدابير المساعدة واجراءات الرقابة ثم يوحد بينها بالهدف وينص على : « جواز ان ترتهن الاستفادة من الافراج الشرطي

---

(٣٩) لقد اشار مؤتمر لاهاي الى ان من عوامل نجاح الافراج الشرطي ان توجد مساهمة فعالة ويقظة تباشرها هيئة للاشراف حسنة التدريب والاعداد وان يقدم جمهور الناس عونهم للمفرج عنه حتى تتاح له فرصة بناء حياته من جديد ، واشارت كذلك حلقة ستراسبورج للدراسات العقابية الى اهمية الاشراف في تطبيق نظام الافراج الشرطي ، وقررت ان واجبات المشرف لا تقف عند استقبال المفرج عنه وتلقي تقاريره عن سلوكه واجابته الى ما يطلبه من نصح أو يعن له من استفسارات ، بل ان عليه ان يزوره في بيئته ويكون على دراية بحياته الخاصة والعائلية ويقدم اليه كل المساعدات المعنوية والمادية التي يقتضيها تأهيله .

بشروط خاصة وتدابير مساعدة ورقابة تستهدف تسهيل تأهيل المفرج عنه والتحقق من ذلك ـ المادة ٧٣١ من قانون الاجراءات الجنائية » • ويقرر قانون الاجراءات الجنائية أيضا « المادة ٧٣٢ فقرة » جواز تعديل هذه الشروط والتدابير اثناء فترة الافراج الشرطي • ويقرر خضوع المفرج عنه للاشراف الذي يقتضيه تطبيق الافراج الشرطي ، وتضيف « المادة ٧٣١ فقرة ٢ من هذا القانون » على ان تطبيق تدابير المساعدة والمراقبة يخضع لاشراف لجان يرأسها حاكم تطبيق العقوبات وتعاونه في ذلك جمعيات الرعاية المعترف بها قانونا ، وقد فصل التشريع الفرنسي ، بعد ذلك ، هذه التدابير وحدد أغراضها المباشرة وأسلوب تطبيقها : فبين ان تدابير المساعدة تستهدف مساندة الجهود التي يبذلها المحكوم عليه في سبيل تأهيله الاجتماعي ، وبصفة خاصة من الوجهتين العائلية والمهنية وقد تتخذ صورة معنوية أو مادية ، وتقوم عليها اللجان المختصة بمساعدة المفرج عنهم أو شخص يعهد اليه بذلك بصفة خاصة أو جمعيات الرعاية المعترف بها وبين بعد ذلك ان تدابير الرقابة تتضمن الالتزام بالاقامة في المكان الذي يحدده قرار الافراج الشرطي والاستجابة لكل استدعاء يصدر عن حاكم تطبيق العقوبات أو الشخص الذي يعهد اليه بالاشراف على سلوكه واستقبال زيارات هذا الشخص وتقديم المعلومات والمستندات التي تتيح له رقابة موارد رزقه ، وبالاضافة الى ذلك يجيز التشريع الفرنسي فرض التزامات خاصة على المفرج عنه تتفق مع ظروفه ومقتضيات تأهيله(٤٠) •

---

(٤٠) هذه الالتزامات هي تعويض الضرر الذي ترتب على الفعل واتباع تعليمات معينة متعلقة بمحل الاقامة أو التعليم أو العمل أو استغلال وقت الفراغ والخضوع لعلاج طبي والوفاء بالتزامات النفقة واداء مبلغ من النقود لمؤسسة ذات نفع عام والخضوع لرقابة وتوجيه مشرف يعهد اليه بذلك .

راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٣٨ ـ ٥٤٤) .

الحالة الثانية : الاخلال بالتزامات الافراج الشرطي

لاحظنا أن نظام الافراج الشرطي ليس حقا يطالب به المحكوم عليه لمجرد وفائه بشروط معينة ، وانما هو منحة أو امتياز يمنح له تبعا لتقدير السلطة المختصة في منحه ، وبالشروط التي ترى ان تقيده بها والواجبات التي ترى ان تفرضها على المستفيد منه ، ومن بين هذه الشروط هو عدم الاخلال بالالتزامات التي يفرضها القانون على المفرج عنه طيلة مدة الافراج الشرطي المحددة بأمر الافراج[٤١] .

لذلك وعند مخالفة المفرج عنه الشروط التي وضعت للافراج، او عندما لم يقم بالواجبات المفروضة عليه ، فالجزاء التقليدي هو الغاء الافراج واعادة المفرج عنه الى السجن ليستوفي المدة الباقية من العقوبة المحكوم بها عليه[٤٢] .

هذا ويتفق التحديد الجديد للجزاء على هذا النحو مع التكييف الشرطي للافراج . فهو ــ كما سبق وقلنا ــ افراج معلق على شرط فاسخ هو الاخلال بالالتزامات المفروضة ، فاذا تحقق الشرط انفسخ الافراج ، ولم يعد له تبعا لذلك وجود ، ويعد الغاؤه تبعا لذلك مجرد اقرار لهذا الوضع ، ولكن هذا التحديد المجرد للجزاء ــ كما هو واضح ــ يصطدم مع اعتبارات تفريد المعاملة العقابية ، فليس كل اخلال مبررا لالغاء الافراج ، فبعض حالات الاخلال قد تكون قليلة الخطر بما يجعل الالغاء غير متناسب معها ، وهي مع ذلك من الاهمية بحيث لا يجوز ان تترك بغير جزاء . وبالاضافة الى ذلك فانه لا يجوز النظر الى الاخلال من زاوية اقتضائه جزاء فحسب ، بل ينبغي ان ينظر اليه كذلك باعتباره كاشفا عن مقدار

---

(٤١) راجع : الدكتور علي احمد راشد : القانون الجنائي ، صفحة ٧٢١ دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٤ .

(٤٢) المادة (٥٩) من قانون تنظيم السجون المصرية .
راجع : الدكتور رؤوف عبيد : مبادىء القسم العام من التشريع العقابي المصري ، صفحة ٦٢٧ .

الخطورة الاجرامية ، ومقتضيا تبعا لذلك تعديلا في المعاملة ، ويقتضي ذلك ان يتخذ جزاء الاخلال بالالتزامات صورة تعديل المعاملة العقابية بما يتفق مع دلالة هذا الاخلال ، ويجوز ان يتخذ الجزاء صورة الغاء الافراج حين يكشف عن حاجة المحكوم عليه الى معاملة لا تتوافر الا في داخل المؤسسة العقابية ، فان لم يكشف عن ذلك تعين ان يتخذ الجزاء صورة مختلفة . ومن الجزاءات التي يجوز ان يتخذها :

١ ـ الانذار[٤٣] .

٢ ـ التوبيخ

٣ ـ اضافة التزامات جديدة

٤ ـ اطالة المدة المتطلبة لتحويل الافراج الشرطي الى افراج نهائي[٤٤].

لقد أشار القانون الفرنسي الى قابلية قرار الافراج الشرطي للتعديل المستمر خلال المدة المحددة له ، وقد اراد بذلك ان يكون التعديل صورة للجزاء متناسبة مع درجة الاخلال ، اما الغاء الافراج فيقصره على الاخلال الخطر ، وبصفة خاصة حالتي صدور حكم ادانة تال وسوء السلوك البين[٤٥] .

ويترتب على الغاء الافراج الشرطي سلب حرية المفرج عنه[٤٦] ، ولا

---

(٤٣) من ذلك ما يقرره التشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٢ فقرة هـ من قانون اصول المحاكمات الجزائية) ... « ... للمحكمة ان تستدعيه وتنذره بأنه اذا كرر الاخلال بذلك فانها تتخذ بحقه ما تراه مناسبا من الاجراءات ... »

(٤٤) اشارت الى هذه الجزاءات حلقة ستراسبورج للدراسات العقابية . راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٤٨ .

(٤٥) المادتان ٧٣٢ و ٧٣٣ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي (في قسمه الخامس) .

(٤٦) وفي ذلك يقول التشريع الجنائي المصري (المادة ٥٩ من قانون تنظيم السجون) « ... انه اذا خالف المفرج عنه الشروط التي وضعت للافراج عنه ، ولم يقم بالواجبات المفروضة عليه الغي الافراج عنه وأعيد الى السجن ليستوفي المدة الباقية من العقوبة المحكوم بها عليه ... » .

يعني ذلك حتما خضوعه لذات المعاملة العقابية التي كان يخضع لها قبل الافراج فقد يتبين تأثير الفترة التي امضاها خارج المؤسسة العقابية بحيث جعلته في حاجة الى معاملة من نوع مختلف[٤٧] ، والاصل ان يترتب على الغاء الافراج الشرطي بقاء المحكوم عليه في المؤسسة العقابية كل الفترة المتبقية من العقوبة ان كانت محددة أو اقصى مدة ان كانت غير محددة وقد يفقد الامتيازات التي كان يتمتع بها كما قد يفقد حقه في منحه افراجا آخر الا بعد قضاء فترة معينة[٤٨] .

نعتقد ان هذه الفترة قد تطول عند حساب مدة الافراج الشرطي التي قضى بعضها خارج المؤسسة العقابية يضاف لها العقوبة أو العقوبات التي قد يحكم عليه بها نتيجة خرقه للقانون وارتكابه جريمة جديدة بعد الافراج عنه .

ويحدد التشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٣ فقرة ج) الآثار المترتبة على الغاء قرار الافراج الشرطي وهو اصدار قرار بالقاء القبض على من أفرج عنه بموجبه وايداعه السجن او المؤسسة التي اخلي سبيله منها لتنفيذ ما اوقف تنفيذه من العقوبات .

(٤٧) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، صفحة ٥٤٩ .

(٤٨) راجع : الدكتور سعد المغربي واحمد الهيثي : المجرمون ، صفحة ٣٧٥ مكتبة القاهرة الحديثة القاهرة ١٩٦٧ .

هذا ، ونلاحظ ان موقف التشريع المصري مخالف لهذا الاتجاه لانه يجوز بعد الغاء الافراج ان يفرج عن المسجون مرة اخرى ، اذا توافرت شروط الافراج السابق الاشارة اليها ، وفي هذه الحالة تعتبر المدة الباقية من العقوبة بعد الغاء الافراج كأنها مدة عقوبة محكوم بها ، فاذا كانت العقوبة المحكوم بها الاشغال الشاقة المؤبدة فلا يجوز الافراج قبل مضي خمس سنوات (المادة ٦٢ من قانون تنظيم السجون المصري) .

وعلى العكس نجد ان التشريع العراقي يصر على انه « ... لا يجوز اصدار قرار بالافراج بمقتضى هذا الباب ـ الرابع المتعلق بالافراج الشرطي ـ عمن الغي قرار الافراج عنه ... » (المادة ٣٣٦ من قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١) .

الحالة الثالثة : انتهاء مدة الافراج الشرطي

يتحول الافراج الشرطي الى افراج نهائي اذا انقضت مدته دون الغاء ، حيث تعتبر العقوبة قد نفذت ويكون الافراج نهائيا وتنهي بالتالي المراقبة المفروضة على المفرج عنه الا اذا كان محكوما عليه بالمراقبة كعقوبة تكميلية أو كان الحكم الصادر ضده يستلزم حتما وضعه تحت المراقبة بعد انقضاء مدة عقوبته ، ففي هذه الحالة تستمر المراقبة ، ولكن ينزل المدة التي كان مراقبا فيها منذ كان مفرجا عنه تحت شرط(٤٩) .

ويرد سؤال عما اذا كانت العقوبة تعتبر منقضية من تاريخ الافراج الشرطي ، أم من تاريخ تحوله الى افراج نهائي ؟ يقتضي المنطق باقتران انقضاء العقوبة بالافراج النهائي ـ دون الافراج الشرطي ، والحجة في ذلك مستمدة من التكييف القانوني للافراج الشرطي ، فهو ليس انهاءا للعقوبة ، ولكنه مجرد تعديل لاسلوب تنفيذها اقتضاه تطور شخصية المحكوم عليه ، ويعني ذلك ان العقوبة تستمر اثناء الافراج الشرطي . ولكن الشارع الفرنسي ذهب الى اعتبار العقوبة منقضية من تاريخ الافراج الشرطي(٥٠) . وهذا الحكم يستند الى الرغبة في تدعيم تأهيل المفرج عنه بالتقريب ما بين وضعه اثناء مدة الافراج الشرطي ووضع المفرج عنه نهائيا ومنحه مكافأة على وفائه بالتزاماته بالرجوع بتاريخ الافراج النهائي الى يوم الافراج الشرطي ، ولكن هذا الحكم لا يتسق مع تكييف الافراج الشرطي ويناقض وظيفته العقابية التي تفترض تضمنه معاملة عقابية واعتباره احدى مراحل التنفيذ العقابي(٥١) .

---

(٤٩) راجع : جندي عبدالملك : الموسوعة الجنائية ، مطبعة الاعتماد صفحة ١٠٥ الجزء الخامس مطبعة الاعتماد القاهرة ١٩٤٢ .

(٥٠) المادة ٧٣٣ فقرة ٤ من قانون الاجراءات الجنائية الفرنسي (في قسمه الخامس) .

(٥١) راجع : الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، الصفحات (٥٥٠ ـ ٥٥١) .

ينص التشريع الجنائي المصري (المادة ٦١ من قانون تنظيم السجون) على ان يصبح الافراج نهائيا اذا لم يلغ الافراج الشرطي حتى التاريخ الذي كان مقررا لانتهاء مدة العقوبة المحكوم بها •

ويوضح التشريع الجنائي العراقي (المادة ٣٣٤ من قانون اصول المحاكمات الجزائية) اثار انتهاء المدة التي أوقف تنفيذها من العقوبة دون ان يصدر قرار بالغاء قرار الافراج الشرطي وهي سقوط جميع العقوبات التي أوقف تنفيذها عن المفرج عنه •

وللنائب العام (المدعي العام) المصري (المادة ٦٣ من قانون تنظيم السجون) النظر في الشكاوى التي تقدم بشأن الافراج الشرطي وفحصها واتخاذ ما يراه كفيلا برفع أسبابها وفي العراق تتولى محكمة التمييز النظر في تصديق القرار أو نقضه واعادة الاوراق الى المحكمة المختصة ـ بعد ان تكون قد ارسلتها تلك المحكمة وخلال عشرة ايام من تاريخ اصدار القرار منها (المادة ٣٣٧ من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١)•

ويعفى المفرج عنه تلقائيا من شرط المدة (ثلاث سنوات في الجنايات وسنتين في الجنح) اللازم مضيها لرد الاعتبار اذا انتهت مدة الافراج الشرطي دون الغائه (المادة ٣٤٣ فقرة د من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي)[٥٢] •

وعلى ادارة السجن اخطار وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل باسماء المحكوم عليهم قبل الافراج عنهم بمدة كافية لا تقل عن شهرين ، لكي يتسنى في هذه المدة تأهيلهم اجتماعيا ، واعدادهم للبنية الخارجية مع بذل كل اسباب الرعاية والتوجيه اللازمة لهم (المادة ٦٤ من قانون تنظيم السجون) •

---

(٥٢) أضيفت الفقرة د من المادة ٣٤٣ بموجب القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٤ التعديل الثاني لقانون اصول المحاكمات الجزائية رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ •

المراجـع

آ ـ التشريعات الجنائية العربية

١ ـ قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧١ .

٢ ـ قانون الاجراءات الجنائية الليبي لعام ١٩٥٣ وتعديله بالقانون رقم ١٨ لسنة ١٩٦٢ .

٣ ـ قانون بشأن العقوبات رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ لليمن الجنوبية .

٤ ـ قانون تنظيم السجون المصرية رقم ٣٩٦ لسنة ١٩٥٦ .

٥ ـ قانون الجزاء الكويتي رقم ١٦ لسنة ١٩٦٠ .

٦ ـ القانون الجنائي المغربي رقم ٤١٣ لسنة ١٩٦٢ .

٧ ـ قانون العقوبات البغدادي لعام ١٩١٨ .

٨ ـ قانون العقوبات السوري رقم ١٤٨ لسنة ١٩٤٩ .

٩ ـ قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ .

١٠ـ قانون العقوبات اللبناني رقم ٣٤٠ لسنة ١٩٤٣ .

١١ـ قانون مصلحة السجون العراقي رقم ١٥١ لسنة ١٩٦٩ .

ب ـ الكتب والبحوث

١٢ـ الدكتور اكرم نشأت ابراهيم : موجز الاحكام العامة في قانون العقوبات العراقي ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٩ .

١٣ـ حسين جميل : نحو قانون عقابي موحد للبلاد العربية، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٥ .

١٤ـ جندي عبدالملك : الموسوعة الجنائية ، مطبعة الاعتماد جـ ٥ القاهرة ١٩٤٢ .

١٥ـ الدكتور رؤوف عبيد : مبادىء القسم العام من التشريع العقابي المصري، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ١٩٦٢ .

١٦ـ الدكتور سعد المغربي واحمد الهيثي : المجرمون ، مكتبة القاهرة الحديثة القاهرة ١٩٦٧ .
١٧ـ عبدالجبار عريم : الطرق العلمية الحديثة في اصلاح وتأهيـــل المجرمين والجانحين ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٥ .
١٨ـ الدكتور عز الدين علي الخيرو : اضواء على تطور حركة الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة ، مجلة كلية الاداب مطبعة الجاحظ العدد ٢١ المجلد ٢ بغداد ١٩٧٧ .
١٩ـ الدكتور علي أحمد راشد : القانون الجنائي ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٤ .
٢٠ـ الدكتورة فوزية عبدالستار : مبادىء علم الاجرام وعلم العقـــاب ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢ .
٢١ـ الدكتور محمود نجيب حسني : علم العقاب ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٦ .
٢٢ـ الدكتور يسر انور علي والدكتورة آمال عبدالرحيم عثمان : علم العقاب ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧١ .



النقل النهري في دجلة وامكانية تطويره

وزيره احمد رستم
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

محتويات البحث

١ ـ المقدمـــــــــة

٢ ـ لمحة تاريخية عن الملاحة النهرية في العراق •

٣ ـ النقل النهري في العراق •

٤ ـ الوصف الطبيعي لنهر دجلة •

٥ ـ واقع النقل النهري •

٦ ـ تطوير الملاحة في نهر دجلة •

٧ ـ وسائط النقل النهري •

٨ ـ مستقبل النقـــل النهـــري •

المقـدمة

يمر العراق بمرحلة انمائية شاملة لجميع القطاعات الاقتصـــادية ومن ضمنها قطاع النقل والذي يعتبر بمثابة الشريان الذي ينقل الحياة والحيوية الى جميع اجزاء القطر •

وقد اهتمت حكومة الثورة اهتماما بالغا في تطوير وتحسين مرافق النقل كافة لتكون بالمستوى الحديث المتطور ولاستيعاب طاقات النقل نظرا لما لهذا القطاع من اهمية كبيرة في النهضة الاقتصادية والاجتماعية وجانب مهم لدفع

عجلة البناء الاقتصادي ولارتباطه الوثيق ببقية القطاعات الانتاجية • وقد شهد القطر تغييرات ثورية في مجالات النقل كافة سواء في مجال نقل البضائع او الركاب ، حيث يستعمل في الوقت الحاضر جميع وسائل النقل وطرقها لتلبية متطلبات النقل في هذا القطر • الا ان هناك بعض قطاعات النقل العاجزة عن تلبية متطلبات النقل الرئيسية وبصورة خاصة النقل النهري والذي لو تطور هذا النقل فلسوف يساهم مساهمة كبيرة في عملية النقل وبخاصة للبضائع اذا ما علمنا ان هناك مجموعة من الخطوط الملاحية فان بالامكان الاستفادة منها لهذا الغرض في نهري دجلة والفرات •

ويعتبر العراق هبة الرافدين حيث اسهم النهران اللذان يخترقانه من الشمال الى الجنوب ويمران باكثر مدنه المهمة وباهم مناطقه الزراعية في تذليل عوائق النقل منذ الازمان السالفة البعيدة التي سبقت استعمال الطرق البرية الاخرى كالقاطرات والسيارات •

لذا فقد وجهت اهتمامي الى هذا البحث الذي يتضمن دراسة عن النقل النهري في العراق ولاسيما على نهر دجلة بين محافظتي بغداد والبصرة لان القسم الاغلب من الملاحة النهرية الجارية فعلا هي في دجلة في القسم الواقع بين بغداد والبصرة • فهو اهم الطرق الملاحية في الوقت الحاضر وانشطها • اما الملاحة في بقية الانهار فهي محدودة جدا ولمسافات قصيرة وخلال مواسم معينة •

كما يتناول البحث مشكلة تأخر النقل النهري في العراق ودراسة العوامل التي ادت الى هذا التأخر وخصوصا على خط الملاحة في نهر دجلة كما يتضمن امكانية تحسينه وتطويره ومستقبل الملاحة في العراق بعامة •

لمحة تاريخية عن الملاحة النهرية في العراق

لقد استخدمت الشعوب القديمة الانهار التي وهبتها الطبيعة للنقل ولو بصورة بدائية • حيث يظن ان ابسط الطرق استخدمت للنقل على الماء هي الواح خشبية عريضة Rafts تطفو مع التيار في الانهار[1] •

وكان العرب قبل بزوغ فجر التاريخ بوقت طويل كغيرهم من الامم يصنعون القوارب من الجلود او جذوع الاشجار المجوفة او اية مادة اخرى ملائمة ويمخرون المياه الهادئة بالمجداف الصغير • فقد ركبوا البحر لصيد السمك وبداوا الغوص فيه طلبا للؤلؤ • وقد تطورت الملاحة فيمعناها الصحيح عن هذه الاعمال الساذجة عندما اقدم الانسان على التوغل في البحر • وكان للموقع الجغرافي تأثير كبير ساعد على تطور الملاحة فتهيأ للعرب الاتصال بالمراكز المهمة في العالم عبر المياه المغلقة في البحر الاحمر والخليج العربي يكملها النيل والفرات ودجلة ممران طبيعيان للملاحة بين حوض البحر المتوسط وشرق اسيا • فكان العرب يطلون من كلا جانبي جزيرتهم على طريقين من الطرق التجارية الكبيرة في العالم[2] •

واهتم العراقيون منذ العهد البابلي والآشوري باستخدام دجلة والفرات وقنوات الري الرئيسية في النقل •

وفي العصر الاسلامي سرعان ماادرك العرب اهمية القوة البحرية للفتح والتوسع وبعد اتصالهم بسكان السواحل كونوا لهم قوة بحرية على البحر المتوسط واستطاعوا ان يبعثوا بقوة بحرية من الخليج العربي الى السند[3] •

---

(١) محمد سعيد نصر ـ جغرافية النقل ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤٧ .

(٢) جورج فضلو حوراني ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى ـ ترجمة الدكتور يعقوب بكر ـ مكتبة الانجلو المصرية ص ٢٢ـ٢٤ .

(٣) James Hornell, water transport, origins, early Evolution, David Charles, Newton Abbot, 1970 PP. 230.

اما في العراق فقد كانت للملاحة النهرية شأن كبير في النقل خلال هذه الفترة ، وكانت للانهر الصدارة في طرق النقل القديمة التي سبقت الطرق البرية الاخرى[٤] .

وفي العهد الحديث فقد ظهر الاهتمام الاوري بتطوير حركة النقل المائي فيوادي الرافدين منذ مايزيد على قرن من الزمن وذلك حين ظهرت شركة لنج البريطانية على مسرح ولايتي البصرة وبغداد في نشاط اقتصادي عن استثمار الانهار في النقل . وفي عام ١٨٤٣ كانت الشركة قد حصلت على امتياز للملاحة في هاتين الولايتين ، وقد استمرت في تقديم خدماتها في شحن البضائع ونقل الركاب حتى الحرب العالمية الاولى ، حين ظهرت لاول مرة على ارض وادي الرافدين ظاهرة حديثة هي السكك الحديدية التي كانت المنافس الخطير لوسائط النقل المائي، وبقيت السكك الحديدية العمود الفقري للنقل في الطرق والواسطه الرئيسية حتى عام ١٩٥١ . فمنذ هذا التاريخ بدأت الحكومة بوضع الخطط لبناء شبكة حديثة من الطرق المعبدة[٥] .

هذه لمحة سريعة في تاريخ الملاحة في العراق والتطورات التي مرت بها في القديم . وسنحاول ان نلقي نظرة عن وضع النقل النهري في العراق في الوقت الحاضر .

النقل النهري في العراق

يقصد بالنقل النهري حركة النقل الجارية على الخطوط الملاحية في داخل العراق حاليا (انظر الخارطة رقم ــ١ــ) . والتي تشمل خط الملاحة في شط العرب أي خط (الفاو ــ القرنة) ، والخطوط الملاحية في نهر دجلة اي خط (بغداد ــ البصرة) وخط (بغداد ــ الموصل) وخط الملاحة في نهر

---

(٤) المهندس رشاد قزانجي ــ النقل النهري في العراق ــ الملاحة في نهر دجلة ــ المؤتمر الهندسي العراقي الثامن ٢٣ ــ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٧ ، مطبعة المعارف ، بغداد ص ٣ .

(٥) Lord Salter, Iraq Development Board, The Development of Iraq, A plan of Action, 1955, PP. 62-63.

الفرات اي خط (البصرة ـ هيت) . واخيرا هناك بعض الخطوط الملاحية الصغيرة في الجداول الواقعة في منطقة ميسان على الاخص[٦] .

وتبلغ مجموع هذه الخطوط الملاحية النهرية داخل العراق نحو ٣٠٠٠ كيلو متر ، وهي تؤمن الملاحة لحد غاطس Draft يتراوح مابين ٩٠ و٠ متر الى ٨٠ر١ متر . وبعض هذه الخطوط تؤمن الملاحة طيلة ايام السنة عدا بعض المواسم القليلة المياه والتي تشح فيها المياه في الجداول والانهر الى درجة بحيث لاتكفي لامرار وسائط النقل النهرية لعدم وجود عمق من المياه كاف لها . هذا وان منشآت الري وجسور السيارات وجسور السكك الحديدية المشيدة على هذه الخطوط الملاحية مزودة بالاهوسة والفتحات الملاحية اللازمة لاغراض الملاحة[٧] .

وقد كان لتطور وسائل النقل البري وتحسين شبكات الطرق وتوسيعاتها تأثير كبير ومباشر على تأخر النقل النهري رغم رخص اجور النقل بواسطته كما يبدو في ادناه :

الكلفة بواسطة الطرق البرية يساوي ٥ فلوس لكل طن/كم

الكلفة بواسطة السكك الحديد يساوي ٣ فلوس لكل طن /كم

الكلفة بواسطة النقل النهري يساوي ١ فلس لكل طن/كم

ويمكن اجمال الاسباب المؤدية الى تأخر النقل النهري في العراق الى العوامل التاليـــة :

١ ـ كثرة الطمس المتراكم الذي ادى الى ان تكون بعض الجـزر الصغيرة في منعطفات نهر دجلة ووجود تراكمات رملية متحركة في قاع الانهر تعيق الملاحـة فيها .

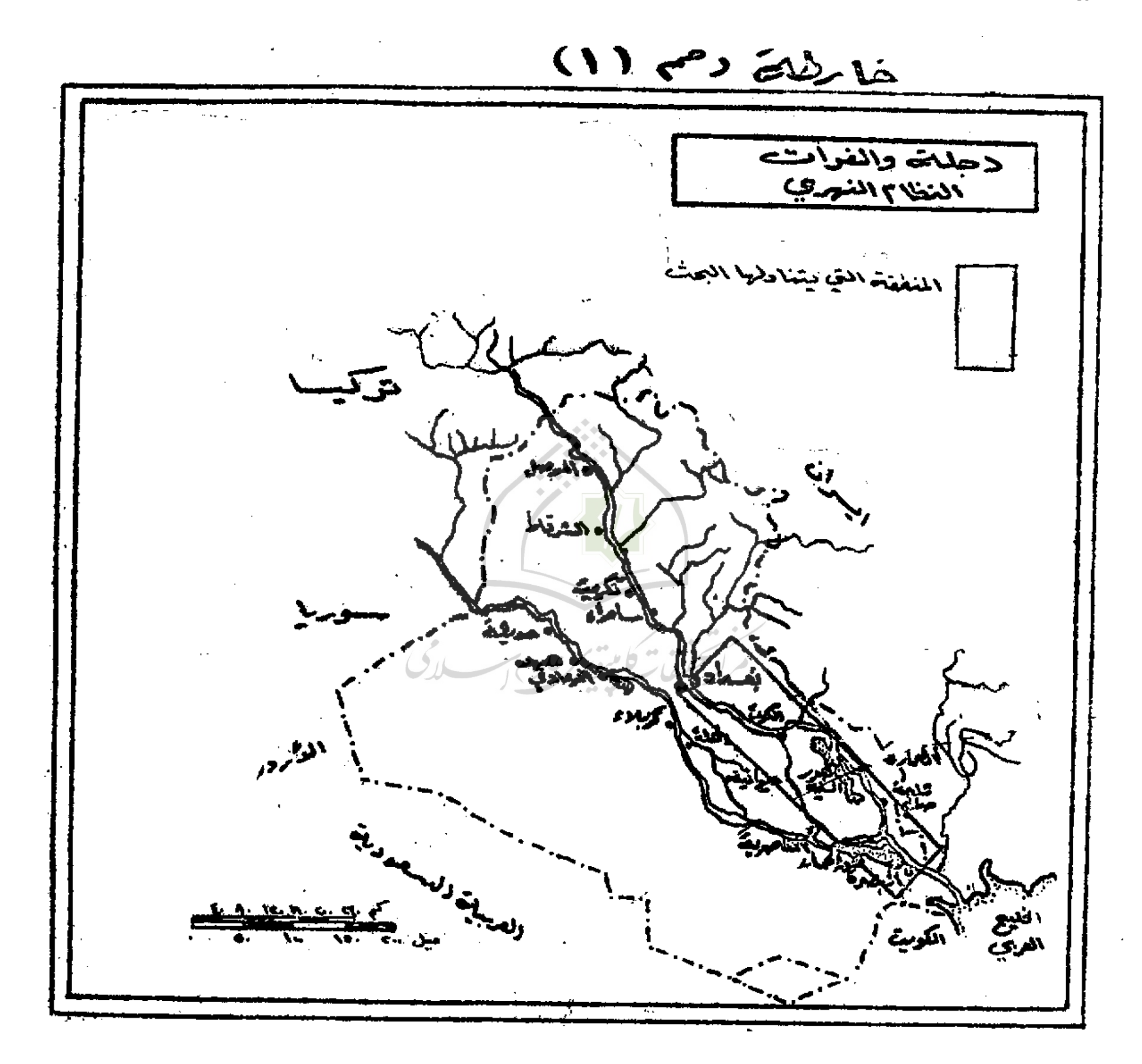
---

(٦) التطور النوعي والمالي بقطاع النقل في العراق ، الجمهورية العراقية ، وزارة التخطيط كانون لاول ١٩٧١ ، ص ١٢٢ .

(٧) المهندس رشاد قزانجي ، صفحات ٣ ـ ٤

٢ ــ التغير الموسمي في مستوى المياه ووجود اقسام ضحلة ذات قيعان صخرية وانحدارات فجائية تؤثر على سرعة تيار المياه في بعض مناطق النهر والركود في مناطق اخرى خلال مواسم معينة[٨] • حيث ان لطبيعة السطح والانحدارات اثرا في جريان الماء وسرعة التيار وملائمته لمرور السفن في الاتجاهين المضادين في حالتي الصعود والهبوط[٩] • كما ان لاختلاف

خارطة رقم (١)



---

(٨) التطور النوعي والمالي ، صفحات ١٢٢ـ١٢٣ •

(٩) الدكتور صلاح الدين الشامي ، جغرافية النقل والمواصلات ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥٦

منسوب الانهار من وقت الى اخر امرا يجب ان لاتغفله ، ففي فصل الزيادة والفيضان يكون النقل عرضة لاضطراب النهر • وفي فصل التحاريق (الصيهود) لا تستطيع المياه حمل المراكب الكبيرة • علما ان اطوار النظام النهري في العراق يظهر على الشكل التالي : الفيضان الشتوي المطري والفيضان الربيعي الواسع ثم الصيهود الصيفي والخريفي[١٠] •

٣ ـ صدور اجراءات تأميم المؤسسات الانتاجية الكبيرة والحاقها بالقطاع العام عام ١٩٦٤ • ومن ثم الزام هذه المؤسسات بنقل منتجاتها بواسطة السكك الحديدية اضافة الى بدأ تسيير القطارات على الخط العريض عام ١٩٦٦[١١] •

وقد ادى الى تحول كميات كبيرة من البضائع التي كانت تنقل بواسطة النقل النهري الى السكك الحديدية اضافة الى ما حققه اكمال تبليط طريق (بغداد ـ البصرة) البري من زيادة في كفاءة النقل بواسطة السيارات •

٤ ـ عدم وجود علامات ملاحية في نهر دجلة مما تضطر الى السير اثناء النهار مما يسبب ذلك الى مضاعفة الوقت الذي تستغرقه السفرة الواحدة والتي تصل الى حوالي عشرة ايام في المواسم الطبيعية وهذه الفترة تعتبر طويلة اذا ما قورنت بالنقل البري بواسطة السيارات او السكك الحديدية[١٢]

٥ ـ عدم وجود سدود وخزانات كافية لتنظيم توزيع المياه طيلة ايام السنة وبالتالي المحافظة على مستوى المياه في انهر العراق[١٣] •

---

(١٠) الدكتور وفيق الخشاب والدكتور مهدي الصحاف ، الموارد الطبيعية ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٦ ص ٢١٢ •

(١١) الدكتور احمد حسون السامرائي ـ محاضرات في جغرافية النقل ، مكتبة الدوري للطباعة . بغداد ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ـ ص ١١ •

(١٢) التطور النوعي والمالي ، نفس المصدر السابق ، ص ١٢٤ •

(١٣) سري المدرس ـ النقل في شط العرب ـ اطروحة ماجستير ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٩ ، ص ١٨

٦ ــ التوسع الزراعي المصحوب بعدم السيطرة على المياه التي اخذت تتسرب الى الاهوار والمستنقعات والذي يتطلب تحويل كميات كبيرة من مياه النهرين الى القنوات والجداول مما انقص مياه الانهار واضعف جريانها

وبصورة عامة هذه الاسباب أدت الى تأخر النقل النهري في العراق اذا قورنت بوسائل النقل البري الاخرى كالسيارات والقاطرات التي تطورت بصورة سريعة وخاصة في السنوات الاخيرة بالنسبة لعدد المسافرين وكمية البضاعة المنقوله • وفي الحقيقة لم يطرأ اي تطور على النقل النهري في العراق منذ مدة طويلة لاسيما خلال السنوات العشر الاخيرة • لان امكانيات النقل النهري محدودة نسبيا في الوقت الحاضر بسبب صعوبة الملاحة في نهر دجلة لاسيما في فصل الصيف • ولهذا فان عدم انتظام الملاحة النهرية في دجلة جعل النقل النهري في العراق في تخلف دون سائر وسائط النقل الاخرى •

وهناك عوامل عديدة ادت الى اضعاف الملاحة في نهر دجلة ، يضاف الى ذلك طبيعة مجرى النهر ذاتها التي سنحاول شرحها بالتفصيل •

الوصف الطبيعي لنهر دجلة

ينبع نهر دجلة من بحيرة كولجك الواقعة في منطقة جبلية بتركية الان ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي حيث يلتقي مع رافد بطمان‌صو ثم موتان‌صو وتكون فائدة النهر في هذه المنطقة محدودة ثم تصل الى جزيرة ابن عمر في ديار بكر • وفي هذه المنطقة تتغير حالة النهر ومن ثم يدخل حدود العالم العربي عند قرية فيشخابور[١٤] •

---

(١٤) الدكتور ابراهيم المشهداني ــ محاضرات في جغرافية العالم العربي ــ الجزء الاول ــ الطبعة الثانية ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٧١ ، الصفحات ٦٤ ــ ٦٥

وتتصل بنهر دجلة بعد دخوله الحدود العراقية من ضفته اليسرى خمسة روافد رئيسية تمونه بـ ٧٧ر٦٥٪ من مجموع مياهه السنوية . وهذه الروافد هي ابتداء من الشمال الى الجنوب (١) الخابور (٢) الزاب الكبير (٣) الزاب الصغير (٤) العظيم (٥) ديالى . فمنها قليل المياه وتجف في فصل الصيف مثل نهر العظيم ومنها كثير المياه كالزاب الكبير الذي تعادل كمية مياهه مجموع كمية مياه الروافد الاربعة الباقية[١٥] .

ويجري نهر دجلة بعد دخوله العراق في واد عميق حتى سامراء وبلد حيث يدخل المنطقة الرسوبية الحقيقية وهو بذلك يشبه وضعية الفرات بين القائم وهيت . ويكون سريع الجريان حتى يدخل المنطقة الرسوبية فتقل سرعته ويكون الانحدار حتى الشرقاط $\frac{١}{١٨٠٠}$ بينما عند بلد $\frac{١}{٢٠٠٠}$ وعندما يدخل المنطقة الحقيقية يكون $\frac{١}{١٤٥٠}$ ويجري النهر من بلد الى الكوت في مجرى عميق منتظم ولكنه يكون عرضه للفيضان لعدم انتظام مياهه او مياه توابعه ويمكن القول بان دجلة اقل انتظاما في جريانه من الفرات وان مستواه عرض للارتفاع المفاجيء، ويختلف جريان توابع دجلة التي يأتي معظمها من المنطقة الجبلية الملتوية وكذلك يختلف نظام تصريفها باختلاف مصدر مياهها اي فيما اذا كان مطرا او ثلجا[١٦] .

وبالنظر لتباين نزول مياه الامطار ومياه الثلوج لذلك تباينت الروافد في موسم ارتفاع مناسيبها ، وتفيض مياه دجلة في قسمه الواقع جنوب

---

(١٥) الدكتور جاسم محمد الخلف ــ محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، معهد الدراسات العربية العالية ــ جامعة الدول العربية ــ ١٩٥٩ ــ ص ١٧٧

(١٦) كوردن هستند ــ الاسس الطبيعية لجغرافية العراق ــ تعريب الدكتور جاسم الخلف الطبعة الاولى ١٩٤٨ ، ص ١٤٨ــ١٤٩ .

هذا القسم من دجلة من الكوت حتى القرنة مع قسم الفرات الواقع بين الهندية والخضر حيث ان المجرى الرئيسي يتوزع الى مجاري كثيرة توصل المياه الى مزارع الشلب والاهوار تتجمع ثانية لتكون مجرا واحدا[١٧] .

ولكون نهر دجلة اقل ثباتا في فيضانه كما انه يجري في وادي اعمق من وادي الفرات لذلك فان دجلة اقل فائدة لاغراض الري من الفرات .

وهناك العديد من القنوات على جهتي النهر بين العمارة وقلعة صالح تأخذ مياهها من النهر . وهذه القنوات الموجودة تأخذ المياه الزائدة من المستنقعات لتعيدها ثانية الى النهر[١٨] .

وتمتد الاهوار والمستنقعات من العمارة حتى الحدود الايرانية شرقا ومن العمارة حتى نهر الفرات غربا ولا يزيد ارتفاع مياه هذه المستنقعات والاهوار عن بضعة اقدام . وتوجد فيها عدة جزر فوق مستوى المياه وتقع عليها القرى التي يسكنها زارعو الشلب ورعاة الجاموس[١٩] .

واقع النقل النهري

يتناول بحثنا هذا دراسة النقل النهري في دجلة ولا سيما على خط (بغداد ــ البصرة) فقط البالغ طوله ٦٨٥ كيلو مترا الذي يعتبر من انشط خطوط النقل النهري المتوفر حاليا في العراق واكثرها حركة وهو الخط المعمول عليه في نشاط النقل النهري في الوقت الحاضر . وذلك لان خط بغداد ــ الموصل لاتوجد ملاحة فيه حاليا ، وعلى خط البصرة ــ هيت تستخدم وسائط نقل صغيرة ولمسافات قصيرة[٢٠] .

---

(١٧) الدكتور ابراهيم المشهداني ، ص ٦٦ .

(١٨) A Handbook of Mesopotamia Vol. 1 General, Admiralty war staff, intelligence Division, August 1916 PP. 117-118.

(١٩) الدكتور ابراهيم المشهداني ، ص ٦٦ .

(٢٠) التطور النوعي والمالي ، ص ١٢٢ .

ويضاف الى ذلك ان نهر الفرات يعتبر اقل صلاحية للملاحة من نهر دجلة وعملية النقل فيه محدودة جدا وتقتصر على المسافات القريبة من مدن الفرات الاوسط ويزيد من مشكلة مروره بهور الحمار في القسم الواقع بين كرمة علي وسوق الشيوخ وتوزع مياهه في اقسامه الجنوبية على مساحات كبيرة وكذلك على الفروع والجداول التي تأخذ المياه منه لسقي مزارع الرز ، ولهذا فلا يصلح الا للسفن الشراعية والزوارق البخارية الصغيرة اللهم الا في موسم الفيضان وفي بعض اقسامه التي تصلح لسير البواخر الصغيرة ومع ذلك فهذه السفن تقوم بقسط كبير لنقل البضائع[٢١] •

غير ان امكانيات النقل النهري في دجلة تعتبر محـدودة نسبيا بسبب صعوبة الملاحة فيه لاسيما حين ينخفض منسوب المياه في فصل الصـيف (موسم قلة المياه في النهر) • وان المصاعب التي يواجهها الناقلون في نهر دجلة كثيرةاهمها :

١ ـ هبوط مناسيب مياه نهر دجلة في بعض اشهر السنة مما يعيق او يؤخر سير الجنائب[*] • ففي الاشهر آذار ونيسان وايار وحزيران في كل سنة تكون مناسيب المياه عالية حيث بالامكان تسيير وسائط النقل النهريـة وتحميلها بكامل طاقتها دون صعوبة تذكر وبنفس الوقت ايصالها من البصرة الى بغداد او بالعكس باقل مدة ممكنة وبارخص الاسعار • وفي الاشهر التي تهبط فيها مناسيب المياه في دجلة فان نسبة نقل الحمولات تقل ما بين ٤٠٪ من اصل حمولتها في الماء العالي ـ فالجنيبة التي تشحن بـ ٤٠٠ طنا (بكامـل حمولتها) في مناسيب المياه العالية فليس بالمستطاع تحميلها اكثر من ٢٠٠ـ ٢٤٠ طنا عند هبوط مناسيب المياه في النهر •

---

(٢١) الدكتور جاسم محمد الخلف ، ص ٣٤٧ .

(*) الجنائب راجع (ص ٧٠٧) .

٢ ـ كثرة الترسبات في نهر دجلة في منطقة المضايق والتي تقع مابين العمارة والكسارة مما يعيق سير الجنائب والزوارق الالية[٢٢] ، علما ان كميات الطمي التي تحملها مياه نهر دجلة في الفيضان اكثر مما تحمله مياه نهر الفرات[٢٣] .

٣ ـ كثرة المنعطفات والانحنائات وضيقها في بعض المناطق من نهر دجلة مما يصعب معه سير ودوران وسائط النقل النهرية .

٤ ـ وجود عوائق في النهر مما يشكل خطرا على سير الوسائط النهرية وخاصة عند ارتفاع منسوب المياه اذ لايمكن ملاحظتها من قبل الملاحين دون وجود اشارات تهديهم الى وجود الخطر . واهم هذه العوائق هي سقوط صبات الاسس للمضخات الكبيرة المنصوبة على النهر والتي تتآكل ضفافها في تلك المنطقة وبقائها دون اتخاذ اي اجراء من اصحاب المضخات او الجهات المختصة لازالتها بعد سقوطها في الماء ..

تطوير الملاحة في نهر دجلة

ولغرض تحسين الملاحة في نهر دجلة بين بغداد والبصرة يمكننا تقسيم النهر من حيث صلاحيته للملاحة الى الاقسام التالية :

١ ـ النقل النهري بين البصرة ـ العمارة .

ان اكثر الاجزاء صعوبة للملاحة النهرية في هذا القسم بين بغداد والبصرة هو الجزء الواقع بين العمارة والكسارة لاسيما القسم الواقع منه بين نهر الطبر والكسارة بطول ٦٣ كيلو مترا والذي يعرف باسم المضايق .

ان نهر دجلة في هذا القسم يضيق حتى يصل عرضه ٤٠ مترا ويوجد فيه انحناءات حادة يتراوح انحناء بعضها من ١٢٠ ـ ١٥٠ مترا تصعب فيها الملاحة .

---

(٢٢) المهندس رشاد قزانجي ـ الصفحات ٤ ـ ٧ .

(٢٣) سري المدرس ـ ص ١٨ .

ان العارض الرئيسي للملاحة هو عمق الماء القليل اثناء الصيهود اي في موسم قلة المياه في النهر والتي تكون عادة خلال الاشهر آب ــ ايلول ــ تشرين الاول وتشرين الثاني • وان السبب الرئيس في قلة المياه عند المضايق في معظم اشهر السنة هو الكمية غير المحدودة من المياه التي تأخذها خمسة من جداول الري الكبيرة التي تروي اراضي لواء العمارة وهي : المشرح والكحلاء والطبر والمجر الكبير والمجرية • وبوجود هذه الجداول مقدم منطقة المضايق فان المياه في نهر دجلة وخاصة اثناء النوبة الواطئة تدخل في تلك الجداول وتصبح منطقة المضايق غير صالحة للملاحة النهرية • وان الجنائب التي يزيد غاطسها عن ٠ر٩ من المتر لاتستطيع السير في هذا الجزء من النهر اثناء الصيهود في الوقت الحاضر ولذلك تعمل مناوبة لمدة يومين الى اربعة ايام في كل خمسة عشر يوما وذلك بسد بعض الجداول وهي البتيره والكحلاء والمجر الكبير وزيادة المياه من سدة الكوت ايضا لغرض زيادة كمية المياه خلال المضايق الى العمق الذي يسمح بمرور الجنائب •

وعليه وفي سبيل تحسين الملاحة في هذه المنطقة ، اي منطقة المضايق وجعلها متيسرة طيلة السنة فقد اقترح الاستشاريون (شركة ثامس الهندسية الامريكية) والخبراء السوفيت انشاء ناظمين احدهما في الكسارة والآخر قرب قلعة صالح واقترح ان يكون تصميم الناظمين المذكورين (اعلى تصريف) بمقدار ١٥٠ متر مكعب في الثانية وان يحتوي على (هويس) للملاحة وجدران الدلالة وسلم للاسماك •

٢ ــ النقل النهري بين العمارة والكوت

ان طريق الملاحة الحالي بين مدينتي الكوت والعمارة طوله ٢٥٧ كيلو متر • والنهر يسير باتجاه الجنوب الشرقي وفيه تعرجات كثيرة • لان المسافة بين الكوت والعمارة على خط مستقيم هي ١٢ كيلو متر ، بينما هي بطريق النهر ٢٥٧ كيلو متر • وعلى الجهة اليمنى من النهر توجد فتحة المصدق وذلك لتصريف مياه الفيضانات الزائدة التي تمر في نهر دجلة لتصبها

في الاهوار الواقعة في الجهة اليمنى من النهر وذلك عندما يزيد تصريف نهر دجلة عن ١٨٠٠ متر مكعب في الثانية عند فتحة المصدق ويكون منسوب الماء اكثر من ١٠ر٥ متر فوق مستوى سطح البحر •

هذا وان مجرى النهر ما بين الكوت والعمارة يتوقف على المياه التي تطلق من سدة الكوت وتشغيل (الهويس) وعلى المياه التي تأخذها جداول الري • ففي مقدم سدة الكوت يوجد ناظم مشروع الغراف الكبير وناظم مشروع الدجيلة في الجهة اليمنى من النهر • ثم فتحة المصدق الانف الذكر • ثم جدول البتيرة الواسع في الجهة اليمنى من النهر عند مقدم مدينة العمارة •

ويتفرع من النهر في الجهة اليسرى منه جدولي الكحلاء والمشرح وعند بلدة العمارة يوجد ناظم قديم على جدول الكحلاء فقط •

ولتحسين الملاحة بين الكوت والعمارة سوف لايحتاج الى عمل اي منشأ على النهر سوى اجراء الحفريات بواسطة مكائن (الدريجرز) وانشاء العلامات الملاحية اللازمة •

٣ ـ النقل النهري بين الكوت وبغداد

ان سير الملاحة في هذا القسم من نهر دجلة مابين بغداد والكوت متيسر طيلة السنة ولايحتاج الى منشأ سوى وضع العلامات الملاحية الضرورية وذلك لان عمق الملاحة فيه متوفر وكمية المياه كافية •

ويبدو ان الملاحة بين بغداد والبصرة ستكون متيسرة طيلة السنة عند انشاء الناظمين الانف ذكرهما ، وعند انشاء العلامات الملاحية الضرورية على طول النهر واجراء الحفريات اللازمة بواسطة مكائن (الدريجرز) ولا يعترضها سوى صعوبة واحدة وهي (هويس) سدة الكوت • وذلك لان منسوب قعر الهويس هو ٩ر٥ متر فوق سطح ولاجل تأمين عمق ملاحي في الهويس وهو ١ر٥ متر على الاقل فيجب ان يكون منسوب ماء النهر مؤخر السدة بما لايقل عن ١١ر٠ متر والذي يمكن تهيئته اذا كان تصريف النهر مؤخر سدة الكوت لا يقل عن ١٨٥ متر مكعب في الثانية •

وكلما تحسنت خطوط الملاحة النهرية في دجلة وزادت حركة النقل ازدادت معها عدد اللذين يشتغلون بالنقل النهري بين بغداد والبصرة وازدادت معها ارباحهم • ولكن لم يطرأ اي تطور على النقل النهري في دجلة منذ مدة طويلة بسبب صعوبة الملاحة فيه ولاسيما عندما ينخفض منسوب المياه في النهر الى مستويات لا تسمح بمرور وسائط النقل النهرية(٢٤) •

وسائط النقل النهري

بقيت الوسائط المستعملة في الوقت الحاضر كما كانت عليه منذ اكثر من نصف قرن تقريبا اضافة الى انخفاض اسعارها وتدهور اجور النقل بواسطتها• لذلك اصبح دور النقل النهري محدود بالنسبة لعملية النقل بصورة عامة • وان مشكلة تدهور وسائط النقل النهري قائمة الان في بلدنا وتشتد سنة بعد اخرى وبالقاء نظرة على الجدول رقم (١) الخاص بعدد السفن المحلية التي تشتغل في المياه العراقية وحمولتها سنرى هبوطها مستمرا في وسائط النقل النهري البالغ عددها ١٢٨٥ واسطة سنة ١٩٧٠ بنسبة ٢٨٪ عن سنة ١٩٥٠ ، ومثلها تقريبا عن سنة ١٩٦٠• ويلاحظ ان الهبوط لازال مستمرا بعد سنة ١٩٧٠• وقد حافظت الجنائب على عددها تقريبا من بين كافة الوسائط النهرية(٢٥) • وتكون الجنائب غير الالية حوالي ٨٠٪ من مجموع وسائط النقل النهرية وتتراوح حمولتها بين ٢٠٠ الى ٦٠٠ طن(٢٦) وتشمل الوسائط هذه ، الاصناف التالية :

---

(٢٤) المهندس رشاد قزانجي ، الصفحات ٤-٥٥ .

(٢٥) التطور النوعي والمالي ، ص ١٢٤ .

(٢٦) قطاع النقل والمراسلات ، تقرير رقم (١) المنقح ، وزارة التخطيط . مجموعات عمل خطة التنمية القومية (١٩٧٦-١٩٨٠). ايلول ١٩٧٤ ص ٩٠

١ ـ ابـلام الية (المهيلات)

وهي اكبر القوارب المحلية حجما وتستعمل كثيرا بين البصرة وبغداد، ويختلف طولها بين ٣٠ ـ٨٠ قدما • وتنقل حمولة بين ١٠ ـ٥٠ طنا • وتستغرق السفرة من بغداد ـ البصرة من أسبوعين الى ثلاثة اسابيع في فترة المنسوب العالي بينما تستغرق من ٥ـ٧ اسابيع في زمن المنسوب المنخفض (شكل رقم ـ١)



شكل رقم (١)

٢ ـ سفن مجاديف (ابـلام) •

تستعمل عادة لنقل العابرين فوق النهر ولكن تستخدم في بعض الحالات لنقل بضائع خفيفة الوزن من طن واحد وتستعمل ايضا لصيد الاسماك وخاصة الابلام الصغيرة عندما تستعمل الشبكات • وتنتشر الابلام قرب بغـداد والبصرة[٢٧] • (شكل رقم ـ ٢) •

---

(٢٧) Al-Samarraie. Ahmed Hassoun, Transport in Iraq (A study in economic Geography) A thesis sumitted to the University of Reading for degree of Doctor of Philosophy in april 1969 PP. 95-96.

٣ ـ شخاتير

جمع شختور وهو قارب كبير من الخشب منبسط القاع(٢٨) .



شكل رقم (٢)

٤ ـ دوب (جنائب)

والدوبة جمع دوبة وهي تشبه الشختور في كونها زورق عريض منبسط القاع(٢٩) . (شكل رقم ـ ٣)



شكل رقم (٣)

---

(٢٨) سري المدرس ـ ص ١٠٩

(٢٩) الدكتور جاسم محمد الخلف ، ص ٣٤٧ .

٥ ــ القفة

هي قارب مدور قطره يتراوح بين ٥ الى ٨ أقدام وتطلى بالقار من الداخل والخارج •تستعمل القفة محليا فقط لسفرات قصيرة مثل البلم وتتحرك بمجداف وان القفة المتوسطة الحجم تستوعب عشرة اشخاص وتستخدم ايضا لنقل البضائع والحيوانات • اما القفة الاكبر حجما فقد تنقـل حوالي ٢٠ شخصا • وان هذه الواسطة للنقل شائعة على نهر الفرات •

٦ ــ الكلــك

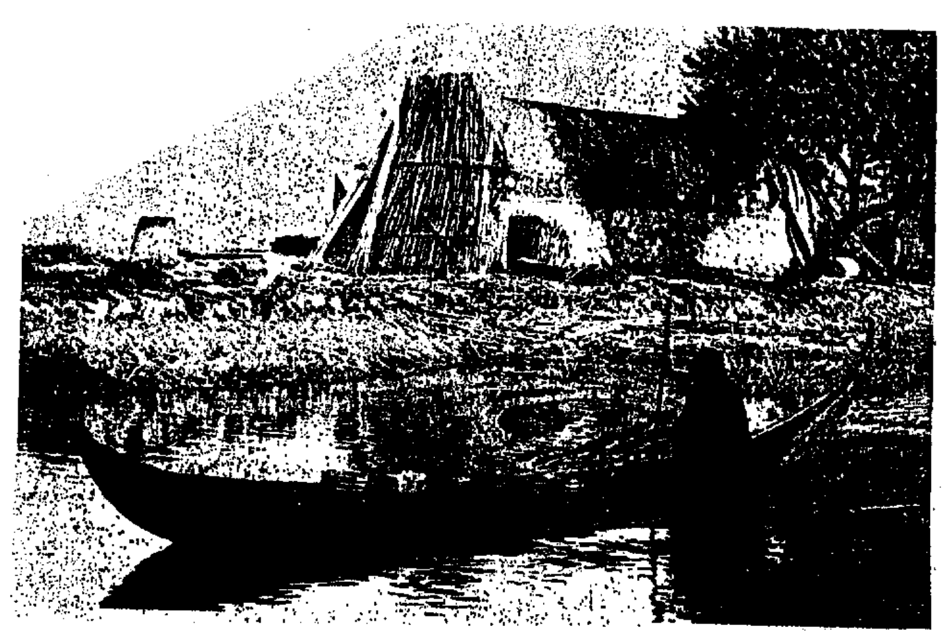
وهي واسطة للنقل في الجهات العليا من دجلة بالاخص شمال بغـداد وفي الزابين • وتستخدم للنقل المحلي وعلى نطاق ضيق مع التيار النازل للنهر فقط • ومنذ اكمال ناظم سامراء قل استخدامها حاليا •

٧ ــ المشحوف

وهو قارب خفيف اشبه بالبلم يصنع من الواح القصب الخفيف والمطلي بالقار • والمشحوف شائع في محافظات العمارة والبصرة والناصرية في جنوب العراق في مناطق الاهوار • والمشحوف واسطة النقل الرئيسية لسكان الاهوار وتملك تقريبا كل عائلة واحـدا منه ، وقد تملـك بعض العوائل الغنية (٤) مشـاحيف • ويستعمل المشحوف لنقل الاشخاص والحيوانات ومحاصيـل الاهوار ايضا وكذلك يستعمل لصيد الاسماك[٣٠] • (شكل رقم ــ ٤)

---

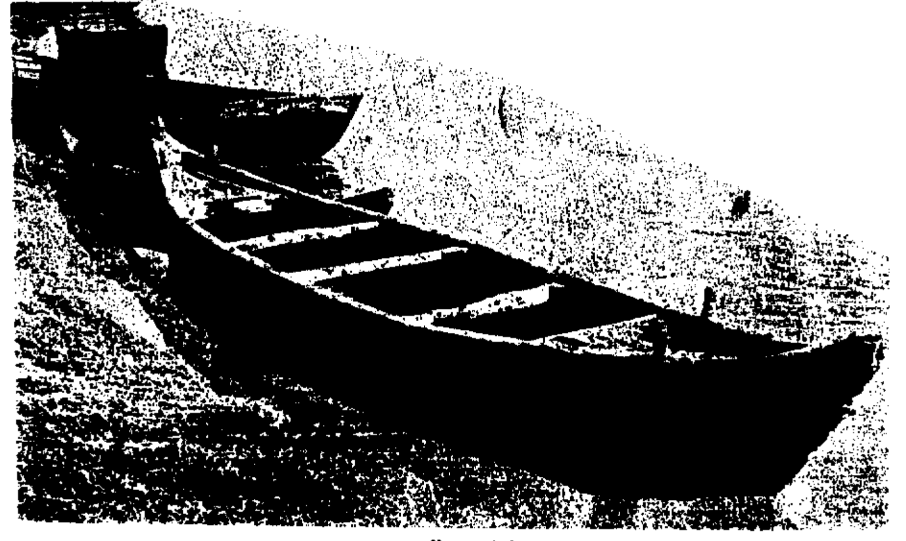
(٣٠) Al-Samarraie, Transport in Iraq, PP. 94-95.



شكل رقم (٤)

٨ ـ **الكعود :**

يجري الكعود بواسطة الدفع بمرادي غليظة (وهو عمود من القصب الغليظ) وقد يستعمل الشراع في بعض الكعود ، وفي اكثر الاحيان تربط هذه الواسطة مع الزوارق البخارية ذهابا وايابا • ويستخدم الكعود لنقل القصب والبردي والرز والتمور والامتعة الثقيلة الى داخل هور الحويزه او الى مراكز النواحي المجاورة للهور [٣١] • (شكل رقم ـ ٥)



شكل رقم (٥)

(٣١) ماجد السيد ولي محمد ـ هور الحويزة ، دراسة بشرية ، رسالة ماجستير كانون الاول ١٩٦٧ ، الصفحات ١٤٤ ـ ١٤٧ ـ ٢٤٨ •

٩ ـ نصارى :

ويتركز نشاط هذه الوسائط غالبا داخل شط العرب وكذلك على خط بصرة ـ بغداد حيث تستعمل عند تفريغ وتحميل البواخر الراسية في الموانيء كما تقوم بعض السفن الشراعية الكبيرة والدوب بنقل البضائع بين الموانىء العراقيـــة وموانىء الخليج العربي •

واذا ما ركزنا على نشاط السفن النهرية التجارية (الدوب) العاملة على خط بصرة ـ بغداد نشاهد ان معدل عدد السفرات الجنبية (الدوبة) الواحدة (راجع الجدول رقم ـ٢ـ) كان يتراوح بين (٧ـ٨) سفرات خلال الفترة (١٩٥٠ـ١٩٦٠) ثم نخفض المعدل الى (٣) سفرات في سنة ١٩٧٠ والى اقل من ذلك سنة ١٩٧٥ ، مع ملاحظة عدم حصول انخفاض في معدل حمولة الواسطة في السفرة الواحدة ، خلال هذه الفترة مما يدل على ان السفن تأخذ حمولة كاملة لكل سفراتها ، وبعد ان كان معدل اجر الطن الواحد المنقول على هذا الخط لايقل عن (٢) دينار حتى عام ١٩٥٨ اصبح في الوقت الحاضر لايتجاوز (٥ر١) دينار في اغلب الاحوال •

ونستدل من الجدول (رقم ـ ٣ ـ) بان النقل النهري قد اعتمد بالدرجة الاولى على الزوارق البخارية الصغيرة والالية بكونها وسائط تلائم قلة عمق المياه لذلك حافظت على عددها خلال السنوات ٩٥٩ـ١٩٦٩ ، وقد بلغت نسبة الزيادة في عام ١٩٦٩ بما يقارب المرة والنصف المرة عن السنة السابقة ١٩٥٩ ، ثم انخفض العدد منذ عـــام ١٩٧٠ ولغايـــة عـــام ١٩٧٥ •

جدول رقم (١)

عدد السفن المحلية التي تشتغل في المياه العراقية وحمولتها بالاطنان للفترة ١٩٥٠ ــ ١٩٧٢ (٣٢)

السنة	ابلام اليه امهيلات	سفن	مجاذيف ابلام	شخاتير	دوبات (جنائب)	كمود	تصاري	المجموع الحمولة (بالاطنان)
٩٥١/٩٥٠	٢٩٠	٧٨٠	١٣٠	٤٧٦	٧٨	١٩	١٧٧٣	١٣٧٥٨٧
٩٥٢/٩٥١	٢٣٦	٧٤٩	١٣٤	٥٠٣	٨٠	٢٤	١٧٢٦	١٣٩٠١٢
٩٥٣/٩٥٢	٢٣٥	٧٤٤	١٣٥	٥٠٥	٨٠	٢٤	١٧٢٣	١٣٩٤٠٠
٩٥٤/٩٥٣	٢٣٤	٧٤٠	١٣٤	٥٠٧	٧٨	٢٤	١٧١٧	١٣٩٦٠٠
٩٥٥/٩٥٤	٢٢٧	٧٣٤	١٦٤	٥٢٠	٧٣	٢١	١٧٣٩	١٤٣٤٢٥
٩٥٦/٩٥٥	٢٢٧	٧٢٩	١٦٢	٥٣٥	٧١	٢٠	١٧٤٤	١٤٦١٨٢
٩٥٧/٩٥٦	٢٢٠	٧١٨	١٥٠	٥٤٢	٥٩	٢٠	١٧٠٩	١٤١٩٣٢
٩٥٨/٩٥٧	٢١٢	٦٨٥	١٤٢	٥٤١	٥١	١٨	١٦٤٩	١٤٥٥٠٢
٩٥٩/٩٥٨	٢٠٩	٦٧٠	١٧٦	٥٨٣	٤٠	١٠	١٦٨٨	٢٦٨١٤٠
٩٦٠/٩٥٩	٧٤	٥٢١	١٧٦	٥٩١	٤٠	٧	١٤٠٩	٢٦٥٥٤٠
٩٦١/٩٦٠	١٣٦	٦٤٠	١٥٨	٦٢٩	٥٩	٦	١٦٢٦	٢٨٠٤٧١
٩٦٢/٩٦١	١٣٤	٦٣٦	١٥١	٦٢٩	٥٧	٦	١٦١٣	٢٨٠٤٧١
٩٦٣/٩٦٢	١٣٠	٤٩٣	١٥٠	٤٧٠	٥٦	٥	١٣٠٤	٣٢٢٨٢٩
٩٦٤/٩٦٣	١٢٠	٥٨٥	١٣٤	٥٠٠	٥٥	٤	١٣٩٨	٢٥٣٨٧٩
٩٦٥/٩٦٤	١٢٠	٥٨٩	١٢٤	٤٨٠	٥٤	٤	١٣٧١	٢٤٨٨٧٧
٩٦٦/٩٦٥	١١٦	٥٨٨	١٠٩	٤٧٩	٥٤	٤	١٣٥٠	٢١٨٤٦٩
٩٦٧/٩٦٦	١١٥	٦٠٠	١١٦	٤٦٩	٥٤	٤	١٢٥٨	٢١٨٥٨٩
٩٦٨/٩٦٧	١٠٢	٥٩٧	١٠٧	٤٦٠	٥٢	٤	١٣٢٢	٢١٨٠٥١
٩٦٩/٩٦٨	١٠٠	٥٣٧	١٠٧	٤٧٨	٥٢	٤	١٢٧٢	١٣٥٦٩٨
٩٧٠/٩٦٩	٩٥	٥٥٩	١١١	٤٦٦	٥٠	٤	١٢٨٥	١٣٧٩١١
٩٧١/٩٧٠	٨٦	٥٦٥	١٠٦	٤٥٧	٤٩	١	١٢٦٤	١٤٠٣٠٤
٩٧٢/٩٧١	٨٦	٥٥٤	١٠٧	٤٥٦	٤٩	١	١٢٥٣	١٣٩٦٨٠ (٣٣)

(٣٢) التطـور النوعي والمالي ص ١٢٦ .

(٣٣) مصلحة الموانىء العراقية ــ التقرير الاحصائي السنوي ١٩٧٢ ص ٤٥ .

جـــدول رقم (٢)

عدد السفن النهرية البخارية التي تشتغل بين بغداد والبصرة وعدد السفرات التي قامت بها(٣٤)

السنين	العدد	السفرات صعودا	السفرات نزولا
١٩٥٠	٥٤	١٨٠	١٩٠
١٩٥١	٤٢	٢٠١	٢٠٨
١٩٥٢	٤٢	٢٠٠	٢٠٣
١٩٥٣	٣٨	٢٠٠	١٩٦
١٩٥٤	٣٦	٢١٢	٢١٤
١٩٥٥	٣٦	٢٢٤	٢٢٤
١٩٥٦	٤١	٢٢٩	٢٢٩
١٩٥٧	٢١٣	١٣٠٧	١٣٠٧
١٩٥٨	٢٠٩	٨١٦	٨١٦
١٩٥٩	٢١٣	١٠٢٥	١٠٢٥
١٩٦٠	٢٦٤	١١٠٥	١١٠٥
١٩٦١	٢٧٠	٩٧٩	٩٧٩
١٩٦٢	٢٤٦	٨٨٧	٨٨٧
١٩٦٣	٢٤٠	٥٩٩	٥٩٩
١٩٦٤	٢٧٥	١١٠٠	١١٠٠
١٩٦٥	٢٤٦	٩٩٤	٩٩٤
١٩٦٦	٢٠٢	٩٢٤	٩٢٤
١٩٦٧	٢٠٢	٨٣٥	٨٣٥
١٩٦٨	٩٩	٤١٥	٤١٥
١٩٦٩	٢٣٨	٣٦٧	٣٦٧
١٩٧٠	٢٣٨	٣٣٩	٣٣٩
١٩٧١	١٠٣	٣١٣	٣١٣(٣٥)
١٩٧٢	٩٨	١٦٨	١٦٨
١٩٧٣	٤١	١٤٠	١٤٠
١٩٧٤	٩٢	٩٢	٩٢

(٣٤) التطور النوعي والمالي ــ ص ١٢٧ .

(٣٥) المؤسسة العامة للموانيء العراقية ــ التقرير الاحصائي السنوي ــ ١٩٧٥ ص ٤٤ .

جـــدول رقم (٣)

عدد الزوارق البخاريـة خـلال الفترة ٥٩ ـ ١٩٧٤[٣٦]

السـنة	عـدد الزوارق البخارية
١٩٦٠/٥٩	٧٠٩
١٩٦١/٦٠	٨٧١
١٩٦٢/٦١	٩٠٢
١٩٦٣/٦٢	٩٧٢
١٩٦٤/٦٣	٩٦٨
١٩٦٥/٦٤	٩٦١
١٩٦٦/٦٥	٩٧٨
١٩٦٧/٦٦	١٠٠٦
١٩٦٨/٦٧	١٠٤٧
١٩٦٩/٦٨	١٠٧١
١٩٧٠/٦٩	١٠٥٧[٣٧]
١٩٧١/٧٠	١٠٣٩
١٩٧٢/٧١	١٠٤١
١٩٧٣/٧٢	١٠٣٦
١٩٧٤/٧٣	١٠٠٦
١٩٧٥/٧٤	٩٨٨

وهكذا يبدو جليا مدى تدهور وسائط النقل النهري والتخلف الذي اصابه على مر السنين بمقارنته مع تطور وسائط النقل الاخرى[٣٨] . وان ذلك يمثل انعكاسا لعدم تطور النقل النهري في السنوات الماضية الامر الذي يعزي الى مايلي :

(٣٦) نشرة احصاءات النقل والمواصلات للفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩ وبعض التوقعات للفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ ـ دائرة احصاءات النقل والمواصلات آب ١٩٧٠ ص ١٣٦

(٣٧) التقرير الاحصائي السنوي ١٩٧٥ ص ٤٤

(٣٨) التطور النوعي والمالي ص ١٢٥ .

١ ـ الزام المؤسسات الحكومية باستخدام السكك الحديد وسيارات شركة النقل البري لنقل بضائعها وبصورة خاصة بعد سنة ١٩٦٤ •

٢ ـ عدم صلاحية الانهر وانعدام اعمال تحسين الملاحـة •

٣ ـ زيادة الاستثمارات في مجالي النقل باسكك الحديد والنقل على الطرق البرية وتطوير هذين المرفقين •

٤ ـ توفر عامل السرعة في النقل بالسكك الحديد والنقل على الطرق وضعفه في النقل النهري[٣٩] •

مستقبل النقل النهري

ان استخدام النقل المائي ووسائله في الانهار الصالحة للملاحة مهم وضروري من وجهة النظرة الاقتصادية لانه السبيل الوحيد لنقل السلع الثقيلة الوزن الكبيرة الحجم بتكاليف معقولة • ومع ذلك فان هذه الوسيلة تتميز بالبسط الشديد اكثر من اي وسيلة اخرى ويعني البطء الشديد من ناحية اخرى • اي لسلع المنقولة تكون عادة من الانواع والاصناف التي تحتمل التأخـير والتعطيل والبطء ، وهذه الصفات مجتمعة تمكن النقل النهري من تأدية وظيفته في خدمة التجارة وتنمية الانتاج وان ينافس النقل البري على السيارات او سكة الحديد • بل ان تلك المنافسة تكون مجدية من وجهة النظر الاقتصادية لانها تؤدي الى خفض اجور كل من هاتين الوسيلتين الاخيرتين[٤٠] •

ويبدو ان لتحسين الملاحة النهرية اثرها الكبير في تنشيط حركة النقل النهري والحركة التجارية والتخفيف من الضغط المتزايد على طرق المواصلات البرية اضافة الى تخفيض تكاليف نقل المواد والسلع[٤١] • لذا فقد اهتمت الحكومة العراقية منذ مدة طويلة باستدعاء المؤسسات الاستشارية المختصة

---

(٣٩) قطاع النقل والمواصلات ، ص ٩١ •

(٤٠) الدكتور صلاح الدين الشامي ، ص ٦٣

(٤١) التطور النوعي والمالي ، ص ١٢٨ •

لدراسة تنظيم وتحسين النقل النهري في العراق في النهرين الرئيسين دجلة والفرات فاستدعت الشركة الاستشارية الامريكية الهندسية والتي اشتهرت باسم ـ ثامس ـ الدراسة واجراء التحريات وتقديم التقرير لتحسين الملاحة في نهري دجلة والفرات . غير ان عدم انتظام الملاحة النهرية في دجلة جعل النقل النهري في العراق في تخلف دون سائر وسائط النقل الاخرى[٤٢] ، الامر الذي حدا بالمسؤلين الى اتخاذ الخطوات اللازمة لتحسين الملاحة في نهر دجلة بين بغداد والبصرة ليكون هذا الخط صالحا للملاحة طيلة اشهر السنة .

ولقد سبق وان عهدت دراسة قسم الملاحة لقسم من نهر دجلة الواقع بين بغداد والبصرة الى خبراء من الاتحاد السوفيتي خلال عام ١٩٦٠ ، وقد اتم الخبراء هذه الدراسة واعدت التصميمات اللازمة الى ان اجراء فعليا لم يحدث بخصوص التنفيذ وابراز المشروع الى حيز الوجود . وبقي الموضوع قيد الدرس حتى عام ١٩٦٨ اذ تقرر بعد هذا التاريخ اتخاذ الاجراءات الفعلية في التنفيذ وقسمت المشروعات المشمولة بالتحسين الى قسمين اصبحت مصلحة الموانىء مسؤولة عن تنفيذ قسم منها ومديرية السدود والخزانات في وزارة الري مسؤولة عن تنفيذ القسم الاخر .

وقد تمت عمليات المسح لبعض الاعمال منها تعريض وتعميق النهر ـ تهذيب تعرجات مجرى النهر ـ وضع علامات ملاحية ـ انشاء ارصفة لرسو الجنائب ، وبوشر بالتنفيذ الفعلي في اعمال الحفر كما انجز صنع العلامات ويجري الان نصب هذه العلامات كما يؤمل المباشرة بتنفيذ الارصفة في بغداد [٤٣] . كما بوشر بالعمل في انشاء ناظمي قلعة صالح وناظم الكسارة منذ عام ١٩٧٥/٢/١٩ .

---

(٤٢) المهندس رشاد قزانجي ، ص ٥ وص ٢٦ .

(٤٣) قطاع النقل والمواصلات ، ص ٨٧ ـ ٨٩

والى جانب ذلك هناك اعمال اخرى على وشك الانجاز وهي انشاء نواظم على صدر جداول المجرية والكحلاء والمشرح ،وكذلك انشاء سداد جانبية وبزل خلف السداد وتكسيه بعض المواقع(٤٤) ٠

هذا اضافة الى ان هناك اعمال تكميلية اخرى للمشروع منها بناء الارصفة والمخازن وورش اللازمة لخدمة اغراض المشروع في المحطات الرئيسية على امتداد مسار النهر بين بغداد والعزيزية والكوت والبصرة(٤٥) ٠

وان انجاز هذه الاعمال الحيوية سوف يؤدي الى مايلي :

١ ـ استعمال الطاقة المتوفرة لحمولة وسائط النقل الحالية في جميع المواسم وعدم الانتظار او الاعتماد على فتح الماء من سدة الكوت ٠

٢ ـ تقليل مدة السفرة التي تستغرقها الواسطة ٠

٣ ـ التخفيف من حركة المرور المتزايد على الطريق البري بين بغداد ـ البصرة ٠

ويظهر مما سبق ان النقل النهري متخلف في العراق بسبب قلة حصول اي زيادة في كفاءة تشغيل وسائط النقل النهري او في حجم نشاطها بمقارنته مع التطور الكبير الذي حصل في مجالات النقل الاخرى ٠ لذا يمكن اعتبار النقل النهري من فروع النقل القديمة بالنسبة للعراق ، وتقع تبعية تخلفه اساسا على طبيعة نهري دجلة والفرات من جهة ، وعدم شمولية البرامج الاقتصادية ولغرض تحسين النقل النهري وتطويره ظهرت عدة محاولات منها :

---

(٤٤) كمال عبدالقادر ولي ـ رئيس المهندسين ـ دائرة النقل والمواصلات ، وزارة التخطيط

(٤٥) اديب جورج ـ منجزات المنشأةالنقل النهري لغاية نيسان ١٩٧٧ ـ منشأة النقل النهري ٠

١ ـ قامت الجهة المختصة في مصلحة الموانىء العراقية باجراء الدراسات اللازمة التي تبين الواقع الحالي للنقل النهري وكيفية تطويره والسبل الكفيلة بالاسراع في هذا التطور بهدف الاستفادة من مشروع تحسين الملاحة النهرية باقصى ما يمكن •

٢ ـ تطوير دراسات تحسين الملاحة في نهر الفرات ودراسة امكانية المباشرة ببعض المشاريع المتعلقة بها ، لغرض تنشيط الحركة التجارية والزراعية والصناعية في المنطقة الواقعة على هذا الخط[٤٦] •

٣ ـ العمل على فتح مدرسة للملاحة النهرية في مدينة بغداد لتدريب العراقيين على العمل النهري والملاحة النهرية ، وسيصل القطر قريبا وجبة من الخبراء اليوغسلافيين لهذا الغرض •

٤ ـ تشغيل الجنائب التي وصلت للقطر مؤخرا على ظهر الاسطول النهري لنقل الحبوب من البواخر الراسية في مينا ءالفاو وميناء ام قصر الى سايلو البصرة اضافة الى نقل البضائع الاخرى كالسمنت والتمور وغيرها للمساهمة في عملية النقل والتخفيف عن وسائط النقل العراقية الاخرى• وقد اعدت مؤسسة النقل المائي الكوادر اللازمة للعمل على ظهر الاسطول النهري حيث عاد الى بغداد عدد من المهندسين والفنيين العراقيين بعد ان اكملوا تدريبهم في يوغسلافيا[٤٧] •

---

(٤٣) اديب جورج منشأة النقل النهري ـ منجزات المنشأة النقل النهري لغاية نيسان ١٩٧٧ .

(٤٦) التطور النوعي والمالي ـ نفسه المصدر السابق ـ الصفحات ١٢٨ ـ ١٢٩

(٤٧) رسالة النقل ـ مجلة فصلية تعنى بشؤون النقل تصدرها وزارة النقل ، العدد الثالث ، كانون الثاني ـ ١٩٧٧ ، ص ٤٤ .

٥ ـ تم تسلم بعض وحدات الاسطول النهري كزوارق الخدمات لنقل الملاحين ونقل الوقود وورشة التصليح الى جانب الجنائب والقاطرات المسلمة منذ تاريخ ١٩٧٧/١/٩ ولحد ١٩٧٧/٤/٢ ، والمتوقع استلام القسم الاخير خلال هذه الفترة .

٦ ـ تم الاتفاق المبدأي وتوقيع البروتوكول مع شركة النقل النهري اليوغسلافية على ان تقوم الشركة المذكورة بارسال خبيرين للعمل في المنشأة لمدة ستة اشهر وقبول الشركة المذكورة تزويد المنشأة بخمسين ربان وخمسين ميكانيك (٢٨) .

(٤٨) اديب جورج المصدر السابق .

مراجع البحث

(١) Al-Samarraie, Ahmed Hassoun, Transport in Iraq (A study in Economic Geography) A thesis submitted to the University of Reading. or Degree of Doctor of Philosophy in April 1969.

(٢) James Hornell, water transport, Origins, early Evolution, David Charles, Newton Abbot, 1970.

(٣) Lord Salter, Iraq Development Board, the Development of Iraq, Aplan of Action 1955.

(٤) Handbook of Mesopotamia, Vol. I General, Admiralty war staff, Intelligence Division, August 1961.

٥ ــ المهندس رشاد قزانجي ــ النقل النهري في العراق ــ الملاحة في نهر دجلة ــ المؤتمر الهندسي العراقي الثامن ٢٣ ــ ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٧ ــ مطبعة المعارف ــ بغداد .

٦ ــ الدكتور صلاح الدين الشامي ــ جغرافية النقل والمواصلات ــ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٠ .

٧ ــ محمد سيد نصر ــ جغرافية النقل ــ الطبعة الثانية ــ مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٥٩ .

٨ ــ الدكتور وفيق الخشاب والدكتور مهدي الصحاف ــ الموارد الطبيعية ــ دار الحرية للطباعة ــ بغداد ١٩٧٦ .

٩ ــ الدكتور ابراهيم المشهداني ــ محاضرات في جغرافية العالم العربي ــ الجز الاول ــ الطبعة الثانية ــ مطبعة شفيق ــ بغداد ــ ١٩٧١ .

١٠ــ الدكتور جاسم محمد الخلف ــ محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ــ معهد الدراسات العربية العالية ــ جامعة الدول العربية ــ ١٩٥٩ .

١١ــ التطوير النوعي والمالي لقطاع النقل في العراق ــ الجمهورية العراقية ــ وزارة التخطيط ــ كانون الاول ١٩٧١ .

١٢ـ سرى المدرس ـ النقل في شط العرب ـ اطروحة ماجستير ـ مطبعة العاني بغداد ١٩٦٩ •

١٣ـ ماجد السيد ولي محمد ـ هور الحويزة ـ دراسة بشرية ـ اطروحة ماجستير ـ كانون الاول ١٩٦٧ •

١٤ـ جورج فضلو حوراني ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة ووائل القرون الوسطى ترجمة الدكتور يعقوب بكر ـ مكتبة الانجلو المصرية •

١٥ـ قطاع النقل والمواصلات ـ تقرير رقم (١) المنقح ـ وثيقة رقم (١) المنقحة ـ وزارة التخطيط ـ مجموعات عمل خطة التنمية القومية (٧٦ـ ١٩٨٠) ايلول ١٩٧٤ •

١٦ـ نشرة احصاءات النقـل والمواصلات للفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩ وبعض التوقعات للفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ ـ دائرة احصاءات النقل والمواصلات اب ١٩٧٠ •

١٧ـ مصلحة الموانيء العراقية ـ التقرير الاحصائي السنوي ـ ١٩٧٢ •

١٨ـ المؤسسة العامة للموانيء العراقيـة ـ التقرير الاحصائي السنوي ـ ١٩٧٥ •

١٩ـ الدكتور احمد حسون السامرائي ـ محاضرات في جغرافية النقل ـ مكتب الدوري للطباعة بغداد ١٩٧٦ ـ١٩٧٧ •

٢٠ـ رسالة النقل ـ مجلة فصلية تعني بشؤون النقل تصدرها وزارة النقل ـ وزارة النقل ، العدد الثالث ـ كانون الثاني ١٩٧٧ •

٢١ـ اديب جورج ـ منجزات المنشأة النقل البري لغاية نيسان ١٩٧٧ ـ منشأة النقل النهري •

٢٢ـ كمال عبدالقادر ولي ـ رئيس المهندسين ـ دائرة النقل والمواصلات ـ وزارة التخطيط •

العود في الاثار العربية

الدكتور عبدالعزيز حميد
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

للموسيقى دور حضاري مهم عند مختلف الشعوب ، فهي تشكل وجها حضاريا وجانبا لا يمكن اغفاله في تراث الامم . وللموسيقى ، كما هو معروف ، الدور الاساس في رفع مستوى الذوق الفني والتسامي باحاسيس الناس .

وقد قال كونفوشيوس حكيم الصين قديما : « اذا اردت ان تعرف مبلغ حضارة أمة فاسمع موسيقاها »[1] .

ولا شك ان لصفاء بيئة العرب الصحراوية الممتدة تحت زرقة السماء اللانهائية قد ارهفت احاسيس العربي فاصبح مولعا بهذا الجانب من الفن ميالا بالفطرة الى الشعر الغنائي والموسيقي منذ العصور القديمة .

ولدنيا من الدلائل ما يؤكد غنائية الشعر العربي . وذهب الكثير من اخصائي الادب العربي الى ان الشعر الجاهلي كان شعراً غنائياً بشكل عـام[2] .

وما القافية فيه الا مظهر من مظاهر الموسيقى الغنائية حيث ان كثيرا من شعراء تلك الحقبة الزمنية كانوا يعملون على المشاكلة بين الكلمتين الاخيرتين من البيت ، كما في ابيات معلقة لبيد حيث جعل للبيت الشعري الواحد

---

(١) زكريا يوسف ، موسيقى الكندي ، ص ١ ، طبعة بغداد ١٩٦٢
(٢) شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ١٥٠

« قافيتين ، قافية داخلية وقافية خارجية . ولم يدفعه الى ذلك الا انه يريد ان يرتفع بالصوت في مقطعين متقاربين ، وهو لذلك يخرجه هذا الاخـراج المنتظم المقطع تقطيعا صوتيا دقيقا »[٣] . وعلينا ان لا ننسى التصريع في مطلع القصيدة الشعرية واثرها في غنائية الشعر[٤] . ومن الواضح ايضا ان عبارة (انشد) تعني ان الشعر كان ينشد اي يغنى . وقد قال حسان ابن ثابت قديمـــا :

تغــــنّ بالشـــعر امـــا انــت قائلـــه

ان الغنـــاء لهـــذا الفـــن مضمـــار[٥]

ولا شك ان الشعراء انفسهم كانوا يغنون في شعرهم ويذكر ان المهلهل بن ربيعة اقدم شعراء الجاهلية المعروفين قد غنى في قصيدته :

طفلـــة مـــا ابنـــة المحلـل بيـضاء

لعـــوب لذيـــذة فـــي العنـــاق[٦]

ويقال انه لقّب بالمهلهل لانه اول من هلهل الشعر وقصّد القصائد[٧] . ولقد لقب الشاعر الجاهلي الاعشى بن جندل بصناجة العرب لسهولة شعره على الغناء والتلحين ولكثرة تغنيه هو بشعره[٨] . ومن شعراء الجاهلية الذين

---

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣-٣٤

(٤) التصريع : الابيات التي تفتح بها القصائد وتكون قافية صدر البيت مشابه لقافية عجـــزه .

(٥) ابن رشيق ، العمدة ، جـ٢ ، ص ٢٤١ (طبعة الهند) .

(٦) الاصبهاني ، الاغاني ، جـ٥ ، ص ٥١ .

(٧) بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، جـ١٠ ، ص ٤٩٠ ، دار المعرفة بيروت .

(٨) هو الاعشى ابو نصر ميمون بن جندل . ادرك الاسلام في اواخر عمره ويقال انه مدح الرسول الاعظم بقصيدة . كما روي انه وفد على النبي ليسلم فتصدت له قريش بزعامة ابي سيفان وثنته عن ذلك بعد ان اهدته مئة بعير . كما روي انه في طريق عودته رمى به بعيرة فقتله (الاغاني ، جـ٩ ، ص ١٠٦).

كانوا يغنون بشعرهم السليك بن سلكه وعلقمة الفحل • حتى ذكر ان الغناء كان اساس تعلم الشعر عندهم(٩) •

ويظهر ان الغناء لم يكن ساذجا حينذاك فقد عرفوا منه ضروبا مختلفة ، يقول اسحق الموصلي وهو من اشهر مغني العصر العباسي : « غناء العرب قديما على ثلاثة اوجه : النصب والسناد والهزج ، فاما النصب فغناء الركبان والقينات وهو الذي يستعمل في المراثي ، وكله يخرج من اصل الطويل من العروض ، واما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات ، واما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحليم •

هذا كان غناء العرب قديما حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم وتغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والروميّة وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير » (١٠) •

ولا ريب ان للشعر الغنائي اثره البين في استعمال الالات الموسيقية • ويرى الدكتور شوقي ضيف بان الموسيقى « والغناء في الشعر واضحة الصلة بضربات المغنين وايقاعات الراقصين • انها بقية العزف ، وانها لتعيد للاذن تصفيق الايدي وقرع الطبول ، ونقر الدفوف »(١١) •

وفي فجر الاسلام كانت الخنساء شاعرة المراثي الشهيرة تغني مراثيها بمصاحبة الموسيقى • ولا شك ان الخنساء لم تكن الشاعرة الوحيدة التي كانت تغني الشعر بمصاحبة الالات الموسيقية ، فنحن نعلم ان العرب في الجاهلية قد عرفت واستعملت الكثير من تلك الالات ، ربما كان اكثرها استعمالا الدفوف والمزامير • ومن الامور المؤكدة ايضا ان آلة العود قد عرفها العرب قبل الاسلام في الجزيرة العربية واطلقوا عليها اسماء مختلفة

(٩) شوقي ضيف ، المصدر السابق جـ ١٩٠ •

(١٠) ابن رشيق ، المصدر السابق جـ٢ ، ص ٢٤١ •

(١١) شوقي ضيف ، المصدر السابق ، ص ٣٤

بعضها عربية وبعضها معرّبة . منها (المزهر) و (والبريط) و (والموتر) و (المستجيب) و (ذو الزير) و (ذو العتب) و (الكران)[١٢] . ومن الكران اطلق العرب في الجاهلية على المغنية التي تستعين بالضرب على العود في غنائها بـ (الكرينه)[١٣] .

لقد وردت اشارات كثيرة الى الالات الموسيقية في الشعر الجاهلي ربما اقدمها في شعر امرؤ القيس ، من ذلك قوله :

وان امسى مكروباً فيارب قينة
منعمة اعملتها بكران

لها مزهر يعلو الخميس بصوته
اجش اذا ما حركته اليدان[١٤]

وقال فيه علقمة الفحل :

قد اشهد الشرب فيهم مزهر رغم
والقوم تصرعهم صهباء خرطوم[١٥]

كما وردت في شعر لبيد في قوله :

بصبوح صافية وجذب كرينة
بموتر تأتاله ابهامها[١٦]

---

(١٢) قال ابن الرومي في ذلك :

وقيان كأنها امهات عاطفات على بنيها حواني
كل طفل يدعى باسماء شتى بين عود ومزهر وكران

(١١) ناصر الدين الاسد ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ص ٢٨ (طبعة مصر ١٩٦٨) .

(١٤) مختارات في الشعر الجاهلي ، ص ٥٢

(١٥) المفضل الضبي ، المفضليات ، ص ٤٠٢ .

(١٦) الانباري ، شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٧٨ ، (طبعة مصر ١٩٦٣)

غير انه بلا شك ان اكثر الاشارات التي وردت الى هذه الالة الموسيقية وغيرها من الآت الطرب جاءت في قصائد لشاعر الغناء والطرب ومجالس الانس ورائد الحانات الاول الاعشى • من ذلك في قوله :

وشـــاهدنا الـــورد والياســـمين

والمســـــمعات بقصابهـــــا

ومزهرنـــــا معمـــل دائـــم

فـــاي الثلاثـــــة اوزى بها

تـرى الصنج يبكي لـه شـجوه

مخافـــة ان ســـوف يدعـــى بها

وقولـــه :

مـــن قـــوة بفارس صفـــوة

تـــدع الغنـــى ملكـــاً بميـــل مصرعـــا

بالجلســـــان وطيـــــب اردانـــــه

بالـــدن يضرب لـــي بكر الاصبعا

والنـــاي نرم وبـــربط ذي لجـــة

والصنج يبكي شـجوه ان يوضعا

وقولـــه :

اذا قلت : غني الشرب قامت بمزهر

يكاد اذا دارت لـه الكف ينطـــق

وقوله في حلفته :

ومستجيب تخـال الصنج يسمعـه

اذا ترجـــع فيـــه القينـــة الفضل

ومع هذا الترداد المتواصل للعود في الشعر الجاهلي فانه يبدو ان دخول العود الى اعماق الجزيرة العربية كان في حقبة زمنية متأخرة نسبيا • ربما في زمن لا يتعدى اواخر القرن الخامس او بداية القرن السادس الميلادي • ومع ذلك فان المدونات التأريخية العربية قد قرنت وصوله بتاريخ احدث •

فيذكر البلاذري ان دخول العود الى مكة قد تم قبل نزول الوحي بسنوات قليلة على يد النضر بن الحارث بعد ان « قدم الحيرة فتعلم ضرب البربط وغنى غناء اهل الحيرة وعلم ذلك قوما من اهل مكة »[١٧] ويشير ايضا الى ان الآية القرآنية الكريمة : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله »[١٨] قد نزلت فيه بسبب افراطه في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة[١٩] •

وقد ذهب ابو الفرج الاصبهاني ، الذي يعتبر بحق اهم واشهر من كتب عن الغناء والمغنين عند العرب الى ابعد من ذلك ، فهو يروي بان صنعة العود لم تدخل مكة الا في العصر الاموي على يد ابن سريج « وذلك انه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فاعجب اهل مكة غناؤهم فقال ابن سريج انا اضربه على غنائي ، فضربه فكان احذق الناس »[٢٠]

اما بالنسبة الى المدينة المنورة • فيروى ان المغني والموسيقي (سائب خاثر) كان « اول من عمل العود بالمدينة وغنى بالعربية الغناء الثقيل »[٢١]•

---

(١٧) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلده بن عبد مناف اسره المسلمون يوم بدر وضرب عنقة لاذينه لرسول الله (البلاذري ، انساب الاشراف ، جـ١ ، ص ١٤٣ ، طبعة مصر ١٩٥٩) •

(١٨) سورة الاعراف ، ١٨٥/٧ •

(١٩) البلاذري المصدر السابق ، ص ١٤٣ •

(٢٠) الاغاني ، جـ١ ، ص ٢٣٣ •

(٢١) كان مولى لبني ليث بالمدينة اصله فارسي من فيء كسرى • وعاش في المدينة المنورة طيلة عصر الخلفاء الراشدين وقتل ايام خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ـ٦٤ هـ / ٦٨٠ـ٦٨٣ م) يوم وقعة الحره •
(الاغاني ، جـ٧ ، ص ١٧٩)

وطبيعي ان يذهب العرب في اصل العود وزمن اختراعه مذاهب شتى اغلبها اقرب الى الروايات الاسطورية منها الى الحقيقة الواقعة . ومن تلك الروايات ما ذكره ابن خرداذبه للمعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩ هـ ٨٧٠-٨٩٢م) عندما كان ينادمه في سامراء : « قد قيل في ذلك يا امير المؤمنين اقاويل كثيرة . اول من اتخذ العود لمَلِكْ° بن متوشلح بن محويل بن عباد بن فتوح بن قايين بن ادم . وذلك انه كان له ابن يحبه حبا شديدا ، فمات فعلقه بشجرة فتقطعت اوصاله حتى بقي منها فخذه والساق والقدم والاصابع ، فأخذ خشبه فرققه والصقه فجعل صدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم ، الملاوي كالاصابع ، والاوتار كالعروق . ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود»[٢٢] . ويبدو ان هذه الصورة كانت في ذهن الشاعر العباسي الحمدوني عندما قال :

وناطق بلسان لا ضمير له
كانه فخذ نيطت الى قدم

ويروى صاحب العقد الفريد رواية مفادها « ان اول من صنع العود هو لامك بن قابيل بن آدم وفي رواية اخرى يذكر لنا : ان صانعه بطليموس صاحب كتاب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية »[٢٣] .

ويفهم مما تقدم ان دخول العود الى الجزيرة العربية كان من بلاد الهلال الخصيب ومن العراق على الارجح ، خاصة اذا ما علمنا ان الموطن الاصلي لهذه آلة الموسيقية هو بلاد الرافدين . فقد اثبتت البحوث الاثرية الاخيرة ان العود قد عرف في العراق منذ العصر الاكدي على الاقل (٢٣٥٠-٢١٥٠ق.م) حيث ظهرت اشكال له في الرسوم المحزوزة على بعض الاختام الاسطوانية التي تعود الى تلك الحقبة الزمنية . كما ظهر ايضا على كثير من الرقم الطينية التي تعود الى العصر البابلي القديم (١٩٥٠-١٥٣٠ ق . م) والتي اكتشفت

---

(٢٢) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٤ ، ص ٢٢٢-٢٢٧ (طبعة مصر ، ١٩٥٨)

(٢٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد جـ٦ ، ص ٣٧ ، طبعة مصر ، ١٩٤٨ .

خلال الحفائر الاثرية المنتظمة في مناطق مختلفة من العراق[٢٤] • ويتبين من تلك الدراسات الحديثة انه لا صحة لما ذهب اليه بعض الاختصاصيين الاوربيين في الدراسات القديمة الى ان هذه الآلة الموسيقية كان قد اختص بها سكان الجبال وبصورة خاصة الخوريون الذين سادوا في المنطقة الممتدة من بحيرة (وان) حتى شمال العراق في القرن الخامس عشر قبل الميلادي وما بعده[٢٥]•

وطبيعي ان يستمر استعمال آلة العود من العصر الاشوري وفي العصور التي تلته في العراق وبلاد الشرق الادنى بما في ذلك العصر الهلنستي والبارثي ثم الساساني •

واذا انتقلنا الى موقف الاسلام من الموسيقى والغناء فليس في القرآن الكريم ما يشير الى تحريم تلك الملاهي • غير انه يروى من الحديث عن ابي هريره عن النبي (ص) « عشر خصال عملها قوم لوط بها هلكوا ، منها ضرب الدفوف وشرب الخمور ولبس الحرير »[٢٦] •وقد روي عن رسول الله أيضا : « ان الله تعالى ليومي الى شجرة من الجنة ، ان اسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي عن عزف البربط والمزامير ، فترفع صوتا لم تسمع الخلائق مثلة في تسبيح الرب وتقديسه »[٢٧] •

كما روي عن التابعي عبدالله بن عمرو بن العاص : « ان الله تعالى انزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والزّفّن و الزمّارات والمزاهر والكنارات »[٢٨] •

---

(٢٤) صبحي انور رشيد ، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم ، ص ١٩٠

(٢٥) المصدر السابق •

(٢٦) ابن حنبل ، المسند ، جـ٢ ، حاشية صفحة ٢٩٦ (طبعة مصر) •

(٢٧) أحمد تيمور ، الموسيقى والغناء عند العرب ص ١٢ (طبعة مصر) •

(٢٨) ابن سيده المخصص ، جـ١٣ ، ص ١٢ (طبعة بيروت) •

ومع ذلك فيبدو ان هذه الكراهية للموسيقى والغناء في الاسلام لم تكن شديدة اذ روي عن عائشة قولها : « دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناءبعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني وقال زمارة الشيطان عند رسول الله (ص) فاقبل عليه رسول الله (ص) فقال دعهما • فلما غفل غمزتهما فخرجتا قالت وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحديد »(٢٩) •

اما بالنسبة الى موقف الفقهاء المسلمين من الموسيقى والغناء فانهم اختلفوا فيه • لقد « اجازة عامة اهل الحجاز وكرهه عامة اهل العراق »(٣٠)• وربما كان اشد كراهية للغناء والملاهي هم اصحاب ابي حنيفة النعمان الذين قالوا « بتحريم سماع الملاهي كلها ، كالمزمار والدف »(٣١) • وقال ابو يوسف صاحب ابي حنيفة : « الدار التي يسمع منها صوت المعازف والملاهي يجوز دخولها بغير اذن • لان النهي عن المنكر فرض »(٣٢) •

ومما لا شك فيه ان تنعكس هذه الكراهية عند السلطات التنفيذية خاصة في العصر الاسلامي الاول ، فنحن نعلم ان الخليفتين الاولين لم يكونا من محبذي سماع الموسيقى والغناء •

غير ان الموقف العام من الموسيقى والغناء قد تبدل تبدلا ملحوظا منذ العصر الاموي خاصة منذ ايام الخليفة الاموي يزيد بن معاوية (٦٠ــ٦٤هـ/٦٨٠ــ٦٨٣م) حيث يقول المسعودي فيه بانه « صاحب طرب »(٣٣) •ويكتب الاصبهاني بانه كان « اول من سن الملاهي في الاسلام

(٢٩) القسطلاني ، ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج ٦ ، ٢٢١ (طبعة مصر ١٩٠٦) •

(٣٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ص ٦

(٣١) احمد تيمور ، المصدر السابق ، ص ١٥

(٣٢) المصدر السابق ، ص ١٥

(٣٣) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٥ ، ص ١٥٦ (الطبعة الاوربية)

من الخلفاء وآوى المغنين »[٣٤] • ومع ذلك فقد مرت فترات زمنية في العصر الاموي ظهرت فيها عند السلطة بعض مظاهر الكراهيـة المقيـدة للغنـاء والموسيقى • من ذلك ما يذكر مثلا من ان يزيد بن حبيب قد كتب « الى عمر ابن عبدالعزيز في اللعب في الدفاف والبربط في الاعراس فكتب اليه عمر بن عبدالعزيز « امنع الذين يضربون البرابط ، ودع الذين يضربون بالدفاف فان ذلك يفرّق بين النكاح والسفاح »[٣٥] • والواقع انه يروى ان لعمر عبدالعزيز (٩٩–١٠١ هـ / ٧١٧–٧٢٠ م) بعض الحـان معروفة قبـل ان يتـولى الخلافـة[٣٦] •

وكان الوليد بن يزيد (١٢٥–١٢٦ هـ / ٧٤٣–٧٤٤ م) ايام خلافتـه « يضرب بالعـود ، ويوقع بالطبل ، ويمشـي بالدف على مذهـب اهـل الحجـاز »[٣٧] •

ومن الفترات الزمنية التي حرّم فيها في العصر الاموي الموسيقى والغناء في العراق كانت بعض سنوات ولاية خالد بن عبدالله القسري على العراق (١٠٥–١٢٠ هـ / ٧٢٣–٧٣٧ م)[٣٨] • ربما كان ذلك بتأثير من فقهـاء العـراق •

ومن الطبيعي ان لا تصلنا عيدان من العصر الاموي والعصر العباسي وما تلتهما من العصور الاسلامية • والسبب في ذلك هو ان العود كان يصنع من رقيق الخشب ، اوتاره من الامعاء المبرومة او الحرير • فهو نتيجة لذلك عرضة للكسر او التلف السريع ، خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار كبر حجمه النسبي •

---

(٣٤) الاغاني ، جـ١٦ ، ص ٧٠

(٣٥) عبدالله بن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص١٨–١٢٩ (طبعة مصر)

(٣٦) الاغاني ، جـ٨ ، ص ١٤٩–١٥٠

(٣٧) الاغاني ، جـ٨ ، ص ١٦

(٣٨) الاغاني ، جـ٢ ، ص ٣٠٨

لم تتطرق المصادر التاريخية الى شكل العود ايام بني امية الا في القليل النادر وبايجاز شديد . وربما يعزى سبب ذلك الى ان العود لم يعد بعد واسع الانتشار عند العرب . من ذلك ما يروي انه قد ورد ذكر للعود في مجلس من مجالس الخليفة يزيد بن عبدالملك (١٠١-١٠٥ هـ /٧٢٠-٧٢٤ م) فاراد يزيد ان يوصف له « فقال عبدالله بن عبدالله بن عتبه بن مسعود : انا اخبرك ما هو ، محدودب الظهر ، ارسخ البطن له اربعة اوتار ، اذا حركت لم يسمعها احد الا حرك اعطافه وهز رأسه »[٣٩] .

وليس في الرسوم والمحزوزات على التحف الاثرية التي تعود الى العصر الاموي الا القليل النادر من مصورات تمثل اشخاصا يعزفون على آلة العود . من ذلك القليل النادر مصورة على بعض ارضيات قصر الحير الغربي الذي يقع على بعد ٦٠ ميلا شمال شرق تدمر (شكل ١)[٤٠] . والمصورة تمثل قينة تعزف على عود ذي وجه بيضوي ـ كمثري الشكل ، قصير العنق ينتهي برأس يبدو في التصويره وكأنه متجه الى الاسفل . وفي الواقع لا توجد عيدان لها رؤوس متجهة الى الاسفل او الاعلى وانما الرؤوس في جميعها تميل الى الجهة الخلفية فقط . وان كانت قد مثّلت في معظم الرسومات التي تعود الى العصر الاموي او العصور التالية الى الجهة السفلية او الجهة العلوية . ويعزي سبب ذلك الى عدم احترام المنظور في الرسم او عدم الدراية بالبعد الثالث من جهة، والى الرغبة في ابراز اكثر ما يمكن ابرازه من شكل العود في الرسم من جهة اخرى . والواقع ان تلك القاعدة لم تطبق على رسومات العيدان فقط بل على الكثير من الرسوم الادمية والحيوانية والعمائر في الفنون الاسلامية والفنون القديمة بشكل عـام .

---

(٣٩) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ص ٧٣

(٤٠) زكي محمد حسن ، اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، شكل ٨٠٦ (طبعة القاهرة ، ١٩٥٦)

ونلاحظ على جانبي الرأس (البنجق) انه قد رسمت عدد من اشكال اسطوانية دقيقة طويلة نسبيا تنتهي برؤوس كروية او مثلثة الشكل • ولا شك



شكل (١)

ان المقصود بها هي ما سمته العرب قديما بالملاوي (جمع ملوي)[٤١] . وهي قطع خشبية مثبتة بالرأس يسميها العوادون اليوم بالمفاتيح التي تنتهي اليها الاوتار وتشد بها .ولكل وتر في العود ملوي واحد . ومن الواضح ان الغرض من وجود الملاوي هو لحزق الاوتار او ارخائها لتهيئتها للضرب وهي العملية التي اطلق العرب عليها في العصر العباسي لفظة (البظ)[٤٢] .

وقد سميت العملية احيانا باصلاح العود[٤٣] وسمّيت طورا بتسوية العود . [٤٤]. وهي العملية التي يطلق عليها العودان اليوم (بالدوزنه) .

ويبدو في التصويرة ، ولو بشكل غير واضح تماما ، ان لهذا العود اربعة اوتار . ونحن نعلم ان العود الاول الذي استعملته العرب وورثته عن حضارات الشرق الاوسط تميز باستخدام اربعة اوتار . ارفعها الوتر السفلي وقد سمته العرب (الزير) يليه (المثنى) ثم (المثلث) واخيرا (البم) وهو اعلى تلك الاوتار من العود موضعا واغلظها صوتا . فهم من كان يسميه (الابح)لغلظ صوته [٤٥] . ويظهر ان مسميات اوتار العود هذه كانت معروفة عند العرب في العصر الجاهلي وان كانت تلك التسميات غير متطابقة دائما مع تسمياتها في العصور الاسلامية . فنجد مثلا ان لفظة (الزير) قد اطلقت على الوترين الاول والثاني عند الهذلي . مع انه اطلق على الوترين الثالث والرابع نفس تسمياتها التي عرفت به في العصور الاسلامية ، فهو يقول :

---

(٤١) قال عنها صاحب لسان العرب « بانها العيدان المعروضة على وجه العود ومنها تمد الاوتار الى طرف العود »

(ابن منظور ، لسان العرب ، لفظ (لوى))

(٤٢) من بظ يبظ ، بظ وقد يكتب ايضا البظ (المخصص ، جـ١٣ ، ص ١٣).

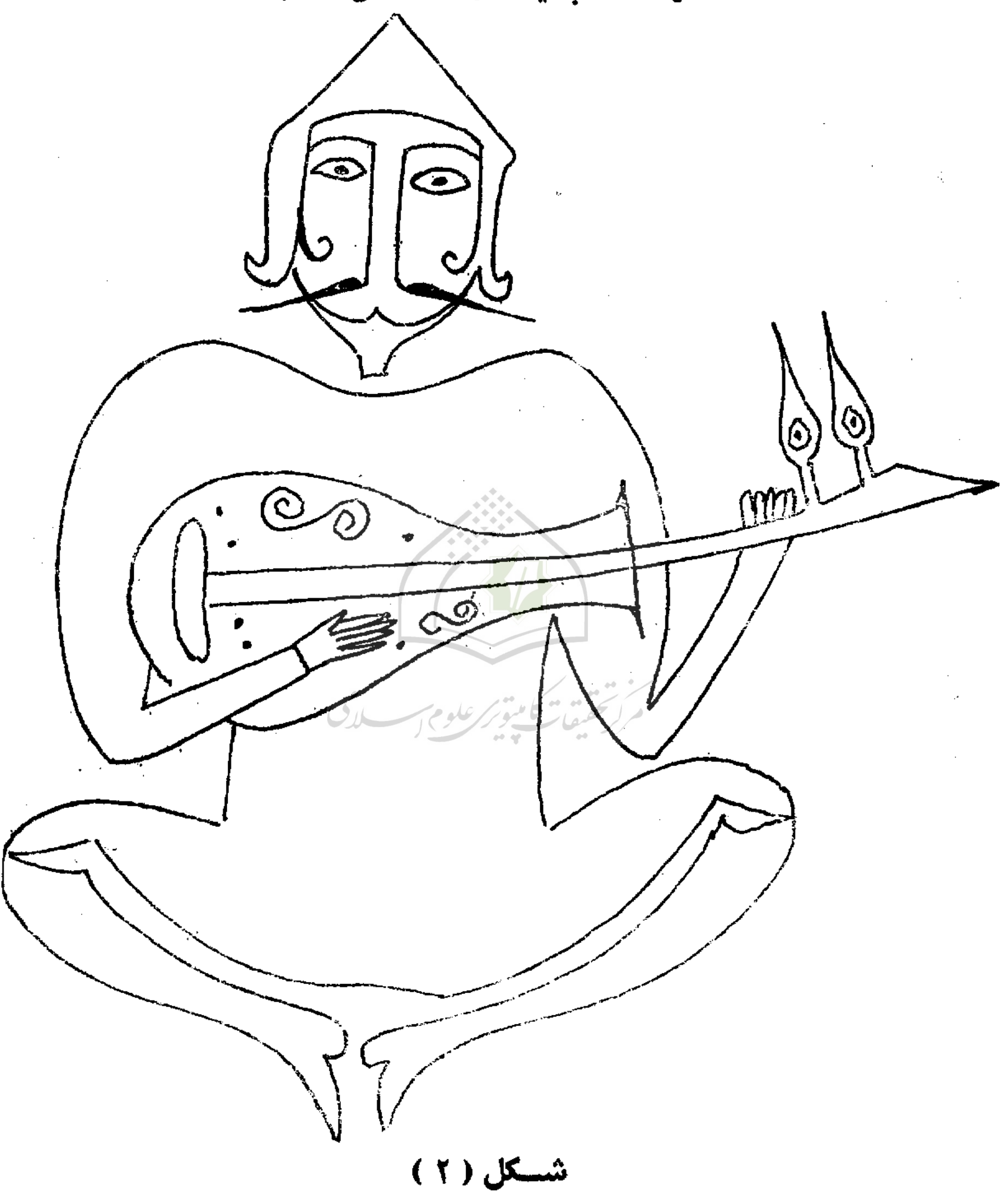
(٤٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ١ ،ص ٢٧٢

(٤٤) ابن سيده ، المخصص ، جـ١٣ ، ص ١٢

(٤٥) الاغاني ، جـ٢ ، ص ٣١٠

اذا سـوت الزيريـن والمثلث الـذي
يـرى دون بيـت البـم والبـم يضرب

رأيـت ليمناهـا على البـم سرعـة
وتحسـب يسراها عـلى العتب تحسـب(٤٦)



شـكل (٢)

(٤٦) ابن سيده ، المخصص ، ج١٣ ، ص١٢

ومن رسومات العود الاخرى في العصر الاموي رسمان وصلا الينا ضمن الرسومات الجدارية لقصير عمره [٤٧]• وكليهما غير واضح المعالم تماما نتيجة التلف الذي لحق بهما على مر العصور • ويبدو شكل الصندوق الصوتي في التصويرة الاولى اقرب الى المستطيل منه الى الشكل الكمثري كما يظهر ان الملاوي (ليست ظاهرة جميعا) قد ثبتت على الرقبة بدلا من تثبيتها بالنجق (شكل ٢) • اما في التصويرة الثانية فان وجه الصندوق الصوتي فيه بيضوي الشكل صغير نسبيا يذكّر بالعود القديم الذي يرجع الى العصور القديمة في العراق[٤٨] • كما يلاحظ ان الرقبة فيه طويلة وضخمة نسبيا •

ومن دراسة رسوم هذه الآلات يبدو انها بشكل عام قريبة الشبه بشكل العود الذي كان معروفا على المخلفات الاثرية التي تعود الى العصر الساساني • من ذلك ما نلاحظه في عود محزوز على تحفة معدنية فضية يرجّعها معظم اختصاصي الاثار الساسانية الى القرن السادس الميلادي [٤٩] • والعود هنا واضح الشكل تماما ، وجهه بيضوي كمثري الشكل ذو رقبة معتدلة الطول تنتهي برأس مدفوعة الى الجهة الخلفية من الآلة وان كانت قد صورت وكانها متجهة الى الجهة السفلية (شكل ٣) •

واذا انتقلنا الى العصر العباسي فاننا نجد ان النصوص حافلة باخبار الآلات الموسيقية والمغنين وغيرهم • ولا شك ان لتشجيع الخلفاء والولاة في العصر العباسي الاثر الكبير في تطوير الغناء والموسيقى في هذا العصر الحافل والزاخر بكل شيء •

---

(٤٧) وهو من المباني المنسوبة الى الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦ هـ /) يقع على مسافة (٥٠) شرق عمان

(٤٨) صبحي انور رشيد ، ، الآلات الموسيقية في العصور الاسلامية ، (بغداد ، ١٩٧٥) •

(٤٩) Ghinsliman, R., Argenterie d'un Seigneur Sassanide, P. 80, Ars Orientalis, Vol. 2, 1957

وعلى الرغم مما جاء في بعض كتب التاريخ التي تناولت تلك الحقبة الزمنية من ان بعض الخلفاء العباسيين كانوا غير ميالين الى الموسيقى اما تزمتا او ورعا مثل الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٧٥٤ م) الذي يروى انه شاهد يوما احد غلمانه يعزف على طنبور فظل يضرب الطنبور برأسه حتى



شكل (٣)

هشّمه على رأسه[٥٠] • او مثل الخليفة المهتدي (٢٥٥ــ٢٥٦هـ/٨٦٩ــ٨٧٠م) الذي اراد ان يقتدي بعمر بن عبدالعزيز بالورع والتقوى فطرد جميع القيان والموسيقيين وامر بنفيهم من سامراء[٥١] • غير اننا نجد ان الخلفاء العباسيين بشكل عام ميّالين الى الموسيقى والغناء • فالمهدي مثلا كان من المولعين بهذا الجانب من الملاهي منذ ايام ولايته للعهد فقد كان قصره في الرصافة مزدحما بالموسيقيين • كما نجد ان المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩ هـ/ ٨٧٠ــ٩٨٢م) الذي نصّب خليفة بعد المهتدي مباشرة قد اعادالمغنين والموسيقين الى سامراء فقد كان من المعروفين بشغفهم بالموسيقى[٥٢] • وكان الواثق بالله (٢٢٧ــ٢٣٢هـ/٨٤٢ــ٨٤٧) من اشهر الخلفاء العباسيين في اجادته الغناء والضرب على العود • ويروي صاحب الاغاني بانه كان يلحن وله الحان معروفة[٥٣] •

ومع كل ما تقدم فيعتبر عصر هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦ــ٨٠٩) العصر الذهبي بالنسبة الى هذا الجانب من جوانب الفن • فهو اول من وضع المغنين والموسيقين في طبقات[٥٤] •

كما انه لاول مرة نجد فلاسفة ورياضيين عظماء يولون جانب الموسيقى النظرية اهتماما كبيرا • وربما من اقدم هؤلاء الخليل ابن احمد الفراهيدي ، فهو اول من كتب الرسائل العلمية في علم الموسيقى • ثم الفيلسوف العربي الشهير الكندي المتوفي بعيد سنة ٢٥٨ هـ (٨٦١ م)[٥٥] • فقد وضع عدة تصانيف في الموسيقى النظرية •

---

(٥٠) الطبري ، جـ١٠ ، ص ٦٣

(٥١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ، ص ٨٠٦

(٥٢) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٨ ، ص ٨٨ــ٨٩

(٥٣) الاغاني ، جـ٨ ، ص ١٥٦ــ١٥٧

(٥٤) الجاحظ التاج في اخلاق الملوك ، ص ٤٥ ، (طبعة بيروت ١٩٧٠)

(٥٥) محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الاسلام ، ص ٢٦٣ (طبعة مصر ١٩٢٧)

ويعتبر الفيلسوف العربي الكبير ابو نصر الفارابي المتوفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥١م) من اشهر من كتب في الموسيقى عند العرب ولـه في ذلك كتاب جليل يعرف بـ (الموسيقى الكبيير) الذي يعد بحق اكمل ما كتبه العرب عن الموسيقى • « والناظر في كتابه ذاك يشعر بانه لم يكن فيلسوفا وعالما فحسب وخاصة في صياغة الموسيقى النظرية ، بل لابد ان يكون مـن مزاولي هـذه الصناعة بالفعل »[٥٦] •

ومن الفلاسفة العرب الذين كتبوا في الموسيقى اخوان الصفا ، وهـم جماعة فلسفية تألفت في القرن الرابع الهجري وكان موطنها البصرة [٥٧] •

واذا انتقلنا الى الجانب العملي نجد ان العصر العباسي كان زاخرا باعظم الموسيقيين والملحنين والعوادين في العالم الاسلامي قاطبة • وربما كان من اشهر هؤلاء منصور زلزل المتوفي سنة ١٧٥ هـ (١٩٧ م) الذي بزغ نجمة ايام هرون الرشيد بشكل خاص[٥٨] • والذي يكتب عنه الجاحظ انه « احسن واحذق من برأ الله بالجس ، فكان اذا جس العود فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله لم يتمالك نفسه حتى يطرب »[٥٩] • ويقول فيه ابن عبد ربه بانه « كان اضرب الناس للوتر ، لم يكن قبله ولا بعده مثله » [٦٠] • وقد نسب اليه في السلم الموسيقي للعود دستانا سمي بدستان وسطى زلزل • ولا شك ان المقصود بالدستان هنا هو ليس كما فهمه (فارمر) من انـه الوتر الثالث الاوسط[٦١] ، وانما الدستان وهي لفظة معربة (جمعها دساتين) كما

---

(٥٦) الفارابي ، الموسيقى الكبير ، المقدمة ، ص ٨ (طبعة القاهرة ، ١٩٦٧)

(٥٧) رسائل اخوان الصفا ، جـ١ ، ص ٢ ، (طبعة بيروت ، ١٩٥٧)

(٥٨)ويذكر بان هرون الرشيد قد زج به في السجن بعد ذلك لعدة سنوات اطلـق سراحه في اخريات ايامه حيث توفي بعد ذلك بوقت وجيز

(٥٩) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ٤٦

(٦٠) العقد الفريد ، جـ٣ ، ص ١٩٠

(٦١) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص ١٤٠ ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٦

يكتب الفارابي انها اماكن في عنق العود « تحت الاوتار تحدد اقسامها التي تسمع منها النغم فتقوم لها تلك مقام حوامل الاوتار » [٦٢] •وعلى ذلك فربما كانت تحدد الدساتين احيانا بقطع من الخشب الرفيع تثبت على عنق العود[٦٣] •

ان الدساتين حسب السلم الموسيقي في العصر العباسي ، والمعروفة عندهم بالطبقات (مفردها طبقة) ، عديدة غير ان اكثرها شهرة : دستان الخنصر،دستان البنصر ، دستان وسطى زلزل ، دستان وسطى الفرس ، دستان السبابة ، دستان المجنب دستان الزائد واخيرا دستان مطلق الوتر[٦٤] •

وينسب الى منصور زلزل ايضا ابتكار « العود الكامل » المعروف بـ « العود الشبوط » • ولا ندري السبب في تسميته بالكامل • فلا نعرف ان كان هو الذي اضاف الوتر الخامس للعود ام انه مثلا قد جعل الاوتار مزدوجة وبعد ان كانت منفردة ؟ ام كبّر في حجم العود قليلا ؟ اما بالنسبة الى ازدواجية الاوتار فقد اخبرنا بانها كانت منفردة في زمن الكندي [٦٥] • غير ان رسوم العود المتعددة التي وصلتنا من العصر العباسي تجعلنا نميل الى الظن بان الكثير من العيدان المستعملة في ذلك العصر كانت مزدوجة الاوتار • صحيح ان تلك الرسوم ليست دقيقة تماما خاصة عندما يتعلق الامر بالتفاصيل كالاوتار مثلا ، حتى نجد ان عددا الاوتار في بعض العيدان

---

(٦٢) الفارابي ، الموسيقى الكبير ، ص ٤٩٨ـ٤٩٩

(٦٣) لقد كتب في ذلك اخوان الصفا « يقسم طول الوتر الواحد باربعة اقسام متساوية ، ويشد ديستان الخنصر عند الثلاثة باربع مما يلي عنق العود • ثم يقسم طول الوتر من الرأس بتسعة اقسام متساوية ، ويشد دستان السبابة مع التسع مما يلي عنق العود • ثم يقسم طول طول الوتر ••• الخ » (رسائل اخوان الصفا ، جـ١ ، ص ٢٠٣) •

(٦٤) الفارابي الموسيقى الكبير ، ص ٥٠٠

(٦٥) زكريا يوسف ، الكندي ، ص ٧

المرسومة في المنمنمات ثلاثة اوتار (لوح١) وهي اقل من العدد المطلوب اصلا وربما اثنان فقط (شكل لوح ٢) • وقد يزيد عدد الاوتار في البعض منها على الخمسة (شكل ٤) • وقد يلاحظ ان عدم الدقة يتجاوز ذلك الى فقدان مقومات اساسية في العود • ففي منمنمة من منمنمات نسخة المتحف البريطاني من مخطوطة (مقامات الحريري) ، تجد ان العود رغم وجود اربعة اوتار كاملة عليه الا انه ليست هناك (ملاوي) مثبته في رأس العود (لوح ٢) • ومهما يكن من امر فان بعض المخطوطات المتأخرة التي ترجع الى القـــرن



شـكل (٤)

الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) التي تناول فيها مؤلفوها فيكون دراسات موسيقية مثل مخطوط (كنز التحف) نجد انه قد ثبت لنا مصوره لعود باربعة اوتار منفردة ، ينتهي كل وتر منها بملوي واحد • ثبت اثنين من تلك الملاوي في جهة من الرأس وثلاثة في الجهة المقابلة منه (٦٦) •بينما نجد في مخطوطة اخرى وهي مخطوطة (الادوار) لصفي الدين عبدالمؤمن ان الاوتار خمسة مزدوجة لكل وتر منفرد منها ملوي فيكون مجموع الملاوي عشرة ، خمسة في كل جانب من جانبي الرأس (٦٧) • وفي عود مصور على اناء من الخزف المزجج من مصر ومحفوظ في متحف الفن الاسلامي في القاهرة نجد في رأسه عشرة ملاوي ، في كل جانب من جانبي الرأس خمسة (شكل ٨) • كما نلاحظ ايضا ان في العود المصور في منمنمة مخطوطة (بياض ورياض) التي سبقت الاشارة اليها اربعة اوتار مزدوجة(٦٨) وثماني ملاوي موزعة بشكل متساو على جانبي رأس العود (شكل ٥) •

ولا شك ان التسمية الثانية لعود منصور زلزل (العود الشبوط) ، وهي الاكثر شيوعا ، قد جاءت نتيجة لتشابهه في الشكل مع ضرب من ضروب الاسماك النهرية التي تحمل هذا الاسم وتكثر في العراق • والذي يكتب صاحب (لسان العرب) فيه بانه « دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس كانه البربط » (٦٩) • ويكتب لنا (فارمر) نقلا عن (لند) انه سمي بذلك « لان رقبته ولوحة اصابعه تتسعان تدريجيا من جسمه »(٧٠) مما

---

(٦٦) Lewis, Berard, the word of Islam, P. 166, London, 1976.

(٦٧) Ibid., P. 164

(٦٨) Ettinghausen, R., Arab Painting. P. 129

(٦٩) لسان العرب ، لفظه (شبط)

(٧٠) فارمر ، ص ١٣٠ عن :

Land, J.P.N., Recherches sur l'histoire de la gamme arabe, Leyden, 1883, P. 161—162

يجعل شكله شبيها بذلك الضرب من ضروب السمك • وسواء صح هــذا التشابه او لم يصح ، فيبدو ان العود الجديد قد شـــاع وانتشر في العصر



شكل (٥)

العباسي ليحل تدريجيا محل العود القديم الذي كان يعرف بالعود الفارسي[71] .

ومن موسيقي العصر العباسي الذي لم يقل في الشهرة عن منصور زلزل هو ابو الحسن علي بن نافع الملقب بـ (زرياب)[72] . لقد اشتهر هذا الموسيقار في بغداد اولا ، حيث كان تلميذا لاسحق الموصلي ، ونادم الخليفة هرون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ /٧٨٦-٨٠٩ م) ثم ترك العراق لعداوة نشأت بينه وبين ابراهيم الموصلي . لقد هاجر الى الاندلس والتحق ببلاط الخليفة الاموي عبدالرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨ /٨٢٢-٨٥٢ م) في قرطبة . وسرعان ما بزغ نجمه فتقدم جميع الموسيقيين في الاندلس[73] . . وينسب معظم المؤرخين العرب الى زرياب اضافة وتر خامس للعود الذي سرعان ما انتشر في كافة الاقاليم الاسلامية ، وقد سمي الوتر الجدير بالزير او الزير الثاني او الزير الاسفل واحيانا بالحاد[74] . ومع ذلك فيظهر ان الوتر الخامس قد قل استعماله في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وربما يعود السبب في ذلك الى صعوبة استعماله اذ لم يكن مريحا بالنسبة للضارب خاصة اذا علمنا ان العود كان اصغر حجما في العصر العباسي من العود الحالي[75] .ورسم لنا الموسيقي الشهير صفي الدين عبدالمؤمن نديم اخرخلفاء بني العباس المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦ / ١٢٤٢-١٢٥٨ م) والمتوفي سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٤ م) رسما تخطيطا جيدا لعود بخمسة اوتار مزدوجة وعشرة ملاوي كما سبق واشرنا الى الى ذلك .

---

(٧١) فارمر ، المصدر السابق ، ص ١٣٠

(٧٢) لقب بزرياب لسواد لونه

(٧٣) المقري ، نفح الطيب في اخبار الاندلس الرطيب ، جـ٢ ص ، ١١٠ (طبعة ليدن ١٨٥٥)

(٧٤) زكريا يوسف ، موسيقى الكندي ، ص٩

(٧٥) المصدر السابق ، ص ١٠

ويعزي الى زرياب ايضا ابتكار مضراب من « قوادم النسر » للاستعاضة به عن المضراب الخشبي الــذي كثيرا مـــا ورد في النصوص التاريخيـــة من العصر العباسي . ان من اجمل واظرف تلك النصوص ما يرويه صاحب كتاب الاغاني : « .. فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيـوط اربعة فاستخرج من خلالها عودا فوضعه خلف اذنه ثم عرك اذانها وحركها بخشبة في يده ، فنطقت ورب الكعبة . واذا هي احسن قينة رأيتها قط ،وغنى عليها واطربني حتى استخفني من مجلسي . فوثبت وجلست بين يديه وقلت : بابي انت وامي ما هذه الدابة فلست اعرفها للاعراب واراها خلقت الا قريبا. فقال هذا البربط . فقلت بابي انت وامي فما هذا الخيط الاسفل ؟ فقـــال الزير . فما الذي يليه ؟ قال المثنى . قلت فالثالث ؟ قال المثلث . قلت فالاعلى؟ قال البم . فقلت : آمنت باللـــه اولا وبـــك ثانيا وبالبربط ثالثا وبالبـم رابعا »[٧٦] . والواقع اننا نجد المضراب في رسوم كثير من العوادين في العصر العباسي ، ســواء كان ذلك في المنمنمات او في غيرها . منها منمنمة مقامات الحريري التي سبقت الاشارة اليها (شكل ٤) . ولا شك ان المقصود بعبارة « عيناها في صدرها » في النص اعلاه هو فتحتين في وجه العـــود الغرض منهما ، كما يكتب الدكتور صبحي إنور ، لتقوية الصوت وتجسيمه[٧٧] . والواقع ان اشكال الفتحات الظاهرة وفي وجه العيدان العديدة التي وصلتنا رسوم لها ، خاصة في العصر العباسي ،متنوعة ، منها على شكل حرف(S) الافرنجي (شكل ٢) . ومنها دائرية الشكل ذات زخارف مخرمة . وقد تكون فتحتين دائرتين فقط ، او ثلاث فتحات دائرية مخرمة صنعت بشكل

---

(٧٦) الاغاني ، جـ١٢ ، ص ٣٥

(٧٧) صبحي انور رشيد ، الآلات الموسيقية في العصور الاسلامية ص ٧٧

مثلث رأسه باتجاه عنق العود (لوح ٢ ، ٣) •وقد تكون تلك الفتحات صغيرة ومتعددة موزعة علىجانبي الوجه (شكل ٦) •



شكل (٦)

واذا انتقلنا الى اشكال العيدان المستعملة في العصر العباسي فاننا لنجد في رسومها الممثلة في المنمنمات او التحف المعدنية او الخزف وغيرها اشكالا متعددة غير انه بلا شك ان الشكل الذي يغلب عليها هو الصندوق الصوتي الكمثري ذو العنق المعتدل الطول ، رؤوسها مستطيلة تقريبا • غير ان هناك اشكالا قليلة تختلف بعض الشيء عن الشكل العام الذي وصفناه • من تلك مثلا ان يكون الصندوق الصوتي مقطوع (شكل ٧) • او ان يكون



شـكل (٧)

الصندوق الصوتي فيها ذا شكل غريب اقرب الى شكل جرة وكأن العنق يخرج من فوهتها (شكل ٨) • كذلك نجد احيانا ان شكل العود منبعج بعض



شكل (٨)

الشيء من جانبيه مما يجعله اقرب في الشكل الى الكيتار الحديث (شكل ٩) •

لقد كانت صناعة العود تتطلب ان يكون الخشب من النوع الجيد الجاف وبمقايس ثانية معلومة • ويكتب ابن سيده ان العيدان في العصر العباسي كانت تصنع من خشب (الوعس) وهو ضرب من الخشب الجيد كما يبدو(٧٨) • وجاء في رسائل اخوان الصفا بهذا الشأن : « ينبغي ان تتخذ الالة التي تسمى العود خشبا طوله وعرضه وعمقه على النسبة الشريفة وهي ان طوله مثل عرضه ومثل نصفه ويكون عمقه مثل نصف العرض ، وعنق العود مثل ربع الطول • وتكون الواحا رقاقا متخذة من خشب خفيف وويكون الوجه رقيقا من خشب صلب خفيف يطن اذ نقر »(٧٩) •

---

(٧٨) ابن سيده ، المخصص ، جـ١٣ ، ص ١٣

(٧٩) رسائل اخوان الصفا ، جـ١ ، ص ٢٠



شکل (۹)

ولا شك ايضا انه كان يصنع احيانا من اخشاب نادرة ثمينة . فقد ذكر مثلا ان (بجكم) امير الامراء في بغداد ايام الخليفة الراضي بالله (٣٢٢ ـ



شكل (١٠)

٣٢٩/ ٩٣٤-٩٤٠ م) قد عشق جارية فاهدى لها عودا قد صنع من عود هندي[٨٠] • والعود الهندي كما هو معروف خشب معطّر نفيس كان يستورد من الهند ومن بعض اقاليم الشرق الاقصى في العصر العباسي •

ونستدل من منمنات العصر العباسي ان العيدان كانت تزوق وتصبغ ، غير ان التزيق لم يكن مبالغ فيه •

فنجد مثلا ان الطريقة التي كان يزوق فيها ظهر العود احيانا ان يقسم الى شرائط بلونين متغايرين ومتعاقبين • وهي نفس الطريقة المستخدمة اليوم في تجميل العود • وربما كان هذا ينتج عن طريق استخدام شرائح خشبية من ضربين من ضروب الخشب بلونين طبيعيين مختلفين ، فيتم الحصول على التفاوت في اللون دون الاستعانة بالاصباغ •

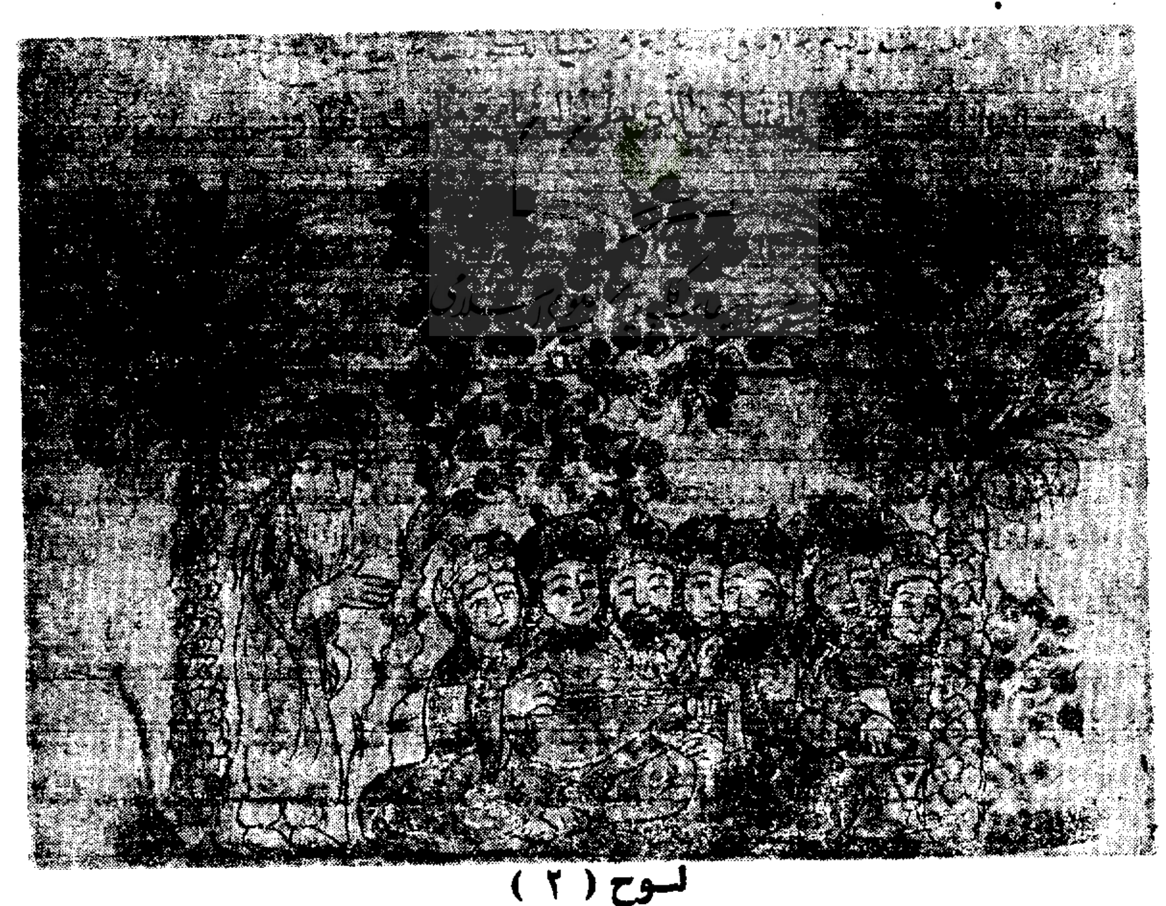


لوح (١)

(٨٠) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ١ ، ص ١٩٦ ، طبعة بيروت ١٩٧١-١٩٧٣

اما بالنسبة الى وجه العود ، فنجد في رسوم كثير من العيدان أن حافاتها قد زينت بالاصباغ ، بعضها في شكل شرائط مستقيمة (شكل ٦) وبعضها في شكل شرائط ذات زخارف نباتية او هندسية (شكل ٥) .

واخيرا فان العود العربي الحديث لا يختلف الا في القليل عن العود العباسي الاعتيادي ذو الوجه الكثمري ليس فقط في الشكل وانما في الزخرفية وربما في طريقة الصنع ايضا . وليس من خلاف واضح الا في الحجم اذ ان حجم العود الحالي اكبر قليلا من العود القديم . ان حجم العود القديم هو ثلاثة ارباع حجم العود الحالي[٨١] . كذلك في عدد الاوتار ، اذ ان العود الحالي ذو ستة اوتار مزدوجة والقليل منها بخمسة اوتار مزدوجة ، بينما ان العود العباسي كان ذو اربعة ثم خمسة اوتار كما سبق ومر بنا في هذا البحث .



لوح (٢)

(٨١) زكريا يوسف ، المصدر السابق ، ص ٧

فهرس الاشكال

فهرست الموضوعات للعدد الرابع والعشرين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



دار الحرية للطباعة ـ بغـداد

١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٩٧ لسنة ١٩٧٩